

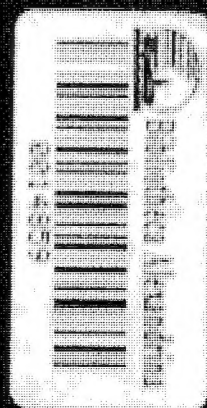
صِفْوَةُ الْأَعْتِبَائِ

بِمُسْتَوْجِ الْأَمْنَانِ وَالْأَقْطَابِ

تأليف

محمد بيرم الخمارين التونسي

دار صادر
بيروت



صِفْوَةُ الْأَعْيَانِ

بِمُسْتَوْجِ الْأَمْصَانِ وَالْأَقْطَانِ

٣٠٠٢٠١

تَأَلَّفَ

مُحَمَّدُ بَيْرَمُ الْخَامِسُ التُّونِسِيُّ

دار صادر

بيروت

محمية

- ٢ خطبة الكتاب
- ٣ تفصيل موضوع الكتاب
- ٣ المقدمة وأبوابها
- ٣ الباب الاول في السفور من حيث هو وفيه فصول
- ٤ الفصل الاول في الاستدلال بالقرآن الكريم
- ٤ مبحث العطف بالقاء وتم
- ٤ مبحث الامر للوجوب
- ٥ مبحث في ان المعتبر به أشياء وفيه اعتبار بعاقبة المكذابين
- ٥ مبحث الاعتبار باختلاف الالسن والالوان
- ٥ مبحث الاعتبار بالاجرام العلوية
- ٦ مبحث الاعتبار بالاجرام السفلية من الارض وما فيها
- ٦ مبحث اعتراف حذاق المتأخرين ببطلان الطبيعة
- ٦ مبحث هيئة الارض وتكوينها
- ٧ مبحث الاستدلال بكلام الحكماء على تكوين الارض
- ٧ مبحث الاستدلال بكلام الفقهاء على تكوين الارض
- ٧ مبحث الاستدلال بكلام الصوفية على تكوين الارض
- ٨ مبحث الاستدلال بالجبال
- ٨ مبحث الاعتبار بالانهر وقرن الانهر بالجبال في القرآن
- ٨ مبحث الاعتبار بالثمار وفيه عجيبه
- ٨ مبحث تلقيج الثمار بالريح
- ٩ مبحث اعتراف المنصفين بان الحكمة فازت بها العرب
- ٩ مبحث طلب العلوم الرياضية
- ٩ مبحث الاعتبار بمعاقب الليل والنهار وفيه اثبات دوران الارض
- ١٠ مبحث الاختلاف في أسباب وجود الليل والنهار
- ١١ مبحث الاستدلال على ان كون الليل والنهار من دوران الارض

- ١١ مبحث الرد على منكري السجدة مع ثبوت دوران الأرض
- ١٢ مبحث اقرار الحكيم ببعض مسائل شرعية
- ١٣ مبحث في ارتفاع كرة الهواء
- ١٤ الفصل الثاني فيما ورد في السفر من السنة
- ١٥ مبحث في ثمره الهواء للإنسان وفيه تصفية الدم
- ١٦ مبحث كراهية التفتيح على المساء
- ١٧ الفصل الثالث فيما ورد في السفر من كلام الحكيم والادباء
- ١٨ مبحث فيما نقله الامام الشافعي في السفر
- ١٩ الباب الثاني في السفر لا يبرأ من الاسلام وفيه فصلان
- ٢٠ الفصل الاول في النصوص المدالة على الجواز وما يجوز حفظه من العدالة وما لا يجوز
- ٢١ مبحث فيما نقله من حكم السفر
- ٢٢ مبحث في ما يوازى هو الامن
- ٢٣ الفصل الثاني في تطبيق الحكم على سفر المؤلف

في القسم الثاني من الكتاب

- ٢٤ الباب الثالث في تقسيم اهل الارض الآن وفيه ٨٧ فصلا
- ٢٥ مبحث في تقسيم الارض
- ٢٦ مبحث في القسم الاول آسيا
- ٢٧ مبحث في ملك آسيا
- ٢٨ الفصل الاول في المملكة العثمانية
- ٢٩ مبحث في اقسام المملكة العثمانية
- ٣٠ مبحث في سكان المملكة العثمانية
- ٣١ مبحث في حكومة المملكة العثمانية
- ٣٢ مبحث في ديانات اهل المملكة العثمانية
- ٣٣ الفصل الثاني في ملكة فارس

- ٤ مبحث في سكان مملكة فارس وفيه دياناتهم
- ٥ مبحث في أحكام مملكة فارس
- ٥ الفصل الثالث في مملكة افغانستان
- ٥ مبحث في عدد سكان مملكة افغانستان
- ٥ مبحث الديانات والحكم في مملكة افغانستان
- ٦ مبحث في عوائد مملكة افغانستان
- ٦ الفصل الرابع في مملكة بلوچستان
- ٦ مبحث في عدد سكان مملكة بلوچستان والديانات الغالبة فيها
- ٦ الفصل الخامس في مملكة الهند الانكليزية
- ٦ مبحث عدد السكان في مملكة الهند ودويانهم
- ٧ مبحث تقسيم مملكة الهند الانكليزية وفيه الكلام على استيلاء الانكليز على الهند بسبب التجارة
- ٧ مبحث الكلام على الممالك التي استولت عليها الانكليز بسبب التجارة
- ٨ مبحث تالقيب مملكة انكلترا بامبراطورية الهند وفيه ما نقله بعض المراسلين في شأن الموكب الذي عقد يومئذ
- ٩ مبحث الكلام على كيفية دخول حكام الهند الى دهلي
- ١٠ مبحث الكلام على صورة الجلسة المنعقدة يوم دخوله وكيف ألقى عليهم خطاب المحكدار
- ١٢ مبحث الكلام على الفوائد التي استفادها الانكليز من الدربار
- ١٢ مبحث الكلام على زيارة والي العهد لممالك الهند
- ١٣ مبحث الكلام على أقسام الممالك الهندية وفيه عدد سكان كل قسم
- ١٤ مبحث الكلام على ادارة الهند السياسية والعسكرية
- ١٥ مبحث الكلام على معارف البلاد الهندية
- ١٦ مبحث الكلام على صناعات البلاد الهندية
- ١٦ مبحث الكلام على نباتات البلاد الهندية وهوائها وما فيها من المواصلات
- ١٧ مبحث الكلام على قوة مملكة الهند البحرية والمالية

- ١٧ الفصل السادس في ملكة بورما
 ١٧ بحث الكلام على عدد سكان ملكة بورما وديانتهم وسياساتهم وعوائدهم
 ومعارفهم ومحصلات أراضيهم وتجارتهم وقوتها الحربية والمالية
 ١٨ الفصل السابع في ملكة سيام
 ١٨ بحث الكلام على عدد سكان ملكة سيام وديانتهم وأحكامهم ومعارفهم
 وعوائدهم وتجارتهم وقوتها الحربية والمالية
 ١٨ الفصل الثامن في ملكة كوشين الصين
 ١٨ بحث الكلام على عدد سكان ملكة كوشين الصين وديانتهم وعوائدهم
 ومعارفهم
 ١٩ بحث الكلام على قوة كوشين المالية والحربية وديانتهم وسياساتهم
 ١٩ الفصل التاسع في ملكة كمبوديا
 ١٩ بحث الكلام على عدد سكانها وديانتهم وسياساتهم وقوتهم المالية والحربية
 ١٩ الفصل العاشر في ملكة ملاقا وأقسامها
 ١٩ بحث الكلام على عدد سكانها وديانتهم وأحكامهم ونتائج أراضيهم وتجارتهم
 ١٩ الفصل الحادي عشر في ملكة الصين
 ٢٠ بحث الكلام على عدد سكان ملكة الصين وتجارتها وصناعة أهلها ومعارفهم
 ٢١ بحث الكلام على عوائدهم أهل ملكة الصين وأقسامها ومواقع بين أهلها وبين
 الدول الأوروبية
 ٢٢ بحث الكلام على قوة ملكة الصين الحربية وفيه ذكر ديارنتهم
 ٢٣ بحث الكلام على عدد المسلمين في ملكة الصين وما ينتج عنه من المذهب
 وعوائدهم في هذه البلاد
 ٢٤ بحث الكلام على الدولة التي أنشأها السلطان سليمان
 ٢٥ بحث الكلام على سور الصين وسديا جوج وما جوج
 ٣٠ بحث الكلام على مواصلات الصين ومعادنها ونباتاتها وحيواناتها
 ٣١ بحث الكلام على أحكام هاته المملكة
 ٣١ بحث الكلام على كتابة أهلها

- ٣٢ بحث الكلام على قوتها المالية
 ٣٢ الفصل الثامن عشر في ملكة الروسيا في آسيا
 ٣٢ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وذكركحيواناتها
 ٣٣ بحث الكلام على محصولات ونباتات وعوائد هاته المملكة
 ٣٣ بحث تاريخ استيلاء الروس وأحكامهم في هاته المملكة
 ٣٣ الفصل الثالث عشر في ملكة هرات
 ٣٤ بحث الكلام على ديانة وعدد سكان هاته المملكة وأحكامهم
 ٣٤ بحث الكلام على تجارة وصنائع هاته المملكة
 ٣٤ بحث الكلام على قوة هاته المملكة البحرية والمالية
 ٣٤ الفصل الرابع عشر في ملكة النتر المستقلين
 ٣٤ بحث الكلام على سكان هاته المملكة وديانتهم
 ٣٤ بحث تقسيم هاته المملكة وما في كل قسم من السكان
 ٣٥ بحث الكلام على ما حصل مع هاته المملكة والروسيا وعوائد أهلها
 ٣٥ الفصل الخامس عشر في ملكة من ممالك جزائر العرب
 ٣٦ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وديانتهم وعوائدهم
 ٣٦ بحث الكلام على دعوة أتباع محمد بن عبد الوهاب
 ٣٧ بحث الكلام على ما ينبغي للدولة العلية أن تفعله في هاته المملكة
 ٣٧ الفصل السادس عشر في ملكة نيبول
 ٣٧ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وعوائدهم وديانتهم
 ٣٨ الفصل السابع عشر في ملكة بوتان
 ٣٨ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وديانتهم وعوائدهم مع ملوكهم
 وتقييمهم لهم
 ٣٨ الفصل الثامن عشر في ملكة كشمير
 ٣٨ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وأدانتهم
 ٣٨ الفصل التاسع عشر في ملكة الجابون
 ٣٨ بحث الكلام على عوائد أهل هاته المملكة وصنائعهم وأشكالهم

٣٩ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وما أحدثه بعض ملوكها في أواخر

هذا القرن

٣٩ بحث الكلام على قوة هاته المملكة المحربية والمسالبة

٤٠ الفصل العشرون في ملكة اثنين

٤٠ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وما حصل منهم مع الملوك السابقين من

معاهدات وغيرها

٤١ بحث الكلام على قوة هاته المملكة المسالبة والمحربية

٤١ القسم الثاني من الأرض في قارة أوربا

٤١ بحث مبدئ تمدن أوربا

٤٢ بحث الكلام على ما استفادوه من العلوم

٤٢ بحث الكلام على ترك العوائد التي لا توافق الصحة

٤٣ بحث الكلام العام على قارة أوربا

٤٣ بحث تقسيم أوربا إلى أقسامها

٤٣ الفصل الحادي والعشرون في الكلام على الدولة العلية

٤٤ بحث الكلام على ولايتها الممتازة مثل البلغار

٤٤ بحث الكلام على عدد سكان البلغار وديانتهم وأدارتهم ورياستهم والاحكام

الجزائية فيهم عادة

٤٤ بحث الكلام على الولايات الغير متميزة مثل الرميلي وغيره مما هو تحت تصرف

الدولة العلية

٤٥ الفصل الثاني والعشرون في الكلام على دولة الجبل الاسود

٤٥ بحث الكلام على عدد سكان هاته الدولة

٤٥ الفصل الثالث والعشرون في دولة اليونان

٤٥ بحث الكلام على عدد سكان دولة اليونان وتقدمهم في المعارف

٤٥ الفصل الرابع والعشرون في دولة ايطاليا

٤٥ بحث الكلام على عدد سكان ايطاليا

٤٦ الفصل الخامس والعشرون في دولة اسبانيا

- ٤٦ بحث تسلط الاسبينيول على هاته المملكة وما حصل من الاهالي معهم
 ٤٧ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة في اصلها ومستعمراتها
 ٤٧ الفصل السادس والعشرون في مملكة البرتغال
 ٤٧ بحث الكلام على عدد سكان دولة البرتغال في اصلها ومستعمراتها
 ٤٧ الفصل السابع والعشرون في دولة فرانس
 ٤٧ بحث الكلام على عدد سكان فرانس وتاريخها وحكومتها
 ٤٧ الفصل الثامن والعشرون في الكلام على دولة سفييرا
 ٤٨ بحث الكلام على ما وقع للدولة فيم او عدد سكانها وحكومتها
 ٤٨ الفصل التاسع والعشرون في دولة البلييك
 ٤٨ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وما كان لها مع فرانس
 ٤٨ الفصل الثلاثون في دولة النمسا
 ٤٨ بحث الكلام على عدد سكان النمسا واقسامها
 ٤٩ الفصل الحادي والثلاثون في دولة الصرب
 ٤٩ بحث في سكان هاته المملكة مع ما اضيف اليها
 ٤٩ الفصل الثاني والثلاثون في دولة الرومانيا
 ٤٩ بحث الكلام على عدد سكان مملكة الرومانيا واقسامها
 ٤٩ الفصل الثالث والثلاثون في مملكة انكلترا
 ٤٩ بحث الكلام على عدد سكان مملكة انكلترا
 ٥٠ بحث الكلام على عدد سكان مستعمراتها
 ٥٠ الفصل الرابع والثلاثون في مملكة هولاندا
 ٥٠ بحث الكلام على ما وقع من الدول فيها
 ٥٠ بحث الكلام على عدد سكانها في المملكة والمستعمرات
 ٥٠ الفصل الخامس والثلاثون في دولة المانيا
 ٥٠ بحث الكلام على عدد السكان في مملكة المانيا
 ٥٠ بحث الكلام على أسماء الدول المتألفة منها العصبية مع عدد السكان واسماء
 القواعد

- ٥١ الجدول المشتمل على أسماء الممالك وأسماء قواعدها وعلى عدد السكان
- ٥٢ الفصل السادس والثلاثون في دولة السويد والنرويج
- ٥٢ مبحث الكلام على عدد سكان المملكة كتيين وما كان لهما قديما
- ٥٢ الفصل السابع والثلاثون في مملكة الدانمرك
- ٥٢ مبحث الكلام على عدد سكان الدانمرك في المملكة والمستعمرات
- ٥٣ الفصل الثامن والثلاثون في دولة روسيا
- ٥٣ مبحث الكلام على عدد سكان روسيا ومذاهبهم وعوائدهم وتاريخ تكوينها وما حصل فيها
- ٥٤ مبحث الكلام على ما وقع من القيصر الاسكندر الثاني مع الفلاحين
- ٥٤ مبحث الكلام على ادارة مملكة روسيا وما لها من المجالس وما لاهلها من الاعمال
- ٥٥ مبحث الكلام على أقسام هاته المملكة في الحاضرة والبادية
- ٥٥ مبحث الكلام على مشيخة البادية وما لها من الاعمال
- ٥٦ مبحث الكلام على أسباب انفتاح بصائر أهل تلك المملكة حتى حصل منهم ثوران في بعض السنين
- ٥٦ مبحث الكلام على ما فعله أمراؤها مع كبار الموظفين
- ٥٧ مبحث الكلام على ما حكاه بعض السواحين في شأن مشايخ القرى مع بعض رعاياهم
- ٥٧ مبحث الكلام على ولاية قازان ومذهبهم
- ٥٧ مبحث الكلام على الاختلاف في وجوب العشاء على أهل مدينة البلغار
- ٥٨ الفصل التاسع والثلاثون في خلاصة الكلام على بقية ممالك أوروبا
- ٥٨ مبحث الكلام على أصول الادارة في بقية ممالك أوروبا
- ٥٨ مبحث الكلام على ما يتنسب على الوزراء من المجالس وما لكل مجالس من الاعمال
- ٥٩ مبحث الكلام على أصول الادارة الحكومية الشخصية
- ٥٩ مبحث الكلام على أعمال أهالي الدولة
- ٥٩ القسم الثالث من أقسام الارض في الكلام على قارة افريقيا
- ٥٩ مبحث الكلام على أقسام قارة افريقيا
- ٦٠ الفصل الأربعون في مملكة مراکش
- ٦٠ مبحث الكلام على عدد سكان مملكة مراکش وديانهم ومذهبهم وأحكامهم

- ٦٠- مبحث الكلام على قضاء فاس وما فعله سلاطنتها مع بعضهم
 ٦١- مبحث الكلام على ما تتركبت منه دولة مراکش من سلاطان ووزير وغيرهما
 ٦١- مبحث الكلام على السلاطان
 ٦١- مبحث الكلام على الوزير
 ٦١- مبحث الكلام على ما اختصت به دولة المغرب
 ٦١- مبحث الكلام على ما صدر من جوده باشا أحد أمراء العائلة الحسينية بتونس
 ٦٢- مبحث الكلام على بقية الموظفين في مملكة مراکش
 ٦٢- مبحث الكلام على أعمال السلاطان في هاته المملكة وكذلك الوزير
 ٦٢- مبحث الكلام على سير الالهالي في هاته المملكة
 ٦٢- مبحث الكلام على العلوم الدينية والرياضية في هاته المملكة
 ٦٢- مبحث الكلام على أخلاق وعوائد أهل تلك المملكة وأحوالهم في التجارة
 ٦٣- مبحث الكلام على سفراء الدول في هاته المملكة
 ٦٣- مبحث الكلام على عوائد أهل تلك المملكة في أمن الطريق وما للبريد من الاعمال
 ٦٣- مبحث الكلام على عوائد أهل تلك المملكة مع الأجانب
 ٦٤- مبحث الكلام على طالب انكسار من السلاطان ان يغير العوائد المجازية في هاته المملكة
 ٦٤- مبحث الكلام على ما هدمه مدير يد في شأن دولة مراکش
 ٦٥- مبحث الكلام على قوة هاته المملكة البحرية وما أحدث فيها من التنظيم العسكري
 ٦٦- الفصل الحادي والاربعون في مملكة الجزائر
 ٦٦- مبحث الكلام على عدد سكانها وأحكامها السياسية والضبط الواقع فيها
 ٦٦- الفصل الثاني والاربعون في مملكة تونس
 ٦٦- مبحث الكلام على عدد سكانها وديانتهم وادارتهم وسياساتهم
 ٦٦- الفصل الثالث والاربعون في مملكة طرابلس الغرب
 ٦٦- مبحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة
 ٦٦- مبحث الكلام على تاريخ استيلاء الدولة العلية على هاته المملكة وبيان أسبابه
 وما وقع فيها من بعض أمورها السابقين

- ٦٨ مبحث الكلام على عوائد أهل تلك المملكة
 ٦٨ الفصل الرابع والاربعون في ملكة مصر
 ٦٨ مبحث الكلام على ما يتبع تلك المملكة وعدد سكانها وأحكامها
 ٦٨ الفصل الخامس والاربعون في ملكة الحبشة
 ٦٨ مبحث الكلام على عدد سكانها وعوائدهم وديانتهم وأحكامهم
 ٦٩ الفصل السادس والاربعون في ملكة الزنجبار
 ٦٩ مبحث الكلام على ديانة أهل هاته المملكة
 ٦٩ مبحث الكلام على سكان هاته المملكة
 ٧٠ الفصل السابع والاربعون في ملكة برنو
 ٧٠ مبحث الكلام على ديانة أهل هاته المملكة وصفتها وأحوالها
 ٧٠ مبحث في لغة أهل هاته المملكة وعدددهم
 ٧٠ الفصل الثامن والاربعون في بقية افريقية وفيه أحد عشر قسما
 ٧٠ مبحث الأول السودان
 ٧٠ تذييه في أخذ بعض أسماء من اللغة الفرنسية بعد أخذها من اللغة الانجليزية
 ٧١ مبحث الكلام في ديانة أهل هاته المملكة
 ٧١ الفصل التاسع والاربعون في ملكة واداي
 ٧١ مبحث في عدد سكان هاته المملكة وعوائدهم وأحكامهم
 ٧١ الفصل الخسون في بقية القسم المسمى بالسودان
 ٧٢ الفصل الحادي والخسون في الكلام على ملكة فلانا
 ٧٢ مبحث في ديانة أهلها وفي صنائعها
 ٧٢ الفصل الثاني والخسون في القبائل المتحدة المسماة بركو وما تألفت منه
 ٧٢ مبحث الكلام على ديانة أهلها
 ٧٣ القسم الثاني في أراضي سانيغال
 ٧٣ مبحث في عدد سكانه
 ٧٣ الفصل الثالث والخسون في المستقل من سانيغال
 ٧٣ الفصل الرابع والخسون في ملكة تيماني وسوليمايه

- ٧٣ القسم الثالث في مملكة كينيا العليا
 ٧٣ الفصل الخامس والنخسون في ان أول اراضى القسم الثالث هو كرومان
 ٧٣ مبحث في سكان كينيا العليا وديانتهم
 ٧٤ الفصل السادس والنخسون في مستعمرات الانكليز بالقسم الثالث
 ٧٤ الفصل السابع والنخسون في مملكة ليديريا
 ٧٤ مبحث في سكان هاته المملكة وفي لغتهم وفي نهاية مساهمهم
 ٧٤ الفصل الثامن والنخسون في ارض شط الفيل
 ٧٤ الفصل التاسع والنخسون في عدة ممالك سودانية داخل كينيا
 ٧٥ الفصل الستون في بقية شطوط كينيا العليا ودواخلها
 ٧٥ مبحث في عوائدهم
 ٧٥ مبحث في عدد سكان هاته البلاد
 ٧٥ القسم الرابع قسم افريقية الجنوبية
 ٧٥ الفصل الحادى والستون في ممالك رأس الرجاء الصالح
 ٧٥ مبحث في سكان هاته المملكة
 ٧٥ القسم الخامس ببلاد الكفر
 ٧٦ الفصل الثانى والستون في مملكة الزولوس
 ٧٦ الفصل الثالث والستون في مملكة ناتال
 ٧٦ مبحث في بيان سكانها من أى جنس هم وفي بيان عدد هم
 ٧٦ الفصل الرابع والستون في جمهورية نهر اورانج
 ٧٦ الفصل الخامس والستون في جمهورية ترانسفال
 ٧٦ مبحث في عدد سكان هاته الجمهورية وفي أقسامها
 ٧٧ الفصل السادس والستون في مملكة بادجوانه
 ٧٧ مبحث في اخلاقهم وعوائدهم وكلامهم
 ٧٧ القسم السادس في كينيا السفلى
 ٧٧ الفصل السابع والستون في ممالك كينيا السفلى
 ٧٧ مبحث في ممالك كتي انكلابونكللا

- ٧٧ مبحث في سكان هاتين المملكتين
 ٧٨ القسم السابع في قسم موز نديك وانقسامه الى حكومات
 ٧٨ الفصل الثامن والستون في ممالك هذا القسم
 ٧٨ القسم الثامن قسم سوموليس
 ٧٨ الفصل التاسع والستون في ممالك هذا القسم
 ٧٨ القسم التاسع هو القسم المجهول
 ٧٩ مبحث فيما علم من هذا القسم من العمالات
 ٧٩ القسم العاشر هو الجزائر البحرية
 ٧٩ الفصل السابع في مملكة ماداغسكار
 ٧٩ مبحث في سكان هاته المملكة وفي ديانتهم
 ٧٩ القسم الحادي عشر قسم الصحراء
 ٧٩ مبحث في انقسام هذا القسم الى ثلاثة اقسام
 ٨٠ الفصل الحادي والسبعون في ممالك الصحراء الغربية
 ٨٠ مبحث في ديانة بعض سكان هاته المملكة
 ٨٠ الفصل الثاني والسبعون في ممالك الصحراء الوسطى
 ٨١ مبحث في ديانة هذا القسم ولغتهم
 ٨١ مبحث في عوائلهم وفي بعض الحيوانات عندهم
 ٨٢ الفصل الثالث والسبعون في مملكة الصحراء الشرقية
 ٨٢ مبحث في انقسام هاته المملكة الى عدة قبائل
 ٨٢ مبحث في تلخيص عدد سكانها بوجه قريب
 ٨٣ مبحث في حكاية من عجائب سحرهم
 ٨٣ مبحث في دياناتهم واعتقاداتهم
 ٨٤ القسم الرابع من الارض في قارة أمريكا
 ٨٤ مبحث فيمن استكشف هاته القارة
 ٨٤ مبحث في أول ما استكشف من هاته القارة
 ٨٥ مبحث فيمن استكشف أمريكا الجنوبية

- ٨٥ مبحث في تقسيمها الى قسمين
- ٨٦ مبحث في سكان هاته القارة
- ٨٦ الفصل الرابع والسبعون في دولة أمريكا المتحدة
- ٨٦ مبحث في عدد سكانها
- ٨٦ مبحث في قوانين هاته المملكة
- ٨٦ مبحث في بيان الحكومات الموكبة منها هاته المملكة
- ٨٧ مبحث في تقدم هاته المملكة في المعارف والسياسة والاقتصاد
- ٨٧ الفصل الخامس والسبعون في بقية أمريكا الشمالية
- ٨٨ الفصل السادس والسبعون في مملكة مكسيكو
- ٨٨ مبحث في عدد سكان هاته المملكة
- ٨٨ الفصل السابع والسبعون في أمريكا الوسطى
- ٨٨ الفصل الثامن والسبعون في الجزائر المتفرقة
- ٨٩ الفصل التاسع والسبعون في مملكة كولومبيا
- ٨٩ مبحث في عدد سكان هاته المملكة
- ٨٩ الفصل العشرون في دولة بيرو
- ٨٩ مبحث في سكان هاته المملكة
- ٨٩ الفصل الحادي والثمانون في مملكة البرازيل
- ٨٩ مبحث في عدد سكان هاته المملكة
- ٩٠ الفصل الثاني والثمانون في مملكة بوليفيا
- ٩٠ مبحث في عدد سكان هاته المملكة وأحكامها
- ٩٠ الفصل الثالث والثمانون في دولة تشيلي
- ٩٠ مبحث في عدد سكان هاته المملكة وأحكامها
- ٩٠ الفصل الرابع والثمانون في مملكة سيونس ايسر اولابلاتا
- ٩٠ الفصل الخامس والثمانون في مملكة أوروكواي
- ٩٠ مبحث في عدد سكان هاته المملكة وأحكامها
- ٩٠ الفصل السادس والثمانون في دولة بتاكوني

مصحفة

٩٠. مبحث في عدد سكان هاته المملكة
 ٩١. مبحث في الاعتبار من دول أمريكا
 ٩١. القسم الخامس أستراليا
 ٩١. مبحث في عدد سكان هذا القسم
 ٩٢. الفصل السابع والثمانون في أسماء الممالك وقواعد بلدانها الخ
 ٩٣. مبحث في جدول احصاءات الممالك
 ٩٤. المقصد
 ٩٤. الباب الاول في بيان سبب سفر المؤلف
 ٩٤. مبحث في عدد سفر المؤلف الى أوروبا
 ٩٤. فصل في نشأة المؤلف
 ٩٥. مبحث في بيان اجداد المؤلف ووظائفهم
 ٩٦. فصل فيما عو لج به المؤلف في مرضه
 ٩٧. مبحث في بيان أن السفر من أسباب الصحة كما تقدم
 ٩٨. مبحث في صورة العلاج
 ١٠٢. مبحث في أكل الذهب للثقوى
 ١٠٣. فصل في حكم التداوى شرطا
 ١٠٣. مبحث فيما ورد فيه من القرآن
 ١٠٤. مبحث في شكوى بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم من مرض أخيه
 ١٠٤. مبحث في جواز التداوى بالمحرم
 ١٠٦. مبحث في جواز تلقيح الجدرى من الحيوان أو الانسان وجواز الكتابة بالدم
 ١٠٦. مبحث في دعوى جواز الكتابة بالدم
 ١٠٧. مبحث في تقسيم مسائل علم الطب الى قسمين
 ١٠٧. مبحث في أن العمل بالاسباب مع التوكل مشرووع
 ١٠٨. حكاية عن سيدى محيى الدين في معرض التوكل
 ١٠٩. الباب الثانى في قطر تونس
 ١٠٩. فصل في التعريف بالقطر التونسي

- ١١٠ مبحث في رؤس هذا القطر وأنهره
 ١١١ تفصيل ما في أجزاء الماء من المعادن
 ١١٢ مبحث في خواص جسام قريص
 ١١٣ مبحث في جمال هذا القطر
 ١١٣ مبحث في معادن هذا القطر
 ١١٣ مبحث في ذكر خصوصية هذا القطر
 ١١٤ مبحث في انقسام هذا القطر الى ثلاثة أقسام
 ١١٥ مبحث في نباتات هذا القطر
 ١١٨ مبحث في هواء هذا القطر
 ١١٩ مبحث في حيوانات هذا القطر
 ١٢٠ مبحث في طيور هذا القطر
 ١٢٠ مبحث في مدن هذا القطر
 ١٢٦ تقسيم آخر لهذا القطر بالنظر لسكانه ومرجع أحكامهم
 ١٢٧ بيان أسماء أعمالهم وقبائلهم وأماكنهم
 ١٢٨ فصل في احوال تاريخ هذا القطر
 ١٢٨ مبحث في انقسامه الى ثمانية مطالب
 ١٢٨ مبحث المطالب الاول في نبذة من تاريخه القديم
 ١٢٩ مبحث في ان العلماء على ثلاثة أقسام
 ١٣٠ مبحث في تاريخ فتح افريقية
 ١٣١ جدول الدول التي تولت هذا القطر من حين الفتح
 ١٣٢ المطالب الثاني في علاقة القطر بالدولة العثمانية
 ١٣٦ في أمر الدولة العلية بحرب الفرنسيين عند استيلائه على مصر
 ١٣٨ صورة مكتوب صادر من أحمد باشا في طلب العفو عن الاداء السنوي الى الدولة العلية
 ١٤٠ صورة مكتوب آخر من أحمد باشا المذكور في تبرئة نفسه مما رمي به من ارادة الخيانة

مبصيفه

١٤٢ صورة مكتوب آن من أحمد باشا أرسله مع العساكر المرسلة في حرب القريم مخاطبا
به الصدر الأعظم

١٤٣ صورة مكتوب من محمد باشا عند ولايته على القطر يطلب به التولية والتقرير

١٤٥ صورة مكتوب من محمد الصادق باشا عند ولايته في طاب الولاية والتقرير مثل
السابق

١٤٥ صورة مكتوب من محمد الصادق باشا الى الصدر الأعظم

١٤٧ المطالب الثالث في سياسة القطر الخارجية

١٤٧ بحث في الاسباب الموجبة لخدر فرانس من تدخل الدولة العلية في القطر التونسي

١٥٠ صورة مكتوب من مصطفى باشا الى قنصل فرانس عند حلول أسطولها في حاق

الوادي

١٥١ صورة تعريب مكتوب من قنصل فرانساجيمبابيه عن مكتوب مصطفى باشا

المتقدم

١٥٣ صورة مكتوب الى الوزير خير الدين بالتفويض

١٥٤ صورة الفرمان الوارد مع الوزير المذكور من الدولة

١٥٦ تنبيه في حادثة فرانسالاخيرة مع تونس

﴿تمت الفهرست﴾

﴿لا يجوز طبع هذا الكتاب بدون اذن مؤلفه﴾

﴿ومن تجارى على ذلك بما كم حسب القانون﴾

هــذا كـتاب صـفوة الـاعتبار بـسـتة وـدع الـامـصار
والـاقـطار تـأليف الـفاضـل الـمـحقـق والـاسـتاذ
الـمدقـق قـدوة الـعلماء وـصفوة الـازكـاء
وـحـمد عـصره وـفـريد دهره
الـشـيخ عـجـل بـيـرم الخـامـس
الـتـونـسي نـفعنا الله
بـه وبعـلومـه
آمين

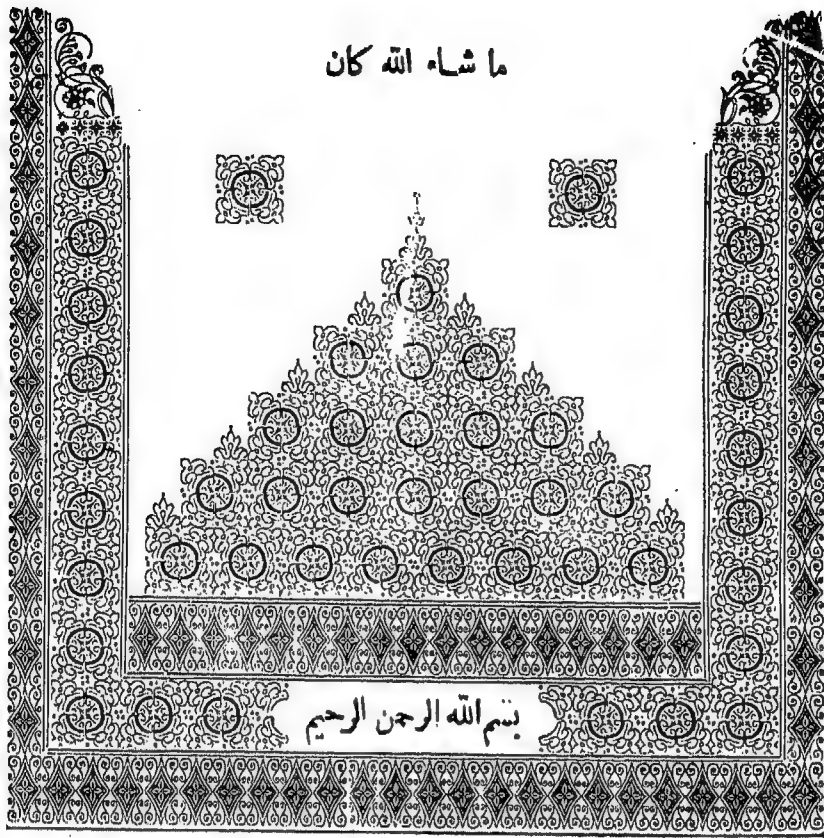
﴿الجزء الاول﴾

﴿لا يجوز طبع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن
﴿تجارتى على ذلك يحاكم حسب القوانين﴾



﴿طبعة أولى﴾

﴿بالطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾



* الحمد لله مالك الملك والمالك * خالق النور والظلمة والضلال والهدى الى اقوم المسالك *
 سبحانه الخالق الحكيم * المبدع للكون وما فيه من حقير وعظيم * رسم عليه
 دلائل وحدانيته لتهدى بالمتبصرين * ومن آياته اختلاف السنتكم والوانكم ان
 في ذلك لايات للعالمين * والصلاة والسلام الاكم لان الايمان على تاج العالم
 المصون * ومظهر الكمالات المسمى به الى المسجد الاقصى والمقام المكنون *
 سيدنا ومولانا محمد رسول الله * المطهر عنصره الجثمانى * والمزهر جوهره
 الروحانى * من الكدر والاشتيا * وعلى آله الطاهرين * واصحابه
 الذين جاوا الارض في هداية الخلقين * ~~أما بعد~~ * فان الله جلت عظمتة اقتضت
 حكمته الماهرة * ان ربط في هاته الدار الاسباب بالمسببات خفية كانت اوطاهرة *
 واخفى مراده فى التكوين * فكان مدارة كالف الشرح هو اعتبار الاسباب
 رجة بالمؤمنين * وتقويض ما وراء ذلك الى خالق المسبب يجرى على مقتضى تقديره
 فى الازل وما يدرك أسرار حكمته الا قليل من الحكاميين * وكان مما عرض للعبد

الحقير ❀ ان بليت بمرض اعني علاجه اطباء قطرنا المشهور ❀ وأشير على بالسفر
 لاجل ذلك الغرض ❀ فاستقرت الله تعالى واستشرت الاصدقاء لتحصيل ذلك الحق
 المفترض ❀ فثبت بحارا وقمارا ❀ ومدنا وامصارا على حسب ما سره المقدور ❀
 وساعتت الوسائل على الوصول الى مشاهدته من المعمور ❀ ورأيت بعيني البصر
 والبصيرة ❀ أموراً عجيبه خطيره ❀ أحببت نظمها في بحالة حفظها من الابهمال ❀
 ونطفه لا على منح العلماء أولى الكمال ❀ كل سر جاوز الاثنى عشر شاع ❀ كل علم
 ليس في القرباس ضاع ❀ وهي وان كانت بالنسبة لمعارف السكاكين والفقول ❀
 ليست مما يلفت اليه أو يلاظ بالقول ❀ لكن على كل حال بضاعة من
 علم ❀ تلاحظها بالاغضاء أعين أهل الحلم ❀ فاعل الله بفضله يفيد بها أهل وطننا
 واخواننا المسلمين ❀ ويمدني الى احبائه عالم ديننا الممتين ❀ (وسميتها) صفوة ❀
 الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ❀ معتمدا على فضل المسامح الجليل ❀ وهو حبي
 ونعم الوكيل ❀ فنقول ان هاته الرحلة مرتبة على مقدمة ومقصودها فالمقدمة
 فيها (ثلاثة) أبواب (الباب الاول) في السفر من حيث هو ويشتمل على ثلاثة
 فصول (الباب الثاني) في السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان (الباب الثالث)
 في تقسيم احوال أهل الارض وفيه خمسة اقسام وستة وثمانون فصلا والمقصود فيه
 ثلاثة عشر بابا (الاول) في سبب سفرى (الثاني) في ملكة تونس (الثالث)
 في ملكة ايطاليا (الرابع) في ملكة فرنسا (الخامس) في قطر البحر زائر
 (السادس) في ملكة انكلتره (السابع) في جزيرة مالطه (الثامن) في قطر
 مصر (التاسع) في مجاز وجزيرة العرب (العاشر) في بقية الممالك العثمانية
 (الحادي عشر) في ملكة اسفنيه (الثاني عشر) في ملكة النمسا (الثالث
 عشر) في ملكة الرومانيا وكل باب يشتمل على فصول حسب ما فيه من الفروع (الخاتمة)
 فيما ينبغي للائمة الاسلامية اتخاذ من زيادة بث المعارف وما تفر من الخيرات

❀

❀ المقدمة وفيها ثلاثة أبواب ❀

❀

❀ الباب * الاول

❀ في السفر من حيث هو ❀

الفصل * الاول

﴿ فيما جاء في ذلك من الكتاب العزيز ﴾

(اعلم) ان الله تعالى قد أمر في كتابه العزيز بالسير في الارض للاعتبار والاستدلال على وجوده ووحدانيته فقال تعالى قل سيروا في الارض في آيات من الكتاب المجيد وفي بعضها قال ثم انظروا في آخر قال فانظروا فكان العطف تارة بالفاء وتارة بثم اشارة الى ان النظر والاعتبار كما يلزم في حالة السير يلزم بعده حتى لا يكون الزمن والعمل خاليا عن الفائدة هيصة في نظر الشرع فأولا يحصل النظر الاجمالي في حالة السير ثم يحصل النظر التفصيلي بالاعتبار عند الانفصال عنه حتى يستقر في النفس بغاية التروى ولا يخفى ان القاعدة اصولية عندنا هي ان الامر (للوجوب) وهو حقيقة ولا يصرف الى غيره الا عند القرينة الصارفة وقد اشتملت الآيات المذكورة على أمرين وهما الامر بالسير والامر بالنظر فكلاهما واجب غير ان الاول واجب اذ كونه وسيلة للثاني والثاني واجب قصور لذاته وافادة ترتبه على سابقة تحصل بكل من (الفاء) و (ثم) ببداهته تحصل بكل واحدة فائدة خاصة (فالفاء) تفيد ترتيب النظر على السير بغیرهة (و ثم) تفيد ترتبه عليه بعده حتى يكمل رسوخه وبهذا تبين الوجه في العطف بهما ولا يحتاج الى ان الاتيان (بثم) لافادة التفاوت بين مراقب الواجبين حيث ان أحدهما مقصود لذاته والآخر مقصود لكونه وسيلة كما ذهب اليه أبو السعود والقونوي لأن هذا لا يكون فائدة يستدعيها المقام بخلاف ما ذكرناه ثم ان كون السير واجبا لما ذكره ما عليه المحققون وان سبق قلم الزمخشري وتبعه القاضي البيضاوي الى ان الامر بالسير للاباحة والامر بالنظر للوجوب فقد قال غيرهم ان ذلك ينبغي وعنه المقام اما أولا فلأنه اخراج للأمر عن حقيقة وأمانته فلا وجه لذكر اباحة السير للتجارة وغيرها في سياق الاقلام للجادين ثم يعطف عليه ما هو واجب ولا يتم الا بسابقه وأمانته فتنفذ في الاصول ان ما لا يتم الواجب الا به يكون واجبا فكيف يكون النظر في آثار المكذبين واجبا بدون سير فان قيل انما نرى في دواوين اصول الدين ان من واجبات الديانة السير كما ذكره في الجواب ان معنى الوجوب معاقب بما اذا لم يحصل الاعتبار بالفضي للاعتقاد الابالسير لانه يؤدي الى روية الآيات بالمشاهدة التي

لهما من التأثير اليس ليس لغيرها أما إذا حصل الاعتقاد فلا داعي حينئذ لجواب
السفر وإنما هو مباح ولهذا كانت الآيات المذكورة في سياق المجاج للعائدين
وكان ما ذكره هو الذي أدى بعض المفسرين للقول بان الامر لا باحة وقد ذكر الغزالي *
في الاحياء ان السفر معتبره الاحكام الخمسة من الوجوب والندب والاباحة
والكرهية والحرمه لانه من الوسائل في اخذ حكم ما قصده وبان ذلك بياناً شافياً وإذا
تقرر ان السفر واجب لاجل الاعتبار فنقول ان الاعتبار به اشياء منها ما دل عليه *
الآيات المذكورة من الاعتبار بعاقبة المكذبين للرسول ومنها ما دل عليه قوله
تعالى ومن آياته اختلاف السنة لكم والوانكم فان المسافر يرى من عجائب قدرة الخالق
جل وعلم من اختلاف الطباع واختلاف الاشكال والهيئات واللغات والبشر ما يقضي
بوجوب وجود صانع ذلك المختار في افعاله اذ لو كان الامر مستنداً للطبيعة لمجرات
الخلق على هيئة واحدة في جميع ما تقدم مع اننا نرى الاختلاف والتباين نارة مع قرب
المناخ وتارة مع بعده مع ان الارض واحدة وعناصرها واحدة وأصل البشر واحد ومزيد
السط لهذا في كتب الكلام (ومنها) ما دل عليه قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات *
والارض الآية فأمر تعالى بالاعتبار بما خلق من الاجرام العلوية وكمية وضوئها
وحركاتها كما أمرته الى بالاعتبار بما خلق في الارض من الجماد والنبات والحيوان وفي
هاته الآية اجل المنظر وفيه وقد فصله في آيات كثيرة من كتابه العزيز للاستدلال على
وجوده ووحدايته فقال في سورة الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى (الآية) فذكر ان الاجرام
العظيمة الهائلة قد بقي كل منها في مركز مخصوص من الجو وله حيزية اذ به عن غيره
من غير اضطراب ولا تلاطم وليس لكل منها ما به قد عليه من الاجرام المردية مع ان
اجرامها هي في نفسها امرية على خلاف المعهود فلا بد ان يكون جميع ذلك موجب
أوجهه فان قيل ان موجهه هو وجود أعيانها وذواتها فهذا امر قد لوجهين (الاول) ان
الاجسام متساوية في تمام المساهمة ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصول
كل جسم في ذلك الحيز (والثاني) ان الخلاه لانها ليه له محال احياءا معترضة في ذلك الخلاه
الصرف غير المتناهية وهي بأسرها متساوية ولو وجب حصول جسم معين في حيز
لوجب حصوله في جميع الاحياز ضرورة ان الاحياز متساوية فثبت بهذا ان وجود
الاجرام الفلكية في احيازها ليس هو لذاتها وإنما هو ادبر حكيم قادر خص كلامها

* بمشاه (ثمان) كمال الاعتبار بترتيب تلك الاجرام العلوية وكيفية أوضاعها
 وأشكالها انما يتم على اكمل وجه بالسفر في الارض فما يرى منها في جهة القطبين لا يرى
 من المناطق المعتدلة وكذلك ما يرى في أحد نصفي الكرة لا يرى من النصف الآخر
 * (ثم قال تعالى) عقب الآية السابقة وهو الذي مذل الارض وجعل فيها ساروا سي وأنهارا
 ومن كل الثمرات جعدل فيم ازوجين اثنين يغشى الليل النهاران في ذلك لايات لقوم
 يتفكرون قال المفسرون انه تعالى لما قرر الدلائل العلوية اردفها بالدلائل الارضية
 بالاعتبار بذات الارض وما احتوت عليه من عجائب قدرة الخالق الحكيم الفاضلية
 * بوجوب وجود صانعها فان حكماء المتأخرين الذين وصلوا بالمعارف والتحليل والالات
 الى ما لم تبلغه فلاسفة الاقدمين حتى زيفوا لهم كثير من خرافاتهم وبينوا خطاهم فهو لا
 حذاقهم قد أقروا بانه لا بد من خالق لما هو موجود اذا ما علون به كثير من الاشياء من
 قولهم الجاذبية والمواميس والطبيعية وغير ذلك قد صرحوا بانها عبارات اصطلاحية
 والافتقار عنها أمور مجهولة تلتزم متابعتها بالاعتراف بالصانع فمن هؤلاء الحكماء المتبحر
 فياكس لامروس وهو من مشاهير فحول علماء هم في القرن التاسع عشر المسيحي
 حتى ان كتابه في الجغرافية الطبيعية الموسوم بالدراسة الأولية عليه مدارات العلم
 في المدارس وأختبر للتعريب اعلم ويعمل به في المدارس المصرية وقد صرح بهذا
 في كتابه المذكور في مبحث الجو وكرة الهواء بقوله واذا فرض زوال التناقل العمومي من
 الهواء فانه يتشتت في الفضاء الى أن قال لكن الحكمة الالهية اقمت السن حفظ
 الاشياء وضبطها في مواضعها الشاغلة هي لها بموجب قوة مجهولة ذاتها الافعال اسمى
 بالجذب وهي كلمة يعلم منها الفعل لا السبب اذ هذا الأخير مع كثرة بحث الطبيعيين عنه
 وتفتيشهم عليه لم يزل مجهولا الى الآن وعلى المتوابع بدراسة العلوم ان لا يأخذ بظواهر
 مثل هاته الكلمات العلمية التي يوضحها سبب أو أسباب طبيعية مجهولة لحادث من
 الحوادث فاذا قيل هناء مثلا ان الاجرام تزن أو ثقيل لانها مجذوبة لتغيرها وانها جارية على
 مقتضى نواويس الجذب كان ذلك الدور المعيب (الخ كلامه) ثم ان الاعتبار باحوال
 * الارض المشار اليها في الآية الكريمة هي من جهات أولها هيثة الارض وهي كونها
 جرمًا عظيمًا حتى ان مقدماتها يصل اليه بصر الانسان منها ايراه مبسوطا مع انها هي كرة قال
 العلامة الرازي بما عناه انه لا ينافر في كونها كرة الا من لا تدبره (وقد) ألف الشيخ محمد
 بيرم الثالث قدس سره رسالة في ذلك استدل على تكويرها بكلام الحكماء والفقههاء

وأهل الباطن وهما نحن نسرد هنا نبذة من ذلك مع اختصار وزيادة فاما كلام الحكماء
 فمنه ظهورا على الاشباح من بعد رمته ارتفاع الشمس والكواكب في جهات من
 الارض بخلاف جهات أخرى حسب ما حرر ذلك عوازين أخذوا لارتفاع وأما كلام
 الفقهاء فقد ذكروا في كثير من المسائل انه لا عبرة باختلاف المطالع في الصوم فيجب على
 أهل المشرق برؤية أهل المغرب للهِلال لان الوجوب معاني بشهود الشهر لطائفة
 من الناس بخلاف الامساك والظفر فانه يكون لكل أهل قطر بحسب ما عندهم لان
 الوجوب معاني بدخول الوقت لا كفاؤا ذكروا في الصلاة ان بعض الجهات تطول فيها
 الاوقات وبعضها تقصر حتى يفقد بعض الاوقات كالعشاء في بعض الجهات الضاربة الى
 أقاصي أحد القطبين وذكروا في الموارد اذا مات متوارثان في يوم واحد وزمن واحد
 منه لكن أحدهما في المشرق والآخر في المغرب فان المغربي يرث المشرقي اما ان وقت
 المشرقي متقدم في الوجود على وقت المغربي كزوال مثلا وأما كلام أهل الباطن فقد
 نقل عن سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه ان ساعة الاجابة من يوم الجمعة الوارد
 فيها الحديث بانهم ان عند جلوس الامام على المنبر الى انقضاء الصلاة قال ان ذلك خاص
 بوقت صعود امام المدينة المنورة وما كان ذلك الوقت لا يتحدث في جميع البلاد من الله
 بساعة انبي صلى الله عليه وسلم وجعلها تختلف باختلاف صعود الانبياء على المنابر من
 ذلك اليوم وجميع ما تقدم انما يتأني على القول بان الارض كوروية ولو كانت بسيطة
 لما تأني شيء من ذلك اذ الشمس اذا ظهرت تظهر على الجميع في آن واحد ومن كلام
 القطب سيدي أحمد بن عروس رضي الله عنه الصريح فيما نحن بصددده وهو من
 أنواع النظم المسمى بالمخون قوله

واديها مثلها دلاعا ❦ تنكر كعب في جلة ادلاع

ما دلخوها من طماعا ❦ ورماتهم في بيمر ما لوقاع

وهو صريح في تنكروا ودرانها على ما سيأتي وليس في القرآن ما يعارض ذلك اذ
 مساق الايات لما يشاهد والمشاهد البسط في نظر العين ولما كان خطاب التكليف
 بهياته الشريعة المطهرة عاما لجميع طبقات الناس كان خطابهم على أسلوب يتدرج به
 كل على التوصل الى قدر مدر كاته هذا في مسائل التكليف العامة كالاستدلال على
 وجود الخالق وصحة الرسالة والعلم بدخول اوقات الصلاة والصوم واشبه ذلك اما ما
 يكتفي فيه بالاستفتاء من الغير فقد خص الله به الفقهاء (فقال تعالى) فاستلوا أهل الذكر

ان كتمتم لا تعلمون وهذا أصل نافع يجري في كثير من الاشياء وقد بسطه الشاطبي
 في موافقاته (وثاني) الجهات المشار اليها في الآية الالهة تدل بالجبال المعنون عنها
 بالواسي فان عظم خلقتها واختلاف أوضاعها واختصاص كل بمحدود قاض بوجود
 مدبر خصم ابتلك الحسالات ولو كانت مجرد الطبيعة التي هي اسم بلا مسمى بل مساوت
 في جميع الحالات مع ان المشاهد هو واختلافها هذا بحسب الظاهر وأما اذ ادق النظر
 فيما تحتها فبها مما تشتمل عليه من أنواع الخضر والتراب والطين والمعادن فذلك أمر
 يهزل - قول ويوقف الازهان ومن أراد الاطلاع على أسرار ذلك فليراجع كتب
 الطبائع والكيمياء (وثالث) الجهات المشار اليها في الآية الاعيان الانهر واختصاصها
 بأحوالها التي هي علماء ما يقتضي وجود مخصص لها والاغلب في نظم القرآن قران
 الانهر بالجبال اشارة الى أن تكون الانهر بسبب الجبال امام النجوم المذابة منها
 أو من منابع العيون المنفجرة فيها وكان سبب كثرة هاته المنابع في الجبال هو ان الجبال
 من أسسها جذب الانجزة والامطار وعلى قدر تشرب سطح الارض ليلها يكثر في باطنها
 اجتماعها في الاراضي البسيطة تنصاعد تلك المياه بجملة نفوذ البخار في أجسام
 الارض المتخللة بخلاف الاراضي ذوات الجبال فانها لا تفتح نفوذ الماء بخار كما
 تحميمه من تأثير حرارة الشمس فلا يزال الماء يجمع في طمبات الجبال الى ان يتكون معه
 معة دار عظيم فينفذ بقوة لانهاء على مما حوله من الارض فتتكون منه الينابيع
 والعيون وتسيل جداولاً ونهيرات فاذا اجتمعت في حوض تكون منها نهر وبعظم
 ويصغر بحسب ما يلقى فيه من الانهر والينابيع (ورابع) الجهات المشار اليها في الآية
 الاعتبار بما في الارض من الثمرات وانما كلها مثل الحيوان ذكر وأنثى وهذا التفسير
 البين المحمول فيه الآية على حقيقة اللفظ من (قوله تعالى) ومن كل الثمرات جعل فيها
 زوجين اثنين انما اطاعنا عليه من ترقى العلوم الطبيعية والفلاحية فقد تبين بالتجربة
 والملاحظة وقرره جميع فلاسه المتأخرين في كتبهم ان جميع أنواع الثمرات بل حتى
 الزهور ايضا تشتمل على ذكر وأنثى واذا افرد أحدهما عن الآخر لا تتولد الثمرة غير ان
 بعض الأنواع تكون فيه الشجرة الواحدة مشتملة على البذر الذكر وعلى البذر الانثى
 وتتلحق بمعضو بالرج وهو اشارة اليه (بقوله تعالى) وأرسلنا الرياح لواقح وبعض
 الأنواع تكون فيه شجرة الذكور مفردة عن شجرة الانثى وهذا النوع الاخير كان معلوما
 منه سابقا بعض افراد كالفحل والتين لكن الآن قد تحقق ان جميع الأنواع لا تفترقا
 باللاقح

بالتلاقي بين الذكر والانثى حتى اذا تدبّع قطع أحد الصنفين من شجرة نشأ لهم ما بقي نور
 الاثر بحاله ولم يكن في ذلك الموضع شجرة اخرى مثلها فان ما بقي فيها من النور لا يثمر
 وقد حرر ذلك وعلمت علامات الذكر وعلامات الانثى في كل نوع بحسبه فسيحان القادر
 الحكيم الذي ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم حقا وصادقا بأوضح المعجزات فقد أنبأ بهذا
 منذ أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة عند ما لم يكن هناك حكيم يتخيل هذا بفكره فضلا
 عن الامة الامة وهو واحد هال لا يقرأ ولا يكتب فلا شك أن هذا انما هو بوحى من الخالق
 الذي يعلم ما خلق سبحانه وتعالى ولقد قد هذا الامر وغرابة قد اعترف منصفوا اهل هذا
 العصر بأن المحكة قد فازت بها الامة العربية منذ بعث فيها رسولا واسمته والمبا
 اشتمل عليه القرآن من بديع المحكم فان معرفة ككون الريح تلقي الاشجار لم تعلم عند
 الحكماء الا في آخر هذا القرن والقرآن الكريم ناطق بها ولهذا قال مستر اچنيرى (حرف ج
 ينطق به بين الناء والشين) الانكليزى معلم اللغة العربية في مدرسة عامة الفنون في بلد
 أكس فور اليكاثنة جنوبي لندرة ان اصحاب الابل قد عرفوا ان الريح تلقي الاشجار
 والثمار قبل أن يعلمها اهل أوروبا بثلاثة عشر قرنا أقول وكذلك كون النار تشتمل
 على الزوجين وما ذلك الا بتعليم الخالق لا بواسطة ولا تعلمات ولا تجربات وتجليات
 كيميائية وبذلك يعلم حقيقة قول من قال ان القرآن لم يفسر على حقيقته وانما كانوا
 يبينونه على قدر ما نصل اليه العقول وعلى قدر الحاجة في الاحكام وبما تقدم يظهر أنه
 لا حاجة الى تأويلات المفسرين في قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
 حيث حلوا الزوجية على معان اخر كاختلاف الطعوم والطبائع مما ينبوع عنه التأكيدي
 باثنين فان ما ذكره لا يخصر في اثنين الا بالنظر للقابل وحيث تبين الحقيقة فلا داعي الى
 التأويل ويخالف ما قالوه من التأويل ويؤيد ما حررناه من الحمل على الحقيقة أن ما أولوا
 به لا يستقيم على غلط واحد في آيات القرآن العظيم الواردة في هذا المقصد كقوله تعالى
 في سورة الحج وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل
 زوج هيج فان ما قالوه من اختلاف الطعوم والطبائع لا يطرد في جميع ما تنبته الارض
 بل فيها المتوافق في ذلك وان كان بحسب التشخيص مختلف الانواع بخلاف ما قلناه فانه
 مع الحمل على الحقيقة هو مطرد ايضا (وبما تقدم) يعلم وجه طالب العلوم الرياضية على
 ما سيأتى في محله ان شاء الله تعالى حيث ان التفسير المتقدم في الجملة الشريفة انما تبين
 بها كما ان تمام الآية اشتمل على اشارة غريبة من ذلك القبيل وهو الوجهة (الخامسة) من

* جهات الاعتبار المشار إليها بقوله تعالى يغشى الليل النهار فقد تقدم أنه تعالى بعد أن ذكر في الآية السابقة الدلائل العلوية ذكر بعدها الدلائل الأرضية ونسق فيها انعقاب الليل والنهار فجعله من الحوادث الأرضية فقال المفسرون اظهوره فيها وإن كان هو من متعلقات العلويات وهو الشمس وأعلم أن مسألة حركة الأرض أي هل هي التي تدور أو أن الشمس هي التي تدور هي من المسائل الظنية أعنى أن أدلتها ظنية وكثير من مسائل علم الهيئة هو على هذا النحو إلى الآن كمسائل الإبعاد بين الكواكب ومقادير اجرامها ووطبائعها وما تشتمل عليه وعلماء هذا الفن مقرون بذلك كما يأتي ويشهد له أنهم كانوا متقين على أن بعد الزهراء من الشمس مقادير معلومة ففي سنة (١٢٩٣) كان اقتران الشمس بالزهراء يعني أن الزهراء تمر حائلة بين الأرض والشمس فاعتدوا لذلك من قبل وأرسلوا العارفين إلى الجهات التي يمكن منها رؤية ذلك لتحرير الرصد بالأساليب ففرروا ذلك ووجدوا أن جميع حسابات السابقين خطأ فإن البعد الذي حرروه أقل مما كانوا يحسبون وكذلك مقدار جرم الزهراء ومن الجائز أيضاً ظهور الغلط في هذا التحديد في وقت آخر وحيث كانت المسائل في هذا الفن ظنية اختلف علماء وقتها في أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الاجماع على أن ذلك من آثار تقابل الشمس والأرض فقد دما الفلاسفة ذهبوا إلى أن الأرض هي التي تدور والذين يذهبون إلى أن الأرض مركز للكون وبدوران الهلاك يحدث الليل والنهار وأن الشمس هي التي تدور معه ولها سير خاص بها يحدث منه الصيف والشتاء واشتهر هذا المذهب وزاد انتشاراً عندما انتشر هذا العلم وتهدب في الأمة الإسلامية لما استفحل فيها العلم وكان ذلك المذهب هو المشتهر من أخذوا عنه العلوم الرياضية ثم أحبب المذهب الأول وتأكد الآن عند علماء العصر بهذا الفن وأنكره المتعصبون للعلم من المسلمين ظناً منهم أن المذهب الآخر هو من عقائد الإسلام وأن المذهب الآخر مصادم للنصوص والحق أن ليس شيء من هذا ولا من ذلك هو مما يجب اعتقاده عندنا وإنما المدار عندنا على الاعتبار بالأشياء المشاهدة من الليل والنهار وأشياء ذلك وأنبأت جريان للشمس وأما كيفية فلا تعاق لها بالعقائد وسير الشمس ثابت على كلا المذهبين لأن المتأخرين يثبتون لها حركة رجوية على نفسها وحركة ثانية على منطقة لها أيضاً ثم حركة ثالثة لها مع جميع ما يتبعها من الكواكب حول شيء مجهول كما أن هاته الدورية مجهولة المستقرة أيضاً كما أنها هي المشار إليها بقوله (تعالى) والشمس تجري مسروراً لها

ذلك تقدير العزيز العليم وذلك أن المستقر أوتي بالقطعة من كرات الأرض في غير معلوم
للحقاق ولهذا أوتي به مضافا إلى الشمس باللام فكان منه كرا ولم يقل مستقرها بالاضافة
المفيدة للتعريف لأن ذلك المستقر غير معروف وعلماء هذا الفن الآن من غير المسلمين
مقرون بذلك فهو (حينئذ) اجماعى يذنبوا ويدينهم ثم إن كون حدوث الليل والنهار
هو من آثار دوران الأرض ربما كانت آيات عزيزة تشير إليه فمن الآيات المتقدمة فانه
(تعالى) بعد أن ذكر الدلائل على وجوده من السماء ذكر الدلائل الأرضية وخط فيها
الليل والنهار فيشير بذلك إلى أنهم آمنوا بآثار الأرض لأن وجودها ما وان كان يستلزم
الشمس والأرض معاً لكن تخصه به بالانخراط في الدلائل الأرضية يدل على تعاقب
خاص وهو كون دوراتها هو السبب على أن منطوق الآية فيه تدعيم لهذا حيث قال
يغشى الليل النهار فجعل الليل الذي هو ظلمة الأرض يغشى به النهار الذي هو ضوء الشمس
ففيه التلميح إلى أن الأرض هي التي تحدث ذلك بفعل الله ومن الآيات المشيرة إلى ذلك
أيضا (قوله تعالى) والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا
يغشىها فجعل النهار الذي هو مقابلة وجه الأرض للشمس محليا لها والليل الذي هو الظلمة
الأصلية للأرض مغشيا لها فأستدفاعية ذلك لغير الشمس بل لفعل آخر وهو الليل
والنهار الذي هو من آثار الأرض وإذا كان هذا ثابتا فما يدل من الآيات على طلوع
الشمس وغروبها وغير ذلك يمكن تأويله باعتبار الإبصار والعرف الجساري في اللسان
(ثم اعلم) أنه لا يلزم من دوران الأرض نفي السماء على ما يتوهمه غير المعارف لأن
السموات لا شك في وجودها للنصوص القطعية عليها غير أن جرمها غير معلوم لنا وإنما
نعتقد أنها أجرام شديدة هي بالنسبة لكل من على الأرض فوقه كما هو المفهوم اللغوي
للفظ سماه وأما ماهية أجرامها فإلله أعلم بها ونعتقد أنها سبع طبقات شديدة ثم طبقة أخرى
تسمى بالكروبي ثم طبقة أخرى تسمى بالعرش ولا يلزم من كونها شديدة أن لا يتغير قهرها
الأكواكب بسيرها فإن ذلك مشاهد لنا كما أنه لا يلزم من سير الأكواكب انعدامها
حتى يقولون أن الأكواكب معلقة في الفضاء لأن ذلك متوقف على معرفة كونها وهو
فوق عقولنا لأن العقول إنما تتوصل إلى المعهودات للحواس ومالات هذه الحواس يعسر
ادراكها على حقيقته ولهذا كان علينا أن نصدق الصادق ونسكل معرفة ذلك إلى خالقها
فقد قال سيدنا محمد بن عباس رضي الله عنه عند قراءته (لقلوله تعالى) وأكواب
كانت قوارير قوارير من فضة ما معناه أن القوارير الزجاج الذي لا يحجب ما وراءه

والفضة اذا ترقى ما عساها ان تطرق لان يكون الا كثيفة فهاته الفضة هي نوع آخر
 لانهم ونكل عليه الى الله بل الاغرب أن مثل هاته المسائل أقرب بها الحكماء الذين
 لا يعتقدون النمرع فقد قال أحد حكماء الفرنسيين المتأخرين ما ترجمته ان للعقل
 حدا محدودا لا يتجاوزه كما ان للعصر حدا محدودا لا يتجاوزه فاتعاب العقل في التوصل
 الى معرفة كنه الاجرام العلوية وما هيئتها كان عاب البصر في أن يرى ما فوق السقف
 من أسسه فله ذهب أنك أعمته بأعظم المرایا المكبرة فانه لا يمكن أن يتخترق السقف حتى
 يرى ما فوقه (اه) ويمكن لذا أن تقرب لا واثك المنكرين للسماء فهم وجودها على
 مقتضى علم الهيئة الذي هم عليه الآن بأنهم يسمون وجود كرة الهواء محيطية بالارض
 وانها عظيمة شديدة حتى قروا أن ذات الانسان المتوسط مغموطة وحاملة لا أكثر من
 ثلاثة وثلاثين ألف رطل من الهواء ومع ذلك فان هاته الكرة العظيمة الشديدة تخترق
 كيفما أراد المخترق لها فلم لا يجوز أن تخترق الكواكب السيارة السموات على هذا النحو
 ثم ان هاته الكرة الهوائية نهاية ارتفاع سطحها الاعلا عن سطح الارض نحو ستة عشر
 فرسخا وهي في ذاتها مختلفة طبقاتها او ما فوقه الدس بخلاف لانه لا يوجد في الكون خلو
 مطلق كما هو رأى قدماء الفلاسفة ومتأخر بهم كما قرره الحكماء لا مروس في كتابه السابق
 ذكره فلم لا يجوز ان يسمى الشيء المجرى محددا ود من الفضاء بالسماء وما فوقه من حدا آخر
 بسماء آخر وهكذا وان كنا نجهل حقائقها السكا نقول انها لا تنبع من سائر الكواكب
 في مناطقه ومن ذلك الارض فالارض التي يقع بها الاعتبار بالاجسام المتقدمة لا يمكن
 من يد الاعتبار بما فيها من اختلاف أقطارها حرا ويرا وغمساروا أنهارا وجبالا وسكانا
 الا بالسفر ومشاهدة عجائب خلق الله فيها

الفصل * الثاني

فيما ورد في السفر من السنة روى السيوطي في الجامع الصغير عن ابن السني وأبي نعيم
 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه قال سافروا
 تحموا وتغنموا فأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن في السنة ثمنتين راجعتين الى
 الجسم زيادة على ما تقدم من الثمرات الروحية (الاولى) هي الحجة لما يشتمل عليه السفر
 من الرياضات البدنية اذ لا يخلو غالبه عن مشقة ولهذا رخص فيه من الرخص ما هو معلوم

في الفروع بقطع النظر عن العلة المأخوذة عليه كما هو المذهب الخفي وانعاب البدن يثمر صحته وأيضاً لا مشاق المسافر والهواء السليم الذي هو أنفع للجسم من الأكل والشرب لان الإنسان لا غنى له عن التنفس في كل لحظة بخلاف الأكل والشرب لا يمكن الصبر عليهما مدة (و بيان وجه احتياج الإنسان الى الهواء في كل لحظة للتنفس) هو أن الله قدّر بحكمته تركيب الجسم الإنساني على أبداع وجهه وجعل سبب قوامه هو الدم المصفى من الغلظة فيعدهضم الغلظة في المعدة فتصير غلظة في قناتين توصلانه الى القلب بعد اجتماعهما في قناة واحدة وهو اذ ذلك في لون اليباض وقيل الوصول الى القلب يصب ذلك في قناة دم الدورة الراجعة الى القلب أيضاً ولكن شكل صنوبري منقسم داخله الى قسمين يمين وشمال وكل منهما منقسم الى قسم علوي وقسم سفلي وينتهي ما جوفيه من فخذ يوصل بينهما الغطاء ينفتح ويغلق فالقناة المتقدمة تضيق في الطبقة العليا من القسم الايسر ومن هناك ينفتح الى الغطاء فيصب نقطة في الطبقة السفلى ثم ينقبض الغطاء بسرعة ثم نقطة أخرى وهكذا وكلما انطبق الغطاء خضرت جميع الانباض التي في البدن فحركاتها تابعة للحركة الغطاء قوة وضعف سرعة وبطء ثم يخرج الدم من القسم الايسر السفلي في عروق عظيم هو مجتمع عروق الانباض فيصعد الى أعلا ثم يتفرع منه فروع وهاتيك الفروع تتفرع منها فروع أخرى أقل منها حجماً وهكذا الى أن يجمع جميع لجزء البدن وهي عروق الانباض وكلما انتهى نبض الى حدة يتلقى الدم منه عروق من عروق الشرايين التي لا تتحرك وهاته وظيفة تراجاع الدم الى القلب فتكون عند اتصالها بالانباض صغيرة الحجم ثم لا تزال تجتمع فتعظم الى أن تصبح عروفاً واحداً فيصب في القسم الايمن من القلب الذي هو مقسوم أيضاً مثل الايسر وحركته مثل حركته غير أن الدم يخرج من الطبقة السفلى منه في عروق ينوصلانه الى الرئة ولا يخفى أنه أي الدم اذ ذلك قد دار في جميع البدن ونقص من أصل كميته بما ترشحته العروق الى اللحم والعظم وقد تغيرت عناصره فقل منه الاكسوجين وزاد فيه الحامض القوي حتى يتغير لونه فيصير مسوداً بعد أن كان أحمر فلو بقي على حاله لضربناؤه في البدن لم يكن حكمة الله تبارك وتعالى هذا المبالغة في جعل الرئة تجذب الهواء الذي هو مركب في حالة سلامته الاصلية من الأزوت وهو أكثر اجزائه ولا يضر ولا ينفع الحيوان ذا الدم اذا كان مخلوطاً مع بقية الاجزاء ومن الاكسوجين الذي هو الجزء النافع للحيوان ذي الدم وأقل منه كمية الحامض القوي الضار للحيوان المذكور ومن شيء يسير من المساء حالة كونه بخاراً فاذا

دخل الهواء الرئة استرجع الدم منه الاكسوجين الذي فقده ودفع فيه ماء من دمه من
الحامض الفعيمي المضرب ثم أخرجه الرئة بالتنفس وأخذت هوا آخر لما ورد اليها من
الدم ايضا وهكذا في كل لحظة وعندما يصفو الدم في الرئة يرجوعه الى اعتداله ينبعث
منها في عرق عظيم ويرجع الى القلب من الجهة اليسرى على نحو ما قد ذكرناه وهكذا
(فسبحان القادر الحكيم اللطيف) وبهذا البيان ظهر وجه احتياج الانسان للهواء
أكثر من الغذاء واذا علم ذلك علم وجهه كونه السفر مضر للصحة لان الهواء في الاماكن
المسكونة يكثر فيه الجزء الحامض الفعيمي المدفوع بنفوس السكان بخلاف الاماكن
الغريبة المسكونة فان هواءها يكون اصفى وانقى من غيرها والمسافر لا بد له من قطع معاول
وبحاراف يستنشق ذلك الهواء الحسن فيصفي دمه ويصح بسببه بدنه كما قال (عليه الصلاة
والسلام) وبما قررناه في التنفس والهواء يعلم وجه كراهة النفخ على الماء والطعام شرعا
لان الهواء المنفوخ به يكون حاملا لجزء كثير من الحامض الفعيمي الذي هو مضر بالصحة
واعلم ان ما قررناه في حسن الهواء وسلامته للمسافر هو بالنظر الى الغالب السالكين فلا
يعترض عليه بأن هناك اماكن خالية عن السكان ومع ذلك هي وتجهتها معرض لها
من تعفن أو غيره فلا يكون هواؤها سليما لان ذلك قليل والحكم على الغالب (وهكذا)
القول في الغنيمية أى الربح المالى اذ شأن المسافر الامتلاء على أحوال التجارة والسعي
فيها فربح اذا سعى له ولا يعرض بكون المسافر لا يربح اذا سافر لصد سيماسى أو تنزهى
أو بدنى أو غير ذلك اذ ممدار حصول الثنى على السعى في أسبابه

الفصل * الثالث

فيما ورد في السفر من كلام الحكماء والادباء اعلم انه قد ورد في مدح السفر كثير من كلام
البلغاء والحكماء فلا نطيل بجوابه هنا ونقتصر على كلام الامام الشافعى رضى الله عنه
حيث قال

تغرب عن الاوطان في طلب العلا * وسافر في الاسفار جس فوائد
تفرج همومك تساب معيشة * وتعلم وأداب وصحبة ماجد
فقد جمع من فوائد السفر ما تشوق النفوس الى اكتسابه

ال باب * الثاني

﴿ في السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان ﴾

الفصل * الاول

﴿ في النصوص الدالة على الجواز ﴾

لا يخفى أن الأعمال بما قصد بها فاما أن يكون السفر لمقصد صحيح شرعا كقصد مصلحة عامة أو مصلحة خاصة لا مندوحة عنها أو يكون لمجرد توسع في المال وتزده على كلال الوجهين فالسفر جائز غير أنه يخضع لحكمه بالنسبة للمروءة وحفظها حتى تبقى العدالة أولا تبقى بانعدام المروءة وهما نحن ننقل ما اطعننا عليه في المسئلة في الفتاوى البيرية نقلا عن نخط الشيخ محمد بريم الرابع ما نصه سئل جدي رحمه الله عن ركوب البحر والذهاب لدار الحرب هل يسقطان العدالة أم لا فأجاب بما نصه أمان نفس ركوب البحر فإنه لا يمنع قبول الشهادة الا عند ظن الهلاك وأما الذهاب الى دار الكفر فيمنه نظرية للسبب الحامل عليه فان كان مقصدا عاما للمسلمين أو خاصة بالذهاب كما اذا كان به مرض يحجز عن علاجه ههنا فهذا لا بأس به ولا تسقط العدالة بسببه واذا كان لغرض التجارة والاستكثار من من حطام الدنيا فهذا هو الذي تسقط به العدالة هذا المخلص ما فهم من كلام اصحابنا كما في الوهبانية وشروحه والله تعالى أعلم انتهى وفي الفتاوى الهندية من كتاب السير بعد أن ذكر أن الرجل لا يخرج للجهاد الا اذا رضى أبواه أو من يقوم مقامهم على التفصيل المقرر هناك قال وان أراد الخروج للتجارة الى أرض العدو فمكرها فوجهه (أي الابون) فاذا كان أميرا لا يخاف عليه منه أو كانوا قوميا يوفون بالعهد يعرفون بذلك وله في ذلك منفعة فلا بأس بان يعصاهما ثم ذكر مسائل تحوم على أن المدار في الجواز وعدمه على خلة الظن بالامن فاذا حصل ذلك جاز له السفر ولو بغير رضى الوالدين فمخلص مما تقدم أن السفر الى أرض غير المسلمين جائز كيمما كان المقصد على شرط الان وانما يختلف الحكم بالنسبة للعدالة ولا يخفى أن العدالة مدارها على حفظ المروءة والتزده عن الرذائل وسفاسف الامور فاذا كان يقتحم الاخطار من السفر المذكور لمجرد الزيادة في التمهينات كالتعم بالنظر أو بزيادة المال كان ذلك قادحا في العدالة وان لم يكن محرما وأما اذا كان

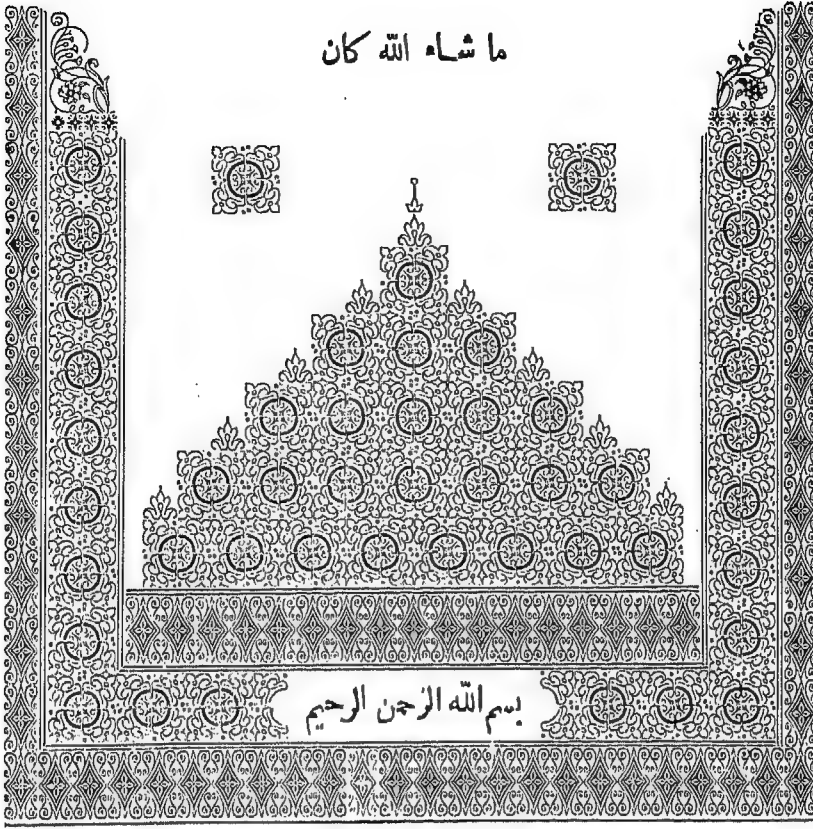
السفر المذكور لغرض صحيح ولولتجارة محتاج اليها له خاصة أوله ولغيره فهو مع كونه
مباحا لا يسقط العدالة أيضا بل له الاجر الاخرى اذا جمع النية واخلاصها التي هي
أساس العبادة وقد علم مما مر أن شرط الجواز هو الامن وهذا الشرط لا يختص بأرض
غير الاسلام بل هو شرط أيضا في أى أرض كانت كما في حواشى الشيخ ميارة على لامية
الزقاق حيث قال أنشاء الكلام على الامامة ما يفاده أن الانسان ان لم يستطع كفى الظلم
والمعاصى تجب عليه الهجرة فاذا كانت تجب الهجرة منها فكيف يجوز الاقدام على
الدخول اليها والله تعالى يقول ولا تقفوا بأيديكم الى التهلكة ثم ان الامن يعلم حصوله
وعدمه من الباب الآتى اذا أهل الارض الاثن مختلفوا الصفات والاحوال

الفصل * الثانى

في تطبيق الحكم على سفر العبد الضعيف الى ممالك أوروبا وسيعلم من المقصد الوجه
الحامل الى على السفر الى ممالك أوروبا وهو اما التدأوى بعد البعز عن
علاج الارض في بلادنا أو مصلحة أو ضرورة وكل الوجوه الثلاثة
مما يسوغ السفر بلا سقوط العدالة واذا اعتبرنا ما حصل
من ثمراته وأقله الحمل على جمع هاته الخلاصة فاني
أرجو من كرم الله تعالى أن يعفو عن زلاتي
ويعاملى بمحض جوده وفضله سيما
والبلاد التى قصدناها من
بلاد الاجانب هي تامة
الامن كما يعلم
من الباب
الآتى

القسم الثاني من
الجزء الاول
من صفوة
الاعتبار

ما شاء الله كان



*(ال باب * ال اثلث)*

(في تقسيم أحوال أهل الأرض الآن)
(وفيه سبعة وثمانون فصلاً)

اعلم ان الله جلت قدرته قد قسم الجلائق في هاته الأرض وخالف بين عوائدهم
واصطلاحاتهم ولغاتهم وان اتحد الجميع في أصول الاحتياجات كالطعام والملبس
والوازع وقد قرب الجغرافيون سكان كرة الأرض من اثني عشرة مائة مليون الى
ثلاثة عشرة مائة مليون وقسموا الأرض الى أقسام خمسة وهي (آسيا) و (أوروبا)
و (أفريقيا) و (أمريكا) و (استراليا) وهي أقسام اعتبارية اذ الأرض واحدة
وما فيها متقارب متماثل

(القسم)

(٣)

﴿ القسم الاول آسيا ﴾

اعلم ان القسم الاقدم عمراناً والاكثر سكاناً والاشرف معنى لما حواه من كونه مصدراً للذيات الالهية وداراً للرسول (عليهم افضل الصلاة والسلام) ومنبع سطوع النور العظيم المحاوى للذات الثمينة المحمدية (عليها افضل الصلاة وأزكى التحية) هو قسم (آسيا) الشامل لمكة والمدينة والقدس وهو يحده شرقاً خليج برنج والمحيط الشرقي وجنوباً المحيط الهندي وخليج فارس والبحر الاحمر وغرباً البحر الاحمر والبحر الابيض وبحر مرمرة والبحر الاسود ونهر دون وجبال أورال وشمالاً المنجمد الشمالي وهذا القسم يشتمل على عشرين مملكة

الفصل * الاول

﴿ في المملكة العثمانية ﴾

اعلم ان أعظم الممالك الاسلامية في هذا القسم هو المملكة العثمانية لاستيلائها على أغلب الممالك الاسلامية التي كانت تقسم واتحادها تحت ساطنتها ولشتمها لها على المحررين الشرقيين ولان ساطنتها هو صاحب الحرمين الشريفين ولا متمدناتها على ممالك وسبعة اسلامية في أفريقيا كما ان لها في أوروبا ممالك واسعة فتألف من المجموع مملكة عظيمة تحتها القسطنطينية وتسمى فاروقاً لفرقها بين أرض آسيا وأرض أوروبا ولفرقها بين البحر الابيض والبحر الاسود فمكان لها بهذا الموقع عظيم الاعتبار وسكانها القاعد زهاء مليون ونصف وأقسامها هي المملكة هي الاناضولى وفيه آسيا الصغرى والشام والعراق وديار بكر وأرمينية والجزيرة والمجاز واليمن ولها في أوربا قسم الرومى ولها فيه ولايات متميزة وهي ايلة الباغار والرومى الشرقية وفيه جزائر البحر الابيض التي منها مالطية وجزيرة كريت وسيسواس ولها في أفريقيا ممالك أيضاً وهي طرابلس ومنصر وتونس وهاتان الاخيراتان لهما امتيازات خاصة في الادارة وتشتمل المملكة الآن في الاقسام الثلاثة من الارض على نحو اثنين وعشرين مليوناً عدى الممالك التي لها امتيازات فاذا انضم ذلك كان الجميع يناهز الاربعين مليوناً والذي يخص قسم آسيا فقط من السكان نحو ستة عشر مليوناً وقد ابتداء تأليفها في المملكة من سنة ٦٩٩ تحت سلطنة السلطان عثمان في أرمينية ولا

زالت تعظم الى ان بلغت نهاية السطوة على جميع ممالك المعمور ثم ابتداءت روسيا في حروبها وتدخلت الدول الاوروبوية نارة بالدفاع عنها وأخرى لاربح منها ولا زالت بين الدول لها اعتبار وحكمومتها شوروية في الرسم لكنها الآن تحت الحكم العرفي ولم تزل سلاطينها يحضون على الامن في جميع انحاء المملكة وفي جميع انواع السكان الذين أغلبهم مسلمون وهم نحو ستة عشر مليوناً وبقية أغلبهم نصارى على مذاهب شتى والباقي من ديانات مختلفة ولز يادة توطيد الامن واجراء العدل أسس المقدس السلطان عبد المجيد التنظيمات الخيرية في سنة ١٢٥٧ ثم أكدها ولده السلطان المهظم عبد الحميد بالقانون الاسامي الذي أصدره في سنة ١٢٩٣ وفقه الله لارضاه وبقية التفاصيل المتعلقة بهذه المملكة تأتي ان شاء الله تعالى في المقصد وقوتها المالية والحربية تأتي في آخر المقدمة في جدول قوات الدول بحول الله وارا دته

الفصل * الثاني

﴿ المملكة الثانية هي مملكة فارس ﴾

وهي مملكة اسلامية قاعدتها ايران وعدد سكانها من خمسة ملايين الى سبعة ما بين سنه وشيعه ولها تقدم في الحضارة وبعض رجال دولتها هم مذنبون لهم معارف كافية في السياسة ورئيس الدولة يلقب بالشاه وهو الآن الشاه ناصر الدين من آل البيت المطهر وقد التفت الى الاصلاحات التي يقتضيها الحال لما شاهدته في أوروبا وغيره فعند أسفاره لها منذ استدعته الدولة النمساوية (في سنة ١٢٩٠) للحضور لا عرض الذي فتحته فأجاب دعوتها كما أجاب السلطان عبد العزيز العثماني دعوة دولة فرانسالمعرضها (في سنة ١٢٨٧) والشاه المشار اليه زار في سفرته المذكورة الدولة العلية فانه بعد ان وصل الى لندره على طريق روسيا والمانيا رجع على طريق فرانساً ثم النمسا المدعو اليها ومن هناك توجه للاستانة واسلم السلطان بقصده لزيارته أرسل له باخرة جليسة سلطانية لركوبه وجفنين مدرعين يحفظانه وأرسل له فيها وزير البحر فركب الشاه الباخرة من احدى فرض ايطاليا بعد زيارته للملكها فوصل الى جنات قلعة في يوم الاحد (٢٢) من جمادى الثانية (سنة ١٢٩٠) فطاعت له المدافع من القلعة واصطفت له العساكر واقبله هنالك الصدر رشيد باشا في باخرة سلطانية ومعه سفير الشاه في الاستانة ووالي جزائر البحر

الابيض

الابيض وفي يوم الاثنين لاقاه في بحر مرمر اسفراء الدول في بوانرهم الرسمية ووجوه تجار
الفرس في ستة بوانر آخر ولاقاه هناك أيضا فرقة من الاسطول العثماني فوصل
في موكبه البهي الى الاستانة من يومه وأرسي قبالة قصر بكار بيك المعد لنزوله فأطلقت
له المدافع وتوجه السلطان للقائه في البانرة ورحب به وآمنه وأمننا مليا والمترجم بينهما
ميرزا حسين خان صدد دولة الشاه ثم نزلوا الى القصر وأطلقت المدافع من جميع
الاسطول العثماني ثم رجع السلطان الى قصره بباشا كطاش ثم زاره الشاه بعد
الاستراحة وآمنه وكان كل منهم حاشية لابنشان صاحبه وزيدت له سائر الدواوين
الملكية ومنازل تجار الفرس وحصل له من العناية ما كدله مزيد الالفة بين السلطنتين
ثم عاد الى بلاده وأخذ في فتح الطرق للتقدم لكن السير فيها بطى ثم عاد الى أوروبا سنة
(١٢٩٥) لزيارة معرض باريس على وجه غير رسمي وزاد اسبقه صار فيماني يبغي اقتضاه
وشرع في شيء من التنظيم سنة (١٢٩٦) تدارك ما يحيط به سياج الحفظ لامتته ومملكته
التي أخذت منها الروسية اقسما عظيما في أواسط القرن الحالى وهاته المملكة حكها
الآن استبدادى مطلق غيران مالا باعث عليه من الجزئيات يجرى فيه الحكم الشرعى
الاسلامى والغرباء لهم الامن من جهة الحكم اذا دخلوا المدن العظيمة منها وحلوا فيها
﴿أما غيرها﴾ فلا طمئنان فيها الا اذا أخذوا من افروصيات من رؤساء الحكام وأخفراه
له ودخل هاته الدولة ونرجها بأنى ان شاء الله تعالى

الفصل * الثالث

﴿المملكة الثالثة هي مملكة أفغانستان﴾

وموقعها شرقي فارس وقاعدتها كابل وقد كانت هاته المملكة مقر المملكة الغزنوية
ثم السلجوقية ثم استقلت بولاية أحمد شاه في القرن الثانى عشر ثم دخلت تحت السابقة
الذكري ثم استقلت في عشرة السبعين بعد الالف والمائتين باطانة الانكليز وسكانها نحو
الستة ملايين وقيل ثمانية والاول اقرب اكثرهم أهل بادية وسكان جبال والديانة
العامية هي الاسلامية السنية والحكم استبدادى مطلق ولا راحة تستقر فيها لكثرة
الثورات وعدم انقياد القبائل ثم تعارض سياستى روسيا والانكليز فيها حتى اغتر
أميرها وحارب الانكليز فوقت المملكة في قبضتهم ونخلته الروسية بحيث تم لها جل

(٦)

قصدتها من حرب سنة ١٢٩٤ بتسليم الانكليز لها ومن عادات هاته المملكة أن يكون نحو عشر السكان عساكر دفاعية عن الوطن وفيهم المشاة والخيالة وهم غير منظمين ولا يقعون في الخدمة العسكرية الا نوبا والاهالي تقوم بهم فان كل مقاطعة أو ولاية عايم أم قدسار معلوم من العساكر بما يلزمهم ثم هم يقسمون للوازم على ما يقتضيه الحال فأصحاب الالهالك يقومون بالخيالة وغيرهم يقومون بالمشاة * وأما الطوبجية * فمنهم خيالة ومنهم مشاة وكما هم ملازمون للخدمة والدولة تقوم بهم وتجري لهم مرتبات وحدث في جندهم بعض تنظيم على النوع الجديد من مدقة قريية وتقدير دخلها مجهول

الفصل * الرابع

المملكة الرابعة هي مملكة بلو جستان *

وتسمى سابقا بالسند أى داخلية فيه وموقعها جنوبي المملكة السابقة وعدد سكانها نحو المليونين وهم متفرقون تحت رؤساء شتى وأعظمهم الآن خان كيلات والديانة الغالبة هي الاسلام على مذهب أهل السنة لكن كأنها بالنظر للغالب اسم بلا مسمى حيث كانت الغارات مستمرة بينهم وسفك الدماء بفقره سيما في الاقوام المشركين الذين بقوا في الجبال فهم لا يقعون هذه للمسلمين وحيث كانت أراضي هاته المملكة رديئة وهوائها رديء وتجارتها قليلة لم يرغب فيها الانكليز ورضوا باسمالة رؤساء القبائل اليهم بعضهم بالارهاب وبعضهم بالارغاب وبما تقدم يعلم حال هاته المملكة

الفصل * الخامس

المملكة الخامسة هي مملكة الهند الانكليزية *

وموقعها على شاطئ البحر المحيط الجنوبي الهندى وتنوغل في داخل القارة الى جبال هملاى وهي محاذة للمملكةتين الاخيرتين في الذكر من شريقها وهي مملكة عظيمة جدا تشمل على ما يخوف عن المسألة والمسعين مليوناً من النفوس منهم مسلمون نحو أربعين مليوناً وازدادوا في السنين الاخيرة نحو خمسة عشر مليوناً بدخول الاهالي في دين الاسلام طوعاً عند وقوع المناظرات الا في ذكرها والجميع تحت الاستيلاء الانكليزي غير ان بعضهم لهم استقلال في ادارتهم الداخلية وهم عدة ملوك وأمرأوع عدد هاته المملكة

المتنازه

المنازة ثمانية عشرة مملكة وسبب استيلاء الانكليز على هاتيك الممالك الرحبة على وجه الاجمال ان هاتيك الممالك كانت في القرون الاخيرة انقسمت الى امارات وملوك طوائف يتناصرون على مدى الزمان سيما بعد ضعف المملكة الاسلامية هناك عند انقراض دولة السلطان محمد شاه في اواسط المائة الثامنة هجرية الموافقة للمائة الرابعة عشر مسيحية فن ذلك الوقت تزايدت المناقشات بين ملوك تلك الاقطار وزاد انقسامهم الى طوائف صغار مع ان نفس اجسامهم وخلقتهم ليست بمسعدة للحروب والانعاب لانهم اناس نحاف الاجسام فيميلون الى الراحة والتنعيم باللباس الرائقة والمساكن الخفيفة والاسمى كمثمار من المال والمجوهرات لاسيما أهل الاقطار الجنوبية بحارة أقاليمهم يقربها من خط الاستواء ولهذا من قديم كانت سلطة الافغانستان متوالية عليهم من غربهم وشمالهم فداموا على تلك الحالات التي سميت منها نفوسهم وفخروا أشد الضجربا بابتهاطها عليهم وقد كان أهل البرنغال من الاوروبواوين فتحوا السير على طريق رأس الرجاء الصالح من أوروبا الى الهند وكمالكوا بعض مراكز تلك الجهات سنة (٩٠٣ هـ و ١٤٩٧ م) ثم قلدهم في التجارة غيرهم من الاوروبواوين حتى عقدت شركة انكليزية للتجارة في الهند وعينت أول سفينتين عظيمتين شرعيتن ومحتويتين على قوات دفاعية للخوف مما عساه يطرأ عليهما من تجرى أهل تلك الاقطار الذين كانوا يجهلون تفصيل أحوالهم لبعدها مسافة وطول الطريق الذي هو رأس الرجاء الصالح وكان هذا في سنة (١٠٥٣ هـ و ١٠٦٤ م) فنفقت التجارة الانكليزية هناك وكثرة خلطة الانكليز بالاهالي وتعرفوا أحوالهم ببأسهل لهم التداخل في سياستهم وتدخلوا فيها واليه دللت تلك الجمعية التجارية الى أن وقعت الحرب بين فرنسا وانكلترا في سنة (١١٥٩ هـ و ١٧٤٦ م) فحينئذ ابتدأ النفوذ السياسي وابطأت الشركة وتسلط الانكليز على بعض الشطوط الهندية مع النفوذ والوجاهة في غيرهما حتى ان بذماي أعطيت من الهند ومهر السكاترينه زوجة كارلوا الثاني ملك الانكليز في عشرة السنتين وسبع مائة وألف أى حدود سنة ١١٧٥ والممالك التي استولت عليها دولة الانكليز بدون واسطة الشركة التجارية هي الممالك المعروفة بحكومة الخلقان ومنها جزيرة سيلان التي هي في الجنوب الغربي من الهند وسكانها نحو ٢٣٧٥٠٠ وكذلك جهات الخلقان فاجتمع استولت عليها دولة الانكليز بالواسطة ولهذا كانت ادارتها هناك مخالفة لبقية ممالك الهند فلحكومة الخلقان ادارة مفردة تحت حكم عام له

محاسن شورى ومحاسن نواب للنظر في مصالحهم وتأليف ما يصلح بهم من القوانين وأعضائه
هم كل ذى وظيفة في تلك الحكومة من الاهالى وأعضاء آخرين الانكليز بين توظفهم
الدولة ثم الرئيس العام هناك يرجع نظره لوزير المستعمرات لا لوزير الهند ويخاطبه بدون
واسطة المحاكم العام في الهند (وأما بقية) الممالك الاخر فقد أخذتها الدولة من الشركة
المسارذ كرها ولم تنزل سيطرة الانكليز تتقدم هناك حتى استولوا على بنغالة في سنة
(١٢٧١ هـ و ١٨٥٧ م) وازدادت حينئذ السيادة تقويا ونفوذ وامتدت في تلك
الممالك حتى دخلت في حوزتها جميعها من غير كبر مشقة الى أن حدثت ثورة عامة شديدة
هائلة من الاهالى وأوقعوا بالانكليز بين الذين هناك أشد ووقعة في سنة (١٢٧٤ هـ
و ١٨٥٧ م) حتى آيس الانكليز من تلك المملكة وأيقنوا بتقصا ظاههم منها لولا اغترار
الافغان سنة ١٨٥٧ م وما عاصدتهم للانكليز على قهر الهند ودفقهم وروهم وقتلوا منهم مائة
لا تحصى ومثلوا بهم مائة وعادت السيادة الانكليزية سيطرة تامة ولم يحصل
للالافغان استئان الا للسلطان على سياسته وما كنهه بمالهم سنة ١٨٧٦ م قرار الى الآن ثم ان
الانكليز اقبوا ما ملكة انكليز بامبراطورية الهند في سنة (١٢٩٣ هـ و ١٨٧٦ م)
وعقدوا له في الهند دموكا حافلا لم يسمع بنظيره وحضره كل ملوك الهند الذين تحت
ولاية الانكليز وحيث كان من الهائب بمكان رأينا أن ثبت هنا ما ذكره أحد مراسلى
الصحف العربية في شأن ذلك الموكب ونصه يندم الناس في فترة واذا بالانكليز اخترعوا
طريقة أن تجت جلالة فوائدهم ولزيتهم وهالك بيانها تفصيلا وهى تلقيب ملكة
الانكليز بامبراطورة الهند فاهذا أجعت جمعية عمومية من ملوك الهند ومن أمرائها
في بلدة دهلى التى كانت قبلا تحت ملك ملوك الهند فبعد ان حضر جميع هؤلاء الملوك
والامراء وأهل الثروة العظمى ونصبوا خدامهم الفاخرة خارج البادية كرت الناس من
كل فج عميق الى دهلى ما بين متفرج وتابع وما بين تاجر وصانع وعامل الى أن
غصت المدينة بالناس وصار المحل الذى أجزته عادة في الشهر خمس روبيات مائة روبية
والهيلة التى تكرر عادة بربع روبية بعشرة روبيات فكان السماء أمطرت والارض
أنبتت بنى آدم فان شارع دهلى عرضه أربعين مترا وكان المار فيه يخشى على نفسه
من شدة الازدحام وجل هؤلاء الناس وصل الى دهلى بواسطة سكة الحديد فانهم تشعبوا
في جميع أقطار الهند كتنشعب عروق الجسد ودهذه الجمعية الكبرى تسمى بانهة أهل
الهند بالدر بار بجمع مع ما شهدته في هذا الدربار يجترلسانى عن بيانها وقلنى عن حسابها

وانما أثر مرح لك فصاين (أحدهما) في كيفية دخول حكمدار الهند إلى دهلي وكيف
استقبلته ملوك الهند وأمرأؤها وكيف مشوا في محبته وانقادوا في موكبته وخلف ركابه
﴿والفصل الثاني﴾ في صورة المجاسة أي هيئة اجتماع الملوك وكيف ألقى عليهم
خطاب امبراطورهم وكيف تلفوه بالاحتفال والقبول ﴿أما الفصل الأول﴾ فهو أنه
في السادس من ذي الحجة سنة (١٢٩٣) بعد الظهر بساعتين اصطفت العساكر
الانكليزية البيض وهم في أحسن الملابس وبغاية النظام في الطول والاستواء من
محطة مكة الحديد إلى محل قيام الحكمدار وهو مسافة ثمانية أميال وارتصوا من طرفي
السوق الكبير من الجانبين بعد الساعة الثامنة سمعنا صوت المدافع ايذاناً بوصول
الحكمدار وشرع أول الموكب في المرور وكان أولهم فرقة من خيالة على خيل حمر بغاية
الجسامه على لون واحد وسروج بلون واحد ولباس فرسانها بلون واحد وعددهم نحو
الخمسمائة ثم تلتها فرقة أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل بيض جسام كنظام ما قبلها
ثم تلتها فرقة أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل شهب في غاية الضخامة كنظام
ما قبلها ثم أعقبتهما سرية أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل بلق كنظام ما قبلها ثم حامية
أخرى على خيل شقر ثم أخرى على خيل صفر ثم وثم إلى أن مر نحو خمسة آلاف خيال
جميعهم بغاية الأبهة ثم أقبلت الطوبجية ومعهم مائة مدفع خلف بعضهم في غاية الضخامة
وحسن النظام وحسن الآلات والعدد مع كبر الخيل وحسن هيئة قائمات سرية
القبيلة وأولها فيل عجيب الشكل أطفه أعلاف في أرض الهند وناباهم بارزان من شديقه
فحوذاء بين وعامها أطواق من الذهب حلية له وعليه تخت جسيم جميعه من الفضة
المخالصة ورخت طويل إلى الأرض مرصع وعلى ذلك التخت اللورد ايتون حكمدار
الهند وهو رجل ضخم الجسم أحرار اللحية وكان على ساراه زوجته وخلفه فيل مثله
في المحلية عليه بثمان صغيرتان وخلفهم نحو عشرة أفيال أقل من الفيل الأول في الحامية
وعليهم أتباع ذلك الحكمدار وخدامه ثم أقبلت أفيال آخر نحو العشرة وجميعها بالخلي
الفاخر وعليهم حكمدار مدراس وأتباعه ثم حامية أفيال آخر نحو العشرة وعليهم
حكمدار بمباي وأتباعه ثم سرب أفيال آخر نحو العشرة وعليهم حكمدار لاهور ثم
أفيال آخر وعليهم حكمدار السند ثم فرقة أفيال آخر نحو العشرين وهي مركوب
سلطان حيدرآباد وأتباعه ورخت الفيل الأول منها مرصع بالجواهر ثم فرقة أفيال آخر
نحو العشرة عليها راجا جيت برا وراؤه (وهكذا) ثم أقبلت أفيال خلف آخر عليها

ملوك الهند والراجات وعددهم نحو التسعين وكانوا كلهم خلف الحكمدار بعبادة
الوقار والزينة والخضوع والتؤدة ويقال ان عدد الافعال في ذلك الموكب نحو ألف
وما تبي فيل وليس فيها كلها اعلان فيل الحكمدار (وهكذا) انتهى الموكب الذي
لم يسمع بمثله منذ نزل (آدم عليه السلام) على جبل مريدب ولا ظن أنه سيحصل مثله
وكان مبدؤ مروره من الساعة الثانية افرنجية الى الساعة الرابعة وانما قلت ان هذا
الموكب لم يسمع بمثله لاننا سمعنا أن ملكا من ملوك الهند المتقدمين أطاعه جميع
النواب وجميع الراجات بدون توقف ولا مخالفة ولا توان أو أنهم مشوا خلفه في موكبهم
وتحت ركابه وهو جالس بالتمائم على فيل أعلا من جميع أفيال الدنيا وجميع الملوك
ينقادون خلفه مع الادب والتؤدة وإذا أمكن لاحد قاصرة أو روبا العنمام وملوكها
الفتح أن يحضر اليوم عسكر مثل هذا العسكر ومدافع مثل هاته المدافع فن أين له ألف
وما تبي فيل تنقاد خلفه وعليها تسعون ماسكا فوالله لو لم يكن للانكليز في الشرق فخر
الاهذا الموكب لكفاهم (الفصل الثاني) في صورة الجلاسة أي كيفية اجتماع الملوك
وكيف ألقى عليهم الحكمدار خطاب امير اطورتهم وكيف تلقوه بالقبول والاحترام وكان
ذلك يوم (١٤) ذي الحجة سنة (١٢٩٣) وهيئة نصف دائرة جنوبية ونصف دائرة
شمالية وجميعه مسقف بالقمش وبين الشطرين طريق فاصل للورور فالنصف الجنوبي
عليه ملوك الهند وأرباب التيجان وهو عبارة عن دكة مرتفعة بدرجتين عرضها نحو أربعة
أذرع وطولها نحو مائة ذراع وعليها كراسي الملوك مصطفة بحسب رتبتهن والنصف
الشمالي هو قسمان بينهما طريق فاصل وارتفاع الربعين نحو أربعة أذرع وله
درجات للجلوس وفي وسط الدائرة دكة مرتفعة نحو أربعة أذرع مساحتها خمسة في خمسة
ولها مرقاة للصعود عليها فهذه الدكة الوسطى جالس عليها حكمدار الهند ودووجهه الى
جهة الجنوب جهة الملوك والربع الذي على يمينه جالس عليه الانكليز المتفرجون
أرباب المناصب والربع الذي على يساره جالس عليه أعيان أهل الهند وأمرأؤها وغير
أرباب التيجان وهم المدعون للعضور ووسط هذه الدائرة نحو مائة ذراع وحولها دائرة
أخرى كبيرة خالية عن الناس لها خرم درابزين خشب فاصل بين المتفرجين العوام
وبين محاسن الامراء والمسافة بين الدائرة الداخلة والدائرة الخارجة نحو مائة ذراع ومن
حول الدائرة الخارجة عسكر الانكليز نظاما ونحو الة مرتبين في ذلك الفضاء وعددهم
بالتقريب نحو العشرين ألفا وأكثرهم من الانكليز البيض ومسافة ما بين المجلس

وما بين دهلي ستة أميال في صحراء واسعة بقرب جبل صغير يسمى جبل الفتح فالانكايين
فقدوا دهلي من هذا الجبل سنة (١٢٧٤) ثم اجتمع الناس المتفرجون من كل بلج عميق
ما بين ماش وراكب حتى ملأوا ذلك الفضاء فصار من بيده تذكرة العزيمة يدخل
في الدائرة الداخلية ومن ليس بيده تذكرة يقف خارج الدارين الخشب في الساعة
الثانية عشرة قبل حكم دار الهند وهو لا يس من فوق السترة والمنطلون جهة واسعة
الاكمام وطويلة الذيل وهي أشبه بالفرجية التي تلبسها كبار العلماء بعصر ولونها
رمادي وجيع أطرافها مطرزة بالذهب ومع الحكماء دار زوجته ومن خلفه ابن السلطان
لكهنؤ وابن أخى سلطان ينمى في صورة خادمين فلما صعد على درج التخت رفع
الغلام أذيل جيته عن التراب الى أن استقر فوق التخت فجلسا هما على كرسيين
صغيرين خلفه وجلس هو على كرسي مذهب وزوجته على يساره ثم أخرج الحكماء دار
من جيبه ورقة عين أعطاهما حل انكايي جهوري الصوت فقرا الأولى وهي باللغة
الانكايية ومضمونها ان الملكة اقبلت بأمر طورة الهند وان جميع الامم ارتضوا
بذلك ثم قرأ الورقة الثانية وهي باللغة الهندية ومضمونها مثل الأولى فعند ختامها قام
جميع ملوك الهند وصاحوا ببارك الله لها في هذا اللقب ونحن أيضا جعباراضون بذلك
فأطلقت المدافع من طرف عساكر الانكايين ومن طرف ملوك الهند واشتغلت آلات
الموسيقى بأحسن الايمان وانفض المجلس في الساعة الواحدة فكانت مدة جلوس
الملوك نحو ساعة ومدة جلوس الحكماء دار وقراءة الورقة نحو ربع ساعة ثم نورت جميع
المادة ليالتين جرى فيهما من ألعاب البارود ما يجزعن تصوره وكيفية وصول ملوك الهند
الى الدرب ان كل ملك قدم بعساكره من أبناء جنسه وبعده مدافع فلما وصلوا الى محل
المجلس دخلت الملوك وجلسوا على كراسيهم تجاه الحكماء دار ووقفت عساكرهم
وأفياهم خارج الدائرة وعددهم نحو التسعين مائتا وهم مرتبون بحسب العدد
(وهكذا) المدافع التي كانت تقابلهم بالسلام عند قدومهم أعنى انه عند قدوم ملك
حيدر أباد على قلاع الانكايين أطلقوا له واحدًا وعشرين مدفعًا ولزاجار وده كذلك
ومثلها لراجا جيتبور وتسعة عشر لراجا كشمير وثلاثة عشر لنواب راجبور غالب على
خان لان رتبة بالنسبة لآفرانه هي العدد الثاني والخمسون (وهكذا) يتقهقر العدد
في مدافعهم الى آخرهم وهم نواب دجاجة اذ لم يطلق له سوى ستة مدافع فكانت كثرة
الاطلاق باعتبار كبر دولتهم وكثرة ابرادهم واتساع دائرتهم بالحرية والتصرف المطلق

* وأكبر ملوك الهند من الوثنيين أما المسلمون فلهم خمسة عشر ملكاً ثم إن الانكليز
 * استعادوا من هذا الدربار ثلاث فوائد (أحداها) أنهم جعلوا أهل الهند وملوكها
 رعية لهم برضاهم واختيارهم لا بالسيف وطريق التغلب كما مر في الأزمان السابقة
 (الفائدة الثانية) أنهم جمعوهم ليختبروا حالهم من جهة المال والقوة العسكرية وهل
 عندهم أسلحة جديدة يخشى بأسها أولاً فوجدوهم على الحالة الملهمية القديمة
 في الأسلحة وآلات الحرب حتى أن بعضهم كان لعساكرهم البنادق والفتيل أى المشادلى
 وبعضهم يحمل القوس والنبش والرمح وبعضهم يلبسون الدروع والخوذ على العادة
 الجاهلية فاطاعوا على قوتهم وعرفوا أنهم ماداموا يجهلون الأسلحة الأوروبية
 فلا يمكن للخماس الذى وسوس للصرب أن يوسوس لهم (الفائدة الثالثة) أن تجار
 الانكليز جمعوا من هذا الدربار عشرة ملايين ليرة ما حصل عنه من رواج التجارة
 ونفاق السلع حتى فاق على معرض باريس في زمن نابليون حيث جلب اليه من كل
 قرية ونادرة وبجعية فان عدت ذلك سكة الحديد التى بيعت الى السفر الى دهلى باغت
 نحو مليوني تداكرة وبعض الوفود رحل من محل بعيد عن دهلى مثل أهل كاكوتيه
 وأهل مدراس وأهل السند وأهل بمباي وأهل بشاود وكان بعضهم يركب في الدرجة
 (الاولى) وبعضهم (في الثانية) وبعضهم (في الثالثة) فالدرجة (الاولى) أجرة ثمانون
 (عشرين) حنيها والدرجة (الثانية) أجرة ثمانون (عشرة) حنيها والدرجة (الثالثة)
 نحو (ثلاثة) فاذا ضربت القليل في الكثير والقريب في البعيد كان المدفوع من
 مليوني نفس ثمانية ملايين ليرة وجميع ملوك الهند حضروا ذلك الدربار أمثالاً ولا امر
 الحكمة دار ما عدى ملكة أنجاور فاتها العندرت بأنها في حالة الولادة ونواب وأمير
 وغالب على خان فانه تعال بأنه مريض بداء البرص وأنه لا يمكنه الحضور في مجمع الملوك
 لئلا تنفر طباعهم منه (انتهى) ثم زارة لك المال وكى عهد ملكة انكلترا واحتفلوا به
 * وهادوه بهدايا نفيسة ملوكية باقى الكلام عليها في الكلام على معرض باريس من
 المقصد ثم إن امتيلاء الانكليز كما تقدم كان شيئاً فشيئاً فبعض الملوك والامراء سلموا اليه
 السيادة وابقاهم على ولايتهم عندهم قصد لههم بالحرب وأبقى لهم ما يمكن من المال
 والمجوهرات في خاصة ذاتهم وبعض التصرفات والتصرف المحقة بقي بيد الانكليز سواء
 كان في الادارة المالية أو السياسية (وأما العسكرية فاسكل عساكر تحت امره وكثيرا ما تاتي

العساكر

العساكر الانكليزية لارهاب الولاة والملوك واخضاعهم فالتصرف حقيقة للارباب
 لكن للملوك الأبهة والاسم بحيث ان التصرفات تنسب اليهم بالاسم كما ان بعض
 الملوك والامراء طالب الدخول لماراي العواقب آيلة اليه فلذلك لم تنزل الى الآيات
 مما لك مستقلة بارادتها تحت ولايته فتم ما يودى له نواجدا ومنها ما يأخذ الملك وحكومته
 مقدار ما يكفي للقيام بعصالحهم وما بقي يرجع الى حكومة الهند العامة وتصرفهم على نحو
 ما سبق وقد قسم الانكليز تلك الممالك الهندية على حكومة الحليان المتقدمة الى
 (ثلاثة) أقسام كبيرة فالقسم (الاول) مملكة بنغال وقاعدتها كلكتوه وهي مقر
 الحاكم العام ويتبع هذه القسم من الممالك المتنازعة بالادارة (احدى عشرة مملكة
 فأولها) مملكة نيرام وهي واقعة في وسط أرض دكين بين مملكة بنباى من غربها وبين
 مملكة مدراس من شرقها وتحت هاته المملكة مدينة حيدرآباد التي سكانها نحو
 أربع مائة ألف نفس والانكليز ساكنون في بلدة صغيرة من غربها تسمى سكندرآباد
 وبهاته المملكة باد تسمى أهور بها معابد عجيبة تحت الأرض دالة على مهارة مهندسى
 ذلك العصر عندهم وسكان هاته المملكة نحو عشرة ملايين ومائة مائة من الهند وله
 زيادة استقلال في ادارته على ممالك التابعة للانكليز ويؤدى لهم نواجدا معينا سنويا
 وهي مملكة اسلامية (وثانيها) بوندلكندو بهاء عدة خانات كل خان يحكم على
 قبائل وجهات خاصة وعدد سكان هاته المملكة الموزعة على الخانات نحو ستة ملايين
 وأكل خان مركز هو تحت حكمه (وثالثها) مملكة بوبول ولها ملك أيضا وسكانها نحو
 ستمائة ألف وسبعين ألفا وتحتها بوبول (ورابعها) مملكة شنديا ولها ملك أيضا وسكانها
 نحو مليونين ونصف وفي هاته المملكة بلدة أوجين التي تهرها الهندو مبدأ خط الطول
 وتحتها كوالبور (وخامسها) مملكة هليكار ولها ملك أيضا وسكانها نحو ستمائة
 ألف وتحتها هندو وهاته الممالك الاربعة الاخيرة في الذكر كانت هي مملكة
 المهرجات سابقا (وسادسها) مملكة راجا پوتان ولها ملك وسكانها نحو سبعة ملايين
 وتحتها أوديوور (وسابعها) مملكة بهوبال ولها سلطنة اسلامية بالوارثة لثلاث من
 آباؤها وزوجها مباشرة تصرفات بالنيابة عنها وهور جل عالم كما ذكرنا في غير هذا
 المحل وسكانها نحو ستمائة ألف وتحتها بهوبال (وثامنها) مملكة تادك ولها أمير
 وسكانها نحو مائة ألف وسبعين ألفا من الانفس وتحتها تادك (وتاسعها) مملكة
 بدستان ولها ملك له زيادة امتياز في الادارة وسكانها من المسلمين وقاعدتها على نهر

السند تسمى اسكرودو وتسمى هاته المملكة أنضابيلاد البلتسي (وطائرها) مملكة
 كاورودوهى صغيرة وعدد سكانها قليل ولها أمير (وحادى عشرها) مملكة سيمور مثل
 * المتقدمة عليها وتحتها فحمين (والقسم الثانى) من الاقسام الكبرى هو ممالك بونباى
 ويتبعه من الممالك المتنازة خمس ممالك (فأولها) مملكة كاش وتحتها بوهيج
 (وثانيها) مملكة كانبي وتحتها كانباى (وثالثها) مملكة اكوى كوى كوى وساكنها
 فحومليون وثمانيائة ألف نسمة وتحتها باردوه (واربعها) مملكة ساوندوارى وتحتها
 * ساوندوارى (وخامسها) مملكة كولابور وتحتها مدينة كولابور (والقسم
 الثالث) من الاقسام الكبرى هو ممالك مدراس ويتبعه من الممالك المتنازة اثنان
 (فأولها) ميسور وتحتها ميسورا وسكانها نحو ثلاثمائة مالاين (وثانيها) مملكة
 اتراء نيكوروع. سكان هاته المملكة مالاين وثلاثمائة ألف نسمة وتحتها بلدات ريفان
 دبرام ولاكل حاكم مستقل بامتياز فى الادارة على نحو ما تقدم ذكره فالتقدم هى الاقسام
 الكبرى التى لكل منها اقسام صغيرة تحتها وممالك متنازة ترجع اليها كما انه يوجد
 أربعة اقسام صغيرة ليست داخلية تحت الاقسام الاولى وثمانيها ادارة منفردة تحت
 نظرائها كم لعم الامريكيزى وهى اقسام أربعة داخلية بنا تحت الانكليز وادارتها
 بيدهم مثل الاقسام الكبرى وهاته الاربعة اقسام (أولها) المسماة بولاية الشمال
 الغربى (وثانيها) المسماة اود (وثالثها) المسماة بنجاب (ورابعها) المسماة
 بالولاية الوسطى كما تتبع ممالك الهند الانكليزى مملكة كشمير لكنها
 كان لها زيادة امتياز ذكرناها منفردة وسبب أى الكلام عليها والممالك المتنازة ان كانت
 اسلامية فرئيسها يلقب بنائب لانهم فى السابق كانوا نوابا لسلطان المسلمين الذى تحتها
 بلدهلى وان كانت الممالك غير اسلامية فرئيسها يلقب براجا هذا (واقا كيفية)
 * الادارة السياسية والعسكرية فى جميع الممالك الهندية فان جميع الاقسام ترجع الى
 حاكم عام انكليزى يرتبط مع دولة انكلترا بواسطة وزارة الهند فى لوندون ثم هو فى نفسه
 قد وظيفته ولته بهذا الاسم فى (سنة ١٢٧٥) هـ و (١٨٥٨ م) وترتبت للهند
 قانونا خاصا فن مهمات كلياته أن الحاكم العام له النظر العمومى على اقسام المملكة كلها
 وما يتبعها وتصرفه مقيد بمجلس شورى مركب من اعيان الانكليز المقيمين فى الهند ومن
 أحد كبراء الالهالى وهذا المجلس والرئيس عليه الذى هو الحاكم العام تحت احتساب
 مجلس الدولة فى الهند ومسؤول له والواسطة بين الدولة والحاكم العام هو وزير الهند

في لندره وله في الوزارة مجلس عدد أعضائه خمسة عشر وكاتبان ومن حقوق مجلس الهند
 المذكور إنشاء القوانين العامة في الهند وتنظيم الادارة السياسية والعسكرية وإنشاء
 الاحكام العامة وما ينشؤه هذا المجلس اذا وافق عليه مجلس الهند في لندره يصير معمولاً
 به في ممالك الهند ثم لكل من الاقسام الثلاثة الكبرى المذكورة حاكم خاص ومجلس
 شورى مركب من أعيان الاهالي وأعيان الانكليز تحت رئاسة الحاكم ومن وظائف
 هاته المجالس إنشاء قوانين الاحكام الخاصة بقسمهم وعرضها على الحاكم العام وبعد
 نظره هو ومجلسه فيها والتصديق عايم ما يرفعها الى الهند ويندره كما تقدم كان للمجلس
 الثلاثة المذكورة الاحتساب على سيرة الحكام في قسمهم والنظر على الضابطية
 المكلفة بالامور السياسية والاحوال العرفية ولهم النظر على الملوك والامراء ارجعين
 الى قسمهم كما كان لحكام هاته الاقسام المقيد تصرفهم بالمجالس قوة على التنفيذ بواسطة
 القوة العسكرية يتم لكل قسم ولايات فرعية ومنهم الممالك والامارات المستقلة وكل من
 هاته الولايات لها مجالس ادارة تحت رئاسة الوالي أو الامير أو الملك ويتصرف بمشاركة
 نظر المجلس في الادارة السياسية والمالية والعسكرية والمنوظفون يكونون بحسب اهالي
 الولاية اما من مسلمين فقط أو هنديين فقط أو مختلطين والتصرفات الصادرة من هؤلاء
 سواء كانت حكيمية أو سياسية أو مالية يمكن رفعها لمجلس القسم الراجعة الولاية اليه وله
 تحقيق النظر في النازلة على قواعد عندهم في ذلك وهكذا الاحكام الشخصية في كل
 ولاية لها مجلس وقوانين يتصرفون بمقتضاها وهاته القوانين قواعدها الكلية هي
 قواعد احكام الانكليز غير ان لكل ولاية قوانين خاصة مطابقة للعوائد والعرف
 المتعارف فيها أما ما يرجع الى الزواج والارث والملك فان الاهالي تجري عايمهم احكام
 ديانتهم بواسطة مجالس من اهل الديانة ويمكن رفع احكامهم الى مجلس الولاية ومنه
 الى غيره ان ينتهي الى المجلس العام والديانات التي لها متوظفون هنالك من الدولة
 هي الديانة الاسلامية والبرهمانية وما أشبهها من الديانات المجوسية والوثنية ولهم
 نرافات مبسطة في كتب الكلام والسكان الاثني مئتلطون من عرب وفارس
 وأوروبيين وهنود أصليين والمعارف عندهم الاثني في تقدم سيما العلوم الكيمائية
 والحكمة لفتح الانكليز هنالك المدارس مشغلة على ما في أوروبا من المعارف واقدت
 بهم الاهالي حتى ضعفت تجارة الانكليز بما ينتج من مصنوعات البلاد والعلوم
 الاسلامية نافقة السوق ولها فحول مؤلفون منهم سلطان بهوبال الذي طبع الاثني

من تأليفه في مطبعته ومطابع الممالك العثمانية كتب من تأليفه فنهت تفسير للقرآن
سماه فتح البيان في مقاصد القرآن فحافيه التوسط بين المنقول والمعقول ومنها الحصول
في علم الاصول ومنها القطة الجلان فيماتس الى معرفته حاجة الانسان وهو كتاب
بديع فيه تحرير كثير من المسائل الاصولية والكلامية والفرعية وله عدة تأليف
أخرى وهذا العالم الملك هو من نوادر هذا العصر فإنه مع اشتغاله بجهام السياسة التي
تقلدها بالنيابة عن زوجته ساطانية تلك المملكة قد تجرد في الفنون العلمية سيما الشرعية
وآلاتها وفصاحتها في نسخ تأليفه بحمد مدعيها أهل اللغة العربية وعلى الخصوص
في هذا الزمن الذي كادت أن تملأ في اللغة والعلوم من الآلة الاسلامية ومن فحول
علمائهم في هذا العصر الشيخ العلامة رجسة الله صاحب تأليف اظهارة الحق الذي ألفه
بسبب محادلات دنيوية فتح بابها قسيسوا البروتستانت راثمين دعوة أهل الهند المسلمين الى
ديانتهم فأفضى الحال الى مناظرتهم مع الشيخ المذكور وآل الحال الى مناظرتهم بالتأليف
فألفهم بم تأليفه المذكور مستندا في الرد الى كتبهم وأقوال علمائهم عسا يفي عن
اتساع بابه واطلاعه وهذا التأليف قد ترجم الى الفرنسية وغيرةا من اللغات وهو
بديع في بابه وقد صار الآن عزيزا للوجود مع أنه طبع مرتين وشاعت منه آلاف من
النسخ وفي هاته المملكة علماء أخر (ولله الحمد) كما نلاحظها تقدمنا في الخندق والصناعات
سيما النقش والترصيع في الخشب والعاج من قديم الزمان ومنسوجاتها وطرازها شائع
في أغلب الاقطار كما نلاحظهاهم الذين اخترعوا الارقام الحسابية ولذلك تسمى بالارقام
الهندية الى الآن وهو اختراع عجيب شمل جميع الاعداد في تسعة أشكال ويكفي
تبدل على ما كان عندهم من الخندق في الصنائع المعابد التي في جزيرتي الفيلة وساسيت
الساكنتين قرب بنماي فان تلك المعابد مفعونة في الصخر فتمت عجيبا في الصنعة
والا تقان كما أنه في ابالة بيجابور في جبل فحات مدينة فيز بابورا التي كانت تحت الملك
المسلمين هناك وفيها بناآت بديعة والآن حوت وهاته المملكة لما كانت متسعة جدا
فيها اوهام مختلف ولكن تغلب فيها امراض تقل في غيرها وتشتمل على أغلب النباتات
المعمروفة في غيرها ولها نباتات تختص بها كالقمارى والجوز الطيب وغيرها وقد امتدت
فيها الآن طرق الحديد تحترفها في أغلب الجهات كما أن المواصلات في انهرها العظيمة
متوفرة بالسفن كما أن الطريق الحديدى اخترق أهم جهاتها ودونك أهم ما وصل اليه
من كونه الى دكة ومنها الى ميرزا بول ومنها ايضا الى دهلي ومنه الى أباد الى

بنباى ومنها الى كورانشى ومنها ايضا الى مدراس ومن هاته الى ييدول ومنها الى نيهفابا تام
ومن مدراس الى كاكوتة ومن كورانشى الى حيدرآباد ومن ملتان الى لاهور ومنها الى
بيشاور ولا زالوا يدوتها فى أغلب الجهات حتى قربت الى حدود الافغانستان ويمكن ان
تصل الى الصين والممالك العثمانية اذ التفتكر فى ذلك مسعى بحيث ان السفر الاكبر
فى الهند مع الامن فى غاية سهولة الموصلة بالطرق الحديدية والعادية والانهر والترع كما
ان السالك الكهربا ئى واصل بعضها ببعض كما وصلها بأوروبا بحيث ان انكارتا تصل لها
الاتحار من الهند على ثلاثة طرق (فأولها) من الهند الى خليج فارس الى الممالك
العثمانية الى بقية أوروبا (والثاني) من لندره الى جبل طارق الى مالطة الى السويس
الى عدن الى الهند (والثالث) من لندره الى فرنسا الى الجزائر الى مالطة الى البقية مما
تقدم ولا يبعد أنه يصل أيضا على طريق رأس الرجاء الصالح فانه وصل من لندره الى
هناك ومنه الى زنجبار فلم يبق الا منها الى الهند ومن أخشاه المنفردة بها عود القمارى
وأما قوته هاته المملكة الحربية والمالية فستأتى ان شاء الله فى جدول الدول

الفصل * السادس

المملكة السادسة *

هى مملكة بورما وهى الى الشمال الشرقى من المملكة السابقة وعدد أهلها نحو ثلاثة
ملايين ونصف وديانتهم بوذية مشركون وحكمهم استبدادى مطاق وهم اهل مكر
ونخبة واديس لهم ولوع الابعلم النجوم والارصاد والسحرو أكثرهم يعلم القراءة
والكتابة ولا راضيه منة فبحسنة وتجارة واسعة مع مجاوريه من الهند والصين وقاعدة
المملكة مدينة افافى القديم والان مدينة مندلای والدخل اليهم يكون فى قبضة
البحر من حكمهم وان كان الانكاز فى هاته الازمنة مرشدا اليهم بعد ان أخذ
منهم قسم فى سنة (١٨٢٥) وقد صار يأمرهم بالعدل حتى انكرك على ما حكمهم
فى سنة (١٢٩٦) قتله لثمانين نفسم من الرجال والنساء والاطفال شرقتة وهم من
عائلات الملك وكان يه قدمه حربا لاجل استتباب الامن جوار الهند ودخل هاته
الدولة ونزوحها مجهول وقوتها من النوع المجمعى وكانها لا تلبث ان تدخل فى حكم
الانكليز

الفصل * السادس

المملكة السابعة *

مملكة سيام أو صيام وهي جنوبي المملكة السابقة وشرقي بقية المملكة الهندية الانكليزية وعدد أهلها مع ما يذهبها في جزيرة ماقتا وغيرها نحو ستة ملايين ونصف وديانتهم وحكومتهم مثل المملكة السابقة ومعارفهم أقل من سابقهم لكنهم يوصفون بالامانة وتجارتهم من معادن بلادهم الغنية مع الهند والصين والاوروپا وبين وقاعدة المملكة صيام في القديم والآن مدينة بانجوك والمدخل والمخرج والقوة كلها مجبولة وهي في القوة على غير نظام

الفصل * الثامن

المملكة الثامنة *

هي مملكة كوشين الصين أو انام وهي شرقي المملكة السابقة وعدد أهلها قبل استيلاء الفرنسيين على قسم منها ما بين اثني عشر مليوناً الى ستة عشر مليوناً لكنهم الآن نحو تسعة ملايين وقاعدتهم مدينة اووي وباسان الهند وفوشواش وقيل وهو الاصل مدينة هو بفو وهي مربعة الشكل يحيط بها نهر هو من جانبيه وترعة من الجانبين الاخرين عرض هذه الترعة سبعون ذراعاً وكل ذكر عندهم ملزوم بالدفاع عن الوطن من سن العشرين الى الستين ولهم خاق بشوش ولبس النساء والرجال سواء وهو سراويل وجبة الى الكعب والرجال لا يلبسون شيئاً من شعورهم وانما يلبسونها ومن عاداتهم اباحة السكر ولاديانة عندهم وانما يعتقدون خرافات كثيرة والنسوة لا يحببن ويتعاطين الاشغال مثل الرجال ولا يكهن لهم اعتناء بتعليم الاهالي العلوم الرياضية و يرسل خمسة عشر تلميذاً من أبناء اعيانهم الى فرنسا لتعلم في مدارسها وعند رجوعهم يعرضهم بغيرهم وهم يمشون علومهم في الاهالي وبعد استيلاء الفرنسيين على قسم من المملكة صار محافظاً على موالاتهم وحفظ عهودهم حتى ارسل سفيراً مخصوصاً بالباريس مدة ولاية الرجل الشهير تيارسر باساسة المجهورية الفرنسية كما رتب هذا الملك جيوشه

على الطراز الاوروبى وستأتى قوته العسكرية فى جدول الدول وأما المالية فمجهولة
رأما العادات الحكيمة فلا تخرج عن عادات الممالك السابقة

* الفصل * التاسع

﴿ المملكة التاسعة ﴾

مملكة كمبوديا وهى غربى بعض المملكة السابقة وجنوبى بعض صيام وعدد أهلها نحو
مليون وقاعدتها مدينة سايكون فى القديم والآن مدينة بنوم بنه ويقال فى ديارهم
وحكهم وقوتهم ما هو واقع فى الممالك المجاورة لهم وقد استولى الفرنسيين على قسم
من هاته المملكة عند مصب نهر كمبوديا وقد صارت هاته المملكة تحت حماية فرنسا منذ
سنة (١٢٨٠ هـ و ١٨٦٣ م)

* الفصل * العاشر

﴿ المملكة العاشرة ﴾

هى مملكة ملقا وهى شبه جزيرة الى الجنوب من مملكة صيام ويحيط بها البحر من جميع
بقية الجهات وعدد أهلها نحو ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألف نسمة والديانة الغالبة فيها
هى الاسلام وحكهم الصورى ملك مستقل مستبد لكنه قليل النفوذ وأغلب القبائل
تعيش بحريتها تحت رياسة كبرائها وكل قبيلة تدافع عن نفسها ولذلك بعدد
الجغرافيون منقسمة الى أربعة قواعد (الاولى) براك (والثانية) سانبكور
(والثالثة) جوهر (والرابعة) باهنك وأراضهم غير مخصصة لكن هاهنا معادن غنية
وأشجار الافيون كثيرة فتجارتهم فيه مع الصين واسعة وقد استولى الانكليز على جهات
من هاته المملكة منها مدينة ملقا

* الفصل * الحادى عشر

﴿ المملكة الحادية عشرة ﴾

هى مملكة الصين وهاته المملكة هى أكثر ممالك العالم سكانا وأغناهم لاحتوائها

على أقاليم مختلفة ففيها جميع أنواع النبات والمعادن وتجارتها تسعة مع جميع الاقطار ولا هاهنا شهرة قديمة في الصنائع وأهمها صناعة الخزف فانما الشهرة تنبت باتقانه على جميع النواحي فيتنافس الناس في اقتنائه أو في الخزف الصيني تنافسا كلياً وبعضهم يبلغ به درجة خارقة للعادة وللاعتدال سيما في أوروبا وحتى تجد الواحد منهم يزين بيته بتصريف تلك الاواني التي تتكلف عليه بمئات الالوف وكذلك ملوك الهند وما والاها يتنافسون في اقتنائه ارفع من أواني ذلك الخزف وقديماً لمع ببعض الناس اشتراء صحن واحد بألف فرنك فما فوق وعلى وجه العموم كل الناس يرون رفته وحسنه غير أن هاته الصناعة الآن انضطت في هاته المملكة عملاً كادت عليه بكثير لعدم الاتقان السابق فالتنافس والتغالى انما هو في الخزف القديم وله صفات كثيرة تميزه عن غيره فانما هو وان كان كثيراً لكن النور يظهر من ورائه ومنها أنه اذا ضرب عليه يكون حسن طمينة كأنه طين معدن مطروق من المعادن العزيزة ومنها حسن اللون فيه كما أنهم لهم اتقان في صناعة النقش والتصوير في سن الفيل وغيره (واما المعارف والعلوم) فالظن أنهم كانت لهم في القديم فنون كثيرة وبتيت فيهم الدعوى فقط بحيث يرون انفسهم أعلم أهل الارض لكن في الواقع ليس لهم الا شيء من الحكيمات والنجوم مفرمون باستخدامه في علم الغيب وأشبهه مما لا طائل تحته وحدث فيهم أخذ بعض الطبيعيات عن الاور وباوين واستخدموها في منافعهم كالبخار والكهرباء لكن لم يتجاوزوا الى الآن المقدار الذي أخذوه ولم يخترعوا شيء فيه وقد كانوا اكتشفوا بيت الابرّة وقد أثبت بعض المؤرخين أنها من اختراع العرب كما أن أهل الصين اخترعوا البارود ولم يعرف أنهم استعملوه في حرب قبل استعماله فيها عند غيرهم وانما كانوا يستعملونه للاصلاح كذلك النبال وغيره وان وجد من آثار سلاحهم قديماً ما يدل على أنهم كانوا يستعملونه فيه وأول ما عرف البارود في جهاتنا من العرب سنة (٧٣٧هـ) هجرية وموقع هاته المملكة من مبدأ الشطوط الشرقية من آسيا على المحيط الشرقي الى ان تتصل بأملاك روسيا ومن الجهة الجنوبية تمتد حتى من جبال همالاى الى سيبيريا من جهة الشمال فهي حيت تتحد اتحاد الهند من شمالها وما والاها من الممالك الشرقية منه وعدد سكان هاته المملكة نحو المثلث من سكان العالم كله وهم على ما تحرر في سنة (١٢٨٦ هـ و ١٨٦٩ م) قريبا من خمسة مائة وسبعة وثلاثين مليوناً من النفوس وهذا المقدار يساوى نحو الضعف من سكان أوروبا كلها ومع هاته الكثرة التي

هم عليها كانوا في السالف لا تكاد تجد منهم خارج ممالكهم الا النادر القليل لعجائبهم
 بأنفسهم ولان اصطلاحات احكامهم تمنع الخروج من الوطن الا باذن خصوصي مع
 التشدد فيه حتى يتبين وجهه أكيد لمريد السفر ثم مع ذلك اذا غاب المسافرين عن وطنه
 مدة ثلاث سنين يمنع من العود اليه والدخول فيه كما ان من احكامهم منع دخول اجنبي
 الى ارضهم الا برخصة مخصوصة فاذا نالها كان أين ماحل مكر ما عروسا (وأما) اذا دخل
 بغير رخصة فلا يأمن على نفسه سيما من الحكمة وقد بقوا على هاته العوائد الى واسط
 هذا القرن ثم اطاق الاذن لمن يريد السفر فصار يخرج منهم الكثير الى الهند وجزائره
 والى امريكيا والجارجون لهم براعة في التجارة وتكاثر الجارجون لضيق الارض بهم حتى
 انهم في وطنهم يضطرون الى السكنى على الالواح في الشطوط بل انهم يجعلون على الالواح
 بساكن لان الارض لا تكفيهم لا كثرتهم واتقانهم لتجربهم بالفلاحة حتى انهم يعملون من
 أنواع السمقين ما لا يعلمه غيرهم الى الآن وهذه المملكة تنقسم الى ثمانى عشرة ولاية
 تسمى كل واحدة منها بلغتهم سنفقا (وأولها) المحتوية على تخت السلطنة تسمى باكنغ
 أوبا وتايشى أوبى ويبلغ عدد سكانها أربعين مليوناً ثم ان كل ولاية تنقسم الى أوطان
 يقال للاحاد منها بلغتهم فوو وكل وطن من هاته ينقسم الى أجزاء تسمى كل واحد منها
 تشيو ثم كل جزء ينقسم الى أقسام متعددة صغار تسمى هيان وكناو ويعنون اقامة نواب
 الدول الاجانب في ممالكهم فضلا عن قاعدتها وحيث كانت دول أوروبا في هاته القرون
 الاخيرة لهم مزيد الاعتناء باساع تجارتهم طلبوا من تلك الدولة الاذن لتجارهم بالاستغال
 في المملكة والاقامة بها كما يقيمون سفراء لهم عندها وبعد مشقات شديدة حصلوا على
 الرخصة في وفود تجارتهم لكن بخصوص مراسى معلومة على البحر وكذلك السفراء على
 شرط أن لا يبيت أحدهم في البلد أو في البرواغسا يبيتون في سفن حول الشاطئ ثم
 في واسط هذا القرن أرادت الدول زيادة اساع الخططة والتقدم في الاتحام بأن يكون
 لتجارهم الدخول الى دواخل المملكة مع التعهد من الدولة بحمايتهم وأن يكون
 سفراءهم يقيمون في قاعدة المملكة وحيث كان أهل الصين أشد الناس تحفظا على
 هوائدهم امتنعوا من ذلك وجرت من تجاسر الاوروبين مهاوش قتل فيها منهم كثير
 من وجد في مراسى المملكة مخالفا لاذن له فيه فتعصبت حينئذ دولتنا انكلترا وفرنسا
 على محاربة الصين وحاربوهم فما كانت بضعة أشهر حتى وصلت عساكر أوروبا الى
 قاعدة المملكة وعقدوا صلحا على نحو ما طلبوا وبهذا يقيمون للطلاع حالة أهل المملكة في

الشجاعة والفنون الحربية لانهم مع كثرتهم المفرطة قهرتهم دولة الانكليز والفرنسيين
بمساكر قليلة لما لا يخفى من كثرة البعد بين اورو با والصين سيما وقد كان ذلك قبل فتح
خليج السويس الذى سبأى الكلا م عليه فى المقصد ان شاء الله تعالى فى كان طريق
الوصول انما هو رأس الرجاء الصالح نعم ان لكل من الدولتين مراكز بيعة فى الهند
لا سيما دولة الانكليز التى مملكتها فى الهند اعظم من مملكتها فى اورو بالمكن بهم بلغوا
ما بلغوا فلو كانت دولة الصين على كثرة سكانها لاسعدت البحر بمى مع الرجولية
فى السكان لا مكن لهم الفيضان على جميع العالم فضا لاعتن المدافعة عن نفسها وكان
السبب فى عدم اقتدارهم كثرة استعمال الافيون الذى هو مصيبة عامة فيهم وتبائع
بعضهم بمبالغ نسئل الله تعالى منها اللطف والحماية غير ان هاتيك الحالة لا تعم جميع
اقسام المملكة وذلك ان هاتيك المملكة الرحبية تنقسم الى ثلاثة اقسام كبرى (الاول)
منشورية وهى الوجهة الشمالية الشرقية من المملكة (الثانى) المقاطعات الثمانية عشرة
وهى الوجهة الشرقية والوسطى من المملكة وهى الصين الاصلية وتغلب عليه اهل القسم
الاول ثم تغلبوا على القسم (الثالث) وهى الاملاك الاضافية مثل المنغول والتبت
وغيرها وصار الجميع مملكة واحدة معروفة بالصين فأهل الصين الاصليون هم الذى
تغلب فيهم الصفة المتقدمة ذكرها واما المنشورية والمنغول وغيرهم فانهم اقوياء واشداء
لا سيما التتر المنغولى (ولهذا) كانت اساطنته لغبر الصينيين الاصليين ولما تفتظنوا
فى السنين الاخيرة لما حققهم من قهر الارو با وبين لهم مثل ما تقدم من جهة انكلا
وفرنسا ومن جهة اخرى قهر الروسيا لهم من جهة الغرب الشمالى وجبايتها بعض
ممالك التتر المنغول منهم جندوا الآن فى الاستحضارات الحربية حتى روى بعض
الاورو بايين عنهم انه قد حدثوا ترتيبا فى القوات الحربية يمكنهم من احضار خمسة
ملايين من العساكر تحت السلاح وشروعوا فى الاستيلاء من الاكلا الحربية وجلبا من
اورو با على الطراز الجديد كما فتحوا معامل فى ممالكهم لاجل ذلك وكذلك القوات
البصرية استحضروا منها فى ممالكهم معامل لاجل السفن والمدافع والترويد
واستصنعوا فى اورو با كثيرا منها فان تم استحضارهم على نحو ما تقدم يمكن ان يصيروا
على حالة الهجوم بقوات متجعة (واما لداينة) فانهم ليسوا على دين واحد بل على
(ثلاثة اقسام) كبرى (أو لها) وأقدمها الدين الذى أسسه حكماءهم المسمى
عندهم بمبو قبل انه كان أول سلطان فى عائلته هيا وذلك قبل هذا التاريخ بنحو أربعة

آلاف سنة وعقائد هذا القسم وفروع عباداته لهم فيها تاليف يعتبرونها كالتنكاب
سماوية وفي القرن السادس عشر قبل التاريخ المسيحي هذب لهم تلك الديانة حكيمهم
المسمى كنفوتسي ومضمون هاته العقائد الاقرار بالحال في سبحانه وتعالى وبالخشع ومن
أخلاقهم الساجدة ولا يفصمون على ديانتهم أحدا ولا يحتملون ديانة من خالفهم في القسم
الثاني هو الدين الذي أسسه حكيمهم لاوتسو ومضمون عقائدهم القول بالتناسخ
وعدد أتباع هذا الدين نحو مائة مليون في القسم الثالث الدين الذي أسسه حكيمهم
المسمى فوإوصا كما أوردته ويعرف بالذهب البدهي وكان أول ظهوره أواسط القرن
السابع قبل الميلاد وعندهم من الكتب تاليف عديدة منقسمة إلى مجموعتين (أحدهما)
يقال له عند جور وهو مائة وثمانية مجلدات والثاني يسمى دندجور وهو مائتان وأربعون
مجلدا ويوجد من كل منها نسخة تامة بمكتبة باريس الكبرى قبل أن المجموع (الثاني)
اشترته دولة الفرنسيين بأربعين ألف فرنك كما أنه يوجد أقسام أخرى من البيانات
كالبراهمة وغيرهم من عبادة الأصنام أو النصرى واليهود والديانة الغالبة فيهم هي
البوذية وهي نوع من الوثنيين كما أن فيهم تسمعا عظاما من المسلمين يبلغ إلى ما ينيف عن
الستين مليوناً في هؤلاء نحو أربعين مليوناً متدربين في الممالك أصنامهم من الإلهي ومن
العساكر المسلمين الذين جاءهم تلك الصين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور
حيث ثارت عليه رعاياه فاستنجد بالخليفة على أن يؤذى إليه معلوما إذا أنجده فأرسل له
أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه وجازاهم عن ذلك بجواز إقامة
في مملكته مع جواز التزوج ببنات الإلهي ومصاهرة الأعيان وإعطائهم ما يحتاجون
إليه فأقاموا على شروط وهي استئقلاهم في إدارتهم الخصوصية وعبادتهم وأشهارها
فجاز لهم مطالبهم لكن فرقهم على المدن العظيمة في مملكته وصار في كل مدينة مدينة
مستقلة بالمسلمين على حسب كثرتهم وقوتهم مستقلين في أحكامهم الخصوصية مشهورين
أشعائر الدين ولهم قضاة وأئمة بحيث لا يتداخل فيهم الحكم الصيني إلا في عموم السياسة
ومنهم في مدينة باكين قاعدة المملكة نحو عشرين ألفاً ولهم جامع ضخم قديم حسن
جدا ويسمونه بالعتهم هم هوى هوى ومساجد أخرى نحو العشرين منها اثنتان لاهل
الشيعية حيث حدث فيهم هذا المذهب في القرون الأخيرة وأعظمهم أهل سنة على
مذهب أبي حنيفة وكذلك بقية المسلمين في الصين مثل ما ذكر من القسمين ومن عادات
هؤلاء المسلمين أن ينشروا في رأس كل سنة تقارير تفتش على بيان أوقات الصلاة مكتوبا

بأعلاها من أركان الاسلام الخمس كلمة الشهادة والصلاة والزكاة والصوم ولا يذكرون
الركن الخامس وهو الحج قال بعضهم -م ان علماءهم أسقطوا ذلك لعدم تحصيل مشقة
الطريق لعدم مسافة الحج عندهم وأظن أن علة منع الخروج من ممالكهم هي الباعث
على ذلك والأفليست مملكة الصين بأشقى في السفر من أهلها إلى سمطرا وأقصى الغرب
ودواخل السودان فجرت على ذلك عاداتهم -م ولو بعد انتفاء المانع وسهولة السفر بحرا
في البواخر ومن عاداتهم -م أيضا أن يكتبوا على أبواب الجوامع خواي خوى ثاغل أى محل
الجماعة الاسلامية وأن يكتبوا تسعين جسنا سواى معبد الاله الحقيقي ويسمونه علماءهم
لا وجوه أى المعلم الأكبر وأما أهل الصين فيسمونه جوامع المسلمين ليطاسواى محل
العبادة الاسبوعية وحيث كان الدين الاسلامي لا يجوز منا الحكمة المشركين أسلم كثير من
نسائهم بل وطائفت النساء وتزوج بهن المسلمون وتناسلوا الى ان بلغ عددهم -م نحو
الاربعين مليوناً في هذا العصر ولم يزالوا على الاستقلال الادارى حتى حكى طرفا منه
ابن بطوطه وهم عليه الى الآن ومن المسلمين أيضا أقسام في الجهة الغربية والغربية
الشمالية من المملكة فتم -م المجتمع مع والمفترق وتسلطت على ممالكهم دولة الصين ولا
يزالون ينتهزون الفرص للخروج عنها فتارة يفتككون من ذلك وتارة تعود للاستيلاء
عليهم مثل مملكة كاشغار في الجهة الشمالية الغربية فقد استقلت تحت ملك في عشرة
الثمانين ومائتين والف وهو الامير يعقوب خان الذي ولد في جوار نشة هند وحصل العلوم
في سمرقند واشتهر في أعظم مدارس بخارى مع مهارة في السياسة أهله لان يكون مشيرا
مطاعا عند امير خوقند وأرسله حاميا لمهاجرات الروس على قاعدة اكتشيت ثم توجه الى
كاشغار للعرب مع الصفيين وحصل على انتصار عظيم أو رث له شهرة وثقة من المسلمين به
هناك وطمع في تعويض مملكة سلطنة الصين بمملكة اسلامية وكسر لهم جيشا فيه
أزيد من مائة الف مقاتل واستولى على جهات معتبرة حتى ارتعدت منه مملكة الصين
في سنة (١٢٩٣) وحيث كان بين عدوين مال الى مسالمة الروس باعقد معهم معاهدة
تجارية ورام احكام وحدة الاسلام فيما يبع بالخلافة للسلطان العثماني وتلقبه الدولة
العثمانية بالامير أراد باع الخليفة وجاب هو من قاعدة الخلافة معلمين للفتون الحربية
والصناعات الهندسية ونظم الجيوش فاخرتمه المتية قبل رسوخ المملكة وتناحر بنوه
وتسموا المملكة فانتهزت دولة الصين الفرصة واستولت على الجميع والى الاسن أحواها
مخضومة (وهكذا) أنشأت دولة اسلامية في واسط الصين يميل الى الغرب تحت
سلطنة

سلطنة رجل يسمى السلطان سليمان في حدود السنين المذكورة وجعل قاعدة مملكته
مدينة طابقة وانشاء السلاح في مملكته وطلب التعرف به من الدول وانه متساطن على نحو
الستين مليوناً من مسلمين وغيرهم فلم يكن الاحكام انتزعت منه السلطنة (ومن عجائب) *
مملكة الصين السور العظيم الذي يبتدئ من الشطوط الشرقية ويمتد نحو وسط المملكة
الى حيث العرض أربعين درجة شمالية والطول تسعة وتسعين شرقاً فمجموع
طوله نحو ألف ومائتين وخمسين ميلاً ومملكته من الاسفل نحو خمسة وعشرين قدماً ومن
أعلى نحو خمسة عشر قدماً وارتفاعه ما بين خمسة عشر الى عشرين قدماً وفي أماكن منه
حصون يبلغ ارتفاع بعضها الى أربعين قدماً وهو مبني بالحجارة والآجر والقرميد وبعض
أماكن طين فقط ببناء بعض ملوكهم قبل التاريخ المسيحي بنحو مائتي سنة وعشرين سنة
قاصداً به رد المهاجمات على المملكة الصينية الاصلية من المغول والقبائل الشمالية ولم
يحمده نعماء اذ هم الذين تسلطوا على المملكة والسور الآن خراب في جهات كثيرة وقد غلط
من توهمه السد الذي بناه ذو القرنين لمنع فساد بأجوج وما أجوج محتجباً على ما يقول
بان ايس في الارض سه ورذو عظيمة غير ذلك ورد قوله ظاهر لان الصفات المذكورة
في القرآن للسد غير الصفات التي عليها ذلك السور ثم ان صفات أجوج وما أجوج *
المذكورة في النصوص المروية غير موجودة في أولئك الاقوام ودلت النصوص أيضاً
على ان ذلك السد يدك قرب الساعة وتحدث منهم حوادث لم تظهر الى الآن فلا يكون
حينئذ ذلك السور هو السد ولا يخفى ان بعض الارو باو بين الآن لهم دعوى مثل بقية
البشر الغير متبصرين من العجائب بما هو عليه وادعاء بلوغ النهاية في العلوم حتى انهم
انكروا وجود السد لدعواهم ان كرة الارض صارت الآن معلومة ولم يجدوا فيها السد
فهاته الدعوى هي في الواقع مبالغتهم وانما يقال ان اكتشافهم الآن لاكرة أكثر
من اكتشاف الامم السابقين الذي وصات اليها مؤلفاتهم وان احتمال اطلاع غيرهم على
ما طاع عليه الآن أو أكثر لكان لم نجد لذلك أثراً ولا يلزم من عدم وجود الدليل
انعدام المدلول أما الاحاطة بجميع كرة الارض وعلم جميع ما فيها فهو غير مسلم لوجوه منها
ان جميع علماء الجغرافية نصوا في تأليفهم أن جهة القطبين لم يمكن الاكتشاف عليها
الى الآن وأن المجهول جهة القطب الجنوبي أكثر من المجهول جهة الشمال لانه أي
الجنوبي أشد انحرافاً عن وصول الاشعة الشمسية اليه مستقيمة ومنها ان الاكتشافات
لا زالت تنمو شيئاً فشيئاً فانه منذ أربع مائة سنة لم تكن أمريكا معروفة وكان علماء ذلك

العصر يرون أن ما وراء شطوط القارات القديمة إنما هو بحر صرف حتى أن من ضمن
في وجود عمران وراء ذلك سخر وأمنه تارة وأصله هذه جهلاء علماء الديانة تارة أخرى كما
وأقوى الكلام عليه في أحوال أمريكائهم تبين باواقع وجود ذلك العلم - وإن الذي يحسب
القسم الثاني من أقسام الأرض ثم منذ ستين سنة اكتشفت أسرارها التي هي
القسم الخامس من القارات ولا زالت الاكتشافات تتتابع إلى الآن في أمريكافى
غيرها ومنذ أربع سنين فقط اكتشف سواح الأنديز خزانة صغيرة جهة الشمال
معمورة بمخاق صغار الجحش فطس الأنوف كبار الأذان بأكلون نوعا من السمك ويلبسون
جلده ويوقدون عظامه وكذلك اكتشف منذ قريب قوم من البشر على نحو تلك الصفة
في شمال أمريكيا الشمالية ينحتون من جبال الثلج بيوتاً ويجعلون لاطواقى المنفعة للضوء
قطعاً من الثلج الصفيق لكي لا تمتنع الضوء وتقيمهم مروراً بالرياح (وهكذا) لزال
الاكتشاف يتتابع وما يعلم جنود ربك إلا هو ومن تأمل سياق الآية الكريمة في حكاية
حال ذى القرنين إلى بلوغه إلى ياجوج وما جوج ذلوله من السياق انه - من جهة أحد
القطبين (اذ قال تعالى فاتبع سبيما حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
جحشمة ووجد عندها قوما فاما اذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما
من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء
الحسن وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سبيما حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً كذلك وقد أذننا بعذابهم ثم أتبع سبيما حتى
اذا بلغ بين السدين وجدهم من دونها قوما لا يكادون يفقهون قولاً قالوا يا ذا القرنين
ان ياجوج وما جوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم
سداً قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً أتوفى زبر الحديد
حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جاء له نارا قال أتوفى أفرغ عليه قطراً
فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً قال هذا رجة من ربي فاذا جاء وعدى ربي
جعلهم دكا وكان وعدى ربي حقاً الآية) فذكر أن ذا القرنين اتخذاً أولاً طريقاً إلى أن بلغ
منتهى الأرض من جهة الغرب فوجد الشمس هناك تغرب في ماء أسود كأنها
بالحمأة أى الطينة السوداء وهو والله أعلم البحر المحيط الغربى لشدة عمقه يترآ أنه
أسود وهى عينا نظر إلى سياق عظمة قدرة الخالق وما طالع عليه ذا القرنين الذى البحر
المذكور بالنسبة اليه ما هو الا كالعين إلى آخر الآية ثم ذكر أتباعه لطريق آخر وصل

به الى منتهى مطالع الشمس من الارض وقص ما وقع هناك أيضا ثم ذكر انبعاثه لطريق آخر فظاهر السياق أنه غير المشرق وغير المغرب فهو حية ثم إلى أحد القطبين وهو الذي ذكر فيه قصة أبجوج ومأجوج وعلى ذلك فذو القرنين سافر إلى أقاصى ثلاث جهات من الارض والله أعلم أى القطبين الذى هو الجهة الثالثة ويؤيد هذا الفهم المأخوذ من السياق ما روى من أن سيدنا الخضر كان وزيرا لذى القرنين وأنه اجتاز معه أرض الظلمة حتى وجد بها عين الحياة المخ وأرض الظلمة لا تكون إلا فى أحد القطبين أو ما قاربه لأنه هو الذى بطول مغيب الشمس عنه كما هو معروف عند الحكماء والفقهاء وبني عليه هؤلاء أحكاما فى الصوم والصلاة مقررة فى دواوين الفقه وليست هى أرضا غيبا والمعروفة وإنما أتمها الظلمة مما أشرنا اليه ثم إن قارات الارض ان كانت اذ ذاك على حالتها الآن ربما تنقضى ان القطب الذى وصل اليه هو الشمالى هـ - هذا اذا كانت هيئة الارض اذ ذاك هى على نحو ما عليه الآن أما اذا كانت على شكل آخر فيمكن أن يكون القطب هو الجنوبي أيضا وانما قلنا هـ - لان الارض تتغير أشكالها على طول الزمان بما يحدث فيها من الزلازل العظيمة وانخفاض جهات من اليابسة وارتفاعات فى جهات من البحر (وهكذا) فان امرىكا على ماسياى كانت متصلة بقارة آسيا من جهة بوغاز بن بل ان جهة من ممكة تونس الشرقية تسمى برج بالشاطر فى عمل بن زرت كانت قديما مرسى السفن فى دولة القرطانيين والآن صارت محترقات خصبة والبحر يبعد عنها نحو خمسين ميلا وكذلك فى الجهة الجنوبية جنوى الجريد كان فيها بحر يدخل الى دواخل القارة الافريقية والآن صار صحراء وهى المسماة بالصحراء الكبيرة وسياى بقية الكلام عليه فى الكلام على تونس وكذلك خليج السويس كان بحرا موصلا بين البحر الابيض والبحر الاحمر ثم سد ثم فتح الآن على ماسياى الكلام عليه أيضا فى محله (ان شاء الله تعالى) فقد قال المفسرون فى قصة سيدنا (موسى) وسيدنا (الخضر) عند (قوله تعالى) حتى أبلغ مجمع البحرين الآية ان المراد بمجمع البحرين هو محل اتصال بحر الروم وبحر فارس وهل ذلك الامن السويس أو من مكان آخر من آسيا اليابسة وهو أيضا يفيد المطلوب فمقلب حالات الارض لا تبعد أن يكون سديا جوج ومأجوج جهة القطب الجنوبي الذى هو وما قاربه أكثر مجهولية من الشمالى سيما وأنار سلسلة الجزائر الى استراليا كالآثار الدالة على الاتصال ويؤيد أنه فى أحد القطبين الصفات التى ذكرت لبأجوج ومأجوج فى خلقهم فى الاحاديث الهجعة كما فى البخارى وغيره من الصحاح

وهي صفات تقرب كثير من الصفات التي وجد عليها أهالي الجزيرة التي ذكرناها قريبا
جهة الشمال واكتشفها الانسكايز وشاع أمرها وذكرها في صحف الاخبار وسمت
في خارطات الجغرافيين ووصول ذى القرنين الى هاتيك الجهات وما وراءها ليس
بغريب أما أولا فلا أن حرارة الارض اذ ذاك ليست هي التي عليه الآن بفوهات القطبين
لم تكن على هاته الدرجة من البرودة ولذلك أدلة مسلمة في كتب الجغرافية الطبيعية
خلاصتها على مذهب المتأخرين الذي لا يخالف الشرع ان هاته الارض كانت
كوكبا نائرا ياتم انطقت طبقتها العليا ولا تزال تنخن تلك الطبقة وعلى قدر فئتها تبرد
وتنحصر الحرارة في جوف الارض ومركزها ومهم ما وصلت الطبقة الى درجة من الاعتدال
الصالح لخلق من مخلوقات الله بخلافه الله فيها (وهكذا) على التدرج الى أن تم ما أوجده
الله فيها واضمححل منها من أنواع الحيوان ما لم تنق صالحه كنوع يشبه الفيل وهو
أضخم منه وأنيابه مرتفعة الى فوق فانه الآن انهم هم معروف من الارض
واكتشف على عظامه في طبقات سفلى من الارض بالحفر جهة سيبريا ويشهد بذلك
هذا القول الاحاديث الواردة في التكوين وأن (آدم عليه السلام) خلق بعد الارض
بعدة طويلة وأن الخيل خلقت قبل (آدم عليه السلام) بكثير الى غير ذلك من الصفات
الواردة عن الشارع في كيفية التكوين وقد وجد في سيبريا من عظام الحيوانات التي
لا تعيش الا في الارض الحارة كالفيل وغيره بكثرة مما يدل على أنه ليس بمحبوب وانما هو
حيوان أصلي هناك ما يقتضي بأن تلك الجهة كانت حارة ليست على ما هي عليه الآن من
شدة البرد فيحتمل أن زمن ذى القرنين كانت الحرارة معتدلة هناك حتى يمكن الوصول
الى تلك الجهة بلا مشقة ولا يقال ان النار من زمن ذى القرنين الى الآن لا تقتضي
هذا التغير الكثير لانا نقول ان ذاك القرنين هذا هو عربي كثير ذكره في أشعار العرب واسمه
الصعب ملك من ملوك العرب العرباء معاصر (لابراهيم عليه السلام) أو بقرب منه هذا
هو الصحيح وان غلط الرازي وغيره في توهمه انه اسكنه المتمدن ومقدار زمنه لا يمكن
الوقوف على تحقيقه وذلك ان ذاك القرنين كان قبل (موسى عليه السلام) بكثير حسبما
تقدم في كون (الخضر عليه السلام) وزيره وهو الذي عاش وتعلم منه (موسى عليه
السلام) وجميع التواريخ القديمة يعتمد فيها المؤرخون على التوراة وهي قد وقع فيها
التحريف قطعاً في كثير من الآيات لاسيما ما يتعلق بالتسارع في حركتها ولا يلائم
لغلط ابن خلدون في دعواه عدم التحريف بعد ما بينه بالعيان رحمه الله الشرح رجمة
الله

الله قدس سرته في كتاب اظهرا الحق من الاختلاف الكثير في التاريخ بين نسخ التوراة
القاضي بعضها باجتماع (نوح و ابراهيم) وبعضها بالبعد الكثير بينهما وحرره
مؤرخوهم أنه سنة (٣٥٢) مع ان العبرانية تقضى باجتماعهما لان نوح مات بعد
ولادة (ابراهيم) ٥٨ سنة والسامرية تقضى أن (ابراهيم) ولد بعد موت
(نوح) ٩٢ سنة واليونانية تقضى انه بعده (٧٣٢) سنة والاولى بخلافها
الاجماع والآخر بينهما التناقض التام وغاية المحقق أن (ابراهيم) لم يجتمع (بنوح)
في عصر (عليهما السلام) والاخوة لافات على هذا النمط وعدم التكرير في النواحي
كثير جدا فلا اعتماد حديثه على ما هو موجود من التوراة نعم أن متأخرى المؤرخين
قد اعتمدوا هذا الفن وحرروه باستدلالات من الآثار القديمة والاطلاع على لغات قديمة
لم يكن لم نطلع الى الآن على أدلة وجودها تثبت مدة زمن ذى القرنين على فرض تعيينه
وكم عدد السنين بينهما وبينه وأما نينا فلا يبعد أن يكون لذى القرنين اذ ذلك من آلات
جل الانتقال وتيسير السفر ما لا يبعد لم الآن ويداعبه (قوله تعالى) في حقه (انما مكانه
في الارض وآتيناه من كل شيء سبيما) مما يقتضى اتساع اقتداره ونهيه الاسباب
لمقاصده كعلم جلال الانتقال مثلا الذي شوهدت الآن آثاره مما لم يقدر عليه متأخروا
هذا العصر وكذلك الخت للقطع المسألة التي لم تعلم كيفية قطعها وبنائها سيما وقد
وجد في مصر من صورة الملك الكهر بائي والرتل ما يقتضى علمه سابقا مع صور آلات
أخرى غير مملوءة كما سبأ في الكلام عليه في أحوال مصر فيمكن أن تكون حالة
الارض على هيئتها هاته ولذى القونين وعلمائه وحنوده من المعارف والآلات ما تيسر
لهم به الوصول الى الاماكن الصعبة مما لم يعلمه الآن وأما قول بعض المؤرخين ان
الواتق من بنى العباس أرسل معتمدين الى السد وقاسوا بابيه وقفله الى غير ذلك من
الصفات التي ذكرت له فان لم يكن على ثقة منه ولم تعتمد عليه سيما ولم يعين أولئك
المؤرخون مكانه وانما يقتضى كلامهم أنه في الجهة الشمالية الشرقية من آسيا
فلا يبعد أن يكون ما وصلوا اليه هو سور الصين واذا فرضنا انه هو المراد بالسد في
النصوص الواردة يلزم جل الصفات المذكورة فيها على بقاع من ذلك السور كما يكونه
من زبر الحديد ومفرغ عليه النحاس والصدفان (حديثه) طرفان من ذلك السور كما
تأول صفات بأجوج وما أجوج الى ما يصح اطلاقها به على التور والمذكورة ويكون
وعدا الله الذي يدل فيه السد هو قرب الساعة ولا شك أن الساعة قربت كما أعلم به

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) في قوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة
والوسطى كناية عن مزيد القرب وكما (قال تعالى) اقتربت الساعة وأنشأ القيامة
فبأبقي من الدنيا بالنسبة الى ما مضى شيء قليل جدًا والطيبعيون أنفسهم مقررون بذلك
لما يستدلون به من كيفية تكوين الارض وارتباطها بالاجرام العلوية (وحينئذ)
يكون الفساد الموعود به في النصوص من أولئك القوم هو ما وقع من التثاقل المغولي من
الفساد في الممالك وكفي بوقائع جنكس خان وماعناه هو وأصحابه في الدنيا مصادقاً
لذلك فان من له الملم بتاريخه يرى فيه العجب العجيب وهي مصيبة عظيمة لم تحدث على
المسلمين مثلها وانما تطاول الزمان وعدم علم الجمهور بها والذي لم يصبر لها اعتباراً
الآن وكل هذا الاخير مستبعد وانما يلزم المسائل اليد اذا فرضنا الاحاطة حقيقة بجميع
أما راف الارض والحاصل انه مما وجدنا ناصعاً الصادق يلزم التسليم اليه والتصدق
به فان وجدنا ما يخالف فهمه في الوجود وجب فهمه على مقتضى الوجود اذ يستحيل
مخالفة خبره للواقع وقد نص على هذا العلماء الراصفون ومنهم من سجد الدين التفتازاني
في البلوغ (ثم ان) المملكة الصين من الانهر العظيمة الحاملة للسفن الشراعية والبحرية
ما أغناهم عن تكثير الطرق الصناعية في الارض (وأما الجهات) التي لاتصل اليها لانهر
فانهم يصنعون فيها ترعة متصلة بالانهر ميسرة للسير وحمل الاثقال حتى ان منها ترعة هي
من عجائب الدنيا لمولها نحو سقانة وخمسين ميلاً وصنعت في عدة أجيال من الجيل
السابع من تاريخ المسيح أى القرن الثاني الهجرى الى القرن الثامن من الهجرة ولم
تحدث فيها الطرق الحديدية الى الآن (وأما المعادن) فعندهم أغلب المعادن
المعروفة ولكنهم أقللة مهارتهم في استخراجها وتصفيها يجتاجون الى جابه من خارج
(وهكذا) نباتات هاته المملكة فيها أغلب نبات المعمور لا تساعها واختم لاف أقاليمها
وكذلك الحيوانات والهواء وقاعدة المملكة هي مدينة باكين التي هي من أعظم مدن العالم
سكانها أزيد من ثلاثة ملايين ولها سور يحيط بها وأغلب أبنيتهم طبقة واحدة مقسمة
الى عدة أقسام الاقصو المولك ففيها طبقات والاهلى يتزوجون امرأة واحدة شرعية
ويخذون غيرها كالسرارى على انهن خدعات لها ولهم شاراك في التماخر والدلالة على
البيوتية والغنا منها ان الأغنياء والا كبر يخادون الى اراحه حتى لا يكادون يتحتركون
وتغاب هاته الصفة في نسايتهم فكان من عجائب عاداتهم فيمن ان بنت الاعيان اذا ولدت
يحملون لها حذاء من حديد أو ما أشبهه من الاشياء الصلبة ويلبسونه لها في سن المهد

وتترك

وتترك كذلك الى انتماء شديدا بها فتكون أقدامها صعبة جدا بحيث لا تستطيع المشي وكذلك كفوف يديها حتى لا تقدر ان تشتغل ولا ترفع شيئا مع الاعتناء بقصصها فنصير ذاتها ضعيفة وكفها وقدمها في غاية الصغر دالة على أنها لا تحتاج لاجل شيء بنفسها وكل الضرريات وغيرها فاعمالها الخواص في صومعون مساطب لمجاها على الاعناق عند ما تريد المشي الى جهة كانت وهكذا جميع الحركات ويسهكون من الخدم على قدر البسطة في المال والمجاه وعادة العمل على الاعناق عامة حتى في الرجال الكبار والاعنياء وهاته الخلقة جارية أيضا في أهالي الهند (وأما حكم) هاته المملكة المتسعة فهو يرجع الى عامل واحد ذي حكم استبدادى مطلق وله وزراء يدبرون ويحرون أمر المملكة على ارادته ثم في الجهات أمراء مستبدون في التصرف في أماراتهم تحت أوامر السلطان العام لذى يقد و يعزل منهم حسب ارادته ومع ذلك الاستبداد فانهم يحتفظهم على العوائد القديمة تجد كأن أحكامهم قانونية لاجرائهم الحوادث شبه بعضها ولا يتجاسرون على خرق العادات القديمة في جميع تصرفاتهم الا في أمرا كيد عظيم ولما يقع ولهم معتقادات في ملكهم ربحا أدتهم الى اعتقاد الوهية ولهم أيضا دواوين يضبطون بها ادارات التصرف والاموال وأرزاق العساكر فنظر الى مجموع تصرفات المملكة يجدها مشابهة أعظم مشابهة الى الدول القانونية وكان ذلك هو سبب قدم هذه الدولة وعدم تلاشيها الا أن السلطان عندهم وان كان له ان يفعل ما يشاء الا أنه لا يفعل شيئا الا بشاوره رجال دولته وأرباب مجالسهم في جميع الامور ول من أمراته لا تصرف الا بشاوره رجال مجالسهم ولا يتوظف أحد في خطة ايا كانت الا أن يكون من أصحاب العلوم والمعارف الذين هم وجهاء الامة كما يشترط في كل موظف أن يكون متأهلا و جديرا بالخطة التي يتقدها ومن عاداتهم الشبيهة بالقانونية ان المتوظف اذا ظلم أخذ الرعايا ولو في أقل الاشياء يعاقب أشد العقاب بل انهم مطالبون كل على حسب خطئته بما يطرء على الاهالي من المصائب السماوية التي يكون في وسع البشر تداركها كفيضان الانهر وسقوط الجدران وما شا كل ذلك ويعاقبون عليه بالعزل ولهم هيفة رسمية قديمة قيل أن تعرف الصحف في أوروبا يلقون ولها خصوصتين هيفة تنشرها يوميا ولا تحتوي الا على الحوادث الخاصة بدولتهم وتصرفاتهم وحيث كانت الكتابة عندهم صعبة جدا (لانها فيهم) علامات عوضا عن الحروف منها اصلية ومنها فروعية تدل على الكلمات فكانت نحو الفين وخمسمائة علامة وهي المستعملة الآن (أما)

العلامات القديمة التي لم يبق استعمالها الا نادرا فهي نحو أربعة وأربعمائة وأربعمائة
 وتسعة وأربعمائة شكا فلا ذلك كانت معرفة الكتابة عندهم قليلة جدا وقد تعارفوا
 صناعا الطبع قبل معرفتها في أوروبا بكثير وهي على غير الصورة المعروفة الآن فانهم
 كانوا ينقشون الكتابة في ألواح بحيث تكون على عدد صفحات الكتاب الذي يريدون
 طبعه وان شئت قلت ينسخون الكتاب أو الكتابة بالنقش في ألواح يطبعون بها ما شاؤوا
 ثم يدخرونها الى وقت الحاجة فيعيدون الطبع متى أرادوا (وأما) الغناء في الممالك فهو
 كثير لا كثيرة موارد الثروة وكثرة السكان ومع ذلك هو بالنسبة لغنى الممالك المتقدمة ذات
 الصنائع المتحررة قليل نظرا لعظم الممالك وما فيها وقد تقدم ما في عزم دواتها وما شرعت
 فيه من القوة الحربية (وأما القوة المالية) فهي غير معروفة لاختلاف أنواع الاداء
 وتفرقة على أنواع الموظفين كل منهم له كيفية في الاستخلاص على وظيفة من الاهالي

الفصل * الثاني عشر

المملكة الثمانية عشر مملكة الروسيا في آسيا

هاته المملكة تبعد عن الشمال الأقصى من القارة ثم تعطف مع حدود الصين الغربية
 وتصل الى مملكة ايران من شمالها و الى المملكة العثمانية من شرقها فهي متسعة
 جدا ولا تزال تتوسع في الممالك الصغيرة بأواسط آسيا حيث تفرقوا شيئا فصار تغطى
 عليهم بتسلط بعضهم على بعض وانتصارها لبعضهم حتى بقوا شعبا فسيحا بحيث لم يبق
 منهم الا القليل كما سيأتى الكلام عليه بعد وحكمها في هاته المملكة سيدين في الكلام على
 هاته الدولة في ممالك أوروبا وكذلك ببقية التصرفات السياسية وانما نقول هذا أن فيها
 قسما يسمى سيبيريا هو شمالي الصين في نهاية شدة البرد وهو قليل السكان والحيوانات
 الا بعض الحيوانات المتجلمدة على البرد كالذئب الأبيض والذئب الكبير وقد اطاع علماء
 الطبيعة على ان تلك الجمجمة كانت عامرة بأنواع من الحيوانات التي ألفت الجمجمة الحارة
 كالفيل وبعض أنواع من الحيوانات فقدت الآن مثل حيوان أكبر من الفيل ويشبهه
 في الخلقة وله شعر صاب مستطيل يمتد من مبدأ رأسه الى مغرس ذيله يكون مرتعا
 مفرا عن بقية شعر بدنه وله أنياب طوال متجاوزة لشفتيه مثل أنياب الفيل غير أنها
 مرتفعة الى فوق واطلوا على وجود هاته الأنواع هناك بكثرة عنماها في طبقات

سفل من الارض تدل على أن تلك الجهة كانت حارة كما تقدم وهي الآن من شدة بردها
اتخذتها الر وسيا متقى لاصحاب الجرائم الشديدة فما يصلون اليها لا بعد فقدان أكثرهم
في الطريق ومن وصل منهم لا يبقى سالما وتحدث لهم وللسكان الاصليين أمراض
في الاعين من شدة الضوء المنبعث من سطوع الاشعة الشمسية في بيض الثلج المتكاثر
الدائم ويوجد في هاته المملكة أعني بقية مملكة الروسيا في آسيا أنواع شتى من الفراء
العالى وفيها أنواع النباتات المختلف الذي يوجد في أغلب الاقطار الباردة والمعتدلة *
وتجارتها متصلة مع جميع الاقطار لكنها ليست بمتسعة لصعوبة النقل حيث لم تتم الطرق
الكافية الموصلة لشواسع هاته المملكة المتسعة ولأجل انحطاط درجة المعارف والصنائع *
التي يمكن بها منا كبة الاوروبين في هذا العصر ولا يخفى أن مملكة متسعة مثل هاته
تشمل أصنافا من البشر لا بد أن يكون أهاها مختلفا في الطبائع والعادات فالمسلمون *
كالبكر كس والكرج هم أهل شجاعة وتجلد وصبر على اقتحام المشاق مع تعصب لبعضهم
وغيرهم من المسلمين وغيرهم كأهل خيوا والقريم والداغستان هم أيضا فيهم تلك
الصفات غير أنها أقل من سابقهم ودونهم أيضا في التعصب وقد استولت الروسيا على هاته
الممالك تدريجا منذ نحو ثلاثمائة سنة وهي تمتد فيهم شيئا فشيئا ومع كون الروسيا السبمدادية
فالمسلمون الذين طال استيلاؤها عليهم وتناسوا العداءة تعاملهم الآن بالرفق وحرية
الديانة بحيث يكون الاذان والصلوات في المساجد وعقد الانكحة كلها قائمة وكذلك
تعلم العلوم الدينية ولسانهم هو أيضا مباح ولا يتعرض لهم بشئ وتجري عليهم بقية
الاحكام الشخصية والسياسية مثل بقية الروسيين حتى في اتخاذ العساكر منهم. لكن
أكثر العساكر منهم هم على غير نظام مما يسمى قزاق نوع من الجمالة الغير انظمة وأما
المسلمون الذين تساطت عليهم من قريب فتجرب فيهم أنواع القهر والغلظة من الحكم
العسكري البحت ما تنفر منه الطباع وذلك للتحرس من ثورتهم وتربية الجيل الناشئ على
المذلة والخضوع الى حكمها ولله الامر من قبل ومن بعد

الفصل * الثالث عشر

(المملكة الثالثة عشر مملكة هرات)

هاته المملكة موقعتها شرقي ايران وغربي بعض الصين والهند وجنوب الروسيا وشمال

* أفغانستان وكانت تابعة لإيران ثم استقلت عند استقلال أفغانستان وأهلها مسلمون
 سنيون والظن أنها لا تلبث أن تلتحقها بعض الدول المجاورة لها الصغرى بالنسبة إليهم
 والاقرب رجوعها لإيران بإعانة الإنكليز في هاتاه المدة لاتمام مأربه هو في الأفغان
 حيث أنهم موافقون لهم في المذهب ويمدونهم بالأعانة على حرب الإنكليز فذلك أغرى
 * إيران بالحرب لهم والاستيلاء عليهم بيد أن سياسة الروس أعطت ذلك وعدد الأهالي
 مجهول الحقيقة وعلى التخمين أنهم نحو مليونين تحت ملك مسلم استبدادى مطلق من
 ذرية أجدشاه الذى أنشأ في أفغانستان وما والاها مملكة ذات شأن والاحكام الشخصية
 شرعية ولهم أيضا فيها احكام سياسية يمكن النفوذ قليل لان أغلب السكان قبائل رحالة
 فيهم حرية البدأوة هم من أصل التركمان وكانت في المملكة مدن عظيمة في أودية بين
 الجبال التي على جنوبي صحراء خوارزم هدمت كلها بتخريب جنجكس خان القترى
 وقاعدة المملكة مدينة هرات وهي مدينة عظيمة تسقى بنهر يتشعب في شوارعها
 ودورها ولها تجارة حسنة في نتائج أراضيها المخصصة مع الممالك المجاورة وفيها من الثمرات
 كل نبات الاراضي المعتدلة لاعتدال هوائها وسلامتها وكانت مناخا لعلوم ومنذبتا
 للعلماء الافاضل حتى قال ياقوت في المشتهر ان علماءها لا يحصى كثرتهم الا الله وهي
 * الاكن دون ذلك وانما فيها من العلماء حسب الحال ولاهلها من الصنائع الجيدة السيوف
 وآلات القطع لان قنبرانك نقل اليها ما هرى هاته الصناعة من دمشق فبعيت فيهم
 الى الاكن ولهم مهارة في صناعة البسط والاقشة الحريرية ويقال في قوتها الحربية
 * والمالية ما قيل في أفغانستان على نسبة عدد سكانها

الفصل الرابع عشر

المملكة الرابعة عشر هي أمارات التتر المستقيان

* هاته الامارات موقعا غربي الصين وشرقي وجنوبي بعض الروسيا وشمالى وشرقي
 هرات وبعض إيران وجنوب السكانيين وحقبة عددهم مجهول وانما يقال
 على التقريب أنهم نحو سبعة أو ثمانية ملايين وقد كانت الممالك منقسمة الى (خمس)
 أقسام كل قسم مستقل تحت حاكم يلقب بالخان (وهي) خيموه وبخارى ونشقة ندو وقد
 وقبائل التركمان الرحالة المعروفة بتيكي (وأما الاكن) فان خيوا دخلت في حوزة الروسيا

وصارت

وصارت جزأ من ممالكها وان أقيمت لها بعض امتيازات ظاهرة كإبقاء خانها وألقبه
غير أنها في الواقع هي من مستملكات الداخلة في حكمها وتحت أمرها (وأما بخساري)
فهى أيضاً مثل خيوا وغير أن امتيازاتها أكثر منها وعلى كل حال فكلاهما يصح أن يقال
أنهما مستملتان بالادارة الداخلية تحت الامراروسى ويؤدىان له الخراج السنوى ولهما
عساكر بقدر ما تسع لهما به الروسيا للتحفظ على الراحة في المملكة أو لأعانة الروسيا فيما
تأمرهما به (وأما تشقند) فقد صارت ولاية روسية تحت حكم جنرال روسى فهى حينئذ
مشمولة بالكلام الذى سبق في أحوال مملكة الروسيا (وأما خوقند) فلأزالت مستقلة
تحت أمارة تانها وحكمها استبدادى وعدد سكانها نحو مائتين (وأما قبائل التركمان)
فقاعدتها كلها كترهم هى (مرو) وموقعها جهة الشرق الجبلى من بحر قزوين المستملكة
جميع شطوطه الروسيا وعدد السكان نحو مائتين ونصف لكنهم ليسوا خاضعين حقيقة
للخان وإنما هم قبائل لكل منها رئيس وكانهم معاً اختاروا ثلثان أن تلحقا أخواتهما إذ
الحرب الآن قائمة على ساق بين الروسيا وقبيلة تيمكى وقد كسر والروسيا في هذا العام
وهو سنة (١٢٩٧) مرتين انهكساراها الأولى لازالت تستعد لمحاربهم وأخوانهم ممن
استولت الروسيا عليهم وغيرهم ينظرون اليهم كما كانوا ينظرون الى حربهم معهم معاً الى
أن ينفذ حكم الله الذى لا معقب لحكمه وتكون له المحبة البالغة (سبحانه وتعالى) حيث
تفرق المسلمون شيعاً لا غراض والاهواء النفسانية ولم يجروا الشرع في الاحكام
الكلية والجزئية وأخلدوا الى الجهل والتنعيمات الزائلة حتى تمكن العدو منهم
وصارت بلدان الاسلام ومناخ العلوم لعبة بأيدي الاعداء وأصحاب الاهواء (ولاحول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم) فوا أسفاه على بخسارى وممقوند وغيرهما من مدارس
الدينى والفنون والعلوم الدينية والرياضية واهل تلك الدقائق والاستنباطات
والاختراعات لتأسيس العلوم وتهذيبها وتقانها ورحم الله أولئك الرجال الذين عمروا
الارض وجو الدين ولم تزل الأمم تستنفع بعمارهم الى الآن ولم يعلموا بها بل ولم يتعلموها
حق علمها حتى كادت أن تصير في خسران والله يرث الارض ومن عليها وهو خير
الوارثين

الفصل * الخامس عشر

المملكة الخامسة عشر هي ممالك الانجى في جزيرة العرب

هاته الممالك يحيط بها البحر من جهة - ين فن الشرق خليج فارس ومن الجنوب المحيط
 الشرق ويحدها غربا بحجاز واليمن من توابع الممالك العثمانية وعدن التابعة
 لاندونيسيا ومن الشمال العراق العربي للدولة العثمانية وهاته الممالك هي المعروفة
 سابقا بنجد وتهامة واليمامة وأخلاقهم هي أخلاق العرب في هذا العصر من التجرد عن
 أغلب الصفات التي كانت للعرب السابقين وأما الديانة في الجميع فهي الاسلام وأما
 المعارف والعلوم فكاد أن لا يعرف عندهم منها المسمي الا قايلا منهم - في قليل من
 علوم الدين والحاصل أنهم أعمى بقربهم الجغرافيون بستمائة ملاب من النفوس على البدوة
 وأغلبهم رحالة يتقسمون في الاحكام الى شيعة كثيرة يلقب كل رئيس منهم - بالامام كامام
 مسقط وامام رياض بنجد من الوهابيين أعنى أتباع عبد الوهاب الذين ظهر واثي أوائل
 القرن الثالث عشر ناشرين دعوة شيخهم محمد بن عبد الوهاب حيث كان مدعيا بحفظ
 السنة وإبطال البدعة فتجاوز الحدود حتى منع المباح وقويت شوكتة وكثرت أتباعه حتى
 تسلط على الحرمين الشريفين وقطعة من العراق الى كربلاء وسجد على وخرتبه وهدم
 البناء على القبور وأزال الكتابات التي عليها وأراد أن يحمل الناس على الاتباع حتى
 في العادات والاحوال الدينية وان اختلف الاعصار ولم يتقيد بذهب خاص بل انه
 يدعى العمل بالمحدث على مقتضى ما يفهمه وسيأتى ما يتعلق بهاته المسئلة في فصل من
 المقصد عند الكلام على رجوعى من السفر الاول الى باريس وملخص الكلام أن هاته
 الفرقة تجاوزت المقصد الصحيح في الدين الذي ينبغي التيقظ اليه وان كانت تدعيه كما أن
 بعض الرادين علموا تجاوزوا حد ما ينبغي وخرجوا أعمالها كلها عن حدود الشرع بل
 كادوا أن ينسبوا لها الكفر وقد ألف تاليف كثيرة في الرد على مذهبهم من علماء مصر
 وتونس وغيرهم لما استفحل أمر هاته القبيلة واستولت على الحرمين الشريفين ونشرت
 دعواها في تاليف خاص وبقيت على ذلك الى ان تجرد لها ابراهيم باشا من أمراء مصر
 وقهرها وأسر رئيسها سعود بن عبد العزيز العنزي من ربيعة الفرس حيث كان هذا
 من أعظم أنصار الوهابي والقائمين بدينه وانتشار مذهبهم الى ان مات في ضراعية وتلاشت
 من ذلك الوقت تلك الدعوة والدولة ولم يبق لها اعتبار الا في نجد - وأمماها الآن احد
 نسل سعود المذكور وهو في التصرف أشبه بشيخ قبيلة بعيد عن الملك وانه نظامه وشارته
 وهكذا سائر الأئمة المتقاعين بتلك الجهات والاحق أن لا يعتبر واملاكة مستقلة وانما
 يعتبرون كأنهم - مقبائل في أطراف الممالك العثمانية غير خاضعين اليها ولواؤها أحسن

التصرف بالدين والسياسة فانها بارادة الله تضمنهم الى مالكمها وتنظم امرهم على
أحسن ترتيب فيمنصلح حالهم وتنقوي بهم الدولة الاسلامية لان في اراضهم اودية
فسيجية خصبة وجبالاغنية بالاشجار والمعادن لاسيما في نجد مع كرامة خيالها في الدنيا
والرغبة فيهم امن جميع أهل العالم العارفين بالخييل وكذلك عندهم من الحيوانات
الانسية والوحشية ما هو مورد للثروة فيكم امتدت الدولة العلمية بالولاية على اليمن شياً
فشيأ الى العهد القريب كذلك ان شاء الله تجمع كلمة الاسلام هناك على خليفة واحد
وكان سبب بقائهم الى الآن لم تستول عليهم احدى الدول هو اتساع اراضهم وكون
أغابها صحارى وقفاراً وأكثرهم قوم رحل فلا يضبطون بسهولة لانهم يتنجون الى
الدواخل والدولة العلمية سهل عليهم اذ لا اتحاد الدين والاستيلاء على أغلب حدودهم
فلا يصعب عليهم المدد والاستعانة ممن جاورهم والعلماء في هدايتهم حتى تجرى فيهم
الترتيب الشرعية وتنفع بهم الامة كما ينفعونهم بالعدل والتمدن والمعارف ولا شك
أن لاتحادهم اعتباراً عظيماً لما يقدّمون لاسيما راصل الغريزة العربية سليمة ولله
الحمد أصفى قابلية للقدّم من غيرها وشاهده ما حصل من العرب بعد غرس الحكمة فيهم
بالدين الاسلامي وأهم هؤلاء القبائل وأتمها الآن هي قبيلة مسقط ولها امام وقد أدخل
تحت طوعاً وقبلاً ظفار في هاته السنة وهي (سنة ١٢٩٧) وله نوع احتماء بالانكليز
كما سيأتى في الكلام على زنجبار من أفر يقية

❖ الفصل السادس عشر ❖

❖ المملكة السادسة عشر ❖

هي مملكة يبول وموقعها بين جبال هملاي الوسطى وتراى وبين سكنين من شرقها
وكيماوون من غربها فهي واقعة بين الصين والهند الانكليزي فلها الصين من
الشمال والشرق الشمالى والهند من الجنوب والغرب والشرق وعدد سكانها نحو
مليونين ونصف وعواظدهم مثل أوقرب من الهيم من الدول الشرقية مع شجاعة
وكذلك احوال ديانتهم

الفصل * ال س ا ب ع عشر

﴿ المملكة السابعة عشر ﴾

هي مملكة بوتان أو بهتان وهي أرض بين جبال هملاي وأسام وهي شرقي المملكة السابقة وتفصل بينهما قطعة من ممالك الهند الانكليزية فيجدها جنوبا الهند الانكليزية وكذلك شرقا وغربا ويحدها الصين شمالا وسكانها نحو مائون من النفوس وديانتهم موزنية ولهم ملكان أحدهم حادي و يعتقدون حلول الاله المسمى عندهم بودافيه و ياقبون هذا الملك دورمه رجا والثاني هو الملك السياسي ويده القوة الحربية والسياسة و يلقبونه دب رجا و يتصرف في العسكرة بوساطة أميرين أحدهم حافي مشرق المملكة والثاني في مغربها وهم في الحقيقة همج اذا القبائل غير خاضعين للحكام

الفصل * ال ث ا م ن عشر

﴿ المملكة الثامنة عشر ﴾

هي مملكة كشمير الشهيرة بمالها من المنسوجات الرفيعة وتحتل مدينة كشمير وقد صارت دولة مستقلة من سنة (١٢٦٣ هـ) و (١٨٤٦ م) غير أنها تؤدي خراجا سنويا الى الانكليز وموقعها في الشمال الغربي من ممالك الهند الانكليزية فيجدها جنوبا ماذكر و شرقا الصين وشمالا التتر المستقايين وغربا أفغانستان وأهلها نحو سبع مائة ألف لكنهم ازدادت اتساعا بالاستولاد عليه من قبائل الجبال التي فوق التتر وأهلها مسلمون ولها ملك بادارة استبدادية شبه القانونية وعليه نظر الحاكم العام الانكليزي في الهند لكن له كثرة امتيازاته ذكرناه مستقلا وكذلك يرسم في الخرايط

الفصل * ال ت ا س ع عشر

﴿ المملكة التاسعة عشر مملكة الجابون ﴾

هاته المملكة هي أول ممالك الجزر التابعة لآسيا وهي متكونة من عدة جزر شرقي مملكة الصين وكانت في القديم تابعة للصين وأهلها مثل أهل الصين في الشكل والعادات

والعادات والمخدق بالصنائع وعددهم نحو ثلاثة وثلاثين مليوناً وثلاثمائة ألف وستمائة
 وخمسة وسبعين نفساً ثم استعملوا في أحكامهم وممالكهم وفي أواخر هذا القرن أعني منذ
 نحو عشرين سنة استولى ممالكهم رجل عاقل من عائلة الملك وشمر عن ساعد الجد في
 أحداث عصر جديد للمملكة حتى خرجت عن أن تشبه الممالك الشرقية وصارت كأنها
 دولة ومملكة أوروبا وبارية غربية من أعظم الممالك ذات السطوة والشأن والتمدن
 والتقدم والمعارف والصنائع وذلك أنه تولى ممالكهم المسمى الميكادو وكان حدث السن
 ذا أخلاق حسنة وتربية صالحة وكان بهجماً بأحوال الأورو باو بين القادمين إلى
 دولته لاسيما حاجة والتجارة وكان سمع من أحوال أورو باو تقدمها ما هو معروف ورأى من
 تفهق ممالكهم وما جاورها ما أوجب له العزم على تغيير حالها ولكنه خشى من تمسك
 قومه بالعادات القديمة التي يحافظون عليها كاهالي الصين ولكنه استعان بالخلعة
 المخصوصة بها أئمة وهو اعجابهم بالحوادث الجديدة فابتدأ بتغيير زى المتوظفين ورؤساء
 الدولة وجعله على النحوا الأورو باوى وبقي هو في ذاته على الزى القديم مخفياً لا فكار
 القوم بذلك فلم ير منهم إلا الاسراع والاستحسان لما أمر به فلم يلبث أن غير زيه في نفسه
 وأرسل سفراء إلى أور وبا للاستقراء ما فيها من أصول المنافع والصنائع وآلات الحرب
 وحرثه وجلب المبادئ المحتاج إليها في مملكته من علماء وآلات وغير ذلك ثم أزم أئمة
 باعطاء الحرية العمومية حيث كانوا تحت حكم الاشراف بمعنى أن كل عائلة تشرى بصفة تلك
 قسمها من الاراضى بمن فيها من الناس يكونون تحت هبوديتهم وامتنال أو امرهم
 فأبطل هباته العادات وانتخب من قوانين ممالك أورو باو ما صلح في نظره وصلحه على
 مقتضيات عادات بلاده وأمر بالعمل به كما أزم العمل بالطريقة العسكرية في حركات
 الحرب المعمول بها في أوروبا وأزم كل ذكر يبلغ سن العشرين بالانتظام في سلك
 العسكرية للدفاع عن الوطن على قانون معروف وفتح المكتاب والمدارس في العلوم
 الرياضية وغيرها وكثر منها التكثير اللازم وأزم الاهالي بعقد التمرينات للبريد وأنواع
 التجارة والفلاحة وفتح الطرق الحديدية واستخراج المعادن وزيادة عما جلبه من
 السلاح الأورو باوى من الطراز الجديد أحدث معامل في مملكته وأنشأ السفن حتى
 كانت عنده احدى عشرة مدرعة وبالجولة فان انقياد الأمة الجاوية إلى هذا الملك وتقدم
 هاته المملكة في أسرع وقت من عجائب هذا القرن التي تخلد في التواريخ وستأتى
 قوتها الحربية والمالية في جدول الدول وعلى ما تقدمت به فتعتبر كاحدى الدول

الاورو باوية الاول المتقدمة وفيها من الثروة والتقدم والغنى ما في مالاك أوروبا وما في
مملكة الصين وقاعدتها المملكة مدينة جد وفي جزيرة نينغون التي بها جبال بالمكان
كثيرة ولاجلها يكثر فيها الزلزال ومعادنها غنية وأصل ديانتهم كديانة أهل الصين

الفصل * العشرون

﴿المملكة العشرون مملكة انشين﴾

وهي قاعدة جزيرة سومطرى وهاته الجزيرة خصبة جداً وفيها معادن جيدة ومنعاص
على اللؤلؤ ويقسمها خط الاستواء الى قسمين وهو أوها على العموم جيد في الجمال
ردى في الادوية وسكانها نحو ثلاثة ملايين وكان من الحق ذكرها في اتباع الدولة
العثمانية لكن التغافل من بعض الموظفين أوجب اهمال الدولة لحقوقها فيها على
ما سيأتى وأوجب التكم عايم بابا تقلاهما وذلك أن هاته المملكة كانت في الزمن
القديم تحت رؤسائه من المجوس الى أن فتحها السلطان (جودشاه) من أمراء الهند في ٤
رمضان (سنة ٦١١) وأسلم كل أهلها وتذهبوا بذهب الشافعى وفي
(سنة ٩٣٢) في ولاية سلطانها (نرماساه) بايعت بالخلافة لالاطان (سليم خان)
وحصانت منه على فرمان متضمن لقبول جاسيتها وابقاء سلاطينها على يد الوزير سمان
باشا ثم جد ذلك السلطان عبد المجيد (سنة ١٢٦٧) وأرسل الى سلطانها (علاء
الدين منصور شاه) فرمان التبعية ونشانا مرصعا ونشرت على قلاعها وسفنها الراية
العثمانية وعدة سلاطين تلك العائلة الى (سنة ١٢٩٣) ستة وثلاثون سلطانا
وبعضى ما لهم من الرخصة في ادارة المملكة مع تسكنا لاجانب وحبهم التسلط في جهات
الهند وجزره عقد أحد سلاطينهم المسمى علاء الدين محمود شاه سنة (١١٥٥) معاهدات
مع الهلنديين على أحوال التجارة والسياسة ومنها أن لا يقع منهم التعدي على أحد رعايا
انشين ولا التعدي على حقوقها وممالكها ثم معاهدة أخرى مع الانكليز سنة (١٢٤١)
أيام السلطان جوهر العالم شاه وبحسب ذلك سوغ لالكتين المتاجرة في مملكة انشين
فاما الانكليز فالواقعين بعهدهم الى الآن وأما الهلنديون فأخلوا بالعهد منذ
سنة (١١٨٠) فاستولوا على بعض جوانب من المملكة لكن لما كان أهلها نافرين عن
سلطانهم ويدينهم عداوة سكنت دولة انشين على الاسقلاء عليهم كما هي المصيبة في هذا
الزمن بالمسلمين من الشبهة ببعضهم بدخول الاجانب فيهم حتى يمتكنوا منهم

جميعه الاقدار الله ثم لازلت هو لاندته تفتح في ابواب القساط على المملكة الى ان فقت عليهم
 حرباً فجأة سنة ١٢٩٣ وكان ساطتها اذ الشحدث السن وهو (محمود شاه علاه) وعند
 غيبة المناظر عليه ومدير اموره ملكه الامير عبد الرحمن الزاهر حيث توجه الى الاسنانة
 لاستنجاد الدولة العلية أيام السلطان عبدالعزيز فلم يساعدوا شتد الحرب بينهم ولا زال
 الهلنديون يشتحون في تلك المملكة الى الاسن وان وجدوا من الحجة والشجاعة ما عاقهم
 عن انفاذ غرضهم عن محل لكن اعانهم خذلان بعضهم لبعض مع عدم آلت الحرب
 وعدم معرفة آلاته الجديدة وأما قوة هاته الدولة المسالية والحرية فغير معلومة وكانها
 لا تلبث ان تصير من اتباع هيلاند كما وقع في جزيرة جاوة وجزائر واقواق وغيرهما
 استولى عليها الفرنسيون والهلنديون وغيرهم من الدول الاوروباية فان لكل
 من هاته الدول مستعمرات في هاته القارة في شطوط الهند وفي شرقه وجزره وتجري فيهم
 أحكام الدول المتغلبين لكنهم ليست كأحكام ممالكهم وانما هي أحكام استبدادية
 عسكرية بمرعاة العوائد للاهالي ولما كانت هاته المستعمرات لا تبلغ الى مستعمرات
 الانكليز لم نذكرها على حدتها مثل ما ذكرنا الهند الانكليزية ولله ميراث السموات
 والارض

القسم الثاني من الارض

هو قارة اورويا هاته القارة يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا الجهة الشرقية فتتصل
 بقارة آسيا المارز كرها والمدينين ما هو جبال ارال ونهر دون الذي مصبه في البحر الاسود
 ثم يحيط بها جنوبا البحر الاسود وبحر مرمر والبحر الابيض وبغاز طارق وغربا المحيط
 الغربي والمائش وشمالا المحيط الشمالي والمئش والمائش والمئش والمئش وهاته
 القارة الآن رمقها السعد بالحظ وحط لديهم اركابه فكم كان سعد افراد الانسان وقتئذ
 كذلك بقاع الارض حاشا البقاع المكرمة بالانوار الالهية وانما نعى البخت الدنيوي
 فان هاته القارة كانت قد لبنت مدة وهي في الحضيض الاسفل ما بين خلا وعراب ودنار
 وتوحش فيما سلف من العصور الى ان حدثت فيها دولة الرومان واليونان وتشعشت
 فيها المعارف وارتقي فيها التمدن والصناعات لكنهم لم تلبث ان عادت كما كانت عليه
 من التوحش والبربرية لاقصارات تلك المبادئ المحسنة على افراد وان كانوا كثيرين
 في مراكز مخصوصة وانحصار السلطة القهرية في تلك المراكز فزال التقدم بتقهقر تلك
 السلطة غير انها حدثت فيما بعد في مدة الامبراطور شارلمان المعاصر للخليفة هارون

الرشيذ الذي أكتب على المعارف وملازمة أهالها وبث منها في محالكم ما وسعه الامكان
غير انها تقهرت بعده أيضا وشرع فيها تمدن منذ خمسة مائة سنة على خلاف المعهود
سابقا وامتد فيها التدريج الى أن بلغت في هذا العصر الى الدرجة القصوى من التهذيب
والتمدن والمعارف الدنيوية حتى صار لاهلها الوجاهة والنفوذ على جميع أقسام الارض
ودونك النموذج لا يخبر ذلك الترقى وحاصله ان أهالي اور وباستفادوا من العلوم التي
بالاسان اللاتيني واليوناني اللذين تحفظت عليهم محالكم كنيستة وكان أهالها في مدة الجهل
العام يبدلون أقصى الجهد في التحفظ على تعاليم دينك اللسانين وترقى تلامذتهم
في العلوم الموروثة من الرومان واليونان كما استفادوا من الامة العربية في المغرب
بجوارثها في الاندلس فأخذوا عن العلوم الرياضية وتهذيب الاخلاق والجغرافيا التي
علمتها المسلمون بالاستسفار للبحر من الاقطار القاصية والفتوحات الممتدة شرقا وغربا
والاعتناء بالتجارة حتى ان ملكا صقلية دعا اليه العلامة الادريسي وألف عنده كتابه
الغريب المسمى نزهة المشتاق في الجغرافيا واستفادوا ايضا من الاسلام في المشرق في مدة
حروب الصليبيين الطويلة ثم وانه لما منهم مسالك الترقى والقوة وفنون المعارف فانبثت
فيهم في جهات عديدة في وقت واحد فمكنت في القرن الثالث عشر المسيحي الموافق
للقرن الخامس والسادس الهجري علماء في الفلسفة وغيرها في كل من فرنسا وإيطاليا
والمانيا واجتهدت من ذلك الوقت كل جهة في ترقية نفسها والتشبيث بالوسائل التي
للتحوجها الي غيرها وأعظم الوسائل التي أعانتهم على بلوغ المعارف صناعة طباع
الكتب التي كثرت بها المكتب ورخصت حتى تيسر الاطلاع عليها حتى اغري في الثروة
ولما انفتحت بصائرهم وعلموا ان العوائق عن بلوغ المقصود منحصرة في عدم انسجام
الادارة والاحكام على مقتضى المصلحة وعدم صرف النظر الى منافع الامة حيث لم تكن
لهم شريعة تضبطهم وانما الملوك المستبدون هم الذين يتصرفون كما ارادوا ووجدوا
اليهم هم العلماء بالترغيب والترهيب فأعانوهم على العاقبة الى ان وصلوا الى درجة
الاضمحلال فلما انفتحت بصائر الامم تحذروا في جهات الى تقييد التصرف من الملوك
بمشاورة رؤساء الامم ووجهاتهم وان تكون الادارة على قانون معلوم موافق لاعدادات الامة
وما يقتضيه حالها وان يستوى الشريف والمشرؤف في الحقوق الشخصية وان لا يمتاز
قسم من الناس بالاشياء الضرورية كالمعلوم والاراضي والتجارة وغيرها فحصل هذا
المقصود في بعض تلك الممالك باراقة الدماء والتزير بين الملوك المستبدين وبين الامة

وفي بعض الممالك تفتن عقلاء ملوكها الى وجوب العمل بذلك الوجه اما لخدمتهم واثارهم
للمصلحة العامة على الخاصة بهم حيث علموا انها اى الخاصة لا تديم الابد وام الامة فاستروا
مصلحة الامة اذا تقاه من ابلولة امر الممالك الى ما آل اليه غيرهما مما لا ثمرة لهم في الاصرار
على منعه فسارعوا الى منح الاهالى بالقوانين والحرية منة منهم وما حصل في احدى
الممالك اجراء القوانين على اى وجه من الوجوه المتقدمة الاخذت في الترقى والازدهار
لان كفاف الظلم المؤذن بالخراب فتحسنت احوالها ونمت سكانها وعمرت ارضها وكرنت
صنائعها وانتشرت في المعارف وزادت اتقانها واختراعاتها وامتدت تلك المملكة بسطوتها
على من لم يجاريها فيما هي عليه وسرى العمل على ذلك النخوة في جميع ممالك أوروبا
تدريجاً الى انهم جميعاً لم يبق منها الا ان مخالفاً لبقية الممالك الروسية بما بحيث يصح
ان يقال ان جميع أوروبا كانت مملكة واحدة على غط واحد وغاية الاختلاف بينها
انما هو بزيادة الثروة والقوة والحضارة اما اصول هاته الاشياء فهي موجودة في الجميع
ولذلك نتكلم على هاته القارة كلاً ما عاماً ونذكر اسماء ممالكها وقواها اذ هذا كاف
في المقصود من هذا التأليف حيث ان المقصود هو معرفة الممالك الائمة من غير هاسمها
ونحن سنذكر ان شاء الله تعالى في المقصود تفاصيل ممالك مهمة منها فبقدراس عليها
غيرها اذ هي متشابهة على التقريب وانما نورد دولة الروسية الخالفة سيرتها لبقية وأما
الدولة العلية فقد تقدم الكلام عليها في قسم آسيافاً حكامها جارية في الجميع على
السواء غير انها لما كانت لها في قسم أوروبا ولايات ممتازة ولايات غير ممتازة فنبعد ذكرها
هنا أيضاً وعلى ذلك فنقول ان أوروبا تنقسم الى دول جنوية ودول وسطى ودول
شمالية رجبها اثمانية عشرة مملكة كلها انصرانية الا الدولة العلية كل منها مستقلة
عن الآخر وان كان بعضها يتألف من أكثر من مملكة واحدة فالدول الجنوبية ستة
وهي الدولة العلية والجبل الاسود واليونان وإيطاليا واسبانيا والبرتغال والوسطى ستة
أيضاً وهي فرنسا واسفيسرا والبلجيك وأوستريا والصرب والرومانيا والشمالية ستة
أيضاً وهي روسيا والسويد والدانيمرك وهالندة والمانيا وانكلتيرة

الفصل * الحادى وال عشرون

فاما الدولة الاولى فهي الدولة العلية وتحتها القسطنطينية فالتا العامة تقدم الكلام

عليها وأما الخاص منها فهاته القارة فان لها عمالاً رحيبة فتم لها هو ممتاز ويؤدى
اداءه سنويا معلوما وادارته فى نفسه مستقلة كولاية البلغار التى قاعدتها صوفية فانها
بعد معاهدة برلين الناتجة من حرب سنة ١٢٩٤ التى سبقت تفصيلها فى المقصدان شاه
الله تعالى صارت هاته الولاية امارة نصرانية مستقلة وادارتها على نحو الايدارات العامة
فى عمالك أوروبا ذات القوانين التى يرد الكلام عليها عن قريب ان شاء الله تعالى
وأغاب سكانها بلغاريون وبقية سكان الامارة من المسلمين واليونان وكل منهم فى أشد
الضئف لا سيما المسلمين من قساوة القسم الغالب الذى صارت له السيادة على الجميع لانهم
ولان كانوا ظاهرا اذرتهم حرة قانونية لكن الباطن استبدادية تحت اشارة الروسيا
المستبدة المادة للامارة المذكورة وهاته الامارة ليس لها حق فى انشاء حصون على
حدودها والحصون التى كانت فيها للدولة تهدم بمقتضى معاهدة برلين وعساكر الامارة
يكونون من الاهالى وأغاب رؤسائهم الا أن من الروس والى الآن لم يتعين مقدار الاداء
السنوى الذى يلزمها اذ اؤده للدولة العلية بسبب التراخي عن اجراء جميع فصول معاهدة
برلين وكذلك للدولة العلية فى هاته القارة ولايات أخرى مستقلة فى الادارة وما زاد من
دخلها عن مصارف مصالحها الذاتية يؤدى الى خزنة الدولة الا ان الكرك والدخان
فيهما راجعان للدولة وهاته الولايات نصرانية وشروطها ان يكون نصرانيا يولى
من الدولة بعد موافقة الدول عليه ولا يعزل قبل اتمامه خمس سنين وأما العساكر فليس
لها أن تنظم جيشا وانما تحدث حرسا أهليا لانهذا الاحكام وحفظ الراحة المعتادة وان
أحوج الحال الى قوة عسكرية فان الدولة ترسل للوالى مقدار ما يطلبه لذلك وللدولة
أن تقيم فى الحصون والحدود عساكر على حسب ما يظهر لها بشرط أن لا يكون على
الاهالى منهم أدنى كلفة أو تعاق وهاته الولايات هى الرملى الشرقية واكرىت والسوسام
والاحكام الجارية فيها قانونية بواسطة مجالس من الاهلين كما ان للدولة ولايات أخرى
فى هاته القارة ليس لها امتياز عن غيرها من بقية الممالك وهى ولايات الرملى كادرنة
وشقودة وسلايك وجزاير البحر الابيض وأما بوسنة وهرسك فكل هاته تحت تصرف
النمسا وهما من حقوق الدولة ولذلك كان لها فيها العلم بحيث ينشركل من علم أوستريا
وعلم الدولة معا والمحطبة باسم السلطان العثمانى والمتوظفون العثمانيون ان صلحوا
فى نظر الوالى الاوستورى يبقون كما ان أوستريا أدخلت عساكرها مشاركة للعساكر
العثمانية فى صنجق نوفي بازار مع بقاء الادارة بيد الدولة وكل ذلك بموجب معاهدة

برلين فيجد أملاك الدولة في أوروبا الآن شمالاً والوطنية وغرباً النمسا والصرب
والجبل الأسود وبحر البنادقة ويحدها جنوباً بونغازا القسطنطينية وبحر مرمر وبنغاز
جناباً قلعة وبحر الجزائر والبحر الأبيض واليونان وشرقاً البحر الأسود وبحر الجزائر

* الفصل الثاني وال عشرون *

وأما الدولة الثانية وهي الجبل الأسود فأنها استقلت بعد الحرب الواقعة سنة ١٢٩٢
وكانت تابعة للدولة العلية ولا زالت تلقب بالامارة ثم ضم اليها قطر مع من ممالك الدولة
العليه وصار الآن سكانها نحو ثمانمائة ألف ويحدها المملكة الشمالية في البعض
أوستريا وغرباً بحر البنادقة ومن بقية الجهات الدولة العلية وقاعدة المملكة ستمين

* الفصل الثالث وال عشرون *

وأما الدولة الثالثة وهي اليونان فأنها كانت تابعة للدولة العلية أيضاً واستقلت في سنة
١٢٤٦ وكان اذ ذاك عدد سكانها نحو ثمانمائة ألف فتكاثروا إلى ان بلغوا الآن إلى
ما يزيد على المليون ونصف ولهذا الجنس الشهرة الناقة في التقدم وفنون العرفان في
العصر السابقة الا أنهم لم يتعوا على ما كانوا عليه والى الآن لهم اعتناء زائد بالاسفار
وقوة البحر وهذه المملكة شبه جزيرة في البحر الأبيض فيحيط بها من جميع الجهات الا
الجهة الشمالية فتحدها الدولة العلية ولها جزاير أخر بقرها تابعة لها وقاعدتها اثينا

* الفصل الرابع وال عشرون *

وأما الدولة الرابعة وهي إيطاليا فقد كانت منقسمة إلى عدة أمارات وممالك ثم في أواسط
هذا القرن أخذت في الاتحاد إلى ان تم اتحادها بجعل مدينة رومة تحتها في سنة
١٢٨٧ وصارت دولة من الدول العظام سكانها نحو مائة وعشرين مليوناً ويحدها
البحر الأبيض من الغرب في البعض وفي الباقي فرنسا ويحدها جنوباً البحر المذكور
ويحدها من الشرق بحر البنادقة في الجبل وفي البعض أوستريا ويحدها شمالاً أوستريا
في البعض وفي الباقي سويسرة وفرنسا وسياق مزيد الكلام عما بها بانفرادها في المقصد
ان شاء الله تعالى

الفصل * الخامس وال عشرون

وأما الدولة الخامسة فوهى دولة اسبانيا وقد كانت متلاشية فى شمال الاندلس ولما اكب المسلمون هناك على شهوراتهم وعملوا بالظلم بعد ان بلغوا الدرجة القصوى من العدل والمعارف والقوة حتى فتحوا دسما عظيما من فرانسائهم تركوا ما كانوا عليه وانقسموا ملوك طوائف كما قال شاعرهم

مما يزهدي فى أرض أندلس * ألقاب معتضد فيها ومعتدى
ألقاب ساطنة فى غير موضعها * كالحريحيكى انما فاخا صولة الاسد

فحينئذ استعانت دولة الاسبانيول بذلك الانقسام والظلم واعانت بعضهم على بعض وتسميتهم بالفايدة الى أن تساطت على الجميع وفعلت من التوحش والقسوة ما تفرعن سماعة الاساذان حيث ألزمت المسلمين امانه ديل دينهم والقتل فهرب من قدر منهم على النجاة أفواجا فواجه حفاة عراة وتشتتوا فى المغرب والجزاير وقواس ايدى سبا ثم استعمل أمر تلك الدولة أى الاسبانيول الى أن كانت هى وحدها اذ ذاك ذات التقدم على سائر الدول الاورباوية لما فازت به من ثمرات فنون المسلمين وصنائعهم وكانت وحيدة فى القوة البحرية حتى ان أول من اكتشف أمريكا كان من اسطولها كما سياتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى وعمرت مستعمرات فى أمريكا والبحر الهندى وأفريقية وغيرها فيما بعد فثخن فيها الاستبداد جراحه سنة الله فى أرضه فتقهقرت الى ان كادت أن تتلاشى ونخرج عنها كثير من مستعمراتها ونحر بها الظلم ونقصت فيها الانفس والاموال والثمرات الى أن استنقذت الامة من غفلتها وثاروا ثورة واحدة حتى حصلوا على ترتيب دولة قانونية وامتد أمرهم فى تحصيل مقصودهم بضع سنين وهى من سنة ١٢٨٦ الى سنة ١٢٩٣ فاستقر حالهم على حكومة حرة وما كروا عليهم ابن ملكهم السابقة التى ثاروا عليهم بعد ان سيروا الحكومة الجمهورية ثم عدلوا عنها وادوا أحد طائلات ملوك أوروبا فذاكروا عليهم ابن ملك ايطاليا ثم بدله منهم النفرة فباع نفسه وأوصلوه الى بلاده محررا مكرما وعادوا الى الجمهورية فانف منها شرفاؤهم وأغلب الاهالى فاستقر أمرهم على ابن ملكتهم المذكور على ان يكون تحت الة وائين المرتبة وخاضعاهلها فاستقام حالهم بذلك وأقبلوا على اصلاح شؤونهم بيد ان ذلك لما كان حاصله من عهد قريب وبعد

* حروب أهلية لم تتراجع دولتهم الى ان تعد من الدول الاولية وسكان هاته الممالك عدى ما بقى لها من المستعمرات سبعة عشر ما يونان ولها مستعمرات في أمريكا وفي شطوط أفريقيا وآسيا وجزر الاقيا نوس يبلغ عدد سكانها نحو تسعة ملايين وهاته الممالك كتيحة جدا جنوبا بونغا ز طارق والبحر - والابيض وشرقا البحر الابيض في البعض وفرناسا في الباقى وشمالا المحيط الشمالى وغربا المحيط المذكور وممالك البرتغال وقاعدتها مدريد

* الفصل * السادس وال عشرون *

وأما المملكة السادسة وهى مملكة البرتغال فقد كانت قسما من الاندلس ثم اسبانيا وعمدة هاته قرهاته استعرات عليها واجرت القوانين فكانت مستعمرة السيرة على قدر حجمها وسكانها نحو أربعة ملايين ونصف ولها مستعمرات في شطوط افريقية والصين والهند يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف ويحدها هاته المملكة غربا المحيط الغربى ومن بقية جهاتها اسبانيا وقاعدتها الشبونة بالاسمية العربية وحرفوها الا ان فصارت لزبون

* الفصل * السابع وال عشرون *

وأما الدول الوسطى فاولها دولة فرنسا ذات النخوة والشأن المتقدمة فى التقدم والسطوة والعرفان وسباقى تفصيل الكلام عليها ان شاء الله تعالى وانما نقول هنا ان هاته المملكة حوت من المحاسن والصفات ما أقر لها به معاصروها ومنكبوها ولولا تقسيم أهلها لآخواب مع سرعة العمل بينهم لما حارتم دولة وهى تشمل على نحو ستة وثلاثين مليون من النفوس ولها مستعمرات فى جميع القارات يبلغ عدد سكانها نحو خمسة ملايين واستقلالها قديم وتختها مدينة باريس ويحدها جنوبا البحر الابيض وايطاليا واسبانيا وشرقا ايطاليا وسويسرة وجرمانيا والبلجيك وشمالا البلجيك والماسا والمحيط الشمالى وغربا المحيط المذكور وهى من اقدم الدول القانونية وان طرأ عليها فى الوسط شئ من الاستبداد لم يكن لها ازاحة وحكومتها جمهورية وقاعدتها باريس

* الفصل * الثامن وال عشرون *

وثانيها دولة سويسرا ويحدها جنوبا ايطاليا وشرقا أوستريا وشمالا المانيا وغربا فرنسا

وقد كانت تداولها كل من فرنسا والمانيا لمدة قرون وفي خلالها يحصل لها في بعض الاحيان استقلال الى ان تم استقلالها باعتراف جميع الدول الكبيرة وضم انتهم لاستقلالها وذلك (سنة ١٦٤٨) أي أواسط القرن الحادي عشر الهجري ولا زالت على ذلك وسكانها نحو مليون ونصف وحكومتها جمهورية خالصة بمعنى ان المجالس العليا ينتخب أعضاؤها من أنفسهم بمدة أشخاص لمدة ثلاث سنين يكونون بمثابة الوزراء في إدارة الامور على نحو ما تنفق عليه المجالس وينتخب لهؤلاء السبعة رئيس لمدة عام واحد يكون هو رئيس الدولة العام وتحت المملكة مدينة بارن

الفصل * الت اس ع و ا ع ش ر و ن

وثالثها دولة البلجيك فيحدها جنوبا وغربا فرنسا وشمالا البحر المانش والمحيط الشمالي وشرقا المحيط الشمالي وهو لاند والمانيا وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وتحت المملكة مدينة بروكسل وكانت من ملحقات فرنسا ثم استقلت بأمرها مع اتحادها بهولانده بمدة سقوط نابليون الاول ثم استقلت بنا (سنة ١٨٣٠) مسيحية الموافقة (سنة ١٢٤٦) هجرية فسميت أيضا في العمران والثروة

الفصل * ال ث ل ا ث و ن

ورابعها ملكة دولة النمسا المترجمة من دولتين مستقلتين وهما أوستريا وهنغاريا وكل منهما لها إدارة خاصة بجميع داخليةها ووزراها يشرون الإدارة في كل منهما ولها ملك واحد يلقب بامبراطور أوستريا وملك هنغاريا ولهما قانون معلوم في كيفية الاتحاد والانفراد وحدود كل منهما ومنها أن يكون وزير الخارجية وعلاقته متحدة في كل من المملكتين ودولة أوستريا من أديم دول أوروبا وكانت في مبدئها صغيرة ثم تعاظمت ودخلت في العصبة الألمانية حيث ان من أهلها القسما عظيميها من الجنس الألماني وصارت لها الرئاسة على العصبة مدة الى ان انتزعتها منها دولة بروسيا (سنة ١٢٨٤) في حرب عابثة انتهت فيها إيطاليا واستقرت الآن منفردة عن العصبة الألمانية وصار عدد أهلها الى هاته الدولة نحو سبعة وثلاثين مليوناً ويحدها جنوبا الرومانيا والصرب والدولة العلية وبحر البنادقة وإيطاليا وغربا سفيديرة والمانيا وشمالا المانيا والروسيا وشرقا

الروسية اورومانيا وقاعدة المملكة الاولى هي مدينة فيينا وقاعدة الثانية هي مدينة
بست وتحت تصرفها بوسنة وهرسك

* الفصل * الحادى والثلاثون *

وخامسها دولة الصرب وانما صارت دولة مستقلة بعد حرب سنة ١٢٩٣ وكانت
أمانة مستقلة بالادارة تابعة للدولة العلية وتؤدي لها الخراج بمقتضى معاهدة براين
صارت دولة مستقلة يتحد بها جنوب الدولة العلية بامارة البلغار وغيرها وشرقها هي أيضا
ونهر الطونة وشماليها النهر المذكور والنمسا وغربا ولاية بوسنة وهرسك الراجعة للدولة
العليية وتصرفها بيد النمسا وعدد سكانها ثمانية الدول مع ما اضيف اليها بمقتضى المعاهدة
المذكورة نحو المليونين وقاعدتها بانغراد

* الفصل * الثانى والثلاثون *

وسادسها دولة الرومانيا يتحد بها جنوب الدولة العلية بولاية البلغار في البعض وفي الباقي
نهر الطونة ويتحد بها شرقا البحر الاسود والروسية وشماليها روسيا والنمسا وغربا النمسا
وقاعدتها بخارست وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وبقية أحوالها مثل الدولة المتقدمة
عليها في الذكر لكنهما متقدمة في التمدن والمعارف والقوة وعندما كانت تابعة للدولة
العليية كانت تسمى بالولاياتين أى الأفلاق والبغمدان حيث كانت منقسمة اليهما ثم
اتحدتا في عشرة السبعين والمائتين وألف تحت أمير واحد ثم استقلت بمقتضى معاهدة
برلين بعد ان دخلت في اعانة الروسية على كرم من الاهالى ولا زالوا محبين للترلى الى الآن

* الفصل * الثالث والثلاثون *

وأما الدول الشمالية فالدولة الاولى منها دولة انكلترا تيرة السابقة في الحرية والثروة وهي
جزيرتان منقطعتان في المحيط الشمالى يحيط بهما البحر من جميع الجهات وأقرب جهه
من القارة اليها هي مملكة فرنسا ويفصل بينهما بحر المنش واضيق جهة منه بينهما
نحو عشرين ميلا وسكانها نحو ثلاثين مليوناً وقاعدتها مدينة لندن ولها مستعمرات
في جميع أقسام الكرة فتنها الهند وجزره وعدن في آسيا كما تقدم الكلام على ذلك

(٥٠)

ومن أراس الرجال الصالح وغيره في أفريقيا ومنها آيات في أمريكا الشمالية وأخرى في الجفوية وأعظم جزائر أستراليا وعدد جميع من يتبعها في المستعمرات نحو مائة وتسعين مليوناً وسباني الكلام على هاته الممالك مفصلاً في باب خاص من المقصود ان شاء الله تعالى

الفصل الرابع

والثلاثون

والثانية منها دولة هالاندة ويحدها شمالاً وغرباً المحيط الشمالي ويحدها جنوباً البلجيكي وشرقاً ألمانيا وقد كانت تداولتها دول جرمانيا وفرنسا واسبانيا الى أن استقلت مع البلجيكي بعد سقوط نابليون الأول ثم انفصلت عنها البلجيكي سنة ١٨٣٠ م و ١٢٤٨ هـ وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف نفس ولها مستعمرات في جزائر الهند وجاوا وسمطرة وأمريكا وأفريقيا يتبع عدد سكانها نحو عشرين مليوناً من الانفس وقاعدة الممالك مدينة هالك

الفصل الخامس

والثلاثون

والثالثة منها دولة ألمانيا المتولفة من ستة وعشرين دولة كل منها مسيطرة على ادارته الداخلية ولهم قانون في الوحدة ومحاسن يشترك فيهم الجميع عدد أعضائه على قدر مناسبة سكان الممالك المشتركة فيه والرياسة على جميع هاته الدول الآن لدولة بروسيا ومالكها يلقب بامبراطور ألمانيا ويحدها جميع الممالك شرقاً والروسيا والنمسا والبحر الباليك وشمالاً البحر المذكور والدانيمرك وغرباً هالاندة والبلجيكي وفرنسا وجنوباً سويسرة وإيطاليا والنمسا وعدد سكان الممالك احدى أربعين مليوناً والقاعدة الكبرى للجميع هي برلين وهذه أسماء الدول المائة ألفة منها العصابة مع عدد السكان وأسماء القواعد

(٥١)

عدد سكان الممالك	أسماء القواعد	أسماء الممالك
٢٥ و ١٧١ و ٠٠٠	برلين	بروسيا
٠٤ و ٨٦٤ و ٠٠٠	مونيخ	باوير
٠١ و ٨١٨ و ٠٠٠	استوتغارد	فورتمبرغ
٠١ و ٤٦١ و ٠٠٠	كارلس	بادن الكبرى
٠٢ و ٥٦٠ و ٠٠٠	درازد	الساكس
٠٠ و ٩٧ و ٠٠٠	نيوسترايس	مكلنبورغ ستراس
٠٠ و ٣١٦ و ٠٠٠	أولنبورغ	أولدنبورغ
٠٠ و ٢٨٦ و ٠٠٠	ويبر	الساكس ويمر
٠٠ و ١٨٨ و ٠٠٠	مينجن	الساكس مينجن
٠٠ و ١٧٤ و ٠٠٠	غوطا	الساكس كوبري غوطا
٠٠ و ١٤١ و ٠٠٠	النبورغ	الساكس التين بورغ
٠٠ و ٧٥ و ٠٠٠	رودول استاد	اشفازنبورغ
٠٠ و ٦٨ و ٠٠٠	سوندرسوزن	شوراشنبورغ سوندرسوزن
٠٠ و ٨٩ و ٠٠٠	شلايز	أدليس شلايز
٠٠ و ٤٥ و ٠٠٠	غرايز	أوليس غرايز
٠٠ و ٢٠٣ و ٠٠٠	ديسو	أنصات
٠٠ و ٣١٢ و ٠٠٠	ابرونزويك	ابرونزويك
٠٠ و ١١١ و ٠٠٠	ديتموله	ليب ديتمله
٠٠ و ٣٢ و ٠٠٠	بوكنبورغ	ليب شاونبورغ
٠٠ و ٥٦ و ٠٠٠	ادرسن	فالديك
٠٠ و ٨٥٣ و ٠٠٠	دارمستاد	ايس دارمستاد
٠١ و ٥٤٨ و ٠٠٠	(كولما)	(استريبورغ) (ميتس) للباس والاورين
٠٠ و ٣٦٠ و ٠٠٠	هاننبورغ	بلدة هامبورغ
٠٠ و ٥٢ و ٠٠٠	لونك	بلدة لانك
٠٠ و ١٢٣ و ٠٠٠	فريم	بلدة فريم
٤١ و ٠٠٣ و ٠٠٠		

الفصل * السادس

§ والثلاثون §

والرابعة منها دولة السويد المتألفة من دولتي السويد والنرويج وكل منهما مختصة بدارتها الداخلية والوزارة والاسان والعساكر بحيث لا يجمع بينهما الا كون الملك واحدا والسياسة الخارجية ايضا لحكومة السويد وكانت المملكة قديما ذات عظمة فاستقلت عنها الدانمرك وأخذت قسما عظيما منها الروسية واستقرت على الحالة التي هي عليها الآن من ذسقوط نابليون الاول فجموع سكان الممالكتين نحو خمسة ملايين ونصف يخص السويد نحو أربع مائة مليون ونصف والنرويج نحو مليون ونصف وقاعدة الاولى استكروا قاعدة الثانية كريستيانية ويحدها الممالك كين اللتين هما شبه جزيرة تمتد الى نهاية القطب الشمالي فن الجنوب بحر البلتيك وخليج بوتنيا وشمالا المنجمد الشمالي في القطب وغربا خليج الصوند والبحر الشمالي وبحر الاسكندنافيا الاذان هما من المحيط الشمالي وشرقا الروسية في البعض وفي الباقي الخليج الفاصل بينهما

الفصل * السابع

§ والثلاثون §

والخامسة منها دولة الدانمرك وانفردت عن السويد والنرويج في أواسط القرن الثالث عشر من الهجرة ثم في أوائل عشرة الثمانين ومائتين والف هجرية حاربتها كل من بروسيا والنمسا وامتلاكها ولايتي الشولسويغ وهولستين التي هي أول شرارة القيت لانقلاب الموازنة السياسية في هذا القرن كما يأتي تفصيله في المقصد عند ذكر ايطاليا ان شال الله تعالى فاستقرت المملكة شبه جزيرة ممتدة من الجنوب الى الشمال ويحدها جنوبا حيث تتصل بالقارة المانيا البرسيانية وشرقا خليج الصوند وبحر البلتيك الفصلا بينهما وبين السويد وشمالا خليج سكارج راك الفاصل بينهما ايضا وغربا البحر المحيط الشمالي وسكانها نحو مليون وسثمائة ألف ولها مستعمرات في جزائر البحر الشمالي من أوروبا ولها في أمريكا ايضا مستعمرات ومجموع سكان مستعمراتها نحو مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا وقاعدتها كونيهاغ

الفصل * التامن

والثلاثون *

والسادسة منها دولة روسيا وعملها ككتاب بالنظر لسطح الارض هي اكبر الممالك وقد تقدم
 الكلام على قسمها من آسيا وأما في أوروبا فيجدها شمساً لا المنجد الشمس إلى وشرقاً جبال
 أورال ونهر دون الفاتحة بل بين آسيا وأوروبا وجزءاً من البحر الاسود والرومانيا والنمسا وغرباً
 المانيا والاسود ويدود عدد جميع سكان المملكة بين آسيا وأوروبا نحو نصف ومائتين مليوناً
 من النورس منهم نحو ستين مليوناً من المذهب المسمى ارتدوكس وهو مذهب اليونان
 من المسيحيين وكلهم من نوع البشر المسمى بالسلاف وبقية العدد منه نحو ثمانية
 ملايين مسلمين والباقى من مذاهب شتى من الديانة المسيحية وغيرها والدولة على
 المذهب الارتدوكس وهي وان لم تجبر بل يرأى أهل ذلك المذهب على تبديل ديانتهم أو
 مذهبهم فليس لهم حرية المذهب واشهرتعاليمه بل تجبرهم على تعليم أبنائهم
 في مكائهم وتجبرهم أيضاً على ترك لغاتهم ولا يخفى ان أهل المملكة مثل تلك في الانساع
 وكثرة الاجناس لا بد ان يكون لهم لغات شتى حتى قيل ان اللغات الاصيلة فيهم تتجاوز
 الخمس عشرة لغة وهاته الدولة تكونت على الصفة المشار ذكرها في مدة قليلة فان هاته
 المملكة قديماً لا يعرف منها الا أهل الجنوب باسم قبائل الى القرن الثالث المسيحي
 فتألفت في روسيا اوربوساطنة عظيمة من امة الغوت ثم تلاشت بالحروب الاهلية
 وبعدها ان الامم الشرقية على أوروبا ونمادت على ذلك الى ان استولى على أغلبها
 الزبروف، مدة باقونمان ابن جنس كزيمان ثم ابتداء تأسيس المملكة سنة ١٤٨١ م
 و٨٨٦ هـ على يد ايمان المانتب بالاميرالكبير وضمعت له ولذريته القبائل المتسكونة
 منها روسيا الاصلية ثم انتطعت عائلته وحشدت في المملكة تقهراً أشرف بها على
 الاضمحلال الى أن تولاهاميشال رومانوف وهو الذي أسس الدولة الموجودة الآن
 وذلك سنة ١٦١٣ م و١٠٢٢ هـ فأخذت في الراحة الاهلية وضم ما كان
 نخرج عنها الى أن تولاهابطرس الاكبر محي تلك الدولة فهو الذي أسس اسمها بين
 الدول المعاصرة واجتمعت في ترقينها ولكن مع مزيد اعتنائها بالسياسة ومباشرتها بنفسه
 لحمل انعام السلافي في ذلك الوقت اتعلم الصنائع بنفسه حثالة به على الاقتداء
 به وبقى مدة في ترخاانة هلا ندو له لم صناعات النجارة حتى اتقن عملها وجلب للمملكة
 عمال من مدة صنائع وأخذت من ذلك الوقت في الترقى والانساع مع حومه هو ومن

خلفه ومهارتهم في الفنون الحربية والمكايد السياسية الى ان بلغت الاثنى الى ما هي عليه من مزيد القوة والاتساع ولوانها كتبت في المعارف والحريية مثل بقية ممالك أوروبا لما كادت ان تسلم منها دولة بيد ان بقاءها على اصول الاستبداد اوجب فيها قلة الثروة والمعارف فلم تقدر على التجاوز كل ما تضمنه وان كان القيصري الموجود الآن وهو الاسكندر الثاني قد حرر الفلاحين من تلك الاعيان لهم حيث كان سابقا ان قسم الاعيان من المملكة من ملك منهم ارضاء لملكها بمن فيها من البشر ويسمونها استعمالات العبيد بحيث يتصرف فيهم تصرفه في المتاع كما كانت تلك العادة جارية في أوروبا حتى ان الفلاح اذا اراد التزوج بعد الاذن له من سيده يأتي بعروسه ليلة عرسه الى سيده ولا يمكن له أن يدخل بها قبل أن يسأله له عاهل سيده وان اراد الاختلاء بها فله حق ذلك وقس على ذلك من أنواع المشاعة ما شئت ففي سنة ١٨٦٧ م و ١٢٨٤ هـ أبطل القيصر الاسكندر الثاني ذلك الحكم وحرر الفلاحين وأما ادارة هاته المملكة فهي من قبيل الاستبداد المطلق بمعنى ان رئيس المملكة ويلقب عندهم باكرار بمعنى قيصر أو امبراطور مع انضمام معنى الرياسة الدينية فهو الذي يتصرف في الكليات والجزئيات على حسب ارادته واختياره ومن ينوبه في الوظائف يتصرف مثله ذلك التصرف باسم الاكرار وللاكرار رياسة التصرف في الديانة وفي الملك وفي العسكر وفي الشخصيات ومع ذلك لهم تراثيت ومجالس لتدبير الملك وادارة الولايات فأول هاته المجالس المجالس المسماة بمجالس السلطنة وهو مجالس تشريع وادارة وحكم فيستشار في جميع الامور المهمة غير الرياسة الخارجية فانها مختصة بالملك ويستعين بوزرائه فيها ولهذا المجالس النظر في احداث القوانين واجرائها وتعين المداحيل والمصاريف وتدقيق النظر في محاسبات الوزراء وترفع اليه الاحكام الشخصية الثقيلة ويتركب من الوزراء واعضاء العائلة الملكية واعضاء ينتخبهم الامبراطور لمدة حياتهم وحضور الاعضاء فيه على نوعين فالاول لازم الحضور والثاني يحضر بالاستدعاء يعقضية وله تقاسيم في الادارة كل قسم مناط به شيء مما يتعلق بالوظيفة المجالس الثاني هو مجالس المناقاة الذي أسسه بطرس الاول ووظيفته حراسة القوانين والمراقبة على سيرة كبار الموظفين والولاة والحكم النهائي في الجزئيات السياسية الا خصوص نوازل يختص بها الامبراطور وهو ينقسم الى أقسام مراكزها في عدة جهات من المملكة في المدن الكبيرة ويجتمع في أوقات الاجتماعات العامة المجالس الثالث مجالس يتقرر في خصوص المعارض المقدمة للامبراطور وهل للشهنة

من الحكام عرض نوازلهم على أحد المجالسين المذكورين سابقا المجلس الرابع المجلس
الدينى المركب من اساقفة الايالات الكريمة ووظيفته تسمية كبار الكنائس والنظر
في ادارتها اذا امضاه الامبراطور والمجلس الخامس مجلس الوزراء المؤلف من تسعة وزراء
فأكثر على ما يقسم الامبراطور ادارة الوزراء اليه والمجلس السادس مجلس الرقيب العام
اعضائه ثلث الوزراء ثم ان المملكة تنقسم الى اقسام وهى ايضا تنقسم الى اصغر منها الى
آخرو سواء كانت فى المدن أو فى البوادرى فالاقسام الكبار المتصرف فيها هو الوالى
العام البلدى وهو المطالب للامبراطور بجميع ما يحدث فى ولايته ولذلك كان له
الاطلاق ايضا فى امضاء ما يراه مجلس الولاية أو دحضه وهكذا كل رئيس فى قسم اصغر
منه هو مطالب بان فوقه فلا جدوى فى ان كان لكل منهم مجلس مركب من أعضاء من
أهل المكان وفى كل قسم كبير جمعية تسمى جمعية الاعيان عدد أعضائها على حسب
الدوائر والمشيخات الراجعة لذلك القسم ورئيسها يلقب بشارشال الاعيان ووظيفتها
تعيين غالب المتوظفين فى كل ثلاث سنين اذا امضاه الوالى أو الامبراطور وفى كل مدينة
أو قرية مجلس بلدى تحت رئاسة أحد اعيانهم والذي ينتخب أعضاء المجلس والرئيس
هو البلدية من البلدان ومعنى البلدية هو الاعيان والواسط من الناس وأما أصحاب
الحكم البلدية فليس لهم هذا المقام ووظيفة المجالس البلدية ادارة الاشغال العامة
ومصالح البلدان والحكم فيما يحدث بين البلدية فى التجارة كما انه يوجد فى هاته الاقسام
مجالس للحكم فى الجزائيات ومجالس للحكم فى الامور العرفية وامضاء الحكم مناب برئيس
القسم كما تقدم كما ان لكل مشيخة بالبادية جمعية من كبار عائلاتهم لفصل نوازلهم وتقسيم
الاداء اللازم للدولة وتعيين من يدخل للعسكر ورؤساء هاته الجمعيات هم أقدمهم
فى المشيخة ولهم الخيار ايضا فى تنفيذ رأى الجمعيات ومن مجالسهم مجالس الصلح وهو الذى
يوفى المتوظفين عن تجاوز مأمورياتهم والحكم فى الجزائيات الخفيفة والمساليات التى لا تبلغ
أربعمائة فرنك ومن قواعدهم ان المحصين اذا حكموا أحدا يمضى حكمه على شرط تقييده
فى دفتر مخصوص لذلك أما أحكام الحكام فهى شفاهية ويشترط فى المتوظفين ان يكون
أصحاب عرض وان لا يتقص سن أحدهم عن الخمس والعشرين سنة وفى خصوص
الولايات التى فى حدود المملكة يوجد حاكم عسكري مع الحاكم المدنى وله الرئاسة عليه
وبخصوص ولاية فلاندا وزارة خاصة فى قاعدة المملكة ومجالس سناتورى تسمى الامبراطور
فى كل ثلاث سنين وتخت جميع المملكة هى صان بطرسبورغ فادارة هاته المملكة وان

كانت لها مجالس وقوانين وكثير من موظفيها انتخبهم الاهاالى لكانها فى الواقع
استمدادية حيث ان اجراء كل شئ وتنفيذه منساج بالامبراطور ثم بخلفائه ولهم الخيار
فى التنفيذ وعدمه من غير تقيد بمرجع ولا يخفى ان ذلك الرئيس وان كانت أغراضه لاتعم
جميع الحزبيات لكانه له حواشى وأتباع فيراعى لكل منهم بم بعض الوجوه ولكل منهم
علائق وأغراض فيتمتع الخرق فى المراجعة والمداواة وتجرى الامور على الشهوات ولهذا
لما كثرت الصحف الخبرية فى نفس المملكة وكثرت فيها الصحف الاجنبية وكثرت
المدارس التى تعلم اصول التمدب وكثرت المواصلة ببقية ممالك أوروبا وبالطرق
المجددية انفتحت بصائر اهاالى المدن الكبيرة فى روسيا وسرى الامر منهم لمدن ثوانى
فى جهات من المملكة فعمل منهم سنة ١٢٩٦ ثورات عديدة ولا رالت مستمرة الى
الآن لكان تارة تشند وتارة تخف فى طلب اجراء الحرية والقوانين مثل بقية أوروبا
وزادهم جلاء على ذلك ماراؤه من دولتهم عند اعلانها الحرب على الدولة العلية سنة
١٢٩٤ الا فى خبرها فى المقصود ان شاء الله تعالى حيث حررت اهل الباغار مع انهم
أحسن ادارة منهم وجعلت لهم ولاية ممتازة ادارتها قانونية فقلوا مالنا فتحكم على جيراننا
وننفع غيرانا ونهرق لاجلهم دمانا وأموالنا ونحن فى حالة انعس منهم فمكائن اسان
حالمهم يقول

يا ايها الشيخ المعلم غيره * هل لالنفسك كان ذا التعليم
فالخاص ل ان المملكة الروسية انما تقدمت بالسطة والقوة لمجرد حذق امراءها فان
القبصر ولان كان له التصرف المطلق لكانه دائماً يراعى مصلحة المملكة ويقدمها على
حظوظه الخاصة ولا يصرف من أموال الدولة الا فى مصالحها وهو فى حذاته فى غاية
الاقتصاد ثم انه يستعين بالرجال العارفين المجازمين الصادقين ولا يغير احدا من الكبراء
من منصبه الا لمصلحة مهجة أو ذنب ثابت حتى ان وزيره الاكبر لالان وهو غرناشكوف
له فى الوزارة سبع وعشرون سنة مع كبر سنه الذى يبلغ الثمانين ولم يغيره بل انه مرض
مرضا شديدا فى هاته السنة وهى سنة ١٢٩٧ واضطر للاستعفاء فلم يعفوه وجعل له
ناياعنه لمباشرة الاشغال الى ان يتبرأ له مباشرة الاحوال وعاده بنفسه فى مرضه كما انه
استعفى مرار ولم يجبه الى ذلك وهو اى القيصرة قد ادلت دايبر وزرائه والناسحين العارفين
وهكذا اسلافه فان الوزير نسل رودا الذى كان قبل غرناشكوف مكث فى الوزارة
ثلاثين سنة وبذلك حصل التقدم للدولة وصارت مدنها الكبيرة لا يفرق بينها وبين

مدن أوروبا القانونية لافي الادارة الحكيمة ولا السباسة ولا التمسك بين التمشيخي اما
 غير هانم بقية المملكة فكانت الناس عبيد مستعملون للرعاة حتى حكى لى أحد
 السواح الثقة ان مشايخ القرى يضربون الرعية بالسياط وهم مارون بالطريق
 ولا يأمر الشيخ أحد بشئ الا ويتبعه السوط ضربا لاجل ضيافة السائح فتعجب السائح
 من ذلك وقال له يا أيها الشيخ لا لزوم لهذا الاكرام حيث ان الواقعة هي ان السائح لما قدم
 لقرية ويبيده توصيات من الحكومة في الالتفات اليه من الرعاة وكرامه عمل شيخ
 القرية بذلك وأمر في الحال أحد الاهالي بالاتبان بعلف الدواب من عنده وأمر آخر
 بالاتبان بالاكل الطيب من عنده أيضا وأتبع الامر بالضرب والشتم فقال له السائح
 المقاتلة المار ذكرها فأجابه بدع عنك هذا الكلام ان هؤلاء الكلاب لا يصلح فيهم
 الا هذا العمل فلواني طابت عنهم ما طابت باعلا ما يكون من الثمن عن طيب نفس لما
 أجابوا شئ وكلام هذا الشيخ وان أمكن ان يكون فيه مبالغة لكنه لا يتخلو عن الصحة
 لان الاهالي أعنى أغابهم تربوا على السذاجة الحموانية ولم تترب أخلاقهم مع النشأة على
 الذلل والهوان والتحكم الشديد فلوطاب منهم الحاكم شيئا اعتمادا على اعطائه مجانا بالوعد
 بالثمن لما صدقوا بذلك ورأوا ان رزقهم يؤخذ منهم قهرا وحب المسال مجبولة عليه
 الطبائع فيتم كاسلون عند اعطائه الا بالغضب فيصنع الحكام معهم ذلك الصنيع ولوانهم
 عودوهم من الصغر والنشأة على مكارم الاخلاق وكرام الضيف ورأوا منهم مرارا اعطاه
 الحقوق والثن لما خالفوا طبع سائر البشر واعلم ان في أقسام هاته المملكة اقواما
 كثيرين من المسلمين منهم أهالي ولاية قازان الذين أسلموا منذ العصر الاول اذ قيل انهم
 أسلموا في عصر بنى مروان في كبد القرن الاول من الهجرة وقيل في خلافة المأمون وقيل
 في خلافة الواثق ابن أخيه وانتشر فيهم الاسلام باسلام ملك باغار الماس خان بن سلكي
 خان في خلافة المقتدر فتسمى بالامير جعفر وقاعدة هاته الولاية بمدينة باغار المذكورة
 في كتب الفقه للاختلاف في وجوب العشاء على أهلها في مدة الصيف حيث لا يغرب
 فيها الشفق وانما أفردت بالذكر مع شمول الحكم لكل ما قرب الى أحد القطبين لانها
 هي التي كانت اذ ذلك معروفة باسلام أهلها ولم يحدث الخلاف في الوجوب الا في المائة
 السادسة اذ لاص عن المتقدمين وقد أفرد المسئلة بتأليف يديع أحد علماء هاته البلدة
 في هذا العصر وهو العلامة هارون ابن بهاء الدين المرجاني ابن شهاب الدين الباغاري
 أيد القول بالوجوب وله نفس يديع وقول مصيب اختره ملك بهو بال السب يد محمد

صديق خان في لقطه الجبلان فله الحمد على وجود أمثالهم في هذا العصر الذي تغرب فيه الدين فضلا عن العلم وتلك المدينة واقعة على عرض خمس وخمسين درجة شمالا ونحو سبع وأربعين درجة طولا شرقياً من باريس وهي على نهر الفالكي الشهير

❖ الفصل * التأسيس والثلثون

وخلاصة الكلام على جميع قسم أوروپا هو ان يقال ان جميع الممالك المار ذكرها لا ما استثنى كلها ممالك قانونية يعني ان ادارتها منضبطة في السياسات بأمر محدود و مكتوبة يعلمها الخاص والعام ولا يجوز لمتصرف تجاوزها والمباشر لاجرائها هم الوزراء باذن رئيس الدولة على اختلاف لقبه من امبراطور أو ملك أو رئيس جمهورية وعدد هؤلاء الوزراء يختلف بحسب كبر الممالك وصغر حاجتها لتحتاج الادارة الى زيادة الفروع أولاً وأصول الادارات التي لا بد منها في كل مملكة هي ادارة الداخلية ثم الخارجية ثم المالية ثم المحربية وقد يفرع عن هاته فروع على حسب الحاجة ولا هميتها تنفرد بوزارة مثل غيرهما من الاحوال فن هاته وزارة الاحكام والبحر والمعارف والاشغال العامة والديانة ويجعل لهؤلاء رئيس في الاغلب يكون هو احدثهم وتارة يكون منفردا لرأسهم عند الاجتماع وينفذ ما يتوقف على جمعهم ورئيس المملكة ينتخب هذا الرئيس وهو يعين لصاحب المملكة بقية اقرانه فيموظفهم وليس له بعد ذلك الامضاء تصرفاتهم أو تبديلهم ان وافقه القانون وما يراه من التصرف اغاية تصرف فيه بواسطتهم ثم يجلس على الوزراء مجلسان أحدهما مجلس الاعيان من الامة واختيار أعضائه بيد صاحب المملكة او بواسطة وراثته تنوارثها بعض العائلات وقد تنتخب الاهالي بعض الاعضاء من بعض الممالك والثاني مجلس النواب أي نواب الامة تنتخبهم الاهالي لمدة معلومة بغاية المحورية في الاختيار على شروط في المنتخب والمنتخب ثول الى صفات تثبت حق الفعية على الوطن ومعرفة مصالحه والاهلية له صحة ومجموع المجالسين يصح ان يسمى مجلس الامة أو المملكية فاذا رأى هذا المجلس فسادا في تصرف أحد الوزراء أو مجموعهم وأصر المعترض عليه على رأيه لزمه الاستعفاء لانه يتصرف على خلاف ارادة الامة وهنا يكون لصاحب المملكية الحق في قبول اعتراض المجلس وابدال المعترض عليه أو باذن الامة بانتخاب مجلس آخر بعد حله للاول فان وقع انتخاب الامة على أناس

موافقين

موافقين للمعترض عليه بقي الامر على ما هو وان انتخبوا اهل المجلس الاول انفسهم
 او غيرهم ممن يوافقهم في الراى لم يبق لصاحب المملوكة حينئذ الا ابدال الوزراء المعترض
 عليهم وتوظيف غيرهم ممن يوافق راى الامة هذا زيادة عمال هذا المجلس من حفظ جميع
 القوانين ومراعات مصالح المملوكة في المال والسياسة والاحكام وعقاب المذنبين من
 الموظفين ولومن الوزراء غيران مباشرة العمل ليست يسهلوا وانما هي لمن تعود اليه من
 وزراء ومجلس حكم او صاحب المملوكة فهذا هو اصل ادارتهم السياسية واما اصل
 الادارة الحكيمية الشخصية فهي منتردة عن السياسة ولا تسلط للسياسة على الحكم
 الشخصية وهم يوظفون لمدة حياتهم او انتقال لدرجة اعلى وتصرفهم منطابقا مع
 متعددة الاعضاء ووزراءها مجلس آخر لرفع المحكوم عليه اشكواه من المجلس الحاكم
 اليها ووزراء ذلك احتساب مجلس الامة والاحكام يستندون فيها للقوانين مرتبة برضا
 مجلس الامة وتكون الاحكام عائية الى غير ذلك من الالوجه المقررة لاجت انصاف
 ودفع الظلم فهاته هي الاصول المعمول بها وتختلف فروعا بحسب الممالك وعاداتها فليس
 قانون الاحكام متحدا في جميع الممالك بل انما يتحد الجميع على اصل الجناسيات كالقتل
 من الالاه ومنوع في الجميع ومرتبة سجنه يعاقب في الجميع وان اختلف عقابه بحسب
 العادات كما ان الاحوال المتفق عليها ان يكون قسمان تدينه الاله الى دولتهم
 يصرف في تعذيب المملوكة وروثها واسلحها كمد الجسور والطرق الحديدية
 وتنظيف الطرق زيادة على انشائها وكذلك كل ما يؤول لقوم يسع التجارة والمعارف
 والفلاحة وغير ذلك مما يعود على المملوكة بالتعسين والتحصين

القسم الثالث من الارض

هو قارة افريقية يهاهته القارة صارت الان جزيرة عظيمة جدا يحيط بها البحر من جميع
 جهاتها فيحدها شرقا المحيط الشرقى والبحر الاحمر وخليج السويس والبحر الابيض
 ويحدها شمالا البحر الابيض وبوغاز طارق والمحيط الغربى ويحدها غربا المحيط الغربى
 ويحدها جنوبا المحيط الجنوبي وقد عرفت جميع شطوطها ومقارها على التحقيق
 وبقية دواخلها غير مسبوورة على التحقيق الى الان لشدة سرها حيث كان خط
 الاستواء قاصما لها ولصعوبة السفر من قوحش اهلها وقلة الماء والطرق وشغل هاته
 القارة على ستة واربعين مملكة ما بين مستقل وتابع اغيرة فاما الجهة الشمالية من القارة

فانها لها الشهرة النامة ونا كبت بة قدمها غـيرها من الفارات في العصور السابقة
ولازالت الى الآن مرعية الاعتبار

الفصل * الاربعون

فأول دولها سلطنة مرا كش ويحدها غربا المحيط الغربي وجنوبا الصحراء الكبيرة
وشرقا ولاية الجزائر والصحراء المذكورة وشمالا البحر الابيض وبوغار طارق وهي ملكة
متسعة اخذت الجغرافيون في عدد سكانها من خمسة ملايين الى ثلاثة عشر مليوناً
والاقرب للصحة عدلى حسب ما يسمع من أهلها الذين لهم خبرة بأحوالها ان السكان
المطيعين للحكم نحو سبعة ملايين ومبتدأ الحكم العاقل من الشطوط الشمالية الى بلدة
رودانة في الجنوب وهي تبعد عن مرا كش من جنوبها نحو مائة ستة أيام وموقعها جهة
البحر الاقصى وهناك أهم تابعون بالاسم وهم أكثر من الخاضعين للحكم وليس فيهم
من أمارات الخضوع الا المخطبة باسم سلطان المغرب وهم على نوع من الهيمنة وتناصر
الجاهلية وجميع السكان مسلمون الا نحو ثمانية آلاف من اليهود وبعض الغرباء من
من الافرنج في المراسى وحكمهم استبدادي في السياسة وأغلب الاحكام الشخصية يحكم
فيها بالشرع والمباشرة للحكم هو قاض يختار من اعلم الموجودين والمذهب العام هو
المذهب المالكي ولهم مفتون يوليهم القاضى وبعضهم يوليهم السلطان وهؤلاء المولون
من السلطان يستشيرهم القاضى عند مطالب الخدم للشورى في حكمه أو عند توقف
القاضى في وجه الحكم وهكذا في كل مدينة أو قرية له قاض وجميع ما يرجع الى تلك
المدينة من الالاية يرجع الى ذلك القاضى وله نواب في القرى الصغيرة وفوق السهل
قاضى فاس وهو قاضى القضاة وفي فاس قاضيان بهامة الصفة كل منهما مستعبد بجهة
من المدينة وما يتبعها الا انها تنقسم الى فاس القديمة وفاس الجديدة ثم في هاتين المدينتين
قاض نائبا دون الآخر في الرتبة وانما هو بصفة نائب عن قاضى فاس القديمة
لان هذا مع كبر علمه ومزيد فضله استعفى مراراً معتذراً بكبر السن وضعف البدن فلم
يساعفه السلطان لذلك ووظف له ذلك النائب وهذا القاضى هو الذى يولى جميع
القضاة الاقضاة مرا كش فلا دخل له فيهم اللهم الا اذا اراد السلطان أن يولى أحداً علماء
فاس قاضياً بمر اكش فيجئ نديستش برفاض فاس في تعيين القاضى وكل مكان يشتمل

على قاض له وال يسمى في عرفهم قائدا له فصل النوازل العادية والسياسية وبعض
 الشخصيات والدولة مركبة من السلطان والوزير والحاجب ووزير القضايا وكتابة
 ورؤساء للجمدو مجهات سياسية فأما السلطان فان له عائلة تسمى بقبيلة النسيب برسول
 الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل اليه بعض أهل المملكة وأتوا بجدهم من ينبع النخل
 من المدينة المنورة منذ نحو ستمائة سنة للتبرك بهم في صلاح ثم انزلهم حيث بان
 بركت آل البيت في جهات أخرى من المملكة ثم عند وقوع حروب أهلية وانقسام
 المملكة الى طوائف نادى بجدهم ولأى محمد قسم من المملكة وبايعوه في الثلاثين بعد
 الألف ثم اجتمعت بقية المملكة على ولده من بعده ولم يزل الملك فيهم لكن المتولى لا يعهد
 الى معين من عائلته وإنما له ان يوظف منهم من رآه أهلا في كبار الاعمال وعنده فقد
 السلطان تحت مع أعيان الموظفين والعلماء وأعيان الأهالي وينتخبون أحدا من أعضاء العائلة
 ويبايعونه بالسلطنة وبقية أعضاء العائلة يجب عليهم قراءة العلم ومن يوظفه منهم
 السلطان يشغل بوظيفته ومن لا وظيفة له يشغل بصناعة يتعمش منها وهي لا تكون
 الاعالة كاللجارة والتدريس والفلاحة ومع ذلك يجبر كل لهم من بيت المال شي لا يكاد
 يسد من عوز وأما الوزير فينتخبه السلطان ولا يكون الا عالما ذا واجهة من الأهالي وهو
 وزير القلم على الطريقة القديمة في دول العرب من أن يكون الوزير هو وزير الانشا
 ولذلك يجب ان يكون ماهرا في فنون الادب مع مشاركة حسنة في غيرها ولعمري ان
 صناعة الانشاء في الدول باللغة العربية كادت الآن أن تكون مقصورة على دولة
 مراکش وأما غيرهم من الدول العربية فقد تذبذبوا وكادت كتابتهم أن تخرج عن
 الأسلوب العربي بل صاروا لا يتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية بخلاف كتاب
 المغرب وهذا يدنيهم من قديمهم وما يحسن ذكره هنا ان جوده باسارجه الله الرجل الشهير
 من أمراء العائلة الحسنية بتونس المتولى في أوائل هذا القرن كن وقع في أنساء ولايته
 فخط شديد اضطر بسببه لطلب الميرة والحبوب من سلطنة المغرب لان أرضها كانت
 خصبة في ذلك العام ولم تكن المواصلة في أوروبا وغيرهما من الاقطار سهلة في ذلك
 الوقت وكان من عادة سلطنة المغرب ان تمنع خروج الحبوب من ممالكهم فأرسل جوده
 باشا العالم المقدس سيدي ابراهيم الزياحي لطلب ذلك المهم ووجهه معه مكتوبا كان من
 جملته عباراته تبقى تأذن بخروج القمح فقوله تبقى عبارة بربرية اعتادها كتاب
 التونسيين في الاوامر الرسمية والمأثور ذلك الكتاب تعجب وزير القلم بدولة المغرب من

تلك العبارة واشتهد حققة منها كيف يخاطب السلطان بها ولولا تجرؤ سيدي ابراهيم في العلوم لحاب المسألة فقال لهم انها عبارة عربية وهي جملة دعائية في صورة الخبر ايدانا بتحقيق الاجابة ببقاء السلطان وما بعدها جملة حالية ايدانا بأن بقاءه يكون دائما مشمولاً به. لو الكعب الذي تحتاج اليه المسلمون من الاقطار وهو دايماً الاذن بما ينفعهم ثم قال لهم وعلى فرض نحن العبارة هل يسوع لسلطان من المسلمين ان لا يرحم عصابة اسلامية ويتركهم يهلكون جوعا لسوء عبارة من جهل الكاتب وقرائن الحسالة خافعة بحسن المقصود على انها لم تحمل وجيه الخ فتجيب سعيه رحمه الله وأما بقية الموظفين فينتخبهم السلطان ايضا على حسب ارادته والسلطان يجاس يوميا صبا حاوهم ليقبول المشتكين كيفما كانت الدعوى ويكون قبل جلوسه قد هيأ له وزير القضاة تقريرا في جميع من ورد ذلك الوقت مع بيان دعوى كل واحد ثم ينظم مجاس السلطان بوقوف وزيره والحاجب وكبار الاعوان ويمكن وزير القضاة ان التقرير من السلطان فيقرأه ويأذن باذخال المشتكين على حسب ترتيبهم ثم في كتاب التقرير ويسمع من المشتكى دعواه ويطابقها على التقرير وعند ذلك لهم طريقان الغالبة هي أن السلطان يجيب المشتكى بما يراه في نفسه لنازلته أو تحويها الى الشرع ثم ينفذ وزير القضاة ما أمر السلطان به والطريقة الثانية هي انه بعد فراغ جميع المشتكين وتطبيق شكواهم على التقرير يوقع السلطان على التقرير في كل نازلة بما يراه ويدفع التقرير الى ذلك الوزير وهو يخرج من بين يديه وينفذ ما أمر به السلطان وسيرة عموم الدولة على السنن القديمة في الامم التي لم يتسع نطاقها في التمدن وفي الغالب يحافظون على الشعائر الدينية وسوق العلوم الدينية رائجة جدا بحيث لا تخلو المملكة من مخول في كل وقت ومن أهم صفات سلاطينهم العلم وأما العلوم الرياضية فاما أن يقال انها منقطعة عندهم بامرة أو أن بعض فروعها لم يزول فيه رفق على النمط القديم وذلك مثل علم الاسطرلاب والهندسة كما ان بعضهم ولوع ودعوى في علم الطب والسمات وسر المحرف وكذلك علم الكيمياء فبني قلب بعض المعادن الى الذهب الذي ضاعت في البحث عنه رجال وأموال من غير طائل وأغلب السكان غايظوا الطباع على السذاجة البربرية أهالي شجاعة واقحام لاشاق ورضاء بشطاف العيش ولاهل المدن اخلاق جديدة وصفات جديدة متمسكين بالديانة وتماشين عن المعاصي وكل قاذح في العدالة ولهم اليد الطولى في التجارة بحيث إن تجارة اخلا المملكة أعنى غير المراسى التي على البحر هي بيد الاهالي

ويرسلون منهم إلى أقاصى الممالك المعاطات الاشغال التجارية ووصلها جميعا كتم حتى لا تكاد تجد مدينة شهيرة للتجارة في إحدى قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا الا وفيها من تحارهم من له مزيد الرواج والثروة ولهم براعة في إدارة التجارة يناسكون بها الاور وياو بين ولا زالوا يحترسون من تدخل الاجانب في أحوالهم كتم حتى انهم يمنعونهم من السكنا في غير المراسى التي على البحر وسفراء الدول يسكنون في مرسى طانجه ومن أراد منهم مواجهة السلطان يرسل اليه بطلب ذلك فيرسل له السلطان خفراة مخصوصين ويتقدمون به من هناك الى تحت المامكة فينزل في إحدى القصور الملكية ويعين له يوما للاراجهسة فيخرج فيه ويتف في ساحة أو طريق رحبية معلومة وتتف العلماء كروا المتوطنون جميعا وشمالا ثم يأتي السلطان راكبا في خاصيته وحاشيته وهم مشاة الى أن يقرب من السدير فيعرض له وعند الوصول اليه يوقف السلطان سير جواده ويسلم على السدير ويلقى اليه السدير الكلام الرسمي المعهود للاقبال فيجيبه السلطان بمثل ذلك ويعلمه انه اذن وزيره باقابلة والتفاوض معه في أموريته ويستقر في سدير وينفصل الموكب وبعد ذلك يقع التفاوض بين الوزير والسدير الى أن يستقر التتار على شيء فيعود السفير الى البلد المستقرة محشوقا بالثغر ومن عوائدهم في أمن البارق ان كل قبيلة حول إحدى البارق تكون كشيلة بن يمر في ذلك الطريق على حدود معلومة ثم يبدل المسافر في كفالة غيرها وهكذا على شرط ان لا يسافر ليلا وان يعطى على كل دابة اجرا مخصوصا لتلك القبيلة وهذا الاجر لا يجنب بالمارين فاذا حصلت منيرة لاحد المسافرين تنفر بها القبيلة التي وقع في حدودها ذلك الحادث واذا دخل وقت الغروب فيجب على المسافر المبادرة الى أحد المنازل الواقعة على الطريق لتلك القبائل وهم يرحبون به ولهم منازل كثيرة حول الطريق وكذلك البريد له في كل بلد شيخ وله اتباع يجمعهم المكاتب ويأخذ عايم اجرا زهيدا ويسافر به الحامل ومعه رفيق لكي لا يتبع التعتيل عرض أو غيرة ويمشون راجلين ويمكنون المكاتب في كل بلدة بيد شيخ بريدها وهو يزعمها ما لم يعرض أمر خاص فله صاحبه ارسال بريدها خاص بأمره على على حسب بعد المكان ولاصحاب البريد سرعة في السير أما بريد الدولة فهو في عهدة القباد يرسلونه من واحد الى آخر الى أن يصل لشره وأصحاب ركاب ولايسمح لاجنبي مطالقان يقيم بداخل المامكة واليهود يسكنون في المدن وغيرها على صفة أهل الذمة غير ان عوائدهم القديمة معهم تجاوزوا فيما حد الشرع في اهانتهم واذايتهم حتى قتلوا

عليهم بابا المداخلة الدول بواسطة الجمعيات اليهودية في ممالك أوروبا وكانت أرسلت في
أواسط هذا القرن دولة الانسكلاتيرة طالبة من السلطان تغيير تلك العوائد فأجابهم
لظلمهم قائلا ان الحكومة تسلك معهم هذا المسلك وأما الاهالي في حيث كانوا غير متقادين
لمجيع الاوامر على الحكومة مراقبتهم بقدر الاسعاعه والساعلم اليهود بذلك امتنعوا من
قبول تلك المنح وأرسلوا الى أوروبا قائلين دعونا على عادتنا المألوفة ولا تتدخلوا فينا
واعانوا للحكومة والاهالي بذلك طالبين التنازل بهم والامان على أنفسهم فأمنوهم
واستقر وعلى ما كانوا عليه. ووجه سلوكتهم ذلك المسلك أمران أحدهما ظاهري وهو
ان ديانتهم قاضية عليهم يتحمل الهوان والمشاق الى خروج المسيح لكي ينفذهم على
دعواهم وثانيهما وهو الباطني انهم يعلمون تسلط الاهالي عليهم وعدم معارضة
الحكومة لهم أما عجزا أو تعاجزا فيتعون في الهلاك وعلى فرض أخذ الدول لثأرهم فما
فائدة لهم بعد اقراضهم وصرح بذلك بعض رؤساءهم لانهم أحرص الناس على حياة وفي
هذه السنة وهى سنة ١٢٩٧ أحرق الاهالي يهوديا فعادت الذكرى من الجمعيات المذكورة
آنها ووجدت دولة اسبانيا الفرصة للتدخل تعاميا عملا فعلته هى مع اليهود مما هو من
ذلك القليل أو أشد وما بالعهد من قدم كانت تمنع دخولهم الى مملكتها ولم يزل ذلك الا
عند اعطاء الحرية العامة في اسبانيا منذ عهد قريب ولكن مر يد التدخل يفتش
على ما يوافق قصده فلذلك دعت دولة اسبانيا جميع دول أوروبا لعقد مؤتمر للنظر في
أحوال اليهود ورعايا الاجانب في مملكة المغرب لان اليهود أكثر رابا الرحيل الى بعض
الممالك الافرنجية ويحصلون منها على الحماية ثم يعودون الى المملكة المغربية ويسكنون
بما كنهم الاصلية وعند اجراء الاحكام والعادات عليهم يتجاسرون باظهار الحماية
الاجنبية فلم تعترف لهم الدولة المغربية بذلك وتقول اما أن تكون أجنبيا فلا تدخل
للمملكة واما أن تكون اهليا فتجرب عليك الاحكام هذاعلى تسليم الحماية ودولة
اسبانيا تريد الانتصار للمحتمين وأن يكون لهم السكنا في دواخل المملكة بدعوة نعيم
التجارة وبعض الدول يوافقها لكي يتسرع باب التدخل في المملكة حتى يتسلط عليها
والدولة المغربية مصرة على الامتناع والتمسك بالمعاهدات والعادات المألوفة ففقدوا
لذلك وقتا في مدريد في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٧ وكانت كل من دواتي فرنسا
وانسكلاتيرة مساعدة لدولة المغرب أما فرنسا فاجاورتها لها في الجزائر وهى قدرأت
من أهالي الجزائر مناعب شديدة فانها استموات عليهم منذ خمسين سنة وهم لازالوا يحدثون

الثورة عليهم - ما سخط لهم - الفرصة مع قلة الفائدة بالنسبة للخسارة فتريد تأكيد
المودة مع دولة المغرب لكي لا يحدث لها عسائر تهيجان في الجزائر سيما وهي تعلم ان
الاستيلاء على المغرب - يرتدسرا عارضة دول أوروبا وية قوية في ذلك وأما انكنا
فتريد استجلاب دولة المغرب وبقاؤها لكي لا يتسلط على خليج طارق دولة قوية يمكن
أن تمنع الانكليز من المرور به الى البحر الأبيض كما تخشى أيضا من انما اذا أظهرت لها
التشدد عليهم بما تميل الى دولة أخرى ذات اقتدار وقها لغها وبصير الجمع ضدا
للا انكليز في وقت الحاجة ومثل هاتين دولتي ألمانيا فكم كثيرا ما تظهر المودة لدولة المغرب
رجاء أن تمكنا بمبرسي على احدهما وطها ولا أقل من ان تكون مجرد حليفة لها حتى
يخشى الفرنسيون عند عقدهم الحرب مع ألمانيا من هجوم المغرب على الجزائر وبقية
الدول لأرب لهم هناك ولذلك يظن ان لا يحصل ضرر على هاتئ الدولة من ذلك المؤتمر
لان اسبانيا وحدها لا تقدر على جاب مساعدة الدول اليها وهي بنفسها ولان كانت قادرة
على التساط على المغرب لكن الدول السابقين المذكورين في هاتئ نافع هناك تعارض
اسبانيا في قصدها ومع هذا كله فانهم لا بد ان يظهروا شيء التلك المماكة حتى تراعى
الاتحاد الاروباوى وبالبته - تم تجنبوا مانى عنه الشرع ولم يعلموا مع أهل الذمة الا
ما أمر به الشرع لان مجاوزة الحد رد تقضى بالانقلاب ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ان صناعة
النقش في الجص على ظواهر الجيطان المسماة في العرف بـ نقش حديد لها اتقان عظيم
بها تة المماكة وكذلك دبغ الجلود واما القرة الحربية فان لهم قباثل مخصوصين مع فنون
من جميع الاداء للدولة وهم القائمون بحمايتهم اعطاء الدولة اليهم المعاشات والسلاح
والخيل وعلى بقية القبائل زيادة على الزكاة والعشمان يدفعوا للدولة مقادير معينة من
الخيل اما عند حدوث الحرب فيلزم جميع المماكة أداء ما يحتاج اليه من الكراع والذخيرة
ولا زال سلاحهم على الطرز القديم وكذلك حركاتهم العسكرية لكن منذ نحو ثلاثين
سنة ابتدؤا بتنظيم العسكر على الطرز الجديد والقوا جيشا يحتوى على ستة عشر ألفا
ومعهم مائة من عساكر تونس ولكنه انخرم وهرب أغلبه ولكن قد أخذ السلطان المتولى
الآن وهو مولاي حسن في تنظيم الجيوش على مقتضى الطرز الجديد وأرسل تلامذة الى
مدارس فرنسا وألمانيا ليعلم الفنون الرياضية والله يجمع سعيه ويحرس المماكة

الفصل * الحادى والارب عون

﴿ المملكة الثمانية ﴾

هى مملكة الجزائر وهى شرقى السابقة ويحدها شرقا تونس وجنوبا البحر - راء وغربا المغرب وشمالا البحر الابيض وهى تابعة لفرانسا منذ سنة ١٢٢٧ وس- أى تفصيل الكلام عليها فى المقصد وانما نقول هنا ان عدد سكانها نحو مليونين ونصف وأكثرهم مسلمون وقاعدة المملكة هى بلاد الجزائر والاحكام السياسية والضبط مثل فرانسا والاحكام الشخصية بين شرعية اسلامية وبين قانونية فرانساوية

الفصل * الثانى والارب عون

﴿ المملكة الثلاثية ﴾

هى مملكة تونس وبأنى تفصيل الكلام عليها فى المقصد ان شاء الله تعالى والاجال انما مملكة اسلامية تابعة للدولة العثمانية مستقلة بالادارة وحكمها استبدادى محض وسكانها نحو مليون ونصف وقاعدتها مدينة تونس ويحدها شرقا وشمالا البحر الابيض وغربا الجزائر وجنوبا البحر الكبيرة وطرابلس

الفصل * الثالث والارب عون

﴿ المملكة الرابعة هى طرابلس الغرب ﴾

وهى مملكة اسلامية من عهد سيدنا عمر رضى الله عنه وكانت فى أيام دولة الرومان والقرطاجين فى غاية العمران والخصب وان كانت المياه بها قليلة لكن الآثار القديمة ذللة على اخراج منابع المياه من البيون والآبار وحفظ ماء المطر غير انها الآن قليلة الخصب والسكان فسكانها لا يتجاوزون المليون والمعمورة بها اودية خاصة وقاعدتها طرابلس ويتبعها ولايات مثل برقة وغ- دامس وفزان وبنغازى وهاتى الاخيرة تارة تفرد بالادارة وتارة تتبع طرابلس وقد استولت الدولة العثمانية على هاتى المملكة فى المائة العاشرة من الهجرة سنة ٩٥٨ وذلك ان الدولة المحفصية التى قاعدتها تونس لما ضعف

أمرها واستبدعها في الولايات في الأطراف كان من جملة من عصى عليها أو إلى طرابلس التي كانت تابعة لها وجار في الأهالي فتجهز إليه السلطان الناصر الحفص وغلبه وأولى على طرابلس أبي العجدة - والواحد ابن حفص فقبل الولاية بعده - دامتناع طويل على شروط أولها إبقائه واليا إلى أن يعيد البلاد إلى أعزما كانت عليه من الغناء والراحة الثاني أن يستقل بالادارة مدة ولاية بحيث لا يعارض ولا يرد أمره في شيء الثالث أن ينتخب مقدارا من العساكر حسب ارادته لابقائهم في اعانته فأجيز له ذلك وبقي في الولاية إلى أن مات وولى ابنه الذي هو على شاكته فاستقر العدل والغناء في المملكة حتى بلغ النهاية وأخذت الأهالي إلى الراحة وترك السلاح لما سجدوا منه سابقا حتى كان ذلك سببا لطمع العدو وفيهم وذلك أنه قدمت إلى طرابلس سيفينتان مشحونتان بتمارة فاشتري جميع ما فيها من رجل واحد ونقد الفين حالا واستدعى من فيها الولية أعدتها لهم وبعد احضار الطعام أخذوا لؤلؤة فآخرة ذات قيمة عظيمة ودقها في الهاون برأى منهم وذرها على الطعام قائلا - هذا لكم مقام الفل فلتم أحضر بطيخة خضراء وأراد قطعها فلم يجد سكينها فسال منهم سكينها ولما سئل عن سبب عدم السكين عنده قال ان الأهالي كانوا يضجروا من حمل السلاح ليللا ونهارا أيام الظلم والعدوان ولما استقرت الامن والعدل صار السلاح بمنزلة له معيبا ومن جملة أهين بين الأهالي فتعجب المدعوون الذين هم من الاسبنيول القاشم في ذلك الوقت كما يرد خبره في تاريخ تونس فأخبر أصحاب السيفين دولتهم بما رأوا فطمعت في طرابلس وكان عندها ابن السلطان الحفص مستجدا على أبيه فقامت بجيش قليل على طرابلس وامتلكتها باسم أحمد الحفص الابن المذكور وجار في البلاد أشد المجور هو الاسبنيول ولما رأى ذلك الناباطان الذي هو أحمد دما لاك ايطاليا قد اخل بين الأهالي بالافساد ووعدهم بالحماية من الظلم وانهم إذا أطاعوه جعلهم من المظالم ولا يتدخل في أمورهم وانما يستولى على الحصون فقط فكان ما كان واجرى فيهم الامراؤا على نحو ما وعد ثم ابتهد بالمدخل في أمرهم فامتنع بعض أعيان الأهالي وتخصصوا في (تاجوري) وكانت الحرب بينهم قائمه غير أنهم علموا بضغفهم عن امتداد المقاومة فارتسلوا وقد امنهم إلى الاستانة مستنجدين بالدولة العثمانية في انقاذهم ودعواهم للاستيلاء على جميع البلاد حيث كانت هي اذ ذلك أقوى دول الاسلام وجمعت تحت رايها أغلب الممالك الاسلامية كمصر والشام والعراقين ولما وصل الوفد إلى الاستانة تعجب من شكهم كل من رآهم ولم يجدوا أحدا يفهم لغتهم حتى صار ف أحد

الطواشين في القصر السلطاني لجمع المحتبك لتفترج فيهم وكان عالما باللغة العربية فعلم القصد وكان هو الواسطة في ابلاغ مطالبهم للدولة فاولئك هم على تلك البعثة وأرسلته معهم مع حامية ضميعة لانهم ساهموا الامر على الدولة لكنه لما وصل ذلك الوالي وعلم حقيقة الامر أرسل بتفصيل الاخبار الى الدولة وكان ذلك اسطولها الموجه الى الاسمية لا على تونس على أهبة السعة فرقت تحت رياسة سنان باشا فأمر بالتعريض على طرابلس أولا فافتتحتهم من أيدي الغالبان وبقيت مستقلة بالادارة وليس للدولة عليها الا اهدايا واعانات في وقت الحرب الى ان عصي يوسف باشا قومه على وحرارته الدولة في أواسط هذا القرن أي سنة ١٢٥١ واستولت استيلاء باناعلى المملكة وصارت ادارتها مثل ادارة سائر الولايات العثمانية ومركز الولاية مدينة طرابلس الغرب وسكانها يميلون للبدوة ولو أهل المدن ويحدها شرقا مصر وشمالا البحر الابيض وتونس وغربا تونس وجنوبا الصحراء الكبيرة

الفصل * الرابع والاربعون

المملكة الخامسة هي مصر واجال الكلام عليها انها ملكة اسلامية مستقلة بالادارة تابعة للدولة العثمانية وقاعدتها مصر ويتبعها ملك مثل النوبة ودارفور وكردفان وزيلع وغيرها من ممالك السودان وجميع سكانها مختلف في عددهم من الثلاثة عشر مليوناً الى الستة عشر مليوناً والاخير باعتبار الاضافات الاخيرة بها اقرب وحكمها ظاهرا قانوني بين شرعي وسياسي ويحدها شمالا البحر الابيض والصحراء وغربا طرابلس وشرقاً الشام وجزيرة العرب والبحر الاحمر وجنوبا الحبش والسودان والصحراء الكبيرة وتفصيل الكلام عليها يأتي في المقصدان شاء الله تعالى

الفصل * الخامس والاربعون

المملكة السادسة هي الحبشة ويحدها من جميع جهاتها السودان المصري وعدد أهلها نحو خمسة ملايين على التوحش والبربرية والديانة عندهم الغالبة نوع بين النصرانية واليهودية والوثنية أعني انها كانت نصرانية ثم امتزجت بفروع من تلك والحكم استبدادي متوحش ولا يعرفون حقائق العلوم ولا التمدن ولذا لا يعلم كم دخلها ولا

ولانخرجها وهي لاتزال في ضـعف من الحروب الالهية وبين أهلها كثير من المسلمين
دخلهم الاسلام من عهد البعثة

*

الفصل * السادس والاربعون

المملكة السابعة هي مملكة الزنجبار وموقعها على شطوط أفريقيا الشرقية على المحيط
الشرقي وقاعدتها في جزيرة امام القارة وهاته المملكة هي اسلامية عربية من قديم وتارة
تكون تابعة لغيرها من ملوك جزيرة العرب وتارة تستقل وفي أوائل هذا القرن
استفحل ملك أحد أئمة سقط جزيرة العرب وهو المسمى بالسيد سعيد من أعيان ملوك
الاسلام المتأخرين فعبر السيد سعيد البحر واستولى على زنجبار وجعلها مقر مملكته
وأشاد فيها الحصون ورتب فيها الادارة الملكية مع انتحال شعائر الدين الاسلامي وكان
من أتباع المذهب الوهابي كما أنشأ أسطولاً بحرياً يتألف من أربع سفن بحرية
ذات طمحين ومن عمل مداركه السياسية انه ما علم ازدياد القوات الاوروبية وطوح
أنظارهم الى الجهات الشرقية وغيرها كما حصل بالفعل في شطوط أفريقيا والهندرا كن
حيث أن الدولة الانكليزية جعل معها عهداً حتى تكون كافلة بحماية مملكته من تسلط
الغـير لانها أقوى دولة اوروبية لها شوكة في تلك الاقطار وفي آخر حياته أولى على
سقط أحد ولديه وهو المسمى السيد تويني مستعلا بها كما أولى على الزنجبار ولده
الآخر المسمى السيد ماجدي وبعد وفاته حصلت نفرة بين الاخوين وعزم على الحرب
فتدخلت بينهم الدولة الانكليزية وتصلحوا على اداء ملك الزنجبار الى امام سقط مقدارا
سنوي بحيث ان المملكة الأولى أغنى من الثانية والثانية أقوى وكانت مملكة الأولى
ثم ازداد غناء مملكة الزنجبار واعتبارها بعد فتح خليج السويس لاعتناء سلطانها السيد
برغش واجراه للعدل ولاهاها تمدن وقطاعة عربية وقد زار سلطانها السيد برغش ممالك
أوروبا في أوائل عشرة التسعين بعد المائتين وألف وأخذ ينحوا منى المدن
الأوروبية وباوى في بعض أشيائه سالكم ملك الاستشارة الذي هو أساس العدل ودخل
هاته المملكة يأتي ان شاء الله تعالى في جدول دخل الدول وأما عدد السكان فهو نحو
مليونين تقريباً

*

*

الفصل * ال س اب ع و الارب ع و ن

المملكة النمامية هي مملكة برنوهي في دواخل القارة في الجهة الشمالية الشرقية ويحدها شرقا وادى وجنوبا الاراضى المجهولة وشمالا الصحراء الكبيرة وغربا قبائل بنبراهي مملكة سودانية اسلامية يقال في صفتها وأحوالها ما يشبه مملكة مراکش ومالكها من نسل العرب ويقال من الاشراف وتخته كوكا أو كوكو قرب بحيرة انشأت أكبر بحيرات دواخل أفريقيا وهذا التخت منقسم الى قسمين كل قسم له سور وفيها بلدان للتجارة منها ما به معامل للصبيخ واخرى للمسبح الثياب القطنية وساطنهما متقل ويلقب في عرفهم بالشيخ ومن دونه يلقبون سلاطين وله اقتدار ويوسم بالعلم بل يقال عنه انه يقرأ درسا من تفسير البيضاوى ودرس من صحيح البخارى وللملكة قبائل تؤدى خراجا له وهي مركي وتختها دورا ومن درا ولو كون ولهم صنائع في النسيج وغيره وله اطان برنوه جيش من السودان على أنواع غير نظامية وله معسكر خاص يقدمه بين يديه على أحسن صورة وأكمل خلقة أشد ذاء لهم رماح وأقواس من الحديد ولكل في ذراعيه حلق من حديد ماسكة لزنديه علامة على القوة ولا لبس لهم الا ما يستتر العورة وبأصابعهم خواتم من حديد تعين على جذب القوس لصلايته ليه مدرميه ولا يلبس العمامة الا السلطان وهي عمامة كبرى بيضى ولدولة الماسانية معه مواصلة ومهادات لاعانة جميعية الجغرافيا الى الاكتشاف ويقال انه يقعدان بعسكر من الفرس ان ازيد من مائة ألف من عموم الاهالى ويستعمل عندهم الاسلحة النارية وانفة الدولة هي العربية وفيها العلماء وعدد السكان باعتبار الاضافات نحو ثمانية ملايين تقريبا

الفصل * ال ث ا م ن و الارب ع و ن

لا يخفى ان بقية أفريقيا لما كانت غير مكتشفة حق الاكتشاف مجيعها وليس لاهلها من التقدم ما يماثل بقية الممالك قد قسمها الجغرافيون الى احدى عشر قسما كبرى فأولها سموا بالسودان ويحده شرقا ولايات مصر السودانية مثل دارفور ويحده شمالا الصحراء الكبيرة ويحده غربا سانيةغال ويحده جنوبا كينيا العليا وبلاد الكفر وهذا القسم يشتمل على عدة ممالك وقبائل مستقلة (تنبيه) لما كان غالب أسمائها

هاته الجهات والقبايل منقولة من امان انجهمى الى الفرانساوى ومنه نقلنا اغلبها
 فربما وقع تحريف فى الاسم ولكن على كل حال يفيد تقريره المقصود بالسادة ومن
 مما لا شك هذا القسم ساطنة برنو المتقدمة واكثر الممالك التى فيه اهلها مسلمون وفيهم
 علماء اجلة لهم تأليف الى هذا العهد ولكن الادلاخ على تفاصيل احوالهم بالنسبة
 اليها لما كان عصر الاكتفين بالذكر الاجمالى

* الف فصل * التاسع والاربعون *

مملكة وادى وهى مملكة اسلامية لها ملك مسـنقل ولها تجارة واسعة مع مصر
 وطرابلس الغرب ولاهاها وفاء عظيم بالعهد ذكرى ثقة ان احد اهلها وادى قضى عليه
 بالاسم فمـيع فى طرابلس والحال انه حر وبذلك بعلم اصابه منع التملك الذى هو مباح
 للخوف من الوقوع فى الحرام حسبما يشهد لذلك ما كتبه عالم افرىقة سيدي ابراهيم
 الريحى من الممالك كـ وشيخ الاسلام بيرم الرابع لاجد باشا عند امره بعث العبد فكتب
 اليه كل من العالمين المذكورين كتابة جيدة فى اصابته رايه ثم ان ذلك الاسير بعد ان اقام
 مدة وصل فيه الى سن الشيخوخة بطرابلس اعتقه ماله ورجع الى بلده وكان غنيا
 وبعده نحو ثمان سنين قدم على معتقه ومعه هدية ثمينة وفاء بحق العبيد ومعه تجارة
 وقضى امره ورجع الى بلاده واداه الى هاته الممالك فحوامن مليونين ونصف وتحتها
 مدينة ورو عادات هاته الممالك واحكامها على نحو مملكة برنو قريبا

* الف فصل * الخامسون *

فى بقية ممالك القسم المسمى بالسودان فاولها قبيلة كانم بوهى فى الجهة الشمالية
 من برنو وقد كانت سابقا مستقلة ثم صارت الآن تابعة الى وادى المتقدمة مع امتياز
 وقاعدتها اماو ثم قبيلة باكرمى وهم تابعون الى وادى ايضا بامتياز وقاعدتهم ماسنا وهى
 غربى السابقة ومن غريب ما فيها ان عندهم نوع من النمل يحفر بيوت كـيرة جدا
 بحيث يكون ارتفاعها نحو عشرين ذراعا واتساعها نحو مائة وعشرين ذراعا وهاته
 الممالك التى قبلها هى حول اعظم بحيرة فى قسم السودان المسماة اتشاد فوادى من
 شرقها وكانم من شمالها وباكرمى من جنوبها ويليهما قبيلة موزكو ومن غريب

عادته -م ان الرجل والمرأة اذا نشاجرا فاذا ابتدا أحدهما بالكلام خبط الآخر فقه
بالخبط حتى اذا انتهى صاحبه فتح هو فاه وفعل صاحبه مثله لئلا يقطع عنه
الكلام ولذلك ترى أفواههم مقبوبة من الصغر لاجل ذلك ويدعى انه -م يا كلون
الاسرى بل وان من تظمنوا به منه -م انه أصابه مرض أكلوه قبل ان ينحف فلا يصرح
أحد بمرض للخوف على نفسه

الفصل * الحادى وال خامسون

مملكة فلانا ومركز قوتهم -م بلاد هوسا التى بها شعبان أقوىاء من السودان ويسمون باسم
بالدهم وهم خاضعون الى فلانا وهؤلاء جاهلهم مسلمون حسن السيرة على ما هم عليه وتختهم
بلدسا كاتو ولهم سلطان مستقل مسلم ومملكته بلدة ورنو وأعظم بلاد للتجارة عندهم
بلد كاتو وأهلها مسلمون ولهم بعض صنائع جيدة كالدبى والصبيغ والذسج وهاته القبيلة
السيادة على جميع القبائل المجاورة لها الانحو ثلاثة قبائل جوار الهراوى كوبر
ومريادى وكغو ولذلك كانت فلانا مملكة وموقعها غربي الممالك السابقة على نهر
ينجر الذى هو أعظم أنهر قسم السودان ولهم عليه قوة عظيمة

الفصل * الثالثانى وال خامسون

القبائل المتحدة المسماة بركو المتألفة من تنبكتو وكورما والتباكو وقد كان الجميع تحت
سلطنة واحدة جمعهم -م عليهم أحد علماء فوت المسمى عمر الفوتى وهو من العلماء الاجلاء
من كبار تلاميذ سيدى احمد التبانى رضى الله عنه وتوصل باجتماع التلامذة عليه الى ان
صاروا كوا جمع هاتيك القبائل واتى يأتى ذكرها تحت سلطنة لكن فى أنرا المروقت
حروب معه الى ان قتل باغى يقال انه اثاره على نفسه لما يس من الحرب وكان ذلك فى حدود
سنة ١٢٨٣ وله عدة تأليف جميع هاته القبائل مسلمون وفيهم الصالحون ولهم تجارة
مع المغرب لكنهم الآن حكمهم كانه حكمهم جهورى تحت عدة رؤساء متعاضدين على
دفع مهاجمات الفلانا من الجنوب والتوارك من الشمال ثم على هاته المملكة من غربها
قبائل (بنبره) وقاعدتهم سان سان دنك وهاته القبيلة مستقلة تحت رئاسة حاكم منهم
وبقر بها مكان كان يسكن به قبيلة تيربا والآن لا يعلم من به

(٧٣)

القسم الثاني

هو أراضى سانيغال أوسانيغاني وهو يشمل على عدة أمم ويحده شمالا الصحراء وشرقا
قسم السودان وجمهورية مالي كينيا والاسد وكينيا العليا وغربا وبعض الجنوب المحيط
الغربي وفيها جبال كثيرة ونهران عظيمان وعدد جميع سكانها نحو اثني عشر مليوناً
وقد استولى الفرنسيون والانسكايون والبرتغاليون على أكثر شواطئها

الفصل الثالث

والنيجرون

في المسئلة من سانيغال قد بقيت دواخلها منقسمة الى عدة حكومات أكبرها ثلاثة
الاولى بالس الثانية مائندنيك الثالثة كيولوفس ثم البقية صغائر متفرقة

الفصل الرابع

والنيجرون

مما لا شك في أني وسواي مائندنيك وموقعها في جنوب السابقة يذنها وبين كينيا العليا وتحتها
فالاباو بأزاهاته قبائل كورانسكو وتحتها كورا كورانسكا

القسم الثالث

هو كينيا العليا وفيها قبائل وأقسام وهذا القسم يندمج مع شاطئ البحر الغربي ويرجع معه
الى الشرق ثم الى الجنوب الى مبدأ خط الاستواء القاسم للقارة ويحده جنوباً كينيا السفلى
عند خط الاستواء والمحيط الغربي وغرباً المحيط وشرقاً بلاد المكفرو شمالاً القسم السودان
في الاغلب وفي الاقل سانيغال

الفصل الخامس

والنيجرون

أول أراضى هذا القسم هي المسماة كرومان وهي قبيلة من الاصليين هناك ذات أخلاق
حسان وهم أقوياء تألفهم الغرباء ويوفون بالعهد وهم في شمال كينيا العليا وعلى
الاجمال بجميع سكان كينيا العليا متوحشون من السودان وبينهم مسلمون ونصارى
ارتحلوا الى هناك ومنهم من صار لهم فيها مستعمرات

(٧٤)

الفصل السادس

﴿والنجسون﴾

في مستعمرات الانكليز بهذا القسم وهي الاراضي المسماة جبال الاسد. وسكانها من
السودان وتحتها فريتوفن

الفصل السابع

﴿والنجسون﴾

في مملكة ليبيريا هي مملكة جمهورية مستقلة تسمى ليبيريا سكانها من السودان المعنوقين
من امريكا وعرفت بهادول اوروبا من سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٧٤ م سكانها نحو
خمسة الاف من السودان ولها مجلس نواب الى غير ذلك من سمات الدول المتقدمة ولغتهم
الانكليزية ونهاية مساعدتهم تحرير العبيد السود في الدنيا وموقعها على الشاطئ الغربي
المدكور وتحتها مدينة مرفونيا وتحتها هاته الجمهورية ولاية أخرى الشاطئ الجنوبية
الحرة المدكورة ومن قانونها ان لا يدخلها الا السودان الذين يقسمون ايماناً على ان
لا يشربوا مسكراً واسم تحتها هدير

الفصل الثامن

﴿والنجسون﴾

في أرض شطى الفيل وهي تلى المملكة المتقدمة وهي من أراضي كينيا يحدها المحيط
المدكور جنوباً بقرب خط الاستواء ولم يمكن للسواح التوغل والاقامة بها الفساد
هو انهم وان اصلح الفرنسيون اما كن أقاموا بها وشرق الارض المدكورة الارض
المسماة بشطى الذهب سميت بذلك لغناها به واستعمرها الانكليزيون ببلادان كثيرة

الفصل التاسع

﴿والنجسون﴾

في دواخل كينيا العليا وفي دواخل كينيا عادة ممالك سودانية منها قبائل فاني كانيهم
عصبية

عصبة ضد حرب قبائل اسمعاني التي هي في الدواخل المذكورة وهم مثل أمة قوية
مخوفة لاسف. كهم الدماء حتى انهم يضحون الادمين في جنازتهم وبعدها تصارهم
وتختتم بسمى كوماي

* الف فصل * الستون

في بقية شطوط كينيا العليا ودواخلها ثم شرقي الشاطئ الذهب شاطئ المسالك يسمى
باسم التجارة الرابطة هناك ثم في دواخله ممالك داهوميه سكانها نحو ثمانمائة ألف
من السودان ولها مائة عشرة ألف من العسكر منهم خمسة آلاف نساء ويضجون
المستمن من الادمين في افراحهم ويختتم (ابوميجي) ثم في شرقي ما ذكر ممالك (هاونكلال)
وأنا كالا) وهوي (وبالي) وشرقيها ممالك (يربا) تمتد الى ان تصل الى قرب ممالك
برنو وماجاورهما وقد تقدم ذكرها وبازائها قبيلة (أكباس) الذين التجؤا من كثرة
الحرب معهم الى جبل صخرية وأنشؤا هناك بلداً مخصصين بها وعددهم نحو مائة
ألف تحت رئاسة رئيس بانتخابهم ولهم رئيس حرب واسلم منهم كثير وأمة نراسه بلا الى
مملكة تنيكنو وشرقي السابقة مملكة بنين وشرقي هاته شاطئ كالا بار ثم جنوبي هاته
محاذ لها على الشاطئ مستعمرة فرانسواي يسمى كابون وهو نهاية ممالك كينيا العليا

❖ القسم الرابع ❖

❖ من الاقسام الكبرى قسم افريقية الجنوبية ❖

* الف فصل * الحادي

❖ والستون ❖

في ممالك رأس الرجاء الصالح في نهاية الجنوب على الشاطئ من المحيط الجنوبي رأس
الرجاء الصالح وهو مستعر لانه كثير وتحتها بلد الرأس سكانها سبع مائة ألف ويأبوا
شمالا في داخل القارة ولايات صغار وهي تاما كاس وكوراناس وبوشس

❖ القسم الخامس ❖

❖ من الاقسام الكبرى بلاد الكفر ❖

وهو شمالا الى اس وهو ارض واسعة عظيمة تنتهي الى الشاطئ الغربي والشاطئ

الشرقي وتتوغل في القارة وتسمى بلاد الكفر ومنهم قبائل الزلوس وقبائل ناتال
وجهورية نهر أورنج وجهورية ترانزفال وبلاد البتجواناس وبلاد أوتانتو

الفصل * الثاني

﴿والستون﴾

فاما الزلوس فهم أقوياء أشداء أهل حرب وقد حاربوا الانكليز سنة ١٢٩٦ كما هي
عادتهم معهم ومات في هاتين الحربين نابليون الثالث امبراطور الفرانسيس لرؤس
على عسكري انكليزي ثم قهر الانكليز الزلوس وأسر واما الكههم الذي يعتقده نفسه
كنابليون الاول وخضعوا الى الانكليز على شروط استقلال ادارتهم

الفصل * الثالث

﴿والستون﴾

وأما أراضي ناتال فسكانها انكليز وهولنديون وزلوس وباستوس وبربريس وهنود
وجميعهم نحو أربع مائة ألف نسمة وتختار ماريس بورك

الفصل * الرابع

﴿والستون﴾

وأما جهورية نهر أورنج وهي شمال رأس الرجاء سكانها من الكفر المسجون بتجواناس
وهولنديون وتختار بلويم فنتين ولههم رئيس ومجلس شورى ومجلس نواب وديانتهم
برستانت وهناك قبيلة من الكفار مستقلة تسكن بالجبل الأزرق

الفصل * الخامس

﴿والستون﴾

وأما جهورية ترانسفال فهي واقعة في بلاد الزلوس وعددهم نحو ثلاثمائة ألف
وثلاثين ألفا وتنقسم الحكومة الى أربعة أقسام لكل مجلس ورئيس ومنفذ وكاتب
وتختار

وتختها بولوش شيفستروم ومن قوانينهم ان رئيس الجمهور يقيم معه اثنا عشر عضوا لادارة
الحكومة يتقون ثلاث سمين

الفصل * السادس

﴿والستون﴾

وأما مملكة بادجوانه فتختها كورومان وبجوارها مملكة اوتانتو وهم فاسدوا الاخلاق
حتى شهبونهم بالمنغول وعقولهم رديئة حتى انهم يدخلون منازلهم يخشون على ابيهم
وارجلهم كالحيوانات وفي كلامهم ياصقون لسانهم بلهاتهم وفي شمسالي نهر أورنج صحراء
تسمى كالا هاري لاماه فيها ولا نبات الا اذا صب المطر فتنبث عروقا وبطيخا بكثرة
ويوجد القيل هنالك بكثرة والجاموس والزراعة والنعام والبركردان وهنالك
نوع من البشر وحشي يصطادونه كما تصطاد السباع ثم اراضى الزنبير يسكنها نوع
من السودان يسمى ماتبونا وانتفى وكولولو وغيرهم

﴿القسم السادس﴾

من الاقسام الكبرى كينزيا السفلى وهى على شاطئ المحيط الغربى يحدّها شمالا
كينزيا العليا تغر بالمحيط وشرقا بلاد الكفر وجنوبا قسم الرأس وهى ارض غنية
بها نوع من القصب عجيب يسمى بانير يدوم من الاربعة الى الخمسة آلاف سنة وساق
شجرته يحيطه نحو ستين ذراعا وبها نوع من القردة أكثر شبهة بالانسان لكن بها نوع
من الذباب قتال لمن يأسعه وأغلب السكان من السودان وحشيون ومنقسمة الى عدة
عمال

الفصل * السابع

﴿والستون﴾

في ممالك كينزيا السفلى فالاولى تسمى لونقو وتختها بوالى ثم عمالة كاكونكو وتختها
كين كلى ثم عمالة نيكويو وتختها كانبدا ثم عمالة كونيكو وتختها بنزا كونيكا ثم عمالة
انكلا تحت اسمها البرتقال وتختها لواند ثم عمالة بنكالا لبرتقال ايضا تحتها
صان فليب وهذان سكانها نحو مائة ألف من السودان ولكل حاكم فى جنوبها
صحراء سيم بيازى

﴿القسم السابع﴾

من الاقسام الكبرى هو المسمى موزنيك وهو شمالي بلاد الكفرة على الشاطئ
الشرقي للمحيط ولا يعرف منه الا الشط وهو مستعمر للبريقال ومنقسم الى سبع حكومات

ال فصل * الثامن

﴿والستون﴾

في ملك هذا القسم وهي مركز وانما بناني وسوقا لا وسينا وكيلمان وموزنيك وديا-كاد
ويحد هذا القسم شمالا ملكة الزنجبار التي تقدم ذكرها

﴿القسم الثامن﴾

من الاقسام الكبرى قسم سوموليس وهو في الشرق الشمالي من زنجبار ويحده
شمالا جون عدن وشرقا المحيط وجنوبا المحيط وزنجبار وغربا زنجبار

ال فصل * التاسع

﴿والستون﴾

في ملك هذا القسم فسكانه من بربر افريقية الشمالية والعرب والسودان وهاته
الملك هي المسماة بزيك وكنت شطوطها للدولة العلية ثم سلمتها الى مصر بالزيادة
في خراجها وفي نهاية شمالها بلاد عدل واغلب سكانها مسلمون ولهم امام من العرب
وفي الشمال الغربي منها بلاد هرروقاعة دنتهم مدينة هرر سكانها نحو الثمانين الفا
كلهم مسلمون على اوصاف جيدة وبلادهم حصينة ذات اسوار والتجار آمنون ولهم
تجارة واسعة مع اليمن وغيره مع خصب الارض وسلامة الهواء في اغلب الجهات وهي
داخلة في الملك التابعة لمصر

﴿القسم التاسع﴾

﴿من الاقسام الكبرى﴾

هو القسم المجهول وهذا القسم الكبير الاوسط من افريقية الجنوبية مجهول ويحده
شرقاً زنجبار وما حولها وغرباً كينيا والسفلى وما حولها وشمالاً برونو وما والاها وجنوباً
بلاد الكفرة ويحدها خط الاستواء وتمتد منه جنوباً نحو عشرة درجات وكذلك شمالاً

ولا يعرف منها عند الجغرافيين الا ثلاث عمالات اولها عمالة كازمب وتختل الوستند
وثانيها اونيام وزى وتختل كرخ وثالثها وجيجى وتختل كاوى

✽

✽ القسم العاشر هو الجزائر البحرية ✽

واما الجزائر التابعة لافريقية وهى فى المحيط كلها لا اعتبار لها بالجزيرة سنقيا من المقابلة
لجون كيمبيا فى داخل المحيط وانما اشتهرت لكونها مائت بها نابلون الاول منقيا فى أسر
الانجليز واغاب تلك الجزيرة فى تلك دول اوروبا الا ما يتبع مع الزنجبار وكذلك
ما يتبع جزيرة ماغسكار التى هى الجزيرة الوحيدة فى افريقية فى المحيط الشرقى تجاه
شاطئ موزمبيق كما سيأتى

✽

✽ الفصل السابع عون ✽

فى ملكة ماداغسكار او كسكار وهى من الجزائر الكبيرة الممتدة فى الدنيا وهى غنية
رفها نوع من السباع اسمه ما كير وهى اى هاى وغيرها من الحيوانات الغير المعروفة
وسكانها نحو خمسة ملايين وكلهم من السودان ونوع يسمى هو واس ينطن انهم من نوع
سكان الهند وعددهم نحو ثمانمائة ألف والدين الغالب هو الكبر من عباد الاوثان
والجميع تحت حكم واحد وعليهم ملكة اثنى اسمها رانا فولو الثانية وقد امرت باحقاق
جميع آلهتهم وهدم جميع معابدهم وامرتهم بالديانة البروتستانت فاطاعوها وهم على
ذلك الا ان كانهم بالاسم فقط اذ لا يعتقدون شيئا وكان ذلك الامر فى سنة ١٨٦٨
وتخت الملكة باءة تاناريفو وقد اكتشف هاته الجزيرة العرب قبل البعث وعرفها
أهل الصين وأهل همالاى

✽

✽ القسم الحادى عشر ✽

من الاقسام الكبرى قسم الصحراء فتنقسم الى ثلاثة أقسام (اولها) صحراء المغرب
(وثانيها) الوسطى او بلاد النوازل (وثالثها) الشرقية او بلاد الدير وس فالاولى
هى بين مراکش وسانيغال على شاطئ المحيط الغربى والشاطئ فى البحر رملوه
صغرا والربح الغربية تخرج من البحر رمالا تسمى رت فيه جزر امنة قلة وقد تحقق ان
وسط هاته الصحراء يكون الرمل دائما منقلا الى الجهة الجنوبية الغربية وكان ذلك
احدا سباب عدم النبات بها وتسمى هاته الصحراء بالساحل ويوجد بها عدة جزائر

بالنبات على خط واحد اما الوجود ما جار على منحاهات تحت الارض أوندى والقوافل
تتردأ على سمها السقى من آبارها والتزود من عشبها

الفصل * الحادى

﴿والسبعون﴾

في ممالك الصحراء الغربية ويسكن بها ته الجزائر في بعض الاوقات نوع من البشر
يسمون زنقا وكذلك التوارك والعرب يجذبهم الى هناك ربح تجارة العبيد وكلهم
يقعشون من القوافل المسارة عليهم وتارة يسرقونهم وتارة يساقون معهم هذه الطريق
والاصليون من سكان الصحراء المذكورة مسلمون وهم مركبون من عرب بنى حسن
الذين يقال انهم رحلوا من اليمن في القرن الحادى عشر ميلاديا وفيها عمالة تسمى
تيريس في الشمال الغربى على الشاطئ قاتلها الحيوانات من المغرب وسانيغال
والرعاة لرعى حيواناتهم زمن الربيع لكثرة الخصب وسكانها اولاد دليم وهم اقوياء
شدادة مسلحون ويخترقون الصحراء بالهجمات السريعة ويقمعون بالنهب وفي جنوبها
بلادها كثيرة سماخ يتزود منها الملح جميع اهلها الى الصحراء الى بلاد تنكبكتو وكان في صحراء
المغرب جزائر نباتية تسمى ادرا على نحو ثلاثين ميلان سانيغال وبها جبال كثيرة
وبلادان وفري وتحتها يسمى وادان وسكانها بنى عرب وبربر ثم جزائر تاغانايت كان
يسكنها قبائل زاغانا وتحتها تيشيت ثم جزائر والاتا في الجنوب الغربى وبلاد الهث
ضاربة في الجنوب تحتها كسانبرا وبقرب سانيغال بلاد ترارزاس وبراكاس وبلاد
سيدي هاشم الذى كان دخل الى مراکش

الفصل * الثانى

﴿والسبعون﴾

في ممالك الصحراء الوسطى واما الصحراء الوسطى فيسكنها العرب المنقلون الى هناك
بالاستيطان والتوارك ويمتدون من حدود فزان ببلاد طرابلس الى بحيرة تشاد ومركز
قوتهم في رباعى شكل مثلث وبها جبال كثيرة ونهيرات وثلاثة جبال كبرى يجعل يسمى
نمات وخارج النمات المذكورة جهة الجنوب الغربى بلاد ازودو بقية الجهات فقراء
والتوارك يسمون انفسهم ايموشالك جمع في مسنة تليين واشراف واسم التوارك اطلقه

عليهم العرب وهو يعنى التاركين اتركهم الحق في الصدر الاول (وأما) الآن فهم
 مساكن ولغتهم تسمى تاماشك وينتمون الى عدة قبائل توارك هرر في جبال هكار
 وتوارك أزمر في جبال غات وتوارك مويدير في جبال سكارن وتوارك الفوقاس وفي
 الجنوب جهة تنمكتو توارك السراج وتوارك أن هو وأولاد أجدد والقبائل وتالغوى
 وجميع هؤلاء القبائل ينقسمون الى أربعة أقسام كبرى وهى توارك هكار وتوارك ار
 في غات وتوارك كلوى وتوارك والى منيدن في شرق تنمكتو والقسمان الاقوان معروفان
 لكثرة التجارة معهم من الجزائر ويدعون بأنهم أشرف البربر وهم يرضحسان الحلقة
 شجعان يحملون الرماح والسيف والمكحلة أى المنهدقة والسكين ويركبون الهجن
 المبريع للغاية مع قوته وبالسون قبصا أبيض أو أسود وعلى رؤسهم شواشى طوال ولثام
 بحيث لا تظهر إلا أعينهم ولهم ملك يحكم مع كبار القبائل وولد أخت الملك هو وريث الملك
 (هكذا) قانونهم وحكمهم ليس بقدرى مطلق بل لهم نوع من الحرية ومن عادتهم
 أن لا يترجى الرجل إلا امرأة واحدة شرعية ولهذه يرهاود يانتمم الآن الاسلام ليسوا
 بمئة الذين فيها كنهى حالة مجاورتهم ولهم غنى أصوافها قصيرة وألبانها كبيرة للغاية ولهم معز
 وأبل تحمل الأثقال وهجائن للركوب ولهم نوع من الخيل من أجود الجياد وفي جوارر
 الصحراء لهم نخيل كثير والقبائل الرحالة هم الحارسون للقوافل المارة في بلادهم بين
 شواطئ أفريقيا الشمالية والسودان باجرة مقبولة معروفة والقادم من فزان يجذغات
 على مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما من لغوات والامهار هناك قليلة جدا ومرض الاعين كثير
 وهو أصعب طريق بين السودان وطرابلس ومن شهر سبتمبر الى غاية شهر نونبر يجتمع
 في بلاد غات أزيد من ثلاثين ألف رجل باجملها وفي الجنوب الغربى هضاب على
 جبال هقر تكاد ان تسمى سفيرة افرريقية لانها بها جبال ذات آجام وغابات ووهادات
 تسقى من عيون غزيرة ويدوم فيها الثلج من جنبر الى مارس ومن هاته الجبال منبع
 اعظم أنهر الصحراء المسمى ايفرغر وينهب جهة الشمال ويتقطع قرب تكررت
 في حدود الجزائر وهى مسكن التوارك الخالصين الخفيفين من جاورهم بقوتهم وشجاعتهم
 واكبر بلادهم تسمى ادلى وفي الشمال الغربى جهة مملكة مراکش عمالة توات
 المكونة من عدة جوارر نباتية متقاربة وبها نوع من الشجر يسمى كرك هو أسن
 لحوم للبارود وأرضهم خصبة بجميع النباتات ولهم حيوانات كثيرة والسكان ناس لطيفون
 مسلمون متصليون ويتجرون مع المغاربة والجزائريين ومع غات والسودان وأكبر

مدنها يتعموم وادراروتانعتيت وتجتمع الطرق في بلاد أولاف ولذلك كانت موقعا
مها للتحارب وفي الجنوب عمالة اير في طريق السودان وهي متكونة من جبال
صخرية وفي الاودية ينبت كل نبات وفي شهر اسيمن تنزل أمطار غزيرة والسكان
يسمون كلوى أصلهم ما بين التوارك والسودان وتحتهم يسمى اوكاديس ولهم ملك
يسكن بها وفي حدود السودان يتوغل في الجنوب ايلة دامركو وفي الغرب منها قرب
نهر دوريبا ايلة والى ما بين مدن وبها بلدة مبروك الواقعة على الطريق بين تذبكتو
وغات

الفصل * الثالث

﴿ والسبعون ﴾

في ملكة الصحراء الشرقية وأما الصحراء الشرقية فالحادة لمصر من غربها فهي ليست
كبيرة الصحراء لانها بها الطمل نوع من الطين بكثرة وبها جبال لونها رصاصي
أواصفرو بهار با من الرمل رحالة الى جهة الجنوب وجهة الغرب وسكانها يسمون
تيدوس من السودان من نوع القانوري السابع لبرنو ومنقسمون الى عدة قبائل وهي
الرشاد وقران وبركو وباتلين وغيرها والطريق ما بين مرزوق الى كوكا مارة على سلسلة
من الجزر النباتية طويلة جدا واكبرها تسمى كوار وهو حقيقة اسمها وان سموها
باقما ويوجد في هذا القسم جزائر أخرى وهي تيدسي وبركو موقعها بين مرزوق
ووادي ثم جزيرة كوفارا التي بها بلدة كايو الواقعة في الشمال وجهة الشرق من
هذا القسم تسمى ليديا بها بعض جزر تابعة الاكن لمصر وهاته الاماكن التي عبرنا
عنها بالجزر تسمى في العرف بالواحات (والخلاصة في افريقية) ان جميع سكانها عدى
الممالك الشمالية والممالك التي على الشواطئ فحوالي مائتين وأهم الشواطئ يد
ماليك أوروبا ولهم فيها حكم استبدادي بمراعاة لاهوائه غير انهم يستعملون القوة
القاهرة لتوحش السكان وبقية السكان غير الممالك التي مر ذكرها بتفصيل حالتها
هم اناس متوحشون كالحيوانات الجهم ودايمهم غزو بعضهم بعضا وبعضهم رؤساء
يلقبون بالقبائل الملك ويجرون الحكم القهري ولهم عادات مبنية على خرافات وجاهلهم
اشد الناس تعلقا بالسحر ورعابا منه ويعتقدون له من التأثير امور عجيبه يكاد
السامع ان لا يفهمها حتى ان بعضهم يستعمل السحرة في الحرب بل ويعتقدون فيهم

الاحياء

الاحياء والامانة ومن هــ هذا القبيل في حكاية ما يعتقدونه ما أخبرني به ثقة عدل راويا
عن والده الذي هو هــ له انه رأى من عجائب سحر هــم ان قبيلة ونقـره من عاداتهم
التجارة ويرحلون لاجلها الى بلاد جنى من بلاد قسم السودان فينتبها لذلك كل عام
نحو ثمانية أو عشرة من كبارهم أهل السحر ويعلمون بذلك فلا يزال الناس يأتونهم
بأقربائهم ووكلائهم المرادين للسفر ويسـتودعونهم عندهم الى ان يجتمع منهم آلاف
كل منهم يحمل بضاعته على عاتقه ويسافرون (هكذا) مشاة فاذا مات أحد المستودعين
اجتمع السحرة والمهوبه باشـياء من نوع شجر عندهم لكي لا يفسد جسده ثم يأخذون ذنب
بـرة مستودع فيه السحر على زعمهم ويمسكونه بيده ثم يوقفوه ولا يزال سائرهم الى
الليل فيمدهمتا (وهكذا) ذهابا وايابا وبضاعته على عاتقه وهو ميت الى ان يرجع الى
صاحبه ولولا تواتر الاخبار بمثل ذلك في أنواع سحرهم لما انبتنا هــا هنا للعلم بأحوال
ما يعتقدونه وديانتهم شتى من أنواع الكفر وبعضهم يعتقد الالهية في نعاين
أو تقارب أو حبات أو أصنام أو ملوك حتى اعتقد قوم منهم في سائح أبيض انه ابن الشمس
وعبدوه ولما أراد الرجوع خاف على نفسه ومنهم من غصبه على البقاء بين أظهرهم الى
أن اخفى ونجا وهكذا يعتقدون الالهية في كثير من الحيوانات وبعضهم له لباس
وبعضهم عراة بالمره والنساء كائنات الحيوانات المشتركة وبعضهم يستتر على العورة
الغليظة وبعضهم يلبس شيئا من الثياب وبعضهم يسكن تحت السماء ويتقي البرد
والحر بظل الأشجار وبعضهم يتخذ بيوتا من المشيم أو أغصان الشجر وبعضهم له قري
وهم يتفاوتون في هاتيك الخلال شدة وضعفا وفي هؤلاء الاقوام قبائل من المسلمين وهم
على توحشهم أحسن حالا من غيرهم لان الديانة هذبت من أخلاقهم نوعا ما وان كان
بعضهم لا يعلم من الديانة الا الانساب اليها وبعضهم يعلم السكليات الخمس الواجبة اجبالا
من غير معرفة تفصيلها وإذا قام أحدهم الى الصلاة يصير يركع ويسجد من غير عدد
مخصوص لانهم انما يعلمون وجوب الصلاة التي هي قيام وركوع وسجود من غير تفصيل
ولا عدد ولا ترتيب وهكذا يوجد في افريقية اقوام ينسبون الى الديانة النصرانية
واليهودية وليست على قواعدها المعروفة ولا زال الاوروبيون يرسلون دعاة
لادخالهم في النصرانية هم وغيرهم من أمم تلك القارة كما يرسلون سواحلا لكشف عنها
وتحقيق ما فيها وكانها لا تلبث أن تصبح مطمح الانظار ومحما للقدم فقد اعتدوا من كل
الجهات بالبحث عن ذلك رغبة في ازدياد التجارة والربح ونجح كثير من سواحهم في

الحصول على اكتشافات نافعة من خصب أقطار وكثرة سكان ووفرة عادن وغير ذلك من حيوانات رحشمية وأهلية لها فائدة في التجارة واللغوا في صفات البلدان التي شاهدوها كتباً مفيدة وعلى الأجل يقال إن قارة أفريقية لازالت غير معروفة حق المعرفة إلا ما ينفاه منها مفردا وقد رأيت أبحاثاً للشيخ أحمد بابا النونيكى وهو عالم مشهور من علماء السودان في أوائل هذا القرن قدم من بلده تنكبكنو قافلاً للبحر ماراً على المغرب وتونس وماتت الأبحاث تهيد معرفة أسماء قبائل من السودان ومعرفة ديارتهم وهى

كل الذى من صنفه تش ندما * عليك بالكفر عايه فاحكما
كذلك كرم كئيد كل ويربا * تنبع ويركبس وبوبا كنبا
فهم يحوز فيهم السببا * ويبيعهم بيجوز والشرا
واحكم باسلا بسلا بزنو * كشكناغ وكنو وعفنو
مول وكوبروصى كذلك * وحل فلات وببض زكزا

✽ التسمم الرابع من الأرض ✽

هى قارة أمريكا يدعى غالب أهل العصر ان هاته القارة كانت مجهولة عند القدماء الى سنة ١٤٩٢ مسيحية الموافقة لآوائل القرن العاشر من الهجرة فاكشفها رجل اسمه كريستوف كولومبوس وهو من أهالى جنوة متخذاً صناعة الملاحة وهى اذ ذلك تسليز معرفة الحروب لكثرة الحروب البحرية سيما في شطوط أوروبا وكان العتي في فكره وجود أرض وراء المحيط الغربى والخزائر الخالدات لمعرفته بالبحر فيما ورسم الخارطات فسعى الى ذلك مع ملك البرتغال ثم مع ملك جنوة وخاب أمه وبعد المحاولات الطويلة مع ايرابلا ملكة اسبانيا في مدة ثمان سنين حصل على المساعدة بثلاث سفن والعهد اليه بأن يكون خالصة الملك عما يكتشفه و يأخذ العشر من المداخيل لنفسه ثم بعد مقاسات شديدة له من الملاحين الذين أرادوا قتله أسهم من النجاح كل سعيه بالنجاح بعدد جمعة ونشرين يوماً من شطوط اسبانيا الى جهة الغرب وأول جزيرة اكتشفوها سماها سان سلعدورى ولازال يكتشف فيها جزيرة بعد أخرى كلها في غاية النضارة رى الحاجة الالهالى وسلاصتهم حتى انهم مرأه نساء ورجالا ولونهم ذهبي وبيدون بيوتنا من أغصان الشجر وبعض الجزر يبنون القرى من الحجارة والطين واكتشف فيها على البطاطس والتبغ اللذين لم يكونا معروفين من قبل وهكذا اكتشف بها على

الطماطم التي يقال انها هي السبب في حدوث المواد الطيرية في القارات لانه لم يكن
معروفها ذلك المرض من قبل حتى سمي بالحرب الافرنجي نسبة الى الافرنج لانه عرف منهم
بجلبهم للطماطم وسأني الكلام ان شاء الله تعالى على وجه تسمية أهل أوروبا بالافرنج
ثم ان كلمة روس رجع الى اسبانيا وعاد بأطول وعسا كرا كثيرا كان أتى به سابقا فلم
يبق هناك ثم قدم بعد مدة رجل يقال له أميريكوس وهو الذي اكتشف على أمريكا
الجنوبية وبه سميت جميع القارة والمحرق انها كانت معروفة سابقا وكذلك طريقها
من جهة المحيط الغربي ودليله انهم أثبتوا ان أهالي النوريج كانت لهم تجارة ومعاملة
مع أهالي كرنيلاندا من أمريكا الشمالية منذ القرن الثالث والرابع من الهجرة حيث
ذكروا ان رجلا من أهالي اسكلانده انتهى الى الآن من ممالك انكلترة وكانت اذذاك
تحت حماية النورويج فذفته الرياح في ذلك الزمان في البحار الشمالية الى ان وصل الى
كرنيلاندا ثم رجع الى بلاده وصار لهم اتصال معهم غير انهم لم يثبتوا زيادة اكتشاف عما
عدي ذلك مع ان المارة كبيرة جدا وكذلك رأيت في جغرافية ابن الوردي انه قال
ما معناه ان وراء الجزائر الخالدات وبحر الظلمات جزائر عظيمة جدا وفيها خلق كثير وقد
وصل اليها أحدا النوتية عن غير قصد بطاردة الرياح ثم رجع منها بعد ان أيس من
الحياة ووصفها بأوصاف جميلة مطابقة لما اكتشف من بعد وانما قال في المحيط الغربي
بحر الظلمات لانه تنكشف فيه جهة الشمال الابخرة حتى يصير ظلاما لليل والنهار
كما هو مشاهد الآن لجميع المسافرين بين أوروبا وأمريكا حتى تضطر البواخر مودة سفرها
ان تصرخ بعد ذلك دقيقة بيوق البخار كي لا يقع لها تصادم مع غيرها لان نور الشمس
محبوب ونور المصابيح لا يخترق تنكشف الابخرة وكذلك نقل لي ثقة انه رأى في بعض كتب
الشيخ محي الدين ابن العربي ان وراء المحيط أمما من بني آدم وعمرانا وهو في القرن
السادس رضى الله عنه فدل هذا على معرفة تلك القارة من قديم وانما الانتفاع التام
بها لاهالي القارات لم يعرف الا منذ قريب ثم ان هاته القارة العظيمة التي تعد
نحو نصف الارض المكشوفة هي يحيط بها البحر من جميع جهاتها ويفصلها عن غيرها
من القارات الاجهة القطب الشمالي ازبد من درجة نصف وثمانين فهي مجهولة كما
ان القليل من الجهات الشمالية وسط القارة لم يعرف بالتحقيق وهكذا الوسطى من
الجنوبية وجميع القارة تنقسم الى شمالي وخطوبي ويوصل بينهما برزخ من الارض
ضيق يبلغ في بعض الجهات الى أربعة وعشرين ميلا يسمى برزخ بناما وقد أرادت في

هاته المدة جمعية فرنسوية تحرقه حتى يتوصل من المحيط الشرق الى المحيط الغربى بقصر فى المسافة وكأنه يتم عن قريب وسكان جميع هاته القارة يبلغون الى نحو الستين مليوناً ولو اضيف اليهم أربع مائة مليون لوسعتهم الارض وقامت بجميع ثروتهم وأكثر أولئك السكان من أهالى أوروبا وآسيا وأفريقيا والاصليون قليلون ثم تدهم القارة الى عدة دول

الفصل الرابع

والسبعون

المملكة الاولى دولة أمريكا المتحدة وموقعها فى أمريكا الشمالية وتمتد من الشرق الى الغرب على جميع القارة فيحدها شرقاً المحيط الغربى ويحدها غرباً المحيط الشرقى ويحدها جنوباً خليج مكسيكو ومكسيكو وخليج كاليفورنيا ويحدها شمالاً الاملاك الانكليزية والبحيرات الشمالية وسكان هاته المملكة نحو اثنين وأربعين مليوناً منقسمون الى ستة وثلاثين حكومة كل حكومة مستقلة بادارتها الداخلية ومجتعون فى الاحوال العامة مما يعود الى مصلحة الجميع وتحت الجميع بلاد واشنطن يتركب فيها مجلس من جميع الحكومات وينظر فى مصلحة الجميع ورئيس هاته البلاد هو رئيس جميع الدول التى هى جمهورية وهى التى لها المعاملة السياسية مع الدول الاجنبية ورياسة العساكر والبحرية وسيرة الدولة وقوانينها مثل سيرة الدول الاوروبية الاكثر حرية وتقدماً ولا زالت تتقدم فى الحضارة والمارف والقوة حتى كان لها الشأن العظيم وصار لها الاعتبار التام عند جميع الدول وكانت سابقاً من مستعمرات الانكليز ثم استقلت سنة ١٧٨٩ أوائل القرن الثالث عشر هجرى وهاته هى أسماء الحكومات المركبة منها العصبة وهى (نيوهامشير) و (مساشوست) و (ريدايلاند) و (كنيكتيكوت) و (نيويورك) و (نيوجيرسى) و (بنسلفانيا) و (دلاوار) و (مرييلاند) و (ورجينيا) و (كولومبيا الشمالية) و (كولومبيا الجنوبية) و (جارجيا) و (ماين) و (فرمونت) و (ميشيغان) و (أوهايو) و (إنديانا) و (الينوى) و (كنتوكى) و (تنيسى) و (الاباما) و (فلوريدا) و (مسسى) و (لويسيانا) و (سكوتسون) و (ايووا) و (مسورى) و (اركانساس) و (كانساس) و (نبراسكا) و (ارجون) و (ميسسونا) و (تكساس) و (كاليفورنيا) و (واشنطن) وهاته الاقسام تكونت

شياً

شياً فشيئاً وأول ماتم منها الثلاثة عشر الاولى فاستقلت كما تقدم ثم مهـ بها أتم قدم شروط العمران والدخول في العصبة قبل ولهذا بقيت بعض أقسام الى الآن تتجم في استعداده لكي تدخل في العصبة وسكان هاته الممالك من الغرباء وأطردوا السكان الاصليين الى شمالى القارة والاصليون يسمون بالهنود لشبههم بهم في اللون والخلفه وقد تهذب منهم أفواج ولازال أغلبهم على التوحش يسكنون مع الوحوش أما الغرباء فقد بالغوا الغاية في التمدن والحزبية فمن حريتهم ان تولى رئيس الجمهورية عندهم رجل صناعته الاحذية حيث كان مستهلكا لشروط الانسانية ووقع عليه الانتخاب وذلك في دشرة الثمانين ومائتين وألف كما تقدموا في فنون المعارف الرياضية والسياسية واخترعوا أشياء عجيبية من الكهرباء والبخار فأول ما عرف استعمال الملون أى القبة الهوائية للاطلاع على أحوال العدو في الحرب في هاته الممالكه عند ما كانت الحرب مستعرة بين الحكومات الشمالية من الدولة المذكورة والحكومات الجنوبية منها التى نشأت بسبب منع العبودية فان الجنوبيين أصروا على ابقاء ملك العبيد وبقيت الحرب بينهم عدة سنين وذلك في عشرة الثمانين من القرن الثالث عشر من الهجرة فمن الاختراعات في ذلك الحرب ان أصدعوا ركبا في قمة الهواه مستخدمين بأسلاك كهربية ليخبروا مراكز الجيش بأحوال جيوش العدو والمستتروراه جبال أوروبا ومن ثمرات قوة الاجتماع التى ظهرت عندهم الطريق الحديدية التى وصلت بها شطوط المحيط الشرقى بشطوط المحيط الغربى وكان يوم تمامها يوما مشهورا فاحتفلت له جميع البلاد وأنعمت بسمار انتهت به صناعة الطريق صنع من ذهب ودق بطرقة من فضة وربطت به عند آخر دقة أسلاك الكهرباء الى جميع البلاد فعند آخر دقة على المسمار حصل العلم بجميعهم بذلك فى آن واحد ولهم ثروة عظيمة بالمعادن جميعا سيما معدن الذهب فى كاليفورنيا الذى ينحت منه الذهب صخر عظيمة وهكذا الصنائع والتجارة مع الامن العظيم والاطمئنان التام وقد امتلكت هاته الدولة بالشراء من روسيا أملا كهاجه الشطوط الشمالية من جهة غربى القارة

* الف فصل * الخ امس *

﴿والسبعون﴾

في بقية ممالك أمريكا الشمالية (وأولها) مستعمرات الانكليز في القسم الشمالى

حادد الاملاك السابقة الاملاك النيكارية وهي يجرى فيها الحكم الانكليزي بنوع
امتيار (ونانها) مايلي ماذ كشرقا وهو قسم المتوحشين الاصليين وبقية اقسام
المريدة للدخول في العصبة السابقة

الفصل * السادس

﴿والسمعون﴾

(ونانها) مكسيكو وهي تلي البلاد المتحدة جنوبا واستغلات واسط هذا القرن من
تساط اسبانيا عليها ولكنها لم تزل متأخرة في جميع أنواع العمران حتى الآن لاختلاف
سكانها وحكمها الآن جمهوري وعندا اكتشاف الاسميول عليها وجد فيها أعمما فيهم
بقايا التمدن ولهم ملك والموجود فيها من آثار المدن يدل على تقدم أهلها وقوتهم
قديمًا وعدد سكانها نحو تسعة ملايين وقاعدتها مكسيكو

الفصل * السابع

﴿والسمعون﴾

(ورابها) أمريكا الوسطى وهي تلي السابقة جنوبا وحكمها جمهوري وهي أقرب إلى
المخرب لبعظم الفتن بين أهلها واستغلات أيضا عن اسبانيا في أواسط هذا القرن

الفصل * الثامن

﴿والسمعون﴾

(وظامها) الجزائر الكثيرة المتفرقة وهي تابعة أمتا ما او تحت الحماية لدول متفرقة
من أوروبا كنيكارتره واسبانيا وفرنسا وهولندا والدانيرك والسويد كما ان هؤلاء
الدول أملاكا في القارة الجنوبية وأكثرهم تمايكا اسبانيا وانكارتة وحقبة عدد
السكان بجهولة لكثرة التوحش وعدم الفائدة الكبرى للدول بتهديتهم وقد جربوا
ان كل من تمدن هناك حاز الاستقلال بإدارة نفسه مع ان عدد السكان قليل في نفسه
ثم ان بقية القارة الجنوبية تشتمل على دول شتى

الفصل * التاسع

﴿والسبعون﴾

فالدولة السامسية كلومبيا المنقسمة الى ثلاثة اقسام كل منها مستقل تحت الحكم
الجمهورى وعدد جميعهم نحو ثلاثة ملايين وهم على حالة التأخر وموقعها من مبدأ
البرزخ الموصل بين القارة الجنوبية والشمالية يقسمها خط الاستواء متصلة بالشاطئ
الغربي والشمالي والشرقي

الفصل * العاشر

(والسابعة) دولة بيرو وسكانها نحو مليون ونصف وحكها جمهورى وموقعها على الشاطئ
الغربي جنوبي المملكة السابقة

الفصل * الحادى

﴿والثمانون﴾

ثم يلم اشرف على مقدمة الى الشطوط الشرقية وعلى جميع دواخل القارة الدولة الثامنة وهى
برازيل وسكانها نحو ستة ملايين ونصف وحكها ملكى مقيد بانقوانين ويوجد فيها عدة
آلاف من المسلمين اصلهم من سودان افريقية ولاكنهم لا يعلمون الاكليات الديانة على
سبيل الاجمال كما يستفاد ذلك من رحلة عبد الرحمن بن عبد الله البعدادى الذى كان
اماماً في بعض السفن المدرعة العثمانية وسافرت الى البصرة على طريق البحر المحيط
الغربي على بغاز طارق وصادفهم زوابع اضطرهم عن غير قصد الى شواطئ برازيل
ولما خرجوا الى التفسح في البر أقبل عليهم اقوام مسلمون وطلبوا ابقاء الامام عندهم
لتعليم الديانة فمق هناك مدة وألف رحلته المختصرة المترجمة الى التركى المسماة
مسألة الغريب وكان سفره سنة (١٢٨٢) ولا يبعد أن يكون في جميع امريكا ثم كثر من
المسلمين ولا يجدون من يهديهم ولا حول ولا قوة الا بالله

(٩٠)

الفصل * الثاني

﴿والثمانون﴾

وبين بيرو وبرازيل الدولة التاسعة وهى بوليفيا سكانها لا يتجاوزون نصف مليون وحكمهم
جمهورى

الفصل * الثالث

﴿والثمانون﴾

والدولة العاشرة هى الشيلي سكانها نحو مليون وربع وحكمها جمهورى وموقعها على
بقية الشطوط الغربية الى نهاية القارة فى الجنوب

الفصل * الرابع

﴿والثمانون﴾

والدولة الحادية عشرة دولة سيونس ايرس ويقال لها لابلاتا وهى وسط القارة الجنوبية
تحدّها شيلي من الغرب والمحيط الشرقى وبرازيل من الشرق وسكانها مجهولوا العدد
وحكمها جمهورى

الفصل * الخامس

﴿والثمانون﴾

الدولة الثانية عشرة أوروكوياى هى جنوب برازيل سكانها نحو مائة وخمسين ألفا
تحت الحكم الجمهورى المستقل وهى على الشاطئ الشرقى الجنوبى

الفصل * السادس

﴿والثمانون﴾

والدولة الثالثة عشرة هى بقية أمريكا الجنوبية المعروفة بتاكوفى وأهلها من الاصليين
هناك طوال شدة دمة وحشون يقال تقريب عددهم مائة وخمسون ألفا فى تلك الاراضى
الواسعة

الواسعة وموقعها على الشاطئ الشرقى فى نهاية القارة جنوبا وغربها الشيلى والمحصلان
 غير الدولة المتحدة لم يكن فى أمر يكمن الدول ما يعتبر أذأغاب الاقسام المذكورة ولان
 كانت تحت أحكام منظمة لكن لم يتبع فيها نطاق المعارف والتقدم وأهلهم الحروب
 الالهية عما يصلح شأنهم - م سيميا وأغلبهم - م حديثوا عهد بالعق من تسلط الدول
 الاورباوية عليهم الذين كانوا يجبرون فيهم الحكم الاستبدادى الظالم وأما أقلهم فانهم
 من الاهالى الاصليين الذين امانهم - م تناسوا التمدن أو لم يعرف فيه - م ولم يحسن الغرباء
 معاشرتهم وانما عاينهم معاملة الوحوش وأطردوهم أو أفندوهم - م من ديارهم فبقوا
 على الجهل والتوحش وفى بعض الاماكن لا تساعدهم طبيعة الاقليم على شئ فقد ذكروا
 ان فى الجهات الضاربة لاقصى الشمال قوم يختمون من الجليد ديمونا ويجهلون لها
 مضادى فتحاوي بسدونها بطبقات من الجليد الصقيف ليمنع مرور الهواء ولا يمنع الضوء
 ويبقون فى تلك الدهاليز الى الشتاء الطويلة التى هى أغاب أيام السنة عندهم
 ويكنسون بجلد عجول البحر وبأكلون لحمه ويوفدون عظمه ومن أغرب ما يحكى عنهم - م
 انهم يطبخون اللحم المذكور فى قدور من الحشب وصورة طبخهم انهم - م يتخذون من
 بعض الاشجار التى تنبت فى الارض الجليدية قدورا يضعون فيها تجوف منها اللحم
 ويصبون عليه الماء ثم يأخذون الحجارة ويحجمونها فى النار الى أن تصير حامية جدا
 فيلقونها فى القدور فتطفأ ويسخن الماء بصرارتها ثم غيرها وغيرها الى أن يصل الطبخ الى
 الاعتدال الذى اعتادوه وربل يخاف ما يشاء ويختار وهو القادر للفعال

❖ القسم الخامس من الارض استراليا ❖

هى مجموع جزائر جهة الجنوب من المحيط الشرقى قبالة الهند والطن انها كانت متصلة
 بشبه جزيرة سمطرا قديما وفصاتها زلازلها نالة قديما كما يتبين من النظر الى الخريطة
 ويدعى ان أعظمها اكتشف منذ أقل من مائة سنة والحال ان بها سكان نحو مليونين من
 البشر وفى لونهم السود فى أشكال من جهة التعليل بان سواد اللون من كثرة الحر تحت
 خط الاستواء مع ان عرض أعظم جزيرة هنالك يبتدىئ من عرض خمسة وثلاثين جنوبيا
 وذلك العرض من المناطق المعتدلة مع ان الاهالى الاصليين سود وكلهم متوحشون وانما
 يترفون فى شدة التوحش وضعفه وقد أخذت بعض الجهات فى التمدن شيأما وكل هاته
 الجزائر تحت تسلط دول أوروبا وأغلبها ملك الدولة الانكليزية وقد جعلت أستراليا

منها لأصحاب الجرائم العظيمة فبالغرب والحكم المشدد هناك تم ذنبوا وتقدموا شيئاً
 فشيئاً إلى أن أنكروا على الدولة الانكليزية في الجرمين اليهم لانهم ليسوا بأهل
 لمعاشرتهم ثم أخذوا استقلال ادارتهم برضاء الدولة الانكليزية ولا زالوا تحت حمايتها
 وبقية دواخل الجزر مجهولة إلى الآن وهكذا جهة القطب الجنوبي واكتشف النوتية
 منذ أربعين سنة على أرض في تلك الجهات واسعة ولم يروا فيها سكاناً إلى الآن لم يزل
 البحث على ما فيها وما ورائها وكذلك سنة (١٢٩١) اكتشف نوتية من النمسا
 أرسلتهم دولتهم للاكتشاف على أحوال القطب الشمالي في باخرة تامة التجهيز فرجعوا
 بعد عامين بعد ان خاضتهم باخرة روسية عندهما كادوا ان يهلكوا لانهم كانوا يبحرون
 بالجليد ورجوعهم في قوارب صغيرة فأخبروا باكتشافهم لارض واسعة في درجة
 ثلاثة وثلاثين وانهم لما انتهوا إلى رأس فيها سموه رأس أوستريا وجدوا بحراً جهة
 الشمال مائتاً عليه يسير من الجبل لا يتحمل حمل المراكب الجليدية وحدهم بذلك علماء
 هذا الفن على ان الحرارة من الكهرباء جهة القطب يمكن معها الحياة والسكنى أزيد من
 المناطق المنجمدة وهو يؤيد ما قلناه في بحث السد عند الكلام على الصين والله أعلم
 بما خلق وذراً وهو الحكيم الخبير

الفصل * ال س ا ب ع

والمثمانون

وحيث قد تبين في هذا الباب اجمال حالات الممالك وما هي عليه من الاحكام والامور
 فاسب ان نذكر هنا خلاصة في أسماء الممالك وقواعدها بلدانها وعدد سكانها وكمية
 عساكرها وعدد سفنها الحربية ومقدار دخل حكومتها ومقدار خرجها وكذلك قيمة الساع
 الداخلية والخارجية بتجارتها المملوكة وكم على حكومتها من الدين وكمية ما مد من طرق
 الحديد فيها لتبين بذلك قوة الممالك ومراتبها في الاعتبار وهاتيك التفاصيل جمعناها
 من عدة مواد وقوائم كلها في سنين متقاربة من سنة (١٢٨٨) إلى سنة (١٢٩٧)
 بحيث لا يتجاوز العشر سنين وانما نهبنا على هذا لان الاعداد المذكورة في الاغلب
 تتغير بمرور بطول السنين لكنها في الاغلب لا تتغير في أقل من عشر سنين الا بامور
 جزئية الا ان يطرأ على مملكة من الممالك حادث غير اعتيادي بحرب هائلة أو غيرها كما انا

(٩٣)

لم نتبر في ما نقلناه اعداد القليلة بالنسبة الى ما يقتضيه كل نوع من الانواع المذكورة
لعدم الجدوى فيه بالنسبة لما نحن بصدده سيما وكثير من تلك الانواع هو من أصله
غير محرر بالتدقيق الا في بعض مواد في بعض الممالك

﴿ جدول احصاء آت الممالك ﴾

(٩٤)

﴿المتصد﴾

﴿وفيه أبواب﴾

الباب * الاول

﴿في سبب سفرى﴾

﴿فصل﴾

قد عرض للبعد المحير السفر الى أوروبا ثلاث مرار الى هذا التاريخ وهو سنة (١٢٩٧) فاما في مرتين وهما الاوليتان فكان السفر لاجل التداوى فقط على ما سيأتى بيانه وأما المرة الثالثة فكانت لما ذكرنا أيضا وشغال سياسية أوز الى بها الوزير ثم عند رجوعى من هاته الثالثة نقض المذكور غزله وحملنى على مفارقة الوطن حفظا لما يوجب الله على حفظه فوجهت القصد الى أدراه الحج المقروض والمشمرف بزيارة أعظم الرسل (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آله الكرام وخلائئه الاعلام واصحابه الفخام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين) ثم استقررت بالقسطنطينية العظمى ثم سافرت الى أوروبا رابعا سنة (١٢٩٨) وعدت الى الاسنة وسنة فرد كل ملكة شاهديتها بباب خاص نذكر فيه أحوالها وما شاهدته فيها كما انى أبين فى هذا الباب المرض الذى جانى على السفر وما قيل فى التداوى شرطا وما عولجت به وحيث كان لاصول النشأة والاقليم دخل عظيم فى العلاج كما قرره اطباء المتقدمون والمتأخرون لزم أن يذكر طرقا من حال نشأتى ونفرد كل قسم من هاته الامور بفصل خاص والله المستعان

فصل

﴿فى نشأتى﴾

اعلم ان نهاية ما تعلم من نسبى هو ما يذكر وهو اتقى محمد بن مصطفى بن محمد الثالث ابن محمد الثانى ابن محمد الاول ابن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بريم وهذا الجد الأعلى قدم الى تونس عند قدوم سنان باشا وزير الدولة العلية مع العساكر العثمانية لفتح تونس من يد الاسبغول سنة احدى وثمانين وتسعمائة ثم أقام بها وتزوج بابنة ابن البار أحد وزراء الاندلس وعلمائها صاحب القصيدة التى يستغيث بها على لسان صاحب

صاحب الاندلس سلطان المغرب للاندلس عند قدومه عليه سفيراً من مخدميه
(ومطالعها)

ادرك بخيلك خيل الله أندلسا ❀ ان السبيل الى منجاة ادرسا
ثم تناسل نسله الى حسن بن الاخير منخرطين في سلك الوظائف العسكرية أو المالكية مع
التحلي بالآداب العلمية فتزوج حسين هذا ابنة طاهرة من ذرية المولى الشريف سيدي
(حسن الشريف الهندي) الشهير برضى الله عنه وبارك في آل بيته العامر السعيد
الى قيام الساعة فولدت له محمد بريم الاول ومنه دخل النسل الى سلك العلماء الى
الآن والرجو من كرم الله ان يديم ذلك في أعقابنا ما قدر لهم بالوجود واستفحل العلم في
هذا البيت ولله الحمد حتى سمعت من شيخنا العلامة شيخ الاسلام محمد بن الحوجه يعرف
جدي محمد الثاني بقوله أبو يوسف الثاني ومؤلفات هذا الجد تشهدا شيخنا بصدقه
وكذلك لبقية علماء بيته أنا أليف عديدة عظيمة مفيدة وتقبلوا في الوظائف العلمية الى
رياسة القنوى وتلقب منهم أربعة بشيخ الاسلام ولما تأهل (والدى قدس الله
روحه) للزواج زوجته أبوه بابة وزير البحر محمود بن محمد خوجه والدته من بيت
العماد ذي الشرف المعروف وقد ألف المجد محمد بريم الثاني تأليفًا خاصًا في التعريف
بنسبه الجمجمة والروحاني بلغ فيه الى نفسه والعبد مذيل عليه بذكر من لم يحويه ذلك
التأليف من فروع هذا البيت وما ذكر في هذا الفصل النموذج منه وكانت ولادتي
في سنة (١٢٥٥) ثم اشتغلت بالقراءة والتعلم متفرغًا الى ذلك الى أن وايت خطة
التدريس سنة (١٢٧٨) وكذلك مشيخة المدرسة العنقية ولم يكن لي هم بشئ من
أحوال الدنيا الا مطالعات الحوادث السياسية الداخلية والمخارجية الى أن توفي
والدى رحمه الله ونهجه سنة (١٢٨٠) فاضطررت الى ادارة مخفاته ولم يكن لي الا محض
الوداد مع سائر السكان لبعدي عن مواقع التماس يدنهم وتجنبي للخطوط حتى ان خطة
التدريس والمشيخة المذكورتين انما قبلتهما بعد الاحاح عند وفاة عمي شيخ الاسلام
محمد بريم الرابع والخلال الخطنين المذكورتين بسبب موته حيث كانت مشيخة المدرسة
اليه وانحازت وظيفة التدريس بسبب انتقال صاحبها المافوقها وصاحب مافوقها
ترقى الى مشيخة الاسلام وهو شيخنا العلامة محمد بن الحوجه المشار اليه آنفاً وبقيت على
ذلك مرتاح البال سليم الوداد الى ان ولي الوزارة الكبرى بتونس الناصر الامين خير
الدين باشا ونحانمتي الحكومة الشورية في اجراء العدل فرأى اجتماعاً منه في انتفاء

المتأهل للخط ان يستعين بالعبء في بعض الخطط حسن ظن منه فلم يسعني الامساك به
لما كنت منه على علم من توغله في حب العدل والميل الى القوانين والشورى حتى
كان اول ناشر لما نشره في قطرنا بنو اليقظ اقوم المسالك مع امتناعي سابقا عن كل وظيفة
لما أعلم من خمول الانصاف وظهور الاعتساف وعند ما غاب على الظن حصول الجدوى
بولاية الشهم المذكور اجبت استدعاه وقلدت رياسة جمعية الاوقاف التي هي من
مبتكرات الوزير المذكور في تونس اذرتب قانونا لها يحفظ الاوقاف وينمها بضبط
لم يسبق اليه فاستعنت بالله وبذلت مقدوري للوفاء بجماعه دالي ثم ضم الي ذلك نظارة
المظيمة وهكذا بذلت في امستطاعى غير انى في ذاتي تحمات من الاتعاب الفكرية
والبدنية ما لم تحمله نشأتى بل وكذلك الحساثر المالية لان المرتب الذى جعل لى وان
كان في نفسه نظرا للميلاد واغرا لى كنهه كان غير واف بما اعتدته من المصاريف التي
كنت احصل على الوفاء بها من دخل املاكى ومعاطاة تجارى ولما استغرقت الوظيفة
الاوراق لقيامهم بها حتى القيام تعطى الدخل السابق فعضوا عن الاستغناء بالوظائف صرت
أبيع من كسبى شيئا بعد شئى للوفاء بحاجات المعاش ولا أعد ذلك شيئا في جنب القيام بحق
الوطن بل انى أحمد الله تعالى على ما أنعم

فصل

في مرضى وما عولجت به حيث كان نسل بيتنا متوازنا فيه ضعف الابدان وكثرة
الاسقام حتى قال الجهد الثانى في تأليف نسبه المشار اليه آنفا عن ذلك كلام على
اقرانه شرح صدر الشريعة على الوقاية والسبب في طول مدة اقرانه له كثرة ما كتب
على مباحثه المهمة من التعاليق المختصرة والمطولة مع الشغل بخطه القضاء والضعف
البدنى الى ان قال فانا أهل بيت باض السقم في بيتنا وفرخ وشوى وطبع نساله سبحانه
ان يجعل بل مافاتنا من القوة في ابداننا قوة في ديننا وان يعافينا ويعف عنا وجميعنا على
الاسلام بلا محنة انه جواد كريم وقد كان الجهد المذكور مبتلى عرض عصبي اعياء علاجه
أطباء زمانه الى أن حصل له ان يكاس في اصابع يديه وهو مع ذلك يطالع ويؤلف الى أن
في سنة (١٢٤٧) وهو ابن أربع وثمانين سنة لا يفر عن التحرير والمطالعة
هدى الله نراه كما ان والذى رجعها الله ونعمها كان بها مرض الاعيا يعثر بها بكثرة في

ركبتها وهو من الامراض العصبية وكذلك كان بها مرض عصبي في معدتها فلما تقدمت من مزاجي منهنش الارض العصبية لانه من الامراض التي يعثر بها التوارث ولما شئت على الاشغال المذكورية والبدنية وكانت طبيعة اقليمى مائلة الى الحرارة واشتد الحرق في الصيف كنت استعمل بالماء البارد بعد التعب بالشغل نحو سبع ساعات تطلبا للنشاط والارتياح للاستراحة بذلك على الاشغال عشيّة فارتى كيمت ذلك مرتين أو ثلاثا وعند آخره حصل لي وجع شديد يكاد لا يطاق يبتدئ من فم المعدة ثم يمتد للجنبين مع صاحبه الامهال وتطول مصته من الساعة الى الساعتين وقد كرر ذلك مع شدته ولم ينجح فيه شيء من علاج اطباء بلادنا مع تنوعه وكثرة اجتماع اطباء اليه بحيث لم ابق واسدأ من شاعيرهم لم احضر فرادى ومجتعين وغاية ما ارسي عليه حالهم هو استعمال المسكن المسمى بكار راقو مرفينا الذي يستخرج من روح الافيون ويستعملونه محلولاً في الماء المتطرون نصف قعقة من العلاج المذكور أى عشرة من مائة من غرام واحد في ستة غرامات من الماء المذكور ثم يؤون منه حقنة صغيرة تعمل غراما واحدا الاربعاء من الماء المذكور ويحكمون ادخال أنبوسها في رأس ابرة خارية الوسط وسنها في باية المدة ثم يسكنون الجأ من المريض بأدب اليد ويجذبونه الى أن يبعثوا ما عن اللعوم ثم يمدحون ابرة هناك ويجذبونها الى خارج الى أن لا يبقى الا آخرها اخل الجاد ويقي بها اهناك ثم تداد واحدة تليها من الماء المذكور تحت الجاد ثم يزليون ابرة وقد تم حينئذ عمل العلاج فبعد دنيّة اودقبتين أو أقل يسكن الا لم ينصل الله وتصادى الحال على ذلك مع كثرة تردد المرض كل يوم مرة أو بعد يومين مرة وبعد كل نوبة يتركني في ساء التعب ويورث ارتقاء وضعه ناسيا وقد كلالا لم كيفية استعمال ذلك المسكن فيلزم الصبر على شدائد الا لم الفادح الى أن يأتى الطبيب غيا يأتى الا وقد وجدني أخذ مني الا لم أخذ اعطيتا فاذنك فحل جسمي رصارا يتريني في بعض الاحيان دوار وتارة به تترى تخضم في الضوضاء مع شد ضغفه وامتد ذلك نحو ثمانية أشهر وحينئذ ألتج على الحكيم الماهر النصوح منبأ يني بالسفر الى أوروبا وقد كان أشار على بذلك من أول الامر غير أن غيره من اطباء خائفوه فأنهم قالوا لا يلزم السفر ويمكن العلاج في البلاد لكنني لما رأيت من طول الامر وزيادة الضعف ما رجح لي كلام منبأ يني أعدت استشارة اطباء فوافقوه وكان قصده من السفر (أولا) ذات السفر فانها من أسباب الصحة طبعاً وقد علمنا من الفصل الثاني من المقدمة ان السفر من أسباب الصحة شرعاً أيضاً

(وثانيا) الارتياح لى من الاشغال الفكرية التى لم يمكن لى التجنب عنها فى البلد (وثالثا) الملاقاة مشاهير اطباء الذين لا يوجدون عندنا كما سيعرف فى محله وهذا الاحير هو الذى اوجب تعيين الوجهة الى خصوص اورو يا فاسا فرت حينئذ وكان ذلك فى دجنبر واجفعت بمشاهير بعض اطباء ايطاليا وفرنسا واستقر رأى أغلبهم وأعلمهم على ان المرض عصبى مع ضعف شديد فى الدم ومركزه ما بين أعصاب المعدة والقلب وعالجوا لى بالمياه الباردة جدا المنعممة بقوة وذلك بأن يضرب بها كفى القدمين ثم العقابين ثم فقرات الظهر ثم فم المعدة ثم الوجه والرأس ويتم جميع ذلك فى دقيقتين أو ثلاث ثم يذشف البدن بخرق من السكبان مع عنف وضرب خفيف واستعمال ثم تلبس الثياب ويداوم المشى الجھول نحو نصف ساعة أو يزيد الى أن يسخن البدن ويحصل شئ من العرق أو حلك حوالى فقرات الظهر بخرقه من الشعر الصاب ثم امرار اسفنجية مبنلة بالماء البارد على ذلك المھل عند النوم مع كى بيس الاعضاء والظهر بالايدي وظهر لهذا العلاج بعض النفع غير أن شدة البرد هناك المخارقة المعتادنا فى اقلنا المعتدل اوجبنا على الاطباء الاشارة بالعود الى الاقليم مع النوصية بالتحذير من الأسباب المحيرة للمرض كالكثرة الشغل والمسا كل العسيرة الهضم ثم تعاهد المعالجة بالماء البارد وشرب أدوية عديدة منها شئ قليل من روح الزئبق وأشباهه من أجزاء يسيرة من دقايقر قنالة مع التحذير من مقاديرها وخف المرض عند الرجوع الى الوطن حتى انى لم اضطر الى استعمال المسكن بالحقنة فتعوضنا ثمانية أشهر لكن المرض لم يقطع وانما كان يأتى خفيفا ومع العود الى الاسباب التى لم أجد عنها مندوحة عاد لا لم لما كن واضطرت للسفر ثانيا لخصوص باريس التى وجدت بها امهم من رأيتهم من الاطباء وهوالحمكيم شاركو وقد ورد الخبر باكتشافه للعلاج جديد من المعادن ولما عدت اليه عالجنى بالكهرباء التى يسرد الكلام عليها ان شاء الله وصورة العلاج بالآلات على نوعين أحدهما مكنة للهيجان العصبى وهى آلة مركبة من ثمانين اسطوانة منقسمة الى قسمين كل قسم يشمل أربعين اسطوانة ويوضع كل قسم فوق القسم الآخر وكل اسطوانة مركبة من طبقات احدها نحاس والاخرى روح النوتية المسماة بالزنك والثالثة طبقة من الجوخ وفى مركز كل اسطوانة عمود من سلك حديدى يخرقها ويتصل الجميع بطبقة من الكواكوشو ويغمس الجميع فى ماء مخلوط بالشارد وهذا الغمس لا يلزم فى كل مرة بل اذا حصل ضعف فى عمل الكهرباء ثم يخفف من التقاطر ويوضع فى صندوق من خشب بداخله صفحتان من

الفولاذم وصلتان للكهرباء بسطح الطمقة العليا وفي هذا السطح بيت ابرة ومسامير من
 نحاس مسطحة الرأس منقوش عليها أعـ دأد من عشرة الى أربعين يمينا وهكذا عمالا
 وعمودان قصـ يران مثقوبان ويدان تداران على مركزهما ويوضع طرفهما على العدـ
 المطلوب من المسامير اليسرى على المسامير اليمين واليسرى على المسامير الشمالية وعلى
 بيت الابرّة ضامع من خشب وعند ارادة العمل بذلك الصندوق المهيأ يلزم وضعه بحيث
 يكون الضامع الخشبي المتمد على بيت الابرّة متوجها نحو بارشمالا ثم تدار اليدان لتحريك
 القوة الكهربية وتوضع احدهما على أحد الأعداد المناسبة لقوة الهيجان وقوة
 المريض أيضا وهكذا الأخرى بحيث لا يبلغ ملامعها الى نهاية العدد من الجهتين التي هي
 درجة الثمانين في القوة الكهربية لأن ذلك يخشى منه من الصاعقة على الانسان ثم
 يؤخذ سلكان من الفولاذم يحكم لفهما بخيوط الحرير حتى لا يبدو منهما أقل جزء ويوضع
 كل منهما في أحد اليهودين المثقوبين ويحكم امساكهما هناك بلوالب وفي رأس طرفيهما
 الاخرين شبه ختم من معدن ملفوف في جدار رقيق يبل بالماء لمهولة توصيل الكهرباء
 وكل من الختمين له يد من خشب يحسبها العامل ويسمى أحد السلكين بالموجب
 والاخر بالسالب النوع تسمية الكهرباء والموجب هو الذي تكون اليد الدوارة
 من جهة في درجة أعلى من الجهة الأخرى فاذا الصق الختمان ببعضهما أو اتصلا بجسم
 يوصل بينهما رأيت الابرّة في بيتها تضطرب يمينا وشمالا ويشـ تد اضطرابها ويضعف على
 حسب الدرجة المجمولة فيها قوة الكهرباء وإذا حصل هيجان في المرض يوضع الختمان
 على المريض بقرب مجاميس الألف على هيئة التقابل بين السلكين ففي بضع ثوان يسكن
 الهيجان بأذن الله من غير أن يحس المريض بأذى حركة أو ألم ويسمى هذا النوع من
 الكهربية الكهربية الساكنة وهاته الآلة من اختراع كسناف طروقية وعندما كان
 يعتبر في المرض بالدوار وضيق الصدر كان الحكيم يضع الختم الموجب على العنققة
 ساكنا والسالب على الجهة يديره من أحد طرفيهما الى الطرف الآخر فكان اذا قرب
 من الحاجبين أرى كأن البرق يتطاير من عيني فتوالي يلزم إزالة السالك شيئا فشيئا بأن
 يرفع بعض أطرافه ثم وثم الى أن يتفصل جميعه وأما الآخر فيفصل دفعة واحدة والآلة
 الثمانية الكهربية هي آلة تقوية البدن والاعصاب وصورتها مربع من خشب عليه
 اسطوانتان من البـ لور مركزتان على قطع من الكاوتشو (هو نوع غروي يخف
 ويتصلب مستخرج من صمغ الاشجار) غير أن احدهما يحيط به الكاوتشو الى نحو

الثلاثين منها والثانية الى نحو الربع ويد علمها السطوانة عظمية من النحاس خاوية الوسط وفي أواسط كل من الاسطوانتين البلوريتين رباط من نحاس فيه موضع لوضع قطب أحد الدائرتين الآتيتين بينهما وهذا القطب وسطه فولا ذو ظاهره كما تشو يتصل بدائرة مسطحة جديدة من الكاوتشو أيضا وأحد طرفي قطبها خارق للاسطوانة البلورية متصل بدائرة صغيرة من نحاس كما انه في نحو الربع السطوانتين موضع لقطب دائرة مثل تلك لكنها من البلور وانما مركزها على القطب من الكاوتشو وبقيّة قطبها من النحاس وأحد طرفي قطبها خارق للاسطوانة البلورية متصل بدائرة من خشب لها يد مقدارها وعلى خط نهايتها محل لوضع حبل من جلد مكركب يوصل بينهما وبين الدائرة النحاسية التي فوقها المتصلة بقطب دائرة الكاوتشو وبدوران هاتاه الدائرة الخشبية يدور كل من دائرة البلور ودائرة الكاوتشو اللاتين وضعهما بين الاسطوانتين وتبعد احدهما عن الأخرى نحو أصابع عرضا ومركز الكاوتشو أعلى من مركز البلور ثم ان المربع الخشبي تاصق به آلة ذات وسادتين لاصقتين في خشبتين وهما احدهما محشوتان بالشعر ولهما الواب يقر بهما من بعضهما أو يبعدهما وفائدتهما هي ادخال الدائرة البلورية بينهما بحيث يانصق بكل من سطحهما احدهما حتى اذا دبرت يحصل حركتهما معا ويدلك كل الوسادتين بشئ محجر من الكبريت تقوية لاحداث الكهرباء ثم يتصل باحدى الاسطوانتين البلوريتين عند مركز قطب الدائرة العليا قوس من نحاس ينفتح وينغلق بحيث اذا اغلق يتصل طرفه بالاسطوانة الكبرى النحاسية وفي هاته الاسطوانة حلقة من جنسها خرجة عن راس الاسطوانة البلورية ليوضع فيها رأس قضيب من نحاس وذلك الرأس منحني ليتمكن امساكه في الحلقة وهو أي القضيب طويل أزيد من ثلاثة أمتار وجميع تلك الآلة يوضع على مائدة من خشب مرتفعة على الارض نحو ذراعين ونصف بأرجل هينة لا تضطرب عند ادارة الآلة ويكون وضعها في محل خالي من النداء متجدد الهواء بعيدا عن الاشجار والبحر ونحو عشرة أو اثني عشر ذراعا ووضعها هي في المحل يكون بعيدا عن الحيطان في الأقل ذراعين واذا كانت الكهرباء ضعيفة يربط برجل القوس عند الاسطوانة البلورية سائلا من أي معدن حد ويربط طرفها الآخر بالمحاط ثم يوضع كرسى أرجله من البلور النخين بعيدا عن الآلة قدر ذراعين ويوضع عليه طرف القضيب الماسك في الاسطوانة النحاسية ويجلس على الكرسي المريض وتدار الآلة اما بالخار أو باليد وينفتح القوس النحاسي

وعنه ذلك مما يتألى الجالس بالكهرباء من غير ان يحس بشئ الا اذا قرب منه جرم ما فإنه يتطاير بينه وبين الجالس شرر يشبه البرق ويحس به الجالس ضربا واحرقا لكنه لا ادوية فيه بل زيادة الدواء يأخذ الحكيم عصا من نحاس ويدها التي يحس بها من البلور وفيها حلقة تربط بها ساسلة معدنية متصلة بالارض وللحذر من مذهب الحكيم يدخلها بحلقة متصلة من النحاس موصولة بيد من البلور يحس بها الحكيم بيده اليسرى ليعبد جرم الساسلة عن نفسه من غير تعطيل لحركتها واتصالها بالارض حيث كانت تمر في الحلقة الواصلة ثم يصوب رأس القضيب الذي بيده وهو مخروط مذهب صوب المريض الجالس على الكرسي على الجهات التي هي محاسن الالم واذا كثر شدة من النار الزرقاء المبيضة خارجة من رأس القضيب ويحس المريض بريح باردة واصله اليه وان قرب منه القضيب خرج الشرر وتارة يعوض رأس القضيب بكورة نحاسية توصل به وتارة يعوض بكورة خشبية متصلة بالانواع من صلبة الخشب ورخاوة لان الصلب أشد كهربائية فيستعمل من تلك الانواع على حسب قوة المريض ويدام العمل من خمس دقائق الى عشرين دقيقة تدريجيا مع تأنس المريض ونقاؤه وحصل لي بهذا العلاج مدة أربعة عشر يوما نفع عظيم والله الحمد كاد ان يقطع به الالم بالمرة الا بقايا قليلة لا عبرة بها وعند الرجوع الى الوطن أكد على الحكيم الحذر من الاسباب وتنفذ العلاج المذكور واشرب قطرات صغيرة من محلول الذهب الذي بان نفعه أيضا من ست قطرات في نصف كأس من ماء الى خمس عشرة قطرة تدريجا قبل الاكل فطورا وشاه وعذرا الغوم فكنت أستعمل آلة الكهرباء الدوائية التي ظهر نفعها غير ان الأطباء أوصوني على عدم ملازمتها خوفا من تأنس البدن ولذلك تركتها مدة مع اني كنت اشتريت آلة واستخدمتها في الفرق بينها وبين الآلة التي عند الحكيم في باريس ان التي أخذتها تدار باليد والاخرى تدار بالبخار لكثرة استعمالها حيث يعالج بها كثيرين وأما التي عندي فتكفي فيما ايد الادوية اذ لا يدوم العمل بها أكثر من عشرين دقيقة في اليوم ثم عند تركي للعلاج بهامدة كنت أخاف من اشتداد الالم الذي تظاهرها بخاليه من حدوث بعض الدوار والارتخاء والحزن الذي هو من علامات الهيجان للنوع الثاني من المرض وهو اعتراجه برد شديد في الاطراف وصغر في النبض مع ألم عام لا أقدر اعبر عنه ولا أعلم بحالته اين هو مع ارتعاش في الاعضاء وجفاف في الريق وصعوبة في ابتلاع الريق والطعام وضيق في النفس وهذا الهيجان لا تنفع فيه الآلة المسكنة الا اذا كان

شديدا واما اذا كان خفيفا فلا ومن عجيب عوارض هذا النوع من الهيجان شدة السمع
حتى كنت اسمع الشيء الملقى البعيد الذي لا يسمعه الحاضرون معي مع التأذى من شدة
صوته عندي فضلا عما اذا كان الصوت قريبا حتى ياتزم من حضرة عندي السكوت
بل ربما تأذيت من صوت نفسه وهكذا الشم فقبل حصول الهيجان كنت أشم ملايدركه
أما الى الآن وقت الهيجان يصيبني زكام مفرط وربما هاته الحالة لا يسكنها ولا مسكن
الحقنة الابدعة وهى أشد على من هيجان الوجع ولذلك كنت أستمع عند تعطيل
التعاهد بالآلة العلاجية شرب ماء الذهب المتقدّم ذكره وقد فات للحكيم عند وصفه
هذا الدواء وأنه من مخترعات هذا العصر أن كل الذهب المتقوى معلوم عندنا وقد كان
الامام ابن عرفة في المائة الثامنة والتاسعة يبرد كل يوم بندقيا (البندقى نوع من سكة
الذهب منسوب الى البندقية وزنه نحو نصف دينار ذهبيا) على دجاجة ويطحنها جريدا
ويأكلها فقال البندقى كثير فقات له حيث ان الذهب غير محمول فلا يأخذ منه البند
الامقدار ما تصعبه المعدة وما عداه يذهب فى الفضلة فقال نعم وعلى كل حال فلهذا
العصر فضل فى الاقتصاد فلم يسعى الا التسليم وهذا العلاج بالمعدن كنت أستمع له قبل
السفر فثابرا لى على ظاهر الجسد وذلك بأن يؤخذ شئ من أحد المعادن الخالص
ويجعل منه نحو سوار فان ظهر فى المريض بالمسه نوع من اليميم عليه والايه يدل معدن
آخر وأول من اكتشفه طبيب غساوى ولم يلتفت الى قوله الى ان أصغى اليه الحكيم
شاركوا الفرنسيون وجرت به فوجده صادقا فأعلن به من مجلس فن الطب بباريس وصار
معمولا به غيرانى وجدت فرق بين الكيفية التى جربها الى الطبيب البارون كستلنوفو
وبين ما فعله الطبيب بباريس فان الأول كان يستعمل المعدن ويقيه ان وافى وكل
المعادن التى جربتها لم توافق سيما النحاس فانه يحدث التحير الا الذهب فلما جربته لى
خف التحير وسخنت أعضائى وكان العرق الذى يأتى من الألف حار على خلاف ما كان
من برده ولما علمت بذلك الحكيم شاركوا أن الطبيب المباشر وهو فغرو بأن يجرب
المعادن فأعطانى ميزان القوة وقبضت عليه بجهدى وقيد الدرجة وكذلك علم ميزان
النبض ثم أول ما بدأ به من المعادن معدن المغناطيس وهو على هيئة قطعة من حديد
موضوع على مائدة فالصقة بذراعى الأيمن وجعل فاصلا بينه وبين المعدن قطعة من
ورق خالص فالحقنة بالحقنة لا تسكن فنام الطبيب واستعمل الآلة الكهربية الساكنة
مجهلا باستعمال الحقنة لا تسكن فنام الطبيب واستعمل الآلة الكهربية الساكنة

المسار ذكرها فصل السكون بفضل الله وتبيين ان ذلك المعدن غير ملائم وهو نظري وواقعي عليه الحكيم شاركو وان كان الطبيب فيغزو يرى انه موافق بمعنى انه لما أحدث تأثيرا دل على تأثير المعدن منه لكنني أقول ان المعدن يتأثر منه بالضرر لا الانتفع ولم أعد اليه ولا غيره ذلك اليوم حذرنا على البدن من كثرة الاضطراب ثم جربنا الخحاس وهو ايضا غير موافق كما تقدم غير انه لم يحدث هيجانا كبيرا ثم جربنا الفضة فلم توافق ولم تضاد دليل موازنة ميزان القوة والنبض ثم جربنا الذهب فكان ملائما بحرارة البدن وزيادة القوة ونشاط النبض ولذلك استقر الرأي على عدمه لكن لا يكتفي فيه بالاستعمال على ظاهر الجلد فقط بل بالشرب أيضا على نحو ما تقدم وكل معدن كان تجربته في يوم خاص كما عولجت قبل السفر الثاني بماء البرمور وبوتاسيوم ياشار الطيب كسنة ثم وفوراي في كميته وأوقاته كيفية رآها الطبيب مني اني كثيرة قبل استعمالها مع المواظبة أكثر على النوم حتى كدت ان أكون نائما ثمان وأربعين ساعة تمام المقدار هو قدره اذ قل بعد كل ساعة من الماء المذكور وبعد رجوعي من باريس والعلاج بالكهرباء على نحو ما مر بقيت على العافية والله الحمد مدة عام الاسبوع أيام حيث تراكمت الاعباب الفكرية والبدنية وحوادث في البلاد أوجب جميعها السفر ثانيا إلى باريس والاشتغال بغير الدوا في هاته المرة مع مصاحبة الاعباب الفكرية أوجب عدم نفع العلاج السابق وان خف الألم شيئا فلما عدت بعد افراغ المستطاع وجدت الحال في الوطن غير الحال وأخلاق الحكومة وان شئت قات الوزير يختصوصه غير ما تتركه عليه كما في أتيت شيئا على غير أمره وتحقق لدي ما كنت أتوقعه من السوء لكل ناصح أمين غير مما لي على سوء الاعمال كما سيرد شرحه ان شاء الله تعالى فعزمت على التوجه لبيت الله الحرام ملتجيا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ليكشف الضرر الخاص والعام فنلنا بجاهه المرام ولا زلنا نؤمل القسام بما التجأنا اليه فيه ومنه حسن الختام

فصل

(في حكم التداوى شرعا)

اعلم ان التداوى قد ورد بالهداية اليه القرآن العظيم كافي (قوله تعالى يخرج من بطونها

شرب مخفف ألوانه فيه شفاء للناس) فدللت الآية الشريفة على أن العسل دواء
للآلام يستشفى به منها كما بينه الحديث الشريف الوارد في صحيح البخارى وغيره من
قصص الصحابي الذي قال (لأنبي صلى الله عليه وسلم) ان اخي يشتكى بطنه فقال له (صلى
الله عليه وسلم) اسقه عسلا ثم عاد وأعاد الشكوى وأعاد له (صلى الله عليه وسلم) صفة
الدواء فانيأثم وقعت الاعادة أيضا ثالثا وقال الصحابي قدس قيمته ومازاده الا انطالفا
فقال (صلى الله عليه وسلم) اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن أخيك فقبل الصحابي
وشفى المريض فان الحديث قد بين ان شفاء الناس هو قد اوىم - م به من أمراضهم حيث
قال صدق الله أى في قوله فيه شفاء للناس ثم يدل الحديث أيضا على ان اسهتعمال
الدواء لا بد فيه من مقادير وأوقات ولذلك أمر بالتكرار لانه تعالى كلمة ارادة في جعل
الشيء سببا في البره له ارادة في خصوص مذاره وأوقاته وانه لا ينبغي ان يتم عمل الدواء
اذا لم يرم منه نفع في المرة الاولى اذ له لم يكن هو المنة مدار الكافي لما استعمله بدن
المريض والله سبحانه وتعالى حكيم في الاشياء لم تصل عقولنا الاطلاع على تعاصيلها
فيلزمنا اتباع ما دلت العادة والتجربة على جعله سببا للسبب بمقتضى الحكمة الازمية
ومن ادعى عمل الاشياء بالطبع لا يسعه الا الجزع عندما تجاريه بسؤالنا لما اذا كان طبعها
كذا واذا عاقل تقول له لما اذا كان ذلك التعليل وهكذا بل انهم كثيرا ما يجزون من أول
الامر فيقولون ان الشيء القلافي يفعل كذا بالخاصية حيث لم يجدوا شيئا يمكن لهم به
التعليل الاول والحق ان ذلك جميعه بخلاف الله وجعل تلك الاشياء أسبابا عادية
يخاق عندها ما اراده بسابق حكمته ومسانقة دم أجمعت الامة على جوار استعمال
الادوية وانما وقع الخلاف في جواز استعمال المحرم دواء ووقع الخلاف في الترجيح عند
الخفية ومحل الخلاف هو ما اذا تعين الشفاء في خصوص ذلك المحرم ولم يوجد شيء آخر
حلال يقوم مقامه اما اذا وجد فلا يصح (حينئذ) والفائل بالاباحة يستدل بالضرورة
وانها مبيحة للمحذور فيكون كالتألف من الهلاك جوتا في اكل الميتة ومقتضى تجوزيرهم
للكتابه بالدم على جهة من صاحب الرعاف لكي ينقطع عنه هو ترجيح الله داوى بالمحرم
لان الكتابة بالدم النجس اهانة للعروف ولا سيما اذا كان فيها اسم الله وذلك محرم قطعا
وانما جاز لا ضرورة فلا يكون اذ ذلك حراما وبه يحمييون من احتيج بقوله (صلى الله
عليه وسلم) لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم فان الشيء اذا تعين فيه الشفاء يرتفع عنه
التحريم ويبان هذا المعنى هو ان يقال ان الاشياء المحترمة انما حرمت لما فيها من المفساد

والضار للخلق لانه تعالى منزّه عن الاحتياج لشيء وكلما ورد به الشرع فانما هو له سدائنا لما ينفعنا فهو مربي أو لما يضرنا فهو مبيد عنه وحديث لم يكن في طوق عقولنا الاحاطة به لم جميع ذلك لان بعضها يتوقف على علوم تشيب الغراب وهو تعالى خالقنا الرؤف العالم بنا ورسوله هو الاب الرحيم بخالق الله ونحن على يقين من ذلك ولله الحمد فبا علمنا الا أن تتبع ما شرع لنا موقنين ومسلمين أن ذلك هو الصالح بنا كدسائم الابن لايه العاقل وتسليم الجند لرئيسه الخبير من غير بحث عن موجب تكاليفه مع ان المشبه به يمكن فيه حصول الاعلام بالواعت غير انه ترك حذرا من فوات الفرص واطالة الامر بخلاف المشبه به فقد علمنا بحجز عقولنا عن ادراك جميع مصالحنا بعبادها ولذا ذلك ما أمكن ادراكه قلنا انه معقول المعنى وما لم ندركه علمنا به وقلنا انه تعالى يدى والكل معقول في نفس الامر فالشيء المحرم اذا اضطررنا لئلا نؤذي به ليس المعنى انه يرتفع الضرر الذي حرم من أجله بل ان الضرر الخاص الذي يراد دفعه به أعظم من الضرر السابق فيه فكب أخف الضررين كما هي القاعدة الشهيرة فالجزم لا المحرم المتوقع جرمه الى افساد العقل اذا غرض الانسان وخشى الهلاك جازله ثم به لدفع الهلاك الذي هو أعظم ضررا من توقع جرمه لافساد العقل ولا يقال انه على هذا لا يلزم التوقف في كل جزئية على علم مفسدة المحرم الذي أريد استجماله وحرم من أجلها ومقايستها بالمفسدة التي يراد دفعها به مع انك مصرح بعدم علم الجميع والقائلون بالجواز لم يخصصوا ما علمت مراتبه وقدرت بينها لانا نقول القواعد الكلية في مثل ذلك كافية في حصول المقصود وقد علمنا منها ان حفظ النفس هو ثاني مرتبة بعد حفظ الدين وجميع الاشياء المبحوث عنها آيلة الى حفظ النفس من الهلاك والهلاك أعظم مفسدة ومضرة من كل ما يمكن ان يكون في الاشياء المحرمة من أسباب التحريم الرجعة الى أجزاء خاصة من النفس كالعقل مثلا فيقدم حفظ النفس جميعها عليها ولا يمس ذلك الدين لان محله القلب أي الروح التي هي محل الاعتقاد وذلك لا يخرج منه الا بما دخل فيه كما هي العبارة المشهورة ولذلك صرح الفقهاء بأنه لا يفتى بالردة استجبالا حتى يثبت اضطراب العقيدة والعيادة بالله ولو صرح في الفتاوى ببعض أشياء انها كفر فلا يعول عليها نعم ان جميع الشئ عائر الظاهرة هي من الدين أيضا ومنها حفظ النفس وقد علمنا من الشرع تقديمها على كل ما سواها الا الاعتقاد ولهذا يجوز اتلافها في القتال على الدين وهكذا على شعائره فانهم صرحوا بأن من تركوا جميعا الا اذان يقاتلون حفظا للدين وتقديمه على النفس لكن ذلك

إذا كان منبذاً عن الاستخفاف الراجع للاعتقاد أما إذا ثبت التأويل أو العذر المنبئ عن صحة الاعتقاد فلا يلتزموا (حينئذ) ولهذا لم يؤمر بقتال تارك الجمعة بتأول وجوب الامام المعصوم مع انها من شعائر الدين وبعث تقدم يعلم جواز تلقيج الجدي من الحيوان أو الانسان لانه قد ثبت بالخبرة المديدة للقطع انه حافظ من الهلاك أو مما يقرب منه ومن هذا الباب تجوزهم للكتابة بالدم مع انه فيه استخفاف بالحروف التي مرجعها الدين وبيانه أن الاستخفاف فعل القلب والاعمال الظاهرية دالة عليه وأقيمت مقام الحرمة بسبب دلالتها لذاتها فهلاك النفس تعارض مع ما يدل على الاستخفاف فقدم دفع الهلاك للتيقن بسلامة الاعتقاد وغاب ذلك الدلالة لارتكاب أخف الضررين فان قيل كيف يكون أخف الضررين مع ان الاضرار مرجعه للدين وهو مدمدم على النفس فالجواب أن الدين قد علمت انه سالم وهو الاعتقاد ولم يبق الا الدلالة في مقابلة النفس التي هي محل الاعتقاد والقيام بجميع التكاليف فغلب ترجيحها كما صرحوا به في جواز التجميع لحوف المرض في أن ذلك ليس تقدماً للنفس على الدين بل من باب تقديم اغلب الدين على بعضه لان الانسان اذا سلم أقام الطهر والصلوات الكثيرة وغيرها من التكاليف بخلاف ما اذا هلك فتسقط عبودية جميع التكاليف المتعلقة بذاته فلا يسوغ له ان يسعى في ابطاله تكاليف كثيرة لاقامة عبادة واحدة فهو (حينئذ) من باب أخف الضررين كما تقدم واعلم ان لا بعد توقفاً شديداً في دعوى جواز مسئلة الكتابة بالدم لحفظ النفس من الرعاف (الخ) وبيانه ان صاحب الفصول الجمادية وغيره ممن نقل عنهم الشيخ يرمي الثاني في كتابه حسن النما في جواز التحصن من الوباء صرحوا بأن تعاقب الاسباب بسببها تعاقب ثلاث مراتب أحدها التعاقب القطعي وهو ما لا يتخلف فيه المسبب عن السبب الاعلى وجهه خرق العادة كالشبع للكل والرى للشرب وثانيها الظني وهو ما يكثر فيه ارتباط المسبب بالسبب وقد يتخلف نادراً ومثلوا له بالادوية مع الامراض وثالثها الوهمي وهو ما لا يرتبط فيه المسبب بالسبب الا نادراً ومثلوا به بالكي والرقى مجمعين على ذلك وغاية ما اختلفوا فيه هو ان تعاطى القسم الثالث هل هو مخالف للتوكل أم لا واحتج صاحب حسن النما بكونه غير مخالف للتوكل راداعلى صاحب الفصول بمبوت الرقيان (النبى صلى الله عليه وسلم) وكذلك الكي فليراجع ما أطال به هناك فأنت ترى أطباقهم على جعل الرقيان من الموهوم وما تقدم من الكتابة بالدم للراعى ليست هي الارقيان فكيف ينطبق عليها شرط جواز استعمال

- الحرم وهو تعينه للشفاء وأين التعين من الوهم . وكيف يقدم على أمر محرم باجتماع لامر
 موهوم فعلى الاحتياط لحكام الشرعية التثبت وعدم الاعتراض ولهذا صعبت درجة
 المفتى لكي لا يضل ويضل بغير علم ولا ينفعه مجرد وجود المسائل في كتب بعض المتأخرين
 اذ كثير ما زلت الاقدام من بعضهم في نقلها عنه غيره كأنها المذهب الذي عنه لا يذهب
 والله يحفظ المسلمين من مزالق الشبهات وكان من ذلك القول هو ما قاله صاحب النهاية
 في مجت جواز التداوى بالحرم اذا تبين فيه الشفاء وساق لذلك مثالا وهو جواز كتابة
 الفاتحة بالدم للراصف على جبينه وأنفه لكنه قيد ذلك بحصول العلم الذي هو اليقين
 وذلك على معرض التخييل بدليل عطفه البول حيث قال وبالبول أيضا أى اذا حصل
 العلم ومن المعلوم ان الفقهاء يصورون المسائل ولو المستحيلة تقرير الحكمة الماعى
 ان بطرا في زمن لا يقدر فيه على استنباط الاحكام فليس كلامه دليلا على الجواز في
 تلك المسئلة لانه مقيد بالعلم وقد علمت انها من قبيلة الرقيا والرقيا من الموهوم فلا يجوز
 الاستناد الى كلامه مع الغفلة عن قيده الذي هو العلم ولم نرفى كلامهم من يسوغ
 اطلاق العلم على الوهم وغاية ما قالوه في المسئلة ان بعضهم جعل كلام حذاق الاطباء
 مما يحصل به العلم وقال العلامة السيد ابن عابدين في حواشي الدرر انه لعنه من
 التوسع في اطلاق العلم على الظن أقول بذلك لان مسائل علم الطب على قسمين
 أحدهما ما يرجع الى علم التشريح وكيفية تركيب الابدان وهى يقينية والثاني
 ما يرجع الى الدواء ومسائله ظنية كما تقدم ثم اعلم ان نعاطى الاسباب بأقسامها الثلاثة
 التى تقدمت في صدره هذا المبحث هو من أعمال الكاملين في الدين ولا ينافى التوكل
 على الله وقد بسط المسئلة بيزم الثانى في كتابه حسن النبا المشار اليه وحققناها فيما
 كتبناه على باب لا يادغ (المؤمن من حجر واحد مرتين من البخارى) وخلاصة الكلام
 ان العمل بالاسباب مع التوكل على الله في نجاحها هو المشرع ومخالفة ذلك سوء أدب
 مع الخالق جل وعلا فيعصى الانسان من حيث يظن انه يطيع وقد صرح بمثل ذلك
 العارف الشعرا في المواتيق والعهد حيث قال ان التوكل لا يشرع الا مع الاسباب
 أو عند فقد هاهما مع ان كانها فهو كالعاصى وبكلامه (رضى الله عنه) يتبين الوجه
 في الفرق بين حالى (النبي صلى الله عليه وسلم) مع صاحبه الصديق (رضى الله تعالى
 عنه) فانه (عليه الصلاة والسلام) اسأجرا الى المدينة عند اجتماع قريش على أذنيه
 لم يكن له (عليه الصلاة والسلام) من الاسباب الحامية منهم مع كثرتهم وشدة عدوتهم

واتفاقهم الا الاعتماد على أمر الله له بالهجرة ووعده له بإبلاغه الى المأمن وانتصار الدين وظهوره فلما سافر واختفى في الغار مع صاحبه (الصديق رضى الله عنه) وخرجت قريش في تطايمهم ووصلوا الى الغار ولم يكن لهم مانع ما عن تفتيشه والدخول اليه مع شدة حرصهم على ذلك كان (سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه) خائفا فزعا يدعو الله (والرسول عليه الصلاة والسلام) مطمئن بقول له ما أخبر الله به لا تحزن ان الله معنا وفي غزوة بدر أعد (الرسول صلى الله عليه وسلم) العدد والعدد وهما أسباب القتال والتقى الجمعان للطعان كان (الرسول صلى الله عليه وسلم) يدعو الله بالحاج حتى قال لان تلك هاته العصابة فان تعبد بعد هذا في الارض أو كما قال وكان (الصديق رضى الله عنه) يقول له لا تحزن ان الله منجز لك ما وعدك من النصر ولا شك ان (النبي صلى الله عليه وسلم) أكمل حالا من جميع الخلق فكيف اختلف حاله في الواقعة مع ان ظاهر الامر فيها مع (صديقه رضى الله عنه) فالوجه يتبين مما قرره الشعراني في القاعدة المأرذ كرها وهو ان حال الغار ليس فيه مجال للأسباب لفقدانها فليس هناك الا التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مطمئنا لانه أكل توكلأ وما حالة الغزوة فهي حالة الاخذ في الأسباب ثم التوكل معها ولا يسوغ التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مجتهدا في الدعاء لانه يكون الأسباب ناجحة وليس للإمامة الاتباع الرسول فالعمل بالأسباب عند وجودها مع التوكل على الله في نجاحها هو المشروع ولا يشك كل على هذا ما ينقل عن كثير من الصالحين من مكرهم للأسباب وخرق العادة اليهم لانه من دفع بما قرره أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات من ان هؤلاء وان خرق لهم العادة لم يكنهم لم يخرجوا عن الأسباب لان خرق العادة من الأسباب الخفية واستندهم بذلك بأدلة تشفي الغليل ويدينه ما وقع من العارف الرباني الامام في علم الباطن والظاهر سيدي (عبد العزيز المهدي) شيخ مظهر العالم (سيدي محي الدين ابن العربي) المحتفى الذي ألف لاجله الفتوحات المكية ويخاطبه في رسائله بقوله يا ولي قانه قد ذكر عنده أن أحد الصالحين كان مارا بطريق فوقع في جب فتر بعض السابلة على ذلك الطريق ورأوا الحب فقالوا ان هذا الحب يضرب بالسابلة لوقوعه في الطريق فلندفع اذاه بوضع هذا الخنزير العظيم على فيه ونسده ففعلوا من غير ان يعلموا بالصالح الواقع فيه وخطر هو بيباله ان يعلمهم ثم قال لا تجئ الى مخلوق والله أعلم بحالي وبعد ما مر السابلة جاسم مع وحفر فرجة من قم البئر

وأدلى ذنبه الى الرجل الصالح فقال ان هذا اذن من الله بنجاني فتمسك بيدي السبع
وأخرجه السبع من البئر وذهب الى حال سبيله وسمع مناد ياقول قد نجيت من الهلاك
بالهلاك وسئل الشيخ سيدي (عبد العزيز) كيف يصح هذا العمل من هذا الرجل
الصالح والحال انه مخالف للشرعية لان (الله يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وعدم
اعلامه هولاء سابلة من باب الالتقاء باليد فأجاب سيدي (عبد العزيز رضي الله عنه)
بأن التكليف الشرعية أهمية هي ثانيا رتبة من التكليف الاعتقادية وذلك الرجل
الصالح علم من نفسه بكونها للاسباب وعدم صحة توكلها ففقرها حتى ثبت صحة
الاعتقاد الذي هو الدرجة الاولى فلهذا كان الرجل قد عمل بالشرعية بوضع درجات
التكليف مواضعها هذا يحصل كلامه (رضي الله عنه) وبه يعلم ان كل من ارتكب
منهم مخالفة الاسباب لا بد أن يكون له حامل خاص والافهم (رضي الله عنهم) أشد
محافظة على الشرعية فلا يفتروا أحدا بأن أعمالهم مخالفة لشرعية الاسباب بل يحمل
كل منهم على أمر خاص يليق بحاله وفقنا الله لهداهم مبداهم

الباب * الثاني

﴿ في قطر تونس ﴾

لما كان مسقط الرأس في هاته البلاد وهي منبت الالباء ومستقر الاجداد ونحن بصدد
التعريف والكلام على ما شاهدناه في الاقطار على حسب مشاهدتنا لها في التواريخ لزم
بالضرورة تقديم الكلام على الوطن النابت حبه في القلب الغيات الحسن

فصل

﴿ في التعريف بالقطر التونسي ﴾

اعلم ان موقعه على شواطئ افريقية الشرقية الشمالية على البحر الابيض ويمحده البحر
المدكور شمالا وشرقا وطراباس الغرب في بعض الحد الشرقي والصحراء الكبيرة جنوبا
والجزائر غربا ويبتدئ شمالا من عرض سبع وثلاثين درجة وسبع عشرة دقيقة
وعشرين ثانية وهذا عند أعظم المراسي هناك وهي مدينة بن زرت ويمتد من هناك
الى الجنوب الى ان يدخل في الصحراء الكبيرة من غير تعيين للحد وانما أشهر المدن جهة

الحد الجنوبي هي مدينة تزروهي واقعة في عرض اربع وثلاثين درجة واحدة عشر
 ثمانية وعشرين دقيقة وهذا القطر طوله من الشمال الى الجنوب أكثر من عرضه من
 الشرق الى الغرب امتد على ساحل البحر فيبتدئ من عرض درجة (٣٧) ودقيقة
 (١٩) وينتهي مع موره الى درجة (٣٣) ودقيقة (١٠) وينتهي في الطول
 المؤسس على باريس من طول درجة (٩) ودقيقة (٢٢) الى نحو درجة (٥)
 ودقيقة (٥٠) وبه رأس داخل في البحر يسمى رأس ادار وهو أطول رأس في البحر
 الأبيض ويتصل ببقية القارة بالمكان المسمى دخلة المعاوين كما ان بالقطر رؤس أخرى
 الرأس الأبيض ورأس الزيب الانسان حول بن زرت ورأس سيدى على المكي ورأس
 جبل المنار ورأس المهدي ورأس كبودية ورأس الغدامسى ويتم مع هذا القطر عدة جزر
 صغيرة أعظمها جزيرة جهة الشمال ودود الجنوبية ثم قرقة وهي امام صفاقس ثم جزيرة
 الكلاب والجوامير وحالطه وغيرها وبه حصة اجوان كبيرة أحدها جون سيدى ابى
 سعيد وهو بقرب الحاضرة وجون قابس جهة الجنوب وجون الحمامات وجون بن زرت
 وجون رواد وبه ثلاث بحيرات أولها بحيرة الحاضرة وثانيها بحيرة المزوقة عند بن زرت
 وثالثها بحيرة الكامية بين القيروان والساحل (وأما الانهر) فليس به الا نهر واحد
 وهو مجرده ومنبعه من ولاية قسنطينة التابعة للجزائر ويخدر من هناك مشرقا مع زيادة
 تعاضده بالجدول التي تصب فيه الى ان يخترق القطر التونسي مارا من الغرب الى الشرق
 في الجهة الشمالية من القطر وتزداد مياهه أيضا بما يصب فيه من الجداول الى ان
 يصب في البحر في جون رواد من شماله قرب غار الملح وهذا النهر وان لم يكن سواء في هذا
 القطر فهو لا يحمل الا القوارب الصغيرة في الصيف واما في الشتاء فيمكن ان يحمل
 القوارب الكبيرة لا السفن واذا تكاثرت الامطار فانه يفيض ويطفو على اراضى واسعة
 وربما حصلت منه بعض أضرار واما الجدول فهي ليست بكثيرة جدا ولا كنهها خارقة
 لا غلب الجهات ومنها ما يجرى دوما ومنها ما يجرى عند هطول الامطار ومن أشهر رهاته
 الجدول وادملان ومنبعه من جبال برقون من الجهة الجنوبية ويخترق وطن رياح ثم
 يحد الى ان يصب في البحر في رادس يبعد عن الحاضرة عشرة أميال وكثيرا ما يمنع المسارة
 عن عبوره عند كثرة الامطار وتارة يفيض لكن لا يحصل منه ضرر لمن يجاوره غير انه
 يضر من يكون فيه من الرعاة والمسارين حيث ان فيضانه يأبى دفعا وجران مائه سرعا
 لكثرة انحداره واما الهيمون فليست كثيرة في عموم القطر لكنها اكثر جدا في الجهة

الله اليه في جمال ما طر وجبال طبرقة وجبال باجة وفي الكاف عين عظيمة جدا كثيرة ماء
وعذوبة وبرودة حتى تقع المخاطرة في الصيف لمن يقدر ان يرفع شيئا من قعر الماء الجاري
عند منبعه ثم تنحدر من الجبل وتسبح في البساط معلقة وكذلك في اسد مطلة عين عظيمة
وفي زغوان وجقارعيون كثيرة وبعضها هو أكبرها مجلوب الى تونس الآن في قنوات
من حديد مع آثار القنوات القديمة التي كان جاب فيها الرومان الماء من هناك الى
فرطاجنة وكذلك في الجريدعيون غزيرة عذبة الماء وحارة كما يوجد بالقطر مياه كثيرة
معدنية أشهرها ماء حمام الانف النابيع من جبل أبي قرنين وهو ماء حار عليه عدة حمامات
والماء نابيع من عدة عيون أحسنها عين حمام العريان ثم عين الحمام الكبير وله نفع عظيم
لعدة امراض قد افردت منافعه وكيفية استعماله برسالة خاصة للحكيم الكبير وترجمها
ونقحها العلامة بيرم الاول قدس ثراه وهذا الحمام يبعد عن الحاضرة خمسة عشر ميلا
جهة الجنوب الشرقي مطل على شاطئ البحر رجامع للزهره والنفع والتأنس حيث كان
على الطريق العام الموصل الى الساحل وغيره من أكبر جهات القطر ودرجة حرارة مائه
من (٤٨) الى (٤٩) من ثوروميتر صانتي غرام الذي هو ميزان للحرارة الذي
سفره من الجدد والمائة درجة هي درجة غليان الماء وكل ليتر منه ثمن ألف غرام وعشرة
غرامات وسبعة صانتي غرام ومعتاد الماء المطلق المقطر يزن ألف غرام والغرام هو نوع
من مقادير الموازين كل ثلاثين غراما بأوقية وتقسميل الاجزاء التي في هذا الماء من
المعادن هو ما يأتي بيانه

صانتي غرام غرام

ففي كل ألف غرام من الماء الذكور حامض فحم الجير	٠٢٨	٠٠
حامض المايزيا	٠١٢	٠٠
حامض الحديد قليل	٠٠٠	٠٠
الجبس	٠٠١	٥٢
ملح ديسود	٠٠٠	١١
ملح بوتاس	٠٠٠	١١
مانيزيا كلور ديسود يوم	٠٠٩	٧٥
كلور د كالسيوم	٠٠١	٩٠
كلور د مانييوم	٠٠٠	٥٥

٧٠٠ . . . كلورديد تاسيوم

٧٠٠ . . . آسيد سينايك اى طين البلور

وفى كل كيلو (٢٢٠) صاتى ميتر ومربع من الحماض الفمضى وفيه (٢)
 ميغرام من برومور وما نيزيا واصطلاحاته الاعداد معلوم فى الحساب وكذلك يوجد
 فيه حام قيرص البعيد عن الحماض السابق فحوار بعين ميل فى الجهة الشرقية الجنوبية منه
 وهوا كثير عيوننا واشد حرارة وله نفع عظيم فى كثير من الامراض العصبية وامراض
 المواد الطيرية ومن غريب خواصه انه اذا وضعت دجاجة فى مجرى الماء قرب منبعه نحو
 بضع دقائق يزول ريشها انما به بل ان بعضا من الاهالى يضع قدرة للطعام هناك فيطبخ
 اللحم احسن طبع وهكذا غيره الابيض الدجاج فمع شدة تلك الحرارة ومع سهولة طبع
 البيض فانه لا ينضج ولوابقى هناك يوما تاما هكذا يروى عن كثير و اجزائه تقرب من اجزاء
 ماء حمام الانف وكذلك يوجد قرب رأس الجبل من وطن بن زرت حمام معدنى غير انه
 لا يستعمل الا عند بعض البوادرى وأهل القرى هناك ولا شهرة له مع انه كثير المنافع
 وكذلك يوجد فى المنقضة مياه معدنية نافعة للشرب والاستحمام وهى معجورة كثيرها
 من منابع الثروة والتقدم واما جبال هذا القطر فتتصل به سلسلة جبال اطلس التى
 تتدلى من عرض (٢٨) درجة وتنتهى فى عرض (٣٧) فى مكة المغرب وأعلى
 رأسها بين فاس ومراكش واتقاعه على سطح البحر ثلاثة عشر ألف قدم ومائة قدم وفى
 اختراقها للقطر التونسى عدة فروع أشهرها جبال مطماطة وجبل طبرقة وجبل الرقية
 وجبل زغوان وهوا علاها وجبل الرصاص وجبل ابي قرنين ومناخ هاته الجبال هى
 الجهة الشمالية والغربية الشمالية ثم لا تزال تنخفض وتضيق عند توجهها للجنوب
 مارة بقرب سواحل البحر الى ان تتصل بجبال الودارنه من عملى الاعراض وعدى هاته
 لا يوجد جهة الجنوب الاربا لا اعتبار لها وليس منها جبل بالسكانى الجبل ابي قرنين فان
 الآفادلة على انه كان فى الاصل بالسكان حيث يوجد فى قته العليا فوهة مسدومة الاسن
 مع منابع الماء الحار المتدفقة منه ومع الانفجار البليغ السكان فى أحدره التى يقرب
 البحر فى الجهة الشمالية منه المعروفة بضربة السيف الحاد ذلك الانفجار الهائل
 بسبب الزلزال الشديد الذى هو من علايق البلكانية وقد علمنا سماران فى الحد
 الجنوبي (الحمراء) الكبيرة وقد قال قوم انها كانت بحرارة متصلة بالبحر الابيض مخليج
 من شطوط قابس ومما يستدلون به الارض السواخنة التى بين الشاطئ المذكور

والاحمره

والبحر اءرام فردينا ندباسبس الرحل الشهير باعمال خلع السويس ان يحفر خالج
قابس ابكى بصرا البحر في وسط افريقية وحتقوا ان سطح البحر اعلا من سطح البحر اعلا
يحمل السفن الكبيرة وان البحر يمددها الى طول نحو ثلاثمائة ميل. ولورأى قوم
امتناع ذلك ولكن المريد أشغل الآسن بخلع ينما في أمريكا فترك الكلام والعمل في
بحر البحر (وأما) معادن هذا القطر فهي لم تزل في حجب الترك ولا شك أنها غنية
نافعة والمحقق منها الآسن المعروف هو الرصاص والفضة في كل من جبل الرصاص
ودجبة وأولها كان مستملا بكثرة وأما خدمة الرومان له العظيمة لازالت الى الآسن
واستخراج المعادن منه لا يحتاج الى كبير معالجة حتى ان الاعراب تأخذ منه ما تريد ولهذا
صار اسم المعدن عذوانا على الجبل وقد منح في وزارة مصر في خزندار الى اسد الطليان ثم
انتمت نيته الى بحنة طليانية ولم تزل بأيديهم الى الآن من غير حصول فائدة لهم ولا البلاد
وثانيها الآسن بيد فرناوية هي صاحبة امتياز طريق الحديد والنظاير من اعمالها
السريعة المجدة أنها تستخدمه عن قرب وان كانت الى الآن لم تحدث فيه شيئا كما
يوجد المعادن المذكورة في جهات أخرى من جبل الرقبة وكذلك قرب اسبيله كما يوجد
قرب هاتر معدن من الذهب وفي ولمان أولاد عون يوجد الفزدير والزئبق ويوجد الحديد
في الجبل الاحمر قرب باردو وفي دجبة وهو غني سهل الاستخراج في كلهما كما يوجد
السيان في الجبل الأحمر وهو غني سهل ويوجد فيه الفحم الحجري أيضا كما يوجد معدن
المرمر الزنيم الاحمر والناضر الذي كانت تستعمله الرومان والقرطاجني في هياكلهم
الشهيرة وهو قرب لبربة وآثار استخراج الاقدمين موجودة تهدها البوادي غيران
أوى اليها كما يوجد الزخام الاسود في جبل أشكل من وطن ماريو يوجد الكذال
الرفيع الصاب في جبل أبي قرنين وهو مستعمل الى الآن ويسمى محله منقطع البحر
وكذلك في الجبل الاحمر الجبس كما يوجد الملح في سباح عديدة أشهرها سبخة مكره قرب
الحاضرة وفي عشرة الثمانين والمسانين والفارسات دولة فرانس احدها علماء
الطبيبات بطلب من الحكومة التونسية وطاف في جميع التطر بتدقيق وكتب ما يشتمل
عليه من المعادن ومقدار درجتها وأما كنهها لكن بعض تلك التقارير لم تصل للحكومة
التونسية الى الآن (وأما أراضي) هذا القطر فهي خصبة جدا تسمي بالماء السحابة
وكأنها الكثرة خصبها واشدها لسا إلى اكل الصفات الحميدة خصت باسم افريقية من
باب اطلاق العام على الخاص ازية فيه حتى صار كأنه هو الجميع أو ان أصل الاسم خاص

بهذا القطر ثم سمى به جميع ما اتصل به من القارة ويؤيد تسمية الجهة الأكثر خصوبة
منه بخصوص هذا الاسم وهي الجهة الشمالية الشاملة لما طر وباجة وما بينهما فانها
الى الآن تسمى على لسان العام والخاص بأفريقية غير انهم يدلون القاف كافا فمخمة
وينقسم القطر الى ثلاثة أقسام باعتبار الخصب فالجهة الشمالية التي هي أكثر
جودة الاكثر خصوبة على مرور السنين فالزارعون هناك لا تكاد تجد سنة
لا يربحون فيها من مزرعتهم ولا أقل انهم لا يخسرون شيئا وعلى الخصوص في هذا
جهة جبال ما طركما ان الخصب في هاته الجهات لا يتجاوز الحدود المتعارفة في الربيع
وأما القسم الثاني فهو الجهة الوسطى من القطر والجهة الشرقية من الجنوب على
قرب من البحر وذلك كالساحل والقيروان والاعراض وصفاقس وخصب هذا القسم
باعتبار السنين وما فيها من المطرقة وكثرة وحيث كان نزول المطر في تلك الجهات قليلا
فمكذلك الخصب قليل ففي العشر سنين مثلا يحصل عندهم الخصب مرة أو مرتين
لكنه خصب خارق للعادة ويكاد السامع أن لا يصدق به لولا ما شهد به العيان وتواتر
النقل فيه حتى بانغ حد القطع فان رجلا زرع في أراضي الساحل التابعة له مئتي
ربيع قفيز فحاصلها مائة قفيز وخمسة عشر قفيزا وبلغ غلاته الدرجة قليل والكثير ان
من يزرع قفيزا يأخذ من السبعة عشر قفيزا الى الخمسة والثلاثين قفيزا وقد حكي الوزير
أبو محمد خير الدين باشا عندما كان وزيرا بتونس الى نائب إحدى الدول ما يحصل بتلك
الجهة من عظم الخصب وان الأمير أحمد باشا كان أتى في أحد أسفاره بجند من شعيرة
واحدة أنبتت ستمائة سنبله وأزيد فظهر على وجهه النائب استبعاد الحقيقة وسكت
الوزير اذ ذاك ثم أرسى الى عامل القيروان وجلاص بأن يبحث عنه مائة واثني عشر
على أعظم جذروا أكثره منابل فأرسل اليه مائة واثني عشر عظيمين بكل واحد منهما
جند واحد فاستدعى الوزير ذلك النائب ومعه طائفة من الاعيان وأراهم الجذور
فاعتوا بأنفسهم بالبحث عن المنبت ووجدوا أصله شعبة واحدة وعدوا كم تفرع
في أحدها فتجاوزوا في العدد الى مائة والخمسين وبقي نحو اثناث بلا عدد وقالوا يكفي
الذي تحصل منه هذا العدد فله ان يتجاوز حتى الالف ويعظم طول السنبل أيضا حتى
يجب القارس بفرسة اذا مر فيه والعادة عند فلاحه تلك الجهات ان يزرعوا حبات
الشعير كزراع الشعير أعني يتركون بين الشعيرة والشعيرة مسافة وسبعة وأما بقية السنين
فاما ان يخسر وأرأس المال أو بعضه أو يحصل لهم صبيح يسير وذلك لنزول الامطار

بتلك الجهات نحوها عن الجبال المرتفعة والأشجار الطويلة وأراضي هذا القسم يلزمها البذر القليل بالنسبة لقسم الأول فالمقدار من الأرض الذي يذرف فيه قليل في القسم الأول يذرف فيه في هذا القسم الربع وأقل وأما القسم الثالث فهو غير صالح لزراعة الحبوب بالمرة وهو الجهة الجنوبية المسماة بالمجر يد لأنها أراضي متسعة من الرمل وقرية إلى الصحراء الكبيرة ولا تصب فيها المطر إلا نادرا وإذا صبت أضرت بأهلها لأن نباتهم أكثر النخيل والمطر نضر ثمرة العجيب (وأما نبات) هذا القطر فأغلب زراعتهم أهله في القسم الشمالي والأوسط هي الحبوب من القمح والشعير وأقل منها الذرة والبقول والدرع والجملان والحبة الحلوى والكروية والبسباس والتابل والحبة السوداء والسمكان والقطن واللوبياء والبطاطس والحبص والعدس ولكنها خصب هاته الأشياء كان هذا القطر يسمى بمخزن حبوب روما ويرزعون من البقول الطماطم والبصل والفاق والكرنب والبروكلي والقناوية أي الباميا والموخيصة والفلفل الأخضر والاجر والمعديوس والسذاب والكرضون والديار أنواعها والحمقاء والشبث والثوم والخس والسكرور يا والبراصا والفجل والسماق والكلافس والفراولو والبطيخ والاجر والأخضر والقماء واللفت والكسبرابونجريس والاسطوخودوس وفيه أنوار برية عجيبة الرطوبة والمنظر لا يحيط بها إلا خالقها ومنها القيقوان والبابونج والأتاي وهو غير مستعمل وفيه من الأزهار المستقيمة زهر البنفسج وينبت بنفسه أيضا في زغوان وغيره من أماكن المياه الكثيرة وهكذا الورد والباميين بأنواعهم والفل والقرنفل على أنواع شتى وغير ذلك من الزهور الطيبة الزكية بحيث تكون جمال هذا القطر وأوديته وبساتينه أيام الربيع وأواخر الشتاء وأوائل الصيف روضة نظرة بالوان النباتات المخضرة به الأرض وأنواع الزهور والنور المختلف الأشكال والروائح وما ينبت بنفسه القرنين الخارج من الخرشف الذي يقال أنه الجوز والسكروم وينبت فيه جميع النباتات من الكلال البري ومن أحسنه لغذاء الحيوانات النجم وفي الجهات الشمالية (أجام رغياض) وغابات نظيفة غنية وأشهرها غابة طبرقة يستخرج منها الأخشاب لبناء السفن والخفاف وأعواد السقوف من الطرفا وغيرهما مع المتانة والدوام والعجب أنهم جمع كثيرها وتجارة الأخشاب المملوكة من أوروبا رابحة في أغلب حواضر القطر ولتلك الغابات أشجار عظيمة جدا ذكرى ثقة أنه رأى في غابة طبرقة شجرة من الزيتون أحاط بساقها ستة عشر رجلا كل منهم فاق بنيه لغاية

اسمك صاحبـه وأشجار تلك الغابات هي الذرو والصمصاف والبوط والبنشدق
 والقسط والزان والفرنان ومنه يستخرج الخفاف وقشر لدبج البود وفيه تجارة رائجة
 وشجر النشم والدردار والعراء وغيرها من غير ذات الثمر (كما يوجد فيها) ذات الثمر
 نحو الجوز ولا خشابه سوق نافعة كما يعرفه أيضا فانهم يأخذون قشورها ويستعملونه
 للصبيغ وغيره وأكثر هذا في جبل زغوان وكل تلك الأشجار والغابات نابتة بنفسها من غير
 حراسة الا لحفظ طبرقة من جهة البحر لان الحكومة مع الجوامع على الخفاف وهي مختصة
 بأخشاب السفن كما لم يعلم على نوع من قشر الفرنان المستعمل للدبغ وبقية المذافع
 مكنوزة أرضاثة وبستنت في جميع جهات القطر شجرة الزيتون المباركة الا في الجهة
 الضاربة للجنوب وكيفية غراسه على أنواع فمن ان يؤخذ قطعة من العود الغضة
 بأوراقها وفروعها فتمرس وتبقى الفروع ظاهرة ويسمى الشجرة وهوا ردوها ومن ان
 يقطع من فروع الشجرة ما بالغ ولم يحف ويقتطع في طول ذراع ثم يحفر اليه عمق ذراعين
 في طولها وعرضها وتلقى تلك القطعة المسماة بالقنوط هناك ممتدة مع خلط التراب
 الذي ترم به بالسرقين وهو المسمى عندهم بالغبار ومنها ما يؤخذ من قاعدة الشجرة
 الجافة عند دبدب اللقاح منها ويقطع بالآلة من حديد مكر كما يحدث ان أصل خلاته في
 القاعدة كذلك الى ان يبقى ماسكا للأصل شيء قليل فيجذب باليد لكي ينسج من القشر
 سلخا ويرس على النحو السابق ويسمى السالة ومنها ان يزرع النوى وبعد كبر شجرها
 تلمع من شجرة الزيتون لان الغابات من النوى يخرج ثمره رديا لا زيت فيه وهو المسمى
 بالجموزو يوجد من هذا النوع غابات كثيرة مهـالة في الجبال وغيرها وأعظمها ما بين
 اسبطله والقـيروان ومنها ما يزرع من القنوط المذكور لكن ليس كل شجرة منفردة من
 أول الامر بل يزرع عدد كثير منها في مكان مخصوص متقارب لبعضه ويسمى بالمشالة
 وبعد ثلاث سنين من نماته تنقل كل شجرة لمخاها وهذا الصنف هو الأكثر استعمالا
 وللاهمالي اعتماء باتقانه ونميته وسقيه والاغاب في هاته الشجرة ان تستنبت من غير
 سقي الا في السنين الاولى فاذا ثابتهت عروقها ترك سقيها الا بما يأتيها من ماء المطر وثمرتها
 أنواع كثيرة مختلفة في الطعم والزيت كثرة رقلة والاغاب هو النوع الاسود السـغير
 الحجم وهو العام ويختلف ريقه بالنظر لكثرة المحسن على حسب الارض التي يزرع
 بها فما يزرع في الجبال والاراضي الكثيرة الحجارة يكون أكثر زيتا واحسن زيت
 هذا القطر زيت زيتون بلاد قفصة وبلاد توزر فانه الذطعم وأنقى لونا كأنه ماء

لا يكاد يدوم من الزجاجة اذا وضع فيها ومن أنواع الزيتون الحسنة الطعم النوع المسمى بالمرسان وهو اخضر متوسط الحجم مائل الى الطول دقيق النوى ويتقن صنعه أهل زغوان بالنار نج وأهل المحاضرة بذلك أيضا وبالليون والفلفل الاحمر والاخضر وقوله النار ع المسمى بالطازلا الكبير الحجم جدا الاسود اللون ومن أنواعه الحسان المسمى بالمسكى وهو مكر كب مائل الى البياض بخضرة وبقية أنواع الاشجار المستنبطة فيها البرد قال أى النار نج الغير المرو فيه ه أنواع وهى الطرابلسى والمالطى والمجبلى وأغرب نوع لم أره فى غير هذا القطر مع البحث عنه البرد قال المسكى وهو لا حوصلة فيه أصلا بل فيه حلالة رائدة كأنه مخلوط بسكر أو عسل ومنها النار نج والليم الحلو والليون الحامض وفيه أنواع منها ما يبقى فى جميع الفصول الاربعة والكثيرى وفيها أنواع لكل زمن من فصول السنة نوع وقد نقل من أوروبا أنواع نعظم كثيرا وعنى بتربيتها بعضهم فأنتجت فى السنين الاولى ثم أخذت فى التراجع والتفاح مثل ذلك والشمش ومنه نوع يسمى بالشاشى صغير مبيض منقط بجمرة أو سود لم أر مثله فيما رأيت من الاقاليم طمعا ونكهة والاجاص بأنواع كثيرة منه الاحمر والاسود والابيض والاخضر والمكركب والمستطيل والصغير والكبير ويسمى بالعوبنة وأحسنه المسكى وهو صغير مستطيل واللوز والعنب والتين والخوخ والهندى أى التين الهندى وهو نوع يخرج من شجرة لها شوك كثير ولا ساق لها ورقها مثل أنطلاف الابل له شوك كثير ويسمى فى المشرق بالصبارة ويستعمل بكثرة سياجا على البساتين وهو مرغوب فيه فى هذا القطر انعمش أقوام مثل جلاص وتتمكه الاسخري ولو من أهل المدن لطيب نكهته وطعمه مع قلة ضرره الا اذا أكثرأ كاه على جوع فانه قابض جدار عما قتل بذلك ومن طبيعته انه يكثر فى سنين الجذب أى فى العام الذى تقل فيه الامطار ولذلك صار الهندى أهم النيمات النافع للفقراء كما يستنبط فى هذا الاقليم التبغ أى ورق التدخين والمشوق فاما ورق التدخين ففيه الجيد ولكنه لا يبلغ الى أعلى نوع منه واما ورق المشوق فانه أعلى من جميع أنواع ما يزرع منه فى غير هذا القطر سيما ما يزرع منه فى جهة تباجة وتبرسق وقربة وعادة دقه فى هذا القطر انه يدق ناعما للغلبة وقد كانت فيه أرباح للقطر بكثرة خروجه منه والآن صار يجلب اليه كثير من الخارج لجهير الحكة ومه زرعه باطلاق حيث كان لها عليه آداء وافر وينبت أيضا الجوز والسفرجل والعناب والزعرور والمان وبوصاع والموز والخبيل غير انه فى غير الجريد لا يقر الا لثة أنواع

وهي البسر الاخضر والاصفر والرطب وامافي الخريد فله انواع عذها بهضم ثمانين
نوعا واختص على جميع ما علمنا من الاقاليم رؤبة وسما عا بالنوع المسما بالدقلة الذي
لانظيره حلاوة ولذته طعم ويجعل منه لسائر المعجور رغبة فيه الى غير ذلك من سائر نباتات
الاقاليم المعتمدة لاسيما الجبال الشمالية الكثيرة المياه فانها يوجد بها حتى بعض
نباتات الاقاليم الباردة وهي على مر الايام نضرة بحضرة بما كساها الله من جمال النباتات
والخشب (واما هواء) هذا القطر فهو معتدل الاغلب والجهة الجنوبية يغلب فيها
الحار واذا هب الريح الجنوبية على اى جهة وفى اى وقت يحصل منه الحار لاسيما فى
الصيف فأنه يؤذى بمر حتى بعض الثمار والشجار وفى غير ذلك الاعتدال هو الغالب
ويشتد البرد فى الشتاء لكن لا يصل الى انجماد الماء أو نزول الثلج الا نادرا نعم فى جبال
الشمال المرتفعة يحصل الجمد فى كل سنة بل يبقى الثلج فى بعضها ولو فى الصيف لكنه
قليل واغلب جهات القطر سليمة الهواء موافقة للصحة وفيه جهات حسنة الهواء جدا
نافعة للمرضى ولو عرض السبل الذى احسن علاجها الهواء لان بحاسه الرثة فن هاته
الجهات الحسنة المشهورة المكان المعروف برأس الجبل وهو جهة الشمال من القطر
بقرب شاطئ البحر تبعد القرية التى هى مركزه على البحر نحو اربعة أميال والبحر من
شمالها وهو على سفح جبل منخفض ممل بساتين ناضرة الى البحر تسقى بالبارذات
ماء حلوجيد نقي وعلى شاطئ البحر عين عذبة ضعيفة الجريان لكنها نابغة من الخضر حلوة
جدا نقية مسرعة للهضم كثير بحيث يصير الشارب منها يأكل أكثر من عادته وكذلك
من الاماكن الشهيرة بحسن الماء والهواء بل اننى هى قاعدة الوطن القبلى وهى
على مبدئ الرأس الطويل رأس ادار عند اتصاله بالقارة تبعد على البحر نحو ميل وهو
من شرقها الجنوبي وهى فى وهاد ممل وراءها جبل وامامها بحر وتصدق بها البساتين
والجنان بأنواع الليمون والبردقال وغيرهما من الفواكه وأحسن من هذين المكانين
هواء الجبل المعروف بالانصارين تبعد على الحاضرة نحو ستين ميلا جهة الشمال مع بعده
عن البحر فان هواءه لارتفاعه يغلب عليه البرد وفى أعاليه مسارح ومزارع متسعة وعيون
دافقة وأجام وغياض نضرة لا يركد فيها الماء بل ينحدر الى أسفل والشاهد على ان هذا
المكان أحسن هواءه من جميع جهات القطر ان أهله لم يصبهم كثير من الامراض الوبائية
مع ان كل تلك الامراض عمت القطر التونسى عدة مرار ولم يعلم أن احدها من أهل ذلك
المكان أصيب بشئ من ذلك بل ان الوافدين اليه يسلم عند الحلول به وسبحان من خص

ماشاء بآشاء غير أن هذا المكان به طاهرة صعبا هي كثرة الحيات المؤذية به والله لطيف
 كما يوجد بالقطر جهات وخجة رديئة الهواء فلهذا نفر من عمل الجريد ونائها باجاة قاعدة
 العمل المسمى بها فغالب على أهلها الأمراض وتروى وجوههم صفرا والوافدون عليهم في
 أقل زمن يمرضون لاسيما في الصيف وأما غريما تقدم قال هو معتدل سليم
 (وأما حيوانات) هذا القطر ففيمه أغاب حيوانات أقاليم الاعتدال أنيسة ووحشية فمن
 الوحشية الأسد وأغلبه في الجهة الغربية ويضرب المثل بحجرة أسد عرار من أقسام تلك
 الجهة والنمر في كل الأجام القليلة العمران والضبع والذئب والثعلب والفهد والخمس
 وهو النمس والخنزير وبقر الوحش والغزال والارنب والذربال والتمنق وذو الوعل
 والورل والجرد على أنواع والبقر الجاموس كان جلب وسرح في جبال ما طر وجبه ل
 أشكل الذي تحيط به بحيرة أشكل وهي حلوى فتناسل هناك وتكثر وهو على ملك
 الحكومة وتوحش بحيث صار إذا احتيج إلى شيء منه يلزم صيده حيا وقد تأخذ منه
 الحكومة أو بعض رجالها الجرا لا يقال واللبن وقد قل في هاته المدة أكثر صيد الولاة
 وعدم حراسته حقيقة ويوجد في القطر (من الحشرات) الثعالب ولاسيما في جبال
 الودارنه فانه يعظم جدا لكنه غير ضار هذا بحيث يكون مساكنهم كأنه من الحيوانات
 الاليفة كالقطر وأشباهاه وهم لا يؤذونه وهو لا يضر ولا يضر منهم ويبلغ طول الواحد إلى
 ثمانية أذرع وغلظه أزيد من شبرين وأما في جهات الجريد والعصراف فهناك أنواع من
 الثعالب مضره ومنه نوع يسمى بالزريق رقيق قوى جدا إذا قصده شيئا يطرعه عليه فيخرقه
 كالسهم وكذلك الحيات القتالة وتوجد بكثرة في الشبيكا وتامغرا من الجريد والعقارب في
 الجهات غير أن كثرتها البادحة في الجريد وهي مؤذية ولاسيما في القيروان وفي بعض
 الجهات لأذية منها كما في بارد ومقر الامراء بل لا تكاد توجد هناك وفي جبل المنار توجد
 بكثرة صغيرة الحجم لا أذية منها وكذلك يوجد العنكبوت وتارة يعظم إلى أن يصير في حجم
 العصفور الصغير وهو قليل الأذية وكذلك يوجد النمل على أنواع شتى وكثيرا ما يضر
 بالزرع من القمح والشعير وكذلك الجراد يأتي في بعض السنين ويضر بالنبات جميعا إذا
 كان كثيرا والمنخفض على أنواع شتى والوزغ والحرباء وغير ذلك مما هو قليل الوجود في
 هذا القطر (وأما الحيوانات) الأنيسة فيوجد منها الخيل ومنها الحيات العتيقة العرب
 وأكثر ألوانها الزرق أي الشهب المشوبة بالسواد وبقيّة الألوان كالحمر والكميت
 والدهم والشهب موجودة أيضا بكثرة غير أنها أقل من الأول ويوجد بقلة

الملق والصفر وهذا الجنس يستعمل للركوب وجرا الحجلات بأنواعها
والحرث ومثله البغال وأما الحمير فهي موحودة بكثرة لكنها لا تستعمل للركوب أهالي
المدن وأعيان القبائل بل عادت لهم الاستحياء من ركوبها وانما تركب من صامة الأعراب
والسوق وتستعمل للعمل ومثل ذلك الأبل فلا تركب الا كما تقدم في الحمير وكذلك
يوجد البقر والضأن والمعز والكلاب على أنواع ومنها السلوقية والقط (وأما الطيور) *
في هذا القطر فمنها الانيسه وهي الدجاج على أنواع والاوز والبطة والدجاج الهندى
وهذا النوع اختلفت أسمائه فترى كل اقليم ينسب به الى جهة ففي تونس قد رأيت
نسبته وفي غيرها بعض يقول رومى وآخرون فارسى وآخرون صيدى الخ وكذلك يوجد
الحمام على أنواع شتى وغير هذه الاجناس يجلب بقله مشغلة للترف وأما الوحشية فمنها
المقيم ومنها الرحالة فأما المقيم فنه البرويس أى عصفور البيوت وهذا النوع لا تكاد
تخلو منه بلاد وان اختلفت بشدة الحر والبرد فقد رأيت في لندره كما رأيت في مكة المشرفة
لا فرق بين ذاوذا سوى تأثير في اللون ففي البلاد الباردة يميل لونه الى السراو وفي البلاد
الحارة يميل لونه الى البياض ومنه القنابر والزربص والحمام والحجل والمقنين والشهبوس
ودجاج الحرث والغر والنسر والعقاب والفاس والبرقي والعصفور الكناوغة يرانه يربى
والزراعة وبورأس والغراب وغراب الزرع والفاخت وخدام الحجل والطوطو والدرل
وأما الرحالة فمنها الاوز والبطة والنروقي والكركي والدراج والسمان والببلبل والمنيار
والبييط والزور والابايل والمخطاف والهدهد (وأما مدن) * هذا القطر فقاعده
تونس وهي في عرض ست وثلاثين درجة وست وأربعين دقيقة وثمان وأربعين ثانية
شمالا وطول تسع درجات شرقا من باريس بقرب من ساحل البحر الابيض على جون
سيدى أبى سعيد على تسعة أميال منه يفصل بينهما بحيرة ملحمة لها منفذان الى البحر
تربهما القوارب احدهما يمر في حاق الوادى والثانى يمتد وبين رادس والبحيرة قليلة
العمق بها جزيرة تسمى شكلى بها حصن قديم وعلى شاطئها على حافة البلاد مرسى
للقوارب الحاملة للبضائع والركاب بين القاعدتين ومرسى حاق الوادى ويتصل بهاته
المرسى أى مرسى البحيرة بالحاضرة فرع من طريق الحديد الغربية ويقال انه عقدت
مع لجنة فرنساوية تسمى لجنة بون كاله وهي صاحبة امتياز طريق الحديد الغربية شروط
في جعل تلك المرسى موثقا للسفن ويلزم لذلك حفر البحيرة وغبر ذلك من الاعمال
وهاته القاعدتين هي أكثر طولاً من الشمال الى الجنوب من العرض ويحيط بهما سور

الامن جهة الشرق فان حدها هناك هو البحيرة المذكورة كما ان السور ابتدى فيه من جهة الجنوب ولم يتم ما بين باب الفلة وباب القرجاني وفي السور تسعة ابواب اولها في قرب نهاية السور عند اتصاله بالبحيرة من جهة الشرق الشمالى ويفتح الباب الى الشمال ويسمى باب الخضره ثم يليه (باب) ابن عبد السلام ثم باب سعدون ثم باب حومة العلو ج ثم باب سيدى عبد الله ثم باب سيدى قاسم ثم باب القرجاني ثم باب الفلة ثم باب عليوه وهو في نهاية السور من جهة الجنوب الشرقى عند اتصاله بالبحيرة ايضا ولهاته القاعدة حصون على كل باب الاباب حومة العلو ج وفي خلال السور حصون أخرى تحصن القصة وهو اكبرها وموقعه على اعلار بوة في البلاد لان البلاد جاءت في سطح ربوتين متصاعدتين فيهما أحدهما رتبة القصة والثانية رتبة القرجاني ومن الحصون حصن درب بن عسال وحصن سيدى يحيى وخارجها ايضا بقرب منها حصون فنها حصن الجبال على اعلار رأس في جبل الجبال من جهة الجنوب للعاصرة ومنها حصن الرابط في الجهة الشمالية الغربية في الجبل الاخضر وبقر به حصن فايقل وحصن زوارة وامام حصن القصة داخل المدينة بطبعا عظيمة وفي جهتها الجنوبية بعمارة المراكمة التي بناها جوده باشا ولا زالت معتنى بها الى الآن وهى مقر الحكومة والوالي عند وفوده للعاصرة وفي جهتي الشرق والشمال من الطبعا سوق ذو حوانيت وامامها مظلات مرفوعة على أعمدة من الرخام وفي جهتها الغربية الحصن وبوسطها جنيذة وفوارة للساه من ماء زغوان ويحيط بالمدينة فاصلا بينها وبين الرضين طريق متسع وأشهر الاماكن الرحبة بالحاضرة بطعام رمضان باى وبقر بها مركز الضابطية ويطعماء المجر بررض باب الجزيرة وكذلك بطعام المراكض امام القشلة الحسنية ويطعماء الخلفاوين بررض باب السويق وبه ايضا بطعماء التبانين وبين الرضين بطعماء باب البحر وهى أنزه وأرحب الاماكن وحولها بناآت أنيقة وبوسطها جنيذة وفوارة ويمر منها طريق عظيم متسع الى مرسى البحر. وذللك المكان هو منزه الاهالى في عشايا المسيف لان حول الطريق العريض أشجار وقهاوى وملاهى وحول باب البحر وبقر به حارات الافرنج ويتصل بها حارات اليهود وماء زغوان مخترق لا غاب جهات البلد في قنوات من حديد وأغاب الاسواق متسبل بعضها ببعض وقد كانت كل صناعة لها سوق مخصوص لكن الآن وقع بعض تداخل ومناخهاته الاسواق هو الجهة الغربية من المدينة حول جامع الزيتونة الذى هو بقرب القصة المار ذكرها وجامع الزيتونة هو أول جامع بني بالحاضرة

وكان تمامه سنة ١٤١٠ حسبما كتب ذلك على أقواس بيت الصلاة بالقوس
المواجه لمحل المحصف فنقش عليه تاريخه لفظ ﴿اعلم﴾ وهذا الجامع هو أعظم جامع
بالخاضرة وهو بركة أهلها ولا يدخلون من رجل صالح وهو مناخ المعلوم ونجت فيه فحول
عظام قديما وحديثا وان كان أقدم منه في البناء جامع القصر لانه كان كنيسة قبل
الفتح فصار جامعاً وتشتمل الخاضرة على سبعة جوامع خطب للخزمية وأعظمها جامع محمد
باي تجاه زاوية سيد محرز بن خفاف وبقية الجوامع والمساجد البالغة نحو ثلاثمائة كلها
مال كنية وأعظمها جامع الزيتونة وفي الخاضرة زوايا كثيرة منها ما به ضريح سادات من
الصالحين كزاوية سيدي محرز بن خفاف عماد البادية رضى الله عنه وزاوية سيدي
علي بن زياد من كبار أصحاب مالك بن أنس وزاوية سيدي أحمد بن عروس وزاوية
سيدي منصور وغيرهم رضى الله عنهم وتبلغ أزيد من مائتي زاوية وسكان الخاضرة
تقريباً عددهم نحو مائة وخمسين ألف نسمة منهم نصارى وآفدون اتباع الدول
الاجنبية نحو عشرين ألفاً ويهود نحو أربعين ألفاً والمسلمون ما بين أهالي أو جزائريين نحو
تسعين ألفاً ويقرب الخاضرة على نحو ثلاثة أميال من الغرب الشمالي بادية باردة والتي
هي مقر الحكومة وتشتمل على قصور للادارة ومساكن الوالى وقرايته وعلى جامع واحد
وحمام ولها قاض خاص وحول الخاضرة الى مسيرة تسعة أميال وأقل بساتين وعمران
وأحسنها المكان المسمى منوبة لاشتماله على قصور جميلة في بساتين أنيقة وبها ساقرية
حول زاوية الولاية الصالحة السيدة عائشة المنوبية وهي في الجهة الغربية من الخاضرة
على مسيرة تسعة أميال وفي الجهة الشمالية بساتين أريانة تضاهي السابقة مع حسن
هوائها ثم في الجهة الشرقية بساتين مرسى قرطاجنة التي هي انزه وأبهى مكان حول
الخاضرة تبعد عنها نحو سبعة عشر ميلاً على شاطئ البحر الذي مجدت محاسنه شعراء القطر
وقال أبو عبد الله الباجي المسعودي فيه عدة موشحات منها قوله

يا شاطئ المرسى السلام عليك يا نزهة العيون

وأشهر أماكن العبدلية المشتملة على سوق وقصور أنيقة لولى العهد في الولاية الأمير على
باي وفي الجنوب الشرقي من الخاضرة على بعد تسعة أميال مستقيماً مرسى حاق الوادى
التي هي أكبر مرسى القطر ويكثر سكانها صيغاً حيث ينزل الوالى والحكومة اليها وكثير
من اليهود لاتنزه بها ويبلغ سكانها اذ ذل الى نحو ثلاثين ألفاً وقد أحدث خارج سورها
بناآت كثيرة نحو بادية جديدة في شرقها على ترتيب هندسى وبينها وبين مرسى

قرطاجنة

قرطاجنة المنقدمة بلدة جبل المنار هي أقرب الى الثانية وهي مقر انتزاع أهل المحاضرة
في الصيف تشتمل على أزيد من أربع مائة دار أغلبها أبنى متقن مطلة على البحر بحيث
يراهما أقدم في البحر على أحسن منظر لتساعد هافي الجبل مع تزويق الابنية وان كانت
طرقها وسنحة وقد التفتوا في المدة الاخيرة الى شئ من نظافتها وتشتمل على ضريح
الوالي الصالح سيدي أبي سعيد الباجي وغيره من الاولياء رضى الله عنهم وتنسب
البلدة الى سيدي أبي سعيد كما أنه بين هاته البلدة وبلدة حاق الوادي عدة قرى
في مكان مدينة قرطاجنة العتيقة التي هي الآن خراب ولم يبق منها قائما الا مواجل الماء
وقد كانت مسدومة بالتراب ثم في هاته المدة الاخيرة فرغت منه ووجدت حيطانها
وطاها أسن مما ينفى جديدا وهي نحو احدى عشرة ماجلا متصلة ببعضها اذ ولا
تحتاج لاشئ يسير من الاصلاح وهي من المباني الجميلة التي تقصدها السواح
لرؤيتها كما ان خرائب قرطاجنة لازال يستخرج منها الخزور الضخمة والاسطوانات
المرمر وكثير من الافرنج يهتف فيها على الاشياء العتيقة ويستخرج منها تصاوير
وأصنام وصناديق من رخام عليها كتابات عتيقة وهي قبور لقدمائهم وتارة يستخرج
بعض فصوص منقوش عليها تصاوير في غاية الاتقان فنها فصوص قدرا لظفر منقوش به جملة
وأربعة من الخيل ومن اتقان النقش أن صفائح الخيل تظهر مساهيرها ولا يستعين بحجها
الاباراة الكبيرة كما يستخرج أحيانا قطع من السكة ذهبها أو غيره والحاصل ان هاتيك
البلدات وما حولها الى الجبل الخاوي لازالت تشتمل على عجائب من آثار الاقدمين
ومن القرى الواقعة هناك الآن أشبه بشئ بالخراب المعلة ودوار الشط ثم يندمج
وبين حاق الوادي بساتين قرطاجنة على الشط وهي جميلة ذات قصور أنيقة وفي الجهة
الشمالية الشرقية من الحاضر بساتين سكرة وسيت بذلك لأنها كان يزرع بها قصب
السكر بكثرة وتسقى من عين عظيمة عذبة مارة تحت الارض لا يعلم منبعها وانما هي
آتية من الشمال الغربي ذاهبة الى الشرق الجنوبي في قنوات من البناء المتقن والآن عليها
أبار كثيرة ولكن من النقص صارت تلك الجهة كأنها خلاء وليس بها قصبة واحدة
سكرية ادصارها واهوارها من السبخة التي هي في شمالها الشرقي بينها وبين بساتين
قرت التي هي قرب شاطئ البحر شمالا الى الجبل الخاوي فيها جبال عظيمة من الرمل المنقل
أما كتل اسباب بساتين تلك الجهة هي آتية من الشمال عذبة للشاطئ ذاهبة الى
الجنوب وكانها من الرمال التي يقدفها البحر بعد التصفية مما يأتي به من مجردة والمدينة

الثانية في القطر هي القيروان وهي اختطتها الصحابة رضوان الله عليهم عند الفتح في مكان صالح بعيشة حيواناتهم وقرىب من طبيعة أرض المجازات أناسهم بها وبعبدة عن البحر حذرا من هجمات المحاربين قبل التمكن وهي في الجنوب الغربي من الحاضرة في طول (٤٥) ثانية و (٣) دقائق وعرض (٤١) ثانية و (٣٥) دقيقة وبها الجامع الكبير الذي بنهه الصحابة ثم جدد بنو الأغاب عنه لما كانت تلك البلدة هي قاعدة القطر ولا زال بعض سقوف الجامع مما صنعته الاغابة الى الآن كما أنها فيها ضريح السيد الصحابي سيدنا أبي زعنة الانصاري رضى الله عنه وعليه بنايت ضخمة ومدارس للعلوم وأوقاف كثيرة ولتلك البلدة سور وضريح السيد خارج السور وفي السور منافذ ضيقة معرجة للخروج منه راجلا عنه مدخل الابواب وعلى السور عدة حصون وهي الآن ليست على ما كانت من العمران وسكانها الآن نحو عشرين ألفا كلهم مساكن ولا يدخل البلدة غير مسلم وهم قائمون بجميع ما يحتاجون اليه من صنائع وتجارة ولا زال العلم في أهلها وبالجامع الاعظم ومدارس السيد عدة دروس في علوم شتى (ثم ان القطر) المتونسي ينقسم الى عدة أعمال بالنظر الى السياسة (١) فالحاضرة وما حوله الى نحو عشرين ميلا من كل جهة عمل (٢) ويليه من الجهة الشرقية الجنوبية عمل الوطن القبلي وهو ينقسم الى الجزيرة مما يلي الحاضرة وقاعدتها بالاسلام وسكانها نحو أربعة آلاف نسمة والى الوطن وقاعدته بالندابل وسكانها نحو خمسة عشر ألف نسمة وفي الجميع أزيد من ستين قرية فيما يتبع مع الاولى المنزل وبني خلاد والصحمة وأقليدية التي هي حصن على رأس ادارومما يتبع مع الثاني بني خيار وقرية والحمامات وهي حصن في الجون المعروف بها وفي ذلك الرأس الطويل مقر السادات المعاونين الثابتى الشرف رضى الله عنهم ثم يلي ذلك جنزبا (٣) عمل الساحل المنقسم الى وطن سوسة ووطن المنستير ويتبع كل منهما عدة قرى فيما يتبع سوسة بالدمساكن أهلها أشرف والقلعة الكبرى والقلعة الصغرى وغيرها وسوسة التي هي القاعدة ذات سور وحصون وهي مرسى على البحر وبها جامع عظيم وسكانها نحو تسعة آلاف نسمة ولهم حضارة وبقايا من العلوم ومما يتبع المنستير بلاد المهدية ولها حصن وسور وجامع وهي مرسى تجارية أيضا ولها قاض خاص وأكثر سكانها حنفية من أبناء الترك الذين استوطنوا تونس بعدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ويتبعها أيضا بالرجال وبلاد المنارة وغيرها والمنستير هي القاعدة ولها سور وحصون وهي مرسى تجارية أيضا وسكانها نحو

سبعة آلاف نسمة وهي دون سوسة في الحضارة والمعارف ويلى هذا العمل (٤) عمل مناقس وهو جنوبي السابق على شاطئ البحر وقاعدته مدينة صفاقس وسكانها نحو عشرة آلاف ولاهلها شهرة بالتجارة في دواخل القطر وفي الممالك الاسلامية ولهم مزيد محافظاة على الصلوات في المساجد ولهم بقايا من العلوم الدينية والادبية وهاته البادية لها سور وحصون وهي مرسى تجارية أيضا وتأوى اليها سفن الحكومة في الشتاء لانها امن لبيعي للسفن والشااطها مدوزج ويقيم بها جزيرة قرنة التي بها قري ولاهلها صناعة الخلفة والحبال ثم يلى هذا العمل على الشاطئ الجنوبي (٥) عمل الاعراض على جون قابس التي هي قاعدة العمل وسكانها نحو تسعة آلاف وهم على البادية ولها مرسى قليلة التجارة وهذا العمل ينتهي الى غاية الحدود من جهة الجنوب والجنوب الشرقي الى مراباس ثم يلى هذا العمل في الشرق (٦) عمل جربة التي هي جزيرة في البحر وعدد سكانها ازيد من ثلاثين الفا متفرقين على عدة قري ولهم شهرة تامة بالتجارة في سائر ممالك الاسلام ويلى عمل الاعراض من غربيه (٧) عمل الجريد الواصل الى نهاية الحدود الجنوبية في الصحراء وهو منقسم الى اربعة اقسام الاول في جنوبيه وهو وطن الوديان والشبيكة وتامغزاو يليه شمالا وطن نفطة وياليه شمالا وطن توزر وياليه شمالا وطن قندصة وهاته لها حصن وقاعدته جميع الجريد هي توزر وقد كانت ميناخا للعلم لم يزلت فيها بقايا وعدد سكانها نحو اثنى تسعة ثم شمالا يلى هذا العمل (٨) عمل القيروان وقد مر ذكرها لانها لما تقدمت على غيرها ويلى عملها شمالا (٩) عمل اولاد سيد من البوادي سكان الخيام وياليه في الشمال الغربي (١٠) عمل رياح المشمل على بلد زغوان في جبلها الشهير وعلى بلد تستور وعلى بلد مجاز الباب وغيرها وأكبرها تستور وعدد سكانها نحو اربعة آلاف وهذا العمل يتصل بعمل الحضارة (وحينئذ) قد عرفنا جهة الشط الجنوبي الشرقي الى الحدود ثم ما والا من دواخل القطر ويبقى علينا ان نقتسم جهاته الغربية والشمالية فالما الغربية فية يتصل بعمل الحضارة (١١) عمل طبرية وقاعدته طبرية وهي قرية الآن في غاية التأخر (١٢) ثم عمل تبرسق وهي قاعدة وسكانها نحو اثنى تسعة (١٣) ثم عمل باجة وهي قاعدته وهو عمل كبير وقاعدته ذات حصن وقصر لنايب الوالي الذي يسافر بالأسكر كل صيف الى هناك في القديم وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة (١٤) ثم عمل الكاف وهي قاعدته ولها حصن وهي في راس جبل وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة ويتصل

عنها الى نهاية الحدود الغربية غير أنه لا يصل الى الشط من جهة الشمال فتلك الجهات
هي الاعمال الشمالية وتبعد عن جهة الشمال بحوالي طبرقة وسكانها (١٥) بوادي
وبها حصن وياليه (١٦) عمل جمال ما طروهي قاعدته وسكانها نحو ألفي نسمة من
البوادي ثم يليه (١٧) سهل بن زرت وهي قاعدته وهي مرسى أمينة حد الو سهل لها
بعض تسهيل في منفذها الى البحر لا يمكن أن تأوي جميع سفن الدنيا في أمان ولموقعها
اعتبار عظيم في التمكن من البحر الايض وسكانها نحو ستمائة آلاف نسمة ولها حصن وسور
والماء يجري اليها في قنوات من البناء من بعد الشرب لاهلها ويخترقها خليج يوصل الى
بحيرة المزوقة المتصلة ببحيرة أشكل التي بها جبل كالجزيرة فيه حيوانات كثيرة هو متفرع
لمريد الصيد ويتبع هذا العمل بالدار الملح التي هي في نهاية الحد الشمالي من الشرق
وسكانها نحو ألف نسمة ويتصل هذا العمل من جنوبيه بعمل الحاضرة وعلى ذلك فقد
تصور القاري هيئة تقسيم أرض هذا القطر غير أنه بقي له تقسيم آخر حكى أيضا بالنظر
الى القبائل الساكنين به ورجع احكامهم فنقول (ان اصل) أهالي هذا القطر هم
من البربر وكانوا قبل الفتح اما نصارى أو وثنيين ثم أسلموا كلهم ولا زال في بعض القبائل
شيء من عادات النصارى يفعلونه عن غير قصد وهو الوشم بين أعينهم على جماهم بصورة
صليب صغير وكذلك استوطن به كثير من العرب واختلطت انسابهم بالاصليين ثم
استوطن به ايضا من هاجر من الاندلس بعد المائة الثامنة وقد بنوا بلادا بالاطر خاصة
بهم وكذلك في ربض باب سويقة من الحاضرة بنوا حارة خاصة تسمى الى الآن حومة
الاندلس ومن بلادهم التي أسسوها سليمان وزغوان وطبرية ومجبال الباب وستور
وكلها مؤسسة بما كن جيدة على شكل حسن متقابلة الطرق واسعتها مستقيمة
واختلط نسلهم بالقاطنين ثم وفد عليهم الترك واختلط نسلهم ايضا بالقاطنين ولكن
الاكثر هم النوعان الاولان وديانة الجميع هي الاسلام النحوستين القامان اليهود
أغلبهم في الحاضرة وباقيهم متفرقون في أغلب بلاد القطر كما ان في القطر من النصارى
الاوروبايون نحو الاربعين القامان اجناس شتى أغلبهم مالطيون من الانكليز وديارهم
الاطليبيون ثم الفرنسيون ثم غيرهم قليلا هذا من غير اعتبار المسلمين التابعين للفرنسيين
والافعدد الفرنسيين بذلك الاعتبار اكثر من غيرهم ثم ان الاهالي الاصليين كانوا في
صدرا المدة على مذهب أبي حنيفة هم وجميع سكان الجزائر والمغرب الى ولاية المعز بن
باديس فمذهبهم على اتباع مذهب مالك وذلك في حدود سنة (٤٠٦) وبقوا على ذلك

الى ان جاء الترك فكانوا هم ونسلهم على مذهب أبي حنيفة ولذلك كان أكثر الاهالى
مالكية وهذا بيان أسماء الاعمال والقبائل والاشارة الى أماكن اقامتهم *
(١) الحاضرة (٢) القيروان (٣) أولاد خليفة من جـ لاص جنوبي
القيروان (٤) الكعوب والكوازين منهم غربي القيروان (٥) أولاد بدر منهم
مثل السابقين (٦) أولاد سنداس منهم مثلهم (٧) كسرى في الغرب الجنوبي
منهم (٨) الساحل (٩) المثلث حول صفاقس من غربها وجنوبها (١٠)
صفاقس (١١) جربة (١٢) الاعراض (١٣) نفقات في الاعراض (١٤) تنزوة
من الجريد في جنوبية الغربية (١٥) الوديان في جنوبية (١٦) الحمامة في جنوبية الشرق
(١٧) توزر في شمالية (٨) نقطة في وسطه (١٩) الشبيكة وتامعز في نهاية الجنوب
منه (٢٠) قفصة في شماله (٢١) اهل بيت الشريعة من عرب دريد رحالة
ما بين الجنوب الغربي والغرب الشمالي (٢٢) أولاد سيدي تليل في تلك الجهات
(٢٣) أولاد سيدي عبيد مثلهم (٢٤) أولاد عزيز من الحمامة ما بين القيروان
والجريد والاعراض وهم رحالة في تلك الاراضي الرحبية (٢٥) أولاد ميمر منهم
مثلهم (٢٦) أولاد رضوان منهم مثلهم (٢٧) الغمامدية في غربهم (٢٨) أولاد
وزاز من الفراشيش في جهة الغرب الجنوبي (٢٩) أولاد ناجي منهم مثلهم (٣٠)
أولاد علي منهم مثلهم والجميع رحالة في تلك النواحي (٣١) شقعة في الغرب المتوسط
من القطر (٣٢) النوادر قرب السابقين (٣٣) أولاد مهنة مثلهم (٣٤) أولاد
بوغاف في الحدود الغربية (٣٥) الزغالة مثلهم (٣٦) شارن مثلهم (٣٧)
العوامر منهم مثلهم (٣٨) أولاد يعقوب قربهم (٣٩) التوابع مثلهم (٤٠)
ورغة في جبال الشمال (٤١) الحمامسة ودوفان في بحار الكاف (٤٢) الكاف
سبق ذكره (٤٣) ورتنان في الجنوب من الكاف (٤٤) أولاد عمار قربهم (٤٥)
أولاد عون قربهم (٤٦) جندوبة شمالي الكاف (٤٧) أولاد بوسالم قربهم
(٤٨) ارقبة شرقي الكاف الجنوبي وغربي جنوبي باجة وفيها جبال وقبائل من
سكان الخيام (٤٩) باجة سبق ذكرها ويطعمها جبال تشغل على قبائل شتى غير
ناضحين حقيقة للحكومة متنعين بجهلهم الوعرة وكثيرا ما ترسل معسكرات لاختد
الضرائب منهم وكثيرا ما يؤذون اليها مصادرا عن غير تحقيق لاعددهم وكسبهم وهم
عمدون ونفزة وقعد وخير والشيعة (٥٠) تبسقي سبق ذكرها (٥١) رياح

تقدمت أيضا (٥٢) الحمديّة ورادس كل منهما قرية لها عامل مخصوص والاولى كانت مدينة قاهرة في ولاية أحمد باشا فأخذ في عليمها الذي أخذ في إبداء في بضع سنين وكانت مستقرة ومستقر جندده (٥٣) ثم المرسى وحق الوادى وقد تقدم (٥٤) أريانة وجعفر كذلك (٥٥) بن زرت كذلك (٥٦) ماطرو بجارة بجعلها لها وقد تقدمت (٥٧) الوطن القبلى كذلك (٥٨) قبطنة (٥٩) دايماش (٦٠) حجرى ليس لهم مقرب بل هم متفرقون في الارطان (٦١) أولاد سعيد في القنيطرة في الشمالى الشرقى لغيروان (٦٢) السواسى جنوبهم (٦٣) الطراباسية متفرقون في الاوطان (٦٤) الغرابية كذلك (٦٥) العروش الرقاق الاولى كذلك (٦٦) العروش الرقاق الثانية كذلك (٦٧) دريد رحالة ما بين الغرب والجنوب (٦٨) عرب مجوز تابعون اليهم (٦٩) أولاد حسن حنفى والمذهب من دريد (٧٠) فطاسة اتباع جلاص (٧١) أولاد سيدى عبيد الظاهر في الجهة الغربية الجنوبية (٧٢) طبرية تقدمت (٧٣) السبالة في الشمالى الغربى من الحاضرة على نحو اثني عشر ميلا وعدد جميع السكان نحو مائون ونصف لان تحقيق العدد غير موجود سيما وكثير من أعراب الاعراض مثل ورغمة وكذلك بمالية باجة لا يعرف عدد ذكورهم البالغين القادرين على التكسب فضلا عن غيرهم وانما يعرف عدد الذكور البالغين من بقية السكان الغير العاجزين عن التكسب وهم مائة وسبعة وعشرون ألفا على سبيل ما كان بالبلد تونس والغيروان والمستدير وصفافس لاستغنائهم من الاداء المرتب على الرأس

فصل

في اجمال تاريخ هذا القطر التونسي

ويشتمل على ثمانية مطالب (الاول) في نبذة من تاريخه القديم (الثاني) في علاقته بالدولة العثمانية (الثالث) في سياسة الخارجية (الرابع) في سياسة الداخلية من العائلة الحسينية (الخامس) في وزارة مصطفى نخند دار (السادس) في وزارة خير الدين باشا (السابع) في وزارة محمد نخند دار (الثامن) في وزارة مصطفى بن اسماعيل (المطلب الاول) في نبذة من تاريخه القديم اعلم ان هذا القطر تداوله ولاية الرومانيين والقرطاجنيين منذ قرون عديدة قبل البعثة وصدر من زمن الخلفاء الراشدين الى ان

افتتح

افتتح الخليفة الثاني (سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) مصر ووصل أمير
جيشها بالفتح إلى بركة بين طرابلس ومصر فأرسل يستأذنه في فتح أفريقيا يعني بها تونس
كما تقدم بيان وجه التسمية في الفصل السابق فأرسل إليه يقول ما مقاده أنها الغدارة
المغدور بها ماؤها قاس مفروقة لقلوب أهلها لا تفتح ما دمت حيا الخ وكان وجه ذلك
سياسة منه (رضي الله عنه) مخبرته بالأمور وهو علمه بالاختلاف الدائم بين أهلها الذي
صار طبيعة لهم بحيث لا يتقادون لبعضهم ولذلك وهنت شوكتهم وصاروا طوعا لا جانب
المستولين عليهم بحيث لا يعهد منهم قيام بشأن أنفسهم بل تسلم أنفسهم الانقياد إلى
الغريب بما لا تسلمه إلى واحد منهم والدليل على ذلك أن هذا القطر مهمما تغلب عليه أجنبي
انقاده أهلها إلى أن يقرض أو يستولى عليه أجنبي آخر وحيث كانوا على تلك الصفة
فلا يستطيعون أن يكونوا غير أن لا تؤمن عواقبه أما (أولا) فلأن الجيش إذا استقر
هناك رعبا مرت إليه طباع أهل الأقاليم كما هو شأن الطبيعة البشرية من سريان الطباع
بالمحاكاة والملازمة فيقع بينهم التنازع الواجب التبعاع عنه وأما (ثانيا) فاذا غلب الجيش
الاسلامي ولات القطر الذين هم أجانب من الرومان لا يبعد أن يرجعوا إلى بني جلدتهم
ويعبدون الذكوة على المسلمين وهو لا يمكن لهم الاعتماد على أهل القطر في إمدادهم
وأعانتهم لما تقدم من طبعهم وأنهم ما وع الغالب كيفما كان وذلك لا يجدى معهم رؤيتهم
لعدل المسلمين واستقامة أمور دينهم وديارهم لما في أصل الطباع من الفقرة عن التعاون
وميل كل نحو بصة نفسه والحامل الديني وحده غير محدد لأنه يلزم له رسوخ وتمتخاق ومع
ذلك قليل من يكفي له ذلك فقد تكرر (أبو إسحاق الشاطبي) في موافقاته أن العلماء
على ثلاثة أقسام الأول من يبلغ به العلم إلى درجة تصير النظرى في حقه ضروريا
لاطلاع على أسرار العلوم وتخافه بها حتى يصير العلم له طبيعة راسخة يرجع إليها
رجوعه إلى سائر الضروريات ولا يمكن له العمل على خلاف ذلك كما لا يمكن للإنسان
العمل على خلاف الضرورى وهذا القسم قليل ما هم والقسم الثاني لا اطلاع على أسرار
العلم لكن اطلاعا محتاجا إلى المراجعة والتدبر والتدبر وهو لا يمكنه العمل على مقتضى
العلم إلا بكلفة من خوف ألوانع الظاهرى غير أنهم يتقادون إليه بالتسليم وهو في حقه
خفيف فأدى درجاته تؤثر المطلوب منهم والقسم (الثالث) هو الذي لا اطلاع على شيء من
أسرار العلم وإنما يسمع تكاليفه ويتقاد إليها بالتقليد المجتهد وهذا لا يحمل نفسه على
مقتضاه إلا بالوانع الظاهرى وهو القسم الأكثر والأغلب في الوجود ولهذا أقيم في الدين

وازع الحكم لبحرس الدين الشامل لجميع أقسام التصرفات الدنيوية والاخرية ولا يقال ان
 أهل القسم الاول يلزم أن يكونوا معصومين وذلك لا يصح لانا نقول تصدر منهم الخطيئة
 على وجه الغفلة كما تغفل الحواس في بعض الاحيان هذا الجمل كلامه وأنى لأهل
 أفريقية اذ ذلك وبلوغ درجة القسم الاول هذا على فرض اسلامهم وأما اذ ارضوا
 بالطاعة وضرب عليهم الخراج فالامرأ بين مع أن المنعة اذ ذلك للمسلمين وخط التجايم بعيد
 جدا وهو جزيرة العرب حيث كانت مصر اذ ذلك في أول فتحها ولم يستقر قرارها وليس
 من المعقول الرغبة في الفتوح بالتهور وبعث تقدم يندفع أشكال بين وهو كيف يتوقف
 سيدنا عمر رضي الله عنه عن بث الاسلام في أفريقية استنادا لمجرد ذلك التعديل وهو
 تفرق أهلها مع أن الامر بث الاسلام ليس بعشروا يات في قلوب أهل الاقليم ويؤيد
 ما قلناه أن سيدنا عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة واستقر اذ ذلك أمر الاسلام في
 مصر وكان لجيش المسلمين قرب منعة ومدد أمرهم بفتح أفريقية ففتحت سنة ٢٩ على
 سيدنا عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه معجوبا بعشرين الفا من الصحابة
 والتابعين رضوان الله تعالى عليهم وكانت أسبيطلة هي القاعدة الثانية في القطر وهي
 مركز الشارة واجتماع أهل الحل والعقد لكي يكونوا أحرارا في مقاضاتهم لبعدهم
 عن الملك الذي مقره في قرطاجنة وما يرمى عليه أمرهم يبعثون به اليه وحيث كانت
 تفاصيل التواريخ لهذا القطر قديما قد تكلفت بها مؤلفات منفردة ومن أجلها الحال
 السندسية فلا يمكن استنباطها في هاته الجهالة لانها خارجة عن المقصود الذي هو معرفة
 الحالة الراهنة وإنما الذي يتوقف عليه المقصود هو بيان ما عليه الحال لكن هذا لما
 كان له أساس بامور سابقة لزم بيان مقدار الحاجة لتتدين الاسباب ومسبباتها ولذلك
 نذكر جملة الدول التي توات هذا القطر من حين الفتح في جدول مع ذكر صفة الدولة
 اجالا وتاريخ مآبداية ونهاية واسماء أصحاب الملك الى آخره بادشاه من أمراء الدولة
 العالية العثمانية ومنه نأخذ في ذكر بعض التفاصيل التي ينبغي عليها المقصود حتى
 يكون المقصود مستوفى البيان ان شاء الله تعالى

تاريخ الولايات	الاسماء	الملاحظات
٠٠٢٩	عبد الله بن أبي سرح	عامل للخليفة ثم من بعده عمال لوالي مصر التابع للخليفة
٠١٥١	عمر المهدي أول دولة المهديين	تابع للخليفة المنصور العباسي وهكذا من بعده تابعون للعباسيين مع الاطلاق في التصرف بجميع وجوهه حتى الحرب والصلم
٠١٨١	ابراهيم بن الاغلب هو أول دولة الاغالب	مثل السابق وتوارثها بنوه
٠٢٩٧	دولة العبيديين وأولهم عبد الله المهدى	في نفس الامر مستقلة وفي بعض الاطوار تظهر الخضوع للعباسيين وطورا للفاطميين بمصر
٠٣٦٥	دولة صفهاجة وأولهم المنصور بن يوسف	مثل السابقة
٠٦٠٣	دولة الحفصيين وأولهم الشيخ عبد الواحد	مستقلين واستولوا على المغرب ودانت لهم مصر والخرميين الثمانيين برهة من الزمن
٠٩٨١	الدايات والبايات المراديون والباشوات منهم	اتباع للدولة العلية العثمانية فتارة يكون صاحب التصرف ياقب بالداي وتارة ياقب بالباي وتارة بالباشا
١١١٧	الحسينيون أولهم حسين باشا ابن علي تركي	اتباع للدولة العلية بامتياز في التصرف
١١٥٣	ابن أخيه علي باشا	مثله
١١٦٩	محمد بن حسين باشا ابن علي	مثله
١١٧٢	أخوه علي باشا	مثله

تاريخ الولاية	الأمم	الملاحظات
١١٩٦	ابنه محمود باشا	مثله
١٢٢٩	أخوه عثمان باشا	مثله
١٢٣٠	محمود بن محمد باشا	مثله
١٢٣٩	ابنه حسين باشا	مثله
١٢٥١	أخوه مصطفى باشا	مثله
١٢٥٢	ابنه أحمد باشا	مثله
١٢٧١	محمد بن حسين باشا	مثله
١٢٧٦	أخوه الصادق باشا	مثله

المطلب الثاني في علاقة القطر بالدولة العثمانية

اعلم أن سبب استيلاء الدولة العثمانية هو أن الدولة الخفصية ضعف أمرها أخيراً إلى أن استولى الطليان على طرابلس وجربه ثم افتهكتها الدولة العثمانية سنة (٩٥٨) وامتد أمرها إلى القيروان بطلب من أهلها إذ كانت الدولة العثمانية هي الرافعة لعلم الدول الإسلامية واستقلت الجزائر وكثرت حروبها الأهلية وكانت قاعدتهم تليسان وخشي الأهالي من استيلاء الأسبنيول عليهم وكان أحد كبار رجال الدولة العلمية المسمى خير الدين باشا وأخوه عروج غازيان في البحر فاستصرحهم أهل بجاية للنجاة من ربة الأسبنيول فاستولى خير الدين عليهم وانقادت له سائر أقاليم الجزائر وخطب لاسطان سايم العثماني وذلك في حدود عشرة المائتين والتسعمائة ثم أنفذ تونس أبنان من جور الخفصى والاسبنيول ثم استعان آخر الخفصيين حسن الخفصى بالاسبنيول وطاد إلى تونس فأنقذها منهم سنان باشا سنة (٩٨١) ورتب بها جنوداً من عسكريين كشارية قدره أربعة آلاف وعلى كل مائة رئيس ومرجع الجميع إلى الوالي الملقب بالباشا وهو اذذاك حيدر باشا ثم وقع تنافس بين الرؤساء إلى الحرب واستقر قرارهم إلى تسليم الأمر إلى واحد منهم يلقب بالداي وجعل على خلاصهم الحماية مولاي يلقب بالباي وفي عهده تأمين السبل وهنأ القبايل ويسافر لاجل ذلك مرتين في السنة أحداها مشاة إلى الجهة الجنوبية والثانية صيفاً إلى الجهة الشمالية ويسافر في عسكر مؤلف من العساكر المشاة وهم اذذاك البني كشارية ومن قسم الفرسان الموظفين في الحكومة ولهم جراية

ويسمون بالمخواب والصباحية وعلى كل خمسةائة رئيس يسمى بالآف و كل قسم يسمى
بوجق وجميعهم سبعة أوجاق لكل وجق مركز من القطر كما يستحب الباي في سفره
قسمان فرسان القبايل يسمون بالآف و يسمى جميع الجيش المسافر فيه الباي
محله وجرى العمل على ذلك غير أن رئاسة القصر العام تارة تكون بيد الداي
وتارة تكون بيد الباي تغلبا منه واجبا يحصل الباي على رتبة الباشا من الدولة
العثمانية واستقر الامر على ذلك الى أن كثرت الحروب الاهلية ما بين البايات والدايات على
حوز الى رئاسة العامة ومات الاهالي من ذلك فنادوا بطيب نفس واختيار منهم بحسين
ابن علي تركي جد العائلة الموجودة الآن اذ كان اذ ذلك آفة ووجق باجة وسلموا له امر
الولاية العامة بعد ذلك كل من الباي والداي السابقين وأقرت ولايته الدولة العلية ولا
زالت الولاية متوارثة في عائلته كبراعن كبر الاماندر من ولايته جوده قبل محمود بهمد
من أبيه وكذلك أخوه عثمان وأمضت الدولة العلية ذلك له في حياته ومنذ ذلك التاريخ
استقرت الى رئاسة العامة للباي وصار هو الذي يولي الداي الى أن انقطع هذا اللقب
وعوض برئيس الضابطية في سنة (١٢٧٧) في ولاية الصادق باشا غير أن استقرار
الولاية هكذا على نحو ما لم يكن يتعهد من الدولة العلية رسميا بالكتابة وانما اقتضاه
جريان العمل وذلك أن الدولة العلية كانت عادت في الولايات اطلاق القصر
للوالى بحيث يكون له النفوذ المطلق لا تناسع اطراف الممالك مع صعوبة المواصلات
الابعد مدة مديدة لا سيما في مثل الاماكن التي طريقها البحر من مقرر الخلافة كتونس
وطرابلس والجزائر ومصر وغيرها وتسمى عندهم بالآف ووجق ومن كمال الاطلاق الذي
اضطر اليه البعيد اختيار الوالى لانه اذا مات الوالى أو وقع ما يوجب عزله بغلب غيره أو
بثورة عامة يسلم أهل الحل والعقد في تلك الجهة لواحد منهم لاجراء مالا بد منه وما يصل
الخبر للدولة لابعده وحيث لم يكن من قصدها الاهناء الممالك الاسلامية واجراء الشريع
فيها والادلاء بالخضوع للخلافة والانقياد اليها واداء الواجب لها من مال أو غيره لم يكن من
فائدتها ما يراه أهل الحل والعقد في الصقع الواقع به الواقعة لان ذلك لا يحصل لها
فائدة بل ربما توقع حصول غير فائدتها المار ذكرها (ورب البيت أعلم بما فيه) ولذلك تولى
هى من ارتضوه لحفظ أمورهم وحفظ حقوقها والمتقرو في هذا القطر التونسي من
الحقوق التي رسمتها الدولة العثمانية فيه عند فتحه هو أمانته بالسفن الحربية وما يلزمها
في الحروب وهذا يترسل من الوالى الى دار الخلافة عند ولايته أو عند ولاية سلطان

أوعند ما توجد مناسبة للاهداء والاغلب في الهدايا سابقا أن تكون من نتائج البلاد كالتخيل والحيوانات الغريبة من الصحراء والمسوحات الحريرية والصوفية ومنهارية عظيمة متقنة تصنع عند ولاية السلطان فقط ويكتب فيها آيات قرآنية وأبيات من البردة وتتركش بالفضة ومنها أيضا السروج المحلات وسجج المرجان والعنبر والطيب والاسلحة المصعة بالمرجان ومنها القمروالزيتون والسمن والشمع ثم توسع في هاته الهدية حتى صارت من المال والمجوهرات النفيسة وقد بلغت في بعض الأحيان إلى مليونين فرنك كما وما ساء بهم من المجوهرات وكذلك رتب على القطر من الاشياء المتى هي علامة على التبعية المحطبة باسم السلطان والراية من نوع راية الدولة ورسم اسم السلطان على السكة وأصحاب الهدايا هم الذات السلطانية والصدر الأعظم مع خواص الوكلاء كقبطان باشا والسرعسكر وأمنائهم وأما غير ذلك فلم تكن حالة القطر تقضي عليه ولذلك لما رأى وزير الدولة سنان باشا الفاتح حالة القطر أمر رؤسائه أن الجباية يقيمونها بها ضرور يأتهم وما يلزم لحماية القطر من الاستعدادات الحربية وما يلزم اليه من المصالح العامة ولم يرسم بشئ آخر ثم قدم قبطان باشا في حدود سنة (١٠١٣) لتتقد حال القطر وما تقضي حاله بعد اسداسه قرارا لأمراء في حلق الوادي وخرج له اذ ذلك عثمان داي في جماعة من كهراء الجند وتفاوضوا معه على مصالح بلادهم وبعد أن تحقق عنده انقيادهم لطاعة الدولة وعدم الاقتدار على الاداء أقنع من هنالك راجعا وبقي الامر على ذلك الى أن بدى للدولة العلية ابدال عادات الدولة في شأن ولات الاقطار من اطلاق التصرف اليهم لما تفاقم حال ظلمهم وعدم انقيادهم أحيانا لاوامرها ومنهم حسين باشا والى الجزائر الذي تسبب بأعماله في دخول الجزائر تحت الفرا نيس بحربهم وكان ذلك الانقلاب في دولة السلطان محمود وصدر امر من ولاية أحمد باشا فخشي الباشا المذكور من وصول النوبة اليه في التغيير وزاد خوفه بسبب ما كان حصل من سافه من تعريضه بالامتناع من نزول قبطان باشا في حلق الوادي عند قدومه لارادة التوجه بـ الجزائر لعزل والبها الذي عقد الحرب مع الفرانيس وبزواله بزول الارتباك فاعتذر له بأن الكرتينة اى التحفظ من المرض العام لا يتيح نزوله وأكرم مقدمه وهاداه في ذاته وكان السبب المحامل له على الامتناع هو أن دولة الفرانيس لما أعانت بحرب الجزائر بعد التشكي للدولة العلية كادت حسين باشا والى تونس بالانذار بأنه اذا أعان بشئ يلحق الحصار والحرب به مع اجماع الحاق على ظلم والى الجزائر فخشي والى تونس أن يعد مرور

قبطان باشا أعانة للجزائر لانه لا يمكن مروره بدون حامية فاذا دخل للجزائر بحماية من
عسكر تونس يعدها الفرنسيس أعانة وأيضا اذا سمعت العربان مرور باشا تركي في وسط
الولاية هاجوا في طلبهم من التشيكي من المتولي كيمفا كانت سيرته ظنا أن الجديد
يساعدهم على مرادهم كيمفا طالبوا وقد كان ذلك من الغفلة التي سبق بها القدر لا نفاذ
الامر في الجزائر فحشي أحمد باشا مسبق وأنضاف الى ذلك فتح الباب من الدولة العلمية في
مقدمات ما كان يخشاه وهو طالبها من تونس الاداء السنوي والحاجه افييه المارة بعد
المرّة الى أن توجه اليها عالم القطر الافريقي سيدي ابراهيم الرياحي وواجه السلطان
محمود وقبل اعتماده وسكت عن طلب الخراج وأيضا طالب من الباشا القدوم بنفسه
لدار الخلافة ولم يكن معتاداً منذ انفتح الخفاقى الى الآن وطلب منه أيضاً أن
تكون خلاطة تونس مع الدول باذن خاص وولاية المناصب بأمر السلطان والاختيار
لاصحابها من الوالى ويرفع في كل عام حساب دخل الحكومة ونخرجها وأيضا قدفعات
الدولة في طرابلس مافعاته في سائر ولاياتها من التغيير وكذلك في مصر لكنها
بامتياز فقوى خوف الرجل وجعل يبرود كل الابواب للاطمئنان على ابقاء عادته
المألوفة له ولا يلبثه ولاقطر من غير أنه يخاف به اليه قط الاستقلال لا هو ولا من ساقف من
آله فضلا عن الدخول في حياية دولة أجنبية وغاية الامر زيادة المواصله منه مع دولة
فرانسا والمدارات بما لا يخل بشئ من العادات مع طلب محافظه عادته لوتريد الدولة
العالية الحاقه بغيره وغاية ما حصل عليه من دولة فرانسا هو الوعد الشناهي بحمايته وحماية
امتيازاته الجارى بها العمل والعادة (وبشهاد) لما ترسما بعد ولاية العمالة الحسينية
المستقرة الآن أن الدولة العالية في سنة (١١٥٣) اعطت جزيرة طبرقة التي هي من
القطر التونسي الى دولة الجنويز وأذنت بذلك والى تونس فسلم الجزيرة بالشروط التي
عينتها الدولة وهي أن لا يكون لهم بها حصن ولا يتجاوزون في بناء بلد هناك حداً مع حدودها
ثم خالفوا الشروط ولذلك افكك الجزيرة منهم على باشا والى تونس اذ ذلك في تلك السنة
وفي سنة (١١٨٤) حصلت وحشة بين فرانسا وبين علي باشا الثاني والى تونس من جهة
الخلاف في الامرى الذين أخذتهم تونس من قرسكا قبل استيلاء الفرنسيس عليها
وكذلك صيد المارجان الذي بيع للفرنساويين لسنتين بعد معلوم من القوارب وأداء
معلوم وتفاقم الخلاف الى أن جاء الاسطول الفرنساوى الى شطوط تونس ويرى به من
الحصون وكان اذ ذلك رسول الدولة في تونس قادمًا لطلب أعانة السفن الحربية على العادة

في حرب الدولة اذ ذلك مع الروسيا فتدخل رسول الدولة في المنازلة وأبرم الصلح على أن
تدخل كرسكا في عهدة فرنسا وأن ترد الاسارى الذين أخذوا بعد استيلاء الفرنسيين
عليها وأن يكفوا من صيد المرجان خمس سنين مستقبلة باثني عشر زورقا لا غير وأن يكفوا
من شراء ثلاثة آلاف قفيز تمحوا ويخرجونها من غير اداء مراح عليها وأن يدفعوا ما جرت
به العادة عند عقد الصلح من الهدية ورجعت به بذلك الملكة المحسنة المعتمدة بين تونس
وفرنسا على يد رسول الدولة العلية وكذلك أرسلت خمس سفن حربية بجمع لوازمها
لاعانة الدولة في حرب الروسيا المذكورة سنة (١١٨٥) وفي سنة (١٢١٣) أمرت
الدولة العلية جوده باشا بحرب فرنسا ليس معها عند استيلائه على مصر فامتلأ الامر
وقطع الخاطئة مع القنصل وأرسل سفنه الحربية لاعانة الدولة غير أنه تحفظ للغاية على
أموال التجار الفرنسيين في بلده ولم يتعرض لسفنهم التجارية حتى قال تجار الفرنسيين
اذ ذلك نحن بلا قنصل أحسن حالا من وجود القنصل وأعلم الباشا الدولة بسبب تلك
المعاملة وهو كثرة الخاطئة التجارية المتقدمة الموجبة لاشتراك مال التونسيين مع مال
الفرنسيين فلو تعرض لأمواهم لكان تعرض المال التونسيين أيضا وانتجت عليه من
بعض الجهلاء من الداخل والخارج وعند وقوع الصلح عرفها له نابليون الاول وصارت
بينهما مهادنات واعتراف باليكال وفي سنة (١٢٣٦) أرسلت الدولة العلية رسولا أمرا
بمحفظ لوحدة وترك الحرب بين تونس والمجزائر وعمل بامرهم وفي سنة (١٢٣٧) أرسل محمود
باشا سبع سفن حربية ثم أوقفها باثنين لاعانة الدولة على حرب اليونان وفي سنة (١٢٤٣)
أرسل حسين باشا اسطولا حريا لاعانة الدولة في حرب اليونان واحترق مع جلته سفن
الدولة ومصر والمجزائر بعمل اساطيل الدول كما يأتي تفصيله في بابيه وفي سنة (١٢٥١)
أرسل مصطفى باشا الى تونس هدية لقبطان باشا عند قدومه على طرابلس انزعها من
ايدى آل قرمانى ثم طالب قبطان باشا الاعانة الحربية من تونس فأرسل الى تونس في
تلك السنة ثلاث سفن حربية وأتبعها بثسع سفن تجارية جاءت ثلاثمائة من الخيل وفي
سنة (١٢٥٥) طالب أحمد باشا الى تونس تقليده رتبة مشير مع هدية فأنعمت
الدولة عليه بذلك ثم زادته نيشانا آخر يرمي في غطاء الرأس والآن زال من رسم الدولة
ولم يرز مع ولايه في ولايت تونس وفي سنة (١٢٥٦) أمرت الدولة العلية الى تونس بالاهل
بالتنظيمات الخيرية وقرئ أمرها في مكب مشهور وأجاب عنه أحمد باشا الوالى بالامثال
غير أنه طلب وقتا للعمل مع مراعات ما يلزم من التغيير بسبب عادات البلاد ثم ألح عليه في
اتمامها

اتمامها سنة (١٢٥٨) فارسل هدية فاحرة منها سفينة حربية ومائتين وخمسين ألف فرنك وطالب الامهال في العمل بالتنظيمات وفي سنة (١٢٥٧) اشارت بالوالي المذكور امر تنظيم المولد النبوي قال له يمين حكومته أبو العباس أحمد بن أبي الضياف المناسب أن تخرج من باردورا بكاء عنه مدنا من العساكر ما يكفي الى الوقوف بين باردو وجامع الزيتونة فقال له يفعل ذلك السلطان العثماني وايس لنا أن نفعل مثله فانما سبب الادب معه رايت ذلك بخط الوزير المذکور وفي سنة (١٢٥٩) حصلت ذفرة بين دولة الصاردو والي تونس أحمد باشا كادت أن تفضي الى حرب بسبب منع الوالي اخراج الميرة الى سردانيا القمح حصل بالقطر وكانت الشروط مخالفة فأرسلت الدولة العلية رسولا خاصا ليبحث عن السبب وأمر الوالي بفصل المنازلة بصلح فأخذ تقرير في المنازلة وفصلت بصلح بقيت ما كان على ما كان ودفع ما خسروته تجارا الصاردو في شراء الميرة وفي سنة (١٢٦٣) أرسلت الدولة رسولا مخصوصا بالوالي المذکور لتأمينه من جميع ما توهمهم مع اسقاط مطالب المال السميوي وتأيبه بالوالي في الولاية مدة حياته فأجاب بالفرح والقبول لكنه طالب ببقاء جميع الامتيازات ومنها انتقال الولاية لا له عند موته وفي سنة (١٢٦٥) أرسل عباس باشا والي مصر مكنو باوداديا على وجه الاخوة ينصح فيه الوالي المذکور بترك الاوهام الحائلة له وأنه هو قد ذهب للاستئانة ونال رتبة الصدارة مع أن أباه وأخاه قد فعلوا ما لم يحرم حوله ولا تونس وايدلوا يساعده على اللقاء في البلدين ويصطحبهما معا للاستئانة ليكون له الخط الاوفر فأجاب به أنه عبد للدولة ولم يختلج بفكره شيء مما يتسم به وقصارى أمره التمسك بالامتيازات السابقة بهذا العمل والتجارية من القديم في القطر التونسي ثم أرسل عباس باشا رسولا من العلماء وآخرون التجار للتفاوض مع الوالي في مقصود الدولة فقرر لهم غاية أماله من ازدياد النعمة الاسلامية والخضوع للدولة العلية على ما جرى من الامتياز لاولاوية ومنه عدم وجوب قدوم الوالي الى الاستئانة وفي سنة ١٢٦٣ وقع خلاف بين والي تونس أحمد باشا ودولته فرانسافى شأن قبيلة نهدي من جباله باجه حيث أن القبيلة متقدمة الى نفذين نفذين تابع لتونس ونفذ تابع للجزائر فاستولى الفرانسيس على الجميع فمجدل الوالي أحمد باشا وكتب الى القنصل فأجاب القنصل بمضمون مكتوب دولته وهو أن فرانسافى الى تونس أرضا أخرى عوضا عن هذه بعد تحرير الحدود فأجاب الوالي بمناص محل الحاجة منه وأما تجديد التعديد أو ابدال بعض العمالة بجزء من غيرها فاعلم اننا نتموقف فيه على المشورة من جهة الدولة العثمانية وان كان

لما التصرف العام في الولاية بما يقتضيه اجتهادنا من المصلحة أما التقيص منها أو ابدال بعضها فلا يحسن منافع بر اعلام مولانا السلطان وتقرر بما ينشأ لنا من المضرات بسبب ذلك بخلافه العلى اه وفي سنة ١٢٧٠ أرسل أحمد باشا أربعة عشر ألفا عسكريا بجميع لوازمهم الضرورية والمحروية وفرقاطه شرعية وستة سفن منها باخرتان لا عانة الدولة العالية في حرب القريم وفي سنة ١٢٧١ أرفد ابن عمه محمد باشا عند ولايته ذلك العسكريار أربعة آلاف وخمسة مئة ومهمات وفي سنة ١٢٨١ أرسلت الدولة العالية رسولا مخصوصا اسمه حيدر أفندي لمراقبة حال الثورة العامة في القطر التي سيرديانها وأرسلت الى الحكومة ما يونافرن كالاعانتها على ما حصلت فيه من الضيق وفي سنة ١٢٨٨ أبرم فرمان الاكسى ذكره الذى استقر عليه القرار وفي سنة ١٢٩٣ أرسلت الولاية نحو مليون ونصف فرنكا كالعانة الدولة على حرب الصرب وفي سنة ١٢٩٤ أحضرت الولاية نحو ذلك المقدارا لكنه لم يصل منه الى خزانة الدولة العالية الا أقل من الربع والباقي صرف منه على تهية العساكر التي قدرها نحو أربعة آلاف في كسوتهم وتعيين والارسل وحصل الصلح قبل سفرهم وهم في انتظار اسفن الدولة العالية لحملهم اذ لم يكن للحكومة قدرة على ما تحملهم عليه وسبحان محول الاحوال كما أرسلت الولاية في تلك السنة للاطانة المذكورة نحو ست مائة بقل وأربعمائة حصان وما زاد على ذلك مما سلمته الالهالى بقى عند الحكومة التونسية وما تقدم كله زيادة على الرسل التي تنوارد في أغلب الاحيان بين التابع والمتبوع الذى هو كثير وهانحن نثبت ههنا نص بعض المكاتيب التي أرسلت من ولاية هذا القطر في النصف الاخير من هذا القرن حتى يتيقن معها زوال كل شبهة ولم نذكر ما كان قبل هذه المكاتيب لان المكاتيب كانت ترسل بالاسان التركي ولما تقدم عهد الولاية بتونس نشأ جيلهم الاخير على جهل باللغة التركية وكان أحمد باشا صاحب المكتوب الاول ذا احتراز ونقد فذكر فلم يرد ان يعضى كلاما لا يفهم اسرارا تراكيميه فكاتب باللغة العربية وقبائه الدولة اذ كثير من عمالها اجري ولايسعها انكار لغة شريعتها التي هي الحامية والذابة عنها وكان ارسال هذا المكتوب مع عالم القطر سيدى (ابراهيم الياجى) في الغرض الذى تقدمت الاشارة اليه وهو طالب العفو عن الاداء السنوى ونص المكتوب (اللهم) بالثناء عليك نتقرب اليك يا فاتح ابواب القبول والاقبال وما غمخ المنح التي لا تمتد شوارد ها على المال تنزهت في العظمة والجلال ولا قول عبادك الاهمال بمحض الرحمة والافصال فاقت عليهم خليفة

تعرض عليه الاحوال ويرفع عنهم بآئتك الاختلال ويسوسهم للصالح في الحال
والمثال صدر على سيدنا (محمد) خاتم الارسل والمجا المنيع عند اشتداد الازمة
والاهوال وعلى آله وأصحابه الذين ورثوا في الاقوال والاعمال وسرر مكارهم
مسرى الامثال ونسبوه بمنك عز الياغ حده ونصر ايمضى في الاعداء حده لهذه
الدولة العلية والاسطنة العثمانية والمملكة الخاقانية التي رفعت من الملة
الخفية أركاناً وشيدت من معالمها بناً وأقامت للحق قسطاً وميزاناً وروت
أحاديث العناية بالبنية صحاحاً حسناً وورث ملوكها الارض وهم الصالحون سالماً
فساطناً حتى استنار الوجود بخليفة الوقت الموحود وهو مولانا السلطان محمود اللهم
أعنا على ما أوجبته من فروض الطاعة وتأيد الحق بجهود الاستطاعة واحفظنا
برفته وعدله من الاصاعة واجعل الملك فيه وفي عقبه الى قيام الساعة وعطف قلبه الى
سماع هذه الضراعة من آياله ومن بهام الجماعه على لسان أجد المقيم على طاعته
فيها والبتني من ثمرتها ما يلزمها ويكفيها وطاعة خلافتك فرض على أهل الارض
وهي عند الله أغنى قرص فاذا لم تعرض الحال عليك فعلى من العرض تونس موضع
شعائر الاسلام غريبه تبعدها عن استمطار أيا ديك الجسم ومساحة معورها السير
في السمت أيام شأن أهلها الشمس من الزيت والبر والصوف والوبر يعانقون في
تحصيلها من ألم الحر والقر هذا غالب ما يسد لهم الخلة ويوجد غير هذا لكن على قلة
ومتدارز كاذب لا محالة بحسب اتساع المسألة فما يفضل من خصمها فهو للقط
عدة وبذلك دام عمرانها هذه المدة لأفضل من ذلك اترف ولو في سبيل شرق هذا
معظم دخل القطر ان جادت السحب بالقطر ويلزمه ضرورة لحفظ عمرانه وحماية
أوطانه وتأمين سكانه واصلاح مراسجه وبلدانه جسة وأجناد في كل جهة
وبلاد لتأمين الجبال والوهاد وردع أهل الفساد ويلزم العساكر الكسوة والطعام
والمرتب على الدوام ولا بد لهذا العدد من آلات وعدد وقوام هذا المال وهو
السبب في عرض الحال بان الدخل على قدر الانفاق وذلك بشهادة الله غاية ما يطاق
واذا كفتنا الرعية المشاق ونزعنا الرفق والاشفاق كان ذلك ذريعة لانفاق وسلباً
للاشفاق وربما هرعوا للدولة شيوخاً وولداً وكهلاً وشباناً يسوقهم المجهز
ويقودهم الامل الى من في طاعته النيات من اهل العمل فالسلطان طل الله في أرضه
يا ترى اليه كل مظلوم وهذا ان الواضح المعلوم وعبدكم حسبه تأمين البلاد وحفظها

من طوارق الفساد بمن معه من الحماة والاجناد سررنا لانامة أجفانها وتعبنا نراحة
شيوخها وولدائها واقبحنا المخاوف لامانها وما تنجبه غلاتها تسديه خلاتها وعلى
هذه السيرة ولائها لا يقتنون لانفسهم مالا ولو بسطوا لذلك آمالا الا ما يقتضيه
الحال من العادات المألوفة والمراسم المعروفة يصدهم عن ذلك عدم اليسار لازهد
الابرار والله المطلع على الاسرار وبما سطنامن الكلام في حال هؤلاء الاسلام يظهر
للقائم بمصالح الاسنام أن لا قوة لهذه الايالة على أداء المال في كل عام هذه ضراعة
رعيته المستسكين بطاعتك المستجيبين بحمايتك المرتجبين لعنايتك واعانتك وقت
بتبليغها بين يدي ساطنتك الخاقانية وهمتك العثمانية وتبليغها من الواجب في
حقى زهو غمرة طاعى وصديق والمأمول من تلك المهمة النظر لهذا القطر بعين
الرحمة وهذا المال في خزائن الدولة لا يزيد وثقله على هذا القطر شديد فارحم أيها
المولى ضراعتنا ولا تفرق بما لا ينطبق جماعتنا فالامر جال وما قررناه بعض من الاسباب
والعمال وقد فكرنا وأعييتنا الخيل فلم نجدها جابة المطالب الابتة نقيص عمل يفضى الى
نقص وخل أو تقبل يقطع من الرعية الامل ويضعف بسبب ذلك هذا الجمران
وتشتد الحاجة للاسئداد من كرم مولانا السلطان والله يجيرنا من حوادث الازمان
هذه وسيلة من بعدت داره ولم يكن بيده اختياره على لسان ملكة تونس مع
قدوتها المونس صالح مصرها وامام عصرها شيخ الجماعة ومفتيها الذي دانت له البلاد
بدينها ونالت به الملة أقصى أمانها السارى ذكرنا ليقه في النواحي السيد ابراهيم
الربايعي وجهته حالتها وانتظرت ومن سحائب رحمتك استغطرت اللهم أنت أعلم بامانة
فلا تحمنا انا لا طاقة لنا به واعف عنا وارزقنا الرحمة من ساطاتنا والهمة لاعانة أوطاننا انك
على كل شئ قدير وكتب في أوائل اشرف الربيعين سنة (١٢٥٤) وفيها ما كتبه أحد
باشا المذكور في تبرئة نفسه مما رمى به من ارادة المخالفة ونصه الجناح المقصود بل بلوغ
الآمال ونجاح الاعمال جناب ركن الدولة وشمس ضحاها وقطب رحاها صدر صدور
الكبرا ومركز دائرة الوزراء المشير الانخم والصدر المعظم السيد مصطفى رشيد
باشا الازال محط الرحال وقبلة الوجوه بالغانم الله ما يؤمله ويرجوه (اما بعد) تقديم
ما يجب للسلطنة من فروض الطاعة بحسب الاستطاعة فان هذا العبد الذى مات
في خدمة الدولة سلفه وعاش في فضلها خلفه روابطه مع الدولة العلية ثابتة بالاساس
معلومة في الناس واضحة وضوح الصبح غثية عن الشرح كما أن ما جيل عليه سلطان
زماننا

زماننا من كرم الطبائع وطول الباع أمرنا قد عايناه الاجاع وما على الصبح غطاء
وما على الشمس قناع والامان الذي مهده لا هل الايمان واضح للعيان لا يختلف
فيه اثنان ولا يخطر بالبال ما ينافيه لانه من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه
وطالما سئى هذا العبد الوفود الى الحضرة العلية ومشاهدة الانوار المجيدية لوساعده
الزمن وتجرى الرياح بما لا تشتهي السفن وما صدقه والله عدم الامان لانه من
المستحيلات العقلية مع انه لم يصد رمنه خال في عمل ولا ذنب فاعلى النفس بأن النوجه
انما هو تعرض اعناية الدولة والمقام انما هو لحفظ ما لها في هذا القطر من الصولة
وتؤثر واجب الخدمة على التعرض ازيد النعمة والنصح في خدمة السادات مقدم
على نفع خاصة الذات فاقصرت بالضرورة على السنن المؤلف والمالك المعروف
من تقرى الى الباب الامالى بتقديم الهدية طبق النصول الاعتبارية في هذا الوجه
الذى اشرفت عليه الانوار العثمانية وجمته الشوكة الخاقانية وان كانت الدولة
على اضعاف اغنيمة خاراعنى الاما في مكتب الوزارة من انه صدرت المصادرة من
حضره صاحب الخلافة بالتفضل بتوقيفها وان هدايا الوكلاء العظام صار في حيز القبول
بمقتضى الرخصة السلطانية ففهم العبد من التوقيف عدم القبول ومن عدم القبول
نقصان الرضاء وفي المكتب المذكور ما يشير الى ذلك مع ما بلغه الرسول من تفسير
الاشارة بصريح العبارة كما ذاك محرر في صحيفة فخر لذلك القواد وماج في تيار
الانكار اذ لم يصد رمنه ما يقتضى ذلك وما سلك في غير مسالك اما كون سلامة
تونس وسعادتها متوقفة على تأييد الروابط القديمة مع الدولة العلية فهو من المعلوم
ضرورة وجاحده منكر للبدنيات واما التبعيد والنوحش الموجب لانواع الما ذير
فمحملة اذ اصد رمنه ما خلاف ما انطوى عليه الضمير او فعلا يقتضى نوعا من التغيير (اما)
والحالة هذه فان العبد لم يجد حقا معنادا ولا ضمير بشهادة الله عنادا ولا وطا لاسباب
الشبهات مهادا ولم يصد رمنه الا المعلوم بالسالف الازمان واقرب السادة القادة من آل
عثمان والاصل بقاء ما كان على ما كان فلا مخاطرة والحالة هذه بالنفس والابلطن
أما النفس بوجود الامان من ظل الله في أرضه والقائم بواجب الاسلام وفرضه
وعدائه الجريه ونيته الخيرة وشقيقته على البريه بأكثر من هذه الاسمال حرية
واما الوطن فانه في حماية دولته محوط بصولته يدافع عنه بقوة ويكافح من
ناواه بشوكته ولا معاقبات بين اذنب على القطر الاسلامي وحمايته وبين التفضل

باسم - ثم راعادته وأسستغفر الله ان يخطر بالباب والحال المحال مالا أقدر ان أفوه به من
توهم الاستقلال أعوذ بك (اللهم) من هـ. هذا المقال كيف رمت ابر التتفرق كل
جمعة تتأدى بطاعته مع القشكر على تسير عادته ولا رواج للسدرهم والدينار الا
باسم العالي في سائر الاقطار وأشرف ألقاب هـ. هذا العبد هو ما بعثته له السلطنة العلية
وأهله لنيله من المراتب السنية بمحض فضلها وكمال عدلها وعدم امكان الحضور
لهذا العبد الشكور اذا كان سببه صلاح الامور والمثابرة على دوام حفظ الجمهور
لا يتوقع منه الحضور واختلاف البشر في مدارك العقول معقول ومنقول وصدق
الخدمة يقتضى التصديق في المقول هذا وطلب الوزارة - د الله زرها وقرن بالين
نهيها وأمرها من العبد المقبر ان يودع لامنتها ما في الضمير يوجب ان نشرح نيقي
وما أنطوت عليه طويتي فأقول والله شهيد على سري وعلايتي هـ. هذا العبد الذي
نشأ في طاعة الدولة العلية ورفل في حال مرضاتها الجليلة وتغذى بلبانها وعاش
باحسانها واستظل بأمانها وتشرف بخدمة ساطانها من بيت هرعاشر آل في
الخدمة ومظهر مال الدولة من النعمة أعظم أمانيه دوام رضى مولانا السلطان وظل
أهل الايمان وان تبتى خدمته على سنى أبيه وجده ونيل هذا هو سعادة جده وان
هذه الايالة الطائفة على هذه الحالة لا يرع لها سرب ولايتك كدر لها سرب
بحماية القوة السلطانية والشوكة الخاقانية وبهـ. هذا الحال حفظ طاعتها وصلاح
جسانتها وهو السبب في اجتماع الكلمة لهذه الامة المسلمة والله يقول (واقتسموا)
يحمل الله جميعا ولا تفرقوا) واختلاف هؤلاء الاتفاق لا ينافى الطاعة والاتفاق
ولا يكون ذريعة للأفتراق وتمسك البالدان بعاداتها بخلاف مع ذواتها والمأمول
من الحضرة لعاليه أدام الله نصرها اذارات هـ. هذا العبد في مقدس صدق وحقق
ان نطق بحق ان يرق لهذه الفئة القليلة ويرحم ضراعتهم ويجمع بابقاء عادته
الجميلة جسانتهم حاشا فضله وانصافه ان ينزع حلة تفضل بها أسلافه بل المأمول
من كرمه الزيادة وهو المحي بالأسلاف السادة هـ. هذا ما في الجنان نطق به اللسان
بلاشبه ولا تقويه ولا غواطر تنافيه فاذا ساعد القدر بالتبول فهو المظنون المأمول
وان كانت الاخرى فالله مع الصابرين وهو سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
والله يعلم اننا ما غيرنا ولا اضمرنا غير الذي أظهرنا ويوم تبلى السرائر نسأل عما
صررنا وهذا المكنوب يشرف بلوحه الى الباب العالي المستوجب لكل المعالي

الثقة الفاضل المؤتمن نخبة أقرانه لنباهة شأنه ابننا محمد أمير لواء عسكر البحر
ومعه الكاتب الثقة الخبير العفيف السقيم ابننا علي الدرناوى وجناب الوزارة يثق
بأن ما يلقى الى الحاميين من المقال يصل للعبد الفقير على أحسن حال والمرجوان
يعودوا الى انجبري بسط النفس ويعيد لها الانس والله يديم للدولة العلية المجيدة
عز لا يباطل حده ونصره اضى فمين عاندها حده والسلام وكتب فى ٢٠ ذى
القعدة سنة (١٢٦٥) (ومنها) مكنوب من أحمد باشا المذكور راجع به مع العساكر
المرسلة فى حرب القرىم مخاطب به الصدر الأعظم (ونصفه) أما بعد تقديم التحية
المناسبة لتلك الوزارة العلية والفخامة الرامضة الجليلة فهذا أمير الامراء وأحد
أعيان الكبراء الثقة العدة فارس هذا الميدان ابننا رشيد وجهه معظم قدركم بهذه
الثقة القليلة السابق تقريره الجليل وزارتكم ووجهنا معه ابننا محمد أمير اللوا والله يرى
ما للعبد الفتي من الاستحياء عند عرضها على الباب العالى ويسهل الامر ان ذلك على قدر
العبد القليل على قدر الدولة ذات العظمة والصولة والادنى ساعد على الوزارة العظمى
فى الانهاء والتقرير وبهمم الرجال تنال الآمال وتحسن الاعمال والمأمول من
وزارتكم المحودة الصفات ان تهب لبائع نفسه لله حسن الالتفات فاليد فى طاعة الله
ونخدمة الخلافة واحدة والقلوب على ذلك متعاضة والانفاس متواردة والمأمول
ان يرى أمير هذا الجيش من غنايتكم فوق الامل والله يسدده الى مرضى العمل
وينصر مولانا السلطان ويعلى بسطوته أركان الايمان ويديم وزارتكم ركنانيها
وكهنا ربيعها والسلام وكتب فى شوال سنة (١٢٧٠) (ومنها) مكنوب من
محمد باشا عند ولايته على القطر يطالب التولية والتقرير ويعلم بارسال نجدة عسكرية
لحرب القرىم وهدية مالية مصاحبة للامكنوب (ونصفه) اللهم بالنعماء عليك نتقرب
اليك وبالصلاة على رسولك وخلفائه المتناسقين نسئلك سبل المفقين وبشكر
نعمك نقرع باب كرمك وهو باب الدولة العلية العثمانية والساطنة المجيدة
الخاقانية الخدمية بالاعمال والنية المقصودة لبويع الامنية الوارد فضلها
على الاقطار من كل ناحية والشمس عن مدح المادح غنية وكفاها ان رفعت
من الملة الحنفية اركاننا وأقامت للحق قسطا ساميرا وروت أحاديث العناية
صاحا حسنا وورثها كسها الارض وهم الصالحون سلطانا يتبع سلطانا من
سمى ذى ورين الى من اختاره الجيد سبحانه لعباده وأقام به شرائع دينه وفروض

جهاده وقوله بأمانته واسعاده ويسر على يده مصالح أرضه وبلاده لازالت القلوب بطاعته مؤتلفة والسيوف والاقلام بخدمة متصرفة والالسن في الاقرار بحجزها عما يحب له منصفة وعباداً أحب تلك الحضرة العلية الشاحنة والقدم التي في كل فضل راسخة ضاق نطاق العبارة ولم يبق الا ملك الاشارة فالرجوع الى السنة وتحية أهل الجمة السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله من عبد نعمته العاكف منذ نشأ على خدمته محمد بن خديم الدولة حسين بن أسباطي (أما بعد) فالعروض على تلك الحضرة ولها طول الهر ونفوذ الامر ان رهين نعمتكم وعبد طاعتكم وعاشرهم هذا البيت في خدمتكم ابن عم عبدكم ومقام أخيه المشير أحمد بن أسباطي سار الى عفو الله فداءاً لضرة السلطانية متزوداً بما مات عليه من طاعة الخلافة وخدمتها بالعمل والنية وفي الحين يادر أهل الايالة التونسية عموماً وخصوصاً وكنواً بيننا مرصوصاً الى هذا العبد القليل وأقواله معقالاته أمورهم والنظر في حفظ مفردهم وجهورهم فقام العبد يسأو جب عليه من جمع الكرامة الاسلامية والدعاء على المنابر للسلطنة الجيدة راجعاً من رضى الخلافة في تأمين البلاد وزوال روعة العباد وسد طرق الفساد واعتصمنا بحبل الله جميعاً ولبي العبد الفقير سألتمكم سامعاً مطيعاً على عادة اسلافه الخدام مع السالف الصالح السلاطين الكرام ووسيلة هذا العبد انه نشأ في ظل ساطنتكم وتغذى بلبان نعمتكم وتعرف من نعمكم الانواع والاجناس واستضاء من عنايتكم بنور يشي به في الناس والكرام يرى السالف الخدمة ناكدة حرة وقد ترجى العناية من ذلك الباب اعتماداً على فضل ذلك الجناب ولا يمت بغيره من الاسباب وعادات السادات سادات العادات والامل ان تزيد خدمة عبدكم على خدمة من مضى حتى يرى من ظل الله الرضى والله يعاملني في نيتي فيما عرضت من أمنيته قبل حلول منيتي وقد ابتدأ العبد خدمته بما كانت اليه فيه مع من تقدم واحده والقلوب والجوارح عليه متعاضدة وهو ارسال طائفة من العسكرية اعانة تلك الفئة القليلة التي تقدمت وبحسن القبول قوبات والامل الذي عاينه المعول ان يشعلها الفضل الاول ومعها جهد المقل ومنتهى طاقة الضعيف وعلى قدر المهدى الهدية في هذه الاطاعة الجهادية وعلم السلطنة بالحوال والكنه يقتضى الاعضائه عنه يقدم ذلك عبد السلطنة المكتفي بوثوقه وأمانته وسياسته ونجاسته أحد خواص عبدكم ومحل ابنه محمد أميرالوا وهو النائب عن العبد العاجز في غالب الفضل الذي وسيلته الرجا والامل وفضل الكرام لا يتوقف على ملاحظة عمل اللهم أعزنا على

ما أوجبت لهذه السلطنة من فروض الطاعة وتأدية الحق جهد الاستطاعة واهتمامها
 بدها الطولى من الاضاعة واجلنا من مرضاتها على سنن السنة والجماعة (اللهم)
 انا اليه ناظرون وعن أمره صادررون ولا نجاز وعداك في نصر من ينصر دينك منتهظون
 قسا قد شيأمن وجدك ولاخاب من قصدك آمين يارب العالمين وسلام على المرسلين
 والخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وكتب في شوال سنة ١٢٧١
 (ومنها) مكتوب من محمد الصادق باشا عند ولايته في طاب الولاية والتقرير من
 السابق (ونسه) المحضرة العلية الحاقابية السلطانية الخدومة بالعمل والنية واثقة
 من عدلها وفنها بيلوغ الامنية والشمس عن مدح السادح غنية خليفته
 (رسول الله) وظل الله في الارض الحامى اشعائر الاسلام من سنة وفرض من اختاره
 المحيى بسجانه للخلافه وزين بما يرضيه أوصافه ويحيى بعدله كل اخافه (اللهم)
 يا كريم يا مجيد أدم له النصر والتأييد والتأييد والمزيد والبر الطويل المديد في الزمن
 السعيد والعيش المجيد وأعن العباد على ما أوجبت له من فروض الطاعة واجعل
 الساننة فيه وفي عقبه الى يوم الشناعة (أما بعد) السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله
 فان العبد الشاكر على ورائة خدمته النافذة في نعمته السابح في بحدارته يعرض
 للاعتاب العينية ومنهج المواضل المتواليه انه تقدم منه انجار للباب العالى بوفاة
 أخى والمحضرة العلية داول المهر ودوام الامر فصر العبد على القضا ورجونه حيث
 توفى في خدمة الخلافة الرحمة والرضى وحفظ العبد العاجز رتبته على العادة المقررة
 من السلاطين السادة ووجه لمساب الفضل عبد السلطنة العلية نخبة الاعيان
 وصفوة الاقران وزير الجرا بذا أمير الامراء خير الدين يطلب على لسان العبد التقدير
 الفضل المعتاد من لمباب السلاطين الاتحاد وعلى عادة هذه البلاد وقدم العبد على
 قدره ما يستحق العظمة السلطنة من ذكره وان كان مقام السلطنة الكبير يستحق
 التقدير ويرى الفضل بالقبول اول ما مول فالعبد وجه رساله لمباب الفضل وانتظر
 وفاز من وضع الامل موضعه بذيل الوطر والله أسأل أن يطيل بقاء أمير المؤمنين
 ويعزبه الدين ويتوي بشوكة حمل الله المتين ويحيى بعدله سنن الخلفاء الراشدين
 ويديم الخلافة فيه وفي عقبه الى يوم الدين آمين يارب العالمين والسلام على أمير
 المؤمنين من عبد نعمته المخلص في خدمته الموقل لنعمة السعير الى ربه تعالى المشير
 محمد الصادق باشا بآبى رفته الله كتب في ١٨ ربيع الثانى سنة ١٢٧٦ وكتب
 فيما ذكر الصدر الاعظم عا (نسه) الصدارة العظمى والركن الاعظم الاحمى

والرتبة الشاخصة اشهما صدرارة ركن الدولة وعز الوزارة ومنتهى الامال ومصدر
الاشارة ومن لا تفي بمجاسته العبارة الوزير الشهير الصدر الاعظم السيد محمد باشا
لازال كما يختار سعيد الاراء محمود الامار ومناقبه تخادها اذلام الاقدار (اما بعد)
تقديم التحية المناسبة للوزارة العلية المستمدة من انوار الخلافة المجيدة فان العبد
الفقير قدم للباب العالى خبر وفاة أخيه انا لله وانا اليه راجعون وان أهل الولاية قدموا
العبد الفقير العاجز لجمع الكاهة من هذه الامة المسلمة فاجبتهم لحفظ مصلحة الوطن
وقلت مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والاآن وجهنا الباب السلطنة العلية
ومنبع النوائيل الحلية عبد السلطنة نخبه الاعيان وصفوة الافران وزير البحر أمير
الامراء ابننا خير الدين وفي رفقة أمير اللواء ابننا حسين لخطاب الفضل المعتاد من
السادة القادة السلاطين الاحباد ووجهنا معه الهدية على قدر العبد الفقير لاعلى قدر
السلطنة الكبير كبرى جنابكم السامى تقييد ذلك وجنا بكم يسر رسولا فيها يراه
من المسالك والتحقيق المأمول ان وزارةكم العظمى تعامل رسل العبد العاجز بحسن
القبول كما هو المعروف من آثاركم والشائع من أخباركم ويرجع الرسول بفضل
السلطنة قري العين مسرور القواد ودهم ردام لكم الاسعاد وبلوغ المراد على عمر
الآتماد والسلام من معظم قدركم العالى وشاكر فضاكم المقدم والتالى الفقير الى ربه
تعالى المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله وكتب فى ١٨ ربيع الثانى سنة
١٢٧٦ والمكاتيب على هذا النمط كثيرة وكفى باعلان الولاية فى جميع مكاتيبهم
الرسمية باقب التشرىف الذى منحتم به الدولة العلية يقول كن منهم من المشير بلان
باشا باي وهاته السياسة هى التى يدين بها أهل القطر التونسى كالاقتادات الدينية مع
التسلك بالامتيازات الحاصلة الاآن وأهمها بقاء آل حسين بن على على الولاية لالتحامهم
بهم ومعرفتهم طبائع أهل القطر ومنازلهم وطبقاتهم وانما جابنا ما تقدم بيانه وان كان
الامر غنى عن البرهان لما شاع فى اذهان بعض من لا خبرة له بان أجده باشا شاق عصا
الاسلام وتبعه من بعده وكادوا ان يلغوا أهل تونس بالكفر لرضاهم بأعماله مع انه لم
يات شيا فورا وغاية أمره التحفظ على الامتيازات التى أوجدهتها العادة ورام أن يحصلها
رسميا جاه على غير الطريق المناسب ولم يحصل الاسقاط طلب الاداء السنوى وابقاه
الولاية فى مدة عمره وان تاب الى الله مما سلكه من عدم الانقياد لما طالب منه الذى ترائى
للمجهوران شبه خلاف ورفع خرقه بزيادة ارسال العساكر على ما كان يعهد الذى هو

في أواخر عهده بهذه الدار وعزمه هو وابن عمه من بعده على التوجه الى دار الخلافة كما هو مشهور عند خاتمتهم وقال ان نخوفنا من الدولة العثمانية أراد ان يجربنا الى العدم وماذا لله ان أكرم سيدنا في خروج هذا الصنيع الاسلامي من يد المسلمين وخروج روي أهورن على من ذلك هب ان الدولة نتركت من يدي هذا الملك ألتست بسلام ورأيت به بخط ابن أسرارهم كتبهم الخاص الوزير أحمد بن أبي الصياف

✽

المطاب الثالث

في سياسة القنصل الخارجية (اعلم) انه لم يكن من الدول جميعا معارضة للسياسة المتقدمة حتى ان الدولة الانكليزية كانت مراقبة لحركات ولاية القطر معارضة لكل ما يخالف التبعية للدولة العلية مما يظهره بعض الدول والولاة وقد كانت تشدد في ذلك بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر حتى انها لم ترد ان تقبل أحمد باشا في سفره الى أوروبا الا بواسطة سفير الدولة العلية وعدل هو عن زيارتها الخالفة ذلك للعوائد مع حيث كانت تقبل رساله بلا واسعه غير انها بعد حرب القريم اغضت وقصرت من مساكنها الرضا للعنان مع من يريد زيادة النفوذ من الدول كي يعوضها عنه في الجهات التي لها فيها منافع مع وجود الاسمة ادا الرسمى للدولة العلية الذي كانت تحوم حوله فدة منذ ذلك عند الحاجة وأما دولة ايطاليا فانها كانت في المدة السابقة متفرقة ولما اتحدت وصار لها اعتبار التعديل في السنين الاخيرة فكانت موافقة لسياسة الدول رسميا وعاملا وفي السر ينزع بعض متوطنينها مساصرت تنزع اليه دولة فرنسا على غير الطريقة الرسمية وذلك لان باتحاد ايطاليا اصارت مشاركة للدول العظام في النفوذ في البحر الابيض وتطالب المنافع التي تناسبها في جوارها ثم ان وحدة ايطاليا جعل تحتها مدينة رومة احييت رسم خريطة الاستيلاء على قرطاجنة تذكرا للملك الرومانيين غير انهم لم تحم حول ذلك الحمى جهارا لما تنعدم من حق الدولة العلية ولان دولة فرنسا انما شرذلوا السطوة وسياستها لا توافق على ذلك فصارت ايطاليا محافظة على ابقاء ما كان على ما كان وأما دولة فرنسا فانها لم تخالف تلك السياسة ولم يكن يعنيه امر تونس وعلاقتها بالدولة العلية الى ان استولت على الجزائر للاسباب التي سترد في الباب الخامس عند الكلام على الجزائر فمن ذلك التاريخ صارت متعذرة من زيادة تدخل الدولة العلية في القطر التونسي لاسباب (منها) ان الجزائر اسلمها تابعة للدولة العلية ولم يكن استيلاؤها عليهم اجبر مع الدولة العلية وانما اضطر اليه الحال في الانتقام من والي الجزائر لاهانتها نائب فرانسا (ومنها) ان بنفس

الاستيلاء على الجزائر اغتاصم بعد سنين وحروب طويلة مع أهلها وما زال أهلها يدينون في عقيدتهم بالخلافة للأساطان العثماني (ومنها) ان مجاورة دولة قوية مثل الدولة العلية توجب مشاحنات يقتضيها الجوار ولا تدعن احدهما الاخرى بسهولة بخلاف ما اذا كان الجار ضعيفا فها هو الا أن يؤمر فيقتبـع وشاهد ان مجعرد ماتم اخذ الجزائر سنة ١٢٤٥ قدّمت فرقة من الاسطول الذي كان على شطوط الجزائر وطلب رئيسها من والي تونس زيادة في الشروط منها ان لا تختص الحكومة التونسية بمجبر بل ولا تقجر ومنها ابطال التلصص بالسفن على السفن التجارية وابطال ملك الاسرى وابطال ما لا يتبد من الهدايا وان يكون للفرانساويين التعامل في القطر مثلما يتعامل أهلهم فبعد الوالى معه ذلك على كره وسجل وأرسل الى دولة فرانساهم لما بان الشروط أخذت شبه غصب وكانت اذ ذلك دولة فرانسافى شغل من الثورة على ما كها فعدلت تلك الشروط بعض التعديلات فمثل تلك الاسباب لزم فرانساهم مراعات مصالحها ومداخلتها في حراسة سياسة تونس والذي استقر عليه القرار من الدولة الفرنسية من ذلك التاريخ الى الآن هو ما يشير اليه ماراً به بخط أمين أسرار الحكومة أبي العباس الوزير اجد بن أبي الضياف رنصه لما اجتمع أى اجد باشا عليك فرانساهو لو يرفل في خلوة قال له ان كنت تروم الاستقلال فلا سبيل اليه والذي تعتمد منه ان فرانساهمى بسياستها حالتك التي انت فيها الآن بحيث لا يتعدى عليك ائد من جهة البحر وأما البر فبدر امرك فيه من جهة طرابلس وأساس جايك هو الحب الى الرعية والرفق بهم سمعنا ذلك منه مشافهة رجه الله اه وهاته السياسة التي صرح بها ملك فرانساهم اذ ذلك هي السياسة المعول عليها عند عقلاء الفرنسيين قديما وحديثا حتى قال اجد بكار جنرال الفرانسييس وأحد حكام قطر الجزائر بقصد التبليغ الى حكومة تونس والحال انه عسكري والغالب على الحزب العسكري هو الميل الى الاستيلاء وذلك سنة ١٢٩٠ عند ختام مؤتمر برلين في شأن الحرب الاخيرة بين الدولة العلية والروسية وقد اشتهر اذ ذلك ان بعض فواب الدول في المؤتمر لما رأوا مشاحنة نائب فرانسافى تسليم قبرس الى الانكليز أو عزاليه على غير الطريقة الرسمية تسمولى فرانسافى تونس ارضاها ولم تعمل بذلك فرانسافى الجنرال المذكور ان يباغى لوزيركم ولاباى ها انتم ترون من هي الدولة التي تصدقكم من التي تكذبكم فانهم يقولون لكم اننا نريد الاستيلاء عليكم ليعبدوكم وينفروكم منا والآن قد اعطوكم لنا وأبيننا من الاستيلاء عليكم فلتعلموا ان هو الصادق ولتعلموا اننا لم نمتنع من

الاستيلاء عليهم لجزء رجب إلى ما لان مصالح الدول لا تتداخل فيها الشخصيات
وانما ممنوعة لعدم فائدتها لأن فائدتها في تونس ان كانت هي المال فهي فقيرة
وخالية وفراغها ليست بممتاجة وان كانت هي تكبير الارض ففي الجزائر اراضي
وسعة ولا زالت الى الآن خاوية محتاجة الى العمل وان فالاولى بنا تهيئ ارضنا قبل ان
نأخذ ارضا اخرى خالية فأى مصلحة لنا في ان نرسل عساكرنا لاطلاق الرصاص
عليهم في قابس والمالة ماذا نرغم غاية ما نطلبه منهم هو الهناء والراحة في داخليتكم حتى
نرتاح نحن براحة جوارنا وأما اذا احدثتم الاختلال في داخليتكم وأحوجونا الى
اطلاق الرصاص لاجلكم فالاولى ان نطلقوه اذا لاجل انفسنا لأن ما كنا نقادع عنه
توقعونا انتم فيه الخ في كلامه صريح في ان سياستهم هي ابقاء تونس على ما هي عليه
وكذلك سمعت من اعيانهم في السياسة انهم كلما يريدون هم الاستيلاء على تونس
لا يريدون غيرهم ان يتولاهم صرحين بحقيقة سياستهم التي وفيها كلام الجنرال
المدكور مع الانفة من منة الدول في المؤتمر باعطاءهم شيئا لفائدة فيه زيادة على ما هم
حاصلون عليه وهو غاية اربهم في تونس بان يكون لدولة فرانس المنزل الاولى فيها
وتتقدم على غيرها في النفوذ السياسي والمتجربى بحيث تكون كل مصلحة عامة لا يقتدر على
عملها الا هي الى أو الحكومة تسلم الى الفرنسيين ويرغبون في أن تكون الادارة في
الداخلية حسنة ثم كثرة العمران والثرة ايزداد بذلك متغيرهم وسرحتهم ونفوذهم لكن
على وجه في الادارة لا يمكن أن يتعطل به قصدهم ويرى بعضهم ان من أسباب التعطيل
ان تكون الحكومة قانونية شورية اذ عساروا ان ذلك يعارض مصالحهم في بعض
الاحيان باستفاد الحكومة في الامتناع من الاجابة الى بعض مقترحاتهم رأى الامسة التي
هي متقدمة وذلك عندهم مما لا يمكن ان يعارض لانه هو القاعدة الاساسية في مملكتهم
وما عدى ما تقدم فلا ارب لهم في الاستيلاء على الاحكام أو معارضة الوصاية مع الدولة
العلوية التي لا تنقض هاتيك الاساسات فهاته هي مقاصدهم فلو تجددت الادارة
في الحكومة قادرة على الانتفاع بها ودفع غاياتها ومنع اعدائها الاستواء في الحكم لكان مما
يرغبون على الراحة ورجال الدولة الفرنسيون قابلون لاصلاح الاحكام وانفرادها كما
سيأتى بيانه وثل ذلك تقييد الحكومة بالقانون الذي لا مندوحة عنه ويقعين رجال
الدولة الفرنسيون ان التقييد بالقانون لا يفوت مصالحهم المذكورة لان عقلا الامة
باجتماعهم تكون حالتهم ادعى الى ما يزيد في خير الوطن وما يدركه افراد المستبدين

في تونس بالنصرف من وجود مراعات الدولة القوية المجاورة يدر كبح مجموع العقلاء
 للامة على وجه اتم مما هو للافراد ويراعون مقتضى الاحوال نعم انهم يفرقون بين
 ما يعود لما ذكر وما يعود لافراد في خويصة ذاتهم مما لا يرصاه عموم الامة لولا انهم على
 تفصيله ولما ذلك الحث دولة فرانس على تونس في تأسيس التنظيمات سنة ١٢٧٤ كما
 سيتضح وعاصمتها دولة الانسكاب حتى ورد اسطول الدولة الاولى وكان في آثاره اسطول
 الدولة الثانية وأمع كل من قنسايم ما في اجراء الامر محتجب بالشريعة وعمل الدولة
 العثمانية والسياسة المحاضرة وعاصدهما رئيس الاسطول الفرنسي وتحت عنوان
 ذلك غيره معارض المصالح ولهم الخاصة وان استند بعض متوظفيهم في بعض الاحيان ميلا
 الى موافقة الولاة الملتزمين الى ان الحكومة الشورية يخشى منها تعطيل مقاصدهم
 وينهون الى دولتهم الاحوال على ما يوافق سلوكهم وربما أشاروا الى فوات مقصود
 دولتهم اذا خالفت رأيهم فمضطرب دولتهم الى السلوك على ما يشيرون اليه حيث ان الدول
 العظيمة تراعى الوصول الى مقاصدها في الخارج بأى طريق أمكن وتكسب تلك
 الوسائل بحال تحسنها ايدى السطوة والقوة ولا مقايضة بين سيرتهم في داخليةهم وسيرتهم
 في الخارج سيما في الجهات التي لهم فيها ما رب فرعبا ارتكبوا في ذلك ما لا يمكن تصور
 مثله في داخليةهم ووجه ذلك هو التوصل الى نفع دولتهم لان مثل تلك المنافع اذا ساغ
 ان تعدل لاجله الحروب التي تراق فيها الانفس وتضيع فيها الاموال من الطرفين فائمن
 يرصل اليها بوسائل أخرى أيا كانت فهو أخف وأولى ولهذا لا ترى أثرا لمثل تلك السيرة
 في الجهات التي لا مقاصدهم بها بل تراهم هناك يسبرون على نحو سيرتهم في داخليةهم
 وسيأتى لهذا مزيد بيان في الخاتمة ان شاء الله تعالى اذ القصد هنا خصوص ما يتعلق
 بالقطر التونسي من جهة سياسته الخارجية وحاصله من جهة فرانس البقاء تونس على حالتها
 وتمييزاتها والامتناع من زيادة الالتحام بالدولة العلية ولذلك لما قدم قبطان باشا الى
 طرابلس لافتكاكها من يد آل قراما في سنة (١٢٥١) أرسلت فرانس اسطول والى
 حاق الوادى حذرا من قدوم الاسطول العثمانى الى تونس فتخوف اذ ذاك والى تونس
 مصطفى باشا من أن يتهم بسعيه في ذلك وكاتب فذسل فرانس اعانته وبعد فان جناب
 الدولة الفرنسية وجهت اجفانها لمرسى عمالتنا على مقتضى الخبة والمودة وقابلناهم
 باكرام لان شقوفنا في مراسى الفرائسيس كأنها في مراسى عمالتنا فكذلك شقوف
 الفرائسيس عندنا وأما اقامة الاجفان في هذا الوقت بحق الوادى ودونامة مولانا

السلطان بقربنا وفيها السيد قبطان بإشارتها نفع لنا مضرة في الحال أرفى المستقبل من جهة الدولة العثمانية أدام الله لنا وجودها لأنها بما تظن في جنابنا ظنا يضربنا ومعلوم أننا تحت طاعة مولانا السلطان في أمره ونهيه وبإمرة نخطب في جوامعنا وعلى سكتنا فلا يخطر ببالنا أن نعصيه أو نخالف أمره أو نعارضه بشئ فالمراد أن تعرف الأمور بهذه المضرة التي نتوقعها والاعتماد على كمال عقلكم في حسن التماسع وشـقوف الفرنسيس مهاجريننا أوتأني لمسانا فرحنا بها ونقبلها بالأكرام على مقتضى قوانين الحجة ولا زائد إلا الخبير والعافية وكتب في (١١) جبادى الثانية سنة (١٢٥٢) وأجابته النفس بما نص تعريفه أنه باعنا ووصلنا المكتب الذى تشر فتابه من عند السيادة وأعلمنا به الأمور للندن وعلمنا جميع ما تضمنه وجوابنا عليه هو ما سنذكر وهو أن جنابكم العلى برئى وأجنبي وخارج من الاتفاق الذى اقتضاه نظار الدولة الفرنسية في إرسال هذا الأسطول لسواحل تونس وأنتم لا يمكن لكم أن تمنعوا دولة الفرنسيس من ذلك وهو إرسال شتوفها السواحل تونس ولاجل ذلك لا يوجد عليكم لوم ولا عتاب من جناب الدولة العثمانية لأنه لا وجه لذلك والدولة الفرنسية تعلم تحقيق حالتكم مع الدولة العثمانية وحاشا جناب دولتنا أن ترضى بما يوجب لكم غيارا مع دولتكم وأنما مراد الملك أن تبقى جناب دولتكم مع الدولة العثمانية على العهد القديم السابق من غير تبديل ولا تغيير ولكن الدولة العثمانية لا يمكن لها أن تخترع أمرا جديدا تضربه مصلحة الفرنسيس في الناحية التى تحت يده في أفريقيا ولاجل أن يمنع ما عسى أن يقع من المضرة أرسل الملك أسطوله لتونس ليجتمع به قدوم قبطان باشا لاجل التصرف بما هو مأمور به والأمرال لما بلغه أن قبطان باشا أتى لطرابلس وأعلم أن مراده الايمان لتونس في ذلك الحين أرسل الأمرال جنبا من الاجفان التى تحت حكمه هنالما يعلم قبطان باشا أن حبيب السلطان الصافى وهو لك الفرنسيس لا يمكن له أن يفعل هذا التعدى بوجه من الوجوه فى المملكة التى تحت يده فى أفريقيا لأن قدوم دولنا مع المسلمين الى تونس يتقوى بها قلب باى قسطنطينة الذى عندنا معه فى التاريخ مكالمة مما كان بيننا وبينه حرب فلاجل ذلك نعلم قبطان باشا أن لا يقدم ويرجع للمحل الذى جاء منه فان صمم وعزم على القدوم فان الأمرال واجب عليه أن يصدده ويمنعه بالدافعة القهرية بالقوة اه فانت ترى كيف صرح بالحالة المطلوبة مع قصر بصره بان الدولة العلية هى دولة تونس لـكنها بما تميزها كما هو صريح عبارته لمن تدبرها فهذه هى السياسة

الخارجية لهذا القطر واسفرت عاينها الى سنة ١٢٨٠ التي حصلت فيها الثورة العامة
 الا في بيانها نادى الاهالى بالتشكيك للدولة العلية وقدمت شكايات شفاهية وكثابة
 لرسولها حينئذ قدمى عنده قدمه بالاسطول العثماني مع اساطيل الدول وطلبوا
 بواسطته تدخل الدولة العلية في تحسين ادارة القطر بل ان بعض البهادر طلبوا
 الانضمام الحسى للدولة ورفعوا العلم العثماني وتدخل في هاته الثورة نواب الدول
 كل على حسب ما تقتضيه سياسته فاثرت الحسالة في الوالى ووزيره مع ما هو معلوم من الحالة
 السياسية السابقة وانتهج الرأى أن يرسل بالشكر للدولة العلية عما فعلته ويطلب منها
 تحرير الارباط والامتيازات كتابية بما يبق معه مقال لقايل فساو بذلك الوزير خير
 الدين مع التفويض التام وقص على الصدر الاعظم وهو اذ ذاك فؤاد باشا مطالبة
 وحصانت مذكرات مع رجال الدولة عديدة انتجت الاتفاق على اصول الروابط المعنية
 على العوائد المعروفة الا في بيانها في نص فرمان الاتي وتلقى الوزير خير الدين مع
 مزيد الترحاب به من الدولة ما يغنيه للوالى شفاها من مزج لاوله التمساعليه بمرارة
 الاعتراض على تصرفاته التي هوت بالقطر الى الخراب وتلقى ذلك حتى من فهم السلطان
 عبد العزيز نفسه ثم رجع بمكتبه من الصدر فؤاد باشا محتوي على الاصول
 التي وعد بانها سيصدر بها فرمان الذي صدر الاذن السلطاني به ولم يسعف الوقت
 للجنة له بصددوره ثم كتب الوالى يشكر ذلك واستقنض صدر دور فرمان مرارا فيرد
 الجواب بالوعد وكان جميع ذلك غير مهان به الى سنة (١٢٨٨) وكانت فرانسوا
 اذ ذاك في شغلها الشاغل من حرب المسانية لها فاطمأنت ايطاليا من جهتها وظننت
 تهيأ لتابعه من الدولة العلية وسنحت لها فرصة وهي ان وزير الحكومة التونسية
 مصطفى خونه دارا كثرى ارضا وسيمية تسمى بالبحر ديدة الى اللجنة ايطالية وأرسل
 الوزير احمدا عوانه الى تلك الارض راغما التسبب لتسريح الكراه مع ما في نفس ايطاليا
 من جهة تونس فادعت اللجنة خساثر حصوات لها من تعدى تابع الوزير لوبسطت من
 الذهب على سطح تلك الارض اسوسيتها وامتنع الوزير من تحمل ذلك فأعلن نفسه
 ايطاليا بقطع الحلاطة وتهدد الوالى وجهزت ايطاليا اسطوطها للاستيلاء لولا تعرض
 الدولة العلية الذي حجزها من ذلك وانفصلت المنازلة بالشروط التي ارادتها دولة
 ايطاليا في الخسائر التي ادعت بها اللجنة ولم تختص بالواقعة فقط بل هي عمومية فتبين
 الوالى ان لانتصاة الاحكام الوصلة مع الدولة العلية بأمره اني تحصل منه الراحة

فكتب الوالى يستحث اصـدار الفرمان وكتب الوزير خير الدين للبواب العالى مكتوباً
 فى بيان الاخطار المحيطة بالايالة اذ لم تتدارك الدولة العلية بحفظها فورد الجواب
 من الصـدارة بأن نازلة الفرمان مهمما تقتضى ارسال من يعهد من الوالى لتفاهـم فى
 النازلة مع التلميح او تصریح باستقبـاح السيرة التى عليها الوالى والصدر اذ ذاك على باشا
 ففهم رجال الحكومة ان الدولة غير راضية بأن يبنى الفرمان على ما فى مكتوب الصـدر
 السابق فوجه الوالى الوزير خير الدين بالتفويض الذى (نصه) من عبد الله سبحانه
 الموكـل عليه المتقوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باى سـدد الله تعالى
 أعماله وبلغه آماله الى الهمام المشـغوم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشـر ادام
 الله حفظه واجزل من السعادة حظـه (أما بعد) فاننا بقتضى ما تقتضيه من صـدق
 وأمانتك وكفايتك وجهناك للابواب العلية الساطانية العثمانية أعز الله نصرها
 وأدام الله نصرها للكلام فيما يؤكـد أصول عاداتنا المألوفة المعروفة الآن وما
 تنفصل به مع الدولة العلية فى ذلك بالكتابة فهو ما مضى فى حقنا فوضنا لك فى ذلك
 التفويض التام بحيث لم تستثن عليك فى ذلك فصلان من فصول التفويض ولا معنى من
 معانيه وأقنالك فيما ذكر متبـاه أنفسنا تفويضاً تاماً عرفنا قد دره والتمنا به والله
 أسـئلكم التوفيق والامداد وبلوغ الامال والاسـعاد ومع التفويض المنقـدم
 ومعرفة العادات المألوفة فان الوزير المذكور لم يتم شيئاً مع الدولة الا بعد ان عرض
 على الوالى الشروط التى اسـتقر عليها الرأى للفرمان وقبول الوالى لها مع الاستعـسان
 فقم الفرمان مع الصـدر اذ ذاك محمود نديم باشا وقاسى الوزير خير الدين متابعان
 مناضلة رجال الدولة العلية فى زيادة شروط الامتياز وناضل الوزير خير الدين عن
 حقوق البيت الحسينى بما يشهد له بصدق الوفاء والبراءة فى السياسة ولم يزد فى الفرمان
 على ما تضمنه مكتوب الصـدارة الا قليلاً ورجع الوزير خير الدين بالفرمان علنا مع اعلام
 رتبة نيشانه واتيانه بالنيدان الجيدى المـرصع للوالى ولعـدة من كبار رجال الحكومة
 بنياشين ولسا وصل الى مالطة لزمته اقامة مدة الاحتمـال بها حيث كان فى الاستانة
 مرض الكوليرا ومن اسـتشار الوالى به وشـكره على عمله أرسل له امير لواء العسـة
 مصطفى بن اسماعيل وهو اذ ذاك أعز المقربين اليه فواجهه من خارج محل الاحتمـال
 وأبـاح اليه التشـيكر وبات ليلة ورجع فى البانـرة الخاصة التى قدم فيها ولما قدم الوزير
 المذكور بالفرمان المشار اليه عقـد له موكب كاعلى ما يمكن من الموكب والباس

الوالي النيشان ثم تشرف بالفرمان وعظمه ثم قرأه علنا (وهذا نص) تعريه بتعريب الباب العالي الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مدير أمور الجمهورية بال فكر الثاقب مقيم مهمات الانام بالرأى الصائب مهيئ بنان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاجلال المحفوف بصرف عواطف الملك الاعلى الوالى بتونس الاسن الحائز الحامل للنيشان الجيدى الشريف من رتبة الاولى مع النيشان المهابى العثمانى المرصع وزيرى محمد الصادق باشا ادام الله تعالى اجاله آمين ليكن معلوما عن دما يصاكم توقيعى الرفيع المهابى انه منذ وجهت وأودعت من جانب سلطنة تونس السنية ادارة الايالة التونسية التى هى من ممالك دولتنا العلية المحروسة المتوارثة التى عهدت ذات الياقة والاهلية كما وجهت سابقا الى عهدة أسلافك لم تزل تظهر حسن السيرة والمخدمة وتنهى الى طرفنا الملوكة الاشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار ذلك قرينة العلم المصني بالعالم فأمولنا الساطنى على مقتضى الشيم المرضيه التى جعلت عليها هو الدوام فى ذلك المسلك المرضي والجد والاجتهاد فى كل ما ينمى عمران ممالكنا الشاهانية وسعادة أهاليها تابعة دولتنا العلية ورفاهيتهم وراحتهم حتى تسديم بذلك استحقاق عنايتى الشاهانية واعتمادى الساطنى المبدولين فى حقك وان فتنا ونعرف قدر تلك العناية والاعتماد ونشكرهما ولما كان المقصود الاصلى والمراد القطعى لسلطنة تونس السنية هو ارتقاء طمأنينة الايالة المهمة الراجعة لدولتنا العلية وغوايم عرايتها وتأسيس أبنية الامن والراحة اسكانها يوما فيوما وكان من البدعيات أن السلطنة العزيزة لا يعزها ولا يوردها صرف المهمة والعناية العائدة الى حقوقها الاصلية لتتمام استحصال هاته المطالب وورد الطاب المذموج بكتابك المخصوص الموجه من طرفك أخيرا الى جانب الخلافة العلية قررت وأبقيت اىالة تونس المحدودة بمحدودها القديمة المعلومة بعهدتال بضم امتياز الوراثة وبالشروط الاتية وحيث ان مرغوبنا الساطنى على ما تقدم به انه انما هو تزايد عمران تلك المملكة الشاهانية وثروة أهاليها وهى الاسن فى حالة مضايقة وتأخر فى الواردات لىكل من الحكومة والاهالى قد سمحت السلطنة السنية بعدم ارسال ما كان يرسل باسمه من الخوم من الايالة لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة المشروعة درجة لاهالى تلك الايالة (ولما) كانت الايالة المشار اليها من الاجزاء المتممة لممالكنا الملوكية صددت ارادتنا السنية بان يكون الوالى بتونس مرخصا له فى تولية المناصب الشرعية والعسكرية والمالكية والمالية وهما السياسة ان يكون من أهلها

وفي العزل عنها يقتضى قوانين العدل وفي اجراء المعاملات المعلومه مع الدول الاجنبية كما كانت سابقا فيما عدا المواد المملوكة العائدة الى حقوقنا المقدسة المملوكة ونعني بها ما كان كعقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون اجراؤه راجعا الى حقوق سلطنةنا السنية وعند حلول القدر المحتوم في الولاية وتقدّم المعروض بطاب الفerman الشريف من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنةنا السنية يرسل له الفerman الشريف مع منشور الوزارة المشيرة اليهما يوفى كما اسهر المهمل بذلك الى الاكس بشرط أن تستمر الخطبة باسمنا السلطاني وتزين به السكة التي تضرب هناك علامة عائنة للارتباط القديم الشرعى لايالة تونس بمقام الخلافة الجليل وأن يبقى السجق على لونه وشكله ومهما وقع حرب لسلطنةنا السنية مع اجنبي يرسل العسكر من تلك الايالة الشاهانية بقدر الاستطاعة طبق ما جرت به العادة القديمة في الجميع ومع تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوارثة مخصوصا بعائلتك على أن تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقا وان تجري الادارة الداخلية لتلك الايالة مطابقة لشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التي يقتضيها الوقت والحال السكافلة بتأمين السكان في النفس والعرض والمال فاعلانا ما ذكر صدر هذا الفerman الشريف الجليل القدر من ديواننا الهمايوني وأرسل موثقاعلا بخطنا الهمايوني السلطاني خلاصة نيابتنا الشاهانية انما هي اصلاح حال تلك الايالة المهمة وما لآل بيتكم وتقوية ذلك حالوا ولا واسن كمال أسباب السعادة والرفاهية والامنية لصنوف تبعتنا المستظلين بظل عدلنا السلطاني ومأمولنا القطعي الموكى ان يبدل من جهتنا الجهد في حصول ما ذكرتم حيث كان تمام المحافظة على حقوق سلطنةنا السنية المحققة بتونس من قديم الزمان وعلى أمانة الاهالى القاطنين بتلك الايالة المودعة بعهدنا صدقتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائط امتياز الوارثة الاساسية المقررة فيقتضى ان تتأكد محافظتهم عن طرق الخلل دائما سمردا ومباعداعن وقوع المحال والحركة على خلافها اذا عرفت ذلك فلا بد ان تعرف أنت ومن يقوم مقامك في أمر الولاية بالتوارث من اعضاء عائلتك قدراته النعمة العلية الشاهانية وتشكرها فعلى ذلك تسعي لتحصيل رضاى السلطاني بالغبيرة ومزيد الاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة حررى اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة ثمانية وثمانين ومائتين وألف ونشر الفerman في صحف الاخبار وحصل اذذاك من عموم

الاهالى أفرأح خارقة للعادة فى ذات الحاضرة وفى سائر بلدان القطر وفى سائر قبائل
العربان كل بما يناسب عوائده ودامت الزينات أزيد من ثلاثة أشهر متوالية والسبب
فى ذلك أمانا مائة عاق بالوالى فلاستقرار أمره على أساس متين له ولعائلته طامسعى فيه
من كان قبله ولم يحصل لعلبه كاتفهم مع الارتياح من مقاصد الجانب المتنوعة وأما
الاهالى فالحصول مرغوبهم من تمام الاتصال بالدولة الإسلامية مع شروط الأمن لهم
وحسن الإدارة فيهم من ولاتهم المتحمين بهم والمحبو بين عفة دهم وان لم يجبر المطلوب
فيهم على وجهه مما أبقي الباب مفتوحا في حقهم ولم يحصل من الدول الأجنبية أدنى
إنكار ولا معارضة لما تضمنته فرمان المذكور الادولة فرنسا فلم توافق على الاعتراف
به وبقي الأمر على ذلك رسميا الى الآن لكن المقاصد والسيرة الصادرة من الوزير الحالى
مصطفى بن اسماعيل وما نشأ عنها من الارتباك يتجهل ما هو نتائجها فله فيهم علم غيب
هم صائرون اليه فهذه خلاصة السياسة الخارجية لهذا القطر الى هذا العهد وهو
جى ادى الثانية سنة ١٢٩٧

تنبه قد حدثت حوادث مهمة مما أشرنا اليه بعد الفراغ من هذا الجزء نفرد بها بذييل
وحددها ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرنسا الخارجية

﴿ قد تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى ﴾
أوله مطالب فى السياسة الداخلية
من العائلة الحسينية

جدول الاحصاءات

(٣)

الدول	التخوت	السكان عدد النفوس مليون	العساكر وقت الحور	السفن حره	الدخل فرنك
العثمانيه	القسطنطينيه	٢٢٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٧٨	٢٦٨٠٠٠٠٠
صربيا لها	مصر	١٦٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	١٣	٢١٦٠٠٠٠٠
تونس مقلها	تونس	١٥٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢	١٤٠٠٠٠٠٠
العرب	فاس	٧٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الفرس	طهران	٥٠٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	لا	٦٢٠٠٠٠٠٠
افغانستان	كابل	٦٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	م
بلوستان	كيلات	٢٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
مقلا	براك	٧٥٠٠٠٠٠٠	م	م	م
هرات	هرات	٢٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
خوقند	خوقند	٢٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
التركان	مرو	٢٥٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
مسقط	مسقط	٢٠٠٠٠٠٠٠	م	م	م
رياض وغيرها	رياض	٢٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عرب الجزيرة		٢٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
كشمير	كشمير	١٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	م
اتشين	احسين	٣٠٠٠٠٠٠٠	م	م	م
الزنجبار	زنجبار	٢٠٠٠٠٠٠٠	م	٥	١٧٥٠٠٠٠٠
برنو	كوكوا	٨٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	لا	م
واداي وتوابعا	وره	٤٥٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
فلانا	ساكاتو	٦٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
نميكنو وتوابعا	سان سان	٤٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عادل وحوارها	هرر	٨٠٠٠٠٠٠٠	م	م	م
العصراء الغربية	كنبرا وغيرها	٢٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م

(٤)

٢	لا	لا	٢	اسلام
٢	لا	لا	٢	اسلام
٢	لا	لا	٢	نصرانيه
٢	لا	لا	٢	مشرکون
٢	لا	لا	٢	مشرکون
٢	لا	لا	٢	مشرکون
٢	لا	لا	٢	مشرکون
١٨٠٠٠٠٠٠	لا	٢	٢	مشرکون
٢٩ ٠٠ ٠٠	٧٠٠٠٠٠٠	٢	٢	مشرکون
٢	لا	لا	٢	مشرکون
٢	لا	لا	٢	مشرکون
٢٠٠٠٠٠	لا	لا	٢	نصرانيه
٢٦٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠	٠٠١٢	١٦٥٦٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٢٨٤٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠	٩٠٠	٢٨٢٥٠٠٠٠٠	نصرانيه
٦٢٤٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠٠٠	٥٠٠	٢	نصرانيه
١٢٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠	٠٨٠٠	٢	نصرانيه
٢٦٦٧٠٠٠٠٠	٢٤٢٩٢٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٨٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
٢٧٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	٢	نصرانيه
٢٠٠٠٠٠٠٠	١٠٦٠٠٠٠٠٠	٢٤٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٥٩٠٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٤٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠٠	لا	٨٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	٢٦٢٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٨٠٠٠٠٠٠٠	١٩٤٨٠٠٠٠٠٠٠	٢٧٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٢٠٠٠٠٠٠٠	٢٨٠٠٠٠٠٠٠٠	١١٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	مخاطبه
تابع	تابع		تابع	مخاطبه
٢٢٠٠٠٠٠٠٠	٢١٥٠٠٠٠٠٠٠	١ ٨	٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه

(٥)

النورث	ادلى وعده ١٥	٤٠٠٠٠٠	٢	لا	٢
مهره تيبوس		١٠٠٠٠٠	٢	لا	٢
الحبشه	ادواح	٥٠٠٠٠٠	٢	٢	٢
بوربا	ممدلاى	٢٥٠٠٠٠	٢	لا	٢
سيم	بان جوى	٦٥٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٢	٢
كوشى الصين	نوشواشنى	٩٠٠٠٠٠	٢	٢	٢
كمبوديا	بنوم بنه	١٠٠٠٠٠٠	٢	٢	٢
الصين	باكين	٥٢٧٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠	٢٧	١٨ ٠٠٠٠٠٠
الجاپون	جندو	٢٣٠٠٠٠٠٠	٥٠٢٣٠	١٢	٢٩ ٠٠٠٠٠٠
نيپول		٢٥٠٠٠٠٠	٢	لا	٢
بوتان		١٠٠٠٠٠٠	٢	لا	٢
الجبلى الاسود	حينين	٣٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠	٢	١٥٠٠٠٠
ليونان	اقنه	٢٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٣٠	٣٦ ٠٠٠٠٠٠
ابطالبا	روميه	٢٧٠٠٠٠٠٠	٨٢٩٨٢٧	٨٧	٢٩ ٠٠٠٠٠٠
اسمانيا وملحقاتها	مدريد	٢٦٠٠٠٠٠٠	٢١٦٠٠٠	١٨٢	٥٨٨ ٠٠٠٠٠٠
البرقة لوملقةتها	لزون	٨٠٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٥٠	١٣ ٠٠٠٠٠٠
فرازاوملقةتها	باريس	٤١٠٠٠٠٠٠	٢٤٢٢١٦٤	١٥٤	٢٦٦٧ ٠٠٠٠٠٠
سفديسه	بارل	٢٥٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	لا	٣٧ ٠٠٠٠٠٠
بلعيك	بروكسل	٥٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	٢	٣٠ ٠٠٠٠٠٠٠
النمسا وتابعها	فيديقا	٣٨٥٠٠٠٠٠٠	١٠٩٤٠٠٠	٧٠	١٠٨٧٥ ٠٠٠٠٠٠
الصرى	بالفراد	٢٠٠٠٠٠٠٠	٢٢٥٠٠٠٠	لا	١٤ ٠٠٠٠٠٠٠
الرومانيه	بخارست	٥٠٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	٢	١٠ ٠٠٠٠٠٠٠
انكلا تيره	لوندريه	٣٠٠٠٠٠٠٠	٥٤١٢٣٥	٢٨٢	١٨ ٠٠٠٠٠٠٠
المند التابع لها	كايكويه	١٧٥٠٠٠٠٠٠	٤١١٠٠٠٠	لا	١٣ ٠٠٠٠٠٠٠
بقية مستعمراتها		١٥٠٠٠٠٠٠		لا	تابع
هلالنده وتوابعها	هالك	٢٣٨٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	١١٨	٢٢ ٠٠٠٠٠٠٠

(٦)

۱۲۰۰۰۰۰۰	۲۵۰۰۰۰۰۰	۲۵۰۰۰	۲۰۰۰۰۰۰۰	نصرانیه
۱۲۲۰۰۰۰۰	۲۱۲۰۰۰۰۰	۱۷۷۰	۱۱۰۰۰۰۰۰	نصرانیه
۶۲۰۰۰۰۰۰	۲۰۰۰۰۰۰۰	۵۴۰	۲۰۰۰۰۰۰۰	نصرانیه
۲۰۰۰۰۰۰۰۰	۹۵۰۰۰۰۰۰	۹۰۰۰	۳۰۰۰۰۰۰۰	نصرانیه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	نصرانیه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۲	لا	لا	۲	مخاطبه
۱۷۵۰۰۰۰۰	۱۰۰۰۰۰۰۰	۷۴۰۰۰	۶۰۰۰۰۰۰۰	نصرانیه
۱۲۵۰۰۰۰۰۰	۱۰۰۰۰۰۰۰	۵۷۰	۲	نصرانیه
۸۰۰۰۰۰۰۰	۲	لا	۳۸۷۷۵۰۰۰	نصرانیه
۲	۲	لا	۲	نصرانیه
۳۰۰۰۰۰۰۰	۱۱۰۰۰۰۰۰	۲۷۰۰	۴۰۰۰۰۰۰۰	نصرانیه
۲۸۱۰۰۰۰۰	۱۸۰۰۰۰۰۰	۱۲۰۰	۱۰۰۰۰۰۰۰	نصرانیه
۲	۲	۲	۲	نصرانیه
۸۵۰۰۰۰۰۰	۳۰۰۰۰۰۰۰	۱۴۰۰	۲	نصرانیه
۲	۲	۲	۲	نصرانیه
۲	۲	۲	۲۰۰۰۰۰۰۰	نصرانیه
۱۱۶۰۰۰۰۰	۴۰۰۰۰۰۰۰	۲۰۰۰	۵۲۵۰۰۰۰۰	نصرانیه

(٧)

المانيا	برلين	٤١٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٧٢	١٢٢١٠٠٠٠٠
السويد والنرويج	استكهولم	٥٥٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	١٢٨	١٢٦٠٠٠٠٠
الدانيمرك	كوبنهاغن	١٨٠٠٠٠٠	٤١٠٠٠٠	٣٧	٧٠٠٠٠٠٠
الروسيا	سان بطرسبورغ	٨٢٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٢٢٥	٢٠٠٠٠٠٠٠
بالس وماجاورها	اسمار	م	م	لا	م
تيماني	كوران كوكا	م	م	لا	م
كرومان		م	م	لا	م
ليبيريا	برنوفيا	٥٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
فانكي ومامبيها		م	م	لا	م
داهوميه	أومينج	٨٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	لا	م
كباس ومامبيها		م	م	لا	م
أورنج وماجاورها		م	م	لا	م
بادحوان	كرومان	م	م	لا	م
المجهول من افريقيا		١٠٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
ماد عسكار	تدانا يهو	٥٠٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
امريكا المتحدة	واشنطن	٤٢٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠٠	١٧٨	٢٠٠٠٠٠٠٠٠
الاندلس	الاسباجو	٩١٣٤٠٠٠٠٠	٢٢٤٠٠٠٠٠	٩	١٢٥٠٠٠٠٠٠٠
امريكا لوسا	الكونغولا	٢٥٨٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	٨٠٠٠٠٠٠٠٠
كلمبيا	سانتي ديوكونا	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	م	م	م
بربر	ايما	١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٥	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
برازيل	ريو دوجيرو	٦٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٦١١٢٤١	٨٧	٢٨١٠٠٠٠٠٠٠٠
بوليفيا	شوكيزك	٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الشيلي	سانتيا كير	٢٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	م	م	٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
اروكواي	المنسبون	٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	م	م	م
تاكونيا	سنتيبيتيو	٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	م	م	م
ارجانتينا	وينوير	١٨٧٧٤٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠	م	م	١١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

(٨)

ملاحظات

كل ما هنا اعتبارا لساو واقع في سنة ١٢٩٧

عدد نفوس المسلمين المستقلين باحكامهم	١١٦٢٥٠٠٠٠
يضم عليهم عدد نفوس المسلمين لداخاين تحت احكام غيرهم	
في الصين ٦٠٠٠٠٠٠	
في الهند ٤٠٠٠٠٠٠	
في روسيا ٨٠٠٠٠٠٠	
في فرانس ٣٠٠٠٠٠٠	
في بقية الممالك ١٠٠٠٠٠٠	
١٣١٠٠٠٠٠٠	
	١٣١٠٠٠٠٠٠
	٢٢٧٢٥٠٠٠٠
عدد نفوس النصارى	٣٩٧٧٤١٤٩٠
عدد نفوس الباقي من المشركين وغيرهم	٧٨٩٣٠٠٠٠٠
	١٤٢٤٢٩١٤٩٠

﴿ الجزء الثاني ﴾

من كتاب

صفوة الاعتبار بتودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدون قدوة العلماء وصفوة الاذكياء

وعبد عصره وفريد دهره

الشيخ محمد بيرم الخامس

التوفى نفعنا الله

به وبعلومه

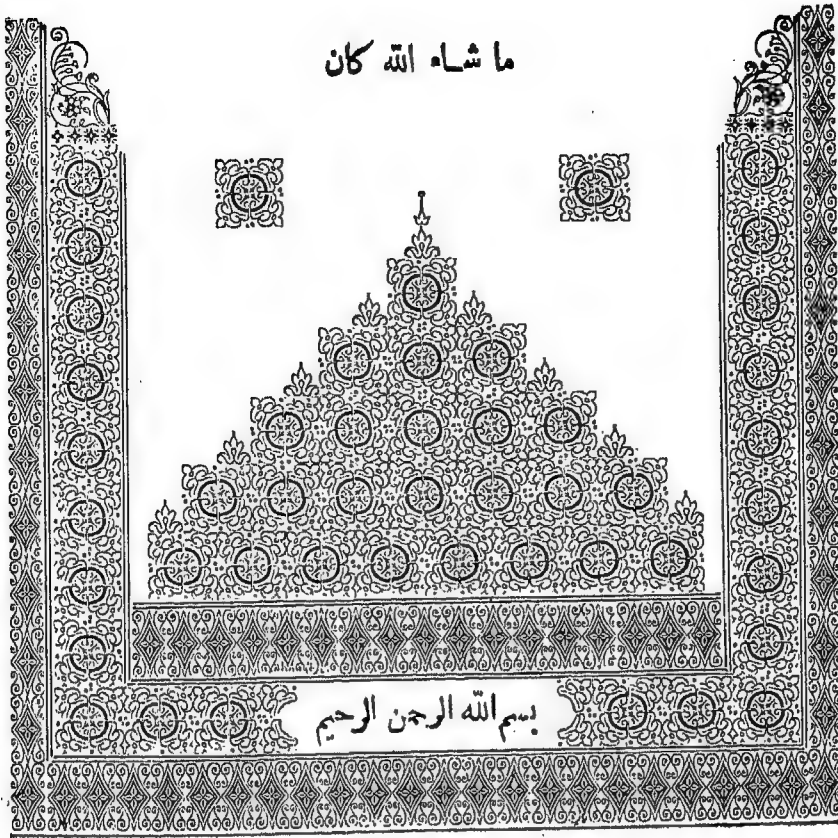
آمين

﴿ لا يجوز طبع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن ﴾

﴿ تجرى على ذلك يحاكم حسب القوانين ﴾

﴿ طبعة أولى ﴾

﴿ بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية ﴾



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(المطلب الرابع) في السياسة الداخلية من العائلة الحسينية اعلم انه منذ ولدت العائلة
 الحسينية هذا القطر التونسي كان مدار امرهم الرفق بالاهالي والنجول والتمتع بصدق
 سمات الملك والرفاهة وغاية الالتفات التي تحلى بها اتباعهم وأعاونهم هي (ما يأتى)
 فأولها صاحب الطابع يعنى حافظ ختم الوالى ومأمور بته ختم المسك كتيب ومباشرة
 المتوظفين فيما لم يباشره الوالى ويكون هو الواسطة بينهما وثانها باش كاتب وله رئاسة
 الكتابة ومحاسبة العمال والرأى فى كل الأحوال وثالثها خزنة دار وهو حافظ مال
 الحكومة فى قصر الوالى ورابعها باش أغه وله رئاسة أغوات أو جاق الخيل وخامسها
 كاهية وله نيابة الوالى فى الأحكام وسادسها أمين الترسخانة ولنظرة ما يرجع الى
 البحرية وسابعها باش حانبه وهو الواسطة بين الوالى والمشتكين اليه مع رئاسة الخوانب
 وهم الأعيان الخيالة للحكومة وهاته الوظيفة منقسمة الى شخصين أحدهما باش
 حانبه ترك والآخر باش حانبه عرب وهذا له نفوذ على الأسر وثامنها باش مملوك وله
 رئاسة

رئاسة إدارة النصارى الأميرى وتاسعها الداي وله الحكم فى الجنائيات مطلقا الا القتل فهو
 خاص بالوالي وله حفظ الراحة فى خصوص الحاضرة وعاشرها شيخ المدينة وله الحكم
 فى الليل وحفظ المدينة ليلا من السراق وترجع اليه سائر المعاملات العرفية وخصوصا
 الاجانب فى الديون كما ان فى كل ريف شيخا لخصوص حفظه ليلا وحادى عشرها آفة
 القصبه وله التحكم فى العسكر اليه كشارى والجنائيات الخفيفة ومثله آفة الكرى
 بانحطاط درجته عن السابق وثانى عشرها رئيس مجاس التجارة ومعه عشرة أعضاء
 يسمون العشرة الكبار ولا يجتمعون الا فى مهم كان لكل صناعة أمين يفصل الخصوصيات
 المتعلقة بالصناعة وثالث عشرها كاهية دارالاشا وله فصل الجنائيات الخفيفة حول
 الحاضرة فهاتذه هى أهم الرتب السياسية والعسكرية وأما العملية فأولها الباش مفتى
 الخنفى أى رئيس المفتين ثم المسالكى ثم المفتى الخنفى ثم المسالكى وقد يزداد على واحد
 فى كل من المذهبين ثم قاضيان لكل مذهب قاض ثم قاضى بارود ثم قاضى المحلة أى
 العسكرية المسافر مع وارت الولاية ثم قضاة المدن الكبيرة ومقاتلها ثم قضاة المدن الأخرى
 والجميع مالكية الا ما يحسدت أحيانا من ولاية مفتى خنفى فى الهندية والمستير فهو لاهوت
 أصحاب الاحكام وهنالك وظائف دينية كالمدرس والامام والخطيب وصاحب الولاية
 أى الأمير يجاس يوميا بعمل يسمى المحكمة صبا حاله فى المشتكين من العمال والمتوظفين
 ومن الحاربة وقطع الطريق وامثال ذلك اما نوازل المعاملة بين الناس فهى للحكام
 الشرعيين ونوازل التجارة لمجاسها والجنائيات الخفيفة يباشرها الداي وله المجس مع
 الاعمال الشافة المسمى بالكر اكة وله الضرب ثلاثمائة سوط فقط واعظم به من مبالغ
 حرمه الشرع وهكذا كل نازلة فانها ترجع الى حكامها من مريانهم مع التوقيع التام
 للحكام أهل الشرع ونفذ احكامهم ولو على ذوى المناصب العالية ويجتمع رؤساء
 المفتين والمفتيون والقاضيان وقاضى بارود يوم الاحد بمحضر الوالى وتورد عليهم سائر
 النوازل المهمة فى الحقوق الشخصية وليس للوالى الا التفتيش ما يحكون به مع غاية
 التعظيم والتوقير ولا زال طرف من هذا العمل الى الآن بحيث ان هبة العلماء وتوقير
 الشريعة لازالت فى القطر التونسي على بعض ما يجب له من الاجراء وكذلك سائر
 الشعائر الدينية ولقد ادركت ان سب الدين لا يمكن ان يكونى عنه بهاته العبارة تعظيما
 وتوقيرا بل يكونى عنه بسب المنكر وترى الكبير والصغير يقول من سب المنكر اذيب
 الرصاص فى حلقه كانه هو حكمة المعروف وكذلك سائر العبارات الفاحشة مما يكونى به

عن العورات لاتذكر أبدا ومن يذكرها في خلواته يعد من السفهاء ولقد تغيرت في هذا
 المعنى الحال ولله الامر (وأما) ما يتعاقب بالجباية وصرفها فقد كان لا يؤخذ من الاهالى
 الا اعشار الخبوب من القمح والشعير ثم عشر الزيت واداء مالى حسب مقدار مرتب
 العساكر اليه كشارة مقيم على بلدان القطر يؤدى على ستة أقساط في السنة وهو نزر
 يسير ثم العاشر وهو المسمى في العرف بالقرق ثم مداخيل الاراضى والاملاك الراجعة
 لبليت المال مع ضرائب ضعيفة على القبائل مثل البلدان المار ذكرها عوضا عن زكاة
 المكاسب يوزعها على أفرادهم مشايخهم وعرفاءهم كل قبيلة بحسب حالها ولما
 اعتدت ايدى العمال بما يسمونه الهواء وهو أخذ ما يقدمه أهل العمل للعامل برسم
 الضيافة ثم ما ياتقطه منهم باسم هبة أى هبة ثم العقاب على الجناية بالمال جعل لذلك
 جوده باشا على العمال أنفسهم اداء يسمى بالاتفاق هو في الواقع قسط مما ينهبونه من
 الاهالى ثم زيد على ذلك ما يسمى بالغضية وهو ما يجعل رشوة لواسطة بين الوالى والعامل
 وأخذها ما أن يعطى منها قسطا للحكومة أو يأخذ السكل على حسب قربيه من الوالى ثم
 ان جميع ذلك مشروط فيه أن لا تتشكى منه الاهالى فاذا خفت قبيلة واشتكت للوالى
 من عاملها عزله حالا ويقال له لم يؤخذ منك بقدر يحجب بالاهالى فأنت تجاوزت الحد
 ثم يصرف جميع ما تقدم في مصالح الحكومة والقطر من مرتبات العساكر وأقواتهم
 وجرايات الموظفين بغاية الاقتصاد وهى جرايات ضعيفة والناس اذ ذلقت مقتنعون
 بعيدون عن الترفى يكتفون بصنوعات القطر في اللبس والمسكن والمركب يكفهم القليل
 لاسيما العلماء فقد رأيت بخط بيرم الثاني نعم الله في حساب خاص بشؤنه بيان مرتباته
 وجراياته من الاوقاف والمحكومة باغ مجموعها شهر يالى ثلاثين ريا لاوسبعة أرباع
 الريال التونسي وثمنه مع ما هو عليه من جميع وظائفه العلمية وهى رئاسة القموى ونقابة
 الاشراف ومشيخة المدرسة الباشية ودرس وذلك في أوائل هذا القرن نعم كان له كما
 لبقية المجالس الشرعية جارية من الطعام وهى اثنا عشر قفزا قمحا ومماهاش عير او اثنا
 عشر مطرا زيتا وكان ذلك كافياله ولعائلته وأبنائه وكانت ولاية القطر من بنى حسين بن
 على يعتنون بالاقتصاد وحل الاهالى عليه بأوجه سياسية لطيفة منها ان جوده باشا رأى
 كثرة لبس الشال السكتى ميرأى الطبيب اسان فى الاهالى فحضر من الشال المصنوع فى جربة
 عددا ولبس هو منه وألبس رئيس الكتبة أيضا ونرجا بذلك اللبس يوم العيد لما فى
 وفود المناسا وللصلاة وكان فى اثناء اقبال الاعيان على هوائيه يانفت الى رئيس الكتبة

ويقول

ويقول جهره نعم الشال هذا صنع بلادنا فالنا ولا ضاعة أموالنا خارجها والاميان
يسمعون وهم لا يسمون للشال الكشميري فودوا ان لم يكونوا البسوه من المنجل حتى ان
من سمع منهم قبل الدخول عليه ازاله واستعار من غيره الشال الجربي وانكفوا من ذلك
التاريخ عن الكشميري وله وقائع عديدة مثل هاته وهو في الحقيقة أعقل فروع ذلك
البيت الذين استولوا على القطر فقد أنشأ فيه ما لم يكن فيه من الحصون والقشل والسفن
والذخائر حتى ان مبانيه الخاصة به لم تنزل من نفعاها الى الآن كبنستان منوبه الذي صار
قشله للخيانة وداره بتونس المسماة الآن بسراية المملوكه وأحانه مقام وزيره يوسف صاحب
الطابع الملقب بأبي الخيرات من كثرة أياديه في طرق البر مع الانصاف والاقتصاد الذي
لم يكن القطر يتحمل سواه حتى ان حسمه بن باشا لما توسع في الرفاهية بزيادة عما تقدم
توقفت حكومته في دين قدره خمسة ملايين ريالات أي ثلاثة ملايين فرنك باعها فيما
سما للتجار الا فرج ولم يمكنه احضاره لهم فذشأ من ذلك ولاية شاكير صاحب الطابع
الادارة بشروطه الشديدة على الوالي في تقصير يريده عن التصرف في المال وفي الاعمال
وأخذ من دار الوالي أغلب ما فيها من فضة وذهب واحتسب على خاصه مصاريفه
الذاتية وتحملات الاهالي أول ولايته مظالم مالية الى ان خلاص الدين وعمر خزان
الحكومة وموجبات الاقتصاد الكلي هي ضعف واردات الحكومة للاقتصار على
المحد في المداخل الشرعية أو ماله شبهة بها كما تقدم في توزيع جبايات العساكر تحتفظا
على الديانة ولا يبر على ما نساء عنه الديانة أيضا في غالب الاحوال الامانية بدر كالعقاب
بالمال على الزاج من منعه شرعا وأمثاله كما تقدم طرف منه مادامت الرعايا راضية به ثم
ان الاقتصار على ذلك لا يجتمع منه مبالغ تقتضي الترف لان طبيعة أرض القطر ولان
كانت غنية غير ان كثرة توالي المحروب عليه والامراض والمظالم في الدول السابقة أفنت
من السكان القدرة الا وفرد قد نقل بعض المؤرخين ان عدد سكان افر بقة في صدر
الاسلام ويعني بها ما يشمل برقه المعروفة الآن ببني غازي وطرابلس وتونس والجزائر
هو تسعة عشر مليوناً مع ان عدد الجميع الآن لا يبلغ ستة ملايين ثم مع قلة السكان ضعفت
أعمالهم واقتنعوا بما يسد الحاجة وبقيت الارض معطلة لوجوه منها عموم الجهل بصناعة
الفلاحة وتعمير الارض وكثير الاشجار ومنها خوف صاحب الثروة على نفسه وماله
فيري انه يعمل لغيره فينزع منه الباعث ومنها الاكتفاء بما خف له سهولة الرخيل في
الفنن ومنها عدم الثمرة اذا سمحت انزال المحبوب لصعوبة نقلها للمدن وعلى تقدير

وصولها لتجد لها مشربا يمنع انخارجها من القطر لاجل الحروب المستمرة مع أوروبا الالبعض
 الاجناس احيانا لوقوع الصلح معه فاذا بقيت النتائج في البلاد رخص سعرها لئلا يادتها
 على قدر الكفاية واستمرت السيرة على نحو ما مر الى (ولاية اجد) باشا فاخذت الحكومة
 في طور تجديد تبعها الاهالى على مقتضى قاعد الناس على مذهب امرائهم وذلك ان
 هذا الوالى كانت له مهمة عظيمة اكبر من حالة القطر وقد وجد في ولاية ابيه ابتهاد
 تنظيم العسكر النظامى فاعتنا هو بهم وبمهماتهم وتعظيم رؤسائهم ثم جدد في تفخيم هيئة
 الحكومة تفخيما لا يخرجها عن المقام الحقيقي فلم يقل في مكاتيبه القبا تشعر
 بالاستقلال كاطلاق لفظ الدولة والمسكة ولم يطلق على نفسه لفظ ملك متخاشيا عن ذلك
 كل التعاشى هو وابن عمه محمد بن زعمه وانما غير ما لايس الحقوق حتى غير الالقاب
 المار ذكرها آنفا في الوظائف الشرعية لقب رئيس المفتين الخفية محمد يرم الرابع
 بشيخ الاسلام وفي العساكر النظامية صير لها رؤساء على مقتضى اصل اصطلاحهم واهمها
 على الترقى بن باشى ثم آلاى امينى ثم قائم مقام ثم امير آلاى ثم امير لوا ثم امير الامرا
 اوفريق وأنشاء النباشين المسماة بالافتخار وجل له خمسة رتب ثم العاليا وتسمى افتخارا
 اكبر ومعه شريط من الحرير اخضر يسمى بالقاشه ويلبس على المكنتف والصدور
 والظهور على هيئة جمائليه ثم نيشان آل بيته خاص بهم ويعطى للملوك وأعيان بعض
 الكبراء وشكل للوظائف السياسية وزراء ولقب كلا منهم بالوزير في خطابات الرسمية
 الا اذا عرض ذلك في مكاتيب الدولة العلية فانه يتخاشعنه وأول من تلقب بذلك الالقاب
 في هذا القطر هم الوزير مصطفى صاحب الطابع وهو رئيس الوزراء عند اجتماعهم
 وصاحب التقدم عليهم لسنه وسابق تربيته للوالى لكنه لا تصرف له في شئ معين ثم
 الوزير مصطفى خزنة دار وزير العمالة أى الداخلية والمالية ثم مصطفى أغا وزير الحرب
 ثم محمود كاهيه وزير البحر ثم جوزاف رافو وزير الخارجية وفي آخر مدته لقب الداي بوزير
 التنفيذ وهو اذالك كشك محمد وكان كل من هؤلاء الوزراء يباشرون بنفسه فيما يتعلق
 بوظيفته ولا يتدخل واحد في وظيفة الآخر شئ ولا تفوز لاحدهم على الآخرين
 رسميا الا الوزير الاول لكنه لوزنته وخوله وفهمه مفضى الوالى كان يقتصر على
 نصيح الوالى فيما يراه او يبدى له رأيه عندما يستشير وصاحب النفوذ الحقيقي هو
 مصطفى خزنة لقرريب الوالى اليه ولان مقتضى وظيفته التعاق بالاهالى والعمال
 وجميع اصحاب الادارة وحيث كان هذا التفخيم يستمدعى زيادة المصاريف والميل

الى الترف مع ما في نفس الوالي من الكرم على أهل اصطفاؤه وكبراء العساكر
دعاه ذلك الى زيادة الضرائب على الاهالي باسماء سموها أنقأت الظهر وأوجبت
الفقر وزعم ذلك المضممار هو محمود بن عباد باتحاد مع الوزير مصطفى خزنندار مع
انحصار جميع أنواع مصارف الحكومة في يده من قوت العساكر وملايهم وجميع
المهمات للحكومة ولذلك والى والى ولذلك وظائف باسماء وهي الرابطة وهي قبض
الاعشار ودفعها والأكوشة وهي مهمل الخبز والغاية وهي قبض اعشار الزيت وخرجها
والغرفة وهي اشترا جميع مهمات الحكومة والوالي وانحصر جميع ذلك وغیره في ابن
عباد وتغاضى الوالي عن المذکور وكان ان تنحصر فيه ولايات جميع العمال ووظائف
سائر جمایات الاموال لشركة سرية بينه وبين ذی البدو قدم ابن عباد لا قدره على
ارضاء الوالي باحضاره فعلا وعاد ما يطلبه من المهمات والاموال وامتدت يده بزيادة
انظام على ما ترسمه الحكومة باضعاف مضاعفة ومن اشبهى لا يجاب الا بقول الوالي
اخاص مع عاملك وتوصل الى كتب الاوامر بخطه سرا هو الوزير ويضمنه الى الوالي
من غير علم احد مع تحسين الوزير لذلك عند الوالي بان ما يرجمه ابن عباد يكون خزينة
حاضرة متى ما طلبها الوالي وجدها بالاسئلة على كسبه وجع ابن عباد بذلك اموالا
عريضة قد درهاري شار دوود قدس السل الانكليز بتونس الذي أقام بها ما ينفق عن
العشرين سنة في رسالته التي ألفها قد حافى طريقة تلزم مداخيل الحكومة بثمانين
مليوناً وهو المشتهر على السنة العارفين في تونس وأرسل ابن عباد تلك الاموال الى فرانسا
واحتال على السراح للسفر الى هناك للتداوى عند ما علم هو وشريكه ان عاقبته وخيمة
وأحس عباد ان سراحه الى الوالي ولم يحاسبه الوزير حتى سافر من غير حساب فلما سافر
الى هناك احتج بدولة فرانسا وأعلن بعدم الرجوع كما طلب الحماية لشريكه وحصل
على الاذن فيها غير ان دولة فرانسا تفتت لأموره ورجعت عن حماية الوزير وعلمت ان
سببها هو خيانتها له ولاده وهو عنددهم من أعظم الذنوب كما هو في نفس الامر لکن ابن
عباد لما تم الثمر وطال الاجابة في نيل المجزية لفرانسا وبه وحصل عليها بالفعل قبل
الاطلاع على أعماله لم يكن في وسع دولة فرانسا نزاع ما ناله اذ قوانينهم لا تسمح بذلك
وعند ما علم أحد باشا بامتناع ابن عباد مع الاموال للذريعة التي نهى ولم يحاسب على
نصر فيه قبض لخصامه الوزير النصوح خير الدين واتفق الفريقان على تحكيم امبراطور
الغرائس ناپليون الثالث فامر بعقد مجلس من ثقات المعتمدين في الوزارة الخارجية

(٨)

للنظر في المنازلة وعرض الوزير خير الدين مطالب الحكومة وعرض ابن عياد مطالبه
وألف كل منهما نحو ثمانية عشر رسالة في المنازلة وأرسل الأمر فيها بعد عدة سنين
على صدور الحكم من الامبراطور بما لم يخلصه

ريالات

ثبوت مال عين قبل ابن عياد للحكومة	١٤١٧١٤٩٥
وثبت عليه أيضا قيمة رسوم بانك وتذاكر سراج	٢٠٩٠٢٧٥٠
	<u>٣٥٠٧٤٢٤٥</u>
وثبت لابن عياد على الحكومة	٧٨٤٥٩٠٧
فاذا طرح ذلك من مجموع ما ثبت للحكومة بقي	<u><u>٢٧٢٢٨٣٣٧</u></u>

قبل ابن عياد سبعة وعشرون مليوناً ومائتان وثمانية وعشرون ألفاً وثمانمائة وسبعة
وثلثون ونصف كماً صدر الحكم عليه بان يحاسب في تونس على الرابطة وغيرها مما لم يمكن
الحساب عليه في باريس وقد أفردت هاته المنازلة بتأليف مخصوص للوزير حسين
حيث كان له خبرة بالمنازلة لانه كان بعمية الوزير خير الدين عند خصامه فيها وسماعه حسم
الالداد في نازلة محمود ابن عياد وما انفصلت هاته للمنازلة الا بعد ما اشتمت في الحكومة نازلة
مثالها اذ الوالي مرض في تلك الاثناء مرض الفالج وطالت مدته واستبد الوزيير مصطفى
خزينة دار وعوض ابن عياد بالقائد نسيم الذي وظيفته انه قابض للأموال وكذلك عوض
ابن عياد في ما يرجع للحال بسعد بن عبيد وغيره ولم يمكن لمعية الوزراء انهاء الامر
الى الوالي لمرضه وبقي الحال على ذلك الى ان توفي ذلك الوالي سنة ١٢٧١ في نصف
رمضان ولم يترك على الحكومة ولاداً انقضى الدين بالربا ولا بغيره الا ما لا يمكن خلو الوجود
منه كدفع اثمان بعض مهمات مما لم يحل أجله واقدأطاع على عدم حصول الدين الوزير
خير الدين لان الوالي كان أرسله لعقد قرض في فرانسا عند ارسال العسكر لحرب
الروسي سنة ١٢٦٩ ولم يمكن له معارضته لانه مستعجل كنه تشدد في شروط القرض
وسوف حتى توفي الوالي المذكور وساعدور يته محمد باشا على عدم الاستقراض ومع
ما تقدم فاجد باشا مدة صحته لم يستبد عليه وزير وله ما ترخصته في القطار أهملها احياء
العلم بعد ان كاد يندثر فرتب في جامع الزيتونة ثلاثين مدرسا تجارية قدرها ستون ريالاً
في الشهر وهذا المقدار اذ ذلك له موقع عظيم لما تقدم لك في مقادير مرتبات العلماء ثم
رتب اثني عشر مدرسا آخر بمرتبة خمسة عشر ريالاً في الشهر وخصص للأولين مواريث

من لا وارث له الرجوع ذلك لبيت المال وللتأمين احكاما تلاشتها أيدي العدوان كما
أقام بالجامع خزان كتيبها نحو سبعة آلاف مجلد وتنتج من ذلك احياء العلم وكثرة
العلماء بالقطر ومنهم من يقول بعز نظيرهم ولا زال ذلك مستمرا والله الحمد ولما ولي محمد باشا في
سنة ١٢٧١ لم يغير شيئا من نظام الحكومة لكنه جعل أكبرهم رفع النظام على
الرعايا وجاب ثروتهم لما كان يتيقنه من المضرات التي كانت حاصلة لهم وأبقى وزراء
ابن عمه على ما كانوا مع ما في نفسه من حالة مصطفى خزانة دارا لكنه غلبه على أمره فيه وزيره
المستقيم لديه اسماعيل السني صاحب الطابع فكان كالباحث على حفته بظلمه
عني الله عن الجميع كما يرد خبره (والسبب) في ذلك هو تخوف اسماعيل من تقدم أحد
اقرانه للوزارة المعتمدة وهي وزارة العمالة فأنفت نفسه من ذلك وواعد وعاهده
مصطفى خزانة دار على الاتهام به وتقديمه على غيردادا أبقى في الوزارة فسارع للوالية
وقال له لا غنى لنا عن مصطفى خزانة دار لعله بما لم يعلمه غيره من أسرار الحكومة
وأموالها إلى غير ذلك ولم يزل به إلى أن أقره وعاهده على الصفاء والنصح وأما الوزير
مصطفى صاحب الطابع فقد أبقاه شيخ الوزراء من غير مباشرة وأما محمود كاهية وزير
البحر فأنه توفي وولي عوضه الوزير خير الدين واقتمع الوالي أمره بثقبص كبة العساكر
بعد انفصال الحرب مع الروسية مع مراعات ضباطهم فابقي في الخدمة القادرا العارف
على قدر الحاجة وجعل لغيرهم نصف مرتب مع إبقاء المقام وكذلك أسقط جميع النظام
على الأهالي وعوضه بأداء واحد على كل فرد ذكر بالغ قادر على السعي وهو ستة وثلاثون
ريالا في السنة أي ثلاثة ريالات في الشهر وهي قدر فرنكين الذي لا يجحف بأحد مع
امكان ضبطه وضبط أيدي العمال عن التجاوز فيه مع تجبير العقوبة بالمال وعم ذلك
الاداء على جميع القبائل والبلدان بالسوا ولم يبق عليهم غيره الا عشر الجبوب من القمح
والشعير وعشر الزيت أو عوضه من القانون وقانون النخيل أي الخراج على اعداد النخيل
ولم يستثن من ذلك أحد الا أهالي المدن الكبيرة وهي تونس والقيروان وسوسة والمستير
وصفاقس فابقي بها أنواع الاداء السابق المختلف الاسماء على أنواع المكاسب وتلفت
الامة ذلك أهل بالسرور والانتقاد الا السادات المعاوين الاشراف من أهالي الويان
القبلي لعدم سابقية أداء عليهم وكذلك ضبط اعشار القمح والشعير وجعل على كل ماشية
قدر معين هو أقل ما يمكن حصوله في الغالب الآن يكون قحط بالمرة واذا ثبت القحط
يسقط على صاحبه وذلك المقدار هو ربع القفيز من كل نوع وان زاد العشر الحقيقي على

ذلك القدر فهو موكول الى ديانة صاحبه يدفعه لمن شاه كل ذلك تتعاميا عن أبواب المظالم
وهكذا رتب اعشار الزيت وجعل لها مكاييل منضبطة ولا ياخذ الا العشر وشيئا يسيرا
مقدارا معينا لكره المعصرة وشدد النكير على العمال فيما اذا امتدت أيديهم الى
شي زائد من الرعايا لانه جعل لهم مرتبات على حسب أعمالهم ياخذونها من الحكومة
ولم تنفع جناية العامل قرابته لانه كان صليبا في الحق حتى عاقب اصهاره بأخذ ما أخذوه
من الرعايا وسجن بعضهم بما كرمهم وسجن أتباعهم الذين شاركوهم في الاخذ وقسطوا
فيه ولذلك انكف الوزير مصطفى خنة دار وصار على حذر الامان دراواخر مدة الوالي
المدكور وكان هذا الوالي جريا على الحكم ولو بالقتل فيما يراه من الحقوق واشتد
خوف الوزير منه باطنا الى ان حصل من أحد أتباع القائد نسيم اليهودي سب بالدين
الاسلامي علنا في مجمع عظيم من المسلمين وكان أمر الدين اذ ذاك وشعائره بالمكان الاعلى
على ما تقدم بيانه فاهتزت البلاد تعظيما للخطر سيما وقد رأوا أن الرجل لا تناله الاحكام
لانه انما قدم على مثل ذلك اعتمادا على الاحتماء بسيد الذي هو من خواص الوزير
و باغ ذلك للوالي وقد كان منذ قرييب قتل عسكر بالقتل له يهوديا على مقتضى المذهب
الحنفي من قتل المسلم بالذمي مع ان احكام قتل النفس في القطر جارية على
مقتضى المذهب المالكي لانه يرى القود بغير المحدود وهو الموافق لحالة أهل القطر
ولمذهب أغلبهم وهذا المذهب لا يرى قتل المسلم بالكافر بخالف الوالي عادة البلاد
وأجرى حكم المذهب الحنفي فلزمه نظرا للهيجان العام توجيهه النازلة الى المجلس الشرعي
لحكم المالكية بقتل اليهودي ووافقهم أغلب الحنفية وكتب فيها الشيخ بيبرس الرابع
بالموافقة مع نقل نصوص مدارها على التعمير المعاط وقد يبلغه للقتل وهو المعتبر في
معروضات أبي السعد وقد تحقق ما ظنمه العامة فان الوزير عارض انتصار القابضة
في انفاذ الحكم وطلب من الوالي ان يحكم هو في الجاني بغير القتل وألح عليه فامتنع لما تقدم
واحتال الوزير حتى باعرا قتل الفرانسيس بالتدخل في النازلة وأنفذ الوالي الحكم
فانتزها الوزير فرصة ولاذ بفرانسوا بسطة قفسه الى ان أتى الاسطول الفرنسي
في المحرم سنة ١٢٧٤ وألح رئيسه وقفسه لهم وعصدهم قفسا الانكليز على انشاء عهد
الامان ومما استدل به لكل منهم عمل الدولة العثمانية بالتظيمات المخبرية حتى صرح
بذلك وزير الخارجية لفرانسافي مكتوبه المرسل في ذلك الشأن الى قفسه المأمور بقراءته
على الوالي وتفاوض الوالي مع خاصته ووزرائه في ذلك واستقر الامر على انشاء عهد

الامان وقرئ في موكب شامل لجميع المتوظفين وأعيان البلاد ونواب الدول ورئيس
الاسطول الفرائسوى (ونصفه) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أرفع للعق
سبيلا وجعل العدل لحفظ نظام العالم كغيملا ونزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا
ووعده العدل وتوابعه الجائر ومن أصدق من الله قيلا والصلاة والسلام على سيدنا
محمد الذى مدحه في كتابه بالرفق الرحيم وفضله تفضيلا وبعثه بالحنفية السمحة
فبينها تبدينا وفصلها تفصيلا ورتبها كما أمره ربه اباحة ونديا وتحريمات وتحايلا فلن
تجد لسنة الله تبديلا وان تجد لسنة الله تحويلا وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا
على معالم الهدى علما ن اقتدى ودليلا وفهموا الشريعة نصا وتواويا وأبقوا
سيرتهم المظلمة وأحكامهم العادلة أمانا حليلا ونستوهبكم اللهم توفيقا يوصل الى
الاسعاد برضاك توصيلا وعونا على أمور الامارة التي من جملها فقد جعل عبدا نقيلا
فقد توكلا عليك والتجشأ اليك وكفى بالله وكيفا (أما بعد) فان هذا الامر الذى
قلدنا الله منه ما قلده وأبندده اليما من أمور خلقه به هذا القطر في ما أسنده الزمان
فيه حقوقا واجبة وفروضا لازمة راتبه لا ينقطع الاباعاته التي عليها الاعتقاد
ولولاها فن يقوم بحق الله وحق العباد فمعضنا النصيحة لله في عباده وأرضه
وبلاده والامل أن لا نبتغى فيهم بحول الله ظمنا ولا هضمنا ولا نخرم لهم في اقامة
حقوقهم نظما وانى ينصرف عن هذا القصد بعمله ونيتته من يعلم أن الله لا يظلم مثقال
ذرة ولا يحب الظالمين في بريته فقد قال لنبيه المعصوم الاقواب ياداد ودانا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضالك عن سبيل الله ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب والله يرى أثرنا في
قول هـ هذا الامر على خطره مصلحة الوطن على ذاتي وعمرت بخدمة منه الفسكرة
والبدنية غالب أوقاتي وقدمت من التحقيقات في المجليات ما علم خبره وظهر بعون
الله أثره فانتشرت الامال وتشوقت النفوس الى ثمرات الاعمال وانقضت عن التعدى
أيدي العمال واستقصاء المصالح يقتضى تقديم اجمال عن رماها جلة فقد عرضها
بسبب التعذر الى الاهمال ورأينا غالب أهل القطر لم يحسن سبل لهم الامنية باجراء
ماعة دنا عليه النية وجرت عادة الله أن العمران لا يقع من غير الانسان الا اذا علم ان
برأته هي الامن له والامان وتحقق أن سبيل العدل هو أمنه وخوف العدوان
وان لا وصول لهية من حرمانه الا بقوة الدليل ووضعهم بهان ولا يكفي التحققة

الواحد والاثنتان فاذا رأى الجاني تعدد الاقطار غلط ان كان منصفاً حادسه وقال ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد رأينا سلطنة الاسلام والدول العظام الذين على
سياستهم الدينية اعمال الاعلام في النقض والابرام يؤكدون الامان من أنفسهم
للعريّة ويرونه من الحقوق الواجبة المرعية وهو أمر يستحسنه العقل والطبع
واذا اعتبرت مصلحته فهو مما يشهد باعتباره الشرع لان الشريعة جاءت لخراج
المكلف عن داعية الهوى ومن التزم العدل وأقسم عليه فهو أقرب للتقوى
وبالامن مطمئن القلوب وتقوى وقبل هذا كان بناء علماء الملة الاركان وبعض الاعيان
بعضنا على ترتيب بحال ذات اركان للنظر في احوال الخيالات من نوع الانسان
والمناجر التي بها ثروة البلدان وشرعنا في فصوله السياسية بما لا يصادم القواعد
الشريعة هذا وأحكام الشريعة جارية مطاعه والله يديم العمل بها الى قيام الساعة
وهذا القانون السياسي يستدعي زمناً للتحريير ترتيبه وتدوينه وتهذيبه وأرجو الله
الذي ينظر الى كل بناء أن يستقيم بهذا الترتيب احوال الرياسة ولا يخالفه ما ورد عن
السلف الصالح من اعتبار السياسة وأنا العبد الفقير ليجل مرضاة ربي بما تطمئن اليه
النفوس وتكون منزلته في النفس منزلة المشاهد المحسوس وتأسيسه على (١١)
قواعد الاولى تأكيد الايمان لساثر رعبنا وسكان اياتنا على اختلاف الاديان
والاسنة والالوان في ابدانهم المكرمة وأموالهم المحرمة وأعراضهم المحترمة لا يحق
بوجهه نظر المجلس بالشورى ويرفعه البناولنا النظر في الامضاء أو التخفيف ما أمكن
أولاً (الاولى) باعادة النظر (الثانية) تساوى الناس في أصل قانون الاداء المرتب
أو ما يترتب وان اختلف باختلاف النكبة بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظيمته
ولا يحط عن الحقير بخفارتة ويأتى بيانه موضحاً (الثالثة) التسوية بين المسلم وغيره
من سكان الولاية في استحقاق الانصاف لان استحقاقه لذلك بوصف الانسانية
لا بغيره من الاوصاف والعدل في الارض هو الميزان المستوى يؤخذ به للمحق من المبتطل
وللضعيف من القوى (الرابعة) أن الذي من رعية لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع
من اجراء ما يلزم ديانتهم ولا تمتن مجامعهم ويكون لهم الايمان من الاذابة والامتهان لان
ذهبتهم تقتضى أن لهم مالنا وعليلهم ما علينا (الخامسة) لما كان العسكر من أسباب حفظ
النوع ومصلحته نعم المجموع ولا بد للانسان من زمن لتدبير عيشه والقيام على أهله فلا
نأخذ العسكر الا بترتيب وقربة ولا يبقى العسكرى في الخدمة اكثر من مدة معلومة كما

نحرره في قانون العسكر (السادسة) ان مجلس النظر في الجنايات اذا كان المحكم فيه
بعقوبة على أحد من أهل الذمة يلزم ان يحضره من نعيته من كبارهم تأييداً لنفوسهم
ودفعاً لما يتوهمونه من الخيف والشريرة توصى بهم خيرا (السابعة) اننا نجعل مجاسا
للتجارات برئيس وكاتب وأعضاء من المسلمين وغيرهم من رعايا أجبانيا الدول للنظر
في فوازل التجارات بعد الاتفاق مع أجبانيا الدول العظام في كيفية دخول رعاياهم
تحت حكم المجلس كما يأتي ايضاح تفصيله قطعاً للشعب الخصام (الثامنة) ان سائر رعايانا
من المسلمين وغيرهم لهم المساوات في الامور العرفية والقوانين الحكيمكة لافضل لاحد
على الاخر في ذلك (التاسعة) نسمح للمتجر من اختصاص أحد به بل يكون مباحا لكل
أحد ولا تناجر الدولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها وتكون العناية باعانة عموم المتجر ومنع
أسباب تعطيله (العاشر) ان الوافدين على اياتنا لهم ان يحترفوا بسائر الصنائع والخدم
بشرط ان يقيموا القوانين المرتبة والتي يمكن ان تترتب مثل سائر أهل البلاد لافضل لاحد
على الاخر بعد الانفصال مع دولهم في كيفية دخولهم تحت ذلك كما يأتي بيانه (الحادية
عشر) ان الواردين على اياتنا من سائر اتباع الدول لهم ان يشتروا سائر ما يملك من الدور
والاجنة والارضين مثل سائر أهل البلاد بشرط ان يقيموا القوانين المرتبة والتي تترتب
من غير امتناع ولا فرق في أدنى شئ من قوانين البلاد ونبين بعد هذا كيفية السكنى بحيث
ان المالك يكون عالما بذلك ود اخلا على اعتباره بعد الاتفاق مع أجبانيا الدول فعلى
عهد الله وميثاقه ان نجري هذه الاصول التي سطرناها على نحو ما بيناها وراءها لئلا
لنعناها وأشهد الله وهذا الجمع العظيم المرموق بعين التعظيم في حق نفسه وعلى من
يكون من بعدى ان لا يتم له امر الا باليمين على هذا الامان الذي بذلت فيه جهدي
وجعلت سائر الحاضرين من نواب الدول العظام وأعيان رعيةنا شهداء على جهدي
والله يعلم ان هذا القصد الذي أظهرته وجعلت له هؤلاء الاعيان واشهرته هو ما أودعه
الله في نبي واجراء اصوله وفروعه فورا أعظم أمنيقي والمرء مطلوب بجهده ومن عاهد
الله لزمه الوفاء بعهده والحق هو العروة الوثقى والاخرة خير وأبقى واستخاف من
لدى من هؤلاء الثقات والحجاة الكهانة ان يكفروا معي في اجراء هذه المصلحة
يدا واحدة بقلوب سليمة متعاضدة وأقول لهم ولا تنقضوا الايمان بعد تو كيدها وقد
جعلتم الله عليكم كفلا ان الله يعلم ما تفعلون اللهم من أعاننا على مصالح عبادك فكن
له معينا وأورده من توفيقك عذبا معينا اللهم اجعل لنا من عنايتك وعانتك مددا

وهب لنا من لدنك رجة وهي لنا من أمرنا شدا من لك الاعانة على ما وليت ولك الشكر على ما وليت المهدى من هديت والخير كله فيما قضيت هذه مقدمة أنتجتها الاستشارة ورأى العبد الفقير باحثة صالحة فاعنا اللهم ببركة القرآن وأسرار الفاتحة والسلام من الفقير إلى ربّه تعالى عبدّه المشير محمد باشا بى صاحب الممكة التونسية في ٢٠ محرم الحرام سنة أربع وسبعين ومائتين وألف صم من كاتبه المشير محمد باشا بى والله على ما تقبل وكيل (ثم عقد الوالى) مجلساً ريثقه الوزير مصطفى خنة دار وزير العمالة وأعضاءه مصطفى آغى وزير الحرب وخبر الدين وزير البحر والوزير اسماعيل السبى والوزير محمد وكاتب أسرار الوالى أحمد بن أبى الضيف وأذنهم باستخراج أحكام سياسية قد رعاها أعمال الحكومة واستخراج أحكام فرعوية فى الحقوق الشخصية بحرى بها الحكم فى القطر وأذن أن يكوز شيخ الاسلام محمد بيرم الرابع أحد أعضائه فامتنع من الحضور دون مشارك من العلماء المحففة والمالكية واستقر الراى على اضافة الشيخ محمد بن الخواجه المفتى الحنفى والشيخ أحمد بن حسين رئيس الفتوى فى المذهب المالكي والشيخ محمد البنا المفتى المالكي وهؤلاء الاعلام الاربعة هم اكبر علماء القطر اذ ذلك فحضروا اولاً ثم امتنعوا واكتفوا بان كتب كل منهم شرحاً مفرداً على الاحدى عشرة قاعدة المار ذكرها ابدوا فيها الاحكام الشرعية المطابقة لتلك القواعد واقتصر على ذلك متعللين بان لذي بداهم من مغزى الجماعة هو الميل البحت للسياسة الساذجة من غير التفات الى محاذاة الشرع بل وربما عرض ما يصادم القواعد وحيث كان عمل المجلس على ما يستقر عليه رأى الغالب لم يأمنوا ان يستند الى المجلس ما يخالف الشرع ويجعل ذلك على عاتقهم والذي تبين لكل من الفريقين فيما بعد ما ولدته الالباب ان الصواب فى غير مسائله على ما يتحضر ان شاء الله تعالى فى الخاتمة ولم يتم هذا المشروع فى مدة الوالى المذكور مع حرص القناصل عليه وتأكيدهم بانه لا محيص عما ائتمدهم عليه بالنيابة عن دولهم ولم يتخل الوالى بذلك لانه يحب طبعاً العدل وانما عاقبه عن اتمامه الاجل وفى آخر مدته أغراه وزيره بتعاقد مع روش قنصل فرنسا حيث كان العامل فرانسوا باعلى ما يأتى وحسنه الوالى جاب ما زغوان الذى كان جار بالقرطاجنة فى قنوات من البنات على حنايانا بان يجب على الجمعية فرانسوية فى قنوات من حديد ويوصل الى المرسى والحاضرة وانما يحصل من ثمنه للديار وللازارع يوفى بالمصروف عليه فى مديرة سيرة وينشأ منه فوائد للزراعة حول الحاضرة

والمرسى وكان الوالى مغرما بحب العمران والفلاحة وبالمرسى ايضا وهى معطشة من قلة
الماء الخلو فوافق على ذلك واتفقوا على جلبه وعلى بناء دار لقنسات فرأى ساهية خارج
باب البحر من الحاضرة بقدر دار للجميع قدره اثنا عشر مائونا تدفع على اقساط أربعة كل
قسط فى سنة بثلاثة ملايين وقد عذب بعضهم ذلك مبدأ من القطر حيث آل الى دين بالربا
ولحق انه لا لوم على الوالى فى ذلك لان الحكيم على ما هو موجود وعلى اعتبار بان الامر
على الاستقامة ولا يجعل عليه فساد غيره وان يبناء على شئ من أعماله هو فى نفسه
سليما اذ الفساد يدق فسادا على ما يريد والنظر فى الحقيقة للعمل من حيث هو فى نظر فيه
هل فيه مصلحة أم لا وبحال ذلك الماء على الكيفية المذكورة فيه مصلحة وهى تعطش
البلاد فى أغلب السنين لان شربها من المواجل المحبوس فيها ماء المطر ومن يربطها
ماءها غير خالص العذوبة تسمى ببرك كلابو يستعمل لغسل الصابون مياه فساقى حول
الحاضرة لان ابارها ماءها لم لا يصلح الاستعمال لتنظيف البيوت وكثيرا من السنين
تحصل الشدة للالهالى من قلة الماء صيفا حتى يبلغ ثمن القليلة لمقادير وافرة مع التعب فى
جلبه ثم اعزاه الوالى بالفلاحة ترغيبا للسكان فى العمران الذى أعزاه لهم هاهنا على
ما سيرد يستدعى جلب الماء الملو على ان مالية الحكومة اذ ذلك وافية بذلك المقدار لان
الفلاحة التى هى ركن ثروة هذا القطر قد كثرت فى تلك المدة وأقيمت عليهم الناس
اقبالا عليها حتى غلبت أسعار الاراضى ما كوا وكرا او غلبت أسعار الخيوانات وعلى قرض
الاجير المسمى بالنجاس غلوا فاحش حتى بالغ قرض النجاس الى ألف وستمائة ثلث يال
وذلك لكثرة استغناء الهالى سبها الاعراب وانفتحت من صناعة النجاسة لاقدار كل على
أن يصير فلاحا مستقلا بنفسه وتبع من ذلك ثروة الحكومة ثروة زائدة على المعتاد مع
نقصان المصاريف على المساكن فدخل الحكومة فى الاقل نحو مائة وثمانين
مليون فى السنة ويان تقريره ما يأتى

﴿ريالات﴾

٩٧٠٠٠٠٠ عدد النفوس التى تؤدى الجبابة ٢٧٠٠٠٠ على كل نفس

ريالات ٣٦

٦٠٠٠٠٠ مدخول مكس الغلال فى الحاضرة المسمى فنندق الغلة

٥٠٠٠٠٠ دار الجهاد أى محل دبح الجلود

٥٠٠٠٠٠ كركل الدخان

مصر بالآلات	
٠٦.٠٠٠٠	مركز السلع الداخلة والخارجة
١٠٠.٠٠٠	سراج خروج الزيت والقمح والمحجوب
١١.٠٠٠	قانون زيتون الساحل وصفماق
٠٩.٠٠٠	قانون تخيل الجريد
٠٥.٠٠٠	محصولات المدن وغيرها أى الادعاء على ما يساع في الاسواق
٠٥.٠٠٠	لزامات صغيرة في الحاضرة وغيرها كالحوت والتخيل وغيرها
٦٧٥.٠٠٠	اعشار القمح والشعير على كل ماشية ربع قفيز قحاً ومثله شعيراً
١٢.٠٠٠	وعدد ١٢.٠٠٠ المواشى فيجب جمع من ذلك اقفرة
٣.٠٠٠	قحاً ومثله اشعير سعر ١٥٠ الاول وسعر ٧٥ الثاني
٠٣.٠٠٠	اعشار الزيت متوسطا كل سنة امطار زيتا ١٢.٠٠٠ سعر ٢٥
	المطر
٢٢٩٥.٠٠٠	الجميع

فالحكومة التي دخلها ما تقدم ومصاريفها الاعتيادية لا تتجاوز الاثني عشر مليوناً لان
أحمد باشا مع كثرة عساكره ومصاريفها كان دخل الحكومة زمنية نحو خمسة عشر مليوناً الى
الثمانية عشر ومصاريفها مثل ذلك لانه لم يتدأ شياً وعهد باشا انقص كثير من العساكر
فلم يكن مصروفه الاعتيادي يجاوز الاثني عشر مليوناً نعم له مصاريف غير اعتيادية فيها
يخص ذاته وماذا عساها ان تباع فاذا دفع من دخل الحكومة ثلاثة ملايين في السنة مدة
أربع سنين لمنفعة عامة لا يكون فيه ضرر ولا عقاب على مثل ذلك اشترى له الوزير
المذكور مصطفى خرفه دار مصوغاً بقيمة خمسة عشر مليوناً مقسطاً ثمنه أيضاً يكون ذلك
ذنب الحكومة عوضاً عما باعه أحمد باشا من ذخائرها الثمينة في مصاريف حرب روسيا
لان المال المناقض يسهل اليه امتداد الايدي بخلاف الجوهرات مع ما في طبع الوالي
من الميل الى طبايع الاقدمين ومنها ادخار المصوغ وهو ولان كان مسرفاً فيها يتعلق
بذاته وجرمه بالنسبة لاسلافه لكنه يؤثر الاقتصاد للامة واتباع الحكومة يان يستألف
لهم لكي يقتصدوا في مصاريفهم فقد قدم عليه المولى الامام الشريف سيدي محمد
الشريف في رمضان وكان محباً للاشراف معظمهم شذشة أهل تونس الاسلامية
فادخله

فأدخله لقصر حرمه محتلياً معه مباسطاً وموانسلاًه فعرض في أثناء الخطاب لومه للشريف على التقصير في القدوم إليه فأجابه معتذراً ببعده مسكنه حيث كان مسكن الوالي بالرسى ويتعب الركوب على ظهر مركوب للوصول إليه لأنه ليست له كروسة أى محجلة فأجابه الوالي بأن ملك مثله لا كروسة مضر لها يلزمها من المصاريف السنوية وهو لا يخل عليه بأعطاء كروسته بل وازمها ولم يكنه يخشى عليه كثرة مصاريفها فلذلك رأى أن يعطيه ثمناً وثمان ما يجورها على شرط أن يشتغل به فيماله دخل في مصالحه وأما ركوبه فإنه مهما أراد الركوب يرسل إليه ليبعث له كروسة ليتركها وأعطاه خمسة آلاف ريال وأمرى أنهما نصح الأصدقاء وله في مثل ذلك كثير من المساعي سيما فيما يعود إلى تكثير الفلاحة وغراسة الزيتون والأشجار من الأهل إلى حتى رغب أهالي الحاضرة أيضاً وأنشأ في مدته القصيرة ما يذيق على السنتين ألف شجرة من الزيتون في أرض تعرف بعبدي خوجه من مرناق وثو في رجه الله ولم يترك على البلاد ولاداً تقادينا بالبالا الأموال المقسطة في مقابلة الأشياء المنارذ كرها وبقياً أئمان أشياء لا يخلو الأمر من مثله مع أنه ترك خزان من الحديد ملوأة بسكوكات الذهب التي أنشأ ضربها كما ترك خزانة مجهزة بملاكمة بالمصوغ والياقوت الأبيض المشهي باللامس أو الديامنت المتجمع من النباشين التي أبطاها وأخذها من أصحابها وعوضها بنباشين من الفضة على حسب مجرى الدول وعروض أصحاب الرتب العسكرية علامات في أعناق لبامهم وقد كان كل من أرباب النباشين الافتخار ومن أهل الرتب العسكرية له نباشين من الديامنت مختلفة النوع والنفاسة على حسب الرتب فمنها نباشان يبلغ خمسة عشر ألف ريال ومنها دون ذلك وهي كثيرة جداً فاجتمع منها مع ما اشتراه مقداراً وفي يعرف ذلك كل رجال الحكومة وأنباعهم بل وجميع آل بيته واستولى أخوه محمد الصادق باشا في (٢٤) صفر سنة (١٢٧٦) ولما كان هذا الوالي يتقي الصعوبات ويأتمن من يرى أمانته ويطلق له التصرف من غير معارضة كانت الوقائع تختلف في مدته اختلافاً بينا بحسب الوزير الذي يبيده التصرف مع أن الوالي مقدر فلذا لم يذكر كل وزيراً بفراذه والوقائع التي جرت مدة ولايته ومساعدته لأن الوالي يأتمنه ويعمل على رايه وهي القاعدة الجارية بعمل الممالك المتعدنة لوقت شروطها وهي جعل محتسب من الأمة لمرقبة أعمال الوزير حتى لا تضربه ولا بالامة غيرانه ينسب إلى الوالي تفخيم أمر الحكومة فاطلق عليها لقب الدولة وعلى نفسه لقب الملك وأدجم ذلك في الفاظ القانون المسمى بقانون الدولة ووزع منه

نسجنا على سائر الدول ليكرونا شهداء عليه وسلم بيده الى يد الامبراطورنا باليون الثالث
 نسخة منه عند الاجتماع به في الجزائر وكتب تلقيب وزرائه باسم الوزير في مكاتيبه
 للدولة العلية وقيل له في ذلك من بعض رجال حكومته فقال الدولة لها السيادة علينا
 وطاعتها واجبة واسكن لانهم انفسنا وكذلك اخترع زيادة النباشين وقادهم انفسه
 ورجال حكومته وغيرهم فتم ان يشان العهد وهو مرصع بالياقوت الاجر والاخضر جعل
 للبسه قانونا وعدا ويتبعه شريط ابيض مثل الذي سبق ذكره في اختراع اجد باشا
 ومن ان يشان عهد الامان على شكل آخر وخصه بأصحاب المباشرة في الوزارة الى غير
 ذلك من الاشياء التي مدارها على الابهة مع رافة نفسه ورقة قلبه وأول ما افتتح به
 حلفه باليمين اللازمة في قبول بيعته على مقتضى عهد الامان وسرد عند البيعة العامة
 التزاماته

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

تبارك من جعل الامان أقوى أسباب العمران والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
 وصحبه ومن تبعهم باحسان (اما بعد) فيقول العبد الفقير الى ربه المشير محمد الصادق
 باشا باي وفقه الله لمسايرضاه وأعانته على ما أولاه اني قبالت البيعة من الاعيان الحاضرين
 على ما وقع الالتزام به في العشرين من محرم الحرام سنة (١٢٧٤) من المرحوم المقدس
 أخينا المشير سيدي محمد باشا باي وهو عهد الامان لسائر السجكان على الاعراض
 والاموال والاديان وما حواه من القواعد والاوزام والاركان وحلفت وأحلف بالله وعهده
 وميثاقه على مقتضاه وان لا أخالفة ولا أتعده وهذا الكلام صدر مني ونقله الناطق
 به عنى وخطى وختم في فيه أقوى شاهد وأوضح اعلان لسكل من حواه هذا الديوان وسائر
 الرعية والسكان وعلى مقتضاه عليكم السمع والطاعة ويد الله مع الجماعة حر يوم
 السبت الخامس من صفر الحير سنة (١٢٧٦) ثم التفت الى الوزراء فوجد الوزير
 مصطفى خزنة داره وصاحب الشفوف على السكل لالتفاف أغاب أتباع الحكومة عليه
 وانقيادهم اليه ورغبة لهالة من اليه وكذلك قنائل الدول فسلم اليه امر الحكومة
 ولقبه بالوزير الاكبر وبقي منفذا الرأيه ملازما للسيرة على نهجه في كل أمر حتى فيما يعود الى
 خاصة ذاته فيكميراما كان يلبس الوالي ثيابه ويتقلد بمنطقته تهيمال كونه الى الحاضرة
 في كل يوم من رمضان ليكون عادته ذلك ويبقى منتظرا الوزير ليتركب معه لانه لا يركب دونه
 فيرد عليه رسول الوزير معذرا له بأنه غير قادر في ذلك اليوم على الخروج لمرض أو شغل

فيلوى

فيلوى الوالى عزمه ولا يتوجه للحاضرة وحده وكان لا يباشر فيها شياً من الادارة وانما يذهب لمجرد التنزه والتفرج على الاسواق من شبابيك قصره وحيث علمت ما تقدم نذكر لك بعض حالات هذا الوزير وما طرأ من تصرفاته كما نذكر لك غيره من الوزراء

المطلب الخامس في وزارة مصطفى خزنه دار (اعلم) انه رجل أصله من قرية قرب ساقس جاب الى تونس وسنه دون العشرينين وأخذته أجدب باشا وراه ونعلم القراءة والكتابة وبعض الفروض العينية كالنجويد والوضوء والصلاة ونشأ على مسامرة أخلاق سيده بشوشا غير متفحش غيور على من انتمى اليه جالب المصالح الارباح بكل وجه كما انه كان غيور على تقرب أحد من الوالى ومع ذلك كان كثير الاعتقاد فى الصالحين ومن انتمى الى معرفة محمد ثمان مواظبا على قيام الثلث الاخير من الليل وله فيه اوراد مخصوصة الى ان يصلى الصبح ثم ينام وكان أولا قبل كبر بنيه ذا كرم كثير العطاء لحاشيته ثم صار شحيح النفس حريصا على الامساك والتقتير ولم يعهد انه باشر أحد بشتم أو كلام منه كرمدة وزارته على طولها وهى بحجة وثلاثون سنة الارحان يقسال لاحدهما على زيد ولا سخر عثمان هاشم وكان لا يقدم اليه أحد بطاب شيئا منه الا بعدة بقضاء حاجته كيفما كان حاله ما عدا انه ربما كان الوفاء ببعضها غير ممكن وقيل له فى ذلك فأجاب بأن سابقته تأبى أن يقنط الطالب ويؤسسه بل يصرفه بالوعد وان كان عازما على عدم اعطائه ويرى أن تعليق الآمال أولى من الاياس منها ولذلك كثيرا ما حصل منه الخفاف بما يعهد وصاهاه أجدب باشا على أصغر اخواته ثم ولاء خزنه دار ثم لما أحدث أجدب باشا القاب للوزراء وولاه وزارة العمالة وهى عبارة عن التصرف فى الداخلية فراكن اليه محمود بن عياد وثمة اسرار حتى صار المحاسب والمحاسب عليه شريكين وحصر دخل الدولة ونحوهما فى محمود كما تقدم وللنجاة بما حصله اسهل خروج محمود الى فرانس من غير حساب وخانه محمود فأظهر عهده الشريك مع مصطفى خزنه دار وطلب على يد محاسن المحكم الزام الشريك بدفع نصف قيمة الساع المجلوبة لمصالح الحكومة واسمعت لهى عليها بعد خروجه من تونس وعرض هذا المحكم على الوزير مصطفى خزنه دار بواسطة قنصل فرانس فى تونس كما أظهر ان شريكه خزنه دار كلفه بطاب حماية فرانس له كما قرره فى الصفحة الرابعة من الرسالة الاولى التى عرضها على محاسن التحكيم وبعد ان كاد يحصل على الحماية عدلت فرانس عن ذلك والحال انه لم يبدله من سيده وهو جاب لذلك بدليل بقاءه على منصبه وتصرفه الى ان مات سيده ثم بعد سفر محمود بن عياد استعوضه بسعد بن عياد وجعله سمسارا على بيع

الوظائف فكان المتولى يدفع ما اتفق معه عليه والمعزول يغرم ما يدعى به عليه أهله
 عمله مع كونه مضطرا إليه لانه ما دفع المال لشراء الوظيفة الا ليربح ما يتعيش به وما
 يدخره للاستقبل وعظم بذلك الخطر والفقر على الرعايا حتى شاهدت قبيلة أولاد عياران
 كثيرا منهم يساقطون حب الزيتون بالاجرة لاربابه وعند ما يتم عملهم يأتون الى
 الفلاح ليحاسبوه عما تجتمع لهم من المال ومعهم أحد اتباع هذا العامل فيخصي لهم جميع
 أجرهم بعد ان حاج مقدار ما أخذوه لقوتهم ويرسله الفلاح معهم الى دار العامل ليقبضه
 لانه حاجر عليهم في قبضه وأشبه ذلك كثيرة كما انه استعوض عن ابن عياد فيما يتعاقب بشراء
 مهمات الحكومة ودفع أموالها أناسا منهم عطية الذي وقع منه أمور عجيبة فمنها انه
 ولى على اعشار الزيت ودفعها في مصاريفها المعينة ومنها الاجحاف في مؤنة العساكر
 فكان يدفع اليهم الرديء من الزيت زيادة على مضاعفة الكيل من الدافع بل من سوء
 عمله انه كان يدفع للعساكر أوساخ الزيت الذي يحمل في قفاف الحلفة ولا يسيل منها كما
 كان يحسبك ما لصق بحيطان مراحل الزيت ودنائه المسماة بالجرار وما تجتمع من ذلك
 الدسم الوسخ يغلى في المساء البخن ويدفع للعساكر على انه زيت والارباح التي تحصل
 لعطية كان يصرفها المصالح الوزير خزنة دار ومنها انه ابتدأ في بناء جامع قرب باب
 القرجاني ونسبه الى نفسه مع أن المصروف عليه من مال الحكومة بعض منه على يد ابن عياد
 والبعض الآخر كان صرفه على يد عطية المذكور والدليل على ان ماصرفه لم يكن له أنه
 مات مغاسا ومع ذلك لم يتم الجامع الى الآن وقد بنى الوزير خزنة دار سيدي لا بطحاء القصبة
 ووقف عليه حوانيت بجزاره ولا زال مستمرا الى الآن وقد استعوض عن ابن عياد أيضا
 القسائد نسيم شمسمة وجعل وظيفته كونه قابض الاموال وكان يشتري المهجات بسعر
 ويحضر بها على الحكومة باضعاف كما انه حصل بواسطة الوزير المذکور بناء لعدة
 زوايا فمنها تجديد زاوية الولي الصالح القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
 الكائنة بجبل الجلاز بنيت على شكل حسن متقن حيث كان الوالي اذ ذلك أجد باشا
 تلميذا للشاذلي رضي الله عنه وكذلك جدد بناء زاوية الولي الصالح سيدي على الخطاطب
 رضي الله عنه الذي هو أحدث لأمدة الشاذلي الكاروهي في الجهة الغربية من تونس
 تبعد عنها ثمانية عشر وعشرين ميلا في الوطن المسمى بالمرناقية وبنيت أيضا بناء حسنا
 ومن زاوية الحاج علي شيخه الكائنة قرب الحلقاوين من ربض باب سويقة من
 حاضرة تونس وهو منسوب للولي الصالح سيدي عبد السلام الاسمر رضي الله عنه وبنيت

بناء حسنا ومنها تجد يد بناء زاوية الوالى الصالح ملاذ اهل تونس وعلمتهم سبى محزونين
 خائف رضى الله تعالى عنه وهو رجل كبير فى العلم والصلاح من كبار رجال مذهب
 الامام مالك رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبنيت بناء حسنا وما صرف على جميع ذلك
 من مال المحكومة كما انه اسست وهب من الوالى محمد الصادق باشا السبخة السيجوى التى
 بقرب الحاضرة من الجهة الغربية الجنوبية وانفق على تشييدها عدة مئين من الالوف
 من مال المحكومة وحفر لذلك خندقا عرفى واديين جبال المحل المعروف ببئر القصعة ثم يمر
 على الوهاد المعروف ببجيرة باش حانبه ثم يصل الى الارض المعروفة بمدار بن عروس
 وهناك ينهل الماء المنحد من السبخة فحصل بذلك نفع الاراضى التى على مصب ذلك
 الخندق لانه لم يجعل لها سبيلا الى الوصول الى البعيرة مع كون مائه لمحا اجا و نعتات
 عند مصبه الطريق الموصلة الى مرناق والى حمام الانف ثم ما والاه من الجهة الجنوبية
 فى وقت الشتاء لتعطل طريقه الاصلى من الوحل فصار الطريق الشتوى ايضا امامه عطلا
 او صعبا جدا مع ان نفس السبخة لم تنشف لان ارتفاع قعرها على سطح البجيرة انما هو نحو
 ميترين ونصف فقط ويلزم لانحدار الماء فى الاقل صانتي ميتر لكل ميتر وطريق الخندق
 لما كانت طويلة لم يكن فيها الا انحدار المطلوب فلم تنشف السبخة وقد انذر بذلك أحد
 حذاق المهندسين وقال لا يمكن تشييدها الا بنفق تحت جبل المنوبة لقرب المسافة
 الكافية للانحدار فلم يعمل بقوله ولم يحصل المقصود وبقى الامر على ذلك الى ان سد
 الخندق فى بعض جهاته باذن المحكومة فى وزارة خير الدين لرفع الضرر عن الطريق
 وعن الاراضى المشار الى جميعها كما شرع فى عمل طريق صنعائى بين تونس وحلق
 الوادى فعمل فيه من جهة حلق الوادى نحو أربعة أميال ومن جهة تونس نحو خمسة
 أميال ثم ترك فأما الذى من جهة حلق الوادى فأبطلته جمعية طريق الحديد وأما
 الذى من جهة تونس فلم يزل منتفعا به لكونه محتاج الآن الى التدارك بالاصلاح لانه
 ضرورى فى وقت الشتاء حيث ان الارض التى يترعاها المسماة بالحضرة اصعب المرور
 لكثرة الوحل ولما لى محمد باشا وأقر الوزير المذكور بعضا ضده الوزير اسماعيل السنى
 حصل الافراء للوالى على محمد المرباط أمير امعساكر القيروان وصهر أحمد باشا وعلى
 صالح شيبوب أمير لواء امعساكر غار الملح وغيرهم امان خاصة أحمد باشا من أبناء البلاد
 فنزعت رتبهم واستوصلت جميع أموالهم وسمع الثقات من وزراء أحمد باشا الحاضرين
 مواطن الافراء شدة انفعاله من ذلك ولما وقع استقراره بالوزارة عند محمد باشا بواسطة

ما تفتدّم أراد أن يبرهن على صدق ما وضعه به الوزير اسماعيل السني من الصدق
والنجابة وعلم ما لا يعلمه غيره فطلب من الوالي عمل حسابه عما مضى وبعد اتمامه جاء
بالدفاتر وبتلخيصها وعرضه على الوالي محمد باشا ورأيت في صفة الموطن بخط الوزير
ابن أبي الضياف مانعه وقال له بمحض الوزير راور جال الدولة هـ اذ احسابي قبضت
في مدة خدمتي ما هو مرقوم في هـ اذ التلخيص وصرفت في المدة ما هو مرقوم ايضاً وكان
المصروف أكثر وأنا غير طالب له ولم أدفعه من مالي وليس على دولتك المباركة دين
فقال له بعض الحاضرين من الوزراء بديهة أنا أول قاذح في هذا الحساب ومن أين جاءت
هاته الزيادة فأجاب الوزير بآين وسياسة تلك أن تتنظر في فصول القبض هل نقص منها
شيء وفي فصول الدفع هل زاد فيها شيء وما وراء ذلك نتيجته أصابعي ولي أن أنطلبه لو
استعملت الحيانة ولهذا أتيت بالدفاتر ليطلع عليها كل من يريد الانتقاد فحجب القاذح
الخ والكاتب المذكور عالم بالبلاغة حيث وري بقوله فجعل أي جعل من الجواب
لأنه قبل ان المسال من الاشياء التي لا تنمو بذاتها القسمة العقلية اما أن يكون من فصول
المقبوض شيء لم يرسم كأن يكون المقبوض من الطوارى التي لا تنضب كالأخذ من العمال
زيادة على الموظف أو تكون بعض وجوه المصروف لم تصرف حقيقة أو يكون المقدار
الحقيقي منها دون ما رسم في الدفاتر أو يكون الدافع دفع من عنده أو اقترض وهذان
الاحيران قد افتر الوزير بعدمهما واقرار الانسان ماض عليه فلزم بالضرورة أحد
الوجهين السابقة ولعلها هي المرادة بقوله بأصابعي ثم انه في مدة محمد باشا لم تقع مظالم
الرعية من العمال لما تقدم من سيرة ذلك الوالي وانما يقال انه جعل له حصص من المسال
والمصوغ جمع الامن الجال بين المساء زغوان وبأبني المصوغ ليكون العتدة تلك المقادير
وفي آخر مدة الوالي المذكور لما رخصت قدمه حصل الاخذ لاو زير من بعض العمال
بدعوى انه مع تشديد الوالي في قبض أيديهم لا بد أن يسرقوا وجعل السمسار رجلا يقال
له خليفة السانس مشاركا لسعد بن عبيد مع التحذير من ان يظهر أدنى تشك من الرعايا
وقد أدركت المضرات حذاق القطر حتى قال أحد العلماء قصيدة يستغث بها القطب
الصالح سيدي أحمد الخافي رضي الله عنه لم سادهي القطر من تلك الاعمال

﴿مطلعها﴾

كادت تنيطر جاءها بالياس * هجج فغوثا يا أبا العباس

(الى ان قال)

(٢٣)

انا اليك نبذ ما قد بنا بنا * من مكر ذى شرش - ديد الباس
درب على فعل القبايع قائم * بالجورنا عن مدى القسطاس
﴿ثم قال﴾

نشبت مخالب كيدته في قطرنا * وبدت مضرتة على اجناس
ومراده والله يعمو رسمه * المحاقه بالاربع الادراس
خفيت مدارك كيدته فتجهرت * في غورها النبا من الاكياس
حار اليبس ولم يفد تخمينه * مع ضربه الاخاس في الاسداس
﴿ثم قال﴾

واستأصل الاموال من اربابها * ورماهم بالذل والافلاس
كل تراه وقد امض فواده * يشكو القديم والجديد يقاسى
الى آخرها وهى طويلة مع ان التباين بين وظيفة المشتكى والمشتكى منه مما يؤيد ان
الشكوى عن غير اغراض شخصية ودليل صدقها الخارج ثم الاستولى محمد الصادق باشا
وكان الوزير يخشاه لما هو مشهور عنه من الصلابة جد الوزير في اتمام قوانين
عهد الامان سيما واليد كانت فيها جائلة من قبل للاطمئنان على نفسه بدليل ما جرى
بعدوا ظهر مبله اليها اهموم العدل لى يستعين بمحبى الانصاف على انفاذها فقمها
وشرع في العمل بها في ١٥ شوال سنة ١٢٧٧ وحلف الوالى على انفاذها وعدم
مخالفتها وكذلك سائر الموظفين واستغرقت جميع مداخل الحكومة في المصاريف التى
عظمت وكثرت الموظفون والكتابة على ما تسد عليه القوانين وزيادة وفرت المرتبات على
مخو غير مهود في القطر حتى صار لذات الوزير خزنة دار من المرتبات ما يbane في السنة
ريالات

مرتبه على الوزارة الكبرى	١٤٠٠٠
مرتبه على وزارة العمالة	٦٠٠٠
مرتبه على وزارة الخارجية	٦٠٠٠
مرتبه على وزارة المال	٦٠٠٠
مرتبه على نيشان آل بيت الوالى الذى هو حامل له	٦٠٠٠
الجمع	٣٨٠٠٠

مع انه يصرف مصاريف غير ذلك من اموال الحكومة كما تبين من الحسابات في الحكومة

وجعل القائد نسيم لا يدفع لمن يطالب بمال من الحكومة الا باسقاط مقادير رابحة تزيد
على الارباح من شراء المهمات واستغرق بمثل ذلك جميع مداخل الحكومة ثم جعل جميع
المال المطلوب للعائدات المارذ كرها من ماء زغوان وغيره ديناً بالبا واستقرض له مبلغاً
بالرمان أو روبا قدره نحو تسعة عشر مليوناً فرنكاً حسيماً هو محرر بالتقرير المصمم
بخطه ونحط المجلس الأكبر وقد برح اذذاك الخفا وبان لعقلاء رجال الحكومة تسوء
تصرفاته فكان أعظم المضادين له من كان أكثرهم قرباً اليه وأنحواعه في الكف
عن تلك السيرة فصار لهم بالمصادرة صار يشتمهم عند الوالى ويقدرح فيهم عندما كان يقول
فيهم لانه لم حالة الوالى وانقياده اليه ورام نقض القانون أو ابقائه ضرورة لان مقصد
الامن على خصوص ذاته قد حصل بجرى ان الوالى على رأيه وابعاده كل أحد عنه الا
الخدمة لخدمة ذاته واشتدت المشاحنة بينه وبين الوزير حينئذ الى ان استعفى
من وظائفه ثم تبعه الوزير حسين والوزير مصطفى أغه والوزير رستم ونحلا الجنون خزنة دار
وأخذت السيرة في طوراً ترجديد ورام ان يضاعف أداء الجباية على الاهالى ويصيرها
اثنين وسبعين ريالاً على الرأس عوضاً عن الستة والثلاثين ريالاً التى أسسمها محمد باشا وطالب
موافقة المجلس الأكبر فامتنعوا واسددها وباهضاتهم مع تحذير العقلاء له فلم يانفت اليهم
مع ان الاهالى في ثروة من اثر سيرة محمد باشا تقويهم على الدفاع عن انفسهم مع ما استأ نسوا
به من تلك السيرة وسما عهم بأن العدل والانصاف قد شملهم بالقانون وان لهم الكلام على
حقوقهم فامتنعوا قاطبة وأراد غصبهم على ذلك فنار القطار كله ثورة واحدة لم تعهد من
قبل على غاية من الرياضة والامن بحيث لم يتعرضوا بالاذية لاحد مع أمن السبل وكثرة
الغادى والرائح وضبط كل جهة ببعض أهلها الردع السفهاء وحفظ الراحة والامن وكان
متولى أكبر الجهة الغربية والمنفذ عليه أكثر قبائل الاعراب رجلاً يسمى على بن غداهم
وذلك سنة (١٢٨٠) ولا زالت هذه الثورة تسمى ثورة ابن غداهم وكاتب الجهات باننا اخوان
ومطلبنا واحد وليس المراد منه الا فساد فالواجب حفظ الامن والراحة وتأمين السبل ولا
نتعرض لاحد بشئ سوى اتباع الحكومة فاذا أرادوا غصبنا على الظلم تدافع عن أنفسنا
وانذرت القبائل عمالهم الذين كانوا بين أظهرهم فمن أراد منهم التوجه الى الحضرة
أو صلوه بأمان ومن أراد الإقامة منكفأ عن التداخل في أمرهم أبقوه بأمان ولما توجه أمير
الامراء فرحات الى الكاف لاجبار قبائل ماجر على ذلك الاداء تعرضوا له وقتلوه فشد
الذكير عليهم على بن غداهم وقال لهم أصل اتفاقنا ما هو على الدفاع عن أنفسنا وما ضرركم

قدوم الرجل الا اذا حاربكم فدافعوا عن انفسكم وكاتب المذكور رئيس الغتيا العلامة الشيخ أحمد بن حسين وطلب منه التوسط في الصلح مع الحكومة وحاصل مطالب الجميع ابطال الاداء المحمد يدوعزل الوزير مصطفى خزنده دار ومحاسبة فامتنع الوالى اولامن جميع مطالبهم واشتد الكرب على الحكومة حتى لم يبق امر الوالى نافذا الا في المحاضرة ونحو اثني عشر ميلا حولها واشتد الخوف في المحاضرة وقدمت اساطيل الدول واسطول الدولة العثمانية وفيه رسول سياسي انزل في قصر الملكة بالمحاضرة وقد اخذت نواب الدول في المنازلة وفي قبائل القطر وبالدان كل بما يوافق سياسته وكان من جملة الحاج قدس الفرائسي على الوالى لارجاع الراحة عزل الوزير خزنده دار لكنه خاطبه بذلك شفها كما هو مشهور في البلاد ورأيت بخط الوزير ابن أبي الضياف وأصر الوالى على الامتناع الى ان أحضر الوالى معسكرا قليلا وجهه تحت رياسة اسماعيل السني مليل الاعراب له لصدقه ثم خلفه الوزير رستم عند مرض الاول ووقع الاتفاق مع جمهورهم على اعطاء الوالى الامان الى الجميع واسقاط الاداء المطلوب وعفا الله عما سلف وكتب الوالى بذلك أوامره وبأشر باعطاء الامن كل من وفده عليه من الرؤساء وانتهر الوزير الفرصة لابطال القوانين بدعوى ان الثورة قامت لطلب ابطالها وما سمع ذلك من أحد لان أصولها لاتنافي الشريعة وغاية ما تكلمت فيه الناس هو فروع منها وذلك انهم أنكروا كون قوانين الاحكام الشخصية لم تكن شرعية في كثير من المسائل ونسبها للجهلاء الى انها كلها مخالفة للشرع لجهلهم ولزويتهم هيئة الحكم على خلاف ما تعودوه في هيئة الاحكام الشرعية وللتصريح بقصر الاحكام الشرعية على أبواب خاصة دينية ولعدم ادخال الحكم الشرعيين في الحكم بالقوانين ولان بعض من ادخل في الحكم لاجدارة له بها حتى خرج عن طوره بما لم تقم له انفس المعاصرين ولانه أجريت القوانين دفعة واحدة في جميع الانحاء حتى في القبائل التي لم يوجدان يوظف فيها من يعرف القراءة والكتابة التي هي ضرورة في المتوظف وصاروا يجتبطون بجهل عشواء وكذلك مل الاهالي من التطويل الزائد في الاحكام على ما هو عادة الاشياء في مبدئها فهو في الحقيقة ارادة لاصلاح نفس القوانين لا كره ذاتها بديل بل ان المجلس الاكبر لم يتعرض له أحد من العامة والخاصة بالقدح فيه الا بعد اشتهاله على افراد من جهة الملكة حذاق لكي يعرفوا بما يليق بأحوال اطراف القطر والحال ان المجلس الاكبر هو روح القوانين لمحافظة على أساسها السكن الذي لم يكن له قصد سوى الامن على نفسه

وقد وجد والى لا يخشى منه إشاع هو ومن كان على شاكلته ان الناس يطالبون
ابطال القانون وقد دأمت تلك الاشاعة وابطل القانون والدليل على ان الناس
لم يطالبوا ذلك المكاتب التي أرسلها قنصل الانكليز تسجيلا على ابطال المجالس
ومفهومها قاض بعوافقته قدس فرانس على ذلك وان كان سر الامر هو الاغرام من قدس
فرانس ابطالها الماذكر في سياسة فرانسايونس ونص تعريب مكتوب قدس الانكليز
الاول في فبراير سنة (١٨٦٤ م ١٢٨٠ هـ) المعروض على جنابكم الرفيع انى ترى
من الواجب على ان نذ كر جنابكم في هذا الوقت الذى احواله ازم جنابكم الرفيع
توقيف ترايب الحنان المؤسسة على الحرية في بلادكم فان هاته الترايب وقعت
الوضاية في شأنها وكان ترتيبها ملاحظة الدولتين الحبيبتين الانكليزية والفرنساوية
وجنابكم وعدهما اذ ذل ربهما باقيا لها وابقاها على جميع قوتها وعدم تغييرها ووكيل
الدولة الامبراطورية الفرنسية ورد له الاذن من دولته كما وردى الاذن من دولتي لانهما
على اتفاق واحد في المنازلة وفي المثل على طلب ترتيب المجالس المختلطة بسرعة لفصل
نوازل الجنايات والنوازل المتجربة لسايلزم من الوقت لعمل القانون المتجربى ولما كان
الاذن المذكور الصادر لنا من دوائى الذى تشرفت بعرضه على جنابكم بمكتوبى
المورخ في (١٧) اشتهر سنة (١٨٥٧) وهو نظير الممكتوب الذى خاطبكم به موسيو
روش ناصوا ولم تزل المكاتب موجودة يجب ان تكون سير نواب الدولتين في هذه
المملكة على مقتضاها ولذا يجب ان نطلب من جنابكم بشدة حرص امرا زائدا على ابقاء
المجالس وهو المبادرة الى المجالس المختلطة الموعود بهما منذ زمان طويل وبمقتضى
ما تقدم من الاذن طالت مشاركة قدس لجنرال دولة فرانس في هذا المطالب كما يطالع
جنابكم على نسخة مكتوبى اليه وهو موسيو دين بوفال هذا وازيادة على الوعد
الرسمى الذى اعطاه جنابكم الى ملكى انكلا تيره وفرانس بجمع قطع الترايب المبنية
على الحنان والقدن التى اعطاها جنابكم لبلاده لايحق عليكم ان دولة انكلا تيره عقدت
مع دولتكم شروطا تقتضى دوام الترايب المذكورة لانها هى المحافظة لحقوق رعايا
انكلا تيره في هذه المملكة ومع وجود ذلك فتمديد ترايب الحكومة الآن والرجوع
الى السكيفية القديمة بدون سببية اعلام للدولتين الانكليزية والفرنساوية بمقصود
جنابكم يظهر منه في السياسة انه فعل يدل على نقصان الاعتبار ولا شك في عدم وقوع
ذلك من جنابكم مع دولتين حبيبتين وايضا يظهر منه انه غير صواب مع الدولة

الانكليزية التي في شروطها الاخيرة صدقت امان الحكومة التونسية وعظمة الدولتين الى جنابكم توجب على عدم الزيادة في المشاق الموجودة في حكومةكم بمطالب تشق في هذا الوقت وليكن واجبات خدمتي تلزمني ان اطلب منكم رسمه سادام الاصول المؤسسة عليها ادارة الحكومة وخصوصا اني اترك لجنابكم انتخاب الكيفية التي تظهر لجنابكم انها الاثقة ومناسبة لاجراء تلك الاصول والجنوس المتقدمة في التمدن ربما لزمهم في ازمان متعددة بدون ان يتعرضوا للاصول المؤسسة عليها قوانينها تبديل كيفية العمل بها وهذا الباب مفتوح لتونس اقتداء بالدول الاوروبية الذين لا شك في فطنتهم وحكمتهم وهذا الامر يظهر لي انه سهل حيث ان التشكي الواقع من زيادة الاداء ومن تطوير المجالس في الحكم يمكن دواؤه بما تنهني به البلاد وترجع الى حالها الاصلى وهذا أعظم دليل على حسن خالق الرعاية المستنخبة من هذه التراتيب لانه لم يوجد في توار يخ تونس مثل سيرة القبايل في هذا الزمن لما لهم من الشكايات وهم مقتنعون على عاداتهم السابقة في سالف الزمن لكن لم يتعرضوا بسلاحيهم الا للاحقة ممن اداء ثقل فوق طاقتهم اه تم كاتب الوالي ايضا بما نص نعرية في مايو سنة ١٨٦٤ *
الواضع اسمه أسفله يتشرف بفتح يرميا في وهو اني لما اعتبرت شأن الحال الغير المترقب الذي عرض لحكومة تونس رأيت من مقتضى الوداد ان لا اعطى سيرهم لها بما لا يقتضيه الحال ومع ذلك حيث لم يبلغني اعلام رسمي منكم بشرح كيفية مقدار التوقف الوقتي الذي وقع في قيود العمل لاجل الامر هافقدو يجب على الواضع اسمه ان يطلب التعريف في ذلك كما انه يجب عليه المحافظة بمقتضى هذا المکتوب على ابقاء ما حصل لدولة بريطانيا العظمى من الحقوق التي لا نزاع فيها بمقتضى شروطها مع علي جناب الباي محافظة متعلقة بما يسها بمقتضى التوقيف الوقتي المذكور في الواضع اسمه يقرر للجناب ان تلك الحقوق معقدها الاعتراف العمومي وقد لزم شرح الاسباب المعنى عليها تثيره وهو ان المرخوم سيدي محمد باي والجناب العلي ادام الله عزه لما اصدرا عهد الايمان فهما ووزراؤهما والمفتون والقضاة وجميع علماء الشريعة البشرية خلقوا بيننا وكدايمهم باستدعاء حضرة وكلاء الدول الاجانب بانهم يحافظون على الوفاء بعهد الايمان بجميع شروطه وابانوا ان عهد الايمان جزء من شروط الشريعة البشرية والعلماء الكرام المذكورون ورجال الدولة أشهدوا الله على صدق نيتهم في ابقائها على الدوام والاستمرار من يوم صدورها فاصادوا ان دولة بريطانيا العظمى اعتدت

على الوفاء والاعتماد الذي لا يمكن منه فسخ لعهد الامان بمقتضى هذه الايمان وعقدت مع على جناب الباي اتفاقا منعلقا بأمر منصوصة فيه فينتج من ذلك أن الحقوق المسلمة لرعية الانكليز ولوازمها التابعة لتلك الحقوق بمقتضى الاتفاق المذكور معتمدا هو عهد الامان والقوانين الناشئة منه وبذلك صار حقان حقوق الدولة الانكليزية بمقتضى ان تطامع بسبب ذلك على حقيقة الحال في شأن عهد الامان هل هو عامل بجميع شروطه أم لا وكذلك توقيف القوانين الناشئة منه هل هي معالجة وقتية ثم هل الحكومة التونسية مرادها بان تجري في المستقبل الاصول المقررة على صورة مناسبة لحفظ مكاسب الانكليز في العمالة التونسية وتأمينها والواضع اسمه يطالب بحرص واجتهاد لا ينافي الادب والتواضع جوابا شافيا شارحا للاستفسارات المسدورة لخبيرها دولة ملكته المعظمة وكذلك ان الواضع اسمه يبقى ويحتفظ على لسان دولته في حقها على جميع الحقوق ولوازمها والكفالات التي أعطيت لرعايا الانكليز بمقتضى ما هي مبينة بالاتفاق المذكور ويقرر ايضا ان ذلك الاتفاق اتفاق عمومي لا يخالف فيه من الجانبين اه واعاد الكتابة في يولييه الموافق لاو اخص فرسنة (١٢٨١) ونص تعريب الممكتوب الواضع اسمه أسفله نائب وقنصل جنرال حضرة المعظمة ملكة بريطانيا العظمى قد تشرف بمخاطبة الجناب العلي بكتوب مؤرخ في مايو سنة (١٨٦٤) طالبا منه الشرح في شأن التوقيف الوقتي الذي وقع في رسوم العمالة بسبب أمر غير متوقع وقد أبقى وحافظ على لسان دولته في حقها على الحقوق التي يستعمل النزاع فيها الحاصلة لدولة المعظمة الملكية بموجب اتفاقها المعقود مع على جناب الباي بمقتضى عهد الامان والقوانين الناشئة منه وتوقيفها خمس الحقوق المذكورة وان الواضع اسمه لا يمكن ان لا يحصل له في النازلة شيء من الفكر لانه يرى انه مضى شهران ونصف ولم يتشرف من الحضرة برد الجواب عن مكاتوبه واماواة الحكومة التونسية لم تقع معارضة غير ضرورية في سبيل اطلاق عملها وانما الواضع اسمه أنه الاذن بعد ذلك في تقوية عهد الامان بسند مع ان دولة المعظمة الملكية لها اعتماد بان عهد الامان لما كان مبنيا على شروط الشريعة لا يمكن نقضه الا بقتض نفس الشريعة ولم تتخيل ولا يخطر ببالها بوجه من الوجوه ان السادة الاجلاء المفتين والمدرسين للشريعة الذين حلفوا بمينا على ابقاء عهد الامان ان يرضوا بان يشيع في العالم مالا يناسبهم من وقوع الشك في وفائهم بمعااهد واعليه ومع ذلك دولة المعظمة الملكية ترى في الامور المتعلقة باتفاق

عمومي بينهما وبين الحكومة التونسية أعظم اعتمادا دون الاعتقاد العمومي وهو صدق
 الباي ومحبة في اجراء العمل كما يجب بقتضى الاتفاق المذكور فذلك الواضح اسمه
 يرجعوان على جناب الباي يتفضل بالجواب عن الاسئلة الميمنة في مكتوبه المؤرخ في مايه
 وذلك لاعلام دولته بجواب مقنع فأجابه الوالى في ذلك التاريخ بان عهد الامان باق
 على قوته ومنه ومه فلو كانت الاهالى طالبا ابطال القانون لما استطاع القنصل
 ان يسجل ضد الراى العام فيما يرجع اليهم على انه قد صرح رسميا بما هو
 مطلوبهم كما هو بين من تدبر عبارة مكتوبه وكذلك ما نسب الى قنصل الفرنسي ولو
 كان امتناع الاهالى من القوانين موجودا لكان للواى أعظم حجة في العمل بدليل انه
 يحتاجه في خلواته على من لا يقدر على معارضته ومن وقتئذ تسلطت ايدى العمدوان
 على الاهالى بسلب الاموال والقتل والضرب بالسياط المؤدى الى القتل لان الوزير
 اشتد حنقه عليهم حتى دخل عليه أحد الاعيان يوما وهو يقول طالما وادى فلا أرضى
 الا بدما ثم طالما وادى فلا أرضى الا بأموالهم ولعل مراده بطلب دمه هو طلب عزله وقد
 اعتادوا في بعض الوزراء السابقين قتلهم فظن ان العزل يودى للقتل والا فنفس قتله
 لم يطلبه أحد أما المسال فزعم قد طالما وحسابه وأوليا كورة بعد ابطال القوانين افتتح بها
 لاهل المحاضرة مع انهم هم وحدهم الذين بقوا خاضعين للحكومة الا انه كثيرا منهم
 السكلام في انصاف مطالب الاهالى فجاء أحد اعيانهم المسمى محمد بن مصطفى عجم الشهير
 فيهم بالوجهة بمحرم دتمته انه أغري بعض غلمان القصر الاميرى بالهروب فجاء خمسمائة
 سوط مؤلفة بعضهم واحد نحو اس والواى لا تقاها وكم حال عددها وسجن مع الاعمال
 الشاقة في الكراكه ومنهم محمود بن سالم أحد الاعيان من التجار وأحد أعضاء مجلسهم
 ادعى الوزير انه اشتكى به اليه من جماعة الجحاس وبعثه ومن أغرب الامور انه لما لاذ
 أهل المسجون بالوزير طالبا بن تسمى بيه أو بيان ما هو مطلوب فيه ارسل الى جماعته يسألهم
 ما هي شكاواكم التي سببنا بها الرجل فأجابوه ان جنابه أعلم به ما منهم لانه اعتمدها حتى
 صاقر الرجل بالسجن كما حصل لرجال الحكومة اشياء فتم انه هجر على الوزير براسماعيل
 السنى الذى اعتمد في حل عقدة الثورة وعلى أمير الامراء رشيد الذى سافر بالعساكر الى
 الاستانة في حرب القريم وأمير اللوا الشريف السيد حسن المقرن الذى له اليد
 البيضاء في حفظ الراحة في الثورة في المحاضرة وحسين ورديان باشا وخسوف وعلى جهان
 وونس المحزيرى أمير لوا وحسن المدبلى أمير الاى والسيد محمد المقرن ومحمد بن الحاج

رئيس مساكر زواوة الذي جمعهم له عند عدم وجود غيرهم في الثورة واعانه بما استطاع
 فجبر على جميع هؤلاء في الخروج من بيوتهم وخاطلة الناس لانه كان يوحس منهم
 الاعتراض على التصرفات ثم قتل الاولين في بضع دقائق من غير سماعهم لدعوى ولا
 حجة ولا استشارة وارتجت البلاد لذلك وشغعت القناصل سيما المرانساوى والاذهكلينى
 وسجلوا تسجيلا شديدا فمكاتب الاول اى الفرنساوى الى الوالى بما نص تعرييه اني اتم
 خدمتى التي ساهى اتمامها وهى اعلام دولة الامبراطور بالحادث الموجه الذى لو
 قصر باردو بالدم فان الفريق رشيدوزير الحرب كان رئيس العساكر التونسية في حرب
 القريم والفريق اسماعيل السنى صهر جنابكم وقع قتلهما في القصر بمجردهم لم
 يقع اعلامهما من صدرت ومن غير ادنى وجه من أوجه المحكم فلم يتيسر لي السكوت في
 مثل هذا الامر وكان همى ان اقرر بجنابكم التأثير الذى لا يدان يقع من ذلك وفي سبيل
 هذه سمعت اذن جناب دولتى التي استحسنتم فعملى المذكور استحسنانا ما وان كنت
 مأذونا بعلام دولة جنابكم واعلام حضرتمكم العلية نفسها بالتأثير الذى وقع بجناب
 دولة الامبراطور من قتل الشخصين المذكورين ولم تتوقف دولة جنابكم في تعميلها تلك
 المسؤولية العظيمة كما انى مأذون ايضا بان اقرر بجنابكم التشويع الواقع من مشاق هذه
 الاحوال التي لم تزل تعظم من سائر جهاتها (انتهى) وكتب الثانى اى الاذهكلينى
 للوالى ايضا بما نص تعرييه ان الملاحظات الشفاهية التي تسامح الواضع اسمه أسفل هذا
 المكتوب في عرضها على على جنابكم فيما يتعلق بالامور الموجهة التي وقعت بقصر باردو في
 شهر التاريخ لا يدانها القادت جنابكم بانها صادرة من التأثير القوي الذى عندى في شأن
 همة جنابكم ومصالحكم وفي شأن التأثير الموجه الذى سيقع بان بكثرته من ذلك ودولتى
 لا توافقني اذا ادعيت التدخل في تصرفات الدولة الداخلية التي يظهر بجنابكم استعمالها
 لحفظ الراحة العامة من مقاصد بعنى الاضرار وبعد الشرح والتفصيل الذى تفضل به
 جنابكم على لا يبقى لي شك في وجود جميع كافية أظهرت بجنابكم توقع مقاصد موجهة نحو
 ذاتكم العلية لا تلافها في قصركم نفسه ولا شك ببناء على كونكم كبير الدولة ان يكون لكم
 الحق في استعمال سائر الطرق اللازمة لحل تلك العقدة التي مؤداها اتلاف ذاتكم العلية
 ونواب المملكة وان كان بسبب كون جنابكم هو شخص الدولة المرتبة شرعا فصالحكم
 تقتضى ضرورة انكم لا تسعوا الاباسم الشرائع وعلى مقتضاها فانها أحسن ضمانة لكم
 ولا يبعد عنها الا التعمد عليها بفساده وبعد ان راضت نفس جنابكم وتأملت في الاحوال

لا شك انكم تحققتم ان الخطر الحال الذي كان فيه جنابكم لم يكن حجة كافية في قتل
فريقين من دولتكم لان في تباعدكم عن طريقه سيرتكم المعتادة بعد اذن القواعد السالمة
المرسومة في القوانين التي منعتكم بها بلادكم وهي وان توقفت بالضرر وبالموجعة المخارقة
للعادة فانهم لم تنزل موجوده مع ان دولتكم مطلوبة بالشروط المنعقدة بينها وبين
بريطانيا العظمى وجنابكم معترف بهذه الحقائق غاية الاعتراف لانكم لم تتوقفوا في
اقراركم الرسمي بانكم تحترمون القواعد المذكورة وذلك بكتوبكم لمسيو أوورد المورخ
في (١٨) اغسطس واسنائه ناظر عن مدة توقيف القوانين وقد حصل لي سرور لما حقق
لي جنابكم بانه لا يقع في المستقبل مثل هذه الامور الموجعة التي وقعت واعيد القول
لجنابكم اني لا اتدخّل في البحث عن جرم الجناية التي يمكن ان الشخصين المذكورين
ارتكباها لان انسانية جنابكم التي كثير من أدلتها كافي لي بان جنابكم كان متحققا بانهم
قتلوا على حق ومع هذا التحقيق كانوا ان كيفية الحكم تكون على الصورة التي تقتضيها
القوانين دفعا لما عسى ان يتهمكم به اعداؤكم فان جنابكم لم تثبت ولا يوجد شك في
مساعدة ان القوانين هي أقوى الضمانات التي نسند اليها الملوك كأفراد الناس وقد
رأينا في كل وقت ان كل من بعددته المستعمل القوة المادية في تصرفه يكون سببا
لاعدائه في أن يفعلوا معه كذلك مقتضى آثاره وأرغب من فضلكم المساعدة في هذه
الملاحظات فانهم لم تقصدا الامور والاحوال التي فادت لسوء البخت ولا يتيسر لاحد
اصلاحها وانما المقصود بها الطاب من فضل جنابكم أن تتذكروا ان بلادكم لم تبعد كثيرا
عن أروروا وانها اذا لم تتقدم مع تقدم العصر فان قواعد التمدد اخلته في كل مكان
تعمها ولا يتيسر انصرف الا سن كما كان في زمن الجدد لان كل عصر له احكامه واحكام
هذا العصر لا تقتضي ان الحكم الذي سبقه على الاسرى الذين لم يزلوا في العسكر ان الامير
يتصرف فيهم بما عنده من القدرة ويرى ان الحق له في التأمل بذاته في نازلة شخصية بل
يلزم توفيقه حق التهمين لدى مجلس وانه يسمع مقالهم ويخاصمون على انفسهم ويبرءون
انفسهم من التهمة الموجهة عليهم فاذا أثبتت جنابكم بالقانون بحكم وبهذه الكيفية
تستفظون على همتكم ولا تأخذون من القانون الا الرفيع العالي في حق الملك وهو العفو
عن المحكوم عليه (انتهى) ثم جميع الولى جميع رجال الحكومة وأخبرهم رابلي في ذلك
اليوم الوزير خير الدين البلاد الحسن بقوله القرائن التي ذكرت لا تثير لونا فضلا عن القتل
ثم على فرض صحة التهمة فيعديا قافهما كان الواجب اقامة الدعوى عليهما وسماع

جواهرها عليها الى غير ذلك من الاعمال الواجبة وغاية المحبة في قتل الشهيدين هي التهمة باعانة أخ الوالي محمد العادل باي على الهروب مع انه لم يذكر في معرض الاحسان معه الارشيد ولم يرجع على اسماعيل بشيئ ورشيد نفسه لم يسمع الدعوى ولا قامت عليه حجة وادجج في اثر ذلك نفى جميع من تقدم ذكره وكان في اثناء ذلك الوزير حسين خارج المملكة لما توقع من عظم كربها بعد تسليمه في جميع وظائفه فنجبا مما لحق غيره ولحق به الوزير رستم فلم يبق من يعترض على النصرفات من رجال المحكومة وأما أهالي بتيمة القطر فقد أحيا فيهم ما ذكر خبره ونسي ذكره من تسليط الحزب الحسيني على الحزب الباشي الى ان خضدت شوكرته واصق بالارض ثم كرع على هذا الحزب أيضا ولحق بصاحبه فعانت أيدي الاول بأهل الساحل وقتلوا النساء والصبيان مع معسكر الوزير أحمد زروق الموصى بالنكال وأحدث فيهم ما تقشع من سماعة الجلود من قتل أربعة من رؤس الساحل حكما هناك ولما أتى أهل الجاس الشرعي بالاستير رئيس المعسكر أحمد زروق قابلهم بعسف وأحكم الاغلال والقيود في أعناقهم وأرجلهم وأمر بإزالة عمامة رئيس المفتين بافظ مستهجن وحامل وفد صفا قس بما يقرب من ذلك وسجن القضاة وحكم أيدي النهب في الجميع وقد رايت بخط الوزير السكاكيب لاسرار الولاية في معرض ما حصل من أحمد زروق ما نصه وبالجمل في جميع ما ينسب في هذه الوجهة لأحمد زروق انما هي نسبة تنفيذ لانه مقيد بالنصرف بما يرد اليه في الامر في كل نازلة الخ مما يصدق نسبة ما ذكرناه الى صاحب النصرف وان كان أحمد زروق تفاخر بما صنعت حتى رآه بعض رجال المحكومة الكاردا خلا الى جامع الزينة وهو لا يس له عمله وقد جرى العمل باحترام الجوامع بعدم دخولها بالنعال فقال له في ذلك فأجابته برأى من الناس وسمع بقوله لولاى لربطت في هذا الجامع خيل أهل الساحل مع أن أهل الساحل معلوم اسلامهم وعلى فرض منعه المسجدين ذلك لا يسوغ له ذلك جوارهااته وهذا الرجل أعنى أحمد زروق لم يزل مقر باعند الوزير خزونه دارا الى ان انفصل عن النصرف ومن تصرفاته في تلك الوجهة انه فاس الشيخ محمد الصويح رئيس الفتوى بالاعراض وغرم أهالي تلك الجهات أموالا كثيرة افنت الطارف والتا لدوبقوا في قيود ديونهم المقتلة للاجانب الى هذا الوقت بحيث يصح أن يقال ان جميع ما يمكن ان يباع قديس ومالا يباع كالوقوف وجميع ما تحصل من كسب أبدان أهل الساحل كله دفع للاجانب بسبب ديونهم ولو افردت نازلة الساحل وحدها بتأليف الجاه مستكبرا لا زيادة على القتل والسجن مع الاعمال الشاقة

وضرب السيماط الموحع أو القائل حتى ان الوزير خزنة دار المذكور لما رأى خروج
الضرب عن حده في السيد الشريف على بن عمر من أهل مسكن مع من أتى معه الى محل
حكم الوالى أظهر الله شدة وأرسل الى لاعوان وقال لهم ان سيدنا أمر بضرب هؤلاء
لا يقتلهم فان القتل آلات تخصه وانما أسند الامر للوالى لان ذلك هو ذاب كما تقدم من
عدم مكافئته لاحد عبايو جمع ويسند جميع الاعمال للدولة وأما جهات القطر الاسر
التي سافر اليها المعسكر تحت أمر الوزير برستم فلم يقع بها من المضرات ما وقع بالوالى لانه
اقتصصر على مجرد قود الطاعة واستتلاص المال الممكن الا الهالى وعلى بالمثل القائل ولى
أذن عن القمح شاء صمما عن الاوامر التي ترد عليه في سلب اللحم والعظم ومن ذلك
النار يخ حصل تغير الوزير خزنة دار عليه الماذكر مع تعرضاته لتصرفات العمال على
غير الوجه المعقول وكذلك المعسكر الذي سافر تحت امرته ولى عهد الولاية أمير الاحمال
أبي المحسن على باى فقد اقتصصر فيه على مثل ما ذكر واستعطف أحاه في العفو عن كثير من
رؤساء تلك الجهات وانكرت عليه تلك السيرة ممن يريد الخراب حتى أرسل معه ابراهيم
ابن عباس الرايحي قائد زريد وأمر أمير الاحمال باتباع اشارته وتنفيذ أمره لكي لا يجرد
الامير سبيل الالة عذار عن الناس مع ما هم فيه من الفقر وضيق الخناق بسبب ذلك بين
جذب ودفع لما في طبع هذا الامير من النفرة عن تلك السيرة وكان ذلك سبب اللوشاية به
لاخيه واتهم مستشاره المقرب محمد الطاهر الزوش باذية الاهالى ونسب اليه بعض
ما صدر من ابراهيم بن عباس المذكور والحال انى رأيت بخط كاتب اسرارهم الوزير
أحمد بن أبي الضياف المذكور في وصف المستشار المشار اليه مانصه واعتقده باى المصلحة
في الوساطة بينه وبين الناس وجدت بذلك سيرته الخ وذلك هو المعروف عند السكان
في العناء على أعمال المستشار وتوصل الوزير خزنة دار بعبارة تقدم الى ابطال سفر الامير
المذكور بالمعسكر على عادة اسلافهم واستعوض عن ذلك بسفر أحمد زروق المذكور
ثم ان مارقته كل من الامير على باى والوزير برستم قد خوته أيدي العمال والبعوث التي
وجهها الوزير خزنة دار واتى باعيان من قبائل الجهات الغربية والشمالية يبلغون نحو
المائتين وأغلبهم كان في خدمة الطاعة وابلوا في قود الاهالى وارجاعهم للسكون البلاء
الحسن ولا ذنب لهم الا كسبهم وأوقفوا في صحن البرج من قصر الحكومة ببارد وخرج
لهم الوالى وخاطبهم بانه لولا شفاعة الوزير لأمرو بقتلهم وليته لم يشفع لانه أى القتل أهون
الموتين ثم حكم عليهم بالجلب بالعصا وأرأيت بخط الوزير الكاتب المذكور في قصة هؤلاء

الرهط الذين منهم الشيخ الهرم المنسوب الى الصلاح الحاج مبارك صاحب زاوية تاله
 مانصه فبقدمت مرده العذاب الى ما كرم الله من ابدان بنى آدم يكبون الواحد على وجهه
 وسحبونه على الارض موثوق اليدين والرجلين ودام الضرب في اولئك المساكين
 يومين او ثلاثا تجرأى ومنع وفي خلال ايام الضرب قدم ابن ملكة الانكليز سائحا فلم
 يقع الضرب يوم قدمه خشية وقوع الشفاعة منه عنده شاهده ذلك الحالة القذبة
 الشنعاء واستم الضرب باعداده واتقانه سبحانه وباسلاسلهم واغلالهم ومات منهم بسبب
 الضرب الذي لا تتحمله القوى الحيوانية على بن عباس شيخ تاله ونجحت روحه قبل كمال
 عدد الضرب فكم لو العمد بضر بشلوه وهو ميت ومات بعد الضرب الحاج مبارك شيخ
 الطريقة بتاله المار ذكره ولم يسمع منه حالة الضرب الا قوله ياربى ياربى الى ان اغشى عليه
 والحاج صالح بن التليلى من بيوت العراشيد وغيرهم وعدد من مات بالضرب في أقل من
 عشرة ايام سبعة عشر رجلا اه كلامه باختصار وسجنت خلائق مع الاعمال الشاقة
 ونهم على بن غداهم بعد تأكيده الامان اليه وقدمه مع ابن القطب الصالح سيدى أحمد
 التجاني رضى الله عنه وبقى في حبس مظلم ندى الى ان مات وكذلك كثير من سجن ولا
 يمكن احصاؤهم وفشا الخبر في الاتفاق واستغفله من سمعه حتى ان نابايون الثالث
 امير اطوار الفرانيس اثر رجوعه من الجزائر الثورة وقعت فيها ومهدا باطوف وتجنب
 للإهالى بسعيه بنفسه وكان ذلك في أثناء الهرج بتونس خطب عنده وجوعه وذكر
 أسباب ثورتهم من جهلهم بما يراهمهم وعدم سلوك الطريقة المناسبة لوصولهم وأثنى
 على عساكره ثم قال وبعد الحرب واطعام الثورة لم يقع منها انتقام ولا شدة ولا مائة نقص
 النصر الخ وكان الدولة الاسلامية لم يبلغها الحال الذي لم يزل شبهه الى الآن مع نص
 الفرمان المخالف لذلك ومع هذا التعتيب في الابدان فقد اتى على أموال الاهلى عن
 آخرها ولم يبق للابدان والقرى وقبائل العرب شيء مما يسد العوز ومن كان له أدنى شيء
 من القوت كان يخفيه ويرسل نسوانه لا لتقاط العشب وعروق الاشجار لقوتهم ولقد ذكر لى
 أحديته وثبات دريدانه كان يرسل نسوته الاثني لم يعهدن النطوف في انبارى لجلب عروق
 الترفاس وينشره على ظهر بيته ليراه أعوان العامل ويطلع الا القمع في الماء من غير طعن
 ليكى لا يسمع الناس حس الرخافيتهم بالمسال وذكري أحد الثقات من التجار انه كان يوما
 جالسا عند ابراهيم العامل المذكور وهو يوصى نائبه العازم على السفر الى القبيلة ويحرضه
 على جلاص المسال فاجابه النائب بأنه يعمل غاية جهده بحيث يبيع كل ما يجد فن وجد

عنده نعمة بآلهة او من وجد عنده نعمة بآلهة او من ومن الى ان قال وفي اقرب وقت ثم خلاص
مال الدولة وترجع فخفي عليه ابراهيم ووبخه وقال ان مال الدولة لا يضيع وانما القصد
مال الوزير فقال له الحق معك هو مقدم وذبح على ذلك العزم هذا كلاء بعدنا كيد
الامن الذي ندع لرعية بالكتابة والكلام فزيادة عن الظلم هوشين على الخاش وقد
ذكر الوزير حسين قبل ان نروجه من القطر والى بامانه عند قدوم اهل الساحل طائفة
فخفي عليه واجابه بما يكره مع وجوب الوفاء بالعهد عقلا وشرعا وما كفى الناس ما هم
عليه من الفقر المدقع والمظالم التي لم تعهد اذ ذهابهم الجوع والقحط المتسببان عن
حبس المطر كثرة الظلم وعن فناء الاموال التي تعمربها الارض في الفلاحة واشترك
في العسر حتى اهل الحاضرة لا تباع مكاسهم مكاسب بقية اهل القطر فقامت افواج
الاقوام تراهم من كل حدب ينسلون متوجهين الى الحاضرة والمدن وما وصل اليها الا
القياميل انفسهم مرض الحمى الخبيثة فيهم وكان مرضا مستويا فني خلافتي لا تخصي
وبقيت أكثر جثثهم في الفلاة للوحوش بعد ان أفنت منهم السكواير اعدادا وافرأفن
ساعده الاجل ووصل الى الحاضرة مات منهم أكثرهم في الطرقات ثم ابتدر افراد من
اهل الحاضرة لا غانة اولئك المساكين وعقدت لهم جمعية يرأسها المقدس سيدي حسين
الشمري ب نعمة الله وأذن الوالي في عقدها وجعلوا يجمعون المال من الاهالي كل على
حسب استطاعته على حالة ضعفهم الحالي الشديد التي كادت ان تلحق كثير منهم
بأرائك الوافدين المساكين وشهرت الجمعية عن ساعدها المجدة ونخفت بعض الضرر بالقوت
والمسكن وان كان المرض تمكن منهم وصاروا الى حالة ضعف لا توصف وفشا فيهم الموت
الى ان صاروا اربعون خمسة فادون في نعش واحد رجعهم الله وقد كُتبت كتب لصديق
وهو غائب بوصف الحالة في القطر عند ما طلب مني أن أرسل اليه نسخة من ضرب مثل للحالة
المدكورة في القطر التوحي واصور ذلك بصورة واقعة تاريخية مما ينسب لرواياتها
بعض ملوك المانيا في القرون المتوسطة ونصهاراى بعض ملوك المانيا في القرون المتوسطة
من تاريخ المسيح عليه السلام رؤيا فها له أمرها فبحث عن معبر يعبرها له وهو عندهم
المنجم لان أصحاب التنجيم هم الذي كانوا يدعون معرفه علوم الحداث في فخر المعبرين
يديه وقال له الملك اني رأيت البارحة في المنام ماها لني أمره ولا يبعده شأنه عندي من مقام
فرعون في مصر في أيام يوسف الصديق عليه السلام وذلك اني رأيت ثلاثة جردان مجتمعة
فانذهت أولا قبل استمساكشاف حالها ثم غمت ثانية فرائت جردة من تلك الجردان على غاية

من الجحف والهزال بحيث ان سائر ضلوعها بادية ولا تستطيع الثبات على رجليها ورأيت
 الجرد الثاني على غاية من السمن يتعرعرع في مشيه ترعرع القنفذ ثم تأملت الجرد الثالث
 فرأيت به أعمى من كاتى عينيه لا يبصر بهاشيه فانتبهت ثم غمت الله لئله فرأيت الجردان
 الثلاثة معا على تلك الحالة فالسمين يقود الاعمى والاعمى يقود الهزيل فانتبهت وهم يتقارون
 فافتوى في رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون فاجابه المعبر بقوله سيدى ان رؤياك أشهر من
 ان نعر واسكنهما تكتب وتسطر أما الجردة الهزيله فهى مما كتبتك والسمين
 هو وزيرك والاعمى هو أنت أيها الملك يقودك وزيرك الى ما فيه صلاح نفسه
 وتقود أنت رعيتك الى ما فيه هلاكك وهلاكهم انتهى وكتبت الى صديقى في ذيلها
 ما نصه هذه حال رؤيا القرون المتوسطة أما رؤية حال القرون الاخيرة في هاته
 المحضرة * مما دهاها من النفوس الشريرة * فهى سنو يوسف عليه السلام التى
 كنت تعبر تلك الرؤيا * على ما فيها من البلاء * فلورأيت ما عليه القرار * لما كنت
 وعبا ولوليت منه القرار * من ذئاب تغتال * وتعالب تخال * مجتهدة فى قلب
 الرجال * ونشيت الرجال * وتعبان شاعرفاه لابتلاع الاموال * فيما لها من حال
 يرثى لها من رام النزل * وتخراشدها شاحشات الجبال * افتضحت فهاربات النجبال
 وهوت الابالة الى الزوال * وتمكن من القلوب الزلزال * وتقاربت الاسجال وانقطعت
 الآمال * وعدالصلاح من الحال * فقد فاز من نهض بنفسه * واستراح من فنة
 باطنه وحسه * اذا الآيات وردت على ذلك ناصية * فقال تعالى واتقوا فتنة
 لا تصيبن الذين ظاهروا منكم خاصة * ففاز الخفقون * وابتهلى المتأهلون ووالله
 العظيم * ونبيه الكريم * طامنا هضت عزائمى الى السرحال * فانتقم من قيود
 العيال * مع ما انا عليه من الوحدة عن أخ شقيق * أوقرب يخلفنى فيهم عند الضيق
 ولم استطع التخاص بكللى * لما يخفى مما يقتل كللى * وأقسم بالقمر أن * وصفات
 الرحمن * انى عرضت للبيع أملاكى * لا تخاص بها من اشراكى * واستعين منها بالاثمان
 فلم أجده من يصرف هذا الوجه عنان * ولومن أعيان الاعيان * فالتاس حيارى فى
 الاقوات * تأمهن فى جلب الضروريات * يكادون من القحط ان يكلوا الحديد *
 ويقولون هل من مزيد * وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله
 شديد * الى غير ذلك من زفرات تصعد * وجرات تتوقد * وازين بقوارع الطريق
 * وصباح على الابواب ونعيق * وضجيج بالاسواق * حتى تخالها قد التفت الساق

بالساق * فلاتسأل عن القلوب * ومادهاها من الخطوب * تمت فوضعت الاموال الى علام الغيوب
اه ومع تلك الحالة في الاهالي فغايت ما رجعهم به الوالي من الخزانة خمس عشرة ألف ريال
وله العذر لانه كثير ما باتت اتماعه بل قيل عائلته طاوله الى بعد نصف الليل حتى يرسل
وريره احدى عوانه الى حيدة بن عباد المالكف بعمل الخبز ليستقرض ما يمكن ان تنعش
به عائلة الوالي والوزير غاية ما تكرم به على أولئك المساكين سبعة آلاف ريال وان كان
سيدى حسن الشريف الخ عليه في اعانة المصابين مرارا فيعطيه من خزانة الحكومة كما
انه في هاته الشدة ابلى البلاء الحسن كثير من الاهالي والاجانب مرارنا واقاموا بكثيرين
قوتنا وكسوة وسكنوا ودواوا واليهما جزى الله الجميع بفضلهم وفي أثناء المدة هرب العادل باي
أخواله الى جيل باجه حيث كان أهله اذ ذلك المأثرين بعد ان نسي مثل ذلك في البيت
الحسيني منذ نحو مائة سنة وسبب ثورته الضيق الحالى الذى حصل له من تعطيل مرتبه ومثله
سائر آل بيته واذ ذلك اضطرروا لعادة سفروا الى العهد بالمسكر فارجعوا احواء وقاد الطاعة ثم
أعيد ترك سفره هذا ويذمها كان القطر على هذا الحال فالاموال المستخلصة لم تكف
وجعلت الحكومة تستقرض من اوروبا قرضا بعد قرض فاول استقرض كان خمسة
وثلثين مليوناً لاس. تملك الدين السابق الذى قدره تسعة عشر مليوناً ولم يزل باقيه لم
يستخلص الى أن تشكل الحكومة سيون الاكثى بيانه وهكذا كل قرض يدعى فيه مثل
ذلك ويبقى الاصل على ما كان واشترى من تلك الديون بواحد حربية باضعاف قيمتها بلغت
أكثر من سبعة سفن منها فرقاطة سميت بالصادقية أصلاً كرويت فزيدت فيه طبقة
وصار شكلها مضحكاً لارباب ذلك الفن وقد شاع عند الخاصة والعامة ان القصد من شراء
تلك السفن وغيره مائة الف رباح من الوزير مع أصحابها ثم بما يستفاد من القرض وقد
بيع بعض ذلك الاسطول بثمن مؤجل واكثرى بعضه باصلاحه وذلك عند عجز الحكومة
عن القيام به بعد شرائه بنحو أربع سنين فأفلس المشترى والمكترى وذهبت السفن
وتمت المتجاوز خمسة عشر مليوناً فرنكاً سادى مع ان أصل شرائها الحاجة اليه سوى تحصيل
الربح من ثمنها والربح من الاسمة تقراض لدفع الثمن وشاهد ما وقع في شرائه مائة مدفع
مسدسة بليون فرنك فلما أرى السمسار ذلك الاتفاق الرسمى للبايع الذى باع تلك
المدافع بثلاثمائة ألف فرنك تهب البائع من الخس التباين بين الثمنين فأجابته
السمسار بان وزير تونس أراد ان يربح خمسة مائة ألف في هذا البيع وان لا تقدر على منعه
واسم مكافأة صالح حكومة تونس فربحت أنا أيضاً ما زاد على ذلك هكذا انفسا الخبر ولما

قديم ضابط فرانسواوى باستدعاء للتأمل فى سلامة تلك المدافع قومها بدون المائتين ألف فرنك لانها غير سليمة وبقيت معلقة على الارض بلا فائدة وبأشكال ذلك ربح السماسرة فى الاستقراضات وفى الثمرات ما صاروا به أغنيا حتى ان أحداها الى الشام المسمى برشيد الدحداح الذى انتقل الى فرانسوا صار فرانسوا يتوسط بوسائل لان يتخذه فى حكومة تونس راضيا بمجرى قدره ثلاثة آلاف وخمسة مائة فرنك أى سبعة آلاف ريال فى السنة قدر جمع الى باريس بعد ثلاث سنين أو أقل وبني بها قصر بها باشا مخاورا يتنزه فى أعز حارات المدينة وهى قرب شانزلى لوى وأخبرنى أحد الثقات هناك ان تجارة الرجل التى يخوض فيها يكسبه الخاص نحو خمسة ملايين فرنك حتى تصدق على إحدى معابد النصرى بستين ألفا فرنك كل ذلك من تعاطيه السمسرة للوزير المذكور ومثل ذلك القائد نسيم المارذ كره مع زيادة ربح ما يسقطه الطالبون من الحكومة لانه يسوف أصحاب المرتبات وغيرهم ممن يطالب المال حتى يسقط له مقدار مما يطلبه ويصحح فى الحجة انه قبضها كاملة وتماقم الامر أو اخر المدة الى ان بلغ الاسقاط أحيانا الى ثلاثة ارباع المطلوب والوزير لا يقبل فيه الشكاية ولا يخشى القائد نسيم فى أثناء الثورة العامة على نفسه ممرجه الوزير الى أروبا من غير أن تعمل معه الحكومة حسابا وبما فى بلده من ايطاليا وأرادت الحكومة التونسية بواسطة الكومسيون الاقضى ذكره فصل مطالبها من وريثة المذكور بالتراضى من غير خصام وجنحواهم أيضا الى ذلك وبينها العمل جار فى ذلك فاذا بالوزير خزنة دار حجاب أعيان الوريثة الى بستانه وهم موموشه شمامه وبناتان شمامه ويوسف شمامه وعرض على كل منهم كتابين أحدهما يتضمن اعطاء خمسة فى المائة للوزير خزنة دار مما يصح لهم من الارث والثانى يتضمن ابراءا ما للوزير المذكور مما عساه أن يطالب من جهة نسيم فامتنعوا من الامضاء على ذلك وتخلصوا بطالب مهلة للتروى وهرب مومو الى قنسلات فرانسوا ويوسف وبناتان الى قنسلات ايطاليا وأرسلت الحكومة محمد البكوش مستشارا خارجية والمترجم الاول بها كوتنى والقابض ليه شمامه الى سؤال المذكورين عن سبب هروبهم فاجابوا بما ذكر من مطالب الوزير خزنة دار وكان ذلك بحضور من القنائل وكتب التقارير فى ذلك موجودة بالوزارة والقنسلات اولئك سافروا الوريثة قبل فصل النازلة ووجهت الحكومة لتحرير الحساب والخصام معهم الوزير حسين ودامت الخصومة نحو تسع سنين ولا زالت الى الآن منشورة وماتت الديون فى أوروبا وعلموا ان القابض يستقرض اضعافه كل مرة لاجل خلاصه امتنعوا من الاقراض حتى جعلت

رسل الوزير يزدودون كل باب لذلك ولم يحصلوا على شيء حتى ان الياس مصلى المستشار
 الثاني بوزارة الخارجية ذهب لثقل ذلك وأحد المصاريفه تذاكر وسندات على المسألة
 باسم الحامل وطفق يبيع منها المائة بخمسة فرنكات وترتب على الحكومة بذلك
 أزيد من المليونين فرنك كالاجتناب أصحاب الاموال من ضياع أموالهم فالدائد عدل
 الوزير الى الاقتراض من الاجانب المقيمين بالخاضرة على أخذ كل منهم مهنه في يده
 يتصرف فيه من مداخله لالحكومة وهي المسماة باستقراض الكونغرس ويونات
 واستعان في تصرفاته فيما يرجع الى ذاته ولومن وظائف الحكومة بولده الاكبر واستغنى
 به عن السمسرة وظالمة بل واشتهر انه شارك في اسئلة التزام بعض مداخل الحكومة
 وفي التجارة في رقاع أمواله ورقاع الدول الاجنبية حاشي الصباغ أحد تجار اليهود كما
 داخله وقيل انه شارك في عمل الخبز وقبض اعشار الحبوب وصر فها وغير ذلك من موارد
 مصاريف الحكومة اميرالوا الجديدة بن عياد وولد على عمل ابن زرت وأطلق له التصرف
 بعد ان كان الوالي وأخوه من قبله يتجنبونه في الولاية لما استقر في النفوس من مظالم محمود
 ابن عياد وأغلب عائلته ولان جديدة المذكور محتم بالانكسار لثقلته الاحكام ومع ذلك
 فان جديدة المذكور لم يضر بالرعية وفيه جهة لارفق وأعان أهالي ابن زرت على مساعدتهم
 باقراضهم المال والحبوب ولم يحجف بدافعي الاعشار ولا بقاوض الحبوب وعامل أهل
 العلم معاملة حسنة واقصر في الارباح الوافرة على مايربحه من الحكومة مثل الربح من
 عمل الخبز فانه تبين بمقتضى الحساب الذي جعله الكومسيون أي اللجنة المسالية في
 السنين التالية بعد خروج الممحل من يد المذكور ان أرباحه كانت تقرب من الخمسين في
 المائة ثم سار أي الوزير عبر خد لاص أموال الحكومة لفقر الاهالي وتكاثر الطلب من
 الاجانب لاموالهم نقل وزارة المال بالاسم الى الوزير الشيخ محمد العزير بوعتور باش كاتب
 لكي يتحمل المصاعب ويبقى متحملا للقضاء بلا كره ولا رضوا الاموال يرسل اليها ابن
 الوزير اعوانه لخاصة هامن العمال باسماء مختلفة منها شراء مطالب من له مطالب على
 الحكومة مالى سواء كان من الطواري أو المرتبات ومنها الخراج تذاكر بقاء مداد من المال
 يؤثر فيها وزير المال بدفع ذلك القدر الى محمد بن الوزير في مصالح على يده من غير بيان
 وكانت ترد تلك التذاكر مكتوبة الى وزير المال ليحكم على حريتها لترسل لامضاء الوالي
 فلم يكن في وسعه الا الامضاء من غير أن يعلم شيأ من تلك المصاريف وذلك معلوم عند الجميع
 ولذلك لم يرجع على طالب وزير المال بشيء الكومسيون المالى على ان ما يمكن ان يرسله

(٤٠)

الهيال الى الحكومة ليست به الا جانب أصحاب الديون كانت تخطفه أعوان الوزير
خزينة دار من الطرقات حتى وقعت خصومات شديدة من الجانب في مثل ذلك ولما كثر
القبيل والفساد من الجانب في خراب القطر ووقوف حاله وأنه تلزم مساعدة الحكومة
للاهل الى رجوع شيء من رمة كان الوزير خزينة دار يقول لخواصه عجباً لهؤلاء القوم أو أنا
المطلوب بإبطال العرب للفلاحية أليسوا يعرفون بكيفية الحرث والارض موجودة في
منعهم من ذلك كأنه لا يعلم السبب لكنه أراد اسكات الجانب فاعطى الى الكنت
صانيس الفرانساوى أربع مائة ماشية أرضاً أى نحو أربعين ألف رسة مائة كجارت بحساب
كل ماشية مائة وثمانون وتسعون جمل ولا والحب لخمسون ذراعاً ويكون اعطاء المواشى
مدرجة على أربعة اقسام ومن شرطها أن تكون قابلة للزرع والسقى وان تعفى من
جميع الاداءات التى بواسطة والى بدون واسطة فى جميع ما يثبت فيها وما يربى من
الحيوانات وتنتجها ولزم بسبب ذلك الحكومة مشاق سيرد تفصيل بعضها كما فتح لجنة
انكليزية احداث طريق حديدية من تونس الى حاق الوادى ومنح لجنة طلبية اذية صيد
نوع من السمك كبير يسمى التين فى مصيده بالمستير ومنحها أيضاً معدن جبل ارضاص
واكثرى لها أرضه المسماة بالجديدة التى حصص فيها الحكومة المشار اليها عند الكلام
على سياسة القطر الخارجية ونشأ من كل مائة مائة من الصعوبات القاضى بها عدم
الغائدة وعدم اتحاد الحكم وزادت المشا كل بكثرة الديون وعدم المال وروج فى القطر
سكة من الفخاس كل قطعة منها مائة مائة ريال وكان مقدار ما روجها فيه مائة مائة
مليون ريال وعظم الخطب لامتاع الجانب من قبولها فى أثمان سلهم وديونهم العامة
لاهل القطر وباع سعر الصرف الى أن المائة ريال فضة تصير فى نحو ثمانمائة ريال وباع
سعر الويية من القمح الى السبعين ريالاً لتلك السكة وبعد اتفاق ما مضى به الحكومة
منها واشتداد الحال أنزل قيمة السكة الفخاسية الى أصلها حقيقة وهو الربع مما نفقت به
فصار نصف الـ ثمان ريال وضاعت على الاهالى تسعة ملايين سدى مع ما زاد على ذلك
مما جلب من نوع تلك السكة خفية وأكثر مما أصيب بالخسارة أهل الحاضرة فكانت
قسطهم من غرم المال وما باع الخزام الطيبين شتد الجانب فى طلب ديونهم وفأفضها
وقطع القس الفرانساوى الخطاة مع الحكومة ثم استرضته واستقر القرار على تشكيل
لجنة مختصة من الاهالى والجانب وسميت بالحكومة مسيون المسالى ونص الامر الصادر فى
ترتيبه بأمامه دمج فقد اقتضى نظارنا المصلحة مال مما مكتنا والربة والمتجران ترتب

كومسيونا

كوميوناما ليعلى صورة الامر الصادر في الرابع من ابريل من العام الفارط المؤكد بامرنا المؤرخ في التاسع والعشرين من مايو الموالي للشهر المذكور على الكيفية الاتية

﴿الفصل الاول﴾ الكوميون الذي صدر به امرنا المؤرخ في الرابع من ابريل سنة ١٨٦٨ يجتمع بحاضر تنافى مدة شهر التاريخ ﴿الفصل الثاني﴾ يقسم الكوميون المذكور الى قسمين مميزين قسم للعمل وقسم للنظر والتصحيح ﴿الفصل الثالث﴾ قسم العمل يركب على الصورة الاتية بيانها وهي عضوان من موظفي دولتنا منهم ما نحن أنفسنا وما نأظره الى فرانسيس نسميه نحن أنفسنا أيضا مدعيه من طرف دولة جناب الامبراطور ﴿الفصل الرابع﴾ قسم العمل هو المكلف بحصر المداخيل التي يتيسر للدولة أن تخلص بها ذلك ﴿الفصل الخامس﴾ قسم العمل يجعل دفترا فيه يقيده جميع الديون المتقدمة خارج المملكة ودخلها وهي التذاكر المسالية ورقاق سابق عام ١٨٦٣ وعام ١٨٦٥ وأما الديون الغير المحصورة بكمتراتوات فعلى حاملي تذاكرها ان يأتوا بها في خلال مدة شهرين وكذلك يسمى قسم العمل في الاعلان عن ذلك في جرنالات تونس وأوربا ﴿الفصل السادس﴾ مهما أراد قسم العمل الاطلاع على جميع الحجج الصحيحة المتعلقة بالمداخل والمصاريف فان وزارة المسال تجميعه الى ذلك حق الایجاب ﴿الفصل السابع﴾ بعد ان يقع حصر مداخيل الدولة ومقارنتها بمجمعة المصاريف مزاد عليها مبلغ الدين يبحث قسم العمل عن توزيع المداخيل العمومية على وجه الانصاف باعتبار جميع الحقوق على طريق العدل وكذلك يجعل تجريدة المداخل التي يمكن زيادتها على جميع الضمانات السابقة تعين الارباب الديون ﴿الفصل الثامن﴾ لقسم العمل ان يجعل جميع التأويلات والترانيب المتعلقة بالدين العمومي وتقدمه بكل ما يلزم من الاعانة لانفاذ ذلك الانفاذ التام ﴿الفصل التاسع﴾ قسم العمل يتولى قبض جميع مداخيل المملكة من غير استثناء ولا يسوغ اخراج تذاكر مالية من أى نوع كان الا بموافقة القسم المذكور على ذلك بعد التفويض اليه في ذلك من قسم للنظر والتصحيح واذا اضطرت الدولة لعمل ساف فلا يسوغ لها ذلك الا بموافقة القسمين جميع

التذاكر التي تخرج في مقابلة المبلغ الذي يعينه الكوميون لمصاريف الدولة تكتب باسم الكوميون ويعلم عليها قسم العمل وقدر هذه التذاكر يلزم ان لا يتجاوز المبلغ المحدد في قائمة المصاريف ﴿الفصل العاشر﴾ قسم النظر والتصحيح يتركب على الكيفية الاتية بيانها يعني من محضوين فرانساويين ينوبان عن حاملي رقاق سابق عام ٦٣

وطام ٦٥ ومن عضوين انكليزيين وعضوين طليانين ينوبان من حاملي رفاع الدين الداخلي وهؤلاء الاعضاء يكونون بوكالات مخصوصة من قبل حاملي رفاع السابقين وحاملي كونفرسيونات علم كيتاوي صدر لهم اعلان في ذلك مناقحت نظرو قسم العمل

الفصل الحادي عشر قسم النظر والتصحيح له الحكم في جميع تصرفات قسم العمل وهو المكلف بتحقيقها وبالموافقة عليها عند الاقتضاء وموافقة ضرورية حتى ان الذي يستقر عليه رأى قسم العمل مما يتعلق بالمصلحة العمومية يضرب بذلك واجب العمل به

الفصل الثاني عشر اذناوز برنا الاكبر بالعمل بما تضمنته الفصول الاعد عشر المذكورة أعلاه ونعين العضوين ونطاب الناظر المالي الفرانساوي المذكورين بالفصل الثالث في اقرب وقت ممكن كتبت الاثنا عشر فصلا أعلاه بسراية حتى الوادي في السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ١٢٨٦ ستة وثمانين ومائتين والالف فانتظم هذا الكوميسيون واستولى رياسته الوزير خير الدين والعضو الاول في قسم العمل هو صاحب رتبة الوزارة في فرانسا فيليب والعضو الثاني الوزير محمد خزنة داروس يأتى تفصيل ما نشأ عن هذا الكوميسيون وجمع ديون الحكومة فكانت ما يأتى

جمله الجوامع فرنكات

الاستقراض من دارار لانجى بباريس لا يفاء	
الدين السابق الذى لم يخص بقسامه وقدره	٣٥٠٠٠٠٠٠
مخوطة عشرة مليون كما تقدم	
الاستقراض من بديار بباريس سنة ١٨٦٣	٠٩٠٠٠٠٠
الاستقراض من دارار لانجى وغيره سنة ١٨٦٥	٢٥٠٠٠٠٠
المجملة تسعة وستون مليوناً	٦٩٠٠٠٠٠٠
	٦٩٠٠٠٠٠٠

الاستقراضات الداخلية المعروفة بالكومفرسيونات

جمله الجوامع فرنكات

الاول	١٣٥٠٠٠٠٠	٦٩٠٠٠٠٠٠
الثاني	٠٩٦٧٠٠٠٠	
الثالث	١٧٨٥٠٠٠٠	

(٤٣)

الربع ٧٨٠٠٠٠٠

٤٨٨٢٠٠٠٠

٤٨٨٢٠٠٠٠

جملة الدين الغير المنضم بالتدراك الرابحة

٣٦٨٠٠٠٠٠

١٥٤٦٢٠٠٠٠

جملة الفوائد المتأخرة تقريبا

٠٢٠٣٨٠٠٠٠

ريالات

١٧٥٠٠٠٠٠٠

جملة صرف تلك الديون
بالريالات التونسية

٢٨٠٤٣٧٥٠٠

فاذا أضفنا الى ذلك مداخل
الحكومة من وقت تعطيل القانون
الى انتصاب السكوميون الذي
هو سنة ١٢٨٦ بحساب كل سنة
خمس عشر مليوناً ريالاً الذي هو
اقل ما يمكن نظراً الى ما تركها
عليه الوالي السابق محمد باشا
ونظر الدخول فيها بعد ذلك يكون
المجموع للاستة سنين

٠٩٥٠٠٠٠٠٠

٠٠٨٤٥٠٠٠٠٠

٢٧٥٤٣٧٥٠٠

٢٣٣٤٥٠٠٠٠٠

تقريب الغرم الذي دفعه السكان
على مصاريق الثورة لانه ثبت
بالحساب ان اهل الساحل وحدهم
دفعوا من ذلك عشرين مليوناً
ما أعانت به الدولة العلية
الحكومة وقت الهمج
ما أهده صاحب القرض الاول
بأمر المارستان وأخذته الحكومة

٠٦٥٠٠٠٠٠٠٠

٠٤٠٠٠٠٠٠٠٠

٠٠١٦٢٥٠٠٠٠

٠٠١٠٠٠٠٠٠٠

٠٠١٦٢٥٠٠٠٠

٠٠١٠٠٠٠٠٠٠

٤٤٣٦٨٧٥٠٠

٢٧٥٤٥٠٠٠٠٠

فكانت جلة الاموال التي خاضت فيها الحكومة في مدة نحو سبع سنين مائتين وخمسة
وسبعين مليوناً فرنكاً وصرفها رياتاً ما هو مرقوم بإسقاطها مع مزيداً للتضاييق المالي
بتعطيل الجرايات حتى امتدت الايدي الى الاوقاف وعطل ارسال مال المحرمين الشرعيين
من اوقافهم اعادة تسنين وكذلك عطل مرطب المدرسين والعلماء من بيت المال الذي
اسسه اجد باشا الاستيلاء الحكومة على ما فيها من المال ولم يحصل من تلك الاموال في
القطر ما يمكن ان يذكروا ويعدسوى ما تقدم ذكره من السفن والمدافع البالغ مجموع ثمنها الى
ثمانية عشر مليوناً وان اضيفت الى ذلك ما خسره القطر والحكومة مما ضاع عند ابن
عباد ونسيم وكله بواسطة الوزير المذكور كان مجموع ما بين يدي على خمسة مائة مليون
ريالاً وحيث كان الحال مما لا يمكن اخضاؤه على الوالي بالمرّة ذكره وزيره خزنة دارانه
تخزن له في بعض بانيكات ارباع عشر بين مليوناً فرنكاً احتياطاً للمساءة ان يقع لان
الثورة العامة اندرت مما يخشى من مثله فلا بد ان يكون له ذخر خارج المملكة وذلك
له مرة بمحض احد قسائل الدول ثم طالب هذا القسائل اسقاط الطلب عنه بتلك الملايين
عند عزله ومن وقت انتصاب الحكومة سيون السالى قصرت يد الوزير خزنة داره
النصرى وكاد ان يكون اسناد الوزارة اليه اسماً بلا معنى وحقن من ذلك أشد الحقن
ورام ان يغير الحال فلم يوافق الوالي لاطلاعه على حقائق الامور وعلمه ان رجال الحكومة
لم يبقوا على ما كانوا عليه من الانقياد على الوزير وبقي على ذلك الى ان ظهرت نازلة
ارلانجى البنية كبريطاب مالى وادعى انه ابروسيانى وكان ذلك في خلال محاربة فرانسامع
المانيا وشهد القسائل البروسيانى في مطالبه ولم يكن للحكومة مال وظهر للوالي ان
يستقرض من وزيره المال المطلوب فيه الحكومة فاقرضها بالربا ورهن آجام وخطابات
طبرقه بمائة عشرين في المائة في السنة ثم ظهرت نازلة الاثني رقة وخاصة لها ان
الحكومة سيون السالى لما حصر جميع الديون ووجدتها في دين واحد جعل له رقاعاً جديدة
وشرع في ابدال القديمة بالجديدة فعند ذلك تبين ان الرقاع الجديدة المقدرة على ما ضبط
من مقدار الدين لا تفي بالرقاع القديمة التي جاء بها اصحابها للتمديد فاستقرى الحكومة سيون
اسباب ذلك وتبين انه لما انتصب الحكومة سيون السالى وجهت له الحكومة حساباً رسمياً
فيه بيان حساب الرقاع الزائجة من سائى سنة ١٨٦٣ و سنة ١٨٦٥ بعد طرح الرقاع
التي رجعت بالخلاص للحكومة في الاقتراعات وبعد طرح التي رقة اشترت على يد
البنية كبرار لانجى للحكومة من ديونها فلم يعتبر الحكومة سيون في ديون الحكومة الا ما بقي

من رفاع السلفين بعد طرح القسمين المذكورين لأن كلامهما هو خلاص لمقدار
 من الدين وأذن الكومسيون بطبع عدد من الرقاع جديد بمقدار ما بقي من الدين ولما
 شمرع في تبديل الرقاع وجد في رفاع ساف سنة ١٨٦٣ أكثر مما كان قدره على
 مقتضى الحساب الرسمي المشار إليه فظن أول الأمر أن الزائد مزور فتمل في جميعها ولم
 يجد فيها ما يحال للزور فحاول حينئذ الكشف عن منشأها أنه الزيادة واستفسر من الوزير
 خزنه دار عن الألفي رقعة المشتراة على يدار لانجي وما كان فيها فلم يجب وأصر على
 السكوت مدة أكثر من سنة مع تكرار السؤال له كما يتبين ذلك من تقرير الجلسة
 المنعقدة من الكومسيون في ١٥ أغسطس سنة ١٨٧٢ وفي غاش سنة ١٨٧٣ ولما
 أضح الكومسيون على الوزير في طلب الجواب زعم أن الحكومة لم تنصل بالرقاع
 المذكورة وأن دارار لانجي هي المطالبة بذلك لكن الكومسيون قبل أن يطلب
 من دار لانجي البيان تحرري فيما يلزم من الإطلاع على الحساب مع الدار المذكورة وعلى
 الرسائل الواردة منها لكي يعتمده في مخاطبة ما هو الواجب فاذن الوالي في ذلك وأطلع
 عليه الكومسيون وثبت عنده أن الدار المذكورة سلمت تلك الرقاع للحكومة وكان من
 المعلوم لدى الكومسيون أنه كان بين الوزير بخزنه دار وبين رشيد الدحداح المتقدم
 ذكره معاملة خصوصية وأن الوزير رهن سبعة آلاف رقعة من ساف سنة ١٨٦٣
 فظهر الكومسيون أن يطلب بواسطة نافي الرأس وهو قنسلات الحائز رتبة الوزارة من
 رشيد الدحداح المذكور جريدة أرقام الرقاع المذكورة كما يطلب من دارار لانجي
 جريدة أرقام الألفين رقعة التي استرجعتها الحكومة فانصل بالجر يدنين وكشف الحال
 أن الألفي رقعة روجها الوزير بخزنه دار على يد الدحداح بعد دخلاصها فعرض نافي
 رأس الكومسيون على الكومسيون تقرير مفصلا فيما ثبت لديه في المنازلة وتضمنه
 تقرير جلسة الكومسيون المؤرخ في ٤ يونيو سنة ١٨٧٢ ولخص تقرير الجلسة
 أن الرقاع المذكورة سلمت في ١ فبراير سنة ١٨٦٤ للحكومة التونسية على يد
 شيمت النائب عن دارار لانجي وقيدتها في الحساب الواقع بين الحكومة والدار المذكورة
 المؤرخ في ١٧ مايو سنة ١٨٦٧ ثم روجها الوزير مصطفى على يد الدحداح القاطن في
 باريس وان استعمال الرقاع المذكورة على الوجه المذكور أضر بالحكومة وأزاد باب
 الديون وأن رأى كل الكومسيون أجمع على طلب التبويض والحساب من الوزير
 المذكور اه وعلم الوزير بما وقع ونفذه الوزير بخن الدين بفصل المنازلة عن سجل

فأبى ثمانه لانه لا تناله الاحكام وبلغ ذلك للوالى سرا بواسطة مصطفى بن اسمعيل اقرب المقر بين لديه لتعصب الوزير بخير الدين نه في انهاء نظائع خزنة دارالايه وافهامه ان الوزير خير الدين مضاد حقيقة لذلك الوزير وان كانت له عليه يدائمة والمصاهرة لما ذكر من سيرته فامتلا وطاب الوالى من انكاره أعمال وزيره ولم يزل الوزير مصر على الامتناع من بيان الوجهه في رواج تلك الرقاع ثانيا الى ان واجبه الوالى ثانيا رئيس الكومسيون بمحضر المذكور وعرض على الوالى ملخص المنازلة وطالب منه امضاء المحكم فباشم الوزير ثانيا رئيس الكومسيون بكلام شديد الى ان انتهره الوالى وقال له ان جوابك لله اما ان يكون بالحقبة في تبرئة نفسك أو تدفع المحق الذى عليك وانفصل الموطن وتيقن الوزير تغير الوالى معه لكنه لم يكن يظن انه يعزل فكاتب الوالى بالاقرار باخذه لالا في رقعة وطاب عفوه وادى الكومسيون ما طلبه ولم يأتعقن الوالى فطاعة المنازلة وتيقن عدم الخوف من عزل الوزير بعد ان جسد جميع الجهات أبرم عزله في فترة رمضان سنة ١٢٩٠ وكان مبدئه تقلده منصب الوزارة في سنة ١٢٥٥ وارثت البلاد عند سماع عزله فورا وكان لا يصديق بعضهم بذلك لشدة كنهه من الولاة حتى ينقلون عن بعض الصالحين انه يقول له انه يتخدم ثلاثة امراء يكون مع اولهم بم عزلة الابن ومع الثاني عزلة الاخ ومع الثالث عزلة الوالد سنة ١٢٥٥ من آخر مدة أحمد باشا وزيرت البلاد عند عزله ولم يسمع بعمل ذلك في هذا القطر واتبع عمل الافراح جميع البلدان والقبائل وخزن على عزله افراد من خواص حاشيته ومن توفرت ارباحهم على يديه وافراد قليلون من الاجانب ورام من له وجهة منهم ان يتدخل في ارجاعه لمنصبه أو في الاقل ان يواجه الوالى كاحاد المتوظفين فامتنع الوالى وجعل اتباعه يرودون كل وجه لا رطاعه حتى سافرا حدهم الى ارباب الوالى الاسنانة واجتمع برجال الدول وبذل في التوصل أموالا لم يجد من يتدخل في توليته ووزير في حكومة مختارة في ادارتها وحيث تيقن الوالى كثرة الاموال التي توصل اليها الوزير المذكور من أموال الاهالى والمحكمة سيمها الاموال التي أخذها ابنة الاكبر بتذكر على المال به مكتوب بها يدفع فلان وزير المال مقدار كذا من المال لامير الامراء ابنا محمد في مصالح على يده الخ ويقبض الابن المال ويعضى بخطه على القبض مع انه لا وظيفة له رسمية تقتضى صرف تلك الاموال ومع عدم بيان الجهة المصرية المصروف في المال فاراد محاسبته ومحاسبة ابنة على أموال المحكمة حكومة فقير الوزير بخير الدين من مباشرة ذلك على ما جرت به العادة من ان صاحب الوزارة يباشم مثل ذلك مع كل المتوظفين وعقد

لذلك

لذلك محاسنا مخصوصا برأسه وعلى عهد الولاية الأمير أبو الحسن على باي وأعضاءه المفتي
الحنفى الشيخ أحمد بن الخواجه والقاضى المالكي الشيخ محمد الطاهر النيفر والوزير
محمد دورش - يد كاهية ووكالت الحكومة على طلب حقوقها الشيخ عمر بن الشيخ أحمد بكار
المدرسين بالجامع الأعظم وأرسل المجلس يدعو المظلو بن لسماع الدعوى كما أرسل
الوزير خير الدين مكتوب إلى الوزير السابق يعلمه فيه بعد قد المجلس للأمل في نازلة
المطالب المتوجهة عليه وعلى ابنه وجوابه عنهما فامتنع من الحضور والسالم عليه بالحضور
أرسل إلى قنصل فرانسيا بطاب حمايته وتوجيه أحداءونه ليحميه عند ذهابه للمجلس
فجذب القنصل من الطاب وأجابه بأنه لا يتدخل في أحكام البلاد سيما ولم يجبر عليه ظلم
يقتضى مثل ذلك ثم أرسل وكيله عنه من أحد رعايا الأجانب فلما دخل إلى المجلس سأل
الرئيس هل هو داخل تحت أحكام البلاد أم لا فأجابه بالافتراض المجلس في قبوله
وعنده على تلك الصفة فظهر لهم أنه يجب أن يكون الوكيل داخل تحت أحكام البلاد
أيواخذ بأعماله وأقواله فيما يتعلق بعهده وفيما يعود إليه ولما علم الوزير خزنة دار
بذلك أرسل ابنه الثماني محمد المنجي الذي هو برئى من جميع الأعمال السابقة وجعله
وكيلاً عن والده وأخيه - وعلم ما هي مطالب الحكومة منها وحيث علم أن اللجنة قائمة عليهم
ركن إلى طالب الصلح فصالحته الحكومة وقال بعض الأعيان أن الصلح كان لا ينبغي
وقوعه لأن المال مال بيت المال فاما أن يتحقق مقدره ويؤخذ بمقامه وعلى فرض
لده يجبر بالمجلس ولا مقالة لقائل إذا كان يصدر الحكم عليه من ذلك المجلس واما أن
تعدت براءته ولا يؤخذ منه شيء وأجاب الوزير خير الدين بأن أجباره يحصل منه القليل
والقال سيما وشيعة يشيرون أن أصل المطالب غير صحيحة لقصد تدخل الأجانب في أمره
وحيث طلب الصلح فالصلح خير ووقع هذا الصلح بخمسة وعشرين مليوناً فرنكاً ومخلص
صورة الصلح هو ما يأتي بيانه

أصل المبلغ الذي صونج عليه بطرح منه ما استقطعه	٢٥٠٠٠٠٠
عنه الحكومة	٠٥٠٠٠٠٠
بيان ما دفع	٢٠٠٠٠٠٠
فرنك	
ماسة بقية للحكومة في مناجها من	
أرجح دار السكة	٠٠٦٠٠٠٠
ما هو بقية فرضه لها برهن طبرقه	٠١٢٣٥٩٢٢
ما دفعه عينا	٠٠٢٠٠٠٠
قيمة ما يملك من الربيع والعتار	
والمنقول واستثناءه قصر الخفاوين	١٠٩٦٤٠٧٨
والخشب المقطوع من طبرقه	
	١٣٠٠٠٠٠
فبقى قبـ له سبعة ملايين مقسطة لا قسط كل قسط بنصف	٠٧٠٠٠٠٠
مليون في سنة وضمن الولد الا كبرياه مع خيار الحكومة	
في الطاب وكتب بشرح ما تقدم يصلك امضى فيه الجميع	
وختمه شاهدان من عدول الحاضرة	
يطرح ما استقطعه في مقابلة اسقاطه الاتفاق في عمل دار	٠١٥٠٠٠٠
السكة الذي احاله اليه جديدة بن عباد	
	٥٥٠٠٠٠٠

فيكون الباقي على النحو المسار ذكره خمسة ملايين ونصف فرنك ولم يدفع الا قسطا التي
 حلت عليه منها الدعوى الافلاس وذكر الاعيان ان المقادير التي دفعها لم يكن فيها شيء
 من الامن الا ما تاتي ألف فرنك وما بقي من الامـ لـ لا كما الامانندراخذها بهيات من
 الولاية كما تشهد برسومها أو اشترها من الحكومة باثمان ضعيفة دفع فيها املاكا
 كانت الحكومة وهبتها له مثل قربانيا التي اشترها من الحكومة فهو ثمانية آلاف ريال
 تونسسية ودفع في ثمنها ارض سبخة امام حمام الانف مع الحمام المذكور الذي كان أخذ

جميعه هبة من الوالى المحالى ثم بعد أربع سنين عند الصلح اشار اليه عرض ان تكون
 ذممة قرنة اليه المذكورة أربعة ملايين ونصف فرنكا ومائة في دعوى الافلاس أيضا
 ان كثيرين ممن لهم عاقبة بالكمومسيون المالى ومجلس ادارة المداخييل علموا ان الوزير
 المذكور كان قبل عزله يرسل من يستخلص له فوائض أربعة وعشرين مليوناً وفرنكا من
 خصوص الدين التونسي ثم بعد انبرام الصلح صدر له اذن الوالى بان يخالط من شاء
 ويذهب أين شاء داخل القطر وخارجيه والعود اليه متى شاء هو وبناؤه الا زوجته وزوج
 ابنه الا كبرلوكونهم من عائلة الوالى ولم تكن عادتهم تسمع بخروج أحد عائلتهم
 خارج القطر ولم يستثن عليه الا الاجتماع بالوالى وكان يظن ذلك بسبب الوزير خير الدين
 المتولى بعده لكنه كشف الحال انه من ذات الوالى لانه دام على الامتناع من مواجهته
 حتى بعد انفصال الوزير خير الدين عن الوزارة وبقي الوزير المذكور على حاله انه مراده في
 قصره بالمحاضرة يتردد عليه قليل من اتباعه والاجانب الى ان توفي سنة ١٢٩٥ رجه
 الله (المطابق السادس) في وزارة الوزير خير الدين هذا الوزير أصله من أبناء الجراكسة
 القاطنين في جبال القوقاز ونشأ بالقسطنطينية ثم شب في تونس بقصر الوالى أحمد باشا
 واستكمل القراءة والكتابة والتجويد والفروض العلمية ولحمده ذهنة أقبل بها على
 تحصيل الفنون العسكرية والسياسة والتاريخ ومشاركة في الفنون الشرعية حصلها بعبثا فنة
 أهلها ومطالعة الكتب وتعلم اللسان الفرنسي وكان فصيحاً في العربية عارفاً بالتركية
 والفرنساوية شديد التوقير للشرعية والعلماء محافظاً على شعائر الدين على المهمة وقورا
 حتى يخاله من لم يخالطه متكبراً فاذا نافه رآه حسن القبول عفيفاً عن الرشاشيح الطبع
 ثبات الفكر لا يتزلزل عن رأيه حازماً في العمل تربي في المخطط العسكرية في مدة أجد باشا
 مع استجابة اليه وقربه الوزير مصطفى خزنده دار حتى صاهره على ابنته ثم ولده أجد باشا
 أميرالوا الخيالة سنة ١٢٦٦ ولما وقعت حرب القريم أرسله أجد باشا المذكور الى
 باريس ليبيع مجوهرات الحكومة يستعين بثمنها في مصاريف العسكر المرسل لاعداء
 الدولة العثمانية وناضل هناك على التعرض في ارسال العسكر بما تقدم شرحه ولم
 يبيع المجوهرات الا بعد عرضه لاثمانها على الوالى أجد باشا مع انه فوض اليه وانسكرك عليه
 التأخير بسبب الاسئلة وكنت له تقرباً تاماً كما كلفه في تلك الوجهة بعد قرض مع
 إحدى ديار المال فباع المجوهرات وأرسل ثمنها وحاسب عليه وقدره نحو مليونين فرنكا
 وأخذ حجة تامة من محمد باشا في الحساب وبراءة ذمته وما طل في العقد للقرض وكيفية

شروطه لمسايراه من الضرورة على القطر وراجع الوالى مرار الى ان توفى الوالى المذكور ووافقه خلفه محمد باشا على عدم القرض وقد رأيت بخط كاتب اسرار الولاية الوزير أحمد ابن أبي الضياف في هذه الغرض مانصه وشكر أرى محمد باشا خير الدين في عدم الاستعجال وانقذها البلاد من هاربة الخ ثم عرض للوزير المذكور في انشاء سفرة المذكورة هروب ابن عياد وتكليف الوالى أحمد باشا الوزير المذكور بخصامه فدام في خصامه سنة من مبدأها من سنة ١٢٦٩ ومنتهاها سنة ١٢٧٣ ونجح في عمله بما تقدم شرحه عند الكلام على ولاية أحمد باشا ورأيت بخط الوزير أحمد بن أبي الضياف في ذلك مانصه ولولم يراد ابن عياد ووجه من خير الدين اذنا صاغية لمواظبته لكانت الممانعة في أسره لوقتئذ هذه الكثرة ما يهدده من الارام والرسوم الى ان قال لولا تدارك لطف الله على يد خير الدين الخ ثم في سنة ١٢٧٣ قدم الوزير بن خير الدين من فرانس انتم نسبة الوالى محمد باشا فاكرم مقدمه وعرف له نصحه في النوازل المذكورة وورقاه الى رتبة الفريق وعاد لا تمام الخصومة المذكورة فولا محمد باشا وهو نائب وزارة البحر لموت صاحبها محمد كاهية سنة ١٢٧٣ وعند انبرام الحكم على ابن عياد رجع الوزير بن خير الدين الى تونس واعتنى مباشرة وزارته مع اعتماد الوالى عليه في الاستشارة فحسن حالة حلق الوادى التى هى أعظم مرسى في القطر بما استطاع ورتب هيئة خدمة الوزارة بتعيين المكاتيب الصادرة وضبط جميع الحركات اليومية في دفتر وكان أول من عرف ذلك في القطر وكانت الامور تجري بلا ضبط وجعل اتفاق الجانب الذين استولوا على أكثر اراضي تلك البلاد بلا وجه فعل معهم الاتفاق على ثلاثة أوجه فمن كانت بيده حجة من الوالى في الاذن بالبناء جعل له قيمة كراه الارض خاوية سنة يباع على حسب السكراء المؤبد ولورثته ميراثها من بعده ومن كانت بيده حجة في البناء من خصوص وزير البحر فقط فله ابقاء البناء مدة حياته لخصوص ذاته ومن بعده ثم جع للحكومة وان امتنع قلح ساؤه أو تراضى مع الحكومة في شراء الارض أو كراثها ومن لم تسكن بيده حجة لزمه التوافق مع الحكومة أو قلح بناؤه ووافقه على ذلك فتماسل الدول وحصل من ذلك نفع كثير وتحصل من السكراء المؤبد ما هو وقف الآن على جامع حلق الوادى وقام به أحسن قيام ثم أحدث مجمل البخار بالمحتاج اليه السفن من الادوات الحديدية والخشبية وأبدل الجسر الذى كان على الخليج بجسر حسن متين وأوسع الطرق ونظمها وبنى مجلادارة الوزارة حسنا وجعل امامه بطحا وحسن لباس العساكر البحرية ثم لما أنشأ

أنشأهم - دالامان كان الوزير المذكور فارس مبادىن انشاء القوانين - له الحرية والعدل وكان الجلى في مضميرها يتدأ بيرة وفصاحته وعدم استحيائه من الحق حتى ان الوالى المذكور لما اراد جاب ما زغوان وجع رجال حكومته واستشارهم وكان أغلبهم - م ذاهبا الى عدم الموافقة فاجابهم - الوالى باقى أعطيت كلنى للقدس - بل بالموافقة - على جلله فتنفس الوزير خير الدين وقال أى فائدة بجمعنا حيث أعطيت كلنك وحسبنا مع هذا الخبر من سيادتكم كذا رأيت بخط كاتب أسرارهم الوزير أحمد بن أبى الضياف ولما ولى على القطر محمد الصادق باشا أرسل الوزير خير الدين المذكور الى الدولة العلية لطلب فرمان الولاية على العادة واستقبله استقبالا حسنا وقضى مأموريته ولما انجز الوالى المذكور القوانين كما مروى الوزير خير الدين عصوا فى مجلسه الخاص الذى يرأسه بنفسه كما ولاء رياسة المجلس الاكبر اى مجلس النواب وكان فى مبداء الامر رئيسا بالوزير بمصطفى صاحب الطابع - وهذا هو الرئيس الاول غير انه أخذ لقب الوظيفة فقط مراعاة لمقامه وسننه وبحجز سنننا ومعارفنا عن الوفاء بتلك الخطة ومن انصافه رحمه الله كان يصرح للوزير خير الدين بذلك ويقدمه حتى ان القانون بعد اتمام تأليفه عين الوالى أعضاء المجلس حسب الانتخاب وأمرهم بقراءة القانون وفهم معناه قبل العمل به فلم يحضر الرئيس الاول وقام مقامه الوزير خير الدين وقال فى شأن ذلك الوزير أحمد بن أبى الضياف ما نصه - وأبدى فى تقريره أى القانون وبسطه وثق به من حسن البيان وفصاحة اللسان ما أعجب السامع وشنف المسامع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اه واعترف له بالفضل كل من حضر من العلماء وغيرهم ثم تولى الرئيس الاول وصار الوزير خير الدين هو الرئيس بالاسم والرسم والهمل وقد كان على غرضنا ان القانون مراد لذاته حقيقة فشمع من ساعد الجسد وطفق يبرهن على المصالح ويفتح البصائر الى مغزاها وتنقاد الاعضاء الى أبواب المقاسد الى أن نشبت محالب التضاد بينه وبين الوزير السابق كما تقدم شرحه واضطربت أعضاء المجلس ورأى ان المال الى جعل المجلس صورا بالانفاذ الاغراض على عاقبة فاستعفى من الرياسة وبقي عضوا فى كل من المجلسين وقال فى ذلك الوزير أحمد بن أبى الضياف وانتفع المجلس باعائته أى انتفاع مترديا بحجة نبه وعفاؤه وانضافه الخ ثم أرسله الوالى سفيراعنه الى دولة السويد والبروسيا والبلجيك والدانمرك وهلاندا مكافأة بارسال نياشين الى ملوكهم عما أرسلوا به اليه من النياشين اكراماله على انشائه القوانين وكذلك فعالت غالب دول اوروبا وفى اثناء عضويته عرض على المجلس الخاص

ان فواضل الاوقاف تصرف للقيام بالعسكر ووافقة أحد العلماء المالكية مع هذا
الفتوى بما جرى عليه العمل من غير المشهور من مذهب امام دار الهجرة مالك بن أنس
رضي الله عنه من ان فواضل الاوقاف تصرف في طرق البر وراوا ان القيام بالعساكر
من طرقها خالفهم الوزير خير الدين محتاج بان القيام بالعساكر له نصيب مع اليوم شرعا
من بيت المال فان كان النصيب المعين شرعا تصرف جميعه على العسكر ولم يف بذلك
فخلفته لذي ينطبق النص ووافق على ما ذكرتم وأما اذا كان دخل بيت المال يصرف
في غير وجهه الشرعي كما يعلمه الجميع فلا يرى انطبق النص على ما ذكرتم ولعمري
انه لو صميم الحق فقرة العلم بتحقيق المناسط وان ذهبوا الى العمل بما رأوا وكان ذلك
من أسباب اغيار صدور الخواصه والعامه كما تقدم ولما رأوا أن يضاعفوا الاداء المسمى
بالاثنين وسبعين الذي كان سديما في الطامسة الكبرى كما مر قال الوزير المذكور للوالي
حسبما رأيته بخط الوزير ابن أبي الضياف المحاضر في المجلس ياسيدي ان أخفيت
ما ظهر لي من نصح سيدى بلادى أكون خائلا لامانة الاستشارة ترى ان هذه الزيادة في
مال الاعانة تؤدى الى زوالها بالمرّة أو تلجئ الى مال أكثر منها اتجهه يراجل يوشى الغصب
الناس ولا نجد في السنة التي بعدها ما يقارب الاعانة الاولى هذه باعانة بالقدرة على
الغصب ولعمري أنما عاقلة الدين وأنصح تجد ثوابها يوم تجد كل نفس ما عملت الخ كلامه
وصرح بمثل ذلك في المجلس الأكبر أيضا ولما له بعض أعضائه سرا عما أوجب تسليمه
قال انى رأيت السقف يريد أن ينفق ولم استطع استدراكه ولا وجدت اذنا صاغية
فخرجت من تحته وعلى بخوصة نفسي ثم لما أبطل القانون بقى الوزير خير الدين في
بسته انه مقبل على شؤون نفسه لا يختلط بالحكومة الا تخو يومين في الشهر يتوجه الى
الوالي للسلام عليه أو عند ما يدعو لمرما كما وقع عند قتل الشهيدين اسماعيل السبى
ورشه يدلان الوالى جمع بعد ذلك جميع رجال حكومته وأعلمهم بالقتل وأيت في صفة
المواطن بخط الوزير ابن أبي الضياف الذي كان حاضرا فيه مانصه وقال له الوزير
المنصف أبو محمد خير الدين نرجوا الله أن يكون هذا أحد البأس وان لا تقع ندامة على
هذا الاستعمال بعد دوصولهما الى محبتهما الان اجمع الزمان بنا في هذا الاستعمال
فاغتاظ الوالى وكاد أن يسهويه الغضب لولا لطف الله بخير الدين الخ وله في أمثال
ذلك من النصح والاقدام كثير وفي أثناء استعفائه كان التزاوير بينه وبين الوزير مصطفى
نزله دار مستقر القرابة المصاهرة ولا يتداخل معه في رأى من تصرفاته كما ان الاعيان من
المتوطنين

المتوظفين والاها إلى يزورونه ولا يخوض معهم في شيء من أحوال سياسة البلاد متجنباً القيل والقال مستكفياً في الناس وراحة البال بخواص من أصحابه مقبلاً على مطالعة الكتب والتأليف فالف كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال المسالك وهو أول كتاب مبني على السياسة التي يقتضيهما الحال والشرع وكفي بتقاريط العلماء فيه مع أن الرجل اذذاك بعيد عن شائبة التماق اليه ثم لما شددت الأجانب في طلب أموالهم وأنشئ الكومسيون المسالي باتفاق الدول دعاه الوالي إلى رئاسة ذلك الكومسيون فامتنع ولما ألح عليه الوزير السابق قال له مامعناه أن الحال قد بين التباين بين مهيمى ومهيمى كفى طريق السياسة وانت رجل مثـلـ والذى لك الثقة بدم على فان وافقتك خدمت ديني وأمانتي وإن خالفتك صرت إلى العداوة معك فالأولى بقاى على ما أنا عليه فاجابه بتركه جميع ماضى وإن الحال قد بلغ النهاية وأنه لا يريد في المستقبل إلا الإصلاح وموافقة الرأي فأعاد الوزير خير الدين مقالته وأن يجمع الوزير مصطفى خزنده دارلإيوافق السيرة التي يراها هو فأكده مزيد الموافقة في عدة مواطن وقبل اذذاك الوزير خير الدين رئاسة الكومسيون ومن هذا الوقت وهو سنة ١٢٨٦ تنسب التصرفات إليه وإن رجوع الوزير السابق عن وعده وتجهل الوزير خير الدين بسبب ذلك مشاقصه بما بالمكنه لم ينتج للوزير مصطفى خزنده دارمراده إلى أن انفصل عن الوزارة بالمرّة كما تـم شرحه فأول ما ابتدأه الوزير خير الدين من الأعمال أنه رأى تدخّل الكومسيون المسالي في مالية الحكومة يتسع نطاقه إلى التداخل في السياسة كما يقتضيه صريح فصول تركب ذلك الكومسيون ودليله أنه بعد انتهائه وجه تقرير الوالي في أمور تـم تضيها وظيفته من مباشرة الأعمال في استخلاص الأموال وغير ذلك وتوقف عن امضاءها الوزير السابق لأنها تول إلى خروج التصرف عنه بل وعن الحكومة أيضاً فاشتهى أعضاء الكومسيون الأجانب إلى قناساتهم بأن أعمال الكومسيون توقفت لأن أساسها توقفت الحكومة في امضاءه فكثرت القناسل للوالي بالتعجيل والحث على إجراء ما التزم به للدول الثلاثة وهى فرنسا وإيطاليا وإنجلترا مع الوالى جميع رجال الحكومة وعرض عليهم الأمر وكان من الحاضرين الوزير أحمد بن أبى الضيف وكتب حجبها رأيه بخطه فيما وقع في المجلس ماضيه وتكلم الوزير خير الدين بالمجلس بما يكتب على صفحات الأيام إلى أن قال انكم دفعتونى إلى هذه الخدمة وأنا عبد لخدمة سيدنا وبلادنا على كل حال ونطلب الاعانة من جمعكم فان أعنتونى فلكم الفضل وإن أسلمتمونى لأجمع

للهرب وانما أقول اخذتم ثمره من الزمان وأنا ناوليكم غيزي من أمثالي يخدم مثل مدني
وهلم جرافضن الجميع له الاعانة كل على حسبه وانفصل الموطن الخ وأمضى الوالي
مطلب الكومسيون وخاطب القناسل بذلك وكان ذلك مما يجبر الى ابقاء المحكومة
صورية لان استخلاص الاموال يستدعي تحسين الادارة وهو يستدعي العدل فيمداخل
الكومسيون في جميع ذلك وتخرج اليه الاهالي ولا يبق للمحكومة الا التزرفاذلك أشار
الوزير خير الدين على الوالي بوجه تمضي معه حقوق الكومسيون وتحفظ به حقوق
الحكومة وناموسها وهو قوايف رئيس الكومسيون بوظيفة وزير الوالي في رتبة الوزير
الاكبر بحيث يشاركه عند حضوره وينفرد عند غيابيه وتنفذ خدمة الكومسيون
الى محل الوزارة ويكون مصدر جميع الاعمال واحدا فاستحسن الجميع ذلك رأى
وظف الوالي الوزير خير الدين وظيفة سمهاها بالوزير المباشر فرتب أشغال
الوزارة على الصورة الآتية وهى الوزارة الكبرى وتختص فيها جميع شعب الادارة
الا لوزارتين الآتيتين معنى أن الوزير الاكبر ثم الوزير المباشر هما للذان
يباشران جميع المصالح اما بواسطة او بدونها ثم قسم ادارة هاتى الوزارة الى أربعة أقسام
(القسم الاول) تحت رئاسة مستشار ويرجع اليه جميع الامور السياسية العامة
وأحوال المالية الخاصة بدخل الحكومة ونزجها دون ما يتعلق بالكومسيون المالى
(والقسم الثانى) تحت رئاسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بشكايات الرعية من
المتوظفين والعكس (والقسم الثالث) تحت رئاسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق
بالحقوق الشخصية ثم اتحد هذا القسم بالقسم الثانى (والقسم الرابع) تحت رئاسة
مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بالخارجية كما جعل كلامن وزارتي الحرب والبحر مستقلا
بنفسه كل منهما لها وزير خاص غير انه تحت نظارة الوزارة الكبرى فهذا ما يتعلق
بكيفية الارادة وأما ما يتعلق بما حصل من الادارة فان ديون الحكومة حشرت فكانت
مائة مليون وخمسة وسبعين مايونا فرنكا كما تقدم تقريره أنفاو كان الفائض الذى يدفع
سنة يا نحو العشرين مايونا فرنكا فاقط من الاصل نحو مائون فرنكا ثم طرحت العشرون
مايونا التى هى الفائدة التى لم تدفع وجعلت ديننا بلا فائض يستهلك من الدخل المضروب
جديدا على البضائع الداخلة للقطر وبقي المقدار الذى يؤدى الفائض نحو مائة مايونا
وخمسة وعشرين مايونا فقط فجعل له فائضا خمسة فى المائة وصار مقدار الفائض
السوى نحو مائة ملايين فرنكا وخمسة مائة الف فرنك الذى هو نحو الثلاث مما كان جاريا

وخصص له أنواع مخصوصة من مداخيل الحكومة لأن نواب أصحاب الديون وهم قسم
النظر من الكومسيون المالى لم يرضوا بأن الحكومة تتعهد لهم بدفع الفائض بل أرادوا
أن تكون إدارة المال الراعى اليهم تحت أيديهم فجعل لذلك مجاسا يسمى مجلس الإدارة
أعضاؤه أجانب منتخبون من قسم النظر من الكومسيون وعددهم خمسة وعشرون
ينتخبه قسم العمل وفوض اليهم قبض المداخيل الراجعة الى الفائض تحت
احتساب قسم العمل ثم قسمت مداخيل الحكومة الى قسمين (القسم الاول) ينوب
قبضه ذلك المجلس والانواع التى سلمت الى ذلك هي ما يأتي بيانه مع بيان تقرير دخله
حسب الميزانية المسلمة من الوزارة السابقة
فرنكات

لزمة فندق الغلة أى الاداء على الخضر اوات والفواكه المباعة فى الحاضرة	٠٣٥٠٠٠٠
محصولات سوسه والمستير أى الاداء المرتب على نحو ما ذكر على بيع الحيوانات وغيره	٠٤١٢٠٠٠
الرحب أى الاداء على بيع حبوب القمح والشعير وشبهه	٠٠٩٧٠٠٠
القهـرق أى الاداء على الساع الداخلة والخارجة للحاضرة من الممالك	٠٥٠٠٠٠٠
نخروية الاكرية بالحاضرة أى أنه يؤدى على كل ريال المنقسم الى سنة عشر نخروية واحدة أى جزء من ستة عشر على كل مكان يكبرى	٠١٠٠٠٠٠
قرق صفاقس	٠٠٤٥٠٠٠
قرق وادى قابس	٠٠٠٨٠٠٠
قرق سوسه والمستير والمهدية	٠٠٠٢٥٠٠٠
قرق الدخان أى انحصار بيع الورق المدخن به والمستشفق فى الحكومة	٠٢٢٠٠٠٠
قرق الخلل أى ما يؤدى على المسكرات	٠٠٥٥٠٠٠
	١٨١٢٠٠٠

نقلت	١٨١٢٠٠٠
فندق البياض أى ما يؤدى على بيع الفحم	٠٠٤٥٠٠٠
الجبس أى انحصار بيع الجبس فى الحكومة	٠٠٦٠٠٠٠
صيد الخوت أى الاداء على صيد السمك وانحصار ما كن البحر	٠٠١٠٠٠٠
فى صيد الحكومة	
الملح أى انحصار بيعه أيضا فيها	٠٠١١٠٠٠٠
الاداء على النشاف والقرنيط أى الاسفنج ونوع السمك المسمى	٠٠٥٥٠٠٠
بالقرنيط	
قانون الزيتون فى سوسة والمستير والمهدية وصفاقس أى الخراج	٠٨٥٠٦٠٠
على شجرة الزيتون عوضا عن العشر	
	٣٠٣٢٠٠٠
قانون زيتون الوطن القبلى	٠٠١٥٠٠٠٠
محصولات صفاقس مثل ما ينداسا بقا	٠٠١٠٠٠٠٠
محصولات جربة وقرقها	٠٠٩٠٠٠٠
محصولات بن زرت	٠٠٨٠٠٠٠
محصولات حاق الوادى	٠٠٢٠٠٠٠٠
لزمة صيد المرجان أى المقدر الذى يؤدى على ذلك من	٠٠٠٨٠٠٠
الفرانسية	
محصولات الوطن القبلى	٠٠٨٥٠٠٠
التنبراي الاوراق المختوم عليها من الحكومة لى كتب فيها	٠٠٣٠٠٠٠٠
الاحتياجات بحيث لا تقبل حجة فى غير ورقة مختومة	
السراحات أى الاداء على ما يخرج من القطر من الحبوب والزيت	٢٦٤٠٠٠٠٠
والتمر والصوف والصابون	
	٢٥٠٠٠٠٠

وقد اقيم الحساب على مقتضى هاته الميزانية فلم توفى فى اغلب السنين للغطا الذى وقع
فى

في تقدير فصل السراحت وهو الاخير لان ذلك غير صحيح كما أبانه الواقع وسبب ذلك عدم
امكان ضبطه في الوزارة السابقة فقرب تقريرا بالقياس على سنة كانت خصبة مع الطلب
في الثمن الى اربابها ولذا لم يلزم الحكومة ان تسكن من دخلها الخاص ما ينقص من ذلك
الدخل عن الوفاء بالماضي حسبما هو مشروط في اللائحة التي جعلها الكومسيون المالي
أساسا لعماله فان منها ان فائض الدين الذي هو ستة ملايين ونصف فرنكا كما تقدم ان
وفت به المداخيل المعطاة لمجلس الادارة فيها ونعمت والاقام الحكومة ملزمة بان تسكن
من باقي مداخيلها ما يوفي بذلك المقدار غير انها في السنة الاولى لا تكون ملزمة الا بما
يكمل خمسة ملايين وما ينقص يذهب بها على ارباب الديون وفي السنة الثانية تكون
ملزمة بالكامل خمسة ملايين ونصف وفي السنة الثالثة تكون ملزمة بالكامل ستة ملايين
وفي السنة الرابعة تكون ملزمة بالكامل الستة ملايين ونصف وهكذا فيما بعد للاسباب
التي تقدم شرحها في ضعف القطر ومن الشروط ايضا ان الحكومة لها ان تستقرض
من خزنة مجلس الادارة مليوناً متى أرادت لسبب قوى على ان ترجعه قبل مضي ستة
أشهر ولا تؤدى عليه فائدة ومنها ايضا اذا دخل القسم المذكور من المداخيل على
المقدار اللازم فانه يبقى منه نصف مليون للاحتياط وما زاد على ذلك يشتري به رفاع من
الدين وتسكن تلك وهكذا في كل عام الا اذا زاد الدخل على ثمانية ملايين فرنكا فان
ما زاد يقسم ايضا فالنصف يلحق بما تقدم في استهلاك رأس مال الدين والنصف الاخر
تصرفه الحكومة على نظر قسم العمل من الكومسيون في المصالح العامة كالطرق
وغيرها (وأما القسم الثاني) من مداخيل الحكومة وهو ما بقي من أنواع المداخيل
كعشار المحبوب والزيوت ونحو الخيل ومذبغة الجلد والاداء على الرقاب المسمى بالجبا
أو الالعانة الذي هو نحو خمسة ملايين ونصف فرنكا فانه يتولى قبضه قسم العمل من
الكومسيون وهو الذي يتولى دفعه الى الحكومة على مطابقته للايزان الذي يجعل في
رأس السنة لمصاريف الحكومة في مصارحها ومرتبات العائلة الاميرية ولسائر الموظفين
وتكون بطاقات الاذن لحفاظ الخزنة بالدفع صادرة من الوالي غير انه لا يختمها باصنام
ما لم يجد عليها امضاء أعضاء قسم العمل من الكومسيون اعلاما بان البطاقة موافقة
لاصول الميزان المالي ولا يكتب من تلك البطاقات في وقت من الاوقات الا بجملة ارقام
الخزنة من المال بحيث لاتقع المساطلة لصاحب البطاقة من القابض الذي هو حافظ
الخزنة حتى ربما يضطر صاحبها الى اسقاط شيء مما بها التدفع اليه أو انه يبيعها لغيره

مما يوجب احداث دين جديد على الحكومة هذا هو الرسم الذي جرى عليه العمل في
النظام رور عا وقع ما تخالفه على وجه تصعب مراقبته فهذا ما يتعاق باحوال الديون وما
جرى عليه اهل فيها وقد رفعت فواتر في السنين الاولى على نحو ما تقدم من مداخيلها
المعينة لها ثم في بعض السنين اكتملت الحكومة من مداخيلها وفي بعضها زاد الدخل
الامين لها حتى اشترى منه شيء من اصل الدين وفي بعضها رهنف الحكومة دار الجداى
مدفوعة لا كمال الفاضل بحيث ان جميع مدة تصرف الوزيرين بالدين لم يبق على
الحكومة شيء من فائض الدين وانسحق دفعه في اوقاته ثم جعل هذا الوزير معاودة
مقبولة مع سائر الدول الاجنبية على ان يزداد اداء القعوق على السالم الداخلة من
مما لكهم الى القطر والمقدار المزدخسة في المائة وعين هذا المقدار الى استهلاك الدين
الذي يبقى بلا فائض واصله فائض الديون السابقة الذي لم يدفع وقدره نحو عشرين
مليوناً على نحو ما تقدم ثم بعد دخلاص ذلك الدين يرجع ذلك المقدار مع بقية دخل القعوق
الى فائض الدين المتخذ واستهلاكه وصار اداء القعوق على السالم بين المزيدي والمزبد عليه
ثمانية في المائة وامام ما يتعاق بفحصين الادارة المسالية والحكبة في القطر فاحداث امور
عديدة نافعة فنهنا انه ابطال أنواع المجاني التي اختلفت كيفيتها وكيتها في السنين المتقدم
ذكرها وجعل على كل ذكر بالغ قادر على التكسب اربعين ريالاً ونسب في السنة مدرجة
على اربع سنين (في الاولى) يدفع المطلوب خمسة وعشرين ريالاً (وفي الثانية) يدفع
ثلاثين ريالاً (وفي الثالثة) خمسة وثلاثين ريالاً (وفي الرابعة) اربعين ريالاً ويجري بها
العمل من غير زيادة وشدد في الاخذ على ايدي العمال بحيث لا تمتد يد احد منهم الى شيء
زائد عما ذكر وجعل لهم اجرهم سنة في المائة ياخذونها من ذات الاموال المستخلصة على
ايديهم الراجعة للحكومة منها اربعة للعامل وريالان للشيوخ ثم ابطال هذا الاجر وعوض
بواحد على كل عشرة مستخلص من المدافع زيادة على العشرة بحيث صار على كل نفر
اربعة واربعون ريالاً في السنة وذلك الواحد الزائد يجمع عند العامل فيأخذ هو النصف
والنصف الآخر يقسم بين مشايخ العمل ونواب العامل المسمين بالخافاوات (ومنها) جعل
قانون معلوم لرسل الحكم في استخلاص الاموال سواء كانت راجعة للحكومة اولاً هالي
اولاً جانب بحيث ياخذ المرسل نصف ريال على كل عشرة يستخلصها من الملة هذا اذا
كان رسولا من الحكومة أي من أعوان الوالي اما اذا كان من أعوان العامل وغيره من
الحكام غير اهل الشرع فانه ياخذ ربع ريال على كل عشرة وقد كانت قبل ذلك على

حسب المشيئة (ومنها) ترتيب استخلاص أعشار المحبوب التي اضطرب حالها أيضا فخصر
 هـ شمر كل ماشية أى ما يحرثه الرجل الواحد في السنة الواحدة على الحيوانات المناسبة
 بحسب كل جهة وبذرها مما يطاق عليه اسم الماشية هنالك في خمسة وبيات قعها
 ومثلها شعيرا الذي هو أقل ما يمكن ان يكون عشر الخارج من النبات في أغاب السنين
 وما زاد على ذلك من العشر الحقيقي فهو في عهد مدة ديانة صاحب الزرع يدفعه لمن أراد
 وإذا أثبت صاحب الزرع ما احتاج زرعه فانه يسقط عنه بقدر ما ضاع له ويؤدي أجرة
 الكيل والتقييد والتقدير بأربعة ربيالات على كل ماشية هنذا كله في الجهات التي تدفع
 العشر من ذات المحبوب النسابة وأما الجهات التي تدفع عوض ذلك دراهم لبعدها عن
 محل الدفع فان الدافع يدفع خمسة ربيالات على كل ماشية في كل سنة ور يالين أجرة
 المستخلص وهذا المقدار مراعى فيه حالة صاحب الفلاحة لان ثمن الخمسة وبيات من
 القمح وحده تبلغ الخمسين ربيالا بحسب ثمن كل وبة عشرة ربيالات الذي هو السوم في
 أغلب السنين وروعى فيه أيضا جهة الحكومة لما يلزمها من كثرة مصاريف الحمل لعدم
 الطرق الصنعية ثمان ذلك المقدار وسط أيضا تدريعا على أربعة سنين يبتدى بثلاثة
 وبيات ونصف من كل نوع على حدته ويزيد في كل سنة نصف وبة الى ان يوصل في
 العام الرابع الى خمسة وبيات من كل نوع ومثله ما يباله من المال وقد نتج من ذلك
 عمران الياالة بدليل انه عند ولاية المذكور وزير امباشير لم يكن في الياالة عشرة آلاف
 ماشية ارضا مزروعة وعند خروجه من خطة الوزارة ترك في المملكة أكثر من مائة ألف
 ماشية مزروعة (ومنها) التخفيف على نواح الزيتون المسمى بالقانون في الوطان القبلي
 الذي كان أحف باهـ له في المدة الماضية حتى سلمت أصحاب الاملاك فيما يليه يكون ولم
 يقبل منهم وأغروا البوادي بأحراقه للاستراحة من مطالبه فنزل من رتبة الريال والنصف
 ريال على كل شجرة الى الثمانية نواصر على كل شجرة والناصري هو خرم من تجرية
 الريال الى اثنين وخمسين ناصري ثم اسقط عن أصحاب الزيتون احدى وثلاثين ألف
 شجرة زيتونا احترقت واسقط عنها اداها وبهـ لم مقدار ما كانوا يقسمون ومقدار
 نقصان العمران فيما سبق ونشر ذلك في العدد الثاني من راند سنة ١٢٨٦ الذي هو
 الصحيفة الرسمية للحكومة ثم اسقط هذا الاداء بارة ورجع الامر الى الوجه الشرعى وهو
 العشر على ما يحصل من الزيت وفرح بذلك أصحاب الاملاك وأقاربهم وفرح شديد
 لا ريتاحهم من اعياء ذلك الثقل العظيم (ومنها) تخفيف قانون الخيل ببلد نغراوه من عمل

الجري يد حيث كان له مقاسا ترغى الجري يد مع انه غير مساو لما فيه من شجرة النخيل خصبها وحسنها فاذلك جعل على كل شجرة من نوع الدقلة ريالان ونصفا وعلى بقية أنواع النخيل ستة خراب على كل شجرة والخروبة جزء من ستة عشر جزءا من الريال كما تقدم (ومنها) ترتيب مجلس محاسبة العمال والمتوظفين عما تعاطوه بحسب وظيفتهم ولم يوصلوه الى الحكومة و بقيت قبائلهم وبلدانهم مطلوبين للحكومة ببقاء ما عليهم ثم فحقروا ذلك مبالغ جسيمة قبضت الحكومة بعضهم وبعضها لم يقبض اما لاعداد من قبضه أو لانه فوعده واسقط ذلك من المطالب الباقية على أصحابها من أهل الجري يدودر يدوجندوبه والساحل وأولاد عيسار وأولاد مجبور ومن ذلك محاسبة أحمد زروق وانباعه وابراهيم بن عباس وأخوانه وعلى السامى وعبد الرحمن بن عمرو والحاج الحسنى والمخلص الحسابات ما يأتي بيانه ريات

من الساحل حسبما أفاد أحد أعضاء مجلس المحاسبة	٨٠٠٠٠٠
من بقية الاعمال المذكورة حسب ما نشرت الحسابات	١١٥٨٠٨٥٢
	<hr/> ٩١٥٨٠٨٥٢

منها أيضا غم	٥٨١
منها بقدر	٠٦٤
منها نخيل	٠٢٠
منها الرطال فضة	٠٠٢
منها بابل	٣٤٠
منها طرحات تبين	٢٦
منها أحجرة	١٢
منها القفزة قحما	٠٧
منها القفزة شعيرا	١١
منها بغال	٠٤

(ومنها) تنقيح المتوظفين بما لا يوغر الصدور الا من تفاقمت سقطاته فحضر واما غيرهم فلم يؤثر من كان من خربه على غيره ولو على اصداده فلم يقد فيهم الاحسان ونقص بذلك اعتبار خربه حتى رآه الوالى مفقودا لا اعوان واتخذها ذريعة اعزله من الوزارة وصعدت وصايات الحكماء الاقدمين المحامين على جانب الاصدقاء والاعوان وعدم الركون الى الاعداء لان تقريبهم لا ينفع والاصدقاء يصح ملون بذلك واما دعوى التجرب بالجمهور فذلك أمر لا يتم الا للوكة الذين رخصت قديمهم في الملك بالتوارث وصاروا نعيم ادا لانفس اليهم طيب عيال الوفاء فهم أشد الاصناف احتياجا الى معونة الاصدقاء (ومنها) الترغيب في غرس الزيتون والنخيل بان جعل لكل من غرس منها شيا لا يؤدى عليه شيء آمن

الاداءات المترتبة على ذلك النوع مدة خمسة عشر سنة (ومنها) رفع الضريبة عن أهل الساحل من وطأة أصحاب ديونهم فانهم كانوا يسجنون المديون مع قيام الرهن بيد المدينين ويبيعون غلة الاحباس المشتركة مع المديونين وغيرهم ويستولون على الجميع ويطلبون الضامن قبل فائس المديون مع عدم اشتراط ذلك ويستولون على مخلفات من مات من المديونين ويبيعونها على غير يد المحكام واذا افلس المديون لا يترك له ما يستربده ولا ما يقتات به ويتركون المديون في السجن بلا تحديد مدة فأبطل جميع ذلك وأجرى فيه أحكام البلاد الشرعية والعرفية (ومنها) ارجاع من هاجروا من القطر من الاهالي بالامن لهم والعفو عن سبقت منه جمالية واسقاط ما عليهم من المطالب الى الحكومة وكذلك العساكر الذين فروا من القطر ثم هلك بهم مثل ذلك (ومنها) ارجاع من تكب من اتباع الحكومة وتأمينهم وتقليد لهم بمثل ما كانوا عليه من الوظائف اذ لم يكن من سبب معقول لابعادهم أو نفيهم أو تركهم فرجع للقطر وللوظيفة السيد الشريف أمير اللواء حسن مقرون وأخوه والوزير رستم والوزير حسين وأمير الامراء محمد المراتب وأمير اللواء يونس الخنيزي وأمير اللواء مراد وأمير الاسلحة حسين ورديان باشا وأمير الاسلحة حسن مدلجي والقائم مقام علي جهان وغيرهم (ومنها) حصر الديون التي على أهل الساحل من الجانب وبنائها على أساس لا تقي بالجانبين بحيث انقطع تغاقم الربا وتضاعف زيوت السلم وجعل لخلاصهم مدة معينة على اقساط (ومنها) ان أمير لواء العسا اذ ذلك على ابن فريجه نقيم عليه الوالي وأرادوا ان يأخذوا منه أهم مصوغه وكسبه باوجه من الدعاوى بلاينة ولا ترافع كما وقع مع الشهيد ابن اسماعيل السني ورشيد فامتنع الوزير خير الدين واقام له مجلس المحاكمة ومكنه من مصوغه ومائتة عليه بعد الحساب دفعه باختياره (ومنها) بذل وسعه في استئصال فرمان سنة ١٢٨٨ السابق ذكره على ما مر شرحه ومن فرح الوالي به واكرامه على ما نتج على يده ان وجهه له وهو مقيم على اطه لمدة الخمسة مصطفى ابن اسماعيل أقرب المقرين اليه ومستشار الخارجية محمد اليكوش لاكرام خاطره وابلاغ الشكر اليه وأراد ان يلبسه نيشان البيت الحسيني فعرض له الوزير مصطفى خزنده دار وأبدل له نيشان الصنف الاكبر بيشان منه مرصع ثم كافأه على ذلك بمرتبة عمري قدر خمسة وسبعون ألف ريال تونسية في السنة ثم عاوض له هذا المرتبة بمذخيرأى أرض واسعة تعرف بالنقيضة (ومنها) اسقاط جميع البقايا الباقية على الاهالي من مداخيل الحكومة على اختلاف أنواعها ما سبق تاريخه سنة ١٢٨٦ الذي هو

مبدأ مباشرة الوظيفة وانبعثت بذلك آمال الاهالى الى تغيير الارض حيث كانوا يرون ان
ثمرة أعمالهم يستأثر بها غيرهم للوفاء بذلك البقيا بالباهظة التي دفعوا أضعافها
(ومنها) تركيب المجلس للحكم في نازلة الوزير مصطفى خونه دار عنه مدعوله كما تقدم
شرحه وتجنبه للعادة في مثل ذلك من كون الوزارة هي التي تباشرمثل تلك النوازل
لينفي الشكوك والتهم ومنذ ذلك التاريخ انفرد الوزير خيرا الدين بالوزارة حسا ومعنى ولقبه
الوالى بالوزير الا كبير وابطل لقب الوزير المباشرة وقاده بنفشان بيته الحسينى
مع بقائه على رئاسة الحكومة سيون المالى وذلك في غرة رمضان سنة ١٢٩٠
فزينت البلاد وعقد الاهالى محافل ليالية مع التنوير وهكذا سائر بلدان المملكة وقبائل
عربائها بما اذكركم احتفالهم بفرمانه سنة ١٢٨٨ حسا سبقت الاشارة اليه
لتيقنهم بالاستراحة من تصرفات السابق وأملهم بازدياد اصلاحات المتولى لما عرفوا من
اباديه مما مر ذكره وفي هاته الاثناء تم اسقاط خراج الزيتون المسمى بالقسانون في الوطن
القبلى الذى مر ذكره وجعل عوضه الخزانة الدين نعمم الخروبه على جميع الالهلاك سواء
اكثرية او سكن فيها المالك بان يقوم كراه او يدفع بحسبه خروبه على الريال أى جزأ
من ستة عشر جزأ وعم ذلك البلد ان والقرى والبساتين لاز نواب اصحاب الدين لم يرضوا
باسقاط القانون الابعوض عنه في الدخل ومن تصرفاته بعد ذلك انشاء جمعية الاوقاف
بان جعل نظر الاوقاف مطابقة في جميع انحاء القطر بمساعدة من اعيان الاهالى مركبة من
رئيس ونائبه وعضوين وكان المحقير متوايما ادارة هاته الوظيفة التي صحها بان ينظرون في
مصالح الاوقاف سواء كانت أهلية أو على أعمال البراء كن الاهاية فانظرهم فيها بارشاد
أهلها لاقامتها وحراستها من الاتلاف والى على أعمال البرية ولولون ادارتها وحفظها اذ
كانت تلاعبت بها أيدي الاهمال وكانت كأنها مناط التفضلات فسامن وقف له شئ من
الدخل قليل أو كثيرا لا يعطى لاحد ذوى التقرب أو الاسمة اذ ان ييده التصرف فتعطت
منافع الاوقاف وأهمل الموقوف عليه الى ان حرب أكثره وقد عينت ثقة لتدير ما يكفى
لاصلاح الموقوف عليه وحده فكان تقدير ما يكفى ٣١٦٦٧٥ ريات مع
تعطيل مرتبات الشهاب وتراكم ديون القوانين الراجعة للحكومة من الموظفين على
الاوقاف حتى صار عليها من الدين ما يقرب من نصف مليون فتدارك أمرها بذلك الترتيب
واقامت الجوامع والمساجد والمدارس في كل جهات القطر وهكذا الاوقاف على قراءة
القرآن وغیره من أنواع البر وكان دخل الاوقاف عدا أوقاف الحرم بين الثمريين

وغدا أوقاف جامع الزيتونة لأن ذلك مستثنى من العموم لكل إدارة مخصوصة وهكذا
 أوقاف المدرسة الصادقية إلا في بيانها فإما ذكر وعد الأوقاف الأهلية
 والزوايا التي لها ذرية كان دخله في السنة الأولى من مباشرتي وهي سنة ١٢٩١
 ١٢٠٤٠٠٠ وصار دخلها في السنة الخامسة وهي آخر السنين التي باشعرت الإدارة فيها
 بمقامها وهي سنة ١٢٩٥ ما قدره ٢١٥٤٠٧٣ وأصلحت في مدة الخمسة سنين
 ٣٣٣٠ مكانا وكان المصروف في سنة ١٢٩٥ على خصوص إقامة الشمامسة
 ٥٦٧٠٨٢ ومادفع للحكومة في قوانينها على ما يخص الأوقاف ١٩١٩٣٤ وكان
 المصروف في الأصلا حات ١٦٨٠٧٢ فمجموع ذلك ٩٣٠١٢٣ ثم كان
 المصروف من الداخل المذكور على عموم المصالح غير الموقوف عليه ٥٥٦٤٠٩
 الجميع ربالا تونسسية كما نشر جميع ذلك بالرائد التونسي الذي هو المصحف الرسمية
 للحكومة ومن تصرفاته التي فقت بأجرائها مرتب لاهل المجلس الشرعي بالخاصة
 وقد كان هذا المرتب عي لهم في مبادئ ولاية محمد الصادق باشا على ان يكون من فواضل
 الأوقاف وجعت اذ ذاك الأوقاف انظر محاسب فلم تقم بنفسها ولا وف بتلك المرتبات الا
 في بعض أشهر واستخلصت اذ ذاك معاوضات كثيرة وصرفت في ذلك المصروف
 وضاعت الموقوفات ومع ذلك لم يحصل المقصود حتى انبطت وكالة بعض الاقاف باهل
 المجلس الشرعي مفرقة عليهم لكي يستنفذوا منها بما يقابل المرتب فيرى فيها مثل
 ما كان ولم يحصل لهم المقصود حتى ذكر بعضهم انه كان يناله في جميع السنة خمسة مائة
 ريال فأجرى لهم الوزير خير الدين من فواضل الاقاف خمسة مائة ريال في كل شهر على
 مجرد الخطة الشرعية ولكل من شيخ الاسلام ورئيس الفتوى من المالكية
 ثمانية آلاف في السنة عددا ما لكل منهم من مرتبات وظائف أخرى وجرابات من
 القمع عشرة أفقزة ومثلها شعير واثنى عشر مطرا زيتا ويزيد لكل من الرئيسين
 المذكورين على ما ذكر قهقرين من كل نوع وثلاثة امطار زيتا وأطردجران ذلك ولم
 يتأخر عن أصحابه ولا شهر واحد امددة مباشرتي (ومنها) أيضا الزيادة في مرتب
 المدرسين بجامع الزيتونة الذين مرز كترتيبهم من أجدد باشا فزاد لكل مدرس من
 الطبقة الأولى ثلاثة ربالا يومية ولاهل الطبقة الثانية ربالا واحدا وكان اجرا ذلك
 أولا من مال الحكومة ثم أجرته لهم من فواضل الأوقاف (ومنها) جعل مرتب
 للحكام الشرعيين في جميع بلدان القطر على خصوص وظيفة الحكم الشرعي ولم يكن لهم

ذلك من قبل بل كانوا مقتصرين على مرتبات من دروس وإمامة وخطابة فأجريت لكل قاض يبلد فيها مائة وخمسين ريالاً في الشهر ولكل مفتي مائة وعشرين ولسكن ورئيس فتوى مائة وخمسين ولسكن قاض في بلد لا مفتي بها وهي البلدان الصغيرة تسعين ريالاً في الشهر (ومنها) جعل وكيل للخصام عن الناس العاجزين عن الخصام بأنفسهم والعاجزين عن أجرة الوكيل (ومنها) أحداث طريق صناعى بين تونس وحمام الأنف طوله نحو اثني عشر ميلاً وقد كان ذلك الطريق الذي هو أهم طرق جهات القطر يتعطل المرو فيه زمن الشتاء لكثرة الوحل وتوت فيه حيوانات كثيرة للمسارة ولا يكاد يصل صاحب الجمل فيه مع قوة مراكيبه التي تجر الجمل الألفي نحو نصف يوم هذا أن سلفت بحالته حتى أن الأمراء والوزراء يربطون في بحلاتهم أربعة من الخيل أو البغال أو أكثر إن يسوغ له ذلك ولا يصل إلى حمام الأنف إلا في أربع ساعات أو أزيد أما الضعفاء فلا يستطيعون المرو فيه وترى المسارة يرودون الطرق البعيدة بأضعاف طول ذلك الطريق الذي هو ضررى لجميع من كان في الجهة الجنوبية الشرقية من القطر كهل الساحل وصفاقس والأعراض والجريد أو غيرهم فزال جميع التعطيل بأحداث ذلك الطريق وإن عده بعضهم أنه من التحسينات التي تأخر عن غيرها فلهذا الجمل بأسباب العمران وعدم تفرقه بين الضروري والتحسيني (ومنها) التحجير على معاوضة الأوقاف بمال من النقود بل لا بد بعد المسوغ الشرعى من أن يعوض مكان الوقف بمكان آخر يدا بيد حيث كان ضاع على الأوقاف بسبب مخالفة تلك الطريقة أموال لها بال إذ حرت الأموال التي وجدت لها مقيدة بد فاتر القضاة والمفتيين بأنهم آمن أوقاف عوضت ولم يشتر بشئ منها شيء فكان مجموع المال ٢٤٠٠٠٠ ٦٧٣ هذا عدداً ما عوض ولم يرسم في الدفاتر وإنما كتب في رسوم أصحابه ولم يبق للوقف حجة فيه وهو أيضاً كثير ثم ذلك المبلغ أكثره ضاع بالمرة أما الجمل من أمن تحت يده حيث يقال في الرسم وأمن تحت يده من يوثق به أو أنه أمن تحت يد أناس قد ظهر أفعالهم حتى أنه مع غاية الاجتهاد انما يمكن أن يستخلص من المليونين ونصف المذكورة نحو مائتي ألف ريال فقط واشترى بها أملاً كما وقفت على مرجعها وزالت أسباب الضياع بسبب ذلك التحجير (ومنها) التحجير على العدول الذين يكتبون رسوم يبيع الأملاك بأنهم معها وجدوا في رسم معاوضة أو أنزال أى كرام موبدا أو أخبروا به جمعية الأوقاف لكي يتحور بذلك الوقف فتج من ذلك ظهور أموال للأوقاف تبلغ قيمتها ما يات الألف كما ظهر بالبحث أيضاً

أيضا أملاك أخرى أصلها وقف واسعة وأتت عليها أيدي العدوان ورجعت إلى أوقافها بالمرافعة والأحكام الشرعية وكان من جعلها نيف وسبعون هذيرا أي قطعة من الأرض المترعة ما بين كبير وصغير زيادة على الزياتين وغيرها من الأملاك التي تتجاوز قيمة المليون (ومنها) أبرام من كانت عليه رسوم في أموال من المعاوضات المذكورة مقيمة في دفاتر القضاة مع أن أصحابها دفعوها أو اشتروها بها أملاكاً رجعت إلى أوقافها ولم يكتب على الرسوم في الدفاتر ذلك حتى لو ضاعت بحجة الخلاص على المدين أبقيت رسوم الدين عليه قائمة والمحال أنه خالص وكان الذي تحرر من ذلك القليل ما يبلغ المائتين ألف ريال أو تزيد فأبرئت أصحابها وعلم على رسوم الدين بالخلاص (ومنها) أن عائلة حاى الصباغ الذي مر ذكره أنه كانت له علاقة بالوزير السابق قد نال المجانية من دولة المانيا مع أنه تونسى ولم يجبر عليه ظلمة فكلم الوزير المذكور مع دولة المانيا بواسطة سياسية إلى أن صدر مكتوب منها رسمي بأن الصباغ المذكور لا تنسأله حماية المانيا في خصوص القطر التونسي بل تجرى عليه أحكام بلاده وانما يكون المانيا إذا كان في غير ذلك القطر (ومنها) إنشاء مجلس مختلط من موظفي أغلب فندليات الدول الأجنبية الذين لهم كثرة رعايا في القطر ورئيسه أحد الموظفين التونسيين للحكم في نوازل الديون والمعاملات المالية الواقعة بين أهل القطر والأجانب فيما إذا كان لا يتجاوز المال ألف ريال ولم يتخاف عن الدخول فيه الدولة الإيطالية لخلاف وقع في المقدار الذي يجوز التحسك فيه لدى ذلك المجلس لأن قوانينها إنما تسوغ الحكم في رعاياها على خلاف قانونهم في مقدار لا يبلغ ألف ريال فقط ودامت المذاكرات في ذلك المعنى إلى أن انفصل الوزير المذكور عن الوزارة وحصل من هذا المجلس قطع شعبات عظيمة وهرج كثير في الخصام لأن الديون القليلة والمعاملات الضعيفة كثيرة الوجود واختلاف الحكم في بلد واحد من المصائب العظمى فزال ذلك بوجود ذلك المجلس (ومنها) شرع في المذاكرة مع الدول العظام على اتحاد الأحكام في القطر ولما كان يعلم أن دول أوروبا لا يتقادون إلى إدخال رعاياهم تحت أحكام الشريعة الإسلامية في تونس إذا بقيت حالة القضاة على ما هي عليه الآن حيث أنه يوجد لكل من المذهب الحنفي والمذهب المالكي قاض مطابق للحكم في النوازل مع ما يوجد بين المذهبيين من الخلاف في كثير من الفروع بل وفي المذهب الواحد تختلف الأقوال ويكون للقاضي الاجتهاد في الترجيح والتطبيق باعتبار الأصلح والعرف فيحكم هذا القاضي في حادثة بما يخالف حكم قاض آخر في

مثالها والاروباويون يريدون ان تكون الاحكام المدخول عليها معروفة لهم من قبل مضبوطة بما لا يتوهمون معه ميل الحاكم الى غير ما توجهه النجبة فلذلك أحضر الوزير خير الدين القوانين المعمول بها في الدولة العلية المتعاقبة بالاحكام وكذلك القوانين المعمول بها في مصر وكلف أحد المهرة العارفين بالاحكام الاروباوية بان يستخرج من احكامهم ما يوافق حالة القطر وعرفه وبعد ذلك عقد الوزير المذكور مجلسا مؤلفا من شيخ الاسلام من العلماء الخنفية وهو الشيخ أحمد بن الخوجه ومن عالمين من المجلس الشرعي المالكية وهما الشيخ محمد النفير المفتي والشيخ عمر ابن الشيخ قاضي باردو ومن أحد الوجهاء العقلاء العارفين باصلاحات البلاد وتجارتها وهو الوجهية حسونه المحمداد ليستخرج هذا المجلس من مجموع ما تقدم قانونا شرعيا مطابقا للاحكام الشرعية والعرفية التي عليها عمل القطر من غير تخصيص باحد المذاهب وان كان عاقب عن الاستفادة من ثمره هذا العمل خروج الوزير المذكور من الوزارة فترك المجلس مع ان الاتحاد الحكيم على سكان قطر واحد ضروري (ومنها) انشاء المدرسة الصادقية لتعليم مبادئ الفنون الشرعية كالقراءة والكتابة والقرآن والعقائد والفقه الخنفي والمالكية والفقه والصرف والادب والتاريخ والخط والمعاني وتهذيب الاخلاق والحديث وتعليم اللغات التركية والفرائس اوية والطليمانية وتعليم الفنون الرياضية كالخساب والهندسة والهيئة والجبر والمجهرافيا والفلك ورتب لها معلمين لكل فن وجعلها تقبل مائة وخمسين تلميذا من جميع ابناء القطر المسلمين منهم خمسون تلميذا من ابناء العاجزين عن القيام بهم وهؤلاء يسكنون بالمدرسة وتقوم بهم زيادة على النعمان بالاكل والملبس والمسكن مجانا وأما المائة الباقية فالمدرسة تقوم باكلهم ثمارا مرة فقط وبالتعليم مجانا ويلزم ان تكون جميع التلامذة في البسهم على شكل واحد وأوقف عليهم من أملاك الحكومة أوقافا لها باليزيد دخلها السنوي على المائتين والخمسين ألف ريال ونج من ابناء البلاد ما شهد لهم به الوافدون من أهل اروبا والهاضرون لامتحانهم ومثل هاته المدرسة ضروري للملك الاسلامية سيما في العلوم الرياضية التي اضعفت من الامة وانما خاص التلامذة من ابناء المسلمين من خصوص الاهالي لان ابناء الاجانب لا يمكن اجراء الترتيب في حقهم مطلقا الا اذا وافق اولياؤهم والموافقة منهم كغيرها في ما مودة في كل وقت سيما مع اختلاف الاحكام التي مر ذكرها وايضا من خصوصيات المنفعة للتلامذة عند اسمعياهم للمعارف ان يتقدموا في جميع الوظائف المحتاج اليها في القطر على غيرهم وهذا

وهذا انما يليق ببناء القطر اما الاجنبى فانما يتقدم بل يستخدم بخصوصيات أخرى
واما تخصيص المسلمين فلان غيرهم بالنسبة اليهم قليل جدا كما مر ذلك في فصل صفة
القطر ثم اولئك القليلون لا يرغبون في اتباع جميع تراتيب المدرسة التي منها تعلم
العلوم الشرعية التي هي المقصد الاهم لكي يحصل التبصر من علماء الديانة بالعلوم
الرياضية ويوفقون ما بين ما يظهر بحسب بادى الامر انه مخالف للشرع من بعض العلوم
الرياضية ثم ان الوزير المذکور عزم على ايجاد مدرسة على ترتيب آخر صالح لدخول
غير المسلمين فيه (ومنها) تجميع كتب رجعت للحكومة من صلح الوزير السابق
تبلغ نحو ألفي مجلد فالحقها بنحو تجميع الكتب من أجدد باشا بالخزانة التي عمرها
صدر جامع الزيتونة (ومنها) ما أنشأته بامر من احدث المكتبة الصادقية حول
جامع الزيتونة وجعل لها ترتيبا لم يسبق في البلاد على نحو التراتيب الجارية في
الاستانة والممالك المتقدمة بحيث لا يخرج الكتاب من المحل ويستفاد المريد بما شاء
من الكتب وأنواع الاستفاد مع تحسين هيئة المكان واحضار فرش والمسابر
والاقلام وساعة للاعلام بالوقت والرسم بان كل الاوامر الرسمية العامة العمل بحفظ منها
بتلك المكتبة أسختان لكل من اراد مراجعة ذلك وانظام وضع الكتب وترتيبها
على نسق سهل الاستفاد بها وهذا ولما وقف عليها جميع كتبه العربية وكانت تبلغ
نحو ألفي مجلد كما جمع بها سائر الكتب التي كانت مفرقة في الجوامع والمدارس
وتلاشتها أبدى التالف حتى ضاع أكثرها فان خزانة الكتب الخفية بالمدرسة المسيحية
وجد بها ما كنيسة ولم يوجد بها ولا ورقة مع انها كانت تشتمل على مئات من المجلدات
وهكذا أغلب الخزائن مع عدم النفع بالامن كانت بيده وهم افراد قليلون يعمر عليهم
وجدان الكتاب الذي يريدونه لعدم ترتيب وضعها وضبطها بدق واعداد فضبط وعم
النفع بها لكل مريد من المسلمين حتى قال بعض من كانت بيدهم تلك الخزائن أقسم
اني الآن استنفع بها كان تحت يدي من الكتب أحسن مما كان عندي (ومنها) انشاء
محاسن مكافئة لثقافة البلاد كانه شعبية من المحاسن البادية لكتبة يزيد عليه بدخول
أعضاء من الاجانب لتيسر اداء الاجانب ما يلزم للنظافة وحصول به شيء من النظافة
الضرورية (ومنها) انشاء ترتيب للعلوم وتدريسها بالجامع الاعظم جامع الزيتونة حتى
لا يتجرع علوم ولا نزاد على قدر الحاجة من غيرها واضبطا لدروس وتجري على الوجه
المطلوب للوصول وجعل امتحانا للتلاميذ في كل سنة حتى لا يتقدم للوظائف العلية

الامن قدمته نجابة وتحصيله (ومنها) انشاء ترتيب في ادارة المجالس الشرعية لقطع وجوه تطويل الخصومات ودفع تعارض الاحكام وتسهيل المراجعة بينهم وتحديد اجرات تساعدهم وتعين محل للحكام الشرعية خارج الحاضرة حيث كان كل يحكم في مكانه بحيث صارت المحاكم الشرعية معلومة مضبوطة اوقات الانتصاب فيها الى الحكم وان كانت لذلك سابقة في خصوص الحاضرة من مدة محمد باشا لكن اعتبارها الخال فجدد انتظامها على حسب الوقت (ومنها) انشاء ترتيب لاجمال العدول المنتصين للشهادة وضبط عددهم بالموجودين وحصر المحتاج اليه في كل جهة بعدد مخصوص وعدم تولية غير الموجودين الى ان يصل العدد الى القدر المخصوص فيه فاذا نقص منه احد لا يزداد الا بانتخاب أهل الشرع مع ضبط كيفية ادائهم للشهادة وتجهيلها وكتبتها مما يدفع به حصول الزور وتعديبه اتهم (ومنها) احياء ارسال محصل اوقاف الحرمين الشريفين للمستحقين من اهلها بعد ان مضت على ابطال ذلك سنوات واكات اموال تلك الاوقاف على غير وجهها فخذ ولاية الوزير خير الدين اطاردارسها (ومنها) انشاء شعب عمومي للنساء وآخر للرجال على صفة السجون في البالد المتمدنة من النظافة وتخال الهواء والطبيب والفرش الضرورية للنوم ومحل للطهارة ومسجد للصلاة وجعله مقسما على عدة اقسام بحسب الجنائيات التي يسجن فيها وبحسب حال المسجون من السن والعرض بحيث صار يسجنون لا كما كان مقفلا وان حصر دخوله بمن يحكم عليه بالسجن اما الموقوفون فقد بقوا يوقفون في السجن القديم فكانوا أشد عقوبة ممن نفقت عليهم الجنائيات ولذلك كان الوزير خير الدين المذكور طارضا على احداث محل لا يقف (ومنها) حصر ابرار اهل الحكومة واتباعها المرسلين في الايمان بالجماعة في مقادير معلومة معلنا بها للهمم على حسب الجنائيات وبعد مكان المجلوب بحيث صار ذلك القدر معيناً بالحكم بمقدار غير مجحف لا كما كان من تفويضه لارادة المرسل الذي كثيرا ما اضر بالجماعة بل بالذي تثبت برأته اكثر مما يناله من الحكم (ومنها) جعل خزانة يجمع بها اجر اولئك الاعوان المتوجهين من الحكومة ويخرج منها في رأس كل شهر اجر معين للاعوان المسلمين بالبوابة الذين كانوا يأخذون مقادير من يريد الشكاية ويقع بسبب ذلك محاسبة في تقديم بعض المشتكين على بعض ثم يتسم الباقي على الاعوان الاخر الذين في بؤية الخدمة على حسب رتبهم وحصل بذلك تعادل فيما

يحصل للأعوان وتحسين في هبشتهم وشارتهم لانه قبل ذلك كان المقرب عنه مدرئهم
يحصل على مال كثير وغـيره يبقى على الاعداد مع اتحاد الوظيفة (ومنها) ان من
يحب من المشتكى بهم فتثبت برأيه لا يؤدي أجر جالبه سواء كان في مال أو جنسية
فان كان للمشتكى شبهة راجحة في شكائته لا يؤدي هو أيضا الاجر ويحسب المتوجه
في المنازلة كان لم يتوجه فيها ويعد توجيهه في نازلة أخرى لان أجره في الواقع يخرج من
عموم ما في خزانة الأعوان والابان ظهر بعد المشتكى للبطل فهو أحق بالرجوع عليه
(ومنها) حصر أجر ما يكتب من التسييلات في خصوصيات الأهالي على أيدي العمال
في مقدار معين وهو بالآلات ١٢٢ بحيث لم يبق الأمر على مشيئتهم الذي كثيرا ما كان
سببا لامتداد أيديهم لاموال الأهالي (ومنها) الأمر بدم التشديد في توقيع الكفاف على
من يحلبه أعوان الحكومة من الجماعة اذ كان وسيلة لهم في التوصل الى المال (ومنها)
إبدال السكة الفضة التي كانت ناقصة في الوزن ومن كانت في يده تبديل له في الحال
بسكة الذهب الكاملة يدايد على خلاف ما سبق كما مر ذلك في واقعة الفلوس الخماس
(ومنها) ضبط العرف الجاري به العمل في الفلاحة التي هي أهم اشغال أهل القطر
ومورد ثروته وضبط ما يتعلق بشركة الخماس في قانون معروف يرجع اليه عند الحاجة
وقد كان من قبل لا يعرف له مرجع الا الاستخبار من افراد اصحاب الفلاحة وكثيرا ما يقع
بينهم الاختلاف في الاخبار عن العادة والعرف حتى يختار الحكم فيما يحكم به (ومنها)
ترتيب مجلس التحفظ العمومي على النهج الجاري به العمل في الممالك المتحدة وجعل له
قانونا خاصا يرجع اليه وأدخل في اعضاء المجلس اعيانا من متوظفي الحكومة مع قناصل
الدول الذين هم اعضاء لذلك المجلس (ومنها) انشاء ترتيب لقيمة أعمال العمال في
مواصاتهم مع الحكومة وضبط مكائبتهم وأحكامهم في دفاتر تكون حجة فيما يراد
الرجوع اليه وليعلم الداخل للوظيفة ما هي أعمال السابق عليه هذا وأما ما يرجع الى
تحسين مالية الحكومة والأهالي فقد شدد الفـهـم على العمال وسائر المتوظفين وحصر
أوجه الدخل والمخرج وبنسأه على ميزان سـمـوى على نظرقسم النظر من الكومسيون
المالى وضبط كيفية القبض من الرعايا بان كل من يدفع ماعليه من المال اتعين الذي
استوت في معرفة مقداره الأهالي جميعا يأخذ بيده حجة من نوع خاص من البطاقات على
شكل خاص محتومة من شيخ القبيلة أو طاملمها مقطوعة من دفتر خاص بذلك بحيث يبقى
نصف الرقعة في الدفتر مرسوما بها نظير ما يده صاحب المال لينضبط الاستخلاص ولا تمتد

(٧٠)

الايدي الى الاموال ومن خالف ذلك عوقب على حسب جنائمه ثم خفف كثير من الاداء
على السلع الخارجة من القطر الذي هو الامر المعقول لانه كثير الثروة في القطر بنماق
نتائجها واستعواضها باموال غيره وذلك يحصل بتخصيصها وتسجيل نقلها واخراجها
فصدر لذلك مكتوب الوالى للفتاى مع ما ياتي بيانه (الاداء على البضائع)

ما كان سابقا ما استقر عليه الحال

ربالات ربالات

قنطار الشمع	١٠	٢٠
الصوف المغسول عدا ما يؤدى للقهق ودار الجاد وهو ٤	٢٠	٤٠
قنطار الجاد القريبقى	٦٠	١٢
قنطار الصوف بونترف أى المركبة من المغسولة وغيرها	١٠	٣٠
قنطار الصوف غير المغسول عدا ما للقهق ودار الجاد وهو ٢	١٠	٢٠
قنطار التمر الدقلة	١٠	٢٥
قنطار التمر الحرة	٣٥	٦٠
تمرقابس	١٢	٦٠
البسر	٠٢	٠٢
جلاد المعز	١٠	٢٠
بطانة الغنم أى جادها	٠٨	١٥
القطن الغير المصنوع	١٠	٣٠
النبله	١٠	٣٠
القماصة كاصله نوع من الابرار	٠٥	٠٥
القنطس مثله	٠٤	٠٤
العسل	١٠	٢٥
النشاف أى الاسفنج المغسول	٣٠	٦٠
الغوه نوع من الصبغ	١٠	٤٠
الحمنة	٠٣	٧٢
القرنيط نوع من السمك	١٠	٢٥

ما كان سابقا ما استقر عليه الحال

ريالات ريات

١٠	٥٠	رطل العلق أى دود المساء يستعمل لامتصاص الدم من الانسان
		فى الامراض
١٥	٥٠	قطار بيض السمك ومجم الثن
١٥	١٥	قطار النشاف أى الاسنج غير المغسول كاصله
١٥	٧٠	قطار النحاس أسقط عنه الاداء بالمرة قطار الصابون
١١	٨٠	صابون سوسه مع ان اداء الطبخ داخل فى ذلك
٥٠	١٦	الزيت وقد كان من قبل يؤدى بالمطر فصيره وزنا

وعلى النسبة المذكورة وقع التخفيف على مصنوعات الصوف والقطن فى جربه التى هى أعرض نائمه على ما مرفصا على ما ياتى

على ما يباع من الغزل	٦	فى المائة
على ما يخرج من جربه الى مراسى الماسكة	٣	فى المائة
اداء العامل على كل شدة من المصنوعات	٣	ريالات
على ما يباع من المصنوعات	٦	فى المائة
على كل شدة للزام	١٢	ريال ونصف

(ومنها) انشاء مراكز للقمرق فى جهات الحدود لضبط القمرق (ومنها) انفاق دفع المرتبات لأصحاب الوظائف سيما الوالى وآل بيته بحيث يقبضون مرتباتهم من أول الشهر الا ما ندرا ما الوالى فلم يخفف مرتبه ولا شهر او احد اعن ميعاده وقد حصل فى بعض السنين زيادة فى الدخل عن المقدار المعين للمصروف فاشترى به مقدار من دين الحكومة لذاتها لأنه مما يرجع الى مجالس الادارة النائب عن أصحاب الديون واستفادت منه الحكومة فى وقت قلة الدخل لكن لم تتم الفائدة حيث ان بعض المفرضين سعى فى اسقاط اعتبار مالبة الحكومة على ماسيا فى بيانه فلزم لرفع ثمن سهام الدين اقراض الحكومة بعض التجار لتظهر الرغبة فى شراء الرقاع بما يطعمون به التجار فرهنت الرقاع المشتراة للحكومة لذلك القرض ولم ينفع ذلك فى ارتفاع الثمن بل زاد فى الانحطاط الى ان خسرت الرقاع بالمرة وبيعت فيما رهنت فيه وانفلس التاجر الذى اقترض المال ومما

حصل من أعمال هذا الوزير مدة ولايته جعل مرا كز من العربان في الطرق الخفيفة
واعفاء أصحاب المراكز من الاداء الموظف على بقية السكان واجراء شئ من الحبوب اليهم
على ان يعمر وانك المجاهات ويكونوا مالمولين بما يحصل في أما كنهم من الجنبايات على
المسار حيث انهم هم الحارسون وبذلك وبانفاذا الاحكام من غير محاباة امننت السبل
واسستقر الامن حتى صارت القوافل والفرادى في الامن وعدم الخوف سواء (ومنها)
الاحسان الى المحسن من الاهالي بامنه في ماله وعرضه ونفسه وان كان موقتا بعدة انقباهه
الوزير واجراء العقاب بلا ضعف على من يجب الراحة ولا يطبع أو امر الخ كومة حتى انه
لما ظهر من فرقة من قبيلة الهمامه عصيان وتعبير للامن بانها بهم لغيرهم من القبائل
واخافة السبل وجه لهم معسكر اشحت رياسة وزير الحرب رستم وزجرهم وعاقبهم عند
ما ظهر واحربه وارجعهم الى الطاعة وامن تلك الجهات وعدم ارجع المعاصرة وعلموا
باسستقراره عادوا الى ما كانوا عليه ظنا بجهز الخ كومة عن ارسال معسكر اثار السابق فلم
يكن من الوزير خير الدين الا ان وجه عليهم فرقة من العساكر الفرسان المسلمين بالخوانب
والصباحية مع أو امران يمرون عليهم من قبائل العربان بان يتوجه معهم فرسانهم في
أقرب وقت لردع البغاة فلم تكن الا بضعة أيام حتى عاقبوا البغاة وخضعدوا وشوكتهم
ببأسستقر معه الامن منهم الى الآن وعمل هاته الشدة في ابانها والرفق واللين في ابانها
خضعت القبائل وبادروا الى دفع أموال الخ كومة في ابانها ونفذت أو امر الخ كومة فيهم
وانقادوا لها بطيب نفس لاجرائها العدل فيهم بما لم يبق لهم معه خوف من امتداد
الايدي الى مكاسبهم فاقبلوا على العمران وكثرت ثروتهم حتى ان في العام الثاني والثلاث
من ولاية هذا الوزير كثر ثمره الاعراب للعلی من الفضة ما سبق من عدمهم منها وتكاثر
ذلك تكاثر افاحشا الى ان صار الصباغ لا يوفون بمحتاجهم وصارت دار السكة كل يوم
تصنع علامة السلامة والحمية مع المصوغ المذكور بما يباع وزنه الى عشرات أو مئات
القفاطير الى ان كتبت اخباره في الصحف العربية والاروباوية (ومنها) جعل صندوق
مقفول له منقذ لوضع المكاتب فيه ان اراد رفع نازله للوزير أو انهاء مصلحة بان يشرح
مقصوده ويبين دليله ولا يلزمه التصريح باسمه ليسهل رفع المظالم وعدم الخوف وجعل
مفتاح المحل الذي يمكن وصول كل الناس اليه عنده والتمن ان يفتح هو بنفسه جميع
المكاتب ويوقع عليها ابرامه من الملاحظات فيها ويوجهها لاحد أقسام الوزارة الجامعة
اليها النازلة بحيث تكون النوازل على ذكر منه لكي لا يقع التعريف في تخفيصها

أولها ما ربما يمكن ان يحدث في بعض النوازل وان نسب اليه بعض المتوظفين في ذلك عدم الثقة ببعضهم وحب الاستبداد بكل الاشغال وهو يقول انه اغما جعل التعب على نفسه ولم ينقص من مراتب المتوظفين شيئا لعدم القدرة على فتح المكاتب الا باذنه (ومنها) تحسب حالة مطبعة الدولة التي هي ضرورية في هذا الزمان لطبع الكتابات الرسمية وغيرها مما يهجز عن الوفاء به الكتاب وتيسير نشر الكتب في العموم ليسهل تناولها بالعموم ليسير ويتوصل للانتفاع بها ذوو الجدة وغيره الذي هو من أعظم الاسباب لترقي الامة في المعارف والعلوم وهكذا تحسب ادارة الرايد النونسي الذي هو الصحيفة الرسمية للحكومة وصار صدره موقعا مثل سائر الصحف بعد ان كان لا يخرج منه الا عدد يسير ربما بلغ النصف أو أقل مما يلزم خروجه منويا واحمال انه أسبوعي ثم الاستفادة فيه بأفكار الوزير في المسائل السياسية بما كان ينشر فيه من المقالات المرشدة الذي هو ضروري للحكومة في ايقاظ أهلها والسكان وإرشادهم لما تراه بالظن الى غير ذلك من فوائد الصحف على ما سيأتى في الخاتمة ان شاء الله تعالى زيادة على نشر الاوامر الرسمية ليستوى في معرفتها القريب والبعيد ودليل ما ذكرناه اختلاف منى الرائد بعد خروج الوزير من الوزارة عما كان من شجنته بالمقالات السياسية كمقالة المدار على الرجال غيرها مما هو كثير والزم المتوظفين بقراءته وأخذته اذ يقبح بالمتوظف ان لا يعلم أحوال حكومته فضلا عن غيرها بل ذلك شرط في المتوظف في الممالك المستقيمة (ومنها) جعل خزائن المكاتب الحكومية وجمع العميق منها على ترتيب يسهل به معرفتها والتوصل اليها في أقرب وقت وذلك من أهم الامور (ومنها) تعميم امر تعظيم المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم فجعل له مواكب في جميع البلدان بالقطر مع اطلاق المدافع عند الوقوف اسمع الايات (وهي قوله)

قليل لمذبح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب
اما الله تعظيمه له كتب اسمه * على عرشه يارتبة سمعت الرتب
فقم أي الزاجي لتبيل سعادة * قيام محب صادق الحب والادب
ففي الذكرا لاسم الحب احضار ذاته * بقلب له في الحب وجد له لمحب
ورب جليل عظم الناس ذكره * فكيف وهذا سيد البعم والعرب
عليه صلاة الله ثم سلامه * يكونان للرضوان من أعظم السبب

وعلى جميع ما يعمل منه له في الحاضرة على نفقة الحكومة (ومنها) تحرير المكايل
والاوزان وتحرير مكال الجبس أى الجص (ومنها) إنشاء مهمل الفازية بدجلة أن كازية
في الحاضرة (ومنها) إنشاء بطحاء القصبه وتحسينها وإنشاء قصر لوالى على الوجه المطل
على البطحاء المذكورة من قصر الملكة الذى بناه جوده باشا واكمل بناء السوق
المحيط بالبطحاء المذكورة وتعميره بتجار من الاهالى وترغيبهم بالشراء منهم والمجلوس
بحوائيتهم وقدم الوالى اليهم فى بعض ليالى المواسم وتحسين الحصن المطل على البطحاء
المذكورة (ومنها) فتح باب الجامع العتيق الكائن بالقصبه على الطريق العام حتى يمر
بالمصلين وانتفع به المساكين وقد كان من قبل لا تسلك فيه جماعة لان له بابا واحدا
داخل القصبه وقد خربت من السكان منذ زمان (ومنها) تدارك السور الخارج المحيط
بالحاضرة بالأصلاح فأصلحته من الاوقاف وأصلحت الحصون المحيطة بالحاضرة وكذلك
أغلب حصون البلدان التى بها حصون كصفاقس والقيروان وسوسة وغيرها (ومنها)
إنشاء بطحاء عظيمة خارج باب البحر واستقامة الطريق الموصل منها للبحيرة وهكذا إنشاء
عدة طرق فى البلاد وأصلاح غيرها (ومنها) العناية باحياء صناعة النقص عديده أى
النقص على الجص المطلى على المحيط والقباب التى هى أغرب صناعات تونس والمغرب
فى البنا وقد انعدم صناعتها من البلدان فشاء عارف بها من المغرب فجعل له الوزير خير
الدين اجرا وصاحبه بعدة اناس من الاهالى وأحسن اليهم الى أن تعلموا الصناعة الغربية
بعد اندثارها وانما حصل انه أجرى مصالحي عديده ومن أعظمها قطع مادة الرشاو بيع
الوظائف الذى هو أساس العدل حتى غبت المكاسب وانكفت أيدى المتوظفين الا
ما كان على وجه الاختلاس مما لا يمكن التحرز منه ولم يرفع أمره اليه أولم ينتبه بواسطة من
الوسائط اليه بحيث يقال فى مدته ولايته فى القطران حكومته استبدادية طائلة تاحية
منعنى الشورى لان أغلب ما مر ذكره من الخصال كان يعقده لخبثات من اعيان الاهالى
أو اعيان المتوظفين أو العلماء والاغلب ان تكون تحت رياسته ولا يقوم امر الاعد
التوافق والتدبير فيسه وأحيمه الاهالى واعترفوا بفضل سيماء وقد أنابهم بعد شدائد
ذكرها حتى انه لما اتم امتحان تلامذة المدرسة الصادقية فى السنة الاولى ورأى أبائهم
مالم يعهدوه فى التعليم اظهروا عمنونيتهم وشكرهم بان اتخذوا محققين كريمين وجعلوا
لهم أسافرين فآخرين وكتبوا على الاول منهم ما بالياقوت الايض على احدى الدفتين
المحفوظ بالسور والاسمى وعلى الثانية بمحمد الصادق باى وعلى الثانى منهم ما بالياقوت

الايض أيضا على احدى الدفتين الناصح الامين وعلى الثانية الوزير خير الدين وذلك
اللقب هو الذي جرى التعارف في اطلاقه عليه عند أغلب الاهالي ودفع ثمن ذلك اياه
التملاذ من انفسهم كل على قدر ثروته فمنهم من دفع ربالا واحدا وهو ما في رسه وذكروا
ان لم يؤخذ منه ومنهم من دفع عدة آلاف واهدوا المصحفين للوالي وللوزير مع خطبة
مفحمة عن الباعث على ذلك وهو نتائج المعارف لابنائهم ثم بعد سنتين اجتمع اعيان من
التجار البلديّة وغيرهم من اعيان العربان وبعض اصحاب الاملاك المثرين وصنعوا في اندرة
مكتبة أى مأثدة للكتابة من خشب رفيع مذهبة وملونة وادراتهم من ذهب وعلمها
ميزان اشارة الى العدل وكتب عليها اسم الوزير خير الدين واهدوها في رأس العام الى
الوزير المذكور مع خطبة مفحمة عن الباعث وهو ما حصل من ثمره اعماله في عموم القطر
حتى ازدادت الثروة وغابت اسعار الملك وراجت التجارة وهكذا كانت عاقبة سياسته في
الخارج على سلم وهناء ولم يحدث مع احدى الدول أدنى صعوبة ولا ظهر من أحد القناس
تشدد في نازلة ما من متعلقات دولهم ورعاياهم مع أن بعضهم كان يفر من ذاته لضعفه
أو منفعة له من الوزير السابق ومع ذلك لم يجد شيئا يستند اليه في انشاء صعوبة أو تعكير
هناهم ولم يعترض على ما حدث مدة ولايته في الداخل أو الخارج الا ما يأتي بيانه وهو اعطاء
منحة لشركة فرانسوية في احداث طريق حديدية من حاضرة تونس الى الجهة الغربية
فانتقم هذا العمل بان سياسة فرانسائي تونس معروفة وذلك الطريق يؤل الى تسهيل
استيلاءهم على البلاد وهنالك العقول على فرقين فبعضهم يرى السهولة من تسهيل نقل
العساكر من الجزائر الى تونس في أقرب وقت ومنهم من يراها بالتسهيل المعنوي وهو
زيادة النفوذ والاختصاص بالمجربل يقول بعض الانكليزيين ان مراسي تونس نصير
خالية وتصبح عنابة أى بونة هي مرسى تونس وهي فرانسوية وذلك لان الساع التي توسق
من تونس لا تدخل الى فرنسا الا بآداء بليغ عليها في مراسي فرانساجل ما يوسق من
مرسى عنابة فانه اذا دخل الى مراسي فرانسالا يودى شسباً فيكون سبباً في التزام التعار
توجيه البضائع الى عنابة وتبقى مراسي تونس خالية وزاد لاعتراضين قوة في أن المقصد
بذلك الطريق أمر سياسي ان الاتفاق فيه تم في أقرب وقت حتى أشاعوا أنه وقع من غير
استشارة بقية الوزراء هذا مدار الاعتراضات ونحن نقص قصص ما وقع في المازلة وأحوال
متعلقاتها وفي كل الحكم فيها الى المطالع وهو أنه في سنة ١٢٩١ قدمت شركة
انكليزية وطلبت منحة لاعمال طريق حديدية بين تونس ودخلة جنديوبه في الجهة

الغريبة من القطر المعنية بأفريقية التي هي أهم الجهات في الفلاحة على ما تقدم بيانه في
 الفصل الاول من الباب الثاني من المقصد على ان تمر الطريق حذو بلد باجه وتصل الى
 معدن دجيه المركب من الرصاص والفضه وتختص بتشغيله على أن يكون للحكومة قسط
 من دخله بعد طرح المصاريف فقسطها يكون من الربح وحيث كانت منافع طرق
 الحديد في الامالك من أعظم أسباب عمرانها على ما سيرد ان شاء الله في الخاتمة وكانت
 تونس من أحوج الاقطار اليها لعدم وجود الانهر والترع التي تمكن بها المواصله بل ولا
 مجرد الطرق الصناعيه وكانت تنامي الزرع في الاماكن المخصبة يتعذر نقلها بل
 يستعمل زمن الشتاء والوحل وكان نقلها في زمن سهوله الطرق يكلف مصاريقها هائلة
 ربما لا يوفي بمصلحتها ان الخيول عنديهم هاس حتى كان الشعير لا يجلب من تلك الاماكن
 لما رمى الامايكة ولا لبلدان اسواقه لعدم وفائه بأجرة جملة فضلا عن التبن فان كلاً
 منها ما يترك في مكانه الى ان يضيغ على أعصابه ولا زال مثل ذلك الى الآن في جهيل ماطر
 وغيره بل وكان جلب الخيول من الاماكن الاجنبية في البحر ايسر وأرخص من جلبها
 من داخل القطر ورايت في رسالة كاييزول القنصل الفرنسي في تونس جازق الوادي من
 تونس التي ألفها في التمرين باحوال القطر ما معناه ان هاته البلاد التي كانت تسمى
 بمغزن محبوب أوروبا في الزمن السالف هاهي الآن يجلب اليها القمح من خارج ويباع
 بارتخص مما يجلب من داخلها حتى كان ذلك سبباً في تعطيل أكثر أراضيها وفقر أهلها
 (الح) ولقد صدق في ذلك وكان تأليه تلك الرسالة في حدود سنة ١٢٨٠ التي مر تفصيل
 أهوالها فلما ذكر كان احداث الطريق الحديدية ضرورياً للقطر فبقى الكلام فيمن
 يصنعه والامر منحصر في ثلاثة أوجه الاول ان تصنعه الحكومة وقد علمنا ما من أغاب
 ما ليتها راجع للاجانب بسبب ديونهم وما بقي من دخلها المتساوي في ضرورياتها التي
 لا مندوحة عنها فلا سبيل لها لالعمال الطريق المذكورة لما يلزمها من كثرة النفقات
 (والوجه الثاني) ان يتولى عملها الاهالي وهذا ايضا امامة متدرا وضعب جدا الان ساقية
 الفقر فيهم قد أخذت مأخذها وما تراجع لهم من بعد لم يكن موفيا بالقصود وعلى تسليم
 اقتدارهم فانهم لا يهتمون الى ذلك (اما أولا) فاعدم معرفتهم بفوائد الشركات لان مثل
 ذلك لا توفى به قدرة الواحد وقد علمنا ان فتح ابصارهم لئل العلوم الرياضية والاقتصادية
 والمدنية انما كان بعد ذلك التاريخ وعلى فرض حصول مبدأ التعليم من قبل فلا بد له من
 زمان لينمي ويحل به (واما ثانيا) فانهم لا يأمنون على اظهار أموالهم وما بالهم من قدم قد

وأما انقضاء عهد الأمانة المتعزم به بعد الله وشهادة الدولة العلية وسائر الدول الأجنبية وحرص دولة فرنسا في اتعاضها ورأوا باعيتهم كيف جرى قتل النفوس وتهديب الأبدان واستئصال الأموال فما هي قدرة الوزير وحده في حفظ حقوقهم وأمنهم وهل ذلك الأمور قد بوقت تصرفه على أنه من الضامن لهم في بقاء الوزير على ما هو عليه وهل هو إلا بشر قابل لتغير الأفكار وهذا يعلم أيضا عدم إمكان جعل الإهمال غصباء على منفعتهم في ذلك الطريق من الوزير خير الدين ولأنه كان لهم فيه نفع لكنه يظلمهم بأقلاف أموالهم لما أشرنا إليه بل ولرسم ما يقع من استيلاء الحكومة على مداخيل الطريق والتدخل في إدارته لا يدوم شغله كما حصل بالفعل في معمل الماف الذي كان إنشاء أحد باشاوي يؤيد ذلك ما حصل من الخلل في أشياء أسسها هو وممرضه وسأني كيفية خله فمعين حينئذ (الوجه الثالث) في أعمال الطريق الحديدية وهو أعمالها يمد لها اقتدار على المال وتأمين عليه وليس ذلك إلا الجانب ولما قدمت الشركة الانكليزية المارز كرها وطلبت تلك المنحة عقد الوزير عدة مجالس من بقية الوزراء والمستشارين وكان بعضها تحت رئاسة الوالي نفسه وتفاوضوا في مصالحها ممرضه وبعضه واستقر الرأي على عقد الاتفاق مع تلك الشركة في أحداث الطريق المذكورة رسميا وقد سبقت شركة انكليزية لأحداث طريق بين المحاضرة وحق الوادي وتتم الاتفاق على شروطه التي منها أن للشركة أن تمدفروا من الخط الأصلى بينا وشمالا كل فرع بأوله خمسون ألف مئرواى فحوصلة وأربعين ميلا أي بما أرادت ومنها أنه إذا مضت سنة ولم تشرع الشركة في العمل يفسخ العقد فشرعت الشركة في جمع المال لذلك غير أنهم لم تنجح لأن الانكليزيين ليس لهم هم في تجارة تونس ولا في سياستها ولا يصرفون المال إلا بغلبة الظن في الربح وقد علموا أن الطرق الحديدية غالباً في أول أمرها تنحسر وشاهدوا في طريق حلق الوادي عدم الربح الذي أطعموهم فيه فبعد انقضاء الاجل طلبت الشركة أجلاً ثانياً لها لتحويل الرغبة فلم تحصل على شيء وآل أمرها أن طلبت من حكومة تونس أن تتهمد لها بربح خمسة في المائة على ما تصرفه فان وفي ذلك أوزاد فهو لها وان نقص أو لم يحصل شيء فالحكومة تلتزم بإبقاء الخمسة في المائة أو أن الحكومة تدخل شريكاً مع الشركة المذكورة بالربح من رأس المال ولا يخفى أن ذلك لا يتيسر لأن الوزير خير الدين على علم من ضعف مالية الحكومة ومن خساسة الطرق في أول أمرها ومن الشك في حصول الربح من المعدن ومن صعوبة المحاسبة والاحتساب مع الأجانب

مع اختلاف المحكم زيادة على كون مثل ذلك لا يتم الاموافقة الحكومة مسيون المسالى الذى هو المحاسب على مالية الحكومة من الاجانب فرفض مطالب الشركة الانكليزية المذكورة وفسخ الاتفاق معها واشتر ذلك فجاءت في اثره شركة فرانسواوية وهى المسماة الان بشركة بون كالمه وطاب زعيمها من الوزير خير الدين احالة الاتفاق الذى فسخ مع الشركة الانكليزية لجهزها الى الشركة الفرانسواوية المذكورة بلا اشتراط الضمان المذكور لكن على شرط ايصال الطريق بطريق الجزائر فاجابه حالاً بعدم تيسر ذلك لجلبه مسائل سياسية لا داعى لفتحها فرجع الزعيم وقال نكتب في المحلول محل الشركة الانكليزية التى سمعتم لها وارضىتم بشروط الاتفاق معها فذلك الاتفاق يحال اليها فاجابه بأنه يعرض المطالب على الوالى وأخبر الوالى وعقد مجلساً سرى من سائر الوزراء والمستشارين الا الوزير حسين حيث كان في بلد قرنه لخصام ورثة القايد الذسيم واستقر رأيهم على نقل المنفعة لما تقدم من البواعث والاسباب ولان الامتناع من خصوص الفرانساويين بعد حصول المنفعة لغيرهم وعدم الفرق في الشروط ربما لا تسوغها المعاهدات والحجج نعم وان كان هناك فرق في سياسة اصل كل من الجنسين لكنه لا يمكن الاستناد اليه في الحجج سيما وصريح المعاهدات مع الدول قائل ان كل منحة أو امتياز أو اعتبار يحصل لاحد الاجناس يكون للجنس المعقود معه المعاهدات مثله بل في بعضها يقول انه يكون له مثل الجنس الا كاعتبار (الخ) فكيف مع ذلك كله يمكن الامتناع ولذلك احيل الاتفاق المشار اليه الى هاته الشركة مع زيادة التحري في شروطه للحكومة فكان مما زيد على الشروط السابقة ان قسط الحكومة الذى تأخذه من المعدن يكون من ذات الخارج قبل طرح المصاريف ومنها ان الجهات التى تمد اليها الفروع يلزم الاتفاق فيها من قبل العمل مع الحكومة على المركز المنتهية اليه وعلى محل المرور ومنها ان لا توصل الطريق بطريق الجزائر وعندها هذا الشرط طلبت الشركة المذكورة ان يزداد ايضاً وان ليس للحكومة ان تمنع الوصل بالجزائر لغير الشركة المذكورة فريد ذلك بحيث ان المنفعة كانت خاصة بمنح الشركة الانكليزية مع زيادة شروط لفائدة الحكومة ولم يقع الايصال ولا طلبه مدة الوزير المذكور وانما وقع فيما بعد على ما بأتى شرحه في المطالب الثامن ان شاء الله تعالى ويشهد لما في ذلك من المنافع وعدم المضرة المذكوب الذى ارسله قسم النظر من الحكومة مسيون المسالى الى الوزير خير الدين اثر انعقاد الاتفاق ونصه سيدى فان اعضاء قسم النظر من الحكومة مسيون المسالى رأوا ان

من واجباته أمور يتهم ابداء سرورهم بخباياكم بالاتفاق المنعقد في هذه الايام على
احداث طريق جديدة بين الحاضرة ووطن باجه لان ما يلزم لنقل نتايج الوطن من
المصاريف الباهظة عطل وسق النعمة فكاد ان يبطل أهم فروع متاجر المملكة
مسح الاقطار الاجنبية فكان من الاكيد ازالة هذه العوائق بتيسر واشتغال
الفلاحة والمعاملات وقد عرض فيما سبق قسم النظر على جنابكم صورة احداث
طريق اعتيادي بين الحاضرة والوطن المذكور حرصا على حصول الثمرات
الاكيدة فلما وقع الاكث ما تامل به اتمام هذه المصلحة بما لا يثقل مالية الدولة مع
استيفاء الشروط الواجب اعتبارها في مثل هذه المشروعات صار فرضا علينا
نظرنا الى مصالح البلاد التي هي لامحالة مصالح اهل المملكة والاوربار بين
المستوطنين بها على اختلاف اجناسهم كما هي مصالح ارباب الدين ان تنهى جنابكم باتمام
هذا المقصد المبارك ولم يبق لمحبكم الا ان يؤملوا المناسحة فيه في اقرب وقت بحيث
تستكمل به رغبة الاهالي فيرون ان شاء الله اتساع نطاق التعامل وغواسباب الهوان في
تلك الجهات ويفتح ما بقي مرفحا الى الاكث من ابواب الفلاح وموارد الثروة وهذا اول
ما ترتبط به فيما بعد سائر جهات المملكة من الطرق المهمة السريعة فلا حاجة
(حينئذ) الى اللدائمة ومساعدة الوقت لتحديد شباب المملكة وفلاحتها والصناعة
والمالية بها فيتم بذلك ما لم يزل جنابكم ساعيا فيه بحق السعي منذ ثلاث سنين من تهيير
هذا القطر والكتب من معظمي السيادة أعضاء قسم النظر من السكوك ومختون المسالي
في ٢٠ مايو المسيحي سنة ١٨٧٦ وصحح من الاعضاء الانكليزيين والاطليانيين
والفرانساويين نلو كان في ذلك الطريق ما يخل بالسياسة لما صحح الانكليزيون
والاطليانيون لان ذلك معاين لسياستهم ولو فرضنا جعلهم بالنسبة لهم اهل سياستهم لكي
يكون لهم مسند ايواما بل ان اهل سياستهم لم يتعرض منهم احدهم لذلك على ان تؤهم
الاسئلة الحسنة بمجرد الطريق المذكورة من الفرانسييس ليس هو الا وهم لان قوة فرانسا
ومنعها من الاستيلاء على تونس ليس هو لثوقتها على صعوبة الطريق فان بين مرمى
عنايه ومرمى حلق الوادي مسير اثني عشر ساعة فقط بالبواخر في الجبل ان مرمى ابن زرت
لا تبعد عاها اكثر من ثمان ساعات وسفن فرانسا التي توصلت بها من فرانسا الى
الجزائر بل ومن فرانسا الى سائيفال بافريقية الغربية والى كندوبابا الهند الشرقية
لا يصعب عليها قطع تلك المسافات تنبيه قد ايد هذا الرأي ما حصل بالفعل في خارج

القطر من هجوم عساكر فرانسوا براون بحرا على القطر سنة ٩٨ ولم تتركب ولا فرقة منهم طريق الحديد المذكورة مع وصولها الى حدود الجزائر وأما الاستيلاء المعنوي فان كان المراد منه زيادة النفوذ وزيادة المتجر فسيأتي عليه الكلام في المطالب الثامن ان شاء الله وان كان بالمعنى الذي مر ذكره عن أحد الانكليزيين وبقاء مراسي القطر خالية فهو مدفوع بان الساع التي تؤدي عند دخولها الى فرانسوا تصير تؤدي ذلك في حدود الجزائر وغاية الامر ان يتبدل الطريق ومحل الاداء وأما ذات الاداء فهو واحد وبه يتحدد ثمن البضائع سواء شحنت من هاته المراسي أم من هاته وقد اجتمعت في موطن مع الوزير خير الدين بعد الاتفاق المذكور وشيوع ذلك الاعتراض بما تقدم ذكره فذا كفى في دفعه بما يقرب عما شرحناه وزاد في الجواب وهو متبسم بان قال ان الاعراض بان ما كل ذلك الطريق هو اخلاص المراسي القطر التونسي وانحصار الشحن في مراسي الجزائر (الحج) هو مما لا يقوله الا جاهل أو متجاهل بما ينشأ عن الطرق الحديدية من المهران وسهولة المواصلة مما يكفي في البرهان عليه الوجود الخارجي في المسالك المحاذية لتلك الطرق والخالية عنها فان ازدياد المهران الاولى وتوفر مكاسبها وعكس ذلك في الثانية مما يقضي فيه العيان عن البيان فاما المتجاهل فالكلام معه ضرب في العبث وأما الجاهل فبقاؤنا له ان الضرر من نقل البضائع بطريق الحديد الى الجزائر على ما قالوا لا يتخلو اما ان تحصل للاهالي أول الحكومة فان قلنا انها اللاهالي بالنظر اليهم فرادى فالجواب ان الافراد ممدار نفقهم على زيادة أسعار بضائعهم بقطع النظر عن الحمل المشحون منه وذلك لا يحصل الا بتسليم النقل المنحصر في طريق الحديد نعم اذا خشى من خروج النتائج الغلاء في البلاد فالحكومة تمنع الانحراج من أي طريق كان سواء كان من مراسيم أو من الحدود البرية وان قلنا ان الضرر تحصل للاهالي بالنظر لجموعهم من حيث نفع الوطن فهو يرجع (حينئذ) الى منع الحكومة فيكون الجواب شاملا لكليهما معا وهو ان ضرر الحكومة مندفع بما تقدم شرحه من أخذها اداء الشحن الى خارج القطر سواء خرجت النتائج من المراسي أم من الحدود البرية على السواء بل نقول ان بالطريق الحديدية يحصل النفع ودفع الضرر في خصوص الاداء المذكور بخلاف وقت انعدام الطريق وبيانه ان الحدود ما بين تونس والجزائر ممتدة على جميع طول الحد الغربي للقطر التونسي المتجاوز اربع مائة ميل وأغلب سكانه اعراب رحالة يتكسبون بما يحملونه على ظهورهم فاذا وجدوا اثمان النتائج أغلظ في الجزائر لدخولها الى فرانسوا

بدون اداء لاشك انهم ينقلون نتائجهم الى العمل الذي تسوى فيه أكثر من غيره كالمحور
واقع ويتجهلون غلو الكراء بالحمل على الابل لاجل ذلك فاذا جعات الحكومة مراكن
لاخذ الاداء عند الانحراج من الحدود لا يتحملوا الحال اما ان تجعل المراكز على طول
نخط الحدود أو تجمعها في أماكن مخصوصة هي أكثر مروراً وعراناً من غيرها (فاما
الاول) فهو ممنوع لكثرة ما يلزمه من الحراس الذين لا يوفى بموئنتهم من مدخول ذلك
الاداء (واما الثاني) فلا يحصل منه المقصود لانه لما كانت جهات الحدود كلها سواء
فصاحب النتائج يتحمل من نصف يوم زائد على جهة مركز الحراسة ويخرج
نتائج بدون اداء شيء فتلخص من ذلك ان النتائج تخرج الى المراكز دون اداء للحكومة
التوسعية بخلاف ما اذا وجد طريق الحديد فان رخص الحمل فيه يعادل اضعاف الاداء
على النتائج للحكومة فالاهالي تعدل عن الحمل على ظهور الابل لتغلوها وتؤدي اداء
الحكومة في مركز الطريق الحديدية ولا يضرهم ذلك لانهم يرجعون ما توفر لهم من
الكراء مع قرب المسافة وقصر الوقت والحكومة يمكن لها ضبط مركز الاداء بجعل
حراس عليه لانه متحد وبعده هذا كله اذا فرضنا توجه الاعتراض وصحة لما اذا يحمل
عليها وحدنا والحال ان المنفعة انما اعطيت بمشاركة جميع الوزراء والمستشارين عن
تقديم بيانهم فاذا تشارك جماعة في رأى فلما اذا يحمل من كره على واحد منهم فقط
لمجرد مباشرة تنفيذ ما استقر عليه رأى الجميع هذا كلامه على ان هذا كله مفروض عند
وصل الطار ببق وقت ندعلنا الشتر اعدم وصله لمجرد الاسباب السياسية التي يأتي بيانها
لما تقدم ذكره فلا يتأتى الاعتراض الا عند ذلك وسيأتى لهذا مزيد بيان في موضعه
ان شاء الله تعالى كما وقع الاعتراض على هذا الوزير في كون الفائض جيل للدين أكثر
من القسط الذي عينت مداحيله لذلك حتى لزم الحكومة اكمال الفائض في بعض
السمين من دخلها والاستعراض في بعض السمين برهن مدبغة الجلال ليلفله بالفائض
ايضا ومن المعلوم ان خلاص الدين بالدين يؤدي الى تفاقمه وأجيب عن هذا الاعتراض
بما تقدم شرحه في كيفية الوجه الذي عمل في المديون فقر علمت ان الفائض قد حط
من عشرين مليوناً في المائة الى سبعة ملايين ونصف بمشاركة نواب الدائنين ثم تأيسس
ذلك المتقدار على معدل الميزانية التي ارسلت من الوزارة السابقة التي وقع فيها الغلط
في تقدير فصل السرحات كما يتناهى هذا سيما وقد رأى الحكومة سيئون الوفاء بذلك في
بعض السمين ورأى اقتدار الحكومة على الايتاء في بعضها فلا يسلم صاحب المال في

وبوجه سهولة الابداع تغنه العجز ولا يحصل ذلك الا بدخلة قسم المنظر من الحكوميين
 في احوال ميزانية الحكومة الراجعة امصاريفها الخاصة وربما كان ذلك غير ملائم
 لسياسة الحكومة لما يزيد التضيق عايموا والتجبر على تصرفاتهم فاختر أخف الضربين
 الى ان يكشف الواقع على ماهو في الاقتصار حقيقة بطول المدة والتجربة وتنفاد وكلاءه
 أصحاب الديون عن يديته لكن الوزير خيرا الذين خرج قبل حصول ذلك كما لام الوزير
 المذكور افراد قليلون من الموظفين على عدم احيائه للقوانين لكن على ان تكون على
 غير الكيفية التي سبق بها العمل في تونس بل على وجه يندفع به الاعتراض الذي مرفى
 بان تكون موافقة لاحكام الشرع وللمباشرين للاحكام الشخصية هم نفس الحكام
 الشرعيين بضبط نفس الاحكام في قول واحد شرعى وجعل بحسب شورى لمصالح القطر
 اعضاءه من جميع جهات القطر الى غير ذلك مما يناسب الحال من القوانين كما هو معلوم
 من ميله اليها كما مرفى الكلام على قوانين عهد الامان وحاصل جوابه الذي علمناه منه
 عند ايلاع الاعتراض اليه وهو بتونس هو ان الدول الاسلامية لا تيسر ذلك فيما
 الابادة الملوكة او الامراء الذين لهم استقلال في الادارة وقد كان والى تونس اجراءاتهم
 اطلت بالكيفيات التي مر ذكرها كان والى المذكور رأسه النافرين عنها فلا يصفى الى
 انشائها وليس في ذات الاهالى من يرغب فيها بالحاح في طامها الافراد قليلون كما بان
 بالكاشف فيما وقع عند ايقافها وكما بان بالاستخبار للاعيان عند اعلان الدولة العلية
 بالقانون الاسامى فلم يبق الا احدثين وهما اما بقاء الوزير خيرا الذين في الخطة بدون
 القوانين لرفع ما يستلزمه بذاته وانه لا يبقى في الخطة الا بوجود القوانين فاختر هو
 الوجه الاول بدعوى عدم امكان الوجه الثاني وهاته الدعوى المستندة لما تقدم ذكره
 رجع عند البعض خلافها لانه لو ثبت والى تونس في اول الامر امرار الوزير على عدم
 البقاء في الخطة الوجود القوانين لمكان يحصل المقصود وتداول القوانين مع ولا بها في
 الاقل مدة بقاءه ولا لوم عليه بعد انفصاله ومن بلغ الجهد وحق له العذر وقد كنا اطالعنا على
 تحرير الوزير المذكور بعد انفصاله عن الخطة بتونس في الجواب عن الاعتراض بما ذكر
 فانقنا خلاصته هنا ليحكم المطالع بين الشقين وحاصله انه باقنا اناسا لا موعا على عدم
 تأسيسه في مدة وزارتنا التنظيمات السياسية المعبر عنها بالكهنة سيون التي كنا اوضحنا
 في كتابنا اقوم المسالك الادلة العقلية والعقلية على لزوم تأسيسها واجراء العمل بها ولما
 كان صدور مثل هذا اللوم متبعا عن عدم فهم من صدر منه كما كنا نذكره في الكتاب

الذكور من الاحوال التي تنبئ عليهم التنظيمات وجب اعادة الكلام على ذلك وبذلك يتضح الجواب عما ذكره فنقول ان تأسيس التنظيمات السياسية الحاصلة على اتباع المصلحة قد شوهد انها نشأت في الممالك المستقرة بها باحدى طريقتين احدهما ان يكون تأسيسها من الراعي وثانيتهما ان يطلبها الرعية والصورة الاولى هي الممكنة في الممالك الاسلامية اذا انتبه الراعي لقوائد التنظيمات فيسعى بجهد واجتهاد في تأسيسها وجعل الناس عليهم مستعينين بالله وباهل الدراية والمروءة حتى تدرك العامة منافعها ويتمسكوا بها ولا يحصل من تسبب فيها غفروا أجر من اسس ما يدوم به العدل الذي فضل المحكماء صاحبهم على فاقح الاقاليم الكبيرة ووجه ذلك ظاهر وهو ان مصير الفتوحات المؤسسة على غير العدل الى النقص والاختلال ومصير الممالك ذات العدل الى البسطة والاعتدال والمحكمين من لاحظ العاقبة والمآل وعند ذلك تدوم معمولها بها اذا كان في العامة اسس تعدد الى فهمها وقبولها وبدون ما تعدم لا يمكن اجراء ما ذكره في سماعات فلا يكفي لذلك معرفة الوزير وحده بعض الجواهر وميله اليها ولا نظن أحدا من رجال السياسة العارفين باصول مبادئ التنظيمات بخالفنا في هذا فيكان الواجب على المعارضين ان يعثروا ولا عن معرفة حال أمير تونس هل هو ممن يسعى في تأسيس ما ذكره على الوجه المذكور وعن حال الایالة هل فيها من يعتبر لحظها وقبولها وفي ظني ان كلا الأمرين لا يوجد منه ما يسوغ الاقدام على تأسيس التنظيمات وفي يقيني عدم نجاحه بدون ذلك كما أعطته التجربة فان التنظيمات التي اسست في هذه المملكة سنة ١٢٧٧ المتقدم بيان اصولها الكفالة بتأمين السكان ابطال تمشيتها مع الحلفاء على اجرائها بسعي الوزير واتباعه حتى آل امر المملكة الى ما قد رأيت من تصرفات الحكومة زمن وزارة السيد مصطفى وما نشأ عنها من المضار في النفوس والاعراض والاموال ولم يتعرض أحد لذلك بادنى انكار (فلما) كان الحال ما ذكره وأيسر من الوالي بتونس في تأسيس التنظيمات سمعت في تحسين ادارة المملكة وتأمين راحة السكان بقدر الطاقة والامكان مستعينين بالله وعن كان من أهل المزورة من رجال الحكومة الى ان آل امر الى الاصل طرارا الى الخروج وان ترتب عليه ما حصل لنسب بعده من الصعوبات بمنع الناس من مخالطة ما لم تحصل على الحقوق البشرية الواجبة شرعا ومصلحة مع ان ذلك وقع في حق رجل تقاب في سائر رياسات الحكومة وحصل على يد مصالح حسب الوسع ويسوغ له ان يقول حكايته للواقع انه

بإشارة الله وبمنايته حتى وحده مدة وزارته جميع السكان من الظلم والتعدي على حقوقهم
 بدليل أنه بعد خروجه من الخطة رجع الامراء كان عليه قبل ذلك لان الوالي في الحكومة
 لا يزال هو بذاته وكذلك رجال الحكومة الذين خدموا معه وهم الذين خدموا مع
 السيد مصطفى أيضا لا زالوا متوظفين وهؤلاء قد ساءلوا عفيف في نفسه غير قادر على منع
 غيره من الظلم وظلم كان محجوفاً بشا عن ظلمه فانطلق بخروجهم من الخطة هذا وانى
 لازلت أقول ان تونس لا تستقيم بدون تنظيمات وانها لا بد لاجرائها من الطريقة المسار
 ذكرها والا فالتنظيمات في تونس بدون ما ذكر كالعقلاء اسم بلا معنى فلا تغترن بقول
 من لا يدرك الحقائق والله تعالى يرشدنا واياهم الى ما يرضيه عنه آمين انتهى وبما تقدم
 من انتقاد بعض التصرفات وجد اضداد الوزير خير الدين السبيل الى ايقاع التنازع بينه
 وبين الوالي الامسالة القوانين فلم يعرجوا عليهم غير ان ذلك لم يفدهم لانه مدفوع عما
 تقدم شرحه والوالى على علم منه فلذلك نزعو الى اوجه أخرى وبيانهم استدعى بيان
 منشاها واسماها وحاصله ان الوزير خير الدين لما شغل الوظيفة بلقب وزير مباشر لم
 يكن له نصيب في نقض اعماله الا الوزير السابق مصطفى خزندار لكنه لم ينبج لتبصر
 الوالى في نفسه ومعرفة سائر المتوظفين والاهالى بتصرفاته التي نفروها حتى ذات خدمة
 الوالى في نفسه وقصره فكان الجميع يدا واحدة مع الوزير خير الدين ولما عزل الوزير
 السابق مصطفى خزندار وولى مكانه الوزير خير الدين واستقر امره بعد الانفصال معه
 على ما مر شرحه طمعت نفسه للرجوع الى المنصب اوفى الاقل مواجهة الوالى واسقاط
 خير الدين عن الوزارة واستعان على ذلك بافراد من الاجانب وباحد خاصه الوالى وهو
 الوزير مصطفى بن اسمعيل واعتضد الجميع كل على حسب فوائده فتارة يقعدون في
 التصرفات العامة واشاعة ذلك في الصحف الاجنبية ويبلغونها بذاتها او بتعريضها
 للوالى بواسطة خاصته المذكور امكن لما راوا عدم نجاح المقصود بذلك لانه لا يروج
 على الاهالى لمشاهدتهم حسن ادارة الوزير رجوعوا الى اشهار اراجيف تتعلق بالسياسة
 الخارجية فنهما يرجع الى تفسير الوالى وحائله من الوزير خير الدين وأشهر وان
 المذكور انفا فاسياسيل مصر يامع الدولة العلية ومنها ما يعود الى تنفير الاهالى من الوزير
 المذكور فاشهر ان مراده تسليم البلاد للفرانسييس ومنها ما يعود الى تخفيف اصدقاء
 الوزير خير الدين وعموم الناس فاشهر ان مراد الوالى ارجاع الوزير السابق مصطفى
 خزندار لخطة الوزارة حتى يترك كل قول في افعاله ونشأ عن الاخير التشنوش في عقوله

العامّة وتجار أوربا ينجأ أوجب انحطاط اسعار الرقاع للدين التونسي عدة مرار
للتخوف من تبديل السيرة في السياسة الموجبة لتعطيل فائدة الدين حتى اعلن الوالى
بتكذيب تلك الاشاعات فكتب للوزير خير الدين مكتوباً ونشره فى الرائد التونسي
ونصّه بعد الحمد لله والصلاة اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى فانه بلغ محضرتنا ان
بعض اشخاص كادت ان تكون اسماء وهنتم معروفة ممن كان لهم فى تصرف امير الامراء
ابننا مصطفى منافع شخصية تعطيات عنهم بسبب مساعدتهم الجميلة بالادارة المنوطة بعهدتكم
اشاءوا الراجيف لاحقية لها جعلهم علم الميسل لما يوافق شهواتهم وهى وان كانت
مما لا يترتب عليه امر ولا يكون لها موقع لاولى الاحلام الا انها ربما توجب ان كان
خلى البسال شغلا عما يعينه مع ان الاسباب التى اقتضت عزول المذكور لم تزل بعضها
انظارها والا ستار التى انتجتها مساعدتكم الجميدة لم تزل تحمد اخبارها وتظهر للاعبان
آثارها واعلمنا بما فى شغل الاسماع وهى الاذان بسماع هذه الراجيف التى لا توصل
قائلها الى مقصوده من اضاعة الوقت بنقلها والالتفات اليها حررنا لوزارتكم هذا
الرقم لنهسى من يشغل بذلك وليتحقق السكان ان استحضارنا للادارة المنوطة بعهدتكم
لم يزل والمنّة لله تعالى متزايدة بتزايد آثارها وان ما رجع به أولئك الاشخاص لا يجدون
اليه مستمدا وتشهد ذلك للسكان ليزول عنهم الشك الذى قصدا بقاعهم فيه وشغل بالهم
به لئلا ينأخ افسكار من يريد مصلحة وطنه ونصح خدمته فالعمل ان يتجهدوا بالاستمرار
على تلك السيرة الحسنة التى ظهرت آثارها للدولة والله تعالى يحرسكم ويحفظه
واعانته والسلام من الفقير الى ربه تعالى المشير محمد الصادق باى وفقه الله تعالى بمذنه
كتب فى الثمانى والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة احدى وتسعين ومائتين واثلاث
(التوقيع) صح من كاتبه محمد الصادق باى فانت ترى ما صرح به الوالى من حسن
نتيجة خدمة الوزير خير الدين وهو الذى تشهد به سكان الابل على اختلاف اخناسهم
ومع ذلك لازالت الاعداة تسعى بالفتن بين الوالى والوزير حتى كان فى خلال تلك المدة
جميع رجال المحكومة فى كدر من خوف تفاقم النفرة بين الوالى ووزيره الموجبة
لانفصال الوزير عن الوظيفة ولما يقن الوالى ذلك دعى الوزير خير الدين ووعده بقطع
التعريضات واخره مصطفى بن اسماعيل بالكف عن سيرته وموالاة الوزير خير الدين
وكان ذلك أواخر سنة ١٢٩٢ فدام على نحو ذلك بضع أشهر ثم عادت الكثرة فى
أواسط سنة ١٢٩٣ وانبرت الاقوال فى الوالى الى ان صار يسبهم من عمده عن

رأيهم في فصل الوزير عن الخطة قرأى منهم استعظام الامر وبقا قال بعضهم ان بلدنا صغيرة وليست عتانة بقدر فصل الوزير على التتابع سيما مع رؤية الرعية لهذه صفة هذا الوزير فربما نشأ من فصله ما يسوء العموم فاجم الوالى عن فصله في أثناء تلك المدة وقال أحد المحبين للوزير خير الدين ان استناد الاضداد في اختراعاتهم يؤهل الى الاستبداد منك على الوالى ورؤساء الموظفين وذلك ينقطع بامر من أولئك أن تشارك مع بقية المستشارين والوزراء في اعطائهم رأيهم مع مستشار القسم الاول من الوزارة ومع أعضاء قسم العمل من الحكومة بحيث يشترك الجميع في رأى عند تنجز ميزان الحكومة في الخرج في رأس العام وثانيا تقسيم الادارة في الرسم تبعاً لما هو جار في المعنى في أقسام الوزارة بحيث يكون مستشار كل قسم يلقب بوزير ويحضى هو على المكاتب ويتحمل مسؤولية ما يعود عليه وما بلغ ذلك الكلام الوزير خير الدين لاحظ فيه ما يأتى وهو أن الاول واقع بالفعل لانه بعد تنجز الميزان من قسم العمل ومستشار القسم الاول يعرض على بقية الوزراء والمستشارين ويبدون ما يظهرونهم فيه ثم يعرض بعد ذلك على الوالى للتروى فيه ويعضى ما يستقر عليه الرأى وأما الثانى فانه حالة ضيق القطر وصغرة الادارة لا تقضى تعدل المصادر بل ربما أوجب ذلك التعاوض في الاوامر لأمر واحد في حادثة واحدة مع ما في ذلك من زيادة المصاريف بتعدد الامور في كل جهة وكل قبية - له وذلك لا تطيقه مالية الحكومة ولا تتحمل الرعايا الزيادة عليهم وهذا خلاصة جوابه الذى لم يقنع الناصح حيث أن العرض في الاول اغما هو وصورى والتضاد في الثانى مدفوع بالاقتصاد وحسن التقسيم مثل ما هو واقع بين المستشارين لكن الاهم من جميع ما تقدم امتناع الوالى من اجراء المطلوب بدليل ما جرى من بعد خروج الوزير خير الدين عن الوزارة واستقرار نوع الادارة على ما سبق من التخصيصات في شخصية الوزير الاكبر كما نصح الوزير المشار اليه لابعاد التهم عنه بانه ينبغي له أن يسوى بين نواب الدول في المعاملة ولا يزيد في تقريب نائب فرنسا وهو يقول انه معاملته مع ذلك النائب شخصية لا تعلق لها بالادارة على انه لو قيل ان تلك المعاملة مما يقتضيه الحال في دفع عائلة فرانسى لما بعد ذلك لان ترجيح كفتها بتونس ضرورى وارتكاب اخف الضررين واجب فان لم ترض لنفسها رجحانها كالمبت الى أن تصل الى قصد هاولو بالتعاليب على ذلك المبدأ كما أوضحنا خلاصة سياستها سابقا ولما تقدمت المصافاة بين الوزير خير الدين والوالى حتى كتب الوالى الى قنصل فرنسا يسدين بتكليف ما اشبع تارة بعزمه على ابدال الوزارة

وتارة بالهزم على التتقيص من مقدار الفاضل مما أوجب عدم الاطمئنان بحالينة
الحكومة وانحطت أثمان رفاع دينها فكتب اليه في جمادى سنة ١٢٩٢ بمسانه
الحمد لله وحده اما بعد فقد رأينا في الجورنالات الفرنسية اوبرت في صورة
مقدمات مسلمة واستخراج نتائج منها يريد صاحب التتقيص من ادارة دولتنا ونقص ثقة
حامى الرفاع بما يديهم من رفاع الدولة مع أن تلك الظنون لاحقيقة لها في الواقع ولا
أصل وما استخرج منها ترده الادلة المشاهدة زيادة على كونه مبنيًا على غير الواقع وهذه
الاراجيف وان كانت باطلة عند المصنف فعند من يعلم حقيقة الواقع ولم يترتب عليها
ما قصده من الامور السياسية فانه نشأ عنها الغير من ذكر وان لاعانة له الا بالتحفظ على
ماله بعراة كل ما يطرئ سمعة خوف ترتب عليه بعض انحطاط في سمر الرفاع مع أن
كوبونها يدفع في أوقاته كملا وادارة مدخيله جارية على الوجه الكافل بحفظه وغير
خفي على جنابكم ما يلحق كلام الدولة والمتجرب من ضرر هذا الارحاف الذي مع
كونه لاحقيقة له ومضاد للواقع لا داعي اليه الا اغراض غير خفية وبما كنا على يقين من
أن جنابكم يود الخير لبلادنا كما تبناكم بهذا مؤلانا منكم السعي الجليل بحسن وساطةكم في
ايقاف هذا الضمر راذا لاشك في أن المصداق لغير ذلك والحالة هذه لم يكن له قصدا لا
ما ذكرناه ومحبر صه على ترويج ما أبرزه بكاف ما يظن انه يعينه على مقاصده وهو توزيع
نسخ من الجورنال وتبايعها لمساكن اناس لا معرفة لهم به ولا الله تراك لهم فيه عجانا من غير
أن يطلب منهم عوضا عنه خلافا للعادة ونشر ما هو من فروع مقصده بغيرة فتعين بما
أشرفنا اليه ان ذلك لم يكن للارشاد ولا للتصحيح الذين أبرز كلامه في صورته ما وانما هو
للقصد المشار اليه الذي نتحقق ان جنابكم لا يرضاه ويبدل الجهد في تعطيه له ولو بانتهار
هذا اعانة لنا بما تقتضيه المودة على ما ملنا من الخير وتأيد الله حق باظهار الواقع كما هو
المتطوع به من انصافكم ومحبتكم ودمتم في أمن الله وكتب في ٢٠ جمادى الثانية
سنة ١٢٩٣ ألف ومائتين وثلاثة وتسعين ثم حدث بعد ذلك في الاستانة ولاية السلطان
مراد فوجه الى تهنئته من تونس على لسان الوالى وزير الحرب رسم له مودة اقتضتها
المعاشرة الطويلة مع الوزير خير الدين كماله معه مصاهرة حيث أن الاول زوج بنت
الثاني وكان ذلك في جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ وحصلت اذ ذلك الحرب بين الدولة العلية
والصرب فظهر من جهات الاسلام الاعانة للدولة العلية بالمال لضيق مايتها وبمقتضى
الحقوق الدينية والارتباط السيامى بين تونس والدولة لزممت الاعانة بالمال ايضا من

تونس وكان حال الحكومة في ضيق المالية وعدم إمكان القرض ما علمت فاجتمع د الوزير
خير الدين بعد الاستشارة والمفاوضة في حصول الاعانة بالمال من الاهالى عن طيب نفس
وصدرت بذلك مكاتيب الوالى والوزير الى الجهات من المحرص في التجهيل فظهر من
الاهالى غاية الرغبة الى ان حصل مقدار مليون وأربعمائة ألف فرنك مع مصاريف
الصرى والحالات لارسال المال سسكة راتجة فى الاستانة وقد رما دفعته الاهالى
ريالات ٢٣٨٤٠٤٢ ونشر حسابه فى الصحيفة الرسمية ووصل بتمامه للباب العالى
وفى اثناء ذلك رجع وزير الحرب رستم المذكور ثم حصل فى الدولة العاية صعود سلطاننا
المعظم عبد الحميد على تخت السلطنة وأعيد ارسال وزير الحرب المذكور للتفتيش أيضا وأقام
بالاستانة ثمانية أشهر لتبسيطه من الباب لاحضار جوابه واحضار ما تنفضل به الحضرة
السلطانية على الوالى مع كثرة شغل الدولة اذ ذاك بحرب الصرب والجبل الاسود
والمغار وهرسات وبوسنة والمؤتم الذى عقد فى الاستانة وبانجاز القانون الاساسى ثم
بحرب الروسية وكان وزير الحرب اثناء اقامته بالاستانة فى المدة الاخيرة قد ر مشهورين
أوثلاثة لم يرسل مكاتيب تبين سبب تأخره لان كل اسبوع يظن انه يرجع فيه وطالت
غيبه المكاتيب وجاتها ذروا لاغراض على ماسيتلى (تم طابت) الدولة العاية الاعانة
العسكرية لمحرب الروسية ولم يكن لحكومة تونس من العساكر التى تحت السلاح الا
مقدار ما يكتفى لحفظ الراحة فى القطر كما ان المال الضرورى لذلك حاله ما علمت فرأى
الوزير خير الدين المسئلة مهمة جدا ولم يكتف برأى الوزراء ورؤساء الحكومة
وطلب من الوالى عية د مجلس عام من ولى العهد فى الحكومة وأهل المجلس الشرى
والوزراء وأعضاء جمعية الاوقاف والمجلس العلمى ورؤساء سائر أقسام الادارات ورؤساء
الكتابة والمستشارين وضباط العساكر من أمراء الاولوية والفر يقان وأعيان الاهالى
ورؤساء ديانة اليهود وكبرائهم العرفيين فاسعف الوالى على ذلك وانعقد المجلس تحت
رياسة الوالى بنفسه وأذن وزيره خير الدين بالقام المراد على المجلس فقال ما معناه ان الدولة
العاية قد علمت الوالى بان الروسية أعلنت عليها حربا وان لها فى الحدود والمدافعة عن
الخلافة الاسلامية والوطن نحو ستمائة ألف وانها مع ذلك لازالت محتاجة الى كثرة العدد
والعدد وانها تطلب من الولاية ارسال العساكر ولعله سدد ذات التفراف الوارد من
الدولة ثم قرأ للدولة حق وقاعلى تونس وان تونس لها عادات مع الدولة لا يحصى عنها
وان حالة الحكومة فى العساكر وفى المال معروفة للجميع وان الوالى جمع هذا المجلس

ليشير

ليشير عليه بما يراه في الطرق الموصلة لملء قصور نفخاض المجلس في الكلام وطايات
 المذاكرات وحصل التشاحن في الرأي إلى ان عات الاصوات وحاصل آراء المجلس هو ان
 بعضهم يرى ارسال العسكر بالقطر إلى الذي يطبقه القطر من العسكر النظامي المبرح
 أكثره وتقريبه فحوسبة عشرة الفالكن فيهم من محجز فلا أقل من وجود ستة آلاف
 تقدر الاهالي على القيام بهم بما يلزم من المكسوة والقوت واما السلاح فالحكومة من
 المدافع من الانواع الجديدة تزيد من بطرية كلها من المكاحل السادسة تزيد من
 عشرة آلاف وان كانت تعم من أفواهاها من النوع العتيق فالحكومة حينئذ تقوم
 بالسلاح وتعين يلبون من المال الذي لها ان تستقرضه من خزانة مجلس الادارة لمدة
 ستة أشهر بلا فائض وترجعه بالاقتصاد من مرتبات ذوى المرتبات كل على ما يقتضيه
 حاله فان بعضهم اراد اسقاط جميع مرتبه لذلك ويتم التجهيز وترسل العساكر ويجعل
 على الاهالي تقسيط ما يقوم بهم يدفعونه منجما مع جريان الاقتصاد من الحكومة على
 نحو ما تقدم مع الاعلان بان كل من اراد القتال بنفسه فله ذلك ويعال هذا القسم رآيه
 بان احكام الدين قاضية بذلك مع ان نص فرمان سنة ١٢٨٨ م صرح بشرط ذلك
 وانه على فرض الاعاقة بالمسال الذي يمكن ان يوازي مصر وفي العسكر فالايزال
 التيكيت على القطر وبانه لم يوف بشرطه واصحابه ذال راى قائلون وبعضهم يرى ان
 الاعانة انما تجب بالابدان واما المال فلا يجب على أحد شيء ومن قدر يبدنه وماله
 فعليه ان يذهب وليس على هذا الرأي الا اثنان وجميع العلماء والعامة ضد هذا وسقط
 اعتبارهما وقتئذ من اعين بعض رؤساء الحكومة سيمالوزير خير الدين وبعضهم يرى
 ان العسكر يحتاج الى التدريب والى السلاح الجديد ويدونه العسكر كالعادم والمسال
 لاقامة ذلك غير موجود لان الغصب على أخذ المال من الرعية غير سائغ لما هم عليه ولجهل
 الحمال في الملاوة فقر فلذلك يلزم ان يوكل الامر الى الاختيار كل بما يستطيع وبهاته
 الصورة لا يمكن لمقدار ما يتحصل حتى يمكن الاهتمام عليه وتجهيز العساكر على مقداره
 وعلى فرض حصول شيء أولا فلا يتحقق بجزائه في المستقبل للقيام بالعساكر في المؤنة
 والذخائر ولذلك يكون اللازم هو احضار المال لاعانة الدولة العلية بالمسال واعانتها
 واجبة لا محالة غير ان جمع المال يوكل الى اختيار الدافع واجتهاده كما حصل في اعانة
 الحرب مع مصر وهذا هو الراى الغالب الذي استقر عليه أمرهم وهذ القسم يدفع
 تعادل القسم الاول من شرط فرمان بوجوب ارسال العسكر بان شرطه الطبيعي ان

يكون ذلك في الامكان وقد تبين ان الامكان غير موجود وعلى هذا الرأي لانه رأى
الغالب وحكم المسئلة شرعا أفردناه برسالة فيما كتبناه على باب الجهاد من صحيح البخارى
جامعة لحكم المذهب الحنفى والمالكي تم جمعت الاطاعة المسالية على نحو ما تقدم وأرسل
بعضها في مدة وزارة خير الدين وقدره فرنك ٣٠٠٠٠٠ ولم يعلم حسابها بالتحقيق
لان الوزير خير الدين خرج قبل نهايتها وبعده لم ينشر حسابها مما انشر حساب السابقة
ثم أرسلت الدولة العثمانية بطالب سمائة بغل لبحر الاثقال الحربية وان كانت خيلا
وبغالا فلا بأس به فعمل الوزير خير الدين خومه في طلبها من أعيان الموظفين وقبائل
العربان والبلدان بان عين لكل فرد ما يدفعه من عدد البغال أو الخيل وكذلك القبائل
والبلدان على ان يسعروا ما يدفعه أهل البلدان والقبائل من الحيوانات بالمال ويقسط
ثمنه على جميع الاهالى على حسب الجدة ويدفع الثمن لصاحب الحيوان بحيث لا يناله من
المال الا امثال غيره فقط ساقبت الناس الى ذلك وتنا فسوافيه و~~كثير~~ من أصحاب
الحيوانات في القبائل والبلدان امتنع من أخذ الثمن وجعلها في سبيل الله واحضرت
الحيوانات وبقيت تنة طرسه فن الدولة لجمها لان جعلها في السفن التجارية غير مأمون
عليه خشية تعرض سفن الحمارب الذى اشاعه من يريد اجتماع تونس من الدولة
العثمانية وشجعت تلك الحيوانات للاستئانة بعد خروج الوزير خير الدين من الوزارة
بهضعة أيام وفي مبداء الحرب سأل أحد نواب الدول الى الوزير عن قصد الحكومة
في التداخل في الحرب وحذرهما من عواقب قدوم الاسطول الروسي الى مراسيها
وخسارتها من ذلك مع عدم كبر الفائدة من اعانتها للدولة فاجابه الوزير بان الوالى
لا يستطيع ربط نفسه بالكلام في عدم التداخل في الحرب ثم جاء قنصل الروسيا واذنر
واحتج بان الوالى صرح بانه لا يتداخل في الحرب فكذبه الوزير وان الوالى لم يصرح
بشيئ ينزع حريته كما ان الرائد التونسي نشر من المقالات السياسية المنتصرة للدولة
العالية ما هو مشهور وهو لا ينشر الاما يوافق مشرب الحكومة لانه هو الصحيفة الرسمية
لهما والوزير هو الذى يشير بالمقاصد التى تنشر فيه فن جميع ما تقدم اتخذها اضداد
الوزير خير الدين سبلا لانه غير الوالى منه واسقاطه من الوزارة ففعل الوالى وزير الحرب كان
سبب طول مكثه في الاستئانة السعى بما يضر بالوالى وانه يكتب الوزير خير الدين وهو
لا يظهر مكانه للوالى لانه هاضمه وان زيادة ميله للدولة العثمانية ظاهرة مما تقدم
بيانه والوزير يقول ان تأخر وزير الحرب لاعلم له بسببه لان واقعه في نفس الامر هو

ماتة - دم شرحه وانه لو تروى القائل في قوله لوجده غـير صحيح لانه لو كان بينهما شيء
حقبة - لا لزوم ان يأتي من وزير الحرب مكاتب صـورية ليطالع عليها الوالى ولما سأل
عدم اظهار ولا مكتوب واحد حتى يتفطن الوالى عما لا يفعله عاقل فدل ذلك على بطلان
أهل التهمة وقد حقه الخارج كما يقول الوزير ان ما فعل مع الدولة العلية هو الواجب
بمقتضى فرمان سنة ١٢٨٨ وهو الواجب ديانة ولا قصـد الا حفظهـما ولا مـكن لم
يجب ذلك في السـعاية بل أثرت في الوالى لانه كان حصل قبيل تلك المدة نازلة ادعاء
مصـطفى بن اسمعيل على يوسف بن عطار أحد تجار اليهود بتونس انه يطلبه بسبعة
ملايين أو يزيد من جهة رفاع مالية ومصوغ اعطاه له للتجارة بها وأنكره المدعى عليه
واستظهر وكيل مصـطفى بن اسمعيل بحجة ثبتت في الوزارة ورفضها على ما يسرد تفصيله في
المطلب الثامن وأراد الطالب ان يكون هو الخصم والحكم ورفع المطلب لمحـامره للوزير
بهروبه الى فندـلاقوانس كثيرة وحمايته له وتدخل القنصل في النازلة له فرأى الوزير
ان يعقد لفصلها محاسا وانف من ذلك الطالب ووافقه الوالى وامتنع الوزير من الحكم في
النازلة تجنبا من المكلام فيهما من الجهتين فازداد حق مصـطفى بن اسمعيل من الوزير
ومن ذلك التاريخ اشتدت الوشاية واشاعوا ان الوالى نفر من الوزير بسبب ما تقدم
وانه بلغه عدم ارتضاء رؤساء الحكومة بسيرة الوزير مستندين الى ما سبق من الاشارة اليه
ثم اشاعوا ان الوزير يريد تسليم البلاد الى فرانسامستندين بسكة الحديد المارذ كرها
والى عدم ارسال العسكر الى اعانة الدولة العثمانية وازداد اشاعة هذا بعد انفصال
الوزير خير الدين عن الوزارة لقصد تنفير الاهالى منه حيث ان الوجهه الاول لم يؤثر فيهم
والوزير يجيب بنفس الوقائع وأدلتها مما وقع في الخارج واستوفيت اذ كره وكثر الكلام
في هذه المنهى الى ان خاطب الوزير الوالى بحكاية مضمون ما تقدم شرحه من كثرة ما أشيع
في شأنه وان الاشاعات صادرة من خاصته وان ذلك مما يقدح في نفس المنصب ويعطل
الادارة وانه يلزم أحد شيئين اما توثيق الوالى به ورفع العوائق أو استعفاؤه وقد كان الوالى
اذ ذلك صمم على قبول استعفاائه لالاعتقاده ما أشيع بل لان مصـطفى بن اسمعيل غـير
متـدخل في الادارة بما يرضيه لان الوزير يمنع له لما يراه من تصرفاته حسب ما يأتي ان
شاء الله في المطلب الثامن وعلم ان المحامـل للوالى هو ما ذكر بما صرح به مصـطفى بن
اسمعيل عند ولايته فانه قال ما معناه لو ان الوزير خير الدين ساعدنى لما خرج عن الوزارة
فلما ذكر جاب الوالى الوزير خير الدين بسـؤاله عن رأيه في النازلة فاجابه بان رأيه

ما ذكره فقال اعد على الكلام يوم السبت عند اجتماع الوزراء بعد الاشارة الى ان
أوداهه خانوه بما أوقعه في تلك الحال وذلك مما يؤيد القول بان الوشايات لم يصدقها
حقيقة وان يريد تغيير الدور بينه وبين أحبته فاجتمع الوزير خير الدين بالوزراء
والمشارين قبل الدخول على الوالى وقص عليهم الخبر مما كان ذكره لهم فرادى
ومجتمعين وكان ما سأل كلامهم ان الاولى به تحمل المشقة وعدم فتح باب الكلام فى
الاستعفاء وقال الوزير محمد الذى تولى بعده وكان معلوما عند جميع الناس انه هو
الذى يتولى باشاعة المعرض المتقدم ذكره واتباعه بان لهم اتفاقا مع الوزير محمد على ولايته
وابلاغوا للوالى رضاه بذلك وكان على بن الزى صاحب مصر طفي بن اسمعيل الخاص
كثير التردد على جهات مسكن الوزير محمد ليظهر للناس صدق الدعوى فقال الوزير
محمد للوزير خير الدين اما انافانى لا تولى مكانك ولودقت عظامى ولاكنى اخدم مع كل
من يوليه الوالى كذا اشاع وجه ل كلامه ذلك على تمكذيب ما اشاع عنه ولما دخلوا
على الوالى اعاد الوزير خير الدين الكلام فى الاستعفاء على نحو ما مر فاجابه الوالى بانه هو
أبو طائلة وقد حصّل له التعب ومحتاج للراحة فبأمره ببقاء مرتاحا فى محله فرجع
لبستانه بقرطاجنه وكان ذلك فى رجب سنة ١٢٩٤ ومنع الوالى المتوظفين من
الاجتماع بالوزير خير الدين حتى خواس احبائه بل واتباعه الذين على ايديهم
متملقات كسبه الى ان خرج من القطار لاسبابة ولم يعمل حسابا معهم وفى عشية يوم
انفصاله عن الوزارة تذاكر بعض رؤساء المتوظفين فى زيارة الوزير المذكور وذكر أحدهم
من أبلغ اليه النهى بواسطة عازم على زيارته تلك العشية متغافلا عما بلغه فذكره
الحاضرون من الوزراء والمشارين من وقوع ذلك قبل الاستشارة وانهم هم فى
أنفسهم عازمون على مثل ذلك وانما علقوه على استشارة الوزير الجديد فلما استأذنه
احلهم على اذن الوالى ولما استأذنه اعلان بالمنع وجهات عيون على كل من يقدم اليه
فبقى منفردا وتكاثر الأقوال فى الخوف عليه ونازلة الشهيدين اسمعيل السيفى ورشيد
لم تخرج من البال وكان هو مقبلا متغافلا عما يظهر اليه من الغضب وطالب مواجهة
الوالى لمرور الزيارة فاضطررب فى أمره ثم اذن له فى وقت خاص ووقع بين الوالى وقنصل
الفرانسيس كلام سأل فيه القنصل الوالى عن سبب خروج الوزير خير الدين عن
الوزارة فاجابه بان عرجه ليس تكروج الوزير السابق لان الوزير السابق ارتكب
ما يشين العرض واما خير الدين فلا سبب لخروجه الا الخلاف السياسى الواقع بينه وبينه
وأنت

وأنت تعرف وهو اشارته الى ميل الوزير للدولة العلية لان الوالى كان تحقق لوم فنصل
فرنسا على سياسة الوزير مع الدولة العلية والافهاه والخلاف السياسى الذى بعلمه
القنصل دون غيره وهذا يؤيد الكلام السابق فى حقيقة أسباب انفصال الوزير المذكور
عن الوزارة ولما اتفقا فى التناظر طالب الوزير خبير الدين السفر لداواة مرض عصى فاذن
له بعد التصعب التام ووداع الوالى ولما استقر فى أوروبا باخذ من العود خوفا عليه فكتب
هو الوزير بحججه بما ضمنه انه كان أرسل اليه مكنو ويا جوابا عن مكنو به بان الوالى سأل
عن حاله وعن وقت رجوعه - وهوانما كان سافرا لاجل التدوى أولا وثانيا لاجل
التباعد عن القيل والقال وهو المقتضى لتطويل الغيبة فاذا رأى رجوعه لأبأس فيه
فأمر الوالى به لان غاية مراده هوان يعيش فى بلاده مع عائلته تحت ظل الوالى مع حرية
الشخصية من غير ان يتدخل فى شئ من الامور كما هى عادة عند انفصاله من الوظائف
بدليل سيرته فى التسعة سنين السابقة التى بقي فيها بلا مأمورية وانه كان ينتظر الجواب
عن ذلك المكتوب الذى تضمن الاعلام بعزمه على السكنى بالقطر خلافا لما يشيعه
المفرضون منه بعد ان لم يتدخل فى شئ من الامور السياسية وانه طالب حرية الشخصية
حيث صدر الاذن للأهالى والمتوظفين بالجنائيه ومع انتظاره للجواب مدة من الزمن لم يرد
له الجواب الا بكون رجوعه - لا يتوقف على اذن مع التغافل عن الموجبات المشار اليها مع
انه لم يطلب الا ما كان الوالى سمع به للوزير مصطفى خزندار فى صفر سنة ١٢٩٢ من
الرخصة فى مخالطة من يشاء والسفر الخ مع ان ذلك الوزير كان مطالبا بالجرم وليس
محرورا من الوظيفة سواء لاختلاف الاسباب ومطالبه الوزير صاحب المكتوب هو
ضم ورمى فى حقه - ما صدر من الاذن فى المنع من الاجتماع به حتى ان وكيله المالى
امتنع من القدوم اليه - هذا زيادة على الصعوبات التى وقعت عند ارادته السفر ولم يجب
عن هذا المكتوب وكان القصد من اضداده اما حمله على عدم العود أو انه اذا عاد
يقسب له بايقاعه فى محذور وخيم ومع ذلك قدم الوزير خبير الدين اتونس عندما شاخ ان
بعض بواخر الى وسيا قادمة الى تونس وكانت حالته مع الوالى أشد مما سبق فارسل اليه بان
يقصر من القدوم اليه الا باذن من الملك بان الوزير مصطفى خزندار تشكى من منعه هومن
زيارة الوالى مع عدم منع الوزير خبير الدين وقال كثير من الناس هو قياس مع الفارق
ثم عاد الوزير خبير الدين الى السفر أواسط سنة ١٢٩٥ ورجع الى ان أنه اذن بسلك
الاشارة من الاعتاب السلطانية بالقدوم الى الآس مائة فاس - تأذن الوالى وامتنع من

الاذن له حتى دعا القناصل المعبرين واستشارهم في ذلك فـ كما هم اشاروا عليه بان لا وجه
في منعه والافوق له الاذن بطيب نفس منه فاذن له عن كره ومنعه من وداعه وسافر
في رمضان سنة ١٢٩٥ و ترقى في عناية الخليفة به الى ان صار صدرا اعظم في ذى
الحجة من تلك السنة و جعلت عائلته في بانو سلطانية ومن ذلك الوقت خرج الكلام على
هـ هذا الوزير عن موضوعنا الذي نحن في صدده وقد انحصرت دعوى اعداء خير الدين
في أمرين احدهما ما ارادته تسليم البلاد لفرانيس والثاني ميله الى الدولة العلية فلا
شك ان الخلاف السياسي الذي ذكره الوالى لـ القنصل فرنسالا يتعاق بالـ دعوى الاولى
وعليه فلا سبب الا لثاني وعلى كل فقد أشهد الوالى قنصل الفرانيس بعد خروج
الوزير خير الدين من الخطبة باستحسان سيرته الا الخلاف المذكور فعلى الواجب المتأمل
في ذلك اذ الحق ما شهدته اعداءه فدأوة الوالى خير الدين بعد دخوجه من الخطبة
لا يجعلها أحدا والحجة القطعية في ذلك امتناعه من مقابلة عند صدوره الاذن بالقدوم
لدار الخلافة وطلب الوداع (المطلب السابع) في وزارة محمد خندان (اعلم ان
هذا الوزير أصله من اليونان وحضر الى تونس في ولاية حسين باشا وري في الحكومة
ونعلم الفروض العينية والقراءة والكتابة ونشأ على صفة التعفف عن الرشاموسوما
بحسن الرأي جـ دى الطبع كثير الصمت صبوراً محباً للسادة الاشراف صاهراً أحـ د
باشا بالـ الى الشريف سيدي محمد الشريف على ابنه صاحب صدقات سرية متباعدة
عن الشفوف محمد السيرة كان قربه الوالى حسين باشا بما راعاه به صاحب انصرف
اذ ذلك شاكير صاحب الطابع وصار من خواصه وزادت به عناية الوالى المذكور
حتى اولا خندان وكذلك أخوه من بعده مصطفى باشا في استنجابه الى ان قيل انه
حصلت غيرته من اشاكير صاحب الطابع المذكور واتهم بانه أغرى بعض خواصه به
في المعسكر الذي توجه تحت رياسة صاحب الطابع المذكور لثورة أهل جبل باجه
فاطاق على الوزير محمد الرصاص في واقعة حربية هـ ناك فاصيب في رجليه وعوفي مع
بقاء تأثيرها ثم استعجبه أجهـ د باشا وولاه طاملا على الساحل وحسنت فيه سيرته
وطالت مدة ولايته عاياه من حدود سنة ١٢٥٣ الى سنة ١٢٨٠ ودافع
عن أهله ما استطاع من تعديات محمود بن عياد بتكفله بخلافص كما
يطالب منهم ابن عياد على أن لا يباشرهم ابن عياد بتوجيه أعوان لخلاص الملتزمات التي
يطالبها منهم وأعان على مصاريف مسكر حرب القريم بالف قفيز من الشعيرو وجهه أجهـ د

بأشار سولاً عنه للدولة العلية في استطلاع نيته في ترقيب الاداء على تونس والاعنة لذار
 اليها ثم وجهه أيضاً لحضار مهمات العسكرية في حب القريم ثم طامع العسكري وأقام هناك
 مدة ثم رجع والى محمداً باشا أرسله بالهدية والتجدة الثانية من العسكري وطلب تقرير
 ولايته فتمضى مأمور به وعاد وكان في عزم الوالى المذكور تقديمه لوزارة الداخلية فعاقبه
 عنه ما تقدم في ابقاء الوزير مصطفى خزندار ولىكن الوالى المذكور رقبه واعاقبه
 ورفع شأنه وأرسله رئيساً على العسكري الموجه الى الاعراض والمجريد لمجلب رئيس
 قومه من اعراب طرابلس المسمى بقومه عنده ثورته على الدولة العلية هناك ثم التجأه
 الى تونس عند خشية الاستيلاء عليه وأحدث في أطراف الجهة الجنوبية من قطر تونس
 شيئاً من الاختلال فوجه عليه الوالى المذكور معسكرات تحت امره الوزير محمد المذكور
 ولقبه في تلك الوجهة بامير الاعراض واستقال الوزير محمد من القلب ولم يساعفه الوالى
 وفي ولاية الصادق باشا والى الوزير محمد وزارة الحرب عند استغناء وزيره هانم من ولاية
 احمد باشا وهو مصطفى أغا ثم ولى عوضاً عنها وزارة الداخلية ثم عوضها بوزارة البحر كما ولى
 رئيساً ثانياً بالبحر الاكبر عنده وجود القوانين حينما استعفى الوزير خير الدين ثم لما
 حدثت الثورة العامة سنة ١٢٨٠ بقى الوزير محمد في زوايا النجول الى ان حدث
 الكومسيون المالى فولى فيه عضواً وأرجعت اليه الولاية على الساحل وابلى في
 التخفيف على أهله من مصاعب الديون ما تقدم شرحه باعاقبه للوزير خير الدين ثم
 سنة ١٢٩٠ ولى مستشار القسم الثانى من الوزارة الكبرى مع النقيب بوزير الاستشارة
 ولما حصلت مبادئ استغناء الوزير خير الدين شاع التعاضد بالوزير محمد لقصد تقليده
 الوزارة الكبرى حيث كانوا على علم بان نقل الوزارة من خير الدين الى ابن اسماعيل
 صعب عظيم في اعيان العامة والخاصة ويلزم مدة الاستئناس بمباشرة مصطفى ابن اسماعيل
 للاسياسة تحت رياسة غيره فلما استعفى خير الدين قلدا الوالى الى وزارة الكبرى
 للوزير محمد خزندار بعد ان استقاله منها وبكى واعتذر بكبر السن ومرض البدن فلم
 يساعفه الوالى فتلقاها واليس نيشان البيت الحسينى وطلب من الوالى أن لا تغيب سيرته
 عن الطور المعتاد له في الابهة اللازمة لرياسة الوزارة كما قلدا أيضاً رياسة الكومسيون
 وكان ذلك في رجب سنة ١٢٩٤ وولى في وظائفه التى كانت بيده مصطفى ابن
 اسماعيل وبقي الوزير محمد في الوزارة متحفظاً في ما يستطيعه على اقامه ما كان على ما كان
 وصاحب النفوذ هو غيره على ما سياتى شرحه ومعاً كثر المحزنيات التى تعرض له

لا يمدى فيها أمرا الا بالاستشارة ولم يحدث في مدته شيء جديد سوى حرص الدولة العلية على ارسال العسكر فاءتذرا اليها بان غاية ما في الوسع هو الاعانة المالية للاسباب التي مر شرحها فلم تصغ لذلك وزادت المحاسن ثم ديدا يلزم العسكر وطالت المراجعات والاعتذارات من تونس الى ان صرح حوالا لدولة العلية بان غاية ما في الوسع والقدر هو احضار أربعة آلاف من النفوس بلباسهم فقط وسلاحهم من النوع القديم وماعدا ذلك يلزم أن يكون جميعه على الدولة فرضيت بذلك وأعلنت بانها ترسل الى جاههم على عمل سفنها فتجيب المبادرة باحضارهم فاحضروا وصرف على كسوتهم ولوازمهم مدة حضورهم وانظارهم للسفن مما جع من الاعانة المالية من الاهالي التي سبق ذكرها في وزارة خير الدين وانعقد الصلح قبل سفرهم فورد الاذن بسراحتهم وكذلك حدثت نازلة انتهت اجل الكنت دى صانسي لكنها لما كان كل من الحرص فيها وانتهت خصامها في مدة الوزير مصطفى ابن اسماعيل وهكذا نازلة وصل الطريقة الحديدية المار ذكرها بطريق الجزائر فاتها وان وقعت في وزارة الوزير محمد علي لكنها في الواقع مفسوبة لسمي مصطفى ابن اسماعيل حيث كانت التصرفات بين هذين الوزيرين في مدة وزارة محمد علي التصرفات بين الوزير مصطفى خزندار والوزير خير الدين بعد ولاية هذا وظيفة وزير مباشر وغاية الفرق بينهما ان وزارة محمد علي ابن اسماعيل لم ينظر فيها جهره التباين والعناد ووزارة خزندار وخير الدين بخلاف ذلك فليس من الانصاف نسبة مساعي احد الرجلين الى الآخر كما ذكرنا مثل ذلك سابقا سيما هم المسائل الخارجية فقد كادت ان يتفرد بها الوزير ابن اسماعيل وليس للوزير محمد علي الا الاجراء ودام الوزير محمد علي ذلك متجنباً لكل صعوبة مقتصر على امتناعه من الرشا وبيع الوظائف في نفسه مشيراً بطرف الاستعجاباها من يريد هادار بالسائر المتوظفين الى ان أحس بالكلام بارادة استعفائه بعد ولايته بسة أشهر فعرض بذلك للوالي متعللاً بالجزم والمرض فاشار عليه الوالي بالتحمل والبقاء في الخطة الى الوقت الذي يشير عليه الوالي بالاستعفاء فعمل بذلك وفي ربيع الاول من سنة ١٢٩٥ كثر الكلام في عود الوزير السابق مصطفى خزندار فكذبته الحكومة بنشرها في صحيفتها الرسمية فصلاطويلا في ان ذلك الكلام مما يشوش على السكان ويحير الافكار وانه مهتان والوالي لا يعمل به وانه من الافتراء والارحاف وذلك في عدد ١١ من الراشد في ١٦ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ وانما ذكرنا ذلك لنتيقن ان نفرة الوالي للوزير المذكور لا عماله حقيقية

لا كما قيل من أنها بسببى الوزير خـير الدين حيث أنه في ذلك التاريخ بعـد عن الوالى
 واشغاله ثم ان الوزير محمد باقى منتظرا لاشارة لاسـتـعـفائه كما بقى من جهة طالب المنصب
 وصاحب الولاية انتظارا عادته هو لاسـتـعـفاء أو التـعـريض به وبقي هكذا الحال كل شئ
 ينتظر صاحبه مدة أشهر الى أن أظهر الوالى كثرة الكلام فى الرغبة فى اسـتـعـفاء الوزير
 وأحضر نيشان آل بيته الذى صار علامة ملازمة للوزارة الكبرى ووطن بذلك الوزير
 محمد فقدم للوالى معروض بالاسـتـعـفاء على حذر حيث اعتمد الوصاية بان الوالى هو الذى
 يشير عليه فقبل بالرحب والبشر وأوصاه بان يكتب غدا مكتوب الاسـتـعـفاء فلما حضر
 الجميع الى قصر المراككة من الغدا مر الوالى قبل أن يصل اليه مكتوب الاسـتـعـفاء الوزير
 محمد بان يستعجب معه الوزير مصطفى بن اسماعيل الى محل الوزارة ويعان الجميع
 المتوظفين بعد جمعهم بان الوالى أوى مصطفى الوزارة الكبرى ورياسة الكومسيون بعد
 أن ألبس الوزير مصطفى نيشان البيت ولاطف الوالى الوزير محمد وأمره بان يعود
 اليه بعد ذلك الموكب مصاحبا للوزير الجديد فعمل بذلك على هيئة اسـتـعـفاء
 اذ لم يعهد مثلها وبه اذ ذلك كـتـبـت مكاتيب الاسـتـعـفاء وقبوله ونشرت فى الراى وكان
 ذلك فى شعبان سنة ١٢٩٥ هـ مدة وزارة محمد دام وشهر ولقب فى ذلك الوقت بوزير
 الاسـتـعـفاء وجعل له مرتب عـرـبى وقدره سـتـون ألفا فى السنة وأمره الوالى بان يقدم
 اليه فى كل أسبوع فى يوم السبت مع جملة المتوظفين أو عند ما تدعو حاجة لحضوره
 وجعل منزلة حضوره فى موكب الوالى فوق منزلة الوزير الخالى بحيث لم ينزل عن مرتبته
 ثم اسـتـقال هو من ذلك ونزل تحت الوزير بن مصطفى بن اسماعيل الشورى الا فى ذكره
 وبقي على ذلك الى الآن (المطاب الثامن) فى وزارة مصطفى بن اسماعيل لـهـذا
 الوزير من الناشئين فى حاضرة تونس ولما شب رباه أخدمه موظفى قصر الحكومة الملقب
 بزهير حتى نسب اليه فى اللقب ثم أخذ منه الصادق باشا الوالى الخالى وصار من خدمته
 وقربه ورقاه الى رتبة أمير لواء مع انضمام رتبة أمير لواء ثانى فى عسـتـه العسكرية الخاصة
 وهى وظيفة مقصورة عليه لم تكن من قبل ولا بقيت من بعد ومن حدود تلك المدة عرف
 باللقب ابن اسماعيل نسبة الى والده الذى يقال انه مسمى بذلك وهو متواضع بشوش
 كثير التردد على الصالحين وزيارتهم شديد الاعتقاد فىمن يذمعى الى علوم الحد ثمان شـره
 على الاشياء الجديدة كثيرا لا نفاق على ما يعود الى لذاته يحب للتعبـل بالملبس الجوهرة
 حتى تـعـدد الخواتيم المـكـالة باصـبه وتـرى الجواهرات على صدره وسـاـسـلة ساعته

طارفا باخلاق سيده ملائغا في سيرته معه لرضائه حتى تمكن ميله اليه واشتدت
 رغبته في استرضائه الى أن قدمه على معاصريه وأبناء مجده فبلغ الى الرتبة المشار
 اليها ثم رفاه الى رتبة أمير لواء العسة وأبطلت الرتبة الثانية المشار اليها وفي أوآ خومة
 التناقر بين الوزير خير الدين ومصطفى خزندار انتزعت تلك الفرصة الى التنويه بشأن
 مصطفى بن اسمعيل ورقى الى رتبة الفريق وأرسل من الوالى كما تقدم الى مالطه لا بلاغ
 العناية بالوزير خير الدين وكان يظهر اليه الميل عن مصطفى خزندار ثم ولى طاملا على
 الوطن القبلى أوآ خومة مصطفى طغى خزندار وأخذ مصطفى تلزمات العمل المذكور بنقلها
 اليه بدون انتهام مدة من كانت بيده وامتدت الايدي الى ارزاق أهالى العمل المذكور
 بأرشاقى الاحكام وغيرها حتى قال كثير من أهله لقد زال العناء عن أهالى القطر الا نحن
 قانالم نرشيا من اثر ذلك لاغضاء الوزير خير الدين النظر عنه لمعاضدته اياه واستولت
 بعض حواشييه على الاوقاف بيداسيما الى أن آل أمرها لما كثرت حنايا عهده فان
 جامع الخنفية والمدرسة بيداسيما لم يكن فيهما باخذ دخل لوقف وأهوال الموقوف
 عليه حتى نرب وتعل جريان الشئ اثر بل نقل منها مهمات من الرخام وغيره الى دار
 المنولى كما اقيمت في ذلك حجج من أهالى البلد وقدموها الى جمعية الاوقاف وجرى على
 الاهالى من المتاعب ما بلغ الى قتل النفس كما ذكرنا ذلك في قتل حبيبه بايوض أحد أهل
 الحاضرة الذى انتقل بالسكنى الى همالك وذهب دمه هدرار سودت في موته رقعة على
 انه مات حيفا أنفه تبرئة عند الحكومة رسمان دمه وشهد على الاعيان من أهلى
 الحاضرة وغربهم في خلاص قانون الزيتون الذى كان مرتبا على الوطن القبلى الذى
 مر ذكره وتجهلوا من مباشرى الخلاص اهانات لم تهدلهم حتى ان بعضهم كان جالسا
 يحاثون أحدا معصاه في العطارين فجاء المستخلص والزعمه بالخلاص جالامع ان العسر
 عمومى فضلا عن كون الرجل لم يكن مستعدا ولا مال محولا معه فأهين بما أذرف دموع
 المشاهدين من ذلك الملائم ومثل ذلك متعدد ثم ولى الوزير ابن اسمعيل وظيفة صاحب
 الطابع أوأوسط سنة ١٢٩٠ ويوم ولاية الوزير خير الدين الوزارة المذكورة ولى
 الوزير ابن اسمعيل وزارة البصرة برانه لم يباشرها له الوظيفة في محل الوزارة وانما جعل
 ما يتوقف على امضاءه بحمل اليه أين كان ليعضيه حتى يقال انه انه فصل عنها وهو
 لا يعلم مضمون تلك الوظيفة اذ لم يكن التصرف على فحوارادته ولانه يعتمد من يفيقه من
 خبرا حسب أهله ثم عزل عن ولاية الوطن القبلى لان الوزير خير الدين قد استقر في

الوزارة الكبرى وظن انه غنى عن معاضدة ابن اسمعيل حينئذ فانتقم مع الوالى صعوبة
الاحساك بعزله ومن ذلك المناريج برح الخفاء فيما كان كامنا من منافرة الوزير ابن
اسماعيل للوزير خير الدين وان اظهار المبالى اليه لم يكن حقيقة باوا الفت عليه عصبة الوزير
الاسمى بقى خزانة من الاجانب وبعض المأمورين اترويج اغراضهم مما تقدم شرحه
وفى اثناء تلك المدة كانت أموال الوالى وذخائر الحكومة من الجوهرات والياقوت
الابيض الذى تركه محمد باشا كلها فى تصرفات الوزير ابن اسمعيل المذكور الا
ما اخرج من ذلك مما أرسله فى هدايا الدولة العلمية وما اعطاه الوالى الى الوزير خزانة
وله قسم طوافر او غيرة وكان القهم فى تلك المدة بالوزير ابن اسمعيل شخص من سكان
المناصرة لى له على ابن الزى كانت الناس تقيمه من قبل ثم ازداد وامنه اتقاهما
القهم بالمذكور وتفصيل حالة هذا الشخص لا تناسب هذا التاليم على ان مرشاهما
لا يبالغ ما ذكره لماسماعيل ومن لم يشاهد لا يكاد يصدق بوجودها ولذلك لا نذكر
الامايعة بقية من حوادث سيرة ثم انه من اليه معاملة التجارة فى رفاعيون
الدول وراى له تاجر بعد تاجر الى ان استقر امر مع احد تجار الاقمة مشقة الحريية من يهود
الحاضرة المسمى بيوسف بن عطار وارسله الى فرنسا للتجارة هناك ثم اساعد التاجر
حصلات يده وبين على ابن الزى نفرة فاضرى به سعيه لارادة استنصاليه وسجن
التاجر فى سجن الضابطية لان الضابطية كانت لا تسأله عن يربد سجنه وانما
حسب التنفيذ لما يراه وادعى على التاجر بحوسبة مائة ملايين فرنكا او تزيد بين مال
ومصوغ وجسارة كريمة من الياقوت الابيض على انهما من اهل نوع وانه سافر بذلك
الى فرنسا ولم يؤخذ منه حجة فى بيانها وانه ارجع اليهم بالارسال من فرنسا مائة دينار
وافر من الياقوت الابيض من النوع الردى على انه لم يبيع مما تسلمه منهم وقبلوا ذلك
وبقى التاجر الى ان احضر بالضابطية واخذت منه حجة على انها به صححه وانه كرها
هو وطال الامر الى ان تخلص التاجر من السجن وهرب الى قنصلات الانكايزى بمناياها
طالب بالاجراء الانصاف فى نازله وتدخل القنصل الانكايزى مع الحكومة فى انصاف
الرجل ولاحت علام الزور على الحجة ولم يكن معها من القرائن أو الاسلوب التجارى
ما يؤيدها سيما فى مبالغ وافر مثل ذلك بل ربما كان معها من القرائن عكس الدعوى
اذ ان المدعى به عليه من الياقوت هو من اهل نوع وهو المصرح به فى الحجة ثم النوع
الذى ارجعه اليهم وقبلوه وارسلوا فيه مكاتب بوضو له من غير انكار لكونه من نوع

ما أعطوه ولا تعرض بذلك مع ان ذلك المفسد اذ البليغ يعطى لانسان من غير بيان ولا حجة ولا دفتير ولا يؤخذ عليه الحجة الا بعد رجوعه عدة وهو تحت الغضب زيادة عما كان عند انتهائها فان جميعه يؤيد كلام التاجر فانه بعد ان رفعت المنازلة الى الوزير خير الدين وارادته تشكيك مجلس للنظر فيها وامتناع الوزير بن اسمعيل من ذلك حسبها تقدمت الاشارة اليه وبقى التاجر محتجها بالنفس لا لقوت صالح معه الوزير بن اسمعيل بمائة ألف فرنك وعشرين ألف فرنك وتجهب كل من سمع بالدعوى التي هي نحو ثمانية مالاين كيف يصلح عنها بذلك القدر لو كانت حقا والمنازلة مقررة في الوزارة وفي النفس لا تقولوا نظرنا الى ما وقع في المنازلة من الكلام على السنة الناس الذي منه ان مما قاله على ابن الزى الى الوزير بن اسمعيل ان التاجر المذكور لمساعدته من فرانس ارجع له مصوغا أو اناه بمصوغ بقيمة بليغة من المسال وانه اكتشف عن حالة المصوغ بعد الانفصال بالصالح مع التاجر فاذا هو من البور المقلد على الباقوت فاذا الوزير بن اسمعيل يديه حيث لم يكن فيه من فائدة فاحيره بانه يبيع بوضع آلاف وأدخاله في حسابه ولما وقعت الواقعة الاتي بيها مع ابن الزى تبين ان عين ذلك المصوغ لم ينزل بخزانته وانه من الباقوت حقيقة وامثال ذلك لطال الكلام في المنازلة لكن لا داعي لنا في ذكر ما يقال على السنة الناس سيما وهو ما يعود الى ما بين الخادم والخادم وانما الداعي الى ذكر ما تقدم هو بيان كونه سببا في خروج عائلة التاجر المذكور من رعايا تونس وصيرورتها تحت الحماية الا انكليزية كما انها كانت سببا في تمكن النفرة واطهارها بين الوزير خير الدين والوزير بن اسمعيل وميل الوالى الى معاضدة هذا لانه مكنه من جميع أمواله حتى ان نفقته ونفقة عياله كانت على يده وقد نشرت أخباره الواردة في الصحف الخيرية عربية وغيرها فيما نقتضيه العائلة من تباعده ذلك ولم يقع تكذيبه وحيث كان من الخصوصيات فلا ينبغي لهذا ايضا وانما اشيرنا اليه لتعلم خلاصة التصرفات المالية وبما تقدم وغيره حصوات الاشاعات التي اشيرنا اليها في اسباب استعفاء الوزير خير الدين وقرائن الحال دلت على انه كان القصد توجيه الوزارة الى الوزير مصطفى بن اسمعيل غير ان معرفة حال الموظفين والاهالي في التسليم لذلك كانت مجهولة فقدم للوزارة الوزير محمد ودوم الى استشارة القسم الثاني من الوزارة الوزير مصطفى بن اسمعيل لكي يباشرا الحال والاهالي في شكاياتهم ويتأنس بمباشرة التصرفات العامة في مكان لا يعرض لتصرفات الحاضرين

من اتباع الحكومة عند ورود الدعوى الان تسكون نازلة لهم باخيرة بواسطة أحد
علائقه وتقرر رتبته من قبل قدمها الى الوزارة فيمنه نذباذن فيها بما كان وقع عليه
الانقصال وحصات في اثناء هاته المدة الرشوة التي كادت تقضى سيماني توظيف العمال
ولم يبقه مدير الوزير محمد على دفاعها غير انها لم تنفاحش اذ ذلك كما ولي الوزير مصطفى ابن
استعمل عابلا على الساحل لاستعفاء الوزير محمد عنه فخرى أول الامر العمل فيه على
ما كان ثمولى على المستير رجلا تابعا عن العامل يجعل ينفق عن المائة ألف وكان ذلك
الرجل مدينا الاجانب من قبل واشتري الوظيفة لخلاص ما اشتراه به وتخلص دينه
وتكسبه وامتدت يده الى الاهالى والى النواب الذين تحت نظره وتفاقم الامر مع شدة
الضعف المالى فى الساحل واشتريت رعايا الاجانب الى قنصلهم هناك لان أهل
الساحل لم يوافقوا رقب دينهم فما يتحصل لهم من المبال عوض ان يدفع لدائنهم صارا
يدفعونه الى المتولى وبقي أمرهم على ذلك الى نحو مائة مبر دخيرة وفى أول مدة بداخله فى
الادارة وجه قصده الى التداخل فى المسائل الخارجية والمداخلة مع نواب الدول
فامتد طفه أحسد نواب الاجانب على أمير اللواء الياس المصلى لعلاقة بينهم ذاتية على
ارجاع المذكور الى خطته التى كان فيها وهى وظيفة مستشاران فى الوزارة الخارجية
وقد كان عزل عنها فى آخر وزارة خزندار انسا ولاية خير الدين وزير امير اسر بسبب
واقعة وهى ان احدى الجمعيات الاجنبية التى تجمع المال النوع من أنواع المرحمة
توسطت اذ ذلك بنفسه لفرانس لتعنيها الحكومة التونسية بشئ من المال على وجه
المرجة فارتأت الحكومة بواسطة المستشار المذكور مقدارا من المال ولما اجتمع
القنصل بالوزير شكركه وذكركه المقدار الواصل لتلك الجمعية فاذا هو غير مطابق لما
أعطته الحكومة ووقع التحقق فى النازلة الى ان عزل المستشار المذكور وبقي بلا
وظيفة ولا مرتب الى ان قدم من الاجانب من عطف على المذكور فتوسط له لدى الوزير
خير الدين فى وظيفة فافهمه ان ذلك غير لائق لما تقدم فأخ على ان يحصل له نفع ونال
بواسطة مرتب اسنو با قدر ستة آلاف ريال وقطعة من أرض مقدار ما يبنى بهادار
للمذكور وكبر ذلك على الوزير بن اسمعيل اذ ذلك وجعلها هجيرة فاستعاضى هو
بالشغال السياسية وتوسط لديه فى ارجاع المذكور للخطبة السابقة بادر بالاجابة
بالقبول ولما انتهى الامر للوالى استقطع النازلة سيما و قد سمع بعض القناس بذلك
وأوغر بالانكار بل ربحا قال بعضهم انه بعد ذلك اهانة لهم وحصل من المتوسط أيضا

النشيد في الاعتمام بمقتضى القبول الذي اجاب به الوزير بن اسمعيل وهو وان لم يكن
اذذاك وزير للخارجية الا انه علم ان كلامه رسمي مثل وزير الخارجية ونكران
اسماعيل التعهد بالقبول انما قال في وعدت ببلاغ الوالى المطالب فقط وتفاقم الخلاف
الى ان اسد ترصى الطالب ووظف المذكور وظيفته مختصة وهي كاتب سر الوالى
بالفرانساوى وجعل له مرتب اثنا عشر الف مائة واثم ابتدأت نازلة الملكة دى صاوى
فالح لوزير بن اسمعيل في تعجيل فصلها كان فيها ما سـ يرد خبره ثم جاءت نازلة وصل
السكة الحديدية التونسية بسكة الجزر وذلك ان الشركة التي يـ يدها المنحة وشرعت في
المعمل بها بعد ان قربت ان تصل بـ باحـ لزمها وصل السكة المذكورة بسكة الجزائر لانها
ان لم تصلها لتوقع الخسارة ويفوتها تبقي ربح المنحة في المثلثة لان دولة تونس ضامنة
لشركة المذكورة ربح المنحة في المثلثة على ما تنسبه من الطرق الحديدية بافريقية
وتصل بالجزائر ودولة فرانسـ بما تضمنت ذلك لانه مما يـ به كثيرا في المثلث
الاروباوية لترغب ارباب الاموال في انشاء المنافع العامة مع تحقق الربح من اموالهم وهي
لا تـ ل علمها مثل ذلك انماها وكثرة واردة من الطرق الحديدية فعلى فرض خسران
جهة من الجهات في الطريق يعدل بازيج الحاصل من الجهات الاخرى واد اقيت طريق
تونس غير متصلة بالجزائر لا تحصل الشركة على الضمانة المذكورة فذلك قدم الى
تونس زعماءها وطلبوا وصل السكة من مدين الى الفصل الثالث عشر من الاتفاق الذي
بايديهم في اصل المنحة من الشركة وهو ان الشركة يسوغ لها مدفوع عيـنا وشمالا
عن الخط الاصلى بعد الاتفاق مع الحكومة على جهة المركز الواصل له الفرع وعلى
جهة مروره وان المقدار الذي بين نهاية الخط الاصلى وبين حدود الجزائر لا يباع الى
مقدار طول الفرع الذي لهم الرخصة فيه وهو خمسة كيلومتر وأى نحو خمسة وأربعين
ميلا وانهم غاية ما يطلبون الاتفاق على تعيين المركز المنتهى اليه وتعيين جهة المرور كما
يطلبون مدفوع الى جهة المكاف بمقتضى الرخصة الاولى ابـ صافنا لتنازلة في البلاد
وعـ درجال الحكومة أهمية تامة لا بالنظر الى فرع بلاد المكاف لانه خال عن كل شائبة
وليس فيه الا النفع وانما الاهمية من حيث وصل الطريق بالجزائر وكثرت الاقوال في
وجود مليون ومائتى الف فرنك لتيسير اسباب الوصول الى المنصود وتولى أمر الحرص
فيها الوزير بن اسمعيل وكان الفضل الفرانساوى معينا الى الشركة على غير الطريقة
الرسمية وانما هو من باب المجاملة والنصح ويود فصل النازلة من غير ان تدعى الى تداعله

الرسمي باستنجاذه من الشراكة على ما يمكن ان تدعيه فيبرالوزر محمد اذ ذلك من قهمل
العبيث وعة - دلهما مجلس ان تحت رياسة هشار الخارجية واعضاؤه ثلاثة تونسيون واثنان
فرانساويان واثنان طليانيان وكاتب انكلا - يزي والتجميع من متوظفي الحكومة -
فتمفاوضوا في المسئلة - لكن مع الاشارات المتواردة بالتعجيل واختلاف رأي المجلس هل ان
الفصل ١٣ المستند اليه من المالب يقتضي ذلك أم لا لانه بالنظر للخرطة يتمس ان
المقدار المطلوب ليس بفرع بل هو تطويل لاصل الخط حيث يتجاوز منتهاه النقطة الاصلية
المنتهى اليها الخط لاصلي في البعد وان كان الذي ترجع - مدأعاب المجلس أنه يصدق عليه
انه فرع اذ لم يقيد الفرع بعدم تجاوزه نقطة الاصل ومع هذا فان الاستناد الى ذلك الفصل
لا يفتج المطلوب لانه ولا تضمن امكان امداد أحد الفروع ضمنا بعارضه التصريح
القطعي بفصل خاص وهو أن الوصل بطريق الجزائر ليس للشركة عمله ولا رخصة لها فيه
الابا اتفاق حديد ولهذا خصص ايضا بان الحكومة ليس لها اعطاءه لغير الشركة المذكورة
وهو حجة قطعية بان ايصال طريق الحديد لحدود الجزائر لم يعط مدة وزارة خير الدين بل
انه شرط عدم الايصال للمح - ودان اعطاءه الرخصة للشركة الفرنسية في ايصال
الطريق للحدود هو امتياز حديد اعطاه الحكومة التونسية بعد خروج الوزير خير
الدين من خطة الوزارة ولهذا انتقل الكلام الى أن الوصل هل للحكومة عمله أم لا فمذاكر
التجميع في منافعهم ودفع الاعتراضات والمضرات الناشئة عنه بما تقدم بيانه عند الكلام
على وزارة خير الدين بل زاد بعضهم ان قال انه اذ لم يصل تحقق المضرة المالية للحكومة
بان ما يصل الى المركز النهائي بقرب من الحدود - مع عدم انحصار جهة الخروج منها
فتحمل التبع على دهور الحبوانات وتخرج الى الجزائر من غير اداء اضرار ثاب الحكومة
الى غير ذلك من المصالح - دفع المضار ومساها نيق مع لا رتبا كات السياسية عند
الامتناع من الوصل - ولما كنت أحد أعضاء ذلك المجلس وافقت - الى ما ذكر غير اني
لاحظت شيئين (أولهما) ان الوصل الى الحدود يلزم منه تعيين الحد وهو واقع فيه
خلاف وطال لنزع فيه مدة أحمد باشا وادس للحكومة أن تعين الحد وانما ذلك يتوقف
على اعلام الدولة العثمانية وهي التي تعين الحد (وثانيهما) ان وصل الطريق بمشاعنه
كثرة القادمين من رعايا الجزائر اسهولة لا تة ل وقرب الوقت ورخص المصروف وذلك
هو موجب رواج التجارة وان الخلق من كل نوع فيهم المستقيم وغيره فاذا كثر لوارد
من رعايا فرنسا ليس وحدها كثرة المخالطة - تدعى ذلك كثرة الخصومات الطبيعية

وليس المحكام تونس المحكم في نواز لهم بل النوازل ترفع الى القناصل وأين هذا في قبائل
العربان التي يمر بها الطريق بل وفي نفس البلدان ليس لا تباع المحكام وضع اليد
على المطلوب فيعمل المتعدي ما يريد ويركب ويرجع الى بلاده قبل ان يصل الى العلم لم الى
حاكمه فيمير ذلك الى صبياع المحقوق سواء كانت للاهالي وهم الاكثر أو لغيرهم
ويضطرون الى اعمال وجوه يتوصلون بها الى حقوقهم بما وقعت البلاد
في ارتباك أو خروج الرعية عن حكمها ولا مندوحة عن هذا بالاتحاد المحكم وقد كان
السعي فيه من قبل ودولة فرانس موافقة على أصله فلم يبق الا انجازها ولذلك
لا يمكن الموافقة على وصف الطريق الا بالوجهين المذكورين فليل الى اني لهاته
المسئلة التجارة من تعليمها بمسئلة المحكم وهل ترضى باتحاد المحكم جميع الدول حتى
تدخل فرانس معهم اذ لا ترضى بذلك وحدها فقط ان كانت نازلة الطريق متجربة
بجثة فلا ضرورة لالتحامل على اقتحام المسئلتين السياسيتين المشار اليهما بالا بعد التخص
منهما او مضرتهما تعدل وتغرق على المنافع المشار اليها أولا وان كانت النازلة فيها شائبة
سياسية ففرانس تعيننا فيما يتعلق بها بحاجب موافقة الدول على اتحاد المحكم وتبدأ
بنفسه لان الداعي معها هو اتصال الممالك وسهولة الوصوله بالطريق الحديدي على
ما مر شرحه لانتشاركها فيها بقية الدول فاذا راوا جريان العمل بذلك مع جلبها الوفاقهم
يغلب على الظن توافق الجميع وكانت هذه الملاحظات هي مدور رمي بضدية قوم
ومع اكسة آخرين وأغلب الاعضاء انصفها وتكررت المذاكرات حس بما هو طبيعي
في تعدد الاسراء وكاف في اثناء ذلك أحد الاعضاء بصورة الشروط التي يمكن أن يقع
عليها التعاقد وبينهم المجلس يوما في اثناء المذاكرات واذا بالخبر بان الوزيرين اسماعيل
أخبر بان القنصل قادم على الوالي ذلك اليوم للعرض على النازلة وانها لا تنجم لزيادة
الطول فن ذلك التاريخ خرجت النازلة عن كونها شورية حقيقة قيمة وعدلت الشروط
المشار اليها في أقرب وقت ودفعت أولى الملاحظات المشار اليها بالنص على أن مركز القوم
لا يكون ملامة على الحدود وانظر هل يجدى ذلك أم لا كما دفعت الملاحظة الثانية بان تكتب
بانفرادها في أوراق الوزارة لتكون اشارت على الحكومة في السعي على مقتضاها وأبقيت
في خزائنها مع تقرير كل ما وقع في المجلس وأمضيت المنحة وسمع من ناخها وسعي فيها انها
من تصرفات الوزير خير الدين والواقف على كل ما قررنا به حكم بانصافه ثم أرسل هذا الوزير
من الوالي لتتممة ملك ايطاليا امبير توبالولاية عوضا عن والده ثم سافر الى معرض باريس
واحتمل

واحتفل به الوالى العام بالجزائر واجتمع في باريس برئيس الجمهورية وزجال السياسة
 وذا كرم بعضهم في فتح البحر بالصغراء الكبيرة من خليج قابس وعدله منافع تشا من
 ذلك للبحر يدرك له أوصاف البحر يدالي هو عاها الاكن فتخاص الوزير بن اسمعيل
 من الخوض في المنازلة لانه يخشى من المذاكرات السياسية بانه كان في سن الصغر لما
 كان الوالى يسافر الى تلك الجهات ولذا لا يمكن يعرفها وان المذاكرة في المنازلة تجري
 في الوزارة بتونس فتعجب المخاطب من الجواب ثم شاع الخبر بالاستعانة ببعض
 نواب الدول على توجيه الوزارة الكبرى الى الوزير بن اسمعيل وان بعض النخاع صرح
 له بان الوظيفة ما آلتها اليه لتوجهه عنابة الوالى اليه فلا داعى الى الاستعانة بالاجانب
 على ذلك لانه يفتح بابا غير مناسب فان الذى يستطبع ان يعين على الولاية يستطيع
 ضدها عدد مايريد فلم يقد ذلك ثم استقرت ولاية الوزير بن اسمعيل الوزارة الكبرى
 في شعبان سنة ١٢٩٥ على الكيفية التي تقدم ذكرها في استعفاء الوزير محمد
 واستبد الوزير بن اسمعيل بالنصرفات وحصا في البلاد تزيينات تشبهما رقع عند
 عزل الوزير خزن داروقد علموا ما بعثهم على ذلك اذ ذلك وأما هاته فم كانت امثالا لما
 أشير به عليهم بالايعاز من الاتباع فحدث في هاته المدة أمور في الحكومة والقطر
 (فمنها اتفاقهم) الامر في نازلة دى صانمى وخلصتها ان هذا الرجل الفرنسي كان
 شيخ في وزارة مصطفي خزندار ان تعطى له أرض قدرها اربعة ائة ماشية كل ماشية كبل
 مائة واثنين وتسعين جبلا وكل جبل طوله خمسون ذراعا على ان تكون الارض قابلة
 للزرع والسقى ويعطى له ذلك المقدر على أربعة أقساط مهيما وفي شروطه في سنة
 يعطى له قسط وعلى ان تعفيه الحكومة من جميع الاداآت واشترط عليه ان يربي في
 الارض المذكورة أنواعا ثلاثة من الحيوانات وهي الخيل والبقر والغنم في كل مائة
 ماشية عدد خاص من الأنواع المذكورة على ان تكون الأنواع من أحسن الموجود في
 القطر وأخارجه الى غير ذلك من شروطه وهو يبيعها لمن شاء وليس للحكومة شئ في
 عوض ذلك الاتحسين الأنواع المذكورة في القطر فمضت آجال منذ قبوله للارض
 الاولى وادعت الحكومة عدم وفائه بالشروط وادعى هو التعلل بانها لم توف له أيضا
 حيث طلب الاعفاء من الاداآت التي بواسطتها أيضا وكان ذلك في مدة وزارة الوزير خير
 الدين فال الامر بعد ان كدت ان تفصل المنازلة بالمرة وبعد ان عقد لها مجلس من
 موظفي الحكومة الى اجراء مطالبه وأخذ القسط الثاني من الارض واستقاطه كل

دعوى فيما تقدم تاريخه فلم يوف بما اشترط عليه أيضا وادعى ان سبب ذلك تدخل تونس في حرب روسيا وان الارض التي اخذها ليست كاملة المقدار وانها ليست بكاملة الصفات وانها لم تعف عما هو مشروط وان الحكومة لم تحم حقوقه من التعدي عليه من الاهالى فعد لذلك مجلس تحت رئاسة الوزير بن اسمعيل في مدة وزارة الوزير محمد وطالت المراجعات بين الحكومة وبين دى صانسى والقنصل الا توالى أن ولي الوزير ابن اسمعيل الوزارة الكبرى فحرص في اتمام المنازلة وتخابص الارض من يد المذكور وانعد لذلك مجلس من متوظفي الحكومة من الاهالى والفرنساويين وتكررت المراجعات الى ان اسست قراراى على ان لاقى لكنت المذكور فارسل الوزير ثلاثة من متوظفي الحكومة مع مصاحبة قنصل أوستريال حوز الارض المذكورة والشهادة على كيفية الحوز وقيل ارساله اعله قنصل فرانسايان الاولى الصلح في المنازلة بان يضرب له صاحب المخرة اجرة لثان للوفاء بشروطه ويسقط جميع دعواه فان لم يوف تخاص دولة فرانساي الارض منه وترجعها الحكومة تونس وبدون ذلك لا يمكن تسليم الارض الابلجس تحكيم مختلط وانه لا يسع لاتباع الحكومة بالدخول الى الارض وان اتوا للاستيلاء يجدون من يعارضهم من اتباع القنصل لا توفلم يقبل منه ذلك وعند وصول الرسل منهم اتباع القنصل اتوا من الدخول بالكلام فرجعوا وكتبوا القنصل حالا فورد من قنصل فرانساي مطالب (اربعة) مطالب (اولها) طاب الترضية من الحكومة (ثانيها) القساء المسؤلية على من تسبب في المنازلة (ثالثها) عقد مجلس مختلط للنظر في اثبات دعاوى دى صانسى او عدمها (رابعها) الجواب عن ذلك قبل مضي يومين والافانه يقطع الخطاة وشاع بالايعاز ان المراد بالقساء المسؤلية هو عزل الوزير فاضطرب الولى والوزير واشتد الخوف وقال بعض الاجانب ان قطع الخطاة لا يعقبه الحرب فتربصوا حتى تعلم الدول ولعله يكون منهم التدخل فتفصل المنازلة توجه آخر ولم يقع من أحد القنصل جواب مقنع في عدم خوف الحكومة لعدم وصول الاخبار التلغرافية وضيق الوقت ولم يعملوا الدولة العثمانية وسعى امير اللواء الياس عنه والقنصل بالوجه المخصوص بان يكون الوزير في امان ويحجب بجميع المطالب على ان يعزل الكاتب الذى توجه في المنازلة وهو الحماذق الفطن المتفنى دايد سطلمايه الذى على صغر سنه كان يحسن سبع لغات ومطاع على السياسة ونصوح اتونس كاهن الفصحاء وفى جميع لوازم وظيفته و يقال ان سبب الرضا به زله هو شخصيات نفسيات فارسل الكاتب

استعفاء قبل العزل وقبل بوقع الرضا الشفاهي بان يكون ذلك نهاية المسؤولية التي هي احدى المطالب ووقعت الاجابة الى المطالب من الوالي بعد ان كتب تلغرافا الى وزير خارجية فرانسا بانه يريد ان يرسل له رسولا لخاصة ليشرح له المنازلة فأجيب بواسطة القنصل بان لا فائدة والحالة هاته في ذلك وان القنصل معتمد من قبل دولته فاجاب الوالي حينئذ بالقبول ونزل الوزير ابن اسمعيل الى القنصل لتوبى باللباس الرسمي ترضية عن الواقعة ثم عقد مجلس برأسه موسى وفولون أحد أعيان الحكام الفرنسيين وكان رئيس مجلس التحقيق بالجزائر وهو رجل منصف عفيف و أعضاء المجلس اثنان تونسيان واثنان فرانسايان وبعد التروى في مجرد دعاوى دى صانسي هل هي واقعة أم لا عدا دعوى التعطيل بالحرب استقر الى أى على ان مقدار الارض بالقدس الهندسي الذي لم يجر بكيفيته العمل في تونس هو ناقص وان صفتها مطابقة للشروط وان الاعفاء لم يقع لان شرطه لم يقع وان حماية الحقوق موفاة من جهة الحكومة ثم بقيت الارض بيد دى صانسي الى الآن وعند قبول الشروط كوفي أمير اللوا الياس بولانيه مستشارا ثانيا بالوزارة الخارجية ومما حصل أيضا انه ورد على تونس أحد الفرانساويين وطاب انشاء مرسى أمنية للسفن على شاطئ قرطاجنه قرب حاق الوادي واقع على ذلك وتخوف من منعه فاعطى خمسة وعشرين ألف فرنك لكي لا يتشددوا عطي الى أمير اللوا الياس عشرة آلاف ريال لتوسطه عنده بان يرضى ولا تعطى المرسى وكذب في الصحيفة الرسمية ان كون اعطاء المال كان بسبب طلب قنصل فرانسا (ومنها) جعل موكب لاحراق تذاكر الكيبنون أى الفائض الذي استخلص من مبدء الحكومة ويون الى ذلك الوقت وجازى الوالي الوزير بن اسمعيل على ذلك الاحراق بالسيف المرصع الذي أنعم به من طرف الخلافة (ومنها) ان أحد العمال من اشرف مساكن ولي على قبيلة المثلث فادعى عليه بانه أخذ منهم زائدا عن موظفات الحكومة نيفا ومائتي ألف ريال ولم يجر الحساب على مقتضى الانصاف المطالبوب فطلب تحرير الحساب بمحض أعيان من ثقات الحكومة فلم يجب وقبض به اثنان من اعوان الوزير ومنعه من الخروج من داره الى ان تخلص منهم بحيلة ورمى بنفسه من احدى طوافي ملوه والتجأ جريا الى قنصلانوا بكثرة فدخل بابها صاعجا مستغيثا وأغنى عليه ولما افاق سأل القنصل عن سبب حاله فقـر رانه عذب برباط يديه واحراق الخطب في وسط بيته والسكر فيها وضرب الحجر والقاذورة على رأسه وغير ذلك من أنواع التعذيب

ليؤدي المال وأخذوا منه اجرا على ذلك خمسة عشر ألف ريال وآل الامر الى طلب
القنصل اعادة الحساب فامتنع الوزير من ذلك وحصات بينه وبين القنصل نفرة ودامت
مدة الى ان ابدل القنصل المذكور لفراغ مدة خدمته بالسكن وهو ميريتشارد وودورقة
دولته ثم جاء خلفه وصوِّح العامل المذكور باقل من ربيع ما ادعى عليه يدفعه على اقساط
(ومنها) ان احدا غنياء الساحل الملقب بابن الحفصية ادعى عليه بانه اشترى زيتا من
الوزير وكتب عليه حجة بخمسة لامين ألف ريال فتلطف بالخصاص فلم يدفع ثم طلب ان
يتوجه الى جهة الافرنج ليستقرض منهم ويدفع فارسل معه احدا لاتباع لمراقبته
ولما وصل تجار القنصل اتوا فرأوا سادخلها مستغيثا فتلقتهم أعوان القنصل لاقوا وقرروا نازله
واجتهد القنصل في حمايته لما ثبت عنده ظلمه وجاه من ذلك ولم يخرج من هناك
الا وهو وجميع عائلته تحت الحماية الفرنسية وانه اقام الامر في الساحل على ذلك
النوع الى ان كتب أحد القنصل الى نوابه بقبول كل من يلتجئ اليهم وكتب تقرير فيما
هو واقع فاحس الوزير ابن اسمعيل بذلك فاستعفى من ولايته عاملا على الساحل
وتلطف للقنصل بان يكون ذلك ختسام النازلة فانفصلت على ذلك (ومنها) ان احدا
التجار الملقب بالصباغ الذي تقدم ذكره عند الكلام على الوزير مصطفى خزندار
افرض اهل مسكن في نكبة الساحل العامة سنة ١٢٨٠ أموالا على
الزيت وتضاعف أمرها الى ان عجزوا وسجنوا مدة طويلة فلما ولي الوزير بن اسمعيل
على الساحل توسط في الصلح مع التاجر على ان يتحمل هوله بما يطالبه منهم وهم يدفعون
ذلك للوزير على اقساط فسرحوه على ذلك ونقل الناس عن التاجر المذكور ان المال
اسقطه هو عن الوزير بن اسمعيل لتوسطه في ارجاعه. فان الوزير مصطفى خزندار
عنوبه الذي كان دفعه في الصلح عن مطالب الحكومة منه كلما بقي ذكره وان لم يرجع
الدمتان الا لورثة خزندار عنه دموته وانما فعل التاجر ذلك للعلاقة بينه وبين خزندار
المذكور وبقي الوزير بن اسمعيل يستخلص المال من اهل مسكن شيئا فشيئا هكذا
شاع عندهم سمع من الصباغ (ومنها) ان احدا تباع الوزير على قبائل جلاص
فالبث فيهم مدة الا و قبل منهم فوج عظيم شاكين الى الوالي بانهم ضربت عليهم غرامة
بخمسة مائتي ألف ريال زيادة على أموال الحكومة ووقع في النازلة مبادى هرج
الى أن صوِّحوا برفع الغرامة وابقاء العامل (ومنها) تكاثر الجمائل على الوظائف
من العمال ففسدت لذلك بعض القبائل كلها ما وهادما تتخوف الناس منه من

اعتمد الاديدى الى الاموال حتى أشاع بعض العمال انه شريك للوزير فيما يستلزمه من أنواع الدخل وبسبب ذلك انحطت بعض المداخيل فلزمت غاية الزيتون سنة ١٢٩٧ أخذها تابع الوزير ابن اسمعيل بسبعة وعشرين ألف مظهر زينا وأجهم عن الزيادة عليه سائر الاهالى لما أعلن السابع ان أخذه لها شركة مع الوزير وليست هاته مماثلة بدم اليها الاجانب الذين لا يخشونه لانها تحتاج الى ممارسة الاعراب ولم تسبق لهم عادة باستلزامها (ومنها) ان قبيلة تسمى بالقوازين من المنتسبين الى أحد الصالحين وعددهم لا يبلغ الى الثلاثمائة رجل يسكنون في الجهة الخنزيرية في حدود الصحراء كانوا الحكومة منذ قديم معفية لهم من الاداء لقاتهم وقلة كسبهم واستعمالهم على ذلك الى سنة ١٢٩٦ فارتدوا زمامهم بالاداء فامتنعوا من العمل بالعادة والمحال فالح عليهم وتهددوا بالغصب فتحملوا ابداء شئ من المال سنويا على انهم يوزعونه على أنفسهم من غير ان يتدخلوا في عملهم وعددهم وتوزع المال عليهم مثل ما هو جار في بعض القبائل المتوحشين كورغمه ومطماطه وشبهها وكان الفرق بين ما يمكن ان تحصل عليه وبين ما ارادوا هم اعطاهم بانفسهم لا يتجاوز الالف ريال على ما قرره أحد العارفين بهم فامتنع الوزير من مساعدتهم وأذن بعضهم واستعمل لذلك بعض القبائل الذين لهم معهم مداوة مع بعض العساكر الخيالة الغير المنضمين المعروفين بالجوانب والصباحية فعانوا فيهم وقتل منهم كثير حتى النساء والاطفال منهم بقي جثثهم رجهم الله (ومنها) ان رئيس اطباء ألوا الى طلب أن يكون بالحاضرة مستشفى على النحو الاروباوى فتم ذلك بمال الاوقاف وانظم امره وقد وفيت فيه بكل ما تحتاج اليه المرضى وتم به راحتهم حيث كنت أنا المباشرة الى انشائه وجعلت فيه قسمين منفردا خاصا بالنساء وكل ما يصرف على الداخل من المستشفى يكون من فواضل مال الاوقاف ولا يعطى المريض شيئا ولهذا اشترط أن يكون الداخل اليه فقيرا كما جعلت به قسم منفردا خاصا بالاعضاء ويقوم المستشفى بجميع لوازمهم على أحسن حال علاج وسكناء يعطون عوض ذلك قدرا زهيدا من المال وجميع أدوات هذا القسم من الاسرة والخدم والفرش مماثل للحاليات الاغنياء المقصدين في مصارفهم وفائدة هذا القسم ان كثير من أهالى الحاضرة اذا مرض لا يجد من يوفى له بواجبات العلاج للجهل من العائلة مع انهم يستكثر من اجرة الطبيب فيندفع عنهم ذلك في المستشفى وهنالك فائدة أكبر من هاته وهى أن أغلب بلاد القطر خالية عن اطباء وكثيرا ما يأتى منهم أناس لنداءى بالحاضرة فلا يجدون مأوى سوى

منازل المسافرين التي تسمى وكائل وهي غير صالحه لمثل ذلك فتحصل لهؤلاء الهاته الثمرة مع الاشتراك في الفائدة المقررة لاهل الحاضرة (ومنها) أن الوزير ابن اسماعيل استوهب من الوالي الاوقاف التي كان حبسها على باشا الثاني على الاناث من ذريته فسعى في جعل بيئات تشهد بمساكنيتها في مدة وزارة خير الدين وعطاها اذذاك الوزير المذكور ثم بعد خروجه تمت الهبة وبقيت الاوقاف عنده بالهبة ولما تمكثت عنده الاراضى المسماة بالهناشير المختلفة كبر ارضه رابع منها عدد او افر الى لجنة فراساوية وغيرها (ومنها) انه استوهب من الوالي أيضا مصيصة السملك ببلد المستير المسماة بالتارة ثم احالها الى لجنة أخرى كذا اشاع أيضا (ومنها) عمل طريق بين باب البنات وباب سويقة من الحاضرة قرب دار الوزير وفيها أكثر مروره الى جهة باب البحر (ومنها) أن أحدا لا غنياء من الالهالي توظف في الحكومة المسمى بمحمد عرف توفى رحمه الله عن غير ولد وكانت له بنات من ابنه فاوقف كسبه عليهن وعلى من يتزايد له وبعد وفاته وضعت زوجه جملها فكان ولد اذكر انتم توفى في أثر ذلك وكان للمتوفى ابن عم فتعاضد مع الزوجة وأراد أن يعطى الوقف المذكور ليعير الخلف اربا فيثمان أغلبه واستعاننا بتابع الوزير المسمى على ابن الزوى على مواعيد له وقد كن القاضى جعل وصيا على البنات وحفظ الوقف والمنقول فطالب التابع ان ينقل حكم النازلة من الشريعة الى الوزارة على خلاف الديانة والعادة من تحكيم الشرع في الموارث والاوقاف وارسل الوزير الى القاضى مكتوب بان يسلم رسوم الوقف الى كاتبين أحدهما من خواص الوزير والثاني من الوزارة مع الوعد في المكتوب بان الوزارة بعد الاطلاع على الرسوم ترجعها وكان المسلم لها أبو الزوجة وهو وكيلها مع أحد الكتابين فطال الزمن وأبلغ الوصى الى القاضى التخوف على الرسوم اذ اشاع انها سيقع فيها تغيير فارسل الى أبى الزوجة والى الكاتب اللذين تسلموا الرسوم بطلب ترجيع الرسوم فأبى فاحضرهما فامتنعا فسمع أبى الزوجة حيث انه هو المسلم وأخبر بان الرسوم بعلمه في داخل المحكمة الشرعية هو محل اشتغال الكاتب المذكور حيث كان من شهود الاوقاف وذلك العلوه ومكان اجتماعهم فبعد أن ألح القاضى على الكاتب وامتناعه أمر بان يمنع من دخول العلوخشية اخراج الرسوم منه وبقي القاضى يعمل حكمه على الهيئة الشرعية حسب ما سبق التعريف بذلك من كون أهل الشرع يتوزن لهم من التعظيم والنوقير قريبا عما كان عليه الحال في الاعصر المعظمين للديانة وشعائرها فكان غير بعيد الا وعلى ابن الزوى المذكور قارم فضرب باب العلوخية وكسر قفله وأمر الكاتب بالصعود

وانخرج

وانحراج الرسوم وانحراج المسجون وامر بالذهاب حيث شاء وقدم على القاضي وباشره بما لا يناسب ذكره وفشا الخبر وعظم الامر عند العلماء والعامة الى درجة لم تنهه دفأ بطالت الدروس من الجامع الاعظم واغلقت دار الشريعة وكثر اللغط وسرى الى خارج الحضرة وأبلغ امر النازلة الى الوزير ابن اسماعيل فاراد أن يهون النازلة بمنع تابعه من القدوم الى تونس وأرسل معلما الى القاضي بانه سجنه فلم يأنف لذلك العلماء وتقدم الشيخ أحمد بن الخوجه شيخ الاسلام وجع العلماء مرارا واطهر رأسه بالانتصار للشرع وكتب جميع المجلس الشرعي مكتوبا وأرسله الى الوالي قصد البلاواسطة الوزير على خلاف المعتاد وقدم به رسوله ثم على الوالي في مجلسه العام فقرأ عليه فاذا فيه تفصيل الواقع والاشارة الى ان الخطب عظيم فاهتموا الى وتوقي عاقبة الامر وحضر المجلس وأمر بمنع رتبته وحيدته ثم نفيه الى حصن جربة وقدم على أهل المجلس باشكاتب ووزير الشورى وتأسف لهم على ما وقع وهدأ بالهم بمبايعة من الحكم فاقنته عوافي الجاني بما وقع ولكنهم طالبوا مواجهة الوالي وقصوا على باشكاتب المذكور ما هو حال بالقطر عما تقدم شيء منه الى أن بلغ الحال الى تلك الدرجة وتوقعهم لما هو أعظم وكان شيخ الاسلام يبيكي على حالة من لا أرب له في الدنيا وكل تسكلم بما بداله من فطاعة الحال فابلاغ باشكاتب ما سمع وما رأى فاضطربت أفكار الوالي وتكاثر الكلام في الناس وكانوا كلهم على كلمة واحدة في اتباع أهل المجلس الشرعي وعماد كراواتهم انتهاء الامر والشكاية الى خليفة المسلمين وطلب اجراء ما تضمنه فرمان المؤرخ في شعبان سنة ١٢٨٨ من اجراء العدل والانصاف في الرعايا وبلغ الوالي قصد العلماء وهو طالب تشكيل مجلس للنظر في المصالح وفي أعمال المأمورين لكي لا يقع مثل ما وقع وخشى مما شاع من تداعل الخلافة الكبرى اظنهم ان السلطان لا يرضى بضياع أهالي تونس لمخالفة السيرة الادارية لما هو مشروط في فرمان السلطان سيما وقد بلغ الامر الى ما هو راجع الى الشرع وحمايته وان ذلك أيضا يجري الى تداعل ببيعة الدول العاليتين بجمع السيرة مع كون الصدر بالدولة العثمانية اذ ذلك هو خير الدين باشا الذي يراعه دوله فارس والوالي الى العلماء ثانيا يقول لهم أهملوني بضع أيام فان جعلت ترتيبا سياسيا بقتنكم فاقدموا الى حينئذ شاكرين والافلكم ان تبدوا ما يظهر لكم وكان هذا رأى الشيخ بربه على الوزير بان يعمل كما قيل بيدى لا يبدع وخشية تفاقم المطالب على ذلك النحور ووقع اذ ذلك مبادئ انحلال في عزم أهل المجلس الشرعية لان رئيسهم تقرب اليه الوزير سرا فاختط

حرصه ونوجهت أطماع البعض الى المسابقة لارضاء الوزير فاجابوه بنعم ثم جميع الوالى
 وزراء واعلمهم متناسفان مطالب اهل الشريعة بانه يريد ان يجعل مجالس امر كما منهم أى من
 الوزراء ورؤساء الادارة دون غيرهم من الاهالى للنظر فى المصالح وجران السياسة فاجابوه
 بان ما يظهر له حسن فهو حسن وكان هذا الجمع من الوزراء والمستشارين مشقلا على
 جميعهم حتى ان الوزير حسين كان اذذاك قد قدم من ايطاليا المصالح فى اموريته فصادف
 الواقعة وكان ممن وافق الوالى على رأيه فى جعل المحتسب والمحتسب عليه واحدا خلافا
 للعقول والمبايع لم من طبعه من لزوم الاحتساب الحقيقى على تصرف الأمور بنفقات من
 الاهالى الى غير ذلك من أوجه العدل ومعها ته الموافقة فلم يسلم من القدرح ثم ان
 الوالى أرسل لاهل الشريعة يعلمهم بانه انشاء مجلسا موفيا من عشرة أعضاء تحت
 رئاسة الوزير ابن اسماعيل وأعضاءهم الوزراء والمستشارون وبعض رؤساء
 الادارة وما باع لاهل الشريعة ذلك قالوا ليس قصدا لنا المتوظفين لانهم دائما تحت
 الامر ولا خيرة لهم بما فى أطراف القطر وانما المراد أن يكون المجلس من المتوظفين
 والعلماء واعيان من البلاد والعربان ولا أقل أن يكون عددهم ثلاثين عضوا
 وانهم لا يقصدون الا مصلحة البلاد لانهم ليس لهم غرض الا هذه القطر رهنا الوالى
 وقيل أن نفس فرانساصرح بانه لا يعرف بالمجلس وانه ان اراد الوالى الاستعانة بعساكره
 لدفع الطالبين فهو حاضره حيث أن طريقة الوزير هى التى تبلغه الى قصده كما ذكرناه
 فى محله ثم لما باع الوالى جواب العلماء أرسل اليهم بانه يريد اثنين من رؤساء المتوظفين
 وأن هذا المجلس ينظر فيما يقضيه الحال من الكيفية ويجرى العمل به وكان فى اثناء
 هاته الايام دبت السعاية بالترغيب لبعض العلماء والترهيب لهم من تدخل الاجنبى
 بلا مستند فرفض عددهم بذلك وكان سديما فى تمكن الفيض على من زيد حيث انتهى رضاه
 المقترحين عند ذلك وصرح الوالى بما يشف عن ذلك والله المطالع على السرائر ثم جعل
 هذا المجلس فى نفس الامر اذا اجتمع يعرض عليه ما يريد الوزير والاعراب أن يكون
 المعروض هو بعض النوازل التى تعرض بقله ولما كان أغلب الاعضاء يسايرون الوزير
 لم يظهر لوجوده من أمر اذا لا يتدخل فى نصب ولا فى عزل ولا سيرة عامل اورشوا وشاهد
 ذلك الخارج فانه لم يمس عليه شهران حتى وردت الرسل على شيخ الاسلام بان يتشفع فى
 الجانبى على الشرح فلم يوافق جهة بل أظهر زيادة الامتناع ثم سودت سرا ببطاقة الى
 المنفى ليكتب على غطها مكتوب بالاهل المجلس الشرحى وما ورد مكتوبه على نحوها

كتبوا

كتبوا الى الوالى مستشفعين به - بان امتنع بعضهم وقيل عند ما سمع بذلك ليت شـ عرنى
ما هو ووجهه كتبهم مع علمهم بالحقائق ومنها انه شرع الوزير اثر ما تقدم فى بناء دار
شيخ الاسلام المذكور بـ تونس وكذلك داره بجبل المنار وكثير ترد تابعه الجاني المذكور
عليه حتى نشأ عنه قيل وقال يسوء جانب العلم والخطة ومنها انه اشتكى بعض
السكان فى مطالب له من تابع الوزير المذكور الى القاضي فلما دعى للجواب امتنع وورد
الاذن الى القاضي الشرعى بان المذكور لا ترفع نوازله الا للوزارة فليس له النظر فيها
وقد علمت سابقا ما هي حالة احترام الشريعة وحكامها ومنها بناء محمل للكرسي في
أى الاحتماء للوارد من الاقطار التي يكون بها مرض عام معدي وبني ذلك بحسب
رغبة الاجانب وحرص رئيس اطباء الوالى ووجهه لـ له طبيب خاص وكان بناءه باحـ دى
المرامى المسماة غار الملح ومنها حصول الهرج فى القبائل بالجهة الغربية حتى ادعى
قبائل الجزائر المتعدى من قبيله وشتاته التونسية فأرسل عليهم الوزير بعض أتباع
الحكومة وشاع انهم اغتصبوا منهم نحو ثمانمائة رأس من البقر أعطوهاهم الى قبائل
الجزائر وأخذوا لانفسهم وكتبهم خمسة مائة رأس من البقر ومنها ان تابع الوزير
بن اسمعيل اسـ تلزم لـ زمة الصاغة أى تدخل الحكومة مما يؤخذ على المصوغ المباع من
الفضة فادعى على أحد أهالى القيروان الاغنياء من الذين يتعاطون التجارة بأنه أخفى
ما يلزم الاداء عليه للزام وسجن وكاد أن يفلس وراد لـ نفسه وجهها للحمية فى المستقبل
ومنها ان شركة طليانية طالت مدسلك كهربائى بين تونس وايطاليا ولم يجبه الوزير
الى ذلك وكان ذلك سببا فى تكبير الخطة مع ايطاليا بدعى ان شرط أصل انشاء
التلغراف لا يقتضى منعهـ م ومنها جعل اداء على الجهلات التي فى الحاضرة حسب ما هو
حار فى سائر البلدان لاصـ للاح الطرق ومنها منح لفئة فرناوية لانشاء مرسى فى شاطئ
البحيرة بالحاضرة بهـ دى ان طلبت ان تكون المرسى حول حلق الوادى مع انشاء طريق
حديدية اليها من الحاضرة مارة على طريق رادس فأنعت فى ذلك الشركة الطليانية
التي اشترت من الشركة الانـ كائنية الطريق الحديدية الواصلة له بين تونس وحلق
الوادى المارة على العويضة فتمتد الى شروطها وكاد ان يتفاقم الخلاف الى ان أرسى على
ماتةـ دم ومنها منح للجنة الفرانساوية المذكورة وهى صاحبة طريق الحديد الواصلة
الى الجزائر بان تبنى طريقا حديدية الى الساحل وأخرى الى ابن زرت وان تستبد
بالطرق الحديدية فى المستقبل الى أى جهة ومنها ان أحد أقارب صـ والوزير ابن

اسماعيل قبل حلاقا باطلاق مكاله عليه في دكانه لما جرة بينهما ولم يقتص منه ومنها
 ان أحد التجار الطليانية كان يدعى بان جده كان أنى لمود باشا الذى توفى سنة ١٢٣٩
 بشئ من السلع ولم يأخذ ثمنه وهو نحو خمسة عشر ألفا وكانت ثمرت النازلة مرارا ولم تقبل
 حتى عند الكومسيون المالى المختلط وحقق ذلك التاجر صهر لاميروا لواء الياس المتقدم
 ذكره فاعطى حينئذ ما يطلب ولما كانت مالية الحكومة ضيقة والكومسيون غير
 متعرف بالدعوى أعطى الطالب أرضا قبل ان فيه ثمنان نحو ستين ألفا ولما ورد الاذن من
 الوزير على الكومسيون بان يأذن وكيل أملاك الحكومة بتسليم الارض المذكورة
 للطالب توقف المحتسب العام الفرنساوى في وجهه ذلك ولكن قد تمكن الطالب من
 الارض ومنها ان فى راس سنة ١٢٩٧ صـ منع بعض أتباع الوزير مصنفين على النحو
 الذى تقدم فى وزارة خير الدين وقدموهـ مالوا الى الوزير بن اسماعيل فى موكب باسم
 الاهداء من الاهالى وانظر ما هى المحصلة التى كانت سبب ذلك ثم فى ربيع الاول من تلك
 السنة قدموا للوزير أيضا مثل ما تقدم سبب المحجورا ثم فى شوال من تلك السنة قدموا له
 أيضا دواة محجورة بقاءها باسم اليهود من الاهالى لكن المحصلة التى استحققت ذلك
 لم تعين ولا فى واحدة من تلك الاشياء ومنها ان أحد المهتمين الفرنساوين كان ادعى
 انه مطالب للحكومة بمال مدّة وزارة مصطفى خزندار وتوالت مطالبه فلم تقبلها
 الحكومة وكذلك عند انتصاب الكومسيون المالى عرضت عليه تلك المطالب واستقر
 الامر على عدم قبولها ومهما ادعى به لم تقبل ولا وجدت قناسله مستندا لتدعيم
 دعواه وفى وزارة الوزير بن اسماعيل قبل ان يجعل فيها تحكيم وعقد ذلك مجلس مختلط
 من النوفيين والفرانساوين ورئس عليه أولا أحد رؤساء الاحكام فلون الذى تقدم
 ذكره فى نازلة دى صانس غير انه لم يقبل كانه علم غير لائمتها هو عليه فقدم للارياسة
 غيره وصدر الحكم على الحكومة بادائها المأذ كور نحو ثلثمائة ألف وخمسة وخمسين
 ألف فرنك ومنها ان التاجر الصـ باغ الذى تقدم ذكره أيضا كانت له دعوى من نوع
 السابقة ولم تقبل لامن الحكومة ولامن الكومسيون المالى فكذلك الوزير بن
 اسماعيل قبل فيها التحكيم وصدر الحكم باداء الحكومة نحو أربع مائة ألف وخمسين ألف
 فرنك والحال ان الحكم كان صدر من الكومسيون المالى الذى هو مختلط من تونسيين
 وفرنساوين وطيالينيين وانه كاترين وفيه أحد كبار الموظفين من دولة فرنسا
 وانتصابه باتفاق الدول المذ كورة على التراضى به فى جميع النوازل المالية وردها كلا

من المطالب المارذ كرها واسمرا العمل بذلك أزيد من عشرة سنين مع ما فيه من الحكومة من العسر والمأل إلى كما تقدم شرحه وأضيف إليه استيهاب ما بقى على ملك الحكومة من مهم الاملاك للوزير بن اسمعيل حتى تم ما بقى مما يفتقر به من عايد ما تزايد له مولود بل حتى الاحباس التي أوقفها الحكومة على المدرسة الصادقية اراد ان يأخذ منها أهمها هو وبعض من المقررين عنده بوجه الانزال أى الكراء المؤبد وعند امتناع القاضى من ذلك جعلت الاوقاف المذكورة من أملاك الحكومة وحوطب بذلك رئيس الفتوى من المال كية فأنزلوها على يده فالعمال يشتركون الوظائف والاهالى تعمل أعمالهم والمالية والسياسة والشريعة على ما تقدم ذكره وأخر المخرج التي بلغت انما حصلت في هذا العهد ان وقع الالتزام الى دولة فرانسايان لا يحدث شئ جديد في القطر من الاعمال العامة انما افعة الابدع رصده على الفرانساويين فان لم يوجد منهم من يريد عمله فاذا ذلك يسوغ ان يباشروا غيرهم بحيث وقع التقيد في ذلك بارادتهم وهذه خلاصة النان يخ في القطر التونسي الى هذا العهد وهو بدو سنة ١٢٩٨

تنبه قبل طبع هذه الجزء طرأ المحادث العظيم على القطر وشه منفردة بذيل خاص في الجزء الثالث ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرانس الخارجية
* (فصل في بعض عوائد أهل القطر وصفاتهم) *

(مطالب في الاوصاف العامة) قد تقدم ان السكان مسلمون الا ما قل من يهود ونصارى الذين مجموعهم نحو مائة ألف وأما التبعصر في أحوال الديانة فاعلم هو في المدن وبعض القرى وأما في القبائل الساكنة بين النجيمات فلهم معرفة اجالية خاصة خصوصا ذوى الثروة والذين تنسأ في أوطانهم زوايا لبعض الصالحين فيرشدهم مشايخ الطرق وأما باقيهم فيعرفون من عقائد الاسلام الوحيدة لله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم صادقة ورعا كان بعضهم لا يعرف عددا أوقات الصلوات وغيرها من الفروض العينية وكان في بناءهم يتحمل به من يعلم حالهم ولا يرشدهم والكل على مذهب الامام مالك رضى الله عنه الا قليلا منهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضى الله عنه والجميع أهل سنة الا بعض أهل جربة فهم على مذهب الاعتزال ولهم علماء ومساجد خاصة وللاهلالي تعظيم لشعائر الدين ومنها الحيا فان الابن سيمان الاعيان لا يجلس أمام والده الا باذنه ولا يستنشق التبغ ولا يدخن به أمامه أبدا وكذلك أمام والدته هذا فاضلا عن الكلام الفاحش أو مخاطب زوجته بل حتى اذا كان له ابن صغير فانه لا يحمله ولا يخالقه أمام

والديه وبقية بلون أيدي والديهم في السلام عليهم وربما كان ذلك كل صباح وهي تحبة التلامذة لما يحبهم وتحبة السادات الاشراف وجميع الالهالي تهظيم كامل لهم وأما سلام الكفاء فهو التقييـ في المكتف الااعراب فان بعضهم يقبل يد بعض أوراسه ولا تمكاد تسمع أحدا من ذوى المروءة يغنى فضلا عن النساء اللاتي صوتهن عورة بل لهاته الصنعة أناس خاصون وفيهم من النسوة عاهرات وهن يسكن بديار في حارات مخصوصة وماذ كرم الغناء ومثله الرقص خاص بالحاضرة وأكثر البلدان بخلاف الاعراب فعندهم ذلك غير معيب كما ان الكل في الطريق أوفى الاماكن المكشوفة للمارة معيب تسقط به العدة وكذلك دخول القهاوى تتجنبه أصحاب المروءة حتى ان الاعيان ليس لهم محل اجتماع عموماً وغاية تقصصهم بالمشى في الطرق النزهة أو أماكنهم الخاصة مع أحبائهم نعم يتسأهلون في دخول القهاوى في أماكن النزهة خارج الحاضرة ولا يمكن أعيان الاعيان لا بدخولها ايضاً والتمسح بالتمسح لازال معيباً عند ذوى المروءة وليس ذلك الا مجرد اتباع للعادة والافلا فرق بينه وبين التشويق مع كثرة اسـ تعاملم لهذا جهره وحكم الجميع شرط على مذهبنا المحدث في الجواز وكذلك المعمول به من المذهب المالكي لا يثبت انه على مسـ مثله الاصل في الاشياء الاباحية وهي مسـ مثله خلافيه فقالت طائفة الاصل الاباحية حتى يرد الحرام وقالت طائفة بالتمنع حتى يأتي المبيع وقالت طائفة بالنوقف والصحيح الاول لقوله تعالى هو الذي خاق لكم ما في الارض جميعاً فجميع ما في الارض خاق لمنفعتنا فانسعمل كل شئ في محله الا ما ورد فيه المنع ويشهد له ايضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم لم ان أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شئ لم يحرم فحرم من أجل مسأله وقوله عليه السلام والام دعوني ما تركتكم فاعلموا انكم كنتم مسائلهم واختلفتلافهم على أنبيائهم وكل من الحديثين منقول في الصحيح وكان ورد الحديث عقب السؤال عن أشياء لم يرد فيها حكم بالتحريم فدل على الاباحية وهذا التبغ لم يكن معروفاً من البعثة وانما عرف بعد الاكتشاف على أمر يكا كما تقدم فيكون حكمه هو الاباحية الاصلية وكان الاستحباب من استعمال التدخين مطلقاً والنشوق أمام الوالد والاكبراء مبنى على أصل آخر غير التحريم وهو انه لما كان فيه خلاف فالورع تركه اذ الورع هو ترك ما لا بأس به حذراً مما به اليأس ولما كان الاصل في المؤمن هو السلامة لوله على اكمل الصفات فكان أهل تونس يستقون من ترك الورع أمام ذوى المقام كما انه لا يوجب في الحاضرة أماكن

للملاهي أى الملاعب الا فى رمضان فتكون فيها أماكن للصبيان ليلايلاعب فيها بتصاوير
من وراء الستار بالخيال من الصور فى نور المصابيح ويسمى المكان خيال الظل وربما
أحضر فيها نوع من السماع وصورة اللاعب هى تشخيص حكاية بصورة من الجملة على
هيئة المحكى عنه واللاعب يتكلم على لسانها والجميع من وراء الستار بحيث يشعشع
للناظرين من خارج الستار كان الواقعة مشاهدة وان كانت الصورة صغيرة طوله قد
شبر والاغلب أن تكون الاماكن وسخة ولا يدخلها الا الصبيان وبعض من لا هوى له
من الرطاع لتفضية الاوقات فيما لا فائدة فيه سوى السخرية والضحك واضاعة الزمان
والاغاب فى المحكيات أن تكون مضحكة بما يدركه الصبيان وربما تشخصوا المستحيلات
العادية كالغول والشيطان اذهب هذا الامر ولا تعرف صورته بحيث يصح أن يقال ان
ذلك الملاهى لا تفر فيها الا مجرد لهو والصبيان وكان الاصل فى اساعتها مانص عليه فقهاؤنا
فى كتاب الحضر والاباحة من جوانب شراء اللعبة للصبيان فقا سوا عليه اتخاذ ما هوى لهم
ليس الا فى رمضان لمكى يسهر واو لا يستيقظوا مبكرين فيوقظون والديهم اذ عادة الناس
فى رمضان هى السهر أغلب الليل ومنهم من يستغرق جميع الليل بحيث لا يشغلون
الا قرب نصف النهار وكان هاته عادة مبنية على العبادة اذ قيام ليل الى رمضان بالعبادة
مندوب اليه بيد أن الكثير يشغل بالملاهى كسماع آلات الطرب فى القهاوى أو
لعب الورق المسمى بالكارطة وهو الكثير ولهم منه أنواع شتى أشهرها ما يسمى بالتريسىتى
أو لعب النرد أو الدامة أو الشطرنج وهى الالعب الموجودة فى القطار ويوجد أيضا لعب
المنقلة والخربقة بقلعة فى الحاضرة وبكثرة فى غيرها لكن الاعيان اغمايسهرون فى
رمضان أو غيبه بديارهم أو ديار اصدقائهم وبعضهم بعد صلاة التراويح يسردون كتابا
فى السير والحديث ثم يتسامحرون بالكلام وبعضهم يتعاطى أحد الالعب المذكورة وأما
فى غير رمضان فيعموم الناس يذكرون الى اشغالهم ولا يرجعون الى ديارهم الا عند الظهور
للفطور ثم يعودون الى اشغالهم الى قرب الغروب وبعضهم من يكون ديارهم بعيدة عن
محل اشغالهم يفطرون فى حوائطهم ويوجد فى حارات الافرنج ملاهى على نحو ملاهى
أوروبا كما يوجد فيها قهاوى كثيرة على نحو قهاوى أوروبا ومنازل للسافرين مثلها ولكن
أعيان الاهالى يتحاشون عن الدخول الى الجميع وان كانت مخالطتهم مع الاجانب
وقبرهم حسنة وقد كان لعموم الاهالى ولوع بالفروسية ولهم فى مسابقة الخيل مواكب
تسمى ملاعب يعقدونها كبراء الحكومة او كبار العمال ومن له انتساب الى الاعراب

خارج الحاضرة في إحدى الجهات المتبعة ويسمى مدعون اليها الفرسان فيأتون باحد - ن
 الملابس والسر وج الزركشة بالذهب والفضة والسلاح مثل ذلك وتارة يلبس الفارس
 على رأسه شياً من ريش النعام يسمى عروج والاصل فيه تعليم النبي صلى الله عليه
 وسلم لسيدنا حمزة في إحدى الغزوات بربش كما في عيون التواريخ والحاصل ان لبس
 الفرسان جميل جداً وهم براءة في الحركات المحربية فترى الفارس في حال السباق
 يطلق ويهرم كعنته عدة مرار وتارة يطلق أربعة مكاحل كل يجعته من ثم يطلق قرايينه
 ثم أربعة طبائجات ثم يختلط سيفه وجميع ذلك السلاح محمول عليه ولا يعطى له شيء من
 خفة حركته وتراه اذا اختلط السيف يصير بين كروفر وبعضهم في حالة السباق يدي يده الى
 الارض فيعمل منها قبضة من تراب وبعضهم يفرش له بمحاذاة ميدان السباق رداء
 من حرير في نهاية الصفاة ففي حالة الركض النهائي يديه ويرفع طرف الرداء ثم وسطه
 ثم آخره وبعضهم يركض فرسه وبينهما هو في حالة السباق واذا بالفارس يقف على رجليه
 فوق السرج ويطلق البارود ثم يجلس ويلتصق بدير الفرس ثم يلتصق بحزام الفرس ثم
 يقف على رأسه ويديه فوق السرج ورجلاه الى فوق وعالم - ما كحلة ثم يدفع المكلة
 ويلتصقها بيده ويجلس ويطلقها كل ذلك والمحصان في نهاية ركضه وجميع أعماله في
 بعض دقائق وهذا اهل الاخبار من النادر في الفرسان ومنهم من يلبس في دائرة لا يتجاوز
 قطرها عشرة أذرع والمحصان في حالة الرباع بل رايت من يركب على حصانه ويركز
 الحصان رجله في الارض ويرفع يديه معا ويلتصق بيمنه فيطلق فارسه القرايينة ثم يرفع
 يديه كذلك ويلتصق شماله فيطلق فارسه القرايينة أيضاً والحال انه عمرها في حصنة رفع
 الحصان يديه ويستمر ذلك كذلك بالتتابع فهو نصف ساعة وليس بين الطاقة والطاقة
 الا بضع ثوان من الدقائق الزمانية على غاية من السرعة والتتابع وهذا أيضاً نادر ومنهم
 من يختلط السيف ويصير مع راجل أو فارس مثله في غاية الطعان والكر والفر والحاصل
 انهم يشخصون حالات الحرب بالخيال على أنواع شتى وتكون اذ ذلك طبول الحرب
 تعزف ومعها عزائم للعراب وذلك أعظم العباد الا الهى التي يقضيتها عليهم به بادرون
 في اتفاقنا وذلك مبنى على أمر ديني وهو ما ورد من ان كل لهو حرام الا ثلاث منها ملاعبة
 الفارس لغرسه وورد أيضاً الخش على الفروسية وعلى السباق وأبج فيه الخطا طرة اذا
 كانت مع ثالث فالملك كانت هاته الخلة مما ينافس فيها من رجال الحكومة
 وغيرهم في جميع القطر لا يكن في هاته المدة الاخيرة تناقض الامر منذ كثرت الكرايس

وربما صار الكبراء ينزهون عن اللعب بخيلهم جهرة نعم بقي ركوب الخيل مرغوب فيه
 كما ان الصفات الاولى لازالت عامة في البلدان والاعراب وهو الحق لانها من صفات
 الرجولية والدين وعما يشعروا (قوله تعالى وأعدوا لهم ما لم يخطر على قلب بشر) من قوة ومن رباط
 الخيل وهما من الخلة تسلم الرماية التي هي من مشغولات القوة المأمور بها في الآية
 الكريمة وقد تجرد منها أغلب أهل الحاضرة حتى ان بعضهم لا يكاد يستطيع ان يطلق
 طابخة كما انه لازال في الحاضرة وبعض البلدان تعاليم الخيل والبغال من نوع المملجة
 وهي ان يرفع الحيوان يداور جلامعا من أحدث قيمه على الاستقامة ثم الشق الاستمر
 ليكون سيرها بمنزلة لعبة الركب بخلاف الخيل ثم يتقنون ذلك التعليم الى أن يصير
 الحيوان به يمارى الركب ولهم في ذلك اعتناء بحيث تجد منهم ساعات يخرجون
 كل عشية صيفاً نحو بقال الى حد الاماكن القريبة من الحاضرة التزهة كسيدي فتح الله
 قرب شوشة رادس أو منوبة في قهوة سيدي ابن الأبيض أو سبالة الاحواس وبعد
 الاستراحة هناك يركبون ويتسابقون بالسير المذكور وروى عن بعض غير الاعيان
 حتى بالمسابقة على الجير بالسير وقد يوجد بعض منها يسابق الخيل والبغال مع ان هاته
 يمكن ان تجارى الحصان في ركضه اذا لم يكن شديداً تجري الخيل على حدة في القطر
 يعتنون بتربيتها وتهذيب اخلاقها حتى تصير مساعدة للفارس في جميع أغراضه ثم
 ان الاهالي ينقسمون الى ثمانية أقسام فالاول الاصليون من البربر والثاني العرب
 وهم الذين قدموا عند الفتح ثم بعده على اجيال عديدة والثالث الاندلسيون
 وهم الذين قدموا عند تغلب الاسبانيول على بلادهم والرابع الترك وهم الذين وردوا
 عند الاستيلاء على تونس ثم من ورد منهم بعد ذلك والخامس السودا وهم الذين
 جلبوا من دواخل أفريقيا اليهم والسادس الجزائر يون الذين رحلوا بعد استيلاء
 الفرانسييس على الجزائر والسابع اليهود وهم قداما في السكنى والثامن الوافدون
 من أوربا فالاقسام الستة الاولى تخالط نسلهم ولم يبق تمييز بينهم الا قليلا من البربر في
 جهات الاعراض لازالوا يستعملون لغتهم وكذلك قليل من السودا يمتزجون بلونهم
 وقليل من أهل الجزائر يمتزجون بمجر دنجلتهم وانتمائهم واللون الغالب على الجميع هو
 لون ابيض المشوب بسمرة ومنظرهم جميل يكثر فيهم الحسن وهم اقوياء لجمون أهل
 مروءة وتواضع وبشاشة وحسن معاشره

* (مطلب في التجارة) * اعلم ان أغاب الاهالي تقاصر وافي هذا المبدأ وقصارى

(150)

الامراتهم يتجرون في البضائع التي تنفق في الهلاك الاسلامية باخراجها اليها ويجب ما يروج من بضائنها في القطر مع ان اغلب الخراج منه والمحبوب اليه من بلاد اوريا وكله مخصص في الاوربا وبين الانادران الاهالي ثمن قيمة التجارة بين الداخل والخارج لا يتجاوز معدلهما الاربعين مايون فربما كان في السنة قاما للبضائع الخارجة فهي المحبوب من قمح وشعير وفول وغيرها وكذلك الزيت والصوف الساذجة والمنسوجة والقطن والاسنخ وبيض السمك والحكم نوع ومنه ومنسوجات الحرير والقطن والشاشية واشياء اخرز هيدة وأما البضائع الداخلة فهي كثيرة فمن المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية وافواغ الاخشاب والحديد والقرميد والسكر والفهوة واواني النحاس وغير ذلك مما هو محتاج اليه في الحضارة ولا وجود له من نتائج البلاد وحمل السلع الى خارج القطر في السفن البحرية وقد أدرسى باعظهم مراسى القطر وهـ ـ ودق الوادي في سنة ١٢٩٥ مائة ثان وسبعة وخمسة ونباعة واربعائة وثمانون سنة شراعية كلها الاجانب الاعداد يسيرا وأغلب الاجانب رواجا في التجارة هي التجارة الفرنسية والبرتغالية والطليانية وأما حمل السلع في البر فهو وعلى ظهور الابل والغزل والبغال والمحبر والجمال المسماة بالكرماونات واسطة المواصلات هم فرق من تجار القطر يسهون بالحجارة تكون لهم دواب واقية ويكونون ذوى عرض وامان تسلم اليهم التجار البضائع وهم يبلغونها الى جهتها بعدت أو قربت ولكل جهة حبارون مخصوصون ولا يكون ذلك الابن البلدان وأما القبائل الاعراب فلهم قوافل يجتمعون عند قصد احدى البلدان أو الأسواق التي تقام في أيام من الاسبوع باحدى الجهات كسوق الخميس قرب الركبة وامثالها ويحملون على دوابهم ما اشتروه ويرجعون الى أماكنهم ولما كانت الطرق المصانة قليلة تعطل أغلب التجارة زمن الشتاء فى داخل القطر لكن الطريق الحديدية المارة الى الجزائر سهلت التجارة الى الجهات الغربية كما انه ترتبت بواخر للبريد والسلع بين مراسى القطر الشهيرة زيادة على البريد التى هي عثمانية تأتى أسبوعيا من اوربا فانما الى فرنسا والجزائر وانما الى ايطاليا وأربع الى مالطا وقديأتى غيرها على غير انتظام وليس للاهلالى من السفن شئ الا قليلا من ذات الشراعى لاهل حرقة وصفاقس والساحل

(مطلب في ترتيب الاحكام والادارة) الآن الالى يجاس يوم السبت في كل اسبوع غالبا
يجعل من قصر الادارة المكان في بلد باردو يسمى هذا المثل بالحكمة وهو بيت كبير
مسقطيل

مستطيل و بصدرة كرمى ذو درج ممو بالذهب وعليه تاج معاني والدرج مكسوة بالجبر
نوع من مذوج الحرير الثخين الغالى يجلس عليه الوالى ويوضع بجانبه زوج طيافة
ويقف عن يمينه وشماله على الدرج من حضر من اهل بيته ويقف الوزير عن يمينه من
اسفل الدرج بحيث يكون مواجها الى الجهة اليسرى من الوالى ويليه بقية الوزراء على
حسب اسبقيتهم فى الوظيفة ثم يليهم كبراء العساكر النظامية ثم رؤساء العساكر الخيالة
غير النظامية المسنون بالاغوات ثم العمال والاطبا باشية والكواهي اى الصنف الثانى
والثالث من رؤساء العساكر الخيالة لغير النظامية وعند نهاية الصف عن اليمين يعمون
الصف عن اليسار فان زادوا جعلوا صفائيا وراء الصف الاول ويجلس باشكاتب على
مسطبة على يسار الوالى مقابل الاول الصف الايمن ثم يليه مسطبة طويلة يجلس عليها
كثيرة من أقسام الوزارات على حسب رتبهم ثم يقف تجاه الوالى عن يمين آخر الصفوف
تخوذة رجال يسمون شواش السلام والشطار بلباس أحمر مقصب بالفضة وعلى رؤسهم
شواش حمر وشربانهم افضة وعليهم امان الى الجهة قطع من النحاس الاصفر ومغروزيها
أنواع من ريش أجفحة الطير الطويل وبأيديهم معاول طول من النحاس الاصفر
يركزونهم ساو يتكئون عليهم او عند جلوس الوالى فى ذلك المجلس يرفع صوته كبير هؤلاء
الشواش بكلام باللغة التركية معناه دعاه بالنصر والتأييد للوالى ثم يرفع صوته بقوله
سلام ورجة الله ثم يقف وراء هؤلاء رؤساء البوابة أى اصحاب الباب وتعرف الموسيقى
العسكرية عند دخول الوالى لذلك المحل ويأذن اذ ذلك الوالى باذخال اصحاب الشيكيات
فيرفع صوته رئيس البوابة بقوله باش حانباى يارئيس الخواب ادخل وهو التبرجان
بين الوالى والمشتكين لانه يكون الوالى يحتاج الى فهم لغة المشتكين بل لانه يكونهم يعيدون
فى الوقوف عنه ويرعى يكون بعضهم لا يحسن الالتقاء لدعوتهم لرهة أو انخفاض صوته
فيمبلغ باش حانبا للوالى معنى كلام المشتكى وهاته الوظيفة لها كبيران احدهما من
العرب والاخر من ابناء الترك الاول تقدم على الثانى فالمشتكى ان كان من المالكية
يسلكه الاول وهو الذى يتولى الوساطة فى امره وان كان من الحنفية رجع الى الثانى
ولكن لهؤلاء هيممة أخرى فى القاء الشكاية فان باش حانبا لا يسلكه ويقدمه الى قريب
من الوالى وبعد اسئد قرار باش حانبا بنوعيه امام الوالى يرفع صوته بقوله باش بواب
شكاية أى يا كبير اصحاب الباب ادخل المشتكى فيرفع صوته هذا خارج باب المحل
بقوله ياسعد ثم يدنل المشتكى فتردافردا على حسب المسدفة وتقدم المشتكى

بالأزدحام ورعاية صار التقديم باعطاء شيء من المال لكنه لا يتجاوز عشرة دريات فادونها
وكل مشقة في حال شككاته في ذلك الموكب المائل زيادة عن باش حانبه المقبض به تكون
معدومة به الحوائب والالوظا بالمشقة وإذا كانت له حجة مكتوبة قدمها وأخذها من يده
باش حانبه ومكتم الباش كاتب ويؤخر اذذاك المشتكى ويؤتى بغيره وبعد قراءة باش كاتب
للمعجزة يقول مضمونها للوالي مع الاشارة الى صحتها وفسادها في أمر الوالي بما يراه وينفصل
بذلك الخوعدة خصوصيات في نحو ساعة أو ساعتين اذا طال المجلس وربما أنهيت في ساعة
واحدة ستون نازلة بلا تعقيب للحكم وكثيرا ما يستشير الوالي وزيره سر في النوازل أو يسأله
عما يعلم فيها كما ان الوزير كثيرا ما يشير عليه في بعض النوازل ابتداء وكثيرا ما يأمر
الوالي بارجاع بعض النوازل الى الشرع أو الوزارة وإذا كان هناك بعض من يحكم عليه
بالقتل فإنه يؤخذ نحوه الى آخر المجلس والغالب ان يكون هذا النوع اما حكم عليه في
مجلس الشريعة ورفع للوالي لينفذ الحكم المكتتب به - ادراج جميع اللوازم الشرعية
وطول مدة المناضلة والمدافعة لدى المجلس الشرعي أو يكون قد حوت نازلة في
الوزارة وفي النادر ان يؤتى بالمشتكى به من ذلك النوع بدية للمعجزة ويصدر الحكم
بقوله في الحين فيخرج في امر المحكوم عليه بالقتل أحد الشطار رأى الجلادين ويقطع رأسه
قدام باب بارد وأبواب المدلة التي فيها الوالي أو يشقق هناك في مشقة من خشب وهو ان
يربط عنقه في حبل وتكف يداه ويعلق من عنقه فيخندق وتارة يعاق كذلك في سور
المدينة القديمة قرب باب سويقة وعند انتهاء المشقة يمين أو مل الوالي يقول يا باش حانبه
طافيه فيرفع صوته بها باش حانبه فيرفع صوته بها باش بواب ويقوم الوالي وينفصل
الموطن فيجري اذذاك باش حانبه ما أمر به الوالي من ارسال الاعوان لطلب المدعى
عالمهم أو خلاصهم وكذلك باش كاتب يحضر المكاتب التي صدر بها الاذن ولا تحضر الامن
غدا فيختمها الوالي على نحو ما سيأتي وجميع من حضر في ذلك الموكب من المتوظفين
يكون بابا به الاعتدال الامن له رتبة عسكرية فإنه يتقلد سيفاً في منطقه وقبل دخول
الوالي للمعجزة يجلس في بيت أنيق في سراية الحكومة على كرسي أصغر مما سبق ويدخل
عليه الوزير وحده وأنه يأتي معه من قصر سكاه ثم يجلس الوزير عن يمينه وأهل بيت
الوالي عن شماله وقوفهم يأذن للمتوظفين بالدخول فيدخل أول الوزراء وبعض مشقة
المتوظفين الكرام المتقاعدين وكل من وصل منهم الى الوالي قبل يده وأذن بالجلوس
فيجاسون بيمنا وشمالا وأعلامهم شمالا باش كاتب والمحاسب اليمين يجاسون دون الوزير ثم
يدخل

يدخل كبار المتوظفين على صف واحد وكل من انتهى الى الوالى قبل يده ويرجع خارجا ثم الذين يلونهم ثم وثم الى ان يصعد الى اصغر المتوظفين كالاخوان الذين يرسلون لحاجب المدعى عليهم والهيئة المتقدمة في المحكمة هي الهيئة في سائر المواعيد كالاغبياد غير ان هاته تكون فيها الناس باللباس الرسمي المزركش بالفضة والنياشين وتكون ايضا في محل آخر اكبر من المحكمة وهو بيت عظيم يصعد اليه بدرج كثيرة مكسوة بالخلف نوع من المنسوج الصوفي الاحمر والبني مغروش بالزراني والسماثر الحريرية الزهيدة وكوسى الوالى اكبر واضخم من السابق والكتاب لا يجلسون في هذا الموكب والناس كلهم وقوف ومتولى ادارته هو امير لواء العساة وعوضا عن دخول المشركين يدخل المعيدون افواجا افواجا على نحو ما تقدم في تقبيل الوالى من المتوظفين ويجرى ذلك على كل القادمين من جميع المتوظفين واصحاب الرتب العسكرية النظامية وغيرها والاهالى والتجار الاهل المجلس الشرعى وخواص السادات الاشراف والمدرسين فان الوالى يجلس لهم محاسنا خاصة بعد الموكب العام بحصة يسيرة في بيت اتيق اسفل الاول وقد دخل عليه كل فرقة من الفرق الثلاث وحدها واولها اهل المجلس الشرعى مع الاول فالاول فيقف اليهم ويتقدم لهم خطوات ويتعانقوا ويقبل كل منهم كنف الاخر ثم يجلس ويجلسون الخفية عن اليمين والمساكنة عن الشمال ويؤتى اليهم بالطباق من الفضة فيها شئ من الحلو ويطعمه الوالى معهم ثم يرشون بالطيب ويقرؤن الفاتحة ويقوم الوالى لوداعهم ويقبلونه ايضا مثل ما صار عند دخولهم وينصرفون وهكذا غيرهم غير انهم لا يقوم لهم الوالى ويقبلون ذراعه الابعاض من السادة الاشراف فانهم يقبلونه مثل اهل المجلس الشرعى وبعض المدرسين من الطبقة الثانية يقبلون كفه كسائر الناس وكذلك لا يجلسون ولا ياكلون وانما بعد فراغ آخرهم من التقبيل وأولهم وقوف يميناً وشمالاً يقرؤن الفاتحة وينصرفون وهكذا كل فرقة دخلت عليه في الموكب الاول والمتوظفين فانهم يقفون ويردحهم بهم الموكب لانه يجتمع فيه أغلب المتوظفين ولهم جميع جهات القطر والذين يقفون هم اصحاب الرتب من العسكرية أو الكمار من غيرهم وموكب المعايده يدوم يومان أو لها عظمت من الثاني وكلاهما صبا حاو في اليوم الثاني يقدم عليه قنائل الدول ويدخلون عليه على حسب استبقيتهم في الوظيفة وكل منهم معه مائة مائة مائة فيجهدونه واقفا ولا يصافح القنائل ويتخاطبون بالترجمان بكلمات في التهنئة والموكب محببكم كما سبق ذكره الى ان يتموا في مجلس الوالى على كرسيه ويقم بقية الاهالى على نحو

ما سبق ولا يختص هذا الموكب بإعلان الأهل إلى بل حتى أصحاب الصناعات وفي بقية
 أيام يكون الولى في قصره لا يجتمع به إلا الوزيران الأكبر يومياً بل هو الآن ساكن معه
 في قصر واحد وفي يوم الاثنين قرب الزوال يقعد عليه الوزير ويمن كان في الوزارة
 من الموظفين وإذا كانت هناك نوازل تلزم فيها المذاكرة أمام الولى تكون في أحد
 ذلك اليومين أي في يوم السبت والأثنين أو يدعوه هم الوزير بالخصوص ليوم معين
 وجميع الولايات أغدا تكون باذن الولى وكتبه لرقعة في ذلك تسمى أمراً أما كيفية
 إدارة الوزارة فقد سبق ذكرها في الكلام على وزارة خير الدين باشا ولا زالت على تلك
 الهيئة والموظفون يأتون في بكرة النهار إليها يومياً الا يومى الخميس والجمعة وينفصلون
 منها عند الزوال وعند ما يأتى الوزير ويجلس في البيت الخاص به يقدم إلى السلام عليه
 جميع كبار الأقسام ثم يتوجه كل إلى محل مأموريته وكل في بيت خاص بجمعه أقصر
 واحد في ناحية من قصر الولى لإدارة الحكومة ولكل من أقسام الوزارة كتاب
 وأعيان وتكتب في النوازل سجلات ويضئ الوزير على الرأى فيها ثم تعرض على الولى
 وهو يضى على ما يراه الوزير وتسمى تلك السجلات معارض وتجرى على مقتضاها
 الأمور وكثيراً ما تجرى بأمر الوزير بشفاهيا وترسل تلك المعارض مع بطاقات الأوامر في
 ظرف مختوم إليه من الولى بخطه في المعارض وختمه في الأوامر ولكل عمل من الأعمال
 التي مر ذكرها عامل خاص إلا الحاضرة فخا كلها بلقب رئيس الضابطة والغالبا أن
 يسكن العامل في محل عمله وله نائب يلعب بالخليفة وتحت مشايخ على عدد أخذ القبايل
 ولكل عامل أعوان على حسب كبر عمله وصغره وترفع إليه الشكايات فيحكم فيها برأيه
 وكذلك خايفته والشيوخ عند مغيب العامل ولا يختص حكمهم بنوع من أنواع الخصومات
 وإنما الغالب أن نوازل حصة التلك في غير المنقول والزواج والأوقاف والموارث
 يرجعون للحكام الشرعيين وهؤلاء لهم مجالس في الحاضرة فيه قاض حنفى ومثله مالكي
 ومفتيان حنفيان وخمس مالكية ورئيس للحنفية يلعب شيخ الإسلام ومثله المالكية
 بلقب أحيانا أيضاً بذلك وقد يزداد أريته من عدد المفتين وله من محل خاص يسمى دار
 الشريعة يجلس به يومياً صاحب القاضيان ومفتيان من المذهبين على التناوب وفي يوم
 الخميس يجتمع جميع المجالس بيت كبير وينضم إليهم رئيس الضابطة للمشورة في النوازل التي
 يريد الخصم فيها العرض على المجالس ولا يرضى بحكم القاضى أو المفتى وحده ورئيس
 الضابطة ينفذ ما يلزم فيه قوة العصب إلا القتل فإنه يرفع إلى الولى وفي كل من بلدان

القبر وان وسوسة واستعير وصف ناقس والاعراض وتوزر ونقطة والكاف وباجه مجلس شرعى أقل ائتلافه من قاض ومفتى ورئيس فتوى يجرى به العمل مثل ما هو فى الحاضرة لاجراء التحقيق فيما من مجلس الشريعة والمنفذ هو العامل كما أن فى نابل والمهدية وجربة وقصبة مفتى مع القاضى وبقيّة الأعمال ان كانت كثيرة ففها قاض فقط وللوالى التصرف فى جميع النوازل نقضا أو ابراما وكذلك الوزير وأما القابض لأموال الحكومة أو العمال فهو من اليهود الا قليلا من العمال مجرد عادة فى ذلك ويتوظف منهم مترجون ونظار على الصاغة ودار السكة كما يتوظف من النصارى فى الترجمة وغـيرها الا لعمال والوظائف الدينية ثم ان جميع العقود التى تحتاج الى الشهادة وكذلك كتب الحجج وصكوك الاملاك لها طائفة من العلماء والمنتسبين الى العلم يولمهم الرأى ويسمون الشهود أو المدول وهم بالخصوص الذين يباشرون ما ذكر ولا غلبهم حوايدت مفتوحة لها فى الصناعة فى سائر البلدان وكذلك قبائل الاعراب ويوجد فى خصوص الحاضرة مجلس بالمدى لمصالح الطرقات والبنائات ومجلس مختلط للحكام بين أغاب الاجانب والاهالى فيجادون الافريال وجعية للاوقاف ولها نواب فى سائر الاقطر ومجلس تجارة ومجلس لحفظ الصحة أعضاؤه القناصل ومستشار الخارجية ورئيس المجلس البلدى وشيخ المدينة ولكل من المدينة والربضين شيخ لبعض النوازل العرفية وحفظ الامن لبلادها والضابطية فهى موجودة غير منتظمة وأمور المعاش يقومها القاضى المالكي ولها أمناء يطوفون عليها لحراستهم من الغش وأما بقيمة المملوكه فلا يس فيها الا لحكام المارز كهم أو بعض أمناء على الصنائع أو المعاش

(مطالب فى المعارف) الموجودة الآن ومناخها جامع الزيتونة من الحاضرة هى العلوم الدينية ووسائلها وهى القرآن والتفسير والمصطلح والحديث رواية ودراية والعقائد وأصول الفقه حنفية ومالكية وشافعية والفقه الحنفى والمالكي والمنطق والمعارف والبيان والنحو والصرف والاشتقاق والعروض والأدب والتاريخ والحساب والهيئة والفلك واللغة ولكل كتب معينة للاقراء بها لهما من الحوائى كما هو معين فى قانونهم الذى أحدث فى وزارة خير الدين باشا ومنه افقون وكتب لا يمدن وجود اقراشها كأم مواد المطالعة والتحصيل سهلة بجزائش الكتب المعروفة فى الاسلام الاما ندر مما هو فى اللسان العربى وقليل جدا بالتركى والقارى والفرائدى ومشايع جامع الزيتونة الموظفون ولهم مرتبة مائة وخمسون رىالا شهر باعدهم ثلاثون مديرسا والمطبعة الثانية مرتبة

تسجون ربالا شهريا وعدها اثنا عشر مدرسا والذين لا مرتب لهم وانما لهم
 امانات سنوية مما يحصل من تخلف المدرسين والخصم عليهم من مرتباتهم عددهم نحو
 ستمين وهم يزيدون وينقصون وعدالة التلامذة بالجامع المذكور نحو اثنا عشرة
 ويزيدون وينقصون ايضا وكيفية الدرس حسنة الالتقاء والسؤال والجواب ولا يطول
 الدرس اكثر من ساعة كانوا جدهم مدارس نحو الخمسة عشر مدرسة يقرأ بكل منها
 درس أو درسان من الفنون المذكورة وكذلك بعض جوامعها قليل من الدروس وتوجد
 المدرسة الصادقية تقرئ مبادئ فنون الديانة واللغة مع امر ذكروا تقرئ الفنون
 الرياضية واللغات التركية والفرانساوية والطبانية ومن الرياضيات الحساب والجبر
 والهندسة والهيئة والفلك والجغرافية ومبادئ الطبيعيات وهي تعلم بحججنا المائنة
 وخمسين تلميذا تقوم باكلهم نهارا ومنهم خمسون تقوم بهم حتى في السكنى واللباس
 وكذلك يوجد مكتب أنشاء قسيس والفرانسيس في صان لويس يعلم العلوم الرياضية
 واللسان العربي والفرانساوى والطبانية وتلاميذه لا يبلغون الخمسين الا ان يوجد
 مكتبان للفرانساويين ايضا بالحاضرة يسهران مكتب الفريير تلاميذها نحو اربع مائة
 وكذلك مكتب للطبانية نحو مائتي تلميذ وكذلك مكتب جمعية اليهودية نحو تسعمائة
 تلميذ كلها تعلم مبادئ الرياضيات واللغة الفرانساوية والطبانية والعربية وتعلم بعضها
 من الصنائع كشي من الفلاحة والموسيقى ويعلم اللغة العبرانية وكلها تعلم الاغنياء بالمال
 وبعضها يعلم الفقراء مجاناً كما يوجد فيها مكتب للبرستانت من الانكليزية نحو مائتي تلميذ
 كما يوجد بالحاضرة نحو مائة واحد عشر مكتباً للقرآن العظيم وللكتاب العربية نحو
 ثلاثة آلاف وخمسمائة تلميذ وأما جهات القطر فلا يوجد الا في قليل من البلدان شيئ
 من العلوم الدينية كاللغة والعقائد على قلة والنحو وأشهر البلدان بذلك الفيروان
 وصفافس والمستير وسوسة وجربة والامراض والكاف وباجة وابن زرت وبعضها
 يزيد شيئ من الادب والحديث كما يوجد في بعض زوايا الصالحين بالقبايل شيئ من
 القراءة والكتابة والفقه وجميع الجهات انما يقرأ فيها الفقه المالكي الا المهدية
 والمستير فيوجد احيانا الفقه الحنفي اما غير ذلك فلا نعم توجد مكاتب للقرآن ومبادئ
 الكتابة العربية في جميع البلدان والقرى بحيث لا تتخلف قرية عن ذلك فضلا عن بلاد
 و يقرب جميع تلاميذها نحو مائتي عشر ألف تلميذا لكن هيئة التعليم قاصرة للغاية في
 هاته المكاتب الابتدائية ولو في الحاضرة بحيث يمكن أن يبقى التلميذ فيها عشرة سنين
 ولا

ولا يحصل على حسن القراءة والكتابة وانما الخيب منهم يخرج حافظا للقرآن المجيد فقط وأما بقية التعاليم المار ذكرها فهي جيدة سيما العلوم الدينية بجامع الزيتونة نتجت منه فحول تزين المسلمين ولهم براعة في كل الفنون سيما الانشاء بالعربية الذي كاد أن يشبه أساليب الاعجم في عدة جهات فان علماء تونس لهم براعة في ذلك وهم يحافظون على الاسلوب العربي ويعتزون عن اللحن وان وجد في الكتابة والشهود من لحن فذلك من تقليد الوظيف لغیر المستحق كما أن أصحاب الاقلام أو الشهود مطاقا يحافظون على الشعار الدينية في كتابتهم بحيث يفتخرون كتبهم بالمحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله ومن ولاة

(مطلب في الصنائع) أهم صنائع الاهالى هي الفلاحة وما زالت آلتهم اعلى الطرز القديم يأخذونها عن بعضهم بالمشاهدة مع انهم فيها كتب عديدة بخزائن الكتب لا ياتفت اليها احد ولذلك انقطعت رتبة هذه الصناعة عما كانت وقت العمران مع انضمام اسباب سياسية كما تقدم شرحه وصناعة التلقيح في الاشجار لا يعامها الا قليل ولذلك حصل الاروبا وبون على تقدم عظيم في القطر في هاته الصناعة ولو في زرع الحبوب وكافوا فيها أكثر رجحان الاهالى وكذلك من أعظم مكاسب أهل القطر زيت الزيتون فاما جمعه واستخراج زيته فهو بيد الاهالى ثم يبعونه اما للاهالى أو للتجار الاجانب واما التجارة فيه لخارج القطر فهي بيد الاجانب الا قايلا من الاهالى كما انه دخل في جمعه واستخراج زيته قليل من الاجانب عندما استخدمت المعامل بالبغال لانخراج الزيت وهي قليلة بل ليس منها الا واحدة في الحاضرة وهناك قليل من المعاصر على النحو المخترع في أوربا والاكثر على النحو القديم الذي صنعه الاندلس أنواع آخر أقدم منه وكانها لا يتقن انخراج الزيت من زيتونه واما صناعة الشاشية فانها كانت هي عيال أكثر اهل الحاضرة ومنذ صنعت الشاشية بالمعامل في أوربارخصت ولازال صناعات تونس مفسكين بالآلات القديمة وهي تكلفها غالية فلا زالت في تناقص الى أن كادت أن تكون مقصورة على اهالى القطر وقليل من غيرهم وبقي من حوانيتها نحو ثلاثين أعني الذين يخدمون حقيقة بعد أن كانت حوانيتها الصناعة تبلغ نحو الالف وبسبب ذلك بقي أكثر الناس في الحاضرة بلا صناعة ويوجد من الصنائع في الحاضرة صناعة البلغة وهي نوع من الاحذية وهي رائجة وصناعة الكنترة نوع مما ذكره رائج وهي بيد اليهود والافرنج وأصحاب صناعة السبايط التي هي نوع مما ذكره افسوا لانهم لا زالوا

ممكن بحياطة على الحليمة القديمة والناس تركوها وانفوا من جعلها على أسلوب
 السكترة لجرد الاعتماد الى أن أفلسوا ولم يجدوا لها ديا يحملها - هم على مصححتهم - وكذلك
 توجد صناعة العطارين أى الطيب والحرائرية أى نساجى الحرير وصناعتهم - هم متقنة
 وفيها بعض رواج وبصنون أشياء مخلوطة من الحرير وخيوط الفضة - ونوعان من الحرير
 الصمغ المسمى بالختم وفي بعض أنواعها رغبة فى حواضر أوربا لوجود لها مروج سيميا
 الطيلسانات ويوجد أيضا صناعة النوارزية أى الخياطين ولهم براعة فى خياطة الابرسيم
 على أشكال من النوار بديعة فى سر اوبل النساء وغيرها وكذلك صناعة الحياكة
 للنسوجات الصوفية وفيها رواج كبير لاوربا وغيرها ولتوجد المروج - كانت من أعظم
 اسباب القاهرة للقطر وتوجد صناعة الصاغة وصناعة السروج ولاصحابها براعة
 فى الطرز فى الحرير والفضة والعدس أى قطع من الفضة مموهة بالذهب مثقوبة الوسط
 ليسكنها خيط الطرز وكذلك صناعة المحادة وهى قاصرة وإن وفدت من الاروبا وبين
 التقدم التمام على الاهالى وكذلك صناعة النجارة أى نحت الاخشاب ولاهلها براعة فيها
 وكذلك البناية وكذلك النقاشة أى نحت الاجار وكذلك صناعة طرز الحرير والصوف
 والخيط والقطن والفضة والعدس على المنسوجات وهى خاصة فى النساء وزدن فى هاته
 المدة قدما فيها بما تعلمن من الاروبا وبين حتى صارت تقوم به اثلاث وتوجد صنائع
 للصلاح بأنواعها لكنها متأخرة ويوجد عمل للدافع وآخر للسفن وكلاهما معطل
 وتوجد معامل كثيرة لاكراريس وكذلك توجد صناعة المسج للقطن وهى ضعيفة
 رديئة وكذلك صناعة تجليد الكتب وهى حسنة وصناعة المسخ وهى قليلة وكذلك
 صناعة نقش عديدة أى النقش فى الجص التى هى من أبداع الصناعات التحسينية
 على الجدران وكذلك صناعة الدهن أى النملين وصناعة الفخارين أى صنع الاواني
 من الطين وكذلك نوع يسمى بالجلزى يلقى على الجدران وعلى أراضي البيوت
 ولكن نوعه ردى ولاهلها اقتدار على ايصاله للعسن المعهود فى أوروبا إذ كان عندهم
 قديما أحسن منه وانما يحتاجون الى الاعانة وأما الموسيقى فليهم مهرة فى معرفة
 الانحسان يأخذونها على قواعد وانما هى بالسماع من بعضهم ويعتنون لاخذها فى
 بعض الزوايا التى تعقد فيها جمعيات لاجل الذكركسر البردة ومدائح قادية وهذا
 العمل يختلف فى جوازه لكن الرائج جوازه شرعا ان لم يكن فيه تشويق لمحرم فالقهرم
 على كل حال ليس لذاته وانما هو لما يتوصل به اليه ثم بعد الجواز ليس هو بطاعة كما

بظن العوام وسياق المسئلة بسط في الخاتمة ان شاء الله تعالى كما ان لهم معرفة في فن
الموسيقى اى دق آلاتها واخذونها عن بعضهم والآلات هي الرباب والعود والجرانة
وكاهان ذات الاوتار الطار والدف والدربوكة وهي اكبر منه والطبل والجميع من
نوعه والكرنيطة والنماى والغبطة والشابيه والصفاه والفحعل وكاهان آلات النفخ
ويضربونها بدون أوراق امامهم بل من حفظهم وفيهم المهور وهاته الصناعات في الموسيقى
قد ذكر في الاغانى انها كانت محفوظة على غمط واحد بحيث لا يخرجون عما كان مسموعا
من الطرق يأخذها الخلف عن السلف الى أن دخل فيهم ابراهيم ابن المهدي عنه لما اراد
الامن على نفسه بقنصله من سمات الخلافة فزاد فيها ونقص على حسب ما يستلذه هو
ثم جعل من اتبعه يسلك ما يستلذه السامع ولو خالف الطرق الاصابة وتماذى الامر على
ذلك الى أن فقد الآن ما يعرف به الامحان التي كانت تستعمل في تلك الاعصار ولهذا
لا يمكن فهم ما يشير اليه في كتابه الاغانى من الطرق والامحان ثم ان حكم سماع آلات
الله هو عندنا حرام الا للدف وما كان على شاكلة مما لا ترو فيه اذا ضرب في الافراح
المجازة لكن رأيت رسالة لسيدي عبد الغنى النابلسي مال فيها للبعوز ان لم نؤد الى محرم
مقطوع به كما رأيت سؤال الموسى في أيما أشد حرمة الغيبة أو السماع لآلات اللهو
أجاب عنه بان لا مقياسة بين الامرين فان الغيبة محرمة باجماع بخلاف سماع آلات
الطرب فانه مختلف فيه وللهادسة بالتمسك بقول أحد المجتهدين ثم توجد بقية الصناعات
الضرورية كالقيالين والجزارين والقصابين والفخامين والحلايين وغيرها بحيث يقال
ان أغلب الصناعات المحسنة معروفة وليكنها غير موفية بالاستغناء عن جلب المصنوعات
من خارج القطر بحيث من نظر الى لباس أهل المدن ومسكنهم وفرشهم يجد أغلبها من
مصنوعات الاجانب وذلك موجب لفقر الممالك وأما خارج الحاضرة فالادن يوجد فيها
ما يقرب مما تقدم بأقل بدرجات الابعض صنائع فلها فيها التقدم على الحاضرة فمن ذلك
منسوجات الفرش في الجريد فان ما يصنع منه في طوز رهو من أرفع ما يوجد في العالم
وكذلك يصنع في جربة ولها نوع يسمى بالسوسني من الصوف والخمير صفيق من أرفع
المنسوجات وكذلك يصنع في القير وان الاواني النحاس وفي نابال أنواع من الطين الرفيع
المروغب في كثير من الجهات وكذلك يصنع في السكاف نوع من البرنس رفيع وأما أهل
البوادي فلا يعرفون الاصناعة الفلاحية المتداولة والرعى للحيوان والقروسية والصيد
ولاهل جبل بأجة وما طر معرفة صناعة البارود وسائر القماثل تعرف نساهم صناعاته

تسج الصوف لغرضهم ولباسهم وتسج بيوت الخيام من شعر المعز والابل والعدل كما ان
لبعضهم اتقان في صاغة البسط من الصوف كقبائل دريد وخلص ومثلهم القبروان
والمخصوص أهل الجـريد اتقان كل في الارضية التي تعردى بها الرجال من الحروب
والصوف

يطلب في المساكن والطرق الخ الحاضرة ذات بطحاوت وطرق صناعية محصنة
أو محجرة بحجارة منحوتة لا تعب فيها على الماشي ولا الراسكب حصة المنظر والقليل من
طرقها المنسعة أشجار عيناوشمالا وجميع البنات من حجر ميني بطين الرمل والجير وتارة
يدنى بالآجر والقرميد وهو أقل من الاول وتارة يعوض الطين بالجص وهو أيضا أقل
ثم ان دورها اما ذات طبقة واحدة أو طبقتين وقليل ما يزيد على ذلك وصورة الدار ان
تدخل من الباب الذي على الطريق فتجد محلا مسقفا ان كان كبيرا يسمى ذرية أي
دهليز والاسمى سقيفة ثم آخر أصغر منه ثم وسط الدار والاعراب أن تكون الابواب
المدخول منها إلى غرفة مقابلة لكي لا يكون مكشوف لمن بالسقيفة وهو محل مربع
الشكل مكشوف إلى السماء وبه ابواب وشبابيك إلى البيوت وهو مفروش الارض اما
بالرخام أي المرمر الأبيض أو الكذال والجميع على شكل مربع متقن الاثبات في الارض
حتى يصير كأنه قطعة واحدة مخطط في المنظر بخطوط الحدود وحيوطه مكسوة
بالزليز اما إلى نهايتها واما إلى النصف والنصف الاعلى مطلى بالجص الأبيض وبه نقش
حديدية ونهاية الحيطان عليها قرميد أخضر والابواب التي به من الاربعة إلى الاثني عشر
يدخل منها إلى بيوت ومرافق والبيوت غالبها بعض أحسن من بعض فأكبرها على
شكاين فالشكل الاول أن يكون اذا دخلت من الباب تجد البيت طويلا عيناوشمالا
وقبالة الباب بهودوقوس مرتفع وفي نهاية أرجل القوس تجد مرفعا أي شبيها من الخشب
المتقن النقش المزقق بالالوان دائر مع حيطان البهو وتوضع عليه أواني رفيعة من الخزف
والصيني والبـلور وفي نهاية البيت عيناوشمالا تجد امرة عليها فرش النوم وسواة
باتقان وأمامها مساطب ومبانيك من الخشب مع الحيطان على نحو ما مرفى وسط الدار مع زيادة
اتقان النقش والابواب كلها ذات زوايا كاملة ليست بمقوسة الابواب الذرية ثم لكل
باب أو شبك عوازل من الاربع جهات من الرخام أو الكذال أو الخشب كل جهة في
قطعة واحدة غالبها عرض العاضدة من شبر ونصف الا لعوازل السفلى في الابواب
فانها تكون منخفضة لا ترتفع على الارض أكثر من أصبعين وأغاب ارتفاع السقف

من السمة الى اثني عشر ذراعاً وهي أى السقف ما بين بناء الجدران أو الحجر المقود أو أعمدة من حديد أو آجر أو قرميد أو غيرها خشب مما يجلب من السويد المسمى بالروح الطرطوشى والبنه يدق من النمس أو على أى نوع كانت قائماً إن كانت من الخشب نقشت وزوقت والاطليت بالجلس ونقشت وزوقت وتارة يطلى النوعان بالفضة المموشة بالذهب على أشكال بدعية مع التزيين باللون والاغاب في سقف الخشب ان تكون على هيئة خشبات ممدودة على عرض البيت وعمقها نحو شبرين أو شبر ونصف وعرضها نحو ثمانية أصابع وكل الابواب ذودفتين وتارة يكون ذا أربع دفتين وهو مذق في خصوص أبواب البيوت وأما غيرها فلا أكثر من دفتين ثم عن يمين البهو وشماله مقاصير إن كان فافوق اما للنوم أو الجلوس أو المرافق وعلى الابواب جميعاً ستارات متعددة على حسب الرفاهية ويوضع في البيت أيضاً ممرات كبيرة على المرفع وراء قطع البلور والمخزف وكذلك حول اسطوانات البهو وهذا ان يوضع أمامها خزنة من خشب الجوز المصنعة الصنعة وعليها ساعتان وفوانيس بأواني من الزهور المصنوعة وغير ذلك من التحف وفي الشتاء مفروش أرض البيت بمحصر وعليها بسط صوفية وأما الشكل الثاني في البيوت فإنه يكون برحاً واحداً امام أربع أبوابه اسطوانة والمحيط والسقف والفروش كلها على نوع واحد غير أنه يغاب في هذا الشكل أن يكون السقف من خشب وعيدانه مغطاة من أسفل بمناجيل البيت بالأواح من خشب مزوقة أيضاً حتى ترى كأنها قطعة واحدة والاغاب محسن المنظر وعدم ظهور القطع بين الألواح أن تغطي الألواح من أسفل بمسوح من الكتان أو القطن على عكس امتداد الألواح وتدق بمسامير ثم تلون وتزقق كما مر وفي وسطها السقف على أى نوع كانت توضع قطع من خشب مرتفعة ممقوشة بأشكال بدعية مذهبة وتسمى في السقف بتضيب حديد مناسب ويعلق فيها ثريات من البلور وما دون ذلك من البيوت يكون أقل اتقاناً في طلي المحيطان ومفروش الأرض والسائر فقط أما أصل الطلي وتبليط الأرض بنوع صلب فلا بد منه وفي قليل من الديار الكبرى للأغنياء يوجد بيت واحد ذو ثلاث بهوات أو أربع ووسطه مربع والجميع في أعلى نوع من اتقان المواد والصناعة وكذلك يوجد بقلة جفائن في الديار وإنما كثرت بعد وجود ما زرعوا في الحاضرة وكل دار لابد فيها من بئر ومأجل ومطبخ وبيوت مخزن القوت وأدواته ولا بد أن يكون خارجها مخزن للدواب أو بعض الضروريات ولا أقل أن يكون أسفل وسط الدار والسقيفة دهن لذلك ان لم يكن لها مخزن وقليل أن يكون لها علو

بابه في السقيفة الخارجية أو الذريرة خاص بالرجال والواردين على أصحاب الدار والأغلب أن يكون ذلك للاعيان ويكون العلو تام المرافق والفرش وأكثر من ذلك أن يكون في عوضه بيت واحد يجلس به صاحب الحبل ومن يقد عليه من الرجال وإذا كانت الدار ذات طبةتين فإن الهيمة المارذ كرها هي ولا يزد فيها سوى رواقين أو أربعة أمام البيوت في صحن الدار تكون مرفوعة السقوف على حيطان وجوه البيوت من جهة ومن الجهة الثمانية على أقواس مستندة على أسطوانات من الرخام الأبيض المتقن أو من حجارة الكدال والأقواس مطابقة بالخص المنقوش بالندية وفوق هاته الرواقات رواشن للطبقة العليا ولها درابزين من الجهة المطلة على صحن الدار ومن تلك الرواشن يدخل البيوت التي في الطبقة العليا وهي مبنية على البيوت السفلى وهيئة العناء والفرش على النور الأسفل سواء ويصعد إلى هاتيك الطبقة بدرج في أحد الأبواب التي بوسط الدار والأغلب في الدرج القديمة أن تكون على هيئة غبر مناسبة لبقية بناء الدار لأنهم لا يعتنون بها سوى كونها موصلة للأعلى فتارة تكون ضيقة وتارة تكون مرتفعة تنعيب الصاعد لكن في الابنية الجديدة صارت الدرج متقنة الهيمية من الاتساع والارتفاع المناسب بحيث لا يكون ارتفاع الدرجة أزيد من شبر وعرضها أقدم ونصف وطولها ستة أقدام فما فوق وعلى أي هيئة كانت فلا بد لها من التبليط بالزليز أو الرخام وكثيرا ما تكون كل درجة من قطعة واحدة من الرخام الأبيض أو الأسود أو الكدال أو الصوان وجميع الحيطان إما مكسوة بالجليز أو مطلية بالخص ولا يكون في السفلى ولا شباك واحد على الطريق وإن احتيج إلى الضوء ولا بد تجعل له منافذ قرب السقف لكي لا يسمع صوت النساء في الطبقات العليا توجد شبابيك على الطرق ولها أبواب غير منفكة من المقصب الخشب وجميع الشبابيك سواء كانت لوسط الدار أو للطريق لا بد لها من قطع من الحديد على أشكال مربعة وفي القديم كانت جميع الأشكال مربعة وهذا في أماكن النساء وأما أماكن جلوس الرجال فلم يمس في شبابيكها مقصب الخشب نه للشبابيك مطلقا أبواب من الخشب وأبواب بمساطير من خشب وطبقاتها من البهلوراء الزجاج والحاصل أن الدار من داخلها في غاية الاتقان والنظافة على حسب الرفاهية لكن خارجها لا يعتنى باتقانها فوجه المحيط مما يلي الطرق كثير ما يكون غير مجصص وأما بيضونها بالجير والسطوح كلها مستوية وتبيض سنويا بالجير فإذ لم يكن منظر البلاد في الطرق جيلا مثل ما هو في الدار هذا كما في غير حارات الأفرنج أمهي فانها

على النحو الاروباوى الذى سأتى شرحه ولذلك كانت أنظر ونظافة الطرقات توسعة
بحيث انما البست بعفنة ولا انها متقنة النظافة وفى الشتاء يحصل فى بعض الطرق التى لم
تباط كثير من الوحل والطين وهذه لم تبق الا نادرا فى المدينة وأما فى الرنطين فهى لازالت
كثيرة وبواسطة المجلس البادى لازال يتدارك فى تمليطها وتحصيدها وقد تمت الطرق
الاكثر مروا سيمى العجلات والطرق خارج الحاضرة ليس منها طرق صناعة سوى طريق
بين تونس وحمام الانف وأخرى الى باردو ومنوبة وأخرى الى جهة العوينة وطريق
حديدية الى حاق الوادى وأخرى الى الجزائر ويراد من أخرى الى الساحل وأخرى الى ابن
زرت وأما فى الحاضرة فالطرق منقسمة الى مائة وخمسة وستة اقلها قريبة من العجالتان
مئة اذيتان وهى قليلة الى طرق وهى لا تترقى الا بعجلة واحدة وهى أكثر من الاولى
وكثيرا ما تمارض فيها العجلات ويوجد فيها بعض جهات متسعة لرفع ذلك التعارض
والى زناقي وهى التى لا تترقى فيها العجلة بل بعضها لا يمر فيها الا انسان واحد وأغاب هاته فى
وسط المحارات ولازال المجلس البادى يوسع فى الكمل مهابح حاذ على الطريق الا أخذ
من محله توسعة للطريق وأغلب أنواع الطرق غير مستقيمة بل فيها تعاريج وانعطافات
وتحت الطرق خنادق تجري فيها القذورات والمياه الحارجة من الديار تحت الارض
وأكثرها غير متقن البناء والتسقيف ولذلك يكثر فى الشتاء خرابها فتتعطل الطرق عن
مرور الحيوانات والعجلات وتلك الخنادق تصب فى البحيرة التى هى فى الجهة الشرقية
من الحاضرة هذا وأما قصور الوالى وطائفة الوزراء والاعيان فانها كانت بعضها
على نحو ما تقدم وبعضها على النحو الاروباوى لكنها تفوق غيرها فى اتقان البناء والكبر
وحسن الفرش والتزيين وكذلك مساكنهم وأما الحدائق والسواق
فليست بجميلة المنظر لان أغلب الاسواق ضيقة الطريق ومسقف بالخشب الغير المنظم
وبعضها مسقف بالاجر وهو أحسن منظر لكن الجميع لا يتأقنون فى نظافة الحدائق
وحسن هبمتها وأغلبها صغرى وأربعة أذرع فى طولها وأرضها مرتفعة على أرض
الطريق فى البناء نحو ذراع وبعضها أبوابه من خشب غير منحوت وهى قطع مفرقة يضع
صاحبها لوحه حذو أخرى الى ان يمتلى عرض الباب فيعمل فغلا على الوسطى من تلك
الالواح يمسكها بالعواصم فى الفرض التى تدخل منها الالواح ويكون المسك بواسطة
حاق صغيرة بعضها فى الواح وبعضها فى العتبة بالتخالف فى الوضع ويدخل القفل فى تلك
الحاق ثم يقفل بالمفتاح وصورة القفل فى الأغلب على الشكل العتيق وهو قضيبي من

حديدها رخ الوسط به لواب ينجذب ويندفع بواسطه ادارة المفتاح الذى يدخل
 فى فراغ ذلك القضيبة وهما الذى فى خارج القضيبة قوس يدخل فى تلك الحلق وي يدخل
 طرفه فى ثقب فى طرف ذلك القضيبة ثم يدار المفتاح الى ان ينجذب اللواب ويدخل
 فى ثقب فى طرف القوس الذى أدخل فى القضيبة ثم ينزع المفتاح وله كى لا زال هـ ذا
 الشكل بمناقص ويجعل على النحوى المتعارف فى أغلب المدن فى الابواب وبسبب ذلك مع
 وجود الخراب فى عدة جهات وعدم تبييض جميع المحيطان كل عام لم يكن منظر البلاد
 اجالا جميلا من رأى المدين الجميلة والاقواس أغلبها نصف دائرة والسقوف البنايية
 لا بد فيها من شئ من الانحداب ثم فى المدة الاخيرة حدثت لاقواس والسقوف البنايية
 المبسوطة هـ ذوا ما منازل المسافرين فى حارة الافرنج منازل مثل ما هو فى أوروبا
 وقبل ان يسكنها احدا المسلمين وانما يسكنون فى خانات وفنادق ومخيم فيها بيوت لا فرش
 لها ولا مطابخ فبلىقى المسافرين العناية من ذلك الا اذا تعود على السفر لبلاد المسلمين
 فان الجميع فيها متمائل وكان السبب فى هـ ذامع كثرة أسفار المسلمين هو خصلة دينية
 وهى ان الكرم والضيفة مندوب اليها فمهما دخل المسافر بلاد المسلمين الا كان
 حقا على اخوانه ان يستضيفوه فلم يكن من داع لاتقان محلات المسافرين اذ غايتها
 هو وضع الدواب والساع التجارية (وكان ذلك هو سبب) عدم وجود فقط مفرد عربى
 دال على نزل المسافرين لما اجبت عليه العرب من الكرم والضيفة ولم يكن حيث تغيرت
 الطباع اليوم فينبغى الاعتناء بمثل تلك المنازل وما ذكر جارى سائر انحاء القطر وعلى
 نحو ما تقدم فى هيئة الحاضرة بقبلة المدين والقرى ليكنها على حسبها فى التصغير والغنى
 غير ان الطرق الصنعية لا توجد فى غير الحاضرة نعم ان البلاد ان التى احدها
 الاندلسيون هى انظم طرقا من غيرها اذ طرقا منها مسهبة قيمة متعة متقابلة بل
 بعضها يراعى فيها حتى تقابل ابواب الديار وفى غير المدين لاتجد البناء الامن لطيفة واحدة
 بل وهو الاغلب حتى فى المدين وكثرة الخرابات فى بعض البلاد ان سببها القرى وعدم
 تبييض وتجهيز المحيطان من خارج تجعل الرائق يحسب الجميع خرابا وكثيرا ما تكون
 ديار القرى غير مطبقة وانما تهد بالطين والجير المسوى (وأما البطورى) فمعساكنهم
 خيام من شعر الماعز والابل تنسجها الاهالى وتانى تجاب من طراباس ولا غنياء
 خيام من ذلك النوع فى غاية الاتساع والارتفاع بحيث يقدرون ان يدخلها الراكب
 على فرسه ويقسم البيت لاقسام باردية وستارات قسم للونم وآخر للؤنة وآخر لاداهم
 وآخر

وتحولا لولد بعض حيو واناثهم وأهل الغنى يجعل لكل نوع من ذلك بيوتا خاصة كما ان للضيوف وحلوس صاحب المكان بيتا خاصا ويفرشون بيوتهم بنحو وما يفرشه أهالي الحاضرة الاعيان من المراكبات والساعات والتحف الخزفية والمفروشات الحريرية والاسمر المذهبة والفوانيس والشموع الى غير ذلك من أنواع الحضارات لكن العموم يفرشون في أرض البيت حصيرا وفراشهم أردية من الصوف مثل ما يلبسونها ووسادات وغطاء وبيات الرجل وزوجته واولاده كلهم في فراش واحد ويضطجعون في فم البيت أو أمامه وكثير منهم من لا ينور في الليل الا بما يوقد من الحطب وبعض القبائل يسكن في خصوص أو بناء شبيهها

* (مطلب في اللباس) * لباس الحكومة والعساكر النظامية هو اللباس الافرنجى غير ان للعساكر علامات على الرتب وهى صورة نجم من فضة خالصة لرتبة الفريق ويجعل سبعة نجوم في رتبة سترته ثلاثة من كل جهة وهونها رتبة يعطىها الوالى ثم أمير اللواء له أربعة ولا أمير الاى اثنان واللقائم مقام والامين الاى سبعة من طرز خيط الفضة المذهبة وللمينى اثنى أربعة وللقائم مقام والامين التى تليه ثلاثة من الفضة لغير المذهبة وهكذا من يلبسه على النحو السابق وهاته الرتب تعطى أيضا لبعضها لغير العساكر من ذوى الوظائف السياسية اذ ليس هناك رتب ملكية وفى المواكب يلبسون اللباس الرسمى المطرز بقصب الفضة المذهبة الا الضابطية فطرزهم من غير المذهبة وتعاقب في صددورهم النباشين التى هى من الفضة المزوقة بالمينى واللصنف الاكبر منه له شريط أخضر ولنيشان العهد شريط أبيض على فصوصه بق ذكره فى الكلام على أجدى باشا والصادق باشا والوالى يلبس بنشانيته ثلاثة نباشين كبار أحدها كانت الدولة العلية أعطته لاجد باشا عندما كان ذلك من رسوم المشير ثم زاد هو ثانيا مثله ثم زاد الصادق باشا ثالثا مثله وهى نباشين من ذهب على صورة أوراق من النباتات وبوسطها ترصيع بالياقوت الأبيض كما يلبس نيشان المشير المرصع الذى كان أيضا من رسوم الدولة العلية ويلبس نيشان آل بيته المرصع والعهد المرصع والصنف الاكبر المرصع والغير المرصع وجميع نباشين الدول التى اهدته له مع شرطاتها وكذلك جميع المتوظفين كل منهم يلبس ما عنده من النباشين ثم كل من له رتبة أمير الاى فدادون له علامة تلتصق بنشانيته من فحاس على صورة شارة الحكومة مكتوب بها اسم الوالى الصادق

باشا اذ هو محسترعها واما أهل المجلس الشرعى بالحاضرة فيلبسون قلائس بيضا
مكورة غير ان المالكية قلائسهم مغلطة والخنفية مرتقعة ويلبسون غايها طيلسانا
من الكشمير ويلبسون جبائب اكمامها واسعة وهى طويلة الى الكعب أو قريبة وهذا
فرق بين جبائب الخنفية والمالكية فالاول جبائهم ممشوقة الجيوب الى أسفل
والاخر مشقة ووقه الى السرة فقط ويزيد المالكية برنسا واسعا من الجوخ الصوفى
له حوائش وشرابات من الحرير وفى أرجل الجميع حذاء من النوع المسمى بشمق
وريحية لونه أصفر وهو ليس لا يتحمل المشى به فى الطين ولوقا اذ هو أشبه شئ بالمد
ليكن له وجهه على اصابع القدم ويازم للشيء به تعلم وتعود الى تسككه أصابع
الرجل اذ رفعت الرجل سيمالذا كان مع الريحية فيقع الازدلاق بين الموضة جلد
البشمق وجادها نهم ان منظره جميل واما أهالى الحاضرة فيلبس الرجال قميصا
وصدرية وأنثى تسمى فرملة غير انها بلا صدر ومثان أى صدرية بلا صدر ولها ايدى
ضيقة الى الرسغ وتارة يكون فى هاتى الايدى فتخ من أسفل قرب الرسغ وتارة لا تارة
تكون قصيرة الى أسفل المرفق فقط وتسمى كنبرة وسراويل رجلاها أسفل الركبة
يسير ووسطها غير متدل كثيرا ولا مرتفع كثيرا وهى عريضة بحيث اذا لبست كان فيها
انكشاشات بين الرجلين ولا يبلغ تدليها الى الركبتين واحذيتهم من أنواع فمها
الكثيرة وهو من لباس الأفرنج على أنواع شتى ومنها الباقة ولونها أصفر ومنها السباط
الاجرا والاسود لبعضها شرابات من الجلد وبعض الاعيان يلبسون البشمق والريحية
وعلى رؤسهم شوائى جملها شرابات من الحرير الاسود وعاياها عمامة مملوكة
اما بيض او مطرزة بطرز الهند أو بطرز بلاد دوعلى الجميع برنس شتاء وصيفا غير ان
كيفية استعماله كانه جمل لا لبس اذ يلقونه على اكفافهم عيل لاحد الشقين فقط وهيئة
البرنس هو رداء متسع طويل الى القدمين وله رأس يسمى بالطر يوش وكله فى قطعة
واحدة واسفله مقصوص مخرج على هيئة نصف الدائرة ثم ان الاعيان والاواسط
ينبدون تحت البرنس جبة مشقوقة الى السرة فقط وليس لها اكمام بل انها مشقوقة
من أهلى الجنبين لاجراج اليدين منها فهى عبارة غير مشقوقة الاسفل ويلبسون ايضا
الجورب من القطن فقط او مع الصوف من قمحه وبعض قليل يلبس الجوخة والقفطان
وهما جبتان ضيقةتان مشقوقتان الى أسفل ولا فرق بينهما غير ان ما تلبس من أعلى
اكمامها مدورة قصيرة الى قرب المرفقين واسفلهما يتخزم عايم بالخرام الذى لا بد منه لكل

أحد كما كان البرنس لا يمكن خروج الإنسان في الطريق بدونه غفابة الزرق بين لباس
 الأغنياء وغيرهم هورفة المنسوجات وحسنها وكلاهما مع مفروشات الديار من الصنائع
 الأجنبية إلا البرنس والشاشية وبعض أنواع حريرية كما يجعل الأعيان والأواسط
 ساعات بسلاسلها من الذهب أو الفضة أو النحاس وأما القمقم فقليل جدا وكثيرا ما يعدنه
 من سمات ذوى الدناءة إلا بعض أعيان الأعيان ومع ذلك كثير منهم يتحاشا عنه ومثل
 هذا اللباس لباس أغلب المدن وأقرب من منهم وبعضهم يلبس جبة من
 الصوف وسراويل منها كلها من صناعة الأهل إلى وهو ضائع البرنس يلبسون
 كبطا وهو شبه البرنس غير أن ضيق وله أيدى وقصير إلى الخزام فقط وهو أيضا
 لا بد من لبسه إساقى البجالات الأعيان في الحاضرة غير أنه من نوع الجوخ المطرز
 بخيوط الفضة وله نظير جميل وأما البوادى فلباسهم قميص ورداء من الصوف
 يسمى بالجرام ويرنس من الصوف غير أنه يلبس لبسا بان يدخل الرجل رأسه في
 الطربوشة وتارة يبنعها على رأسه وتارة يلقها إلى ورائه على كتفيه وهم من مهذباتهم
 وعلى رؤسهم شواشي وعمائم من خيوط من وبر الابل أو صوف الغنم الأسود والأحمر
 وفي أرجلهم البلغة والأعيان من من يلبسون فوق القميص مثل لباس أهل الحواضر
 وحواهم يكون من الصوف الجيد الرفيع والحريرو وكذلك عمائمهم مثل الحواضر
 ومثلهم أهالي بعض البلدان كبالدان الجريد والكاف وباجدة وبرسق وأما لباس النساء
 ففي الحاضرة يلبسون القميص الكتمه قصير إلى أعلى الفخذ وفوقه مثل الصدرية بلا
 صدر ويتأقن في اتقانها وتخليتها بالفضة أو الحرير أو العبدس وتسمى فرملة وفوقها
 جبة ضيقة بعض الضيق بلا أكمام وقصيرة مثل القميص المذكور وسراويل ضيقة جدا
 مثل سراويل رجال الأفرنج لكنها مخروطة الرجاين مع اتقان تخليتها والتغالي فيها
 وعلى رؤسهن على الشعر منديل حرير أسود يسمى تقرطة وفوقه قوفية أى نوع من
 العرافية محلاة ولها جبين مرتفع من أصبعين إلى الثمانية أصابع صاب بالطرز الحرير
 الأسود على خيطان من المكان الصاب وفي مؤخرها ذيل من الحرير مدلى إلى قرب ذيل
 الجبة ويطرز بانواع جميلة من الفضة والحرير ثم تلف رأسها ورقبتها بالنام من أنواع
 الحرير والقطن ويطرز أيضا كما مر على هيئة مقننة ومصب على الجميع بتقرطة ملونة
 أو مزودة بالفضة بعد طيها على عرض أربعة أصابع بحيث يكون ما فوق القحف من
 غطاء الرأس مكشوفاً من تلك النقمة وتربط أطرافها من جهة الجبهة على هيئة

تكون بصورة الناجح مموكة بمسالك من الفخاس ذقيقة صغيرة ويكون أذرعهم مكشوفات ويلبسون في أرجلهم أنواع الأحذية الأفريقية والاعيان يلبسون الجوارب والخامات يلبسون على نصفهن الأسفل فوق جميع الثياب از ارمان القطن أو مخلوطا بالخبر أو الحرير الصنف ملون أغلب ألوانه مائلة إلى السواد لتحمل الوسخ ولما تقدم لم يكن شكل النسوة جميعا لامن لبسهن واذا خرجن للطريق فلا عيان يلتهفن برداء أو طباسان واسع ثم يدخلن في الكروسة وتدخل أى الكروسة إلى داخل الدهليز لتركب المرأة فيهما ثم تدل ستائر الكروسة بحيث لا يرى من ركب فيهما ونسوة الاواسط يلبسون عند الخروج رداء عريضا بالغاقرب القدم ومغطى للرأس على هيئة ساترة بجميع أجزائها وعلى وجهها بيجار من الحرير الاسود وأطرافه مزروقة مغرور في غطاء رأسها بمسالك وتمسك طرفه بيدها مع لفهما في رداءها وعلى رجليها ساقان عريضان من منسوج مخين مطرز ونعلاها خاص بالخروج وأما الاسافل فهن مثل ذلك أيضا سوى البجارج فيعوض بلثام أسود ملفوف على الوجه مخين لا تظهر منه البشرة ولا تلبس الا عيناها ونسوة اليهود مثل ذلك الاساتير الوجه فهن مكشوفات وأما لباس نسوة البالدان فهو على ذلك النوع غير انه ساترا أكثر لانه ممدلى إلى قرب الكعب والجبنة أوسع وبعضهن يمتطقن بحزام وأما نسوة الاعراب فهن مثل ذلك أيضا سوى الجبنة فهو صهاردا واسع تمسكه المرأة بمسالك كبار من فضة أو ذهب أو فضاس حذوكتفها على الصدر وتمنطق عليه بحزام ويكون ساترا حتى إلى القدمين مع الاتساع غير انهن لا يلبسون السراويل ولا يتقنعن على رقابهن فغطاء رؤسهن أجل من نسوة الحواضر وكثير من نسوة القرى مثلهن والجميع يلبسون من الخلى أنواعا شتى من القرطى الأذن بعد ثقبها منذه غرابنت والاساور والخواتم والتهيجان وغير ذلك من الجوهرات الثمينة والمكحلة بالياقوت والزهر واللاؤلؤ وبعض الحواضر والقرى والاعراب يتخفن في أرجلهم أيضا كل على حسب الثروة واليسار

(مطلب في الاكل) أما أهل المحاضرة فاكلهم جامع بين أنواع كل أهل المشرق والمغرب والاوربايين بحيث لهم من كل أحسنه سيما الاعيان والغالب في البالد واعرابها وسائر بلادها هو طعام الكسكوس أو العصيدة وتزيد البالدان بالمشكوشة طعام من زيت وقديدو بصل وطماطم وفلفل وأغلب السكان يأكلون الطعام الحريف المسمى عندهم بالحارمن الغافل ويكثر ون من الأبرار الالبوادي فأغلب طعامهم بسيط

من دقيق القمح أو الشعير أو الذرة والابن واللحم المشوى وفي ولائم الاعراس بالحواضر
يكثر من أنواع الحلويات وهيئة الاكل عموماً هي الجلوس على الارض اما على منصات
أو بسط أو حصير ويوضع الطعام جلة ويأكلون من اناء واحد ثم غيره وهكذا والغالب
طعام واحد وأهل البلدان يصنعون مائدة يوضع الطعام عليها وهي من خشب مدورة
ارتفاعها عن الارض نحو شبر وبعضهم يجعل عليها أو على كرسي مثلها طبق من الخحاس
وفي بعض الاعيان ومتموظ في الحكومة صارت هيئة الاكل كما هي عند الافرنج وبعضهم
صيرها بين بين بحيث يؤكل من اناء واحد لكن بالشوكان والسكاكين والخبزل أنواع
في العربان اما أن يكون منضجاً في فرن يسمى الطابونة وهو حسن جداً يسمى السميد
منه واما أن يكون الجبن غير محجرو يشوى في اناء من الطين وهو ردي بقله نضجه وعدم
تخميره وكلا النوعين موجود في البلدان الاحواز وفي وجد الاول بقله عند الاعيان
على وجه التفكه والخبز الغالب في المدن هو خبز مرتفع صغير قليل النضج محجرو لذيقه نضج في
الفرن المعتاد ونوع آخر كبير وهو الذي يصنع في الديار أنضج من الاول والاول لا يأكله
الامن لاعتائله له أو الفـ قراء ذوا العيال وأما خصوص الحاضرة ففيها اثنا عشر نوعاً من
الخبز كلها جيدة سايمة ناضجة على النحو الذي يعرف في المشرق بالافرنجى وعادة الجميع
في الطبخ ان النسوة هن المكلفات به ويطبخن في اليوم مرتين فطوراً وهو عند الزوال
وعشاء وهو بعد الغروب كما توجد مطابخ في الاسواق يطبخ بها الرجال ان لاعتائله
أوداره بعيدة عن محل مناعته وأغلب طبخها ردي الا قليلاً ومن طعام السوق الجيد
القليل الفطير بربك البيض فيشتره حتى الاعيان في ديارهم لازماً كاه والغالب ان
الاهالي زمن الصيف يدنونه وونة السنة من الكسوة ونوع مثله يسمى المحمص
والقديد والابزار واما الحطب فأنما يخزن في أواخر الشتاء عند تقيمة شجر الزيتون لانه
هو أغلب الحطب والفحم لا يطبخ به الا قليلاً وبقية الماء كولات تشتري يومياً كاللحم
والخضراوات ومنها شهر يابس واسبوعياً كالزيت والسكر والقهوة
* (مطلب في الاعراس والمواكب) أول المواكب في عيد الاضحى والفطرو قد مر كيفية
التمهيد على الوالى وأما الاله الى في تزاررون بعضهم أربعة أيام ويحصل من ذلك تعب
كثير سيما اذ المجد الزائر المزدرفانه يعود اليه ولو مراراً يعطى للزائرة قهوة والاقارب
يعطى لهم أنواع من الحلويات وفي جميع المواكب التحية بالتقبيل فالعشاء بتقبيل
أكفهم ثم من دونهم بتقبيل المرافق ثم المتساويان في الاكتاف وقابضين في الافواه

وبعض الاعراب يقبل كل يد صاحبه ونار ذرأسه وكذلك يحصل موكب في المولد النبوي تلي صاحبه أفضل الصلاة والسلام على شعوم ما تفصيله في الكلام على السياسة وأما بقية المواسم فلا موكب فيها وانما فيها الصدقات والقراآت والتوسع على العمال وفي عاشوراء تطلق الفيران والبارود اعتقاد انها من تقرييح الصبيان وكنها بغزة باقية من آثار الخوارج الذين كانوا بالقطر وفي رمضان تتأني أهل الحواضر سيما القسادة في الأكل وكل يدعوا أحياه للعشاء عنده ولا أقل أن يتعشى ولو انسان واحد مع صاحب الدارو يصرفون في ذلك زيادة على العادة وأما الختان فانهم يجعلون له وليمة مثل العرس وسماي بيانه في هذه زيادة وهي ان الطفل المختون يؤتى به قبل الختان من مكنته وهو لا يس لأجل لباسه الذي كثر ما يكون مقصبا بالفضة أو مطر زاب طراز السراجين ومعه تلاميذ المكتب على لباس جميله أو نظيفة ويرفع رجل على رأس المختون لوحا من قفاو بطوفون في حوالى حارتهم وأمامهم أو خلفهم فرقة من الرجال يذكرون قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتحييهم التلامذة بيوت القصص يدعى الحسان جسد رافعين أصواتهم الى ان يصلوا الى دار المختون فيقدم لهم موائد من الخلويات ثم يتخذ الولد أحدا الخلافة المجاز لهم في ذلك بقص من حديد ثم يوضع في فراشه المروني ثم يهدى اليه من أقارب وأوداء أبيه أممال أو مصوغ وأعلى الهدية قدر أربع مائة ريال فسادون وقدقات هاته العادة فصار الختان أكثره مخفيا بدون هدية ولا غيرها ويتناقلون في انخفائهم روايات منها قولهم أعانوا النكاح وأخفوا الختان ولم توجد في كتب الصحيح ولم ترص الاصحاحين في المسئلة سوى اني رأيت في الاحياء للقراني الذي هو شافعي انه عد في أنواع السماع بالانزاسماع عند الختان وعنده حفظ القرآن الخ فهو دال على ان اشهار الختان غير منهي عنه كما انه غير منسوب لقوله وهو أي السماع مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الولية والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه الخ فهو دال على عدم النهي عن اشهاره فقط وأما الاعراس فان الزوج بعد الخطبة يرسل المهر وأعلام الفار بال الا الاحرام والوزراء يزيدون على ذلك الى العشرين ألفا ثم يرسل مع المهر هدية تسمى الملك وهو صندوق صغير مجلد بصفائح الفضة أو خشب مرصع بالصدف وفيه المهر مصر ورفق من حديد مختلط بالفضة ثم صندوق آخر أصفر من الاول من فضة أو ذهب أحيانا قسم الوسط به قنينات مملوءة عطارا وأسفلها أنواع من طيب البنجر والعنبر

والقمارى ثم حقة من ذهب أو فضة فيها قطعة كبيرة من سكة الذهب اما دبلون من سكة الاسبنيول أو قطعة مائة ريال ذهب التوضع في كف العروس عند وضع الحناء ثم حصير أو زيد مملوء بالحناء الورق مخيطة على شكل مدور لكي تحفظ وتلف الحصر في ملاحف من قطن أو حرير ثم يحن من الزجاج أو الفضة به شكل كالعصيدة من الحناء موضوع في طبق من الزعفران مكسوة بسوج من الحرير أو الفضة مغلى بمزيد مثل ذلك ثم قطعة من مصوغ مكل بالاجار ثم خرم من الشمع الابيض كل معصبة بالتقارط الحريرية أو الفضة من ثلاثة خرم الى العشر ثم شمعتان أو أكثر كبيرتان نحو الاسطوانة معصبة أيضا مثل ما ذكرتم خمسة أى شمعة صورة كف آدمي كبيرة طولها نحو ذراعين فيا فوق وتارة تكون أزدي من واحدة كلها من الشمع معصبة كما ذكرنا كالحناء ثم أطباق كبار من الزعفران قنطار فيا فوق من السكر الابيض ويرسل ذلك الى دار العروس مع أقارب الزوج من النساء عشيية وفي الليل تسرج دار العروس التي قد زينت ودعى اليها النسوة من الأقارب والاحبة وترت العروس باجل لباس ويوضع على رأسها رداء من مذسوج الفضة الثخينة وعلى وجهها برقع من الحرير الصفيق وتوقد تلك الشموع المهداة لها وتجلس في بيت أبيها على مسطبة ومنه كمئات من الحرير أو الفضة ثم يهدي اليها من حضر مال لأزدي في من مائة ريال ثم تحنى يداها بالحناء المهداة بعد وضع قطعة الذهب في كفها الايمن وينفصل الموكب بعد ان تعشى النسوة الضيوف ويفطرن صباحا ويتم أباو العروس الى انفاق الاموال فيجعل لابنته ملبوسات لا تلبس الا يوما كالقمحة الكبرى وما والاها وهي جبة كبرى من نوع من الفضة المذسوجة ثخينة ثقيلة تكلف بنحو ألف ريال ويتبعها سراويل مثلها وهكذا على الايام أو يومين مع البسة أخرى معتادة للتجمل والعادة مما يكفيها سنة أو أزدي مع كسوة لبنت زوجها من فرش الصوف والاردية والساتر للابواب والاميرة والمئة كمئات كلها من نوع القمحة من الفضة والهدس الذي لا تكسى به البيت الأسبوعا واحدا فيصرف أبوها اضعاف اضعاف من المهر وبعد أسبوع من عرسها تباع تلك الاشياء بما لا يبلغ الربع من ثمنها الاصل وعند العرس يحضر الزوج داره ويبقى بينه فارغا الا أحدا مقاصيره من لا يجعل فيه ما لا تأتي به المرأة كما يجعل الاسرة في البيت والساعات والمرايات والبساط وقبل ليلة العرس بيومين تستدعى الاحباب من كل على ان تكون الملاقاة في أحد المساجد عند صلاة العصر لمن دعا الزوج وأما المدعون من أب الزوجة فيقدمون الى

داره تواتم بقدوم أب الزوج أو وكيله مع من دعاه لدار الزوجة وبعد الجلوس والدار مزينة وبوسطها جميع الجهاز الذي أحضر للعروس ليرفع لداره على هيئة منظمة يخطب الخطيب وهو أحد الشهود المتخذين الشهادة صناعية وتارة لبعض الاعيان يخطب أحد أهل المجلس الشرعى أو غيرهم من العلماء ويقع الاحتباب والقبول ولا يكون من الزوج والزوجة بأنفسهما بل إن كان لهما أب فهو أولى أو ولى آخر أو وكيل وبعد ذلك تقرأ الفاتحة من المحاضرين الذين يبالغون أحياناً إلى ألف فمادونهما ونضيق بهم دار الزوجة ويرجمالاتهم الدار لانه كثير ما لا يتفاهم الاصحار على عدد المدعوين وإن وقع التفاهم وكانت الدار لاتحملههم جعل العقد فى أحد المساجد ليسع الجميع ثم يسمى الحاضر ونماء محلى بالسكفة فيه أنواع الطيب ثم يرشون ببمساه الطيب وينصرفون الا الخواص من الاحبياء فيرفعون الجهاز على حيوانات ويطاف به فى البلاد ليرى مبصر وبسمع واع وتفرش به بيت الزوج وقبل ليلة العرس بيوم تصنع وليمة بالحلويات الخفيفة على مائدة مستطيلة كبيرة فى إحدى البيوت حولها كرامى ويدعى اليها مائات من الناس من أول النهار الى ما بعد نصفه كما جاء فوج أدخل أعيانه ليرى بيت الزوج ثم أدخلوا جميعاً الى المساندة فبدأ كل شياً يسير من الحلوى وشرب قايلا من المشروبات الملونة الحلوة يقرؤون الفاتحة وينصرفون ثم ترفع الماء سكولات والمشروبات لتعود كصالحها ويدخل اليها فوج آخر وهكذا الى الختام وقد يعرض عنها بعشاء فى النصف الثانى من النهار وهو مختوع على مطبوخ من اللحم والطير والسمك والحلويات على مائدة واحدة وتدخل عليه الناس أيضاً كما مر غير ان الاكل منه أكثر من السابق وإن لم يكن حقيقة لا شبع وقد يعرض عن الجميع بوليمة ليلة العرس لمجرد احبياء الزوج وأقربائه ثم يوفى بالعروس بعد الغروب هى وقرباتها فى كراى برسائها الزوج وأوليه ويذهب للآتيان بها أحد قرابات الزوج ويهدى الى العروس فى ليلة العرس ما يسعى قصان الدلال والمهدية على أقرباء الزوج وكذلك فى ليلة الوطئة الكبرى وهى قبل العرس بثلاثة أيام للخدمة للعروس والمهدى قرابة العروس كما تهدى العروس للزوج وبعض الرجال من قرابته كابيه وأخيه شيأ من الملبوس وبعد خروج العروس من دار أبيها تجتمع حثالة النسوة اللاتي يرون الذهب لدار الزوج ويوقدن تلك الشموع ويذهب معهن أقرباء العروس من الرجال ومن أتى لمصاحبتهم من أقارب الزوج لكن هؤلاء يمشون فى مقدم الموكب والآخرى فى آخره والنسوة فى الوسط ويصرون بولون

في الطريق ويدقن الابواب ويصرخن باسمه يامعدي ثم يدخل الزوج على عروسه
ويعمل الخلوة الخججة ويخرج ولايات ولا يعرسون الا ليلة الجمعة والاثنين والخميس
ولا يعرسون في المحرم تشاؤما وبسبب ما تقدم من كثرة المصاريف عضلت بنات من
يخشى على عرضه وتفقرت اقوام ولا حول ولا قوة الا بالله وقرىب عم امر ما يقع في البلدان
والقرى يخرج فيه ذلك بمادات العرب بان وهى ان بعد الخطبة والعقد يرسل المهر ومعه
شئ من الملبوس أو المصوغ والطيب ثم أبو الزوج تيكس وابنته وعليه شئ من لباس
الزوج ثم يأتي بالعرس لميت زوجها في محفل على نهر جـ ل عزين بالثياب الرفيعة
والحلى وحوله اقواج من قرابة الزوجين بأحسن لباسهم والطبـ ل يعزف والبارود
يصرخ ونارة الخيل والفرسان تلعب الى ان تصل لميت زوجها ويجعل لهم أبو الزوج
وليمة تقسم للرجال وقسم للنساء فيعطى لكل شجص لحة في يده من رجل أو امرأة
واللحم موضوع في قفة ثم تقسم قصب الكسكس ولو ان أخذ لحة فزوجـ لدها غنما ان
يردها و يأخذ غيرها ثم يدخل الزوج على عروسه ويتزوجها واذ ذلك يطاق البارود
وتعان النسوة بالولولة ثم يقولن بين غناه وسرو والغناء من الغنائين والرجال تدهم
بالمسال شيا فشيئا لكن يعطون قطعا من الخماش فلا يصرفون كثيرا الغالب والنسوة
ضاربات خورهن على جبهتهن وهن منصبات ونارة يغتنبن والرجال يسمنون كما ان
اهل الحاضرة يحضرون اهل الموسيقى في ليلة العرس وعند الولاية وتحضرهم عاهرات
مغنيات اذ مطلق النسوة لا تغتنبن أبدا ولو بين ايدي ازواجهن والغالب على اصحاب
الموسيقى ان يكونوا من اليهود لان أكثر المسلمين يتحاشون منها ما تقدم في مطالب
الصنائع وذلك كله في غير الموسيقى العسـ كثرية فانها على النحو الار و باوى ومثلها
موسيقى الاروباو بين في تونس ويصنع مثل ما تقدم ايضا ليلة السابع من العرس وهى
ختامه ونارة تجعل ل ولائم للولادة ومـ شى حضر احد كبار العلماء اسكنت الموسيقى
لكن وقع النساء ل في ذلك الآن واما المئاتم فاذا مات انسان بكى عليه النسوة برفع
صوت ونارة يغتن عليه وقد قل ذلك ولله الحمد والمنة وعند خروج الجنائز يفعان مثل
ذلك ثم عند الايمان بما يعطى به النعش بعد الدفن يفعان ذلك وعند الموت يفرغ بيت
الرجـ ل عساه من الاثاث واما المرأة فلا تهم بحضر قراء القرآن حوله وهو مكره
شرعا لاجتماع على صوت واحد ولانه قبل غسل الميت ثم غسـ ل الغسل بوثى بخواتم
يكبرون ويهللون بصوت عال وهو من البدع ثم يوثى بالقرام والمثمنـ بين الى زوايا

الصالحين بعد التمسكين وكل يقرأ القرآن أو أراد الشيخ المغتسبين اليه وهو من
البدع ثم يحمل على نعش وتارة يوضع في تابوت من خشب ويحمل على النعش ويصير
كل من أولئك الفرق يصيحون بالقراءة والتسكيم - ير - وغ - ير ذلك وهو حرام أو مكره
اذ قراءة القرآن في الطريق لا تجوز لما فيه من النجاسة المحقة سيما بعض الطرق
في الحاضرة ثم يصلى عليه في محن المسجد أو عند القبر وهو الأفضل ثم يدفن
وتقف أقر باؤه للعزاء فيتعجبون ويتعجبون من تقبيل كل من قدم للجنازة وقم الهلة يصيح
بقوله أنا بكم الله كل خطوة بحسنة الفتح من البدع ثم في اليوم الثالث والسادس والخامس
عشر والأربعين والعام يجعل في دار الميت موكب تجمع فيه النسوة للبكاء و تارة جهرا
وتجتمع الرجال بالأسنة تدعاه الأفي اليومين الأولين لمشاهدة قراءة القرآن والبردة وتارة
تكون بنغن والحاصل أن جميع ما يفعل في ذلك هو من البدع المحرمة لابتداعها فاضلا
عنها أشمل عليه من الأفعال المحرمة لذاتها إلا ما كان منها مشروعا كالغسل والتكفين
والصلاة والدفن واهداء الأكل لاهل الميت أيام موته لافي الساس وما به منه وما أحق
ذلك الموطن باتباع الشرع اذ هو واجب في كل حال فضلا عن حال هو أول درجة من
درجات الاستخفاف من ملهقات ذلك البناء لذات القبر وبناء القباب والرخام والاسرافات
في المقابر وهي أغابها خارج البلدان الا قليلا في الحاضرة وهاتيك البدع قليلة في قبائل
العربان لكن فيهم المذمومات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ومطلب في اللغة لغة جميع أهل القطر هي العربية وهم أفصح من رأيت على العموم
بالنطق بجميع الحرف العربية الا القاف فيبذلها غيرا نحو اضر بكاف أعجمية وقد
ورد أنها لغة ويستند بعضهم حتى الى حديث لكنه مروي مناهما ومن المعلوم أن مثل ذلك
لا يبنى عليه حكم ثم اللسان وان كان عربي فاقد أدخلت فيه كلمات كثيرة بربرية أو
أعجمية فنهما كان من أصل لغة السكان البربر كانه كشطة أى عمامة وقواى الا أن
وللا أى سيده ولا زالت لغتهم في جهات جبال وريضة من الاعراض وجرية مستعملة
فيما بينهم ومنهما ما كان من لغة الطليان كالألفاظ فيتمواى جيه - دو مركاتى أى تاجر كبير
وكارته أى ورق اللعب ومنهما ما كان من لغة الترك كقولهم هم كذا وهم كذا وقولهم فى النسبة
فهو حاجي وبانساى وحماجى الى غير ذلك ومنها تحريف للاختصار كقولهم ما نحبش
اصلها ما نحب شيئا ولهذا كثر استعمال الشين فى لسانهم حتى كاد أن تكون عندهم
كشكة مع أنهم يبدؤون بالساكن والحاصل أن لسانهم عربى محرف وفى الحواضر
لا

لا يذكر الانسان غيره الا بزيادة لفظ سي فيقول سي فلان وكانها مختصرة من سيدي ثم في
المكاتبات الناس على ثلاث درجات فيكتب الاكفأ لمعضهم سيدي فلان ومن كان دونه
يسير يكتب له السيد فلان ثم الاسفل يكتب له سي فلان وأما اذا كان خادما أو تابعا
فيكتب ابننا أو ولدنا فلان وهي اصطلاح خطاب الوالي في جميع مكاتباته الا لعلماء
فيكتب الشيخ سي فلان ثم ان اللقب لا بد منه في الكتابة بحيث لا يتجدد انما يدون لقب
والشهود يردون في كتابتهم السكنية لكن بالسكنية العامة مثلا كل من اسمه علي
يكنى أبا الحسن وهكذا (وأما) البوادي وغالب القرى فخطاباتهم وكتابتهم من دون
تسديد ولا لقب وانما يسبون الى الاباء فيقال فلان بن فلان وأغلب البلدان لهم محلة
في لغتهم يكاد المساهران يعلم بها المتكلم من أي بلدة والغريب أرب ذلك كائن ولو مع
تقارب البلدان فان اريانة التي لا تبعه عن الحاضرة اربعة أميال لغة أهلها فيها
محلة بعيدة عن لغة أهل الحاضرة بل الاغرب أن اليهود الساكنين في الحاضرة مع
أهل الحاضرة جنب الحاضرة ترى لغتهم فيهم يتميز كبير عن لغة المسلمين في كلمات كثيرة
كقولهم المين يفتح النون أي الاثنان وبلغة أهل تونس نو وكلمتهم الشيء سيدا وغير
ذلك وأظن أن العلة في ذلك هي التربية من الصغر في الدار فيجري عليهم اللسان
ولو بهد الكبر والمخالطة وهذا واقع في اللغات الأخرى أيضا فاصل اللغة وان كان
واحدا لكن المحلة مختلفة كما في أهل مرسيليا وباريس في اللغة الفرنسية وكما في
لغة أهل الاسنانية وبقية الاناطولي في اللغة التركية بل هذا موجود حتى في أصل اللغة
العربية فان قبائلها كل منهم له محلة ولغة لا تفهم عندهم غيرهم وقد عدم من مجازات
نبيدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معرفته بالجميع بل وقيل حتى في غير اللغات العربية
وليس ذلك بغريب ومما ثبت في الصحيح في اللغات العربية ما رواه القاضي عياض في
الشفاء حيث قال فصل وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالهل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلامة طبع وبراهمة منزع وإيجاز
مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الحكم
وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بالسانتها ويحاورها
بالفاتها وباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسئلونه في غير موطن
عن شرح كلامه ونفسه يردونه من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع فريش والانصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي الشمارهم ذاتي

وطهفة الهندي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر البكدي وغيرهم من قبائل حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى هـ - دان انكم فراعها ووهاطها وعزها تاكلون علفها وترعون عفاءها النامن دفعه - م وصرامه - م ماسلوا بالبناق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والنايب والفصيل والفارض والداجن والكبدش الحوري وعاهيم فيها الضالع والقارح وقوله صلى الله عليه وسلم انه هذا اللهم باولك - م في محضها ومغضها او مذقةا وابعث راعيها في الدثر واجعله الحمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان محصا لکم يا بني تم - د ودائع الشرك ووضائع الملك لا تاطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تنقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة واكم الفارض والفريش وذوالعنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سر حكم ولا يعضد طلحكم ولا يحدس دركم مالم تضرهم والاماق وتاكلوا الزباقي من اذرقه الوفا بالعهود والذمة ومن اتي فعليه الربوة وفي كتابه لوائيل بن حجر الى الاقبال العبا له والارواح المشاييب وفيه في التبعة شاة لامقورة الالباط ولا ضناك وانطوا النجبة وفي السيوب الخمس ومن زنا بم بكر فاصفه عوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا بم ثيب فضره جوه بالا ضاميم ولا توصيم في الدين ولا نعمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ولوائيل بن حجر يترفل على الاقبال ابن هذا من كتابه صلى الله عليه وسلم لا تنس في الصدقة المشهورا كان كلام هؤلاء على هذا الحمد وبلاغتهم هذا الخط واكثر استعما لهم هذه الالفاظ استعمالها هم لبيدين للناس ما نزل اليهم ولا يحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطبة واليد السفلى هي المنطاة فكلمة نارسل الله صلى الله عليه وسلم باغتنا وقوله عليه السلام في حديث العامي حين سأل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك أي سل عما شئت وهي لغة بني عامر وأما كلامه المتأد صلى الله عليه وسلم وفصاحته المعملومة وجوامع كله وحكمه الماثورة فقه دألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحته ولا يبارى بلاغة كقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تنكحوا ثود ماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس كسنان المشط والمرع من أحب ولا خير في محبة من لا يرى لك ماترى له والناس مادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخبأ رالم يتكلم ورحم الله عبدا قال خبير افتم أو سكت فسلم وقوله عليه

عليه الصلاة والسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتلك الله أجرًا مرتين وإن أحببكم إلى وأقر بكم منى
 مجاز يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا الموطون أكنافا الذين بالقون ويؤلفون وقوله له
 كان يتكلم بما لا يعنيه ويخجل بما لا ينبغي وقوله صلى الله عليه وسلم ذوالوحيين
 لا يكون عند الله وجيها ونبيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات
 وعقوق الامهات وأد البنات وقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حينما كنت وأتبع
 السبيل المحسنه تمهها وخالق الناس بخناق حسن الى أن قال وقد جعت من كلامه التي لم
 يسبق اليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قلبه عاها كقوله عليه الصلاة والسلام هي
 الوطيس ومات خشف أنفه ولا يدغ المؤمن من جحر مرتين الخ كيف لا وقد أوفى صلى الله
 عليه وسلم جوامع الحكيم ومنايع الحكم عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات
 (فصل في قوة الحكومة الحربية والمالية)

نفـــــــــــــــــرا

٢٠٠٠	العساكر النظامية العاملة
٥٥٠٠	الخباله غير النظامية العاملة
٣٠٠	العساكر المعروفين بزواوة العامالين
٢٠٠	العساكر المعروفين بالحنفية العامالين وكل هذين غير نظامي
١٤٠٠	الرديف النظامي
٢٠٠٠	الرديف من الخيالة
٧٠٠٠	الرديف من الزواوة
٤٠٠٠	الرديف من الحنفية وكل الاعداد على التقريب بلان الضبط غير متيسر
١٥٠٠	العساكر البحرية

٣١٥٠٠

٠٠٠٠٣ السفن الحربية باخرتان من نوع الكرويت

فيرـــــــــــــــــك

١٤٠٠٠٠٠	دخل الحكومة مع انضمام القسم المعطى لأصحاب الديون ودخل الاوقاف
١٤٠٠٠٠٠	نخرجها الاقيلام من فواضل الاوقاف
٤٠٠٠٠٠٠	قيمة مخبر القطار الداخل والخارج

(١٤٨)

قد انتمى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثاني
بتاريخ أوائل المحرم الحرام سنة ثلاث وثلاثمائة وألف
في المطبعة الاعلامية لصاحب التأليف الشيخ
محمد بيرم أفندي الخامس وتحرره به
على يد الفقير إليه تعالى

مصطفى محمد

قضاة

وبابه الجزء الثالث افتتحه الباب الثالث في إيطاليا

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣)

(١)

* (تذييه) *

يوجد في جدول الاحصاء آت بالجزء الاول ميم مفردة وهي علامة على مجهول و (لا) وهي علامة على معروف أى لا وجود له وقد غفلنا عن اثبات ذلك في عمله فأثبتناه هنا للتنبيه القارئ

❖ فهرست الجزء الثاني من صفوة الاعتبار ❖

محمية

- ٢ المطالب الرابع في السياسة الداخلية من العائلة الحسينية بنونس
- ٢ الوظائف السياسية والعسكرية
- ٢ بيان الانقلاب التي تحلى بها أتباعهم وأعدائهم
- ٣ بيان الوظائف العلمية
- ٤ بيان ما يتعلق بالجباية وصرفها
- ٤ بيان مرتبات شيوخ الاسلام على وظائفه العلمية
- ٦ بيان ولاية أحمد باشا وأعماله في القطر
- ٧ بيان ما صنعه أنور محمد مصطفى خندار ومحمد بن عياد من تحميل القطر ما لا يطبق وذهب ابن عياد الى فرانسا وأخذ الجباية منها
- ٨ ما أثر أحمد باشا
- ٩ ولاية محمد باشا في سنة ١٢٧١ وكان أكبرهم رفع المظالم عن الرعايا وجلب ثروتهم
- ١١ بيان انشاء عهد الامان وقراءته في مكتب شامل بجميع المتوظفين والاعيان
- ١٤ كيفية المجلس الذي عقده الوالى مع الوزراء
- ١٤ جلب ما زرعوا
- ١٥ بيان دخل الحكومة حين حصص لها الثروة
- ١٦ ما أثر محمد باشا
- ١٧ ولاية الصادق باشا
- ١٨ صورة اليمين التي حلف بها المشير محمد الصادق باشا
- ١٩ المطالب الخامس في وزارة مصطفى خندار

- ٢٢ بعض آيات من قصيدة يستغاث بها القبط الصالح سيدى أحمد النيجافى
 ٢٣ مبدؤ الدين على الحكومة
 ٢٤ ابتداء الثورة ومنشأ إبطال القانون
 ٢٦ تسجيل القناصل على توقيف القوانين
 ٣٠ تسجيلهم على قتل الوزراء
 ٣٢ صورة مارآه المؤلف بخط الوزير الكاتب لاسرار الولاية فى معرض ما حصل من
 أحمد زروق
 ٣٥ صورة ما كتبه المؤلف لصديق له طالب منه نسخة من ضرب مثل للعالة المذكرة
 فى القطر التونسى
 ٤٠ كيفية تشكيل اللجنة المختلطة من الاهالى والاجانب المسماة بالكرومسيون المالى
 ٤٩ المطالب السادس فى وزارة الوزير خير الدين باشا
 ٥٤ ولاية وزير مباشر وترتيب الوزارة
 ٥٤ أنواع مساعيه
 ٥٥ بيان مدان خيل الحكومة وتقسيمها الى قسمين
 ٦٢ ولاية الوزارة الكبرى
 ٧٣ الابيات التى تنشأ فى المولد النبوى مع غاية التعظيم
 ٧٥ أول اعتراض على الوزير المذكرة فى سكة الحديد المغربية
 ٨١ عدم تنقيص فايز الدين
 ٨٢ عدم انشائه القوانين
 ٨٥ صورة ما كتبه الوالى للوزير خير الدين
 ٨٦ أسباب استعفاؤه
 ٨٨ بيان نائب الدولة العائمة الاعانة العسكرية من حكومة تونس
 ٩٤ المطالب السابع فى وزارة محمد خزندار
 ٩٧ المطالب الثامن فى وزارة مصطفى بن اسمعيل
 ٩٩ نازلة يوسف بن عطار
 ١٠٢ وصل سكة الحديد بالجزائر

- ١٠٥ مسألة صانعي
 ١٠٧ بقية الامور الحاصلة في وزارته
 ١١٥ فصل في بعض عوائد اهل القطر وصفاتهم
 ١١٥ أقسام الاهالى
 ١١٩ مطلب في التجارة
 ١٢٠ السفن التجارية الواردة
 ١٢٠ حمل السلع برا
 ١٢٠ مطلب في ترتيب الاحكام
 ١٢١ ادارة الوزارة
 ١٢١ ادارة الاعمال
 ١٢٢ المحكام الشرعية
 ١٢٥ قابض المال
 ١٢٥ العدول والكتاب
 ١٢٥ بقية الوظائف
 ١٢٥ الضابط
 ١٢٥ مطلب في المعارف الموجودة الآن ومناخها اجماع الزيتونة من الحاضرة
 ١٢٦ المدارس وتلاميذها
 ١٢٦ المعارف في جهات القطر
 ١٢٧ مطلب في الصنائع
 ١٣٠ مطلب في المساكن والطرق
 ١٣٥ مطلب في ملابس اهلها
 ١٣٨ مطلب في الاكل
 ١٣٩ مطلب في الاعراس والمواكب
 ١٤٤ مطلب في اللغة
 ١٤٦ فصل في قوة الحكومة الخربية والمالية

الجزء الثالث من كتاب صورة الاعتبار بمستودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء

وحمد مدعصره وفريد دهره

الشيخ محمد بيرم الخامس

التونسي نفعنا الله

به وبعلومه

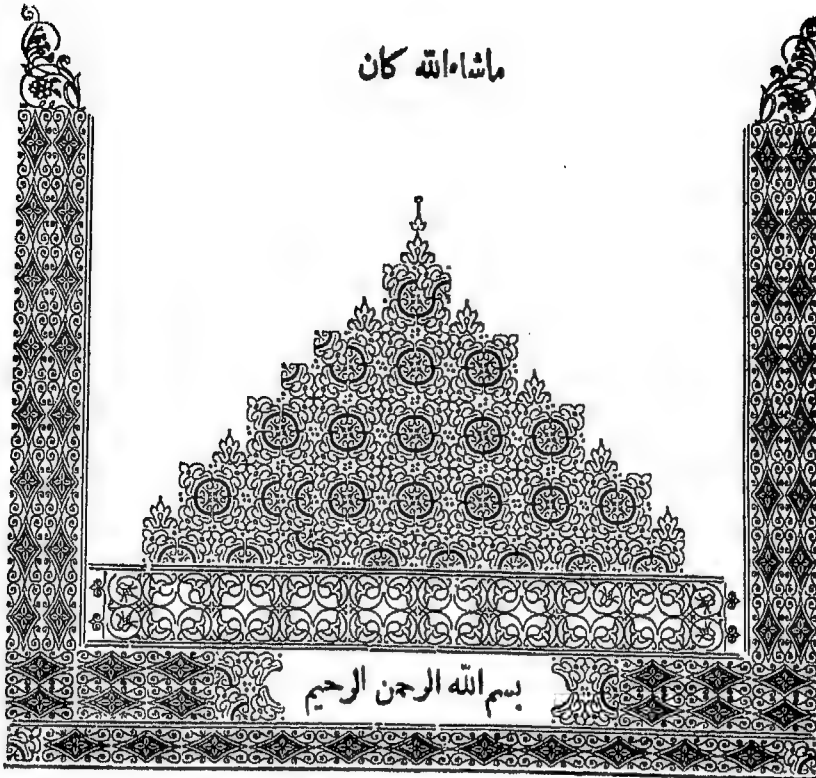
آمين

﴿ لا يجوز طبع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن ﴾
﴿ تجارى على ذلك بما حكم حسب القوانين ﴾

﴿ طبعة أولى ﴾

﴿ بالطبعة الاولى لامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية ﴾

ما شاء الله كان



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ال باب الثالث فى اى طالى

فصل فى سفرى اليها وما رأيت به الماتكاثرى المرض العصبى فى صائفة سنة ١٢٩٢ ودامت
معالجته على نحو ما مر ذكره فى الباب الاول من المقصد وأشارت على الاطباء بالسفر الى أوربا
هزمت على ذلك فى شوال سنة ١٢٩٢ الموافق الى أوانرنمبر الانجلى واسـئذنت
الحكومة فيكتب لى على عادة المسافر بن بطاقة الجواز بالاذن فى السفر من مرسى حاق
الوادى وهى بطاقة عليهم الاشارة المحكومة وتكتب تارة بالفرا نساوى وتارة بالعربى
وذلك على حسب المكان المسافر اليه فان كان بلدة أفريقية كتبت بالفرا نساوى وان
كانت اسلامية كتبت بالعربى وهذه العادة بهـذا كرا الجواز مع مول بهافى أكثر
الممالك وبعض الممالك يتركونها فلا يحتاج الدخول ولا الخروج لاذن وركبت من
المرسى المذكورة فى التاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٢ وكان معى خادمان أحدهما
يتكلم باللسان الطليانى والفرا نساوى والامبانى والعربى وصاحبنى فى هاته الجهة العالم
النهر بر المنبحر فى علمى العـقول والمنقول الشيخ سالم أبو حاجب أحمد أفاضل مدرسى

جامع

(٣)

جامع الزيتونة حيث كان له مأمورية في إيطاليا السامع وزير الاستشارة أمير الامراء حسن في
خصوصية تتعلق باحد اتباع الحكومة التونسية المسمى بنسيم شمسانة الذي كان مكلفا
بقبض أموال الحكومة وشراء المهنات اليها وخرج من القطر بدون تصريح للحساب معه
كما عرف في ترجمة الوزير مصطفى خزندار وذلك في حدود سنة ١٢٨٩ وبقي يتردد بين
فراقتا إيطاليا الى ان مات في بالديفرنو من ايطاليا وطالبت الحكومة من ورثته تحرير
الحساب وكاد أن يقع صلح بينهما ثم خرج الورثة كما مر ذكر ذلك في ترجمة الوزير
المذكور ولذا لم يلزم الحكومة أن تعيد أحد وزرائها وهو أمير الامراء حسين ومعه
العالم الشيخ سالم لطالب الحساب وتوقيف التركة فذهب الى هناك وباشر النازلة وطالت
المدة فرجع الشيخ المشاعر اليه الى تونس لبعض مصالح ثم عاد الى مأموريته وكان من
المنفعة الالهية التصاحب معه فكتبه بالبحرية البريد الطائفي الى المماسة بفوريا ونزل في
الطبعة الاولى وكان كراء الواحد فيها من تونس الى نابلي مائة وعشرين فرقة وكاوأما في
الطبعة الثانية فثمانون فرقة وكاوأما في الثالثة فعشرون فرقة كالان الاولى والثانية
كلاهما يعطى الاكل والفرش بخلاف الثالثة فانها العمل فقط مع الاختلاف في المسكان
والفرش والاكل في كل بحسبه فأقلعنا من المرسى يوم الاربعاء بعد الزوال بنحو خمس
ساعات وكان في البحر شيء من الاضطراب فحصل لي شيء من الدوار واشتد الامر لما جاوزنا
رأس غار الملح فاضطجعت في فراشي وأوفق الحالات للانسان هي الاضطجاع وهذا
الدوار البحرى من أشد الامراض بان يصاب به وبعض من الناس لا يعثر به شيء منه
وان لم يكن متعودا وقد كنت قبل الزكوب استعملت بأشارة الطبيب ثلاثة حقنات في
الجأء من العلاج المسكن لكي لا يزيد على ألم البحر الالم العصبي ومن فضل الله لم يعترضني
ذلك الالم مدة الطريق وبقيت الحال كذلك الى ان وصلنا الى جزيرة سردانيا قرب
مرسى كالارى فدخلت الباخرة في جون محاط بالجبال عن بعد فسكن البحر ونشطت وهو
من غرائب مرض البحر اذ شدته تقضى ان الانسان يبقى معه التعب وهو بخلاف ذلك
لانه اذا انقطع الاضطراب يحصل النشاط الاقليا ولما نشطت صعدت الى سطح الباخرة
فرايت الجبال محيطة بنا وهي جبال أكثرها صلابا ولا غابات بها ومنظرها ليس بحسن
وأفلمنا خال عن العمران لان التمدن لم يندسط في تلك الجزيرة ولم تنزل سائر ين في ذلك
الجون نحو ثلاث ساعات وكانت الباخرة تسير عشرة أميال في الساعة الى ان أرسينا في
مرسى كالارى التي هي تابعة لإيطاليا وكان ذلك صبح يوم الخميس قبيل الزوال فاذا

(٤)

بالمرى مبنية بالرصيف لا من السفن بحيث تستطیع أعظم سفينة أن تلمس فی البر مع
الامن من اضطراب البحر والاصقة بالبر ينزل سلمها على ذات البروفی المرتى كثير من
السفن والبواخر لان موقعها متوسط فیاً تبها البر یمن جهات و یفرق على بواخر کل
تذهب الى جهة من الممالک المشرقية والمغربية ثم یحمل من الجزیرة فی السفن الملح
والغلال والائمار الى كثير من الجهات ثم نزلنا من البانرة فی زورق کراؤه فرنک واحد
والزوارق كثيرة تحيط بالبوخر وأصحابها سیول الاخلاق مع المسافرين ینفرونهم بالركوب
قبل المساومة فی الاجر فاذا نزل طابوا وامنوا منه أضغاف القیحة ورجاسه قواما وجدوه معه ان
امکنهم وذلك یدینهم فی کل المراسی لیکننا ساء منا قبل الרכوب ودخلنا البلد فاذا همی
بلد غیر متحصنة وأغلب طرقها ضیق وأبنتها على الخوالا وروباوی الاسی بیانه ولا
تزیط بقات دورها على أربعة وهی بلدة متصاعدة فی الجبل وطرقها جمیعاً ماطلة
فالذی تمر فیها الجبلات یكون محصوا و غیره محجور بحجارة غیر مسواة ولذلك کان منظرها
والشیء بها متعبا وترى الجبال ممتدة بین شعبا یلک الدیار من احدی الجهات الى ما
یقابها لشمس الثیاب المغسولة علیها وفرش الدیار مثل الفرش الاروبة و باعلى
البلد بسنتان عموی منتهز للعامه وتأتيه الموسمی العسکرية البسط العامة عشية
الاحد والاعیاد وفيه ما نابح حلوه به أشجار صغيرة مهیأت للبیع فی أوقاتها وفي البلاد
منازل للمسافرین منها الحسن ومنها ما هو دونه و بها حوانیت و بطحاً آت غیر متسعة جداً
و بها قهوى و یباع بحوانیتها جمیع ما یوجد داخلها من الضر و زیات والمحاجیات
والتحشینیات وفيها مستشفی ومدارس للتعلیم فی مبادئ الفنون و بها مطابع أيضاً وفيها
صحف یومية نحو الاربعة وهوا البلد ردیة تكثر فیها المحیات فی الصیف لجسا و رتها
لسخنة وهاته السخنة یستخدم فیها أصحاب الجرائم الثقيلة المحكوم علیهم من محاکم
ایطالییا وفيها معمل کبیر من البناء لذلك محلول به الماء فی قنائة من البناء بمجازة
قرب شاطئ البحر ظاهرة للناس و بسبب تلك السخنة فسدهوا کالاری حتی یقال ان
عدد أهلها کل عام فی نقصان وقد شرع فی مدطر یق حدیدية من هاته الیلدة التي
موقعها فی الجنوب الغربی من الجزیرة التي هی مستطيلة من الجنوب الى الشمال
و ینتمی الطريق فی الشمال الى الشرقی من الجزیرة غیر انه لم یتم الى الآن ولا زال العمل
فیه ثم أهل البلد علی قسمین (الاول) الاعیان والوافدون وكلاهما یالسهم مثل لباس
الاروبا و ین (والثانی) بقية الاهالی ومثلهم بقية سكان البوادی والقری فی الجزیرة

یلدسون

(٥)

يأبسون جلود الغنم بصوفها فالصوف مما يلي البدن والجلد من أعلى وهيئة اللبس هي
صدريّة ومنثان وسراويل ونحو السراويل التونسية لئلا يكثر الساق البسة
مربوطة والنعال خشبة ذات مسامير كبيرة وعلى رؤسهم عرايق من الصوف أو قلائس من
الصوف المنسوج طوال مدلاة على أكتافهم والنسوة يلبسن قريباس من نسوة أوروبا
ليكن على شكل غير نضروفي أرجل أغلبهن قماقيب من خشب ولغتهم طليسانية والغالب
هو عدم التمدن والاكل رخيص هناك فالقهوة ثلاثمائة مناطب صاحبها مائة مئة صولدي
والفرنك به عشرة ون صولدي كل صولدي خمسة سنانيم ثم ركبنا الباخرة أخرى وهي
التي توصف لنا إلى نابلي بعد أن أحسننا إلى خدمة الطبخة التي كنا فيها وذلك من اللازم
في الباخرة وكنت لك الأحسان لحضامي المطاعم والقهوة وبقدر الاحسان فنحو خمسة
في المسألة مما يدفعه المدافع فان كان أقل نوزع في ذلك وان زاد شكر وتقلنا رحلنا إلى
الثانية فاقلمت قرب الغروب وتوجهنا إلى نابلي فلم نزل الباخرة سائرة والبحر ساكن
إلى أن خرجنا من المجرى والتفت الباخرة متوجهة إلى الشرق وأرخبى الظلام سدوله
فقمنا في مضاجعنا إلى الصبح فاستيقظنا بكرة وحيث كان البحر في سكون كان يستطيع
الإنسان أدا جميع ضرورياته والوضوء والصلاة على أكمل حال وبعد شروق الشمس
أول ما كتشفنا قرب نابلي جزيرة اسكايو بها جبل مرتفع وهي تحتوى على قرى كثيرة
ولهامة منظر جميل من بعدد ارتفاع مبانها وترى فيها من خارج ثم ظهر ربركان نابلي
وهو جبل مرتفع متصاعدا من قته دخان ثم وصلنا إلى مرسى نابلي والبساتين في سفح الجبل
وهي أكبر مدن إيطاليا وكانت تحت الملك النابليان وسكانها نحو أربع مائة ألف نسمة
وهي محيطة بجيرون في البحر على شكل هلال والمرسى في الوسط وهي مرسى صناعية
أكبر من مرسى كالاري غير أن السفن في وقت وصولنا إليها أقل من الأولى فمعرض لنا
من مدارس الباخرة أحد المعارف في زورق لانه باع خبر قدومنا بسلك الإشارة من كالاري
فاصطحبنا جميعا ومررنا بوسط الكرك ونظرنا المكلفون به رحلنا فلم يجدوا به شيئا يؤدي
الكرك سوى شئ من النشوق وماء الزهر فاخذوا ماء عائم من الضريبة ثم ركبنا
بكر وسنتين من الكركاريس الموجودة في بطحاء الكرك وهي آتان يربدار كوب
وهي كرايس نظيفة أغلبها يركب راكبين فقط من النوع الذي يتخسسه قفقه إلى خاف
ومثلها موجود في أغلب الجهات الكثيرة العمران من البلاد وتجربها الخيل وأما عجلات
جمل الأثقال فتجربها الخيل والبغال والبقرة وهكذا في غيرها من البلدان غير أن البقر

لا تتم عمل في الجحرفي أعلى ايطاليا وفرنسا ثم نزلنا بأحد منازل المسافرين بعد أن ردنا فيه
 بيتنا على نحو ما يليق بنا وهو منزل كبير ذو خمس طبعات له شبايك تفتح على فم واسع
 يسمى طريق البوسطة وله شبايك على بطحاء واسعة بها قوارتان للساء العذب المجلوب
 من الجبل الموزع على البلاد وعلى ديارها وسائر مساكنها وكان الكراء لاربعة تنافى اليوم
 للسكنى والأكل خمسة وعشرين فرنكا سواء أكلنا أم لا وما زاد على ذلك مما يطلبه
 الإنسان يوثق به إليه لكنه يحسب عليه ثمنه كالورق للكتابة والشمع وغير ذلك بحيث
 أنه كلما يطلبه يجده وإن غاب ينبغي للإنسان أن يساوم مدير المنزل قبل الايمان بالشيء
 المطلوب والأفانه يحمل عليه بأسعار باهظة وأما الأشياء الضرورية فهي داخلية في
 اجرة السكنى والاكل وهي ان يجد الإنسان بيتا ذا فرش للزوم بغطائه ولوازمه وكرامى
 مكسوة بالخمر وخرقة وعليها امرأة وساعة وسائر الضروريات ومصباح وشعلة
 ومائدة لوضع الكتب وآلات الكتابة ومناديل للتنشيف من الماء عند الغسل وهكذا
 سائر الضروريات الأبريق للمستراح فيمنه في جملة الى جميع جهات أوربا بالذلا يوجد
 عندهم وليسوا بمتعودين عليه وهو من العادات اللازمة للسيرة الاسلامية والنظافة كما
 انهم في أوربا لا يغسلون أيديهم بعد الأكل أما قبله فمن آدابهم أن يغسل الإنسان يديه
 وجهه في بيته ويأتي بيت الطعام بشباب نظيفة غير أن من أراد غسل وجهه وأصابه بعد
 الأكل فله أن يطلب من الخادم في بيت الطعام أن يأتيه بما يغسل به فيأتيه بصحن فيه
 قدح من الزجاج أو الخزف وفيه كأس به ماء حار فليلا مخلوط بشئ من رائحة الطيب
 فيتمضمض به ويحجم الماء في القدح ويدخل أصابعه في الكأس ويصيح بها شفيتها ثم يتيمض
 في منديل ثم ان بيت السكفي مفروش بالزرابي وعلى أبوابه أردية رفيعة وهو في غاية
 النظافة وله خادم لتنظيف البيت وتهية الفرش وعند الاستيقاظ يدعوا الساكن الخادم
 فيأتيه بالقهوة وما يتفق عليه من الأكل صبحا ثم ينظف الخادم البيت ويغير المناديل
 وأردية الفراش ان كان بها أدنى وسخ وعند الظهر أوقبله بساعة يضرب جرس للتهئي
 للكل ثم بعد خمسة عشرة دقيقة يضرب الجرس مرة أخرى لحضور الساكنين من
 بيتهم الى بيت الطعام وهو بيت مقسّم فيه مائدة كبيرة أو أزيد يجلس عليها
 الحاضرون فوق كرامى ويفرق عليهم الأكل سواء الأغاب أن يكون أربعة أنواع أو
 خمسة من اللحوم والطيور والسمك ثم ترفع من الجنبين ثم فاكهة ثم يهرقون ومن أراد
 الأكل في بيته فله ذلك غير أنه يحسب عليه بزيادة في الثمن أو يعطى أقل من ألوان

(٧)

المائة العامة وكذلك وقت العشاء وهو في الأغلب بعد الفطور بسمع ساعات ولما كان
المسافر يريد التفرج فالأولى أن لا يكثرى المنزل الا للسكنى وأما الأكل فيجعل له سوم
خاص لا يكل أكالة ان حضراً كل والا فلا يحسب عليه شيء لكي لا يلزمه الحضور والا كل
في محل واحد أو انه يخصر عنه بين لالا كل باعطاء عن الأكل في منزل السكنى ثم في المكان
الذى يأكل به واذا خرج المسافر يقفل بيقته ويعطى مقفاحه لصاحب الباب لكي
يكون رحله في أمن اذ يكثرى السرقة في البيوت أحياناً سيما في نابلي ولا يطالب صاحب
المنزل بما يسرق الا اذا كانت الاشياء المسرقة ضرورياً وضعها في البيت كالمندرق
وأما المال والمصوغ وشبهه فلا ولد لك ينبغي ان له شيء من ذلك ان يجعله معه أو يضعه
في أحد البنوك لان وضعه عند صاحب المنزل محطّر وان أخذته حجة في ذلك اذ يحتمل
افلاسه فتذهب الامانة سدى ولذلك يكون الاوفى للسافر ان يحمل معه من المال
العين شيئاً قليلاً وبقيته ماله يصرفه بتذاكر بانككات معتبرة كبنك فرانسا أو بنك كاتر
ويجعلها معه اينما ذهب مخفئها ويسـترجج ومهما أراد عين المال يصرف تذكرة من
تلك التذاكر عند أى صراف أراد بل ربما يصح فيها اذ خصوص تذكرة البنك
الفرانساوى والانكايزى مرغّب فيها أزيد من المال العين ولذلك يؤخذها نصف
في المائة زيادة عن قيمتها بخلاف تذكرة بنوك ايطاليا أو غيرها فانها لا تصرف في غيرها
لكونها وفي ذات عملها تعطى الصراف أقل من قيمتها مثلاً التذكرة المسمى بها مائة فرنك
من بنك ايطاليا اذا أردت أن تدفع المال وتأخذها فانك تعطى مائة فرنك عينا وتأخذ
مائة وثلاثة عشر روقاهاته الأوراق هي التي بها الرواج في ايطاليا بحيث انها هي المعنية
عند الاطلاق وفي ايطاليا عدة بنوك لها تذاكر من ذلك النوع فاما تذكرة بنك الدولة
فانها تروج في جميع ايطاليا سواء وأما تذكرة بنك صيارفة أخرى فلا تروج الا في خصوص
البلدان التي فيها البنك فمثلاً تذكرة بنك نابلي لا تصرف في رومة أو غيرها من مدن
ايطاليا فضلاً عن غيرها فينبغي لمن سافر أن يتنبه لهذا وقد أقدمنا نابلي ثمانية أيام
وتفرجنا على أغلب جهاتها وعرائبها وأشهر طرقها المحسنة البهيجة هو طريق توليدوهو
متسع عامر بمبانيها وشمالاً بالقصور المشاهقة وبأسفله الخوانيت للبهائم والتحف الالفة
ويقرب منه في المنظر طريق الموصلة وطريق الدوموشم طريق جديد يسمى فوريدو
وهو أوسع من غيره وأبرزه وعلى حافته الأشجار لكن القصور التي حوله لم يكل انتظامها
اذذاك وهو في الجهة العليا من البلاد ومجاورة بطنات أشهرها وأكبرها التي أمام قصر

(٨)

الملك ويحيط بها قهوى ومحلات لالا كل ومن المباني الشهيرة التي رأيته فيها قصر الملك
الذي في البلاد وهو قرب شاطئ البحر وأمامه من جهة البحر حصون وأسـ فله من تلك
الجهة مسكن للعسكر وعلى سطحه بستان مدهج ذو أشجار ونوابح مياه تطل عليه شبايك
القصر والقصر ذو أربعة طبقات والمعد منها السكن الملك هي الطبقة الثانية وهو قصر
ضخم متقن البناء والتحصين والترويق يشتمل على كنيسة وعلى ملهى خصوصى
للعائلة الملكية ويشتمل أيضا على جميع الاثاث والادوات المحتاج اليها في السكنى من
فرش وأواني طعام على أنواع حتى من الفضة بحيث انه منظم كان الملك ساكن فيه
والحال أنه لا يأتى به إلا أحيانا في بعض أوقات التنزه أو تفقد المملكة لان مقر الحكومة
مدينة قديمة لكن لما كانت نابلي سابقا قاعدة لمملكة الناباطان وكانت ملوكها
مستبددين أشادوا ما شاءوا في قصورهم وبقي الخلفاء عليهم على ما كانت عليه وهما
خدمة ومكلفون حتى ان الملك اذا قدم الى هناك لا يستحق لحاجب شئ معه سوى ما يلبسه
ويمكن له عقد الولائم الحافلة هناك كاحسن ما تصنعه الملوك وهكذا في كل بلد كانت
قاعدة الملك في ايطاليا وباصق هذا القصر الملهى الكبير المسمى بصان كارلو وله منفذ
من القصر الملوكى وهو من اكبر ملاهى أوروبا وتفنها ضخامة وتزويقا ويعمل من
المفرجين نحو ألف وخمسمائة مفرج وهو ذو ست طبقات فمنازل أربع طبقات كل
واحدة تشتمل على احدى وثلاثين بيتا ومنهم طبقتان كل واحدة تشتمل على ثمانية
وعشرين بيتا وكل بيت تجلس به أربعة أنفس عدا بيت الملك التى في صدر
الطبقة الثانية مواجهة للعب هذا عدد الخلل العمومى في الوسط الذى به مقاعد
عدد هاسـ ثمانية وثلاثون مقعدا وهذا الملهى لم يفتح اذذاك منذ ستين اقترصادا من
الحكومة لانه يلزمها في كل ليلة لفتحها ان تعين على مصاريفه بألف وخمسمائة فرنك
لان دخل المتمرجين لا يكفي مصاريفه ومما شاهدته أيضا قصر الملك الذى خارج
البلد في رأس الجبل ويسمى كابودي منتانى وهو قصر أصغر من السابق يحيط به بستان
أنيق ولم يكن بالقصر فرش سوى بعض بيوت به فرش عتيقة جدا الملوك هم الاقدمين
موضوعة هناك للفرج عليها وبقية البيوت بها آثار قديمة من السلاح وأدواته
حتى كان منها بيت ملوك بصورا أجساد آدميين متدرعين بأنواع شتى من الدروع على حسب
اختلاف الزمان ومنها صور فرسان بخيلهم مدرعين ومنها صور بعض ملوكهم
والدروع كانت حقيقة مـسـتعملة حقيقة في الحروب وبعضها به آثار الضرب والطعن

حتى

حتى بالرضا من المكاحل وبقية بيوت القصر خاوية والجميع بناءً وأنيق ثيابين
وشاهدت أيضاً كبيراً منهم وهى كنفيسة صان جينارو وهى ضخمة ذات أعمدة من
المرمر ومن غرب ما فيها صورة صنم من رخام أبيض عليه ثوب كأنه صفيق بحيث
يبدو ما تحته والحال انه تحت من ذلك الرخام وشاهدت أيضاً كبيراً من رستان لهم وهو
ذو بيوت كبيرة كل واحدة بها نحو المائة فراش كل منها بعيد عن الآخر قدر فراسين
وكل فراش لمريض واحد عرضه نحو المتر وطوله نحو المترين وربيع وهو على سرير من
خشب يحتمل على فراش وعليه ازار ووسادة وغطاء من القطن والمريض لابس القميص
وعلى رأسه قلمسوة من نوع القميص والكل من منسوج الكتان الأبيض وكل بيت
يحتوى على نوع واحد من نوع المرض أو متقارب النوع والكل بيت خدمة بالاجرة
يوفون للمرضى بجميع لوازمهم واعطاء الدواء في أوقاته حسب اشارة الطبيب وزيادة على
ذلك كثيراً ما أتى نسوة من الاعيان وغيرهم لخدمة المرضى والرافة بهم حناناً منهم ورغبة
في عمل الخبز ولما رستمان عدة أطباء منهم من هو ذو وظيفة وله أجراءهم ومنهم من
يداوى مجاناً ما رغبته في الخير ولا تمام تعلمه لفن الطب حتى يأخذ الشهادته من له الاجازة
على قوانين لهم في ذلك ولما رستمان أيضاً بيت أدوية ومواعين الجراحة والدواء وفيه
قسم للرجال وآخر للنساء المرضى وهما كذلك كل ما رستمان غير ان بعضهم يداوى مجاناً
وبعضها له أما كن لمن يريد النطب من ذوي اليسار فيعطى مقداراً معيناً يومياً
والمستشفى يقوم بجميع ما يلزمه ويختارون التداوى في المستشفيات لانها اتقن من
مسألتهم سيما في التحفظ على ما يتعلق بالدواء واداء الخدمة حقها مع مباشرة مشاهير
الاطباء الذين يلزم لا تيانهم لمساكن المرضى مصاريق وافرة ومحلات هؤلاء المستأجرين
في المستشفيات أنقى وأظف وأبهى من المحلات العامة ويمكن لكل مريض أن يبق في
بيت خاص به صغيره موافق في ألوانه بحيث ان جميع حركات المستشفيات وأوضاعها على
مقتضى الحكمة الطبية ثم ان مصاريق المستشفيات على أنواع فمنها ما تقوم به الدولة ومنها
ما يقوم به المجلس البلدى ومنها ما يقوم به لجان من الاهالى وهذا في كل جهات أوروبا
سواء يقبلون الصدقة ممن يريد هاو لو من السواح وشاهدت فيها أيضاً الدار التي بها
الاشمار العتيقة ومنها الاشياء التي استخرجت من بلدة يونية التي يأتي خبرها وهاته
الاشمار لو اراد الكاتب استيعابها لزم لها جهد ضخم اذ هي مشقة على أنواع وأشكال
شئ من أقطار مختلفة فبما جاب من مصر المسمى وهى ذات انسان ميت مصبرة على

ما كانت عليه منذ عدة آلاف من السنين لم يتغير منها شيء سوى ان اللون اسود وجوفه
 مثقوبة لانراج جميع احشائه وبقية طاله على ما كان عليه وفي هاته الدار نحو أربعة
 اجسام من ذلك النوع منها النساء ومنها الرجال وذواتهم لا تخفى عن ذوات البشر
 الموجود الا ان لم يكن ليس فيهم زوجة واحدة ولعل ذلك بسبب ان الميت المصبر انما يكون
 عزيز قومه ومثل هؤلاء لا يموتون غالباً بالامراض والامراض تنقص الاجسام فذلك
 كانت اجسام الموميات تحافظ والافان التصبير يحفظ الجسم على ما هو عليه ثم ان ذلك
 النوع من التصبير قد جهل ومع كثرة البحث عنه من حكماء الاعصار المتأخرة لم يطلع عليه
 فهو من العلوم التي فاز بها المتقدمون ودثرت ومن غرائب ما في هاته الدار ايضا قطع من
 ثياب منسوجة من مادة حجرية وهذا المعدن يسمى اميانتو وهو الاكثر معروف وموجود
 لكن كيفية تنديده حتى يصير مغز ولا ينبغي منعه بجهولة الا ان قد كان في العصر
 السالفه معلوماً من فوائده تلك الثياب انما لا تحترق واذا توقعت فتنساها بالنار وهي
 ثياب لينة تنطوى غير انها تخينة ومن غرائبها ايضا ما وجد من آثار يونباى وهي اشياء
 كثيرة من الماء كولات وغيرها فرايت فيها التمر والقمح واليتون وغير ذلك مما مضى عليه
 ألف سنة او ازيد لم يتغير منه شيء سوى اسوداد في اللون وقالوا ان طعمه ايضا لم يتغير
 وسمعت انهم زرعوا حبوا بما وجدوه كالقمح ونبت وأثمر مثل البسببى يدل على ان
 النوع واحد لم يتغير حاله مع طول الزمن وكل هاته الحبوب موضوعة على ترتيب حسن
 الى غير ذلك من الآثار القديمة الموضوعة المنضعة في أماكن محفوظة نظيفة وعابرها
 قيمون وتفتح يومياً لمن يريد التفرج بأجر زهيد وتسمى هاته الدار وزاى ناسيونال وعما
 شاهدته في نابلى دار الفنون المسماة أبنه فرسي تادى نابلى وهي يعلم بها فنون الطب
 والاحكام والسياسة والتجارة والكيمياء والصيدلة والبناء والفلك والجبر والمقابلة
 والهندسة والابساد وجرالاتقال والسكل فن قسم وهندرسون وهما يحصل لاجسام
 الحيوانات فيه أغارب ما يعرف منها من الانسان الى الذباب من الحشرات حتى الحيوانات
 البصرية لكنهما كلهما مية مجمولة في أى منزوعة اللحم وغيره مع التحفظ على هيئة الجسد
 ويحش الجسد بمواد نباتية ويرسم على هيئة أصل الحيوان حياً وتجهل عيانه من زجاج
 فيراه الناظر كأنه حي وفيها من تلك الانواع ما لا يكاد يحصى ويوجد كتاب مطبوع
 في اليد مشتمل على تلك الحيوانات مع تراجمها وأغرب ما رأيت من حيواناتها ولم أره
 في غيرها عصفور في حجم النحلة ملون الریش وذيله ذور شين فقط طوله اثنين كل منهما

في طول ما يقرب من الشبر لها ألوان جميلة وكذلك رأيت فيها اثنين البحر أعظم حجم من
الفيل لكنه أقصر منه لأن جملة هيئته تقرب من هيئة السلحفاة ورأسه أضخم من
رأس الفيل وعينه واسعة جدا وفمه مفتوح وجذبه منكش وبجملته له منظر يشع
منقرو ويوجد في هذا المحل جسم الانسان على جميع أطواره منذ يتكون مضغة الى ان
يصير شيخا فانما يتم وجود تشريح اعضائه منفردة سواء كانت ظاهرة أو باطنية ذكورية
أو أنثوية وجملة جسمه من الجوامع الاصلية كل منها منفردة عن الآخر فتجد جسمها ليس
فيه الا العظم فقط على نحو خلقته ثم آخر به العظم والعروق فقط وهكذا غلب ان بعض
هاته الاجسام هو حقيقى وبعضها صورى من الشمع لكنه متقن التصوير واللون حتى
كانه هو الاصل لان اللحم بدون جلد لم يمكن لهم تصبيره في الهواء وكذلك توجد اجسام
المولودين على خلاف المعتاد ككون وجهه في بطنه وآخر ذو ثلاثة رؤس الى غير ذلك
وكما هم مصورة في زجاجات كبيرة مملوءة بتيار روية لكي تبقى الجسم من النعفن وفي هذا
المحل يتعلم فن التشريح الذي هو جزء من الطب وفي هذا المحل أيضا خزانة كتب عظيمة
بها مائة وثلاثون ألف مجلد كلها طبع الانبار بخط اليد وبها كتب عربية
كثيرة فمما رأيت فيه فيها مصحف كريم مطبوع بالطبع الحجري ثم كتاب يسمى الكمال
المسيحي للراهب الفونس رودريكوس موضوعه تعاليم ديانته وهو في مجلدين
ضخمين ثم مجلدا آخر يشتمل على توراتهم وانجيلهم مكتوب بلغات ستة
ويخطوطها واللغات هي العربية والعبرانية واليونانية واللاتينية وجارتها نوافل السريانية
بنوعها ويوجد بهاته الخزانة السكينية كورتان محيط دائرة كل منهما نحو ثلاثة مئتين
احديهما صورة الفلك وأخرى صورة الارض مرسوم بهما محيطات متقنة مكتوب
عليهما بالخط العربي اللاتنى الجليل قبل انهما من مصانع علماء الاندلس وبقرى نابلى
على مسير نحو عشرين دقيقة في الرتل بالمدة بنماى بهاته المادة كانت منذ الفين سنة مصرا
متصرة وكان اهلها مولعون بالانكسار الى الشهوات وقساوة القلب حتى ان من
العاينهم في الملاحى والمرايح ان يخرجوا الحيوانات المفترسة ويعلقون اليها بالناس الذين
يريدون عقابهم فتختطفهم الحيوانات وتترق اجسامهم شتر تقزق والمفترسون محدقون
في البيوت المرتفعة المحصنة من وصول تلك الحيوانات اليهم وهم يفتحون فرحين ولم
يكن ذلك مقصودا على رجالهم بل حتى النساء اللاتي هن ارق طباعا كن يتهورن
وينبسطن من مثل تلك المناظر وتنادى بتمرد اهل تلك البلاد على جورهم وقهرهم فأرسل

الله عليهم هيجان جبل القفر وفيه الذي هو بركاني وهو بقرهم - هم على نحو ثلاثة أميال
 فزلزلات بهم الأرض وهم على حين غفلة زلزالا شديدا وهرعوا للفرار إلى الفضاء خارج
 البلد فأدركهم سبل العرم من النار التي قد فقاها الجبل فاجمر الآفاق بعدان أظلم واحلوا لك
 وظاف عليهم طائف من بحر النار فأهاكها وكل من فيها في بضع دقائق وتراكت عليهم
 المادة السائلة النارية حتى صار مكان البلد وما حوله ساجلا وامتد إلى البحر وسبحان
 الملك القهار وتصادى عليهم ذلك الحال وتنوسى أمرها لأن الواقعة وقعت عليهم سابقا قبل
 التاريخ المسيحي بقليل وصار سطح أرضها بطول الزمان صالحا للزرع والنبات ففي عشرة
 الثمانين والمائتين وألف هجرية كن أحد الزراعيين هنالك يحترث فنشبت محرته في
 جرة واحدة الأواني التي كانت في البلاد فبحث عليها فترأى له ما ظن أنه كنز وتبين أنه كنز
 رفيع وهو البلد الغابرة فعميت دولة إيطاليا بمقدار من المال سنويا وكلفت مهندسين
 بالكشف عن تلك البلاد مع التعمق على هيئة بنائها وجميع ما يوجد بها ولا زال العمل
 مستمر إلى الآن وانما كان السير بطيئا في العمل لأن المادة النارية تعجرت وصارت
 صلبة مع الاحتراس من افساد الموجود وتسرب الفسرق أولا بين ما كان من البناء وبين
 ما التصق به من تلك المادة فأخرجوا من البلاد كلها وجد بها إذا ما كشف عليه وجد
 كأنه على حالة أصله فأرباب الصناعات والمهلات على الهيئة التي أدركهم هم عليهم الفسرق
 والمحرق والرمد معا وكل الأجسام التي وجدت بقيت على حالها عند مس الهواء اليها سوى
 الأجسام الحيوانية فانها عند مس الهواء اليها تنفصل بفعل الهواء الملون بحيلة لبقاء صور
 الأجسام بان جعلوا كلها تنفذ وبمس آلة الحفر بجسم حيواني أو بالخص وحلوه في الماء
 ورفعوا ذلك آلة الحفر عن المحل الذي لمسته وأبقوا الهواء ممسسا بالجسم الحيواني من ثقب
 آلة الحفر فينفش الجسم في الهواء ويبقى محله في المادة النارية خاويا فيصب فيه الجص
 وعند جفافه وانعقاد تسكير المادة النارية عنه وتخرج صورة الجسم على ما كان عليه
 ورأيت في بعضها بقية من فقرات الظهر وعظام الاصابع لم تبيل وما يدل على جراءة أو تلك
 الاقوام في ذلك العصر وتعبيرهم ان وجدت بعض جثثهم على حالة الواقع حتى كان منها
 جنازة رجل وامرأة متداخلى الأرجل لكن الرجل لمسا أدركه الموت انزعج على قفاه وهو
 ناعط وبقيت المرأة على حالتها منكبة على وجهها وبقية على ركبتيها فانظر الى ذلك
 التعبير مع سابقية الزلزال ولم يؤثر في شهوتهم حتى أدركهم الهلاك على شهوتهم وأما بقية
 تلك البلدة فالظاهر ان أغلبها تهدم بالزلزال وما بقي منها فاعلم انه المتصدع والمنشق
 ومنها

ومنها القائم على أصله وهيئة بنائهم يجعلون المحائط ضيقة فتحوز راع فسادون والسقوف
من بناء على هيئة قباب فتحوصف كورة أو أقل تسكوراً وينظمون تقابل الابواب فإذا
دخلت باباً الى دار من الطريق تجد سقيفة مربعة ثم باباً الى وسط الدار وفيه أربعة أبواب
الى كل بيت واحد البجوت وراءها جنيحة وبركة ماء واسرة النوم من بناء كالذكاكين
وجهة الوسادة بناء مرتفع يسير على سطح المبرر ولا تختلف دور الاغنياء عن غيرهم الا
بالكبر والصغر ولا بكل بيت طوافي الى وسط الدار وكل الطوافي والابواب متقابلة
والجسام الذي رأته في البلاد هو على نحو الجسامات المعروفة الآن في البلاد الاسلامية
وفيه تصاوير على الجدران بالالوان مثل الحمامات بتونس والمغرب رأيت محل الحكومة
وتحتها السجن وعند مجلس الحاكم عند درج عليه طاقة يطل منها على المسجونين أسفله
والسجن ظلم لا يتخلله الهواء ولا الضوء الا من تلك الطاقة ورأيت الملهى فاذا هو على نحو
الملاهي الاروباوية غير ان مريح اللعب هو وسط الدائرة وهو أسفل مكان المتفرجين
والطرق كلها مبلطة بالحجارة الصلبة المنحوتة ومنقصة على ثلاثة انحاء فوسط الطريق
منحفظ عن جانبيه مرور الجمال ومفروض لها على جانبيه سكة لمرور ذات الجمال فيها
وعن اليمين والشمال محل مرور المساشين وجميع عرض الطريق نحو ثلاثة عتير وفي محل
مرور الجمال يقسم وسط الطريق بحجارة منحوتة مرتفعة على سطح الطريق بحيث تراها
ناطقة على طول الطريق وجميع الطرق مستقيمة لا اعوجاج فيها وتتلاقى على زوايا حادة
غير ان كل طريق لها كانت لا تمر فيها الا جملة واحدة حسب ما هو مفروض للجمالات فيلزم
بالضرورة ان تكون كل طريق لامة وفيها الجملة الالجهة واحدة لكي لا تتلاقى
وفي محل الادارة اكشف تلك البلاد محل لوضع الاشياء المستخرجة ثم تنقل من هناك الى
نابلي وتوضع في محل الاثمار القديمة كما هو المادة النارية المتصلبة يصنع منها تصف كثيرة
في نابلي وفيها سوق نافقة وجميع الاماكن المعدة للتفرج اما ان يدخلها الانسان
بأجر قليل أو تكون له تذكرة الدخول من الدولة والحصول عليه اسهل بواسطة احد
الاعيان أو نواب الدول وقد اعطانا تذكرة الدخول فقل الترك وقد اجتمعنا في نابلي
بأكثر حكمائها وهما توما مي وكنتافي وكان الثاني يعظم الاول جد الكبر سنه حيث
أنه بلغ نحو الثمانين ولم شيخته عليه وكانت أجرة كل منهم في كل زيارة ستون فرنكاً
وبقيت في نابلي ثمانية أيام وكان المسافر فيها يقدر ان يقيم كل يوم متوسط المعيشة
باربعة فرنك يومياً لا كل ويقدر ان يأكل في المحلات الساقلة بنصف فرنكاً ما يأكله

في المخلات العالية بغيره فترك في الأكمة الواحدة وقد دعاني هناك أحد أعيان البلدة
 لأميرة في داره حيث كان حبيبه الى مصاحبه من أهل البلد فرأيت كيفية مسامرتهم
 ورفقه بهم وفي آخر يوم من اقامتي بها أعلمت بان الاميرة المسماة بالبوصلة اضطربت
 علامة على الزلزال ثم ركبنا الرتل بقصد بلاد رومة وكان ذلك صبحا حارنا وصلنا الى قرية
 كورتا التي هي قرب نابلي مسير نحو ساعتين في الرتل نزلنا هناك وتغدينا في احدى منازل
 المسافرين وأما صبح ناديق حواشجة فانها ذهبت مع ذلك الرتل الى رومة وثمة نظرنا في
 الكورني في محطة الرتل الى ان تقدم الى هناك ثم ذهبنا الى قصر الملك في بستانه المسمى
 بمصر كازرتا فاذا غروب الشمس وانقصر رأيته من جهة النافق في مواد بساتنه المتخذة
 من الاشياء الخفيفة كالمرمر والرخام والحجارة الضخمة المخزونة وان كان غير اشدها تنفسا
 من جهة صناعات النقش والتذهيب والتزويق وهو مريع الشكل كل غنة منه في
 طول ما تبين ميتروا امام الباب بطول عظمة على جانبيه اما كن للساكر فاذا دخلت
 من الباب تجد القصر موزعا الى اربعة اقسام وكل قسم في زاوية يستعمل على بطحاء
 وله مداخل الى القصر والمطامع الكبير المبدل للوقت ارضى يستعمل على مائة واخذى عشرة
 درجة من الممر الموردا للون كل واحدة في قطعة واحدة الا قليلا منها في قطعة من طول
 كل درجة ثلاثون قدما وعرضها قدما وان ارتفاعها ستة اصابع ومبني والدرج منفرد
 فاذا انتهت الى نصفها رجعت الى قسمين يمتدنا وشمالا فينتهيان الى ابرار عظيم مرفوع
 يتسع على ستة عشرة اسطوانة من الممر المزركل في قطعة واحدة ارتفاع الواحدة نحو
 عشرة اذرع ومحيطها الا يستطيع الانسان السكامل الاطالة به بذراعيه ومنه يدخل الى
 البيوت الضخمة المختلفة انواع السقوف وكسوة الخيطان والارض بانواع من الممر او
 الظلي او الموزايكواى القطع الصغيرة من الممر كل قطعة نحو الاغلة من لون مرصفة على
 اشكال يدبنة او من المنسوجات الصوفية او الخيرية من المصانع الشهيرة في العالم
 ويحتوى القصر على كنيسة وهو ذو ثلاث طابقتان وقد تم منه بالبناء والادوات داخل
 وخارجائله والثلاثان لم يتم منه الا البناء الخيطان والسقوف وبقيت الهي الادوات
 وليس في القصر شئ من الفرش ويحيط به بستان طوله ثلاثة اميال وعرضه قريب منها وفي
 منتهاه جبل متخذة منه عين ماء عظيمة مجعولة على نحو سلاله لا تجد اراما اذوى واذا
 قابله الدخول من باب البستان جهة القصر يظهر له من بعد كاهنة مارة متصاعدة في الجومن
 الزجاج الابيض ثم ينشأ من ذلك المسار نهرو مجعولات بها كثير من الطيور المائية وأنواع
 السمك.

السمك ويحتوى البستان على عشاى وغياض متقنة ذات أنوار وأزهار كما يحتوى على
آجام وغابات وحيوانات للصيد ثم ركننا قرب الغروب من هناك الرتل وسرنا نحو إحدى
عشرة ساعة وليس هناك من العمران مثل ما أتى خبره بل أكثر الاراضى معطلة والجبال
لا منظر جبل بها وانما تجد القرى وما حولها معمورة نسياناً وكانت القرى قديمة عن
بعضنا فى أكثر الاحوال سير نصف ساعة فى الرتل فوصلنا بالدر ومرة الى هى تحت
المملكة بعد نصف الليل وقتشوا فى الكرك رجلنا أيضاً مع الما قادمون من إحدى بلدانهم
وذلك لأن لكل بلد ادم على ما يدخل اليه المصالح الخاصة زيادة على ما تأخذ الدولة
من الكرك العجمى ونزلنا فى إحدى منازل المسافرين وأخذنا الى هذه بلدنا بقنا التى
وجدناها فى الكرك غير ان وجدناها مرق منها برنس ووقع الخلاف بين مستخدمى
المطبات فيمن سرقه فجعله رومة يتجهون جماعة نابلى وهم يتجهون الا تخربن والحاصل
ان البرنس ضاع وسببه هو خروجه طرف منه عن غطاء الصدوق فامكن للشارق جذبه
ثم اقمنا برومة ستة أيام واجتمع متبأ شهر أطباؤها وهو الحكيم باشلى الذى هو أحد
اعضائهم مجلس النواب واجمال صفة هاتى الدادة انها بلدة وسبعة سكانها نحو ثلاثمائة
ألف نسمة ولهم حضارة على أهالى نابلى وطرقها كلها بالطة نظيفة أما الطريق
التيار جة عن البلد فهى وان كانت صناعية غير انها الطين بكثرة وان لم يعط
الطهلات وأحسن ما يقصد بالنفراج عليه فى رومة هو كنيستها الكبرى المسماة بسان باولو
التي هى أشهر مبانى العالم فى ارتفاع قبتها وارتفاعها وهى مستطيلة الشكل
ذات قباب كثيرة وسطها هى أعلاها وحيطانها مكسوة بقطع من المرمر منه الخلقى
ومنه الصناعاتى كل قطعة فى طول نحو عشرة أذرع وعرض نحو خمسة أذرع وبعض الجيطان
مكسوة بقطع من الموزايكوتقنة التصوير والقباب كلها مكسوة بذلك أيضاً والقباب
مرفوعة على اسطوانات من المرمر الخلقى وبعضها منى وليست مستوية السمك
وبعضها فى قاعين أو ثلاثة وعجبت كل واحدة من الخلقية أربعة عشر شبراً وقواعد
القباب مبنية ببناء ضخماً جداً بحيث ان هاتى الكنيسة قد أفردت بتأليف خاص من
أحد حذاقهم لاشتهات عابه من اتقان البناء وخصافته وباصفها قصر البسايا
ويسمى الفاتيكان وهو أكبر القصور المائكية تحتوى على اثني عشر الف بيت وبه
خزانة كتب رفيعة هى أحسن خزائن ايطاليا وسورها كعب كثيرة بالخط منها العتيق ومنها
نسخة من الانجيل باللغة الحبشية العريقة مكتوبة قبل البعثة بنحو مائتين سنة وفيها

نص الآتية القرآنية حكاية لقول عيسى عليه السلام وهي قوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد وقد اطالع على تلك النسخة أحد الانكليزيين في هذا القصر ورويت ذلك عن ثقة روى عنه وذلك القصر فيه من غرائب المصنوعات والذخائر الثمينة شئ كثير حيث كانت تنجي الى البابا جميع النصارى الكاثوليك وملوكهم من ممالكهم تقر باليه المالك الروماني زيادة عن الملك المجسماني الذي كان له في مملكة رومة وقد زال ذلك بالتحاد ايطاليا وآخر بابا كان جامعاً بين المملكتين هو بيوس التاسع وهو الموجود حين مررنا على رومة لكنه منذ افتت منه الملك الحسي بقي منعكفاً في قصره وله التصرف في الديانة فقط على سائر الكاثوليك في جميع الممالك سواء أبقته دولة ايطاليا جميع ما في قصره وما في الكنيسة من الذخائر واستولت على كل ما عد اذلك وبعد أن تفرجنا في الكنيسة الكبرى سألتنا هل يمكن التفرج في قصر البابا فاجبت بان ذلك اليوم لا يتيسر بل نعود بعد أيام وكان ذلك بعد أسبوعين من غداً جتمع البابا بطريرك دوق في الذي هو من نصارى الشام وله دير في أعلى رومة ومعه كثير من نصارى الشام المتقسين وهو ذو اخلاق لطيفة فصيح بالعربية وكذلك من حوله وسبب الاجتماع به انه ساكن حذو كنيسة معلقة الشكل والبناء مما يقصد بالتفرج عليه فحصلت المعرفة معه من هناك وكان مما ذكرنا ان البابا يريد الاجتماع بنا عند الدخول الى قصره وانه كافه بالمحضر وليكون ترجماناً عنه فاعتذرنا اليه بأننا على سفر ولا يتيسر لنا ذلك فلم ندخل القصر ولا اجتماعنا بصاحبه اذ لا يلجئ الى تعظيمه مع ان الداخل عليه يلزمه تعظيمه كتعظيم الملوك بل ملوكهم يؤدون اليه مزيداً تعظيم كأنه هو المالكهم ولا داعي لذلك الأمر ديني وديانتنا الاسلامية تمنع التعظيم الذي يكون مسبباً عن ذلك واعلم انه منذ استولت دولة الصاروق على جميع ممالك ايطاليا واجرت الحرية حتى في الديانات فالداخل للكنائس لا يلزمه تعظيم شعائرها كما كان من قبل بل لا يفعل شيئاً خالف ديانتهم فكانه يتفرج في قصر من القصور كما انه ليس له أن يفعل شيئاً من الاهتانات وحيث ان المسلم يدخل اليهم بآمان فليس له التعرض لآدابهم كما انه ليس له خيانتهم ثم ان أمام كل من قصر البابا والكنيسة الكبرى طعنا عظيمة وسبعة جدران بها عدة قوارب وانهار وفوانيس وهكذا كل بلاد تشمل بالفوانيس ليللا ويشق بالدراسة نهري سهل القوارب واذا طمى ربما أضر بالمسافرين وهوائ من جهة الشمال ذاهب جهة الجنوب وخارج البلدة الا ان الكنيسة القديمة وهي الآن نراب وانما

وجود منها أساسها واطلال من جدرانها وقد عات الارض عاينها كثيرا فكشف عنها
 وبقيت عبوة للنظرين وهي أوسع من الكنيسة المورجودة الآن الكبرى كما وجد
 بقربها ملهى قديم مثلها في الخراب على نحو ما سبق في صفة ملهى بونباى وقيل أنه دار
 الفسوة اذ ذلك وهو كبير جدا وفي رومة أيضا منزه عموى في الجبل ذو عسائى وحدائق
 وفورات في أعلى الجبل وهو منزه أما غير ما ذكر فليس في رومة معاملة أو أما كن نقص مد
 للتفرج سوى ما هو خارجها من آثار بنا آت الرومان في القديم وفيها ملهى كثيرة متقدمة
 اللعب لشهرة الطليانية بذلك على غيرهم ودور الاهالى غالبا ليست بمتقدمة النظافة
 وأسعارها في السكنى والمأكل وغيرهم ما غالبية بالنسبة لبقية ايطاليا وهو امر رومة وخم
 بسبب أن المرح التي قربها ترك فيها الماء لانخفاضها عما يحول بينها وبين البحر كما ان
 السكنائس بها كثيرة ولا كل جرس فاذا دق جرس الكنيسة الكبرى دقت الاجراس
 من جميع الجهات وصار لها دوى يفاق الساكن ويقترب من ذلك نابلى أيضا ثم انا
 قدمنا الى مجلس النواب الذي كان اذ ذلك مفتوحا وهو يشمل على خمسة مائة عضو
 فاذا هم أناس يتدبرون في أمرهم ويتشاورون فيه بغاية الاطلاق وصادقنا في حضورنا
 البحث في نازلة مالية وهي أن وزير المال عرض على المجلس أن يدخل الدولة غدير واف
 بمصاريفها ولتعديل ذلك تلزم الزيادة في الدخل وقد رأت الدولة ان الانسب في الزيادة
 هو زيادة الضريبة على السلاح فوقع نزاع في أصل الزيادة وكان أشد المضادين نواب
 بخرير سيسيليا الى أن قال أحدهم أنك أيها الوزر لا تفكر الا في الزيادة في الدخل
 بوضع الضرائب على السكان الذين أفقرت قوتهم لكي تأخذ أنت المرتبات الوفيرة من دماننا
 وكدنا اذ لم نقل بصرفك الاموال في شهواتك ومخفياتك فمنه ردت رئيس المجلس وألزمه
 الادب في الكلام فعاد الى كلامه وقال نعم يأخذون خفية ويحملوننا ما لا يطيق في
 اغراضهم وشهواتهم فاسكنه الرئيس وأطال عليه الاوم والذكير بعبازات شديدة حتى
 وهمه بالوحشية وأنه يضطر الى اسكاته أو اخراجه من المجلس ان لم يلتزم آداب البحث فضج
 حوب المتعرض وقالوا ليس لكم منة سامن الدافع عن حق وقموا ما أتينا الى هنا الا لحفظ
 حقوق الامة من التلاعب بها فاجابهم الرئيس بان الحقوق يتوصل اليها مع سلوك الادب
 فانقادوا اليه وطال النزاع في النازلة وابتقيت للتفاوضة يوما آخر وكان مكاتبه والصحف
 جالسين يحصون جميع ما يقال وما يقع حتى كتبوا نفاة حضورنا لانا كنا بلباسنا
 الترنسى وذلك أرجب التفات الانتظار اليها في أى مكان قصدناه حتى ان بعض البلدان

التي ليس لاهلها هم - فذيب تام كان يزدهم علينا في الطريق بقى العوام الى أن يوقفه - ونا
 بازدهامهم - ثم وأكثرت ذلك في أهالي نابلي الى أن التزمت فيها أن لا يخرج في الطريق
 الا راكبا في بحلة وذلك لعدم تعودهم على رؤية مثل لباسنا وصفة هيئة مجلس النواب
 هو بيت كبير جدا يميل الى الطول أكثر من التربع وسقفه قبة مرتفعة شاهقة مؤنق في
 جدرانها وسقفها وأرضها وفي وسط صدره عرضا سدة ارتفاعها نحو مائة متر - على الارض
 وفوقها كرسى وامامه مائدة ويصعد الى ذلك المجل بدرج عينا وشمالا وهذا محل جلوس
 الرئيس وحوله كتبة وكراسيهم وموائدهم على الارض وبقرتهم في وسط البيت كراسي
 الوزراء وفي وسط البيت كراسي أربعة كتاب مخصوصين بعرفة كتابية مربعة يتناوبون
 اثنين بعد اثنين في كتابة كل ما يلغظه من تكلم في المجلس وبقرت الرئيس منبر مرتفع قليلا
 يصعد منه خطباؤهم على المنابر بعد الاذن لهم من الرئيس يتكلمون في مصاحبههم ثم
 كراسي مخصوصة صفوفا صفوفا وراصف على نحو دائرة مستطيلة ينتهي طرفها حول
 الرئيس فالصف الاول كراسيه على الارض والصف الذي وراءه كراسيه على سدة من
 خشب أعلى من الذي امامه بدرجة من خشب ثم الذي وراءه أعلى منه وهكذا الى نهاية
 الصفوف والدرج التي يصعد منها الى الكراسي مقسمة لتلك الدائرة وكل قسم من
 الكراسي امامه مائدة مستطيلة وفيها كل كرسى بفروداة وأقلام لما يحتاجه صاحب
 الكرسي وكل كرسى عليه عدد مخصوص مرسوم عليه بلون مخالف للون الكرسي وفي
 أعلى البيت محيطه من جهاته الالجهة التي بها الرئيس روايات يجلس بها المتفرجون
 ولصاحب الملك بيت بازاء محل المتفرجين ياتيه اذا أراد كماله كرسى في المجلس واما وظيفة
 المجلس فسيأتي الكلام عليها ثم رحلتنا من رومة وقصدنا ليو فورورا كبرى بين الرتل فاذا
 يقرب رومة آجراما كدة في المساء وفيها من البقرشي كثير مسرح هنالك للاهالي
 بدون حراس مخصوصين لكل أحد بل على المكان قيمون يوثق اليهم بالبقرويس وتدع
 هنالك الى وقت احتياج أصحابه ومنه مالا مال له فيتم ناسل هنالك وتبيع منه الدولة
 لمن أراد الشراء ومررنا في سيرنا على مرسى يديشى تافيكيا التي هي أقرب مرسى طليمانية الى
 رومة قاعدة الماسكة وفي آمال همدس - بهم ان يفتحوا خليجا من تلك الجهات من البحر
 ليصل الى حدود بلاد رومة لان الارض هنالك منخفضة وبه ينصلح الهواء من تعفن
 المروج التي يركد فيها الماء واستمر الرتل سائرا يقرب الشاطئ الى ان وصلنا الى ليفورنو
 في الساعة الثالثة قبل نصف الليل بعد مسير احدى عشرة ساعة وقد وقف الرتل في

المسيرة عند ما وصلنا الى جسر على أحد الأنهر حيث أن فيضان النهر هدم الجسر فترانا من
الزل وعبرنا النهر مشاة على أخشاب ضيقة والحال أن النهر عرض الوقت ليل والمطر
نازل ثم ركبنا رتلا آخر مهيا في الناحية الأخرى من النهر - رآني أن وصلنا الى ليفورنوا إذا
هي بلدة واسعة الطرق نظيفة هامة قننة التحصيب والتبليط بحجارة منحوتة مستوية وبها
قاييل من البطائح آت الوسيعة أشهرها ما تسمى بياص دي كافور وكافور هـ - ذا وزير
إيطاليا الذي جـ د في وحدتها الأخيرة فرسم تمثاله بتلك البطحاء وسميت به وكذلك
البطحاء الكبيرة ويخترقها خندق به ماء البحر وعليه جسور هـ - ذا الخندق كاد أن
يكون مخترقا لجميع جهات البلد وذلك لفائدتين الأولى هي أن البلد أرضها مسجحة مدينة
فذلك الخندق تجذب اليه المياه مما حوله ويحصل جفاف الأرض وما أخرج من ترابه
الكثير عات به أرض البلاد والثاني أن البلد كانت من أهم مراسي التجارة لاعفائها من
الاداء ترغيبا في عمرانها فكثر فيها الساع وتحمل في القوارب وتسير في تلك الخنادق من
السفن الى الخزائن اذ ماء البحر بالخندق عميق وبخارجها على الشاطئ منزه عمومي تمتد
نحو ميلين به حدائق الاشجار والانوار ومغاطس من البناء أو الخشب على البحر وقهاوى
وملاهي تنتدبها الناس زمن الصيف من أهالي البلد وغيرهم والطاريق للسارة وسبع
بدا وعلى حده قصور شاهقة ذات منظر جميل امامها الطريق ودونها الحدائق ومن
ورائها القهاوى والملاعب والمغاطس ومن ورائها البحر وهي في الصيف ليل الاونه سارا
منزه مريح ويسمى ذلك المكان البسانا ويرت ما رى وفي البلد خزنة للماء مسقوفة
ببناء ضخيم شديدة النظافة حتى يرى الرائي في قعر الماء مع عمقه كتابة على الحجر ببنية
والماء في غاية الصفاء مع اتساع الخزنة ومحل اسد تقرار الماء منقسم على عدة أقسام
فيدخل الماء المطلوب من عين غزيرة الى أحد الأقسام الى أن يمتلئ ثم يخرج منه من
أسفل الى قسم آخر ثم منه من أعلى الى قسم آخر وهكذا بحيث أن كل قسم يكون محمولا
ولا يخرج منه الا بقدر ما دخل فيه لتصفية الماء وتروقه حتى لا يخرج الى عموم البلد الا
بعد انتهائهم تروقه وهاته البداة موقعا على البحر وهو غريبها وهي من المراسي الشهيرة
للججارة والحرب وقد بئها مينا ما منا للسفن ذات حوضين قيل أنفق عليها مائة وعشرون
مليوناً فرنكا وبها مرافق للسفن ولا نشائها ولما وصلنا الى البلد وجدنا الوزير حسين الذي
قصدنا البلد لاجله غائبا في فيريديسا فيمتدأ بدار سكناء حيث كان تابعه هناك ثم وادعت
صديقي الشيخ سالم أبو حاجب حيث كانت مأمو ريته هناك وركبت بكري ايلة وصولنا

قاصدا الوزير المذكور في بلاد فيرنيسا وأقيمت غالب رحلي وأحدثت في هذا لاحتتمال
 المودفمرنا في الزل ثلاث ساعات وكان حول ليفورنوبعض غياض ليست حسنة جدا
 ومررنا على بالديرة منساخ علم الطب سابقا فاذاهي من مدن ايطاليا الشهيقة ويخترقها
 نهرو حوله منارة وقد انفردت هاته البلدة بشيئين أولهما أغرب شئ من مبانى العالم
 وهو الصومعة الوحيدة المسائلة فان هاته الصومعة يراها الناظر ما تلة ميلا كليا الى جهة
 الجنوب حتى يخالها انها ساقطة لا محالة وهى ليست بمرتفعة جدا و بناؤها من حجارة
 منقوشة ومرمرودرجها كل في قطعة واحدة من المرمر وهى في وسط بطحماه قرب كنيسة
 واسفل قاعدتها ماثل أيضا غائر في الارض من جهة المبلان ومرتفع من مقابلها و قد
 اختفيا النقل في سبب مية لانها ثقيل انها بنيت كذلك وهو من مهارة صناعها
 ومعرفتهم بفن الاتصال وقيل انها بعد ما بنيت انخفضت بها الارض من احدى جهاتها
 فالت وعلى كل ف سبب عدم سقوطها هو عدم خروج قطر محيطها بالية لان عن مركز
 قطبها والحاصل انها من عجائب المناظر وقيل ان ميلان أعلاها عن مساواة أسفلها
 أربع مية تروات ومثلها في المبلان صومعة أخرى خارج البلد جهة الشرق لكنها
 ليست في اتقان الاولى ولا في ارتفاعها وقد بنى حولها بناء ملاصق لها لتوقع سقوطها
 وبقي أثر المبلان ظاهر او ثمانى الشيشين الغربيين الكنيسة وهى ليست بكبيرة ولا لكنها
 كثيرة النائق والرواق سيعا من ظاهرها و زيادة غرابتها في الصدى الذى يحصل فيها من
 الاصوات اذ يدوم فيها الصدى ويعتلى على وجه خارق للامتداد والسبب فيه شكل البناء
 وطلى الحيطان وبعد أن جاوزنا بيزة بدلت الارض غير الارض التى عهدنا منظرها في
 البلادنا و مررنا عليه من كيفية العمران واتصاله واتقانه ولا يوفى الوصف والقلم
 بتصويره ونقر به وبالجمله فليس ان كل قطعة من العمران لم نعهددها بل عهدنا مثلها
 ولنا قطع تضاهى أفراد تلك القطع سواء كانت في البساتين أو في القصور والى بها أو
 في اثار الارض وتعجيرها لكن الذى لم نعهد لنا هو اتصال ذلك العمران وامتداده
 وتماثله الى ما لا يحيط به البصر مع تحسين جهات الاتصال العامة فانها تحدث من
 ذلك هيئة اجتماعية لها اعتبار زائد فوق اعتبار قطيعات منفردة وان بلغت من
 الاتقان ما بلغت ثم وصلنا الى فيرنيسا فاذام وقف الزل بها جيل انيق واذا بالبلد
 وسعة لكان طريقها القديمة ضيقة وأما الجديدة فواسعة شديدة النظافة وتهديب
 أخلاق السكان والحضارة ويخترقها نهرا على جانبيه رصيف منقوت وفي مجرى الماء

عرضا عوارض مبنية لمحصر الماء لكي يكون عمقه حدا محدد ودون أن يمتد ذلك خبر بر
عظيم له دوى وعلى جانب النهر منزه عمومي ممتد أزيد من ميل وبه فتارات وحدائق
وانوار وفي نهاية المنزه عند مآقي النهر المذكور مجدول صغير بطحاها بقبة من رخام صغيرة
بلا حيطان مرفوعة على اسطوانات جيدة رخامية عالية على الارض وبوسطها صويرة
محسمة من الرخام لاحد امراء الهند الشبان وملونة بلونه ولون ثيابه الرسمي وكان ذلك
الامير ساٹھ في أروبا بعد زيارته لما كتبه الانكليزي من داور بالمالحل بغير بدسامات وكان
محبوسا في أرسات عائلته مكلفا انكليزي بالرسم صورته في ذلك المثل الذي أحرق جنته
فيه على عادة الجوس ودفن رماده تحتها وكان من عاداتهم ان مكان الاحراق يكون
في هاتين نهرين فاندك فعل به ذلك هناك وجعل على ذلك المثل قيم ووقف وكان ذلك في
عشرة التسعين والمائتين وألف وفي حدود البلدة من الجنوب منزه آخر في جبل مرتفع
منزه جدا ذو بساتين وقصور وطرق وسبعة سملة لصعود بالكراريس وفي منتهى
ارتفاعه بطحا وسبعة ذات مصاطب ومنازه وبقرى بها كنيسة قديمة مرسعة المحيطان
من خارج بالرخام الابيض والاسود تقصدا بالفرج وجلة ذلك الجبل منزهة ولما صعدت
الى هناك أحسست بهر شديد لارتفاعه واهل الزمن ومن أحسن ما بالبلدة قصر القارية
الذي به بيت أعاب حيطانه من البوار وهو قصر ضخم وبه من التصاوير المرصومة
في الخرق المنسوجة مع الذبج وفي الورق شيء كثير وكذلك الجسدة من الحجر والنحاس
وقال بعضهم أن مجموعها مليون من التصاوير كلها في غاية الاتقان تعني لها المصورون
من الأساقف لتقليدها ومما بها من التصاوير صور الملوك من جميع الآفاق في اعداد
مختلفة ومنها صورة محمد باشا الأول والي تونس ويتصل هذا القصر بقصر سكى
الملك عند استقراره الحكومة هناك وهو قصر كبير ليس بغير أصله لاحد السكان
فاشتري منه لاستقرار الملك وهو لا زال مشغلا على جميع المرافق مثل ما تقدم في قصر
نابلي ومن غرائب البلدة ارتفاع قبة كنيسة بها مبنية من ظاهرها بالرخام الابيض
والاسود على أنف صناعية وبها من الاسطوانات الجيدة الالاصقة بذلك الرخام ومن
النقش الغريب فيه ما جعلها من اتقن البناء آت وارتفاع القبة مائة وستة عشر
ميتر ووبازائها صومعة جيدة ارتفاعها سبعة وستة وعشرون ميتر وهي في البناء على نحو
الكنيسة وبالجهة الغربية منها صومعة أخرى أعلى منها ومن القبة أيضا وبالبلدة عدة
ملاهي حسنة وقد اشتهر البرد في هاته البلدة بالنسبة لما اعتدناؤه وقد أقيم بها ضيفا

عند صديق الوزير حسين النوبسي وترجمة هذا الوزير باختم صار هو رجل من
 الجرا كسة أتى الى تونس وسنه دون العشرة فر بي في سرية الوالي حسين باشا وأدخل
 الى مكتب المهندسين العسكريين فحصل مشاركة جيدة في النحو والادب والفقه
 ومهارة في الفنون العسكرية واجادة للغة الفرنسية ثم وظيف في عساكر الخيالة
 بمعية أميرلائها اذ ذاك خير الدين باشا وسافر معه الى فرنسا في خصام محمود بن عباد في
 ولاية أحمد باشا ثم ولى رياسة المجلس البلدي بحاضرة تونس وأحدث في الحاضرة
 اصلاحات عديدة في ولاية محمد باشا ثم عنده ولاية الصادق باشا ولى رئاسة مجلس
 الخيايات ومستشارية الوزارة الكبرى وعضوية المجلس الخاص والمجلس الاعلى ثم
 استعفى من الجميع عنده ايقاف القواني ورجل الى أوروبا وساح سياحات وسبعة اذ كان
 قبله يعرف أكثر مالكا أوروبا كالمانيا والدنمرك والسويد وهولندا والبلجيكا وإيطاليا
 وفرنسا وانه كاتره والجزائر والاسنانة في سفارته منفردا ومع خير الدين باشا سفير عن
 الوالي المذكور وعنده استعفاة المذكور ورجل الى المغرب واسبانيا والتمسا والوسما
 وأمريكا ومصر والمجاز ثم استدعته الحكومة عنده ولاية خير الدين وزير امير باشا
 هو وغيره من ابناءه واعدوا في مستشار في القسم الثاني من الوزارة ثم سافر الى إيطاليا
 لخصام ورثة نسيم في حساب مورثهم مع الحكومة التونسية كما تقدم وأقام بليفورنو
 حيث مات المورث ولا زال في الخصام الى الآن ثم لقب بوزير الاستشارة ومستشار
 المعارف وهو ذو اخلاق كريهة وصفات عظيمة ومعارف وسبعة وفصاحة مريعة له عدة
 رسائل في كثير من المسائل وكانت اقامتي عنده في فيرينسا في احدى منازل المسافرين
 الضخمة قرييما من النهر واجتمعت بأشهر حكماء البلد المسمى شيف وبعد ان استقرأ
 تقرير المرض واستخبر النجم أشار الى في مضمون كلامه ان المرض ليس بمخوف كما انه
 من الامراض المزمنة وانه يدافع بترتيب المعيشة في الكل والمساكن وارتياح الفكر
 والبدن والابتعاد من هواء البحر وحسن سكنى الجمال وان كثرة الادوية مضر قليل
 الجدوى ولقد صدق ثم طالبت تلغرافيا ببقية رحلي وتابعي وسافرت قاصدا باريس مارا
 على تورين للاستراحة به سافر كينا الزتل صبا حاورنا في الوهاد نحو الساعة على
 ذلك المنظر البديع ثم تصاعدنا في الجبال وكان للزل حيلة ثم خرجت ان ومهما ازدنا
 تقهدهما في الارتفاع الا وازداد المنظر بهجة ورونقا الى ان انتهينا في الصعود فكان
 منظر اتراح له النفوس ويجلي عن القلوب كل بوس ياله من جمال وبالله من
 بدائع

بدائع صنع بكونه وبخلافه بأعمال الرجال فافترى البهيجة منشرة على مدا البصار
والاشجار تمتد أغصانها لتناول الدراري من الافلاك تتخللها بقايا قد انثرت
منها من الثمار اذ قد اسدعت عن خضرتها الزبرجسدية بالولوج اليها قومية
والارض والجبال قد بسط عليهما بساط الفضة الزلال مع الاتقان في تنضيد الاشجار
وانارة الارض بالحرق وقد فلق المياه من ينابيع العيون وسيل أمياه الثلوج المذابة
المندرة في جداول ثم نهيرات ثم أنهر متجمعة ولا يسير الرتل نصف ساعة الا ويقف على قرينة
نضرة وتارة يمر حذور واشن القصور وأخرى حول سطوح الديار وطورا ترى البادان
تحتك في أسافل سافلين وهكذا ناطر بديعة مختلفة تتوالى كل لحظة ثلاث ساعات في
الجبال وعلى الاجمال أن السهوف في جمال أورو بالمتمعة نة ذات العمران ليس له من لذة
عندى توازيه سيما مع الركوب في الرتل في الطبقة الاولى في محدد مع منفرد للخص
وأصحابه وعلى الخصوص اذا كان معه صديق يساجله في سائر المقاصد فان ذلك من نعم
الدنيا الكبرى ومن هناك تجبت عنا الشمس بكثرة الا بحفرة المتصاعدة من الجبال
والثلوج ثم نزلنا الى الوهاد بعد ان جئنا في الجبال صعودا ونزولا خمسة وأربعين نفقا فمنا
ما يسير فيه الرتل عشرة دقائق ومنها ما يسير فيه دقيقتين وكل نفق مظلم ويشد بخلاعه ويحف
حسب طوله وبعد ان سرنا في الوهاد نحو ساعة وتكاثرت زلزال الشج وصالنا الى بادبولونيا
وهي بلدة ضخمة لكن أبنيتها وطرقها ليست بحسنة سيما القديم منها وأغلبها على ذلك
القصونهم بها تزهات نزهة وأغلب الطرق يحفها يمسوشمما الارواقا لشدة حرها صيفا
وشدة بردها وكثرة ثلجها شتاء فتتقى المسارة بتلك الارواقات وفيها موقف للرتل عظيم
جد لانهم مناخ لتجارة لتوسطها بين بقية عمالكا ايطاليا وسويسرة وفرنسا والتمسا
والمسانبا فترد اليها الارقال من الجميع ونزلنا في الموقف وتعدينا في محل الاكل هناك
وكان وقوف الرتل نصف ساعة ثم سرنا الى تورين في ذلك المنظر ايهيج المنبسط على الوهاد
لكثرة اتقان الزراعة وانارة الارض ومبهرها وكثرة الابنية في الاراضي الزراعية كل
ذى أرض له فيها بناء مع تحسين شكله وتزيين ظاهره ومع ذلك منظر الجبال في الجبال
ايهيج وعندما أراد الابل أن يسدل حجابيه تبدى وجه الغزالة المحمر من برقع السحاب على وجه
الافق فياله من منظر يديع يشهد للبارى تعالى بحسن الصنيع وماودعنا نور الشمس
الا بعد ما استخلف ضياء البدر المنير اذ كان ذلك أواسط شهر ذي القعدة فتنفض الافرغ
والنواحي ببريق البدر وكان جمال الابل مزهرا في تلك المناسط الجميلة لعمرة الى أن

وصلنا الى موقف الرتل بتورين بعد نصف الليل فاذا بذلك الموقف أبهى وأبهج وأضخم
من جميع ما رأينا سابقا واستمر سير الرتل من مبادئ متعلقات الموقف الى ان استقر فيه
أزيد من عشرة دقائق فكنت ترى فيه المزجيات والمركبات منبثة في جميع الجهات
مائة لا ركنها والرتل وارد وصادر من كل أوب ومحل نزول الركاب هو ساحة عظيمة
مرفوعة سقفها على أعمدة من الحديد المستطيلة من قضبان من الحديد مرفوعة فيها
الزجاج والفوانيس موقودة بالغاز تضئ كالنهار فاسترخنا في بيت الجلوس الى ان نزل
رحلتنا في الكرك وفعلوا في تفنيسه ما فعل في البلدان السابقة ثم ركبنا أحد الكراريس
الكبيرة المعدة لنقل الركاب الى منازل المسافرين لان كل منزل كبير له كرايس كبيرة
تسع الواحدة ثمانية من الركاب فافوق تعاملهم من المواقف الى المنزل والعكس
وذهبنا الى المنزل فلم نجد لاثنا فانتقلت الى منزل آخر حسن وأقت بهاته البلمدة
يومين وهي مصر عظيمة ذات اتقان في الابنية والمساكن والطرق ومن خصائصها
أن طرقها تكاد أن تكون كلها متقابلة تتقاطع على التريبع بزوايا مستوية كما أن من
سماها ان طرقها تكاد أن تكون كلها محفوفة برواقات يمينها وشمالها قائمة
ستقفها على أعمدة من البناء أو الحجارة المنحوتة ولا يمشى الرجل الا تحتها وفوقها ابنية
القصور والمسكن والبيات تفتح ابواب الحوانيت والديار وغيرها وأواسط الطرق
للركاب أو العابر من جهة الى أخرى وأعظم بطاحتها البطحاء التي امام قصر الملك وهي
متسعة جدا في صدرها القصر الملكي وعلى جانبيه مساكن للعساكر والجهة الرابعة
قبالة القصر في وسطها طريق كبير يروعن يمينه وشماله ديار ومنزل المسافرين
الذي نزلنا فيه وفي وسط البطحاء فوارات وأول ما رأيت لترموى في هاته البلمدة وهو
مركبة ذات عجالات صغيرة من حديد تجري في صفحات من الحديد غائرة في الارض عمدة
مع الطريق الى نهاية ما يريدون ايصال السير اليه ويجرها انسان من الخيل وله في
كيفية ادارتها عند الوصول الى نهاية الطريق كي ترجع الى المكان الذي ابتداءت منه
كيفية فاحدها ان في محل الادارة يكون وقوفها على دائرة من الحديد ذات قطب
تدور عليه بسهولة فساد الدائرة تدور المركبة وثانيتهما ان المركبة تكون مقدمها
ومؤخرها سواء فعند بلوغ النهاية من الطريق تحل الخيل الجارية من تلك الجهة ثم
تربط من الجهة التي كانت مؤخرها وتسير المركبة راجعة الى المكان الذي ابتداءت منه
وثالثها ان تكون الصفائح التي تجري فيها العجلات في نهاية الطريق مرسومة على نحو
دائرة

دائرة متسعة فتدور بها الخيل الى أن تعود الى الطريق الذي جاءت منه وكل كعبة من هاته في طريق خاصة وبالدخاض وسبب اعمار هذا الطريق هو لتسهيل جمل المركبة على كبرها اذ يركب بها نحو العشر بن تسعة في داخلها وعلى سطحها نحو نصفهم ولا يجبرها سوى فرس - بن وهي وسيلة كبرى لترخيص اجرة الركوب وسهولة الانتقال فيقف في مراكز معلومة كما تقف لكل من يطاب الوقوف للركوب أو النزول ويؤدي الاجرة زهيدة نحو ثلاثين سائيم أي ثلاثين من خزنة الفرنك الى مائة - هذا اذا كان المكان نهارا وما اذا كان قريبا فبنصف ذلك المقدار والقرب والبعيد على حسب اتساع البلاد وامتداد ذلك الطريق لكن القريب على كل حال لا يقصر عن الميل وهاته البلدة بها نهر عظيم ومنظره خارج البلدة يروج وبقرية في احدى تلك الجهات منزعه موحى كبير تروى جبل به أما كن لالا كل والقهاوى وقصر الملك حسن جدا وكبير متسع موزق في تزيينه بالذهب والالوان وبه جميع فرشه وحوائجه وقد كانت هاته البلدة هي قاعدة ملكة الساردو الذي استولى على جميع ابطالها واتحدت أخيرا تحت ملكها وبها خزنة للمكتب عظيمة جدا وعند مادخاتها اعلمت كبر الفرق بين أهالى هاته البلدة وأهالى نابلي فان الثانية لمساخات خزنة كتبهم المجدد الا أفرادا لا يتجاوزون جمع القلة وهاته المساحات الى خزنة كتبها وجدت ما فعمه عتبات من الرجال وقليل من النساء كل منهم من كتب على المطالعة في كتاب ولا تجد حسا الواحد الا همسا لكي لا يشوشوا على بعضهم فن مطالع ومن مقابل ومن ناسخ ومن مفسر والكتاب بين يديه فعملت اربأهالى هاته البلدة معارفهم أوسع وسوقهم اليهم أروع وذات الخزنة كتبها أكثر مما رأيت - سابقا وبها مصاحف كريمة ذات خطوط أحجية أنيقة مذهبة ومونقة للغاية القصوى ولها صناديق ووجهها وسقفها من الزجاج مقفولة لحفظها ولا يحالها الا القيم عند التاكيد ففتحها الى وتشرفت بها ثم رحلنا من هاته البلدة قاصدين باريس في مرحلة واحدة ولما كانت المرحلة بعيدة آثرت كراه مخدع في الرتل ذي فرش ومسترأح ولزم لذلك اعلام مدير الرتل من قبل وقت الركوب لكي يحضره على الصفة التي نريدها ولكي يعلم موقف الرتل في حدود فرنسا باحضار مثله في رتلهم حيث ان كابل يفتعلون هناك من الرتل الطالبا في الى الرتل الفرنسي فركبنا في الساعة الثامنة بعد الظهر لم يلا في مركبة ذات مخدع له ثلاث مساطب فرنسية احريرة وكل مسطبة تنفتح فتستطيل الى أن تصير فراشا له وسادة وقد اخترت ما بحيث يكرن الراكب فيها مواجه الى جهة السير لان عكسه يورث لي

دورا وفي وسط الخدع باب يدخل منه الى محل ذي مستراح في أحد جهتيه ومقابل له محل
ذو أنبوب للماء ينفتح وينغلق بحرى منه الماء وذو اناء ينزل منه الماء المغسول به وبه
مرآة بحيث يستطيع الانسان التوضي هناك واصلاح لبس ثيابه وفي الخدع أيضا امرأة
ومائدة تنفخ من جهة الحائط الموالي لمحل المرافق حتى ان الانسان يقضى هناك جميع
حاجاته بغاية الراحة وانما رفعة انما من ساديل الوضوء وبنت ابنة العرفة القبلية في
صندوق صغير من الخلد فيه بعض الثياب ومناديل الانف واذا حان وقت الصلاة نصلى
بالاتبع سوى ان الانباع ينزرون الى جهة غير القبلة ومثل هذا الاطلاق يتحرى الانسان
في الركوب مع الرفقاء لكي لا يكون عابيه مخرج فيه ما يريد كما انه اذا حان وقت الاكل
ووقف الرتل في إحدى المواقف على البالد ان تنزل الى محل الاكل فتجده فيه الوان الطعام
والفواكه فتشترى ما تريد وتحمله الى مخدعنا لكي تأكل بالاستراحة اذا الاكل في المواقف
يلزم أن يكون طابعا لا خوف سفر الرتل والرتل ولان كان يقف بعد كل نحو نصف ساعة
أو ساعة على البالد ان غير ان وقوفه لا يطول الا بقدر ما ينزل الركاب القاصدين تلك
البلدة ويركب منهم غيرهم أو أخذ المزججة الماء أو الفهم أو ابد لها غيرهما اذا تمت ساعات
نوبتها بحيث ان المصصة أطول لساعات مرقائق (أما في وقتي العشاء والقطر فيقف الرتل
نصف ساعة أو يزيد قليلا ويعلم الركاب جميع ذلك من المنادى الذي ينادى عند
وقوف الرتل ورافع صوته بقوله بلد كذا أو يسمى البلد الذي وقف عليه وكذلك مرقائق أى
يقف كذلك مرقائق ويفتح الابواب للركاب فينزل من يريد النزول ولو لقصاء ضرورة
ويرجعون على محل واستقر بنا السير الى أن رصنا الجبال المنبسطة الشاهقة وطقق
الرتل بحرى بين صعود ونفوذ في انفاق واحد بعد آخر الى أن جاز في نفق اسقى في الجرى
فيه خمسة وعشرين دقيقة غير أنه دون السير المعتاد وهو أطول نفق في أروبا وصناعتها من
بحائب صناعة الهندسة اذ هذا الجبل واقع في الحديد بين فرانسا وإيطاليا فاحتمته الشرقية
الجنوبية الى إيطاليا والشمالية الغربية الى فرانسا ولما أرادوا وصل الطرق الحديدية
اتفقوا على حرق الجبل فجعلت عملة كل من الخمسين تشتمل من جهتهم وبعد الاشتغال
بضع سنين اتصل العامة لمون بعضهم ببعض على خط مستقيم والحال ان طوله تسعة أميال
تقرى باوتنور فيه فوانيس لاوتنار او يقيم به حراس لئلا يقد الطريق ولهم مساكن
معدومة وأما كن وسبعة لوضع الضروريات التي يحتاج اليها اصلاح الطريق ومراكز
لكالكهروا والرتل لا يدخل الا اذا رأى علامة الحارس بالاذن بالدخول وبينها

كناساترين فيه واذا برتل آخر مقبلا من فرانسا اذهب الى ايطاليا فمنا كسين
مقناذين مع اشتداد دوى الجملات والصدى والظلمة ودمعة السيرة فكان منظرها انلا
واشتد البرد هناك اشتدادا خارقا لعادة حتى ان بخارا النفس كان يجده على شاربى
وزجاج طاوقى المخدع كان ينجده مدعا به بخارنا الى أن يمنع الضوء وينكسر بالتكسبر
قطعا كالجليد وأيقظتني شدة البرد من النوم مع التردى بالثياب الثقيلة الصوفية وأحدها
مستبطن بجملد الفراء العالى وفي المخدع فتوات من الخحاس ملائكة بالماء الخارج جدا
مافوفة في خرق من الصوف ومنه ما وصلنا الى بلد مودان أول موقف الرتل من جهة
فرانسا نزلنا لالة قال للرتل الفرنساوى وابتهدا الامر فيعيا شاهديته بفرانسا فله مد
الاكن لبقية الكلام على ايطاليا فاني عدت اليها ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م
وزدت معرفتي بالبلاد ان التي ستذكر وهي ابرندزى التي هي أكبر المراسى جهة
شرقى ايطاليا ولها ما من حسن وحضون وبقية البلاد ليست الا قرية محمولة على
لوازم اهلها واقمت بها ليلة ثم توجهت الى بارى وهي مرسى أيضا دون الاولى
واكتمها أكبر منها بلادا وأحسن حضارة سيما بالبنية الجديدة التي لها اتقان في
انتظام الطرق وسعتها واقمت بها ليلة ثم توجهت الى بولونيا وقدمت كرها وجميع
ما مررنا عليه كان في غاية الجمال والانتظام في الزراعة وكثرة الشجر من الزيتون المهر
جميع تلك الارض مع بعض فلال أخرى شتى وجميعها يسقى بالنواعير من الآبار بإدارة
الدواب جيرا وحيلا وبغالا وكذلك القرى كانت كثيرة مثمرة وحيث كان مرورنا وقت
الحصاد صيفا كنا نرى جميع الجهات مشغولة بأهلها فبعضهم يحصد الزرع حتى الذى
تحت أشجار الزيتون وآخرون يتبعونهم بسقى الارض وفي أمهرهم آخرون يشيرون
بالحرث ماجف من الارض وهكذا بحيث لا تبقى الارض مدة يوارا ويرعون في بعض
الجهات اذ ذلك بقولا بحيث يصح ان يقال ان الجهة الشرقية من ايطاليا اعمر من
الغربية وبعد اقامتي ليلة في بولونيا توجهت الى قرية منتهكا تبنى التي بها مياه
معدنية عليها حمامات تهرع اليها الالهالى صيفا لنفع المياه وفيها شئ من النخسين
غير أنها شديدة الحرارة كتمناها بالجبال المخورة بالقرى والأشجار ذات الغلال الصيفية
والمحاصل ان الجهات البعيدة عن البحر صيفا في أوروبا هي مساوية أو أشد سوا من
شمال أفريقيا ويستدعب الركب في الرتل من الحرارة انه ان فتح الطواقى اسود لونهم
وربما أوديت عيناهم من الدخان والغبار بسرعة الرتل وان أغلقها حبت عليه نار لنظى

وحالة البلدان في البحر كما مر ولذلك لم نطل الإقامة هناك وتوجهت إلى ليفورنو التي هي على البحر كما سبق وبقيت بها حتى توجهت منها إلى سفيرة ثم عدت إليها مارا على مدينة ميلانو التي أعيد فيها إذ ذاك معرض عام لمصنوعات إيطاليا ومخلوقاتهما فاذا هي أي ميلانو أجل بلاد إيطاليا وأكثر حضرة وانفردت بالسوق المسمى الغلارية الذي هو في غاية الجمال والهيبة ومن غرائبها أنه توجد قبته الوسطى بمنزلة عمرة على طريق حديدية امرأة الإيقاد للبخار الغازي وهي بمنزلة صغيرة نحو ذراع طولا وأما المعرض فهو واثق من معرض باريس إلا أن ذكره وانما هذا أصغر بكثير وخاص بتملكات إيطاليا وشاهدت فيه تجربة جازل بالقرية الكهربية السارية في قضبان طريق الحديدية لكن التجربة أفادت أنهم لم ينفوا المراد لمحصل الوقوف أحيانا عن غير اختياره لكن بلغني فيما بعد مدانه تم أمره في ألمانيا وصار مستغلا به

فصل

❖ (في تعريف إيطاليا) ❖

(اعلم) أن إيطاليا تقع من أدور بالجنوبية وهي شبه جزيرة في البحر الأبيض تنصل من جهتها الشمالية بالقارة فيجدها شبه الجزيرة الشمالية الشرقية في الشمال الشرقي في الشمال الغربي في فرنسا وفي الغرب والجنوب البحر الأبيض وفي الشرق بحر البنادقة وهي على شكل مستطيل من الشمال إلى الجنوب يميل إلى الشرق على هيئة شبه جزيرة ذات عقب ومهاز وقبالة منتهى أصابع القدم جزيرة صقلية المسماة الآن بسيسيليا يفصل بينهما ما خليج صيق يعرف بخليج ميسينا وتبتدي من الشمال من عرض ستة وأربعين درجة وأربعين دقيقة وتمتد إلى الجنوب إلى عرض سبعة وثلاثين درجة وخمسين دقيقة من العرض الشمالي وتبتدي بجهة الطول من باريس من الدرجة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة إلى ستة عشرة درجة وخمس دقائق ونهاية طولها نحو ألف ميل وذلك من جبل مون بلان إلى رأس سبارتيقنتو وأما عرضها فيختلف جدا فمن جهة الشمال نحو ثلاثمائة وستين ميلا ومن جهة الجنوب نحو مائة وخمسين ميلا وفي بعض الجهات الوسطى نحو أربعين ميلا فقط ولها عدة جزائر أشهرها وأكبرها جزيرة صقلية وجزيرة سردينيا ولها قرب تونس جزيرة بنزلة لها في ذات شطوط وسبعة جدا وبها كانت دولتها ودولة بحرية وأما جبالها ففيها عدة سلاسل فمنها جبال البوا وجبال البنين

وجبل

وجبل كورنو وهو أعلاها وارتفاعه على سطح البحر ٩٥٢٠ قدما وجبل فيلانيو وفيها
عدة جبال بالسكانية منها ما انعدم وصار عوصا عن فوهة النار بحيرات مثل بحيرة وسجين
وبرسيانو وبنا كلها في الجبال وأما الباقي منها بالسكان فهو جبل الفوز وفيه رقب نابلي
الذي ارتفاعه ١٢٠٠ ميتر وجبل اتنا في سيسي ميليا وارتفاعه ٣٣١٣ ميتر
والثلج دائم عليه وجبل الترنبل في جزائر ليبري ويطن ان بين هاته الثلاثة منافع تحت
الارض وبقرب نابلي عدة جبال تقذف بخارا كبريتيا وتسمى سلقثار وبقرب ليفورنو
جبل يقذف بخارا مائيا ويسمى سوفيونى وأما انهر هافيسى كثيرة لكنها لا تنظم جدا
لقربها من البحر وأعظمه انهر بوالفاصل بينه وبين النمس وانهر تير الذي يجري الى رومة
ونهر رافو السار على فيرينساو بينة واديج جهة ولاية الترو لوالا التابعة الى النمس وغيرها
وكما لا تحمل السفن الا القوارب الصغيرة سوى الاول فانه يحمل القوارب الكبيرة وان
كان السيف فيه صعبا لوجود جزائر رملية به نعم ان نهر اديج يحمل السفن من بلاد ترنتو
الى البحر وبها أيضا ترعة صغيرة أشهرها التبعة التي بين بينة وليفورنو تحمل القوارب
الصغار وكذلك التبعة الموصلة بين نهرى التيفر وارنو وبها أى ايطالية عدة بحيرات
منها المسماة لاغوما جورى أى الكبرى وكومو وغارداوايكو ولوغانو وايزيو وأما
هواؤها فهو جسيم في كل الجهات الا في الجهات الوسطى حيث توجد مستنقعات الماء
المسماة بوتيئين فانها يحدث منها امراض عامة في الصيف لاهالى البلاد ومنها رومية
كما تقدم وتوجد تلك المستنقعات أيضا قرب فينسيا وقرب نهر بو وفي ولاية كلابريا الجنوبية
ولا زالوا يحتج دين في ازالة تلك العوارض فان بلاد ليفورنو كانت من أشد الاماكن
وخامة لذلك السبب وكان أهلها قديما ينجسها فاجتمعت في ندواتي نشيف الماء ورغبوا في
هملتها حتى أعفوا الساكنين بها عن كثير من الضرائب وصارت الآن لا بأس بها وأنها
كبيرة الهران بتمتد بها الناس صيفا من كثير الجهات العليا من شمال ايطاليا فانها ممتدة
جيدة وكذلك جهات نابلي وجزيرة صقلية والهواء فيها على الاجمال مائل الى الحرارة معتدل
والصيف في جنوبها يطول واذ اذهب ريح السموم فعات بها من المضرة بالحفاف ما تفعله
بتونس وأما شمالها فهو الى البرد اميل وأمانتها فينبغ بها المحبوب من القمح والشعير
والذرة في جهاتها كلها والبساتين والسكر وري الذي يصنع منه الخمر الجبال
والسكان والقطن والقوة والعنب وتنفرد الجهة الجنوبية بالبرد قان والموز والخيل
والهندي أى التين والشوكى والتبغ وقصب السكر وان كان النخل لا يشهر التمر وتنفرد

(٣٠)

الجهة الشمالية بالارز والزعفران والقسط والحبة الخلواء والجوز كما يعم بها الزيتون
والنخيل والكثيرى والااجاص والتوت والتين واللوز والفردق وعروق ريب السوس وبها
عدة آجام وغابات غير انما فى الجهة الجنوبية معها - ملة وغير منتظمة واشجارها متفرقة
وانواع هاته الاشجار هى الصفصاف والدردار وغيره مما تقدم ذكره فى غابات تونس
(وأما حيواناتها) ففيها الخيل لكنها قليلة واحدها فى فينسيا وما حولها ومنها نوع قصير
جد او حشى يوجد فى جزائر مرديانيا ومنها البغال وأكثرها فى الجهات الجنوبية وكذلك
الحمر ومنها البقر والمعز والضأن بقلة والجواموس والخنزير ودود الحمرير والفحل
والسمك بأنواع شتى فى الانهر والابحار ومن الحيووانات الوحشية الضبع والثعلب
والذئب والخنزير البرى وبقر الوحش والذئب (وأما الطيور) ففيها أغلب ما فى القطر
التونسي وتزيد بالنيران بأنواعه وأكثرها فى اللون بين السود والبياض وهو أكثر
ما رأيناه فى البرارى وهو ثقبيل الطيران وحجمه أكبر من النجل وأصغر من الدجاج وفيه
أنواع حضرية كبيرة ولها ألوان جميلة مفضضة ومذهبة كما توجد به الحشرات التى توجد
فى الاقاليم الحارة سيما فى الجهة الجنوبية غير انما ليست بشديدة الخبث بالنسبة للحشرات
أفريقية ومن غريب حيواناتهم نوع من الكلاب يربى عند قيسيين فى جبل صان
برناتوفى الجهة الشمالية الدائم فيه العجى ومن خصائص هاته الكلاب انه اذا اشتد
البرد وحدث زوايع فالق قيسيون يمدحون كلابهم وفى عنق كل واحد اناصه غير معاق
مملوء بشئ من الارواح المسكرة المحادة وله انبوب ينفتح فنذهب تلك الكلاب وتروى
الجهات لعلها تنجس انسانا على شفا الهلاك من البرد فتقرب منه وتمكنه مما يوقتها الى
يسخن به فان استطاع بعد ذلك الذهاب معها الى على محل أحصا بها وان رآته لم يتبعها
ذهبت لاصحابها وأعلمتهم بهيئة خاصة حتى يتبعونها ويخلصون الانسان من شدة
البرد فتفترق الكلاب على ذلك النحو وتكون سيدة النجاة من تطفه ربه وهؤلاء
القيسيون لا يبيعون من اناس هذا النوع ليكون خاص بهم (وأما ما يدعى) فليس
فيها معدن كثيرة ولا غنية سوى شئ من النعم المحرى فى النوسكانه وقرب مسكنة من
سيبيليا ونوع من الطين يشعل بعد التعفيف مثل الفحم المحرى وفيها زيت البترول
أى النفط وفيها الحديد بكثرة فى عدة جهات منها الميسارديه ومرديانيا وسيبيليا وكلا بريا
وجزيرة الباسا وفيها الفس في جبل لمبارديه وفي فينسيا والباوتوسكانا وفيها الرصاص
أيضا فى عدة جهات والزاق والزنيكرو ومعدن انتونيو ومعدن مغنيز والسكريت
وأعظمه

وأعظمه في سيبيريا قرب الحدود التي سينا وهو الذي تشتغل منه جميع أوروبا وفيها من معادن الحجارة كثير وغنى فيه الرخام الأبيض الشفاف الذي تصنع منه التحف والمرمر الأحمر والرخام الأسود والبرسالان والطين الملون والمرمر الرقيق والرخام الأبيض المعتاد وفيها سبائك عديدة للحلج ومعادن الحديد والفضة والذهب الذي يشغله الصاغة وفيها مياه معدنية كثيرة أهمها في ولاية البجمنت وولاية فينيديا وولاية انوس-كانا وفي نابلي وأشهر الجميع منية كاتيني في التوسكانة (وأما مدن) هاته المملكة فقاعدتها رومنة التي أخذت سنة ٧٥٣ قبل التاريخ المسيحي وموقعها كانها متوسة هة بين الجنوب والشمال في المملكة وتغرب إلى الشاطئ الغربي وقد تقدمت صفحتها وقد أنقست هاته المملكة إلا أن باعتبار الإدارة إلى اثنتي عشرة ولاية كبرى ليكمل منها عدة أوطان فينقسم جميعها إلى تسعة وستين وطناً كل وطن له مركز من المدن ويعرف باسمه فاما الولايات الكبرى فمن ذكرها بأسمائها ونذكر عدد أقسامها فقط بدون ذكر لأسماء أبادان الأرياف النائية لطول الكلام وقلة الجدوى فالأولى من الولايات البجمنت وقاعدتها تورينو وسكانها ٢١٥٠٠٠ وبها أربعة أوطان وثانيها لمبارديه وقاعدتها ميلانو وسكانها ٢٦٣٠٠٠ ولها ستة أوطان وثالثها فينيديا وقاعدتها مدينة فينيديا التي أغلب طرقها الخلعان بحرية يمرون فيها بالقوارب وسكانها ١٣٠٠٠٠ ولها تسعة أوطان ورابعها ليفوريا وقاعدتها جنوة وسكانها ١٣٠٠٠٠ ولها وثمان وخامسها أميليا وقاعدتها بولونيا وسكانها ١١٦٠٠٠ ولها تسعة أوطان وسادسها توسكانا وقاعدتها فيرنا وسكانها ١٧٦٠٠٠ ولها سبعة أوطان وما تقدم كله جهة الشمال ثم في الوسط وسابعها ماري وقاعدتها انكونة وسكانها ٦٦٠٠٠ ولها أربعة أوطان وثامنها لومبريا وقاعدتها برورز وسكانها ٥٠٠٠٠ ولها وطن واحد وناسها لانسو وقاعدتها رومنة فاعده الجميع وسكانها ٢٤٥٠٠٠ ولها وطن واحد ثم في الجنوب عاشرها نابلي وقاعدتها نابلي وسكانها ٤٠٠٠٠٠ ولها خمسة عشر وطناً وحادي عشرها سيبيريا وقاعدتها باليرمو وسكانها ٢٢٠٠٠٠ ولها سبعة أوطان وثاني عشرها ميرانيا وثختها كالاري وسكانها ٣٣٠٠٠٠ ولها وثمان (وأما مراسي) هاته المملكة فهي كثيرة فتنها جنوة في الشاطئ الغربي ثم إلى ثم يأتي بها جنوابعلى الترتيب الآتي وهي اسبانيا ثم ليفوريا ثم شيفي تافيكيا ثم نابلي ثم كستالاماري التي هي أعظم الكل لاشتهالها على عمل كبير لا فمن ولو

(٣٢)

المدرعة ثم ميسينا وهي في الجنوب وهي حربية تجارية تم تارفة وفي شاطئها الشرقي على بحر اليونان ثم مرسى البرنديزي ثم انكونة ثم فينيسيا وها على بحر البندقية فهاته هي المراسي الكبيرة وهناك غيرها كثير (وأما الاهالي) فعددهم على ما تحرر ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م تسعة وعشرون مليوناً وهم في الاصل من أبناء الاصليين وهم من الامم الذين ارتحلوا الى هناك من المشرق والشمال في اوقات مختلفة ولكن صاروا بالاسم جزءاً واحداً بضم مع سمرة قليلة له حسان تسمى الخافقة أهل جد في الشمال وأهل الشمال منهم تقدمت فيهم الحضارة أكثر من أهل الجنوب إذ أهل الجنوب والوسط لازال فيهم أناس على سذاجة تترب من النوحش وكلهم على الديانة النصرانية على المذهب الكاثوليكي الخمسة وثلاثين ألفاً فهم على مذهب البرية ستمت وثلاثة وعشرون ألفاً من اليهود ومن الاهالي ستون ألفاً من جنس الارناؤوط

فصل

(في اجمال تاريخ ايطاليا)

مطلب

(في تاريخها القديم)

(اعلم) ان أول ما سميت ايطاليا بهذا الاسم حسب ما وجد بنواريخ الرومان الاقدمين في أواسط الالف الثانية قبل التاريخ المسيحي نسبة الى ملكها أحد العائلة التي أتت من المورواة - ه ايطاليا وس وقد كانت من قبل ذلك تسمى ساتورينا وكانت مسكونة بأهم أصليين اسمهم أبوريجان ثم وفدت عليهم أمم في أزمان مختلفة من اليونان وأهل الشمال وغيرهم وابتدأ فيهم ملك الرومان العظيم من المائة الثامنة قبل الميلاد وكان منشؤهم في ملكة رومية التي هي قطعة من ايطاليا وامتد شيئاً فشيئاً وتكاملت أو صاف الفخر في الرومان تدريجاً في المائة الثمانية والثالثة قبل الميلاد ثم اتحد تاريخ ايطاليا بتاريخ الرومان الى أن تسلط الرومان على غالب المعمور المعروف اذ ذاك تحت تسلط الدولة الجمهورية الرومانية ثم أبطلت الجمهورية وأحدثت الامبراطورية التي يلقب صاحبها بالقيصر قبل الميلاد بثلاثين سنة ودامت ساطنة عظيمة مع الانقلابات والحروب الى أن انقسمت في سنة ٣٩٥ مسجعة الى ساطنة غربية وهي الاصلية وساطنة شرقية مقرها

في

في سورية وآسيا الصغرى وما والاها وأصحاب هاته هم المذكورون في سورة الروم وهم
المعنيون بذلك اللقب أي الروم والسلطنة الغربية التي مقرها إيطاليا تخربت وتسلط
عليها أمم متعاقبون ثم دخلت تحت سلطنة المشرق ثم افتكها منهم أمة لومبارد لكن
بقي للمشرقية بين الجهات الجنوبية وكانت تسمى السلطنة اليونانية أو الأخرقية أو
الرومانية ثم انخرمت أيضا وتأسست تسلط البابا في رمية من ١٠٤ هـ سنة ٧٢٢ م
لكنها ما سلمت حتى ودعت فاس تولى الفرانكيس على قسم من إيطاليا وقوم النباردي
استولوا على قسم والسلطنة اليونانية على قسم وبقي البابا تحت ولاية الامبراطور
شالمان ملك فرانسا وعبرها ثم استقلت إيطاليا وكان لها تاج خاص ووقعت انقلابات
وانقسامات الى أن جرد ملك البابا ٤٦٦ هـ سنة ١٠٧٣ م وتم ذلك في ٥٢٦ هـ
سنة ١١٣١ م حيث تأسست مملكة الصقليين واضطربت بقية السلطنة اليونانية
وعبرها وصار ملكها جبري والاول تابع للبابا ثم ثارت الثورات في عدة جهات وانقسمت
إيطاليا إلى أقسام بعضها هاجه وجرى وبعضها ملكي وتعاقبوا على رومية مقر سلطنة البابا
ونفوذها وحدت في الجنوب مملكة صقلية التي كان المسلمون استولوا على جانب كبير
منها بعد ورهم البحر من تونس واستولى فتح قسم منها القاضي الامام أسد بن الفرات فقد
كان جامع بين علوم السياسة والحرب والشرع وتوفي هناك رحمه الله ثم بعد مدة تغلب
النصارى عليها كما أن الجهة الجنوبية أيضا انتشأ بها مملكة نابلي ثم رجع البابوات الى
إيطاليا من نفهم الى فرانسا سبعين سنة ولم ينفع الاهالي في إبعاد الاجانب من الاستيلاء
عليهم مع الجهد فيه وتعاطفت سر وب فرانسا واسبانيا على الاستيلاء على إيطاليا الى أن تم
الأمر الى اسبانيا ٩١١ هـ سنة ١٥٠٥ م ولم يخرج عليها الا البندقية ثم تقهرت
اسبانيا هناك تدريجا ثم تغير الحال في حروب نابليون الاول امبراطور الفرانكيس أوائل
القرن الحالى هجرى وأدى الامبراطور على إيطاليا أخاه ثم صهره ولم يبق خارجا منها
الاصولية تحت حكم أحد عائلة البربون وكذلك سردانيا تحت حكم أحد عائلة ساقويا
ثم عقد سقوط الامبراطور المذكور ١٢٣٠ هـ سنة ١٨١٤ م انقسمت
إيطاليا الى سبع ممالك كل منها مستقل وهي مملكة رومية تحت حكم البابا الرومى
والملى ومملكة سردانيا تحت حكم عائلة ساقويا ويقع الجزيرة قسم من القارة
الشمالية الغربية ومملكة الباردة تحت ولاية امبراطور النمسا ومملكة بارمة تحت
ولاية نسا ل امرأة نابليون الاول ومملكة مودينا تحت ولاية دوك من عائلة امبراطور

(٣٤)

النمسا وملكته توسكانا تحت ولاية دولته من تلك العائلة أيضا وملكته نابلي وبقيةها
صقلية تحت ولاية أحد عائلة البربون

مطالب

﴿ في تاريخها الجديد ﴾

اعلم ان دولة الساردواحدى الملكات المذكورة قد أسست القوانين والحريّة
الشخصية ومشاركة الأمة في السياسة الحكيمه من عهد شارل البرت المتوفى ١٢٤٧ هـ
سنة ١٨٣١ م وكان من هممه استتقلال إيطاليا واتحادها تحت علم الحرية لكنه
لم يصادف رجالا ذوي همم تعين على المقصود الى أن تنازل عن الملك لولده فيكتور مانويل
١٢٦٦ هـ سنة ١٨٤٩ م وكانت دولته لها التقدير من جهة القوة
المعنوية لانهم سادات قوانين وحرية عادلة وان كانت ملكته نابلي أعظم قوة صورية
وأما بقية الاقسام فلا كان منها تحت النمسا حسا أو معنى فإلاها الى نافرون منه وان كان
بعضهم له الحرية والقوانين كما أن ما كان تحت البابا كان يجري فيه الظلم بحسب
الشبهوات فدام الحال على ذلك الى ١٢٦٩ هـ سنة ١٨٥٢ م حيث وقعت
الحرب بين الدولة العثمانية والروس باوتعاضدت فرانسوا وكاتر في اعانة الدولة
العثمانية وكان ملك دولة الساردوا كورماكا عاقلا واسما تنوزر وزير اذاداء
وفطنة وهو كافور وكان يأتمنه ويثق ادا الى نصائحه كما ان الاها الى لهم اعتماده على صدقه
ووفائه بحقوق الوطن وكان فيه من الاهلية ما أعانه على اتحاد إيطاليا بتدبيره وسعيه كما
سيتلى عليك فقد عمل الجهد واتفق مع فرانساء على اعانة الدولة العثمانية في الحرب
المذكورة وأرسل رسلا كره البالغة اثني عشرة ألفاوسه فنه مع قوات الدولة الكبيرة
وكان ذلك أول خطوة لاطالبا في الدخول في زمرة الدول العظام في العصر الاخيرة ثم بعد
وقوع الصلح وقع الاتفاق بين دولة الساردو ودولة فرانساء على اخراج ما يريد النمسا من
إيطاليا وختمه الى دولة الساردو على أن تعطى هاته الى فرانسوا طنى ساقوى ونيس
الاذان هـ ما في حدود فرانساء جهة إيطاليا حول الشاطئ بدعوى أن أصاها من جنس
الفرانسييس وأسس نابليون الثالث ملك فرانساء من ذلك الوقت قاعدة اتحاد الجنسية أى
ان كل جنس من البشر له حق الوحدة في اننشائه دولة مستقلة اذا كانت فيه أهلية لذلك
وساعده على هذا المقصد كون ملكه فرانساء كما اجنسهام متحد فرانسواى فلا يخشى على

ملكته

ملكته من تلك القاعدة كما ان مستعمراتها يدعي ان ليس لاهلها اهلية لدعوى الوحدة وعند حصولها لهم لا يمنعونهم من ذلك وعند اشهاره لها ته القاعدة وارادته الاعانة على انفاذها في العالم كان عقلاء الفرانسييس معارضين له فيها ومن أشهر المضادين له تيريس ذو الشهرة بالثدي وبروالسياسة وكان يصرخ في مجلس الندوة ان هاتيك القاعدة تؤل بالوبال على فرانس الامن حيث المخوف من تفرق اهلها لانهم من جنس واحد ولكن من جهة تقوى جيرانها كإيطاليا والمانيافان الجار اذا كان ضيقا فخاره القوي يكون آمنا منه بل يكون له النفوذ فيه بخلاف الجار القوي فانه يأبى الضيم ويقع معه التشاحن المؤدى الى الحرب التي تجعل عاقبتها فضلا عما تستلزمه من الخسائر المحققة في الدماء والاموال غير ان صراخه لم يثمر شيئا لان دولة فرانس في مدة امبراطورية نابليون الثالث ولان كانت قانونية شعورية ظاهرة فانها في الباطن استبدادية في السياسة العامة وكما سير يده الامبراطور يتم غرضه فيه ولذلك أعلنت دولة فرانس اباطاب النمسا أن تسلم في الولايات الطليانية لدولة الساردو وأعلنت الحرب لذلك وتعاضدت فرانس والساردو على حرب النمسا وحدها وقد كانت أنشئت جمعية أهلية طليانية تسمى جمعية وحدة إيطاليا تحت رياسة رجل منهم شهير بالشجاعة وحب الوطن وهو كاري بالدي وتسمى كرتخته كثير من المتطوعين الطليانيين من جميع جهات إيطاليا وأعلنوا الساردو والفرانسييس واستعرت الحرب وكان ملوك الدول الثلاث في معسكراتهم وان كان قسم وحدة إيطاليا كله تحت رياسة امبراطور الفرانسييس واتخذت النمسا موقع الصلح المسمى بصلح زوريك نسبة للبلد التي امضيت فيها الاثر وطوبى لمنضاهاه سلم امبراطور النمسا في ملكة لمباردية الى امبراطور الفرانسييس وهو احوالها الى ملك سردينيا كما سلم له هذا في ولايتي نيس وساقو باو ذلك ١٢٧٦ هـ سنة ١٨٥٩ م وبثما كانت الحرب مستعرة في ميادين لمباردية واذا بجمعية إيطاليا ثارت من جميع الجهات منادية بالوحدة تحت رياسة كاري بالدي الى ملك الساردو فلما الملك الشمالية فعقد واجماع في عدة مدن للتدبير في أمرهم واستقر أمرهم على الاتحاد ورضيت به الامة فالتزع ملوكهم طوعا وسمت ملكهم الى ملك الساردو (وأما) الجهة الوسطى وهي ملكة رومية فخرج منها ولايتان اتحدتا مع بقية إيطاليا وبقيت مدينة رومية وماتبعها للبابا لان الفرانسييس أبى على الساردو اذاية البابا بحيث ان الزهبان لهم نفوذ على العائلات العالية في فرانس والامبراطور يتقى جانبهم فالزم السارد والحيدة عن البابا وأرسل الفرانسييس الى رومية لحماية البابا من

ثورة رعاياه فسماهن العساكر الفرانساوية واسطولا على مرسي شيفي تايفيكيا (وأما الجهة)
 الجنوبية فناراهلها أيضا ونادوا بالوحدة تحت راية كاريبالدي ثم وردت لهم عساكر
 الساردو واشتدت الحرب مع ملك نابلي الى أن قهر وفريهار باوغت وحدة ايطاليابذلك
 ١٢٧٧ هـ سنة ١٨٦٠ م وقبل فيكتور امانويل الثاني الملقب بملك ايطالياباغيرانه بقي
 خارجا عنها بقية مملكة رومانية وولاية فينيسا التي تحت النعمان امبراطور الفرانسيس
 في الحرب المار ذكرها استعمر بان الروسياتريد الاعلان بالحرب ضده اذا طالت المدة فجعل
 بايقاع شروط الصلح متعنتا بهرجة النصر بما أمكن وبذلك وحماية البابا لم تتم منه
 الفرانسيس على ايطاليان ثم ابتغت على قاعدة الوحدة الجنسية المار ذكرها دعوى المانيا
 التي كانت اذ ذلك تحت رئاسة النمسا الحق في الاستيلاء على ولايتي الهولستين
 والشولسويغ اللتين هما من جنس الالمان ولايتهما كانت بالوراثه راجعة الى
 ملك الدانيمرك وأجرى فيها قواين مملكة الدانيمرك فادعت المانيا بلزوم اخراجها
 ونحوها بالمانيا وأعلنت بسبب ذلك الحرب بين دولة النمسا صاحبة الياسته ومعهادولة
 البروسيا التي هي أكبر دول المانيا وبين دولة الدانيمرك الصغيرة واستغاثت هاته بكار
 دول أوربا وكانت دولة انكلترة مع مصاهرة عائلتي الملكين منها وبين الدنمرك مسلمة
 بالحق للدانيمرك ومتيقنة بان حرب المانيا معها مضرب بالاشارة بالموازنة الارو باروية
 حتى قال اللورد بالمشة تور كبير وزراء انكلترة اذ ذلك ان هاته شرارة أقيمت في أوربا
 لا تلبث أن تشتعل منها نار اغيرانه أحجم عن العمل لان فرانس كانت مخالفة له ومضية
 لقاعدة الوحدة فاشتد كالحرب بين المانيا والدنمرك وغابت هاته في أقرب وقت
 وأخذت الولاياتين منها غيرانه اشتد النزاع فيما بعد بين النمسا وبروسيا وذلك أن المانيا
 كما تقدم في المقدمة منقسمة الى عدة ممالك وقد كانت الياسته عليهم امتداد دولة بين دولتين
 النمسا والبروسيا حسب السطوة والاقدار واستقرت منذ مدة الياسته بيد النمسا غير أن
 الدولة البروسية بانية طائفة من ذلك ولم تساعفها الاحوال للفرض وقد كان ولي عليها
 ملك عاقل ذرخيرة وتبصر بالعواقب وهو افريدريك الكبير فاعطى الحرية للاهالي
 من نفسه ومن ذلك الوقت أخذت بروسيا في التقدم واتساع المعارف وكان من قوانينها
 ان الاهالي كلهم تجب عليهم الخدمة العسكرية حتى انهم في وقت الحرب يكونون كلهم
 عساكرو وبذلك صارت دولة حربية قوية أيضا غير انها مع ذلك لم تساعفها النظر في الحالية
 لانفاذ مقصدها في الاستيلاء على الياسته الالمانية الى أن تولى الملك غليوم الملك الحالي
 فاستوزر

فالسوفورر جلاذا تجر في السياسة يجد في العمل وهو الامير بزمرك وكان الملك تامر بلا
 بافكاره حتى حصلت له ضريبة من بطانة الملك وأهل بيته بل ومن مجالس نواب الامة
 أيضا عند ما رسم بوجوب الزيادة في القوة العسكرية اذ علم انها الوسيلة لانتهاء الامل
 مع حسن اجراء السياسة في الداخل والخارج لكن الملك لم يقبل فيه قول قائل لسيره
 لافكاره ومقاصده حتى انه لما خالفه مجالس النواب أمر بحمله وانتداب الامة الى
 انتخاب غيره ثم خطا على سياسة وزيره وبقي الوزير في خطته وعمل بمسارعه ثم وقعت
 الواقعة المشار اليها مع الدانيمرك وكانت دولة بروسيا أو عزت الى فرانسا استحسن
 قاعد الامبراطور نابليون الثالث في وحدة الجنسية واطمعتها بغزو لدولتسا عدها
 ولومعني فقط على ابعاد النمسا من بقية المانيا كما أن بزمرك أو عزت الى بقية ممالك
 المانيا للتغفير من رئاسة النمسا عليهم لانها ليست من جنسهم خاصة بل هي
 مركبة من أعضاء متعددين وليس الالمان فيهما الا جزأ من الاجزاء ودام اغراء
 صددوهم الى أن أثرفهم ثم أشد التأثير ثم حصلت المنازعة بين النمسا والبروسيا على
 الاستيلاء على الولايتين المأخوذتين من الدانيمرك وفي أثناء النزاع أغرت البروسيا دولة
 ايطاليا بالاعاضدة معها لاجراج بقية ايطاليا من تحت النمسا فاعلمت الحرب بين البروسيا
 ومعهما ايطاليا وبين النمسا فكانت النمسا غالبة لايطاليا لكنهما لم يلبوا غلبة ايطاليا
 لبروسيا واذ ذلك لأن البروسيا كانت اخترعت نوعا من المدافع من أسلحة
 ويثور باروده بان دفاع البروة من أسفل المدفعية ويسمى هذا النوع المدفعية ذات البروة
 وكان أبدا رمي وأسرع انطلاقا من النوع القديم بكثير فكانت عساكر النمسا يصيبهم
 رمي مدوهم المتوالي كالطارد افق من غير أن يصيب ردهم عدوهم ولو بواحدة وكان
 صف العساكر يخرم منادفة من قبل أن يتمكن من رمي عدوه الى أن ضجت عساكر النمسا
 ولم يكن لهم من وجه للتخلص الا عقد الصلح بما طلبته البروسيا ومن العجب أن ذلك
 السلاح كانت عساكر البروسيا مقدمة ومحاربة به للدانيمرك عند معاضدهم مع النمسا
 ولم يلفت اليه أحد اذ ذلك ولا تهيمات النمسا لمقابلة فوق الصلح ١٨٨٣ هـ سنة
 ١٨٦٦ م على أن البروسيا تتولى تلك الولايتين وتدخل فيها أيضا ملكة الهانوفر
 والساس ودوكا توناسو وبادفون كنفورت الحرة وان تخرج النمسا عن رئاسة العصبة
 الجرمانية بالبروة وتبقى ممالك جرمانيا فالشالي منها داخل تحت رئاسة البروسيا معقل
 بادارته والمحذرة في منها له معاضدة مع البروسيا لكن ليس داخل تحت رياستها تماما الى

أن وقعت الحرب مع فرنسا كماله يأتى في محله كما تضمنت شروط الصلح أيضا تنازل
النمسا عن ولاية فينيسيا إلى امبراطور فرنسايس وهو سلمها للطليان وذلك لأنه هو الذى
تدخل بالصلح عند ماراى فظاعة تفهم فرنسا ثم لما انتهت فرنسا فى حروبها مع المانيا
١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م واضطرت الى انراج جيشها من رومة ثم اتحاد ايطاليات بحل
مدينة رومة تحت الملكة فدخلت ساجيوش الملك فيكتور امانويل والثائرون بعد محاربة
ضعيفة من عساكر البايابوني البابا حاكم روم على الكاتوليك واتحد الحكيم السياسي
للملكة ايطاليات يبق خارجا عنها سوى صان مرينواتي أهلها نحو خمسة آلاف نسمة
فانها ستمتلكة بنفسها وكذلك صان بيتر ووهى كنيسة رومية الكبرى والفاثيكان وهو
محل استقرار البابا وبقيت قطعة أخرى على شاطئ البنادقة العليا الحاوية لمدينة ترست
تحت يد النمسا وفي نفوس الطليان بين الدعوى باستحقاقها ثم ان المزبة في ذلك الاتحاد
واثن كانت الى الملك فيكتور امانويل لاجرائه للقوانين في مملكته حتى أحبه سائر ايطاليات
وفاز بالشهرة بذلك وزيره كافور لهارته وحزمه في ادارة السياسة العامة وجاب المساعدة
من الخسارج وتقديم الاهم فالاهم لكن الامة الطليانية أيضا الخط الاوفر من ذلك الفخر
حيث هيأت نفسها واستعدت لانفاذ ذلك المراد بفتح بصائر ها وتمييزها السقيم من المستقيم
ومعرفتها بما يؤول لخيرها حتى كانت قد عقدت لذلك الجمعيات السرية في أقطار المملكة
وتواصل المخابرات بينهم في الاستعداد وغرس حب الوطن والفكرة من الضيم ومن تلك
الجمعيات الجمعية المسماة بالفرمسيون التي نهاية سعيها نشر الحرية من غير اذابة لاحد على
شروط عنددهم وتعملت تلك الجمعيات مصاعب كبيرة في عدة جهات ومع ذلك لم يفترو
عزمهم وآثروا النفع العام على حظوظهم الشخصية الى أن وجدوا يد المساعدة من دولة
الساردو المستعدة لمسير ومونه فنادوا بها من جميع أطراف المملكة وكان كاري بالدى
مظهر وجود تلك الجمعيات التي كانت تنفق على متطوعيه كاتفاق دولة على عساكرها وذلك
الزعيم لما تم مقصد ايطاليات ارامت الدولة مكافأته بترقيته في الرتب العالية فاحتسب عمله
لفخر بلاده وأبى قبول شئ ما مع احتياجه ومن أهم مصادات البخت وجود قادة
فابليون الثالث المارذ كرها ويقال انها مؤسسة منه قصد الانه يدعى بانه كان من أعضاء
الفرمسيون وانه لما كان منفيا بايطاليات اوعده بجماعته بالمساعدة اذا تولى ملك فرنسا
وامانتها لها اعتبار عظيم لانها كسرت سورة النمسا ذات الشأن فلوم تقع مساعدة فرنسا
لمكانت النمسا اول مخضعة للشوكة الاتحاد ولو أنها ترى الحرب لاجل ذلك مع غيرها
(كناية)

كنا بلي مثلاً) لانها تعلم ان المال بالضررة لها حسب ما قيل أقسم فتحكم فنة فرانسالا تنكر في ذلك لان احياء الاممة بعد الانذار وتقلب الدول العظيمة عايم الا يمكن بدون مساعدة دولة ذات شأن واقة تدار كبايمنة الاستقراء ومن غرائب ما سمعته من جهة عدلوم الحدثان * هو أن نابليون الثالث زار ايطاليا لاثرائها امانته لها وفي مسامرة الوليمنة التي أعدت له من ملك ايطاليا كانت امرأة بحوز من الاعيان حاضرة فاخاتت بالامبراطور مع بعض الاعيان المقربين اليه وقالت له هل وجدت ما قلته لك صدقاً فقال نعم فقالت لمكن ما أدرى كيف الحال في الباقي ففسطها وفض الجاس فسلها أحد الحاضرين عن معنى كلامها فقالت انها تعلم نوعاً من الحدثان وانها كانت أخبرت نابليون مدة هروبه بايطاليا قبل ولايته على فرانساجميع ما يقع له ومنه أنه يخلع بعد حرب وقد جان وقتها ولذا قطع الكلام وقد رويت هاته الحكاية عن ثقة قبل حرب فرانساجبروسيا ١٢٨٧ سنة ١٨٧٠ م فلم يطل الزمن حتى كان الامر كما ذكرت والله أعلم بكيفية علمها بماذا كرفان بعض أنواع ذلك الفن لا يتوقف على صلاح ولا على دين بل كأنها هوصناعة وفي مقدمة ابن خلدون كفاية لبيان ذلك (وأما اسماء ملوك ايطاليا) فان لها الاثن مائة كان فقط (الاول) فيكون راما نويل الثاني ابنه امبيرتو (وذلك) لتقرب العهد بالانقياد نعم ان الملك الاول كان ملكاً على الساردو وهو من عائلة ساقويا التي لها سروخ في الملك والامارة من قديم

م طلب

في الادارة الداخلية

(أعلم) ان الادارة عندهم منقسمة الى كائتين (الاولى) هي ما يتعلق بالادارة العامة (والثانية) ما يتعلق باجراء الاحكام الشخصية (فكل) منهما ادارة مستقلة عن الاخرى ولا دخل لها فيهما وكل من الادارتين راجعة الى رئيس الدولة وهو الملك فدولة ايطاليا دولة ملكية توالى فيها ادارة السياسة العامة داخية وخارجية ورياسة القوات الحربية برية كانت أو بحرية وعدد المعاهدات والحرب والصالح ورياسة الاحكام الشخصية وتنفيذها ملكية لا يتصرف في كل ذلك الا على مقتضى قانون مرتب مع لوم ومخلص كتاباته ان الملك يتصرف في جميع ما تقدم بواسطة الوزراء وهو ينتخب الوزير الاول أى صاحب رياسة الوزراء ويكافه بأن ينتخب هو بقية الوزراء ممن قوتت فيهم مشروط

الاهلية وبعد اختيارهم - مع عرضهم على الملك وهو يوظفهم - في وزاراتهم - وهي وزارة الداخلية والخارجية والمال والاحكام والتجارة والمعارف والنافعة والديانة والحرب والبحر وقد يتقدم رئيس الوزراء - لدى تلك الوزارات مع الرياسة - وقد يجتمع بين صفاها كالتجارة والنافعة والمعارف وكل وزير له حدر في ادارته يكون هو المسؤول عنها (وهناك) مسائل تجتمع فيها المسؤولية على الجميع وما يستقر عليه رأى الوزراء منفردين أو مجتمعين بمضيه الملك وان لم يره يعرضه على انجاس الا كتيه انما فان وافقوا الوزراء امضى الملك وان خالفوهم وأصر الوزراء على رأيهم لزمهم الاستعفاء وينتخب الملك غيرهم كما انه اذا وافق الملك الوزراء وخالفهم المجلس فللملك الخيار ان شاء انتخب وزراء آخرين وان شاء حمل المجلس واذن العامة بانتخاب غيره من حقوق الوزراء الحضور في مجلس النواب والاعيان المناضلة عن أعمالهم ثم وراء أعمال الوزراء بحاسان (أحدهما) يسمى بحاس الاعيان ووظيفة أعضائه هربية وينتخبهم الملك من عموم أهل المملكة الاعيان وأعيان المتوظفين وجميع أعضاء العائلة الملكية اذا بلغ الرجل منهم إحدى وعشرين سنة ولكن ليس له رأى وصوت يقبل الا اذا بلغ خمسة وعشرين سنة ولذلك لم يكن عدد أعضاء المجلس محصورا وكان مقتضى قواعدهم أن يكون من أعضائه كبراء الديانة لئلا يكتسبه لما كان البابا مضاد الملك ابطا حيث نزع منه السلطة الملكية كان جميع رؤساء الديانة مضادين للحكومة الطليانية ويرونها طامعية فلا يتدخلون في أمرها بل لهم سعي في ابطالها واعادة سلطة البابا لئلا يكون العقلاء منهم الذين يؤثرن نفع الامة وعموماء على حفظ نفوسهم - لمون ما ذكرنا هرا فقط فيما يوافقهم الديانة وأما باطنهم فهو مع الدولة (ووظيفة) هذا المجلس هو الرأى في الاحتماب على أعمال سائر المتوظفين وفصل النوازل التي يقع فيها الخصام بين المتوظفين مما يرجع الى الوظيفة واستحسن أو استقباح ما يرد من مجلس النواب بحيث لا يعضى شئ من ترائبه الا بعد مصادقة مجلس الاعيان عليه وهو الحسام في الجنابات السياسية (والجلاس الثاني) هو مجلس النواب وأعضاؤه منتخبون - من الاهالى من عموم المملكة فكل قسم من المملكة ينتخب عددا على قدر عدد سكانه بأن يكون على كل خمسة وثلاثين ألف خمسة عشر وواحد بشرط في الذين ينتخبون بأن يكون كل منهم - مذكرا طليانيا بلغ من العمر خمسة وعشرين سنة وان يكون غير محجور عليه وان يعرف القراءة والكتابة وأن يكون مؤدبالا - دولة أربعين قرنا - كافي السنة من أى طريق كان من أنواع الاداء وستثنى من هذا أقسام لهم امتياز

امتياز بالعلم والتجارة فلهـم الانتخاب مطلقا كما يشترط فحين ينتخب لان يكون عضوا أن يكون طليانيا وأن يعرف بالرشد وأن يبلغ ثلاثين سنة وأن لا يكون متوظفا له مرتب من الدولة نعم يقتصر في الشرط الاخير اذا لم يبلغ عدد أهله في المجلس قدر الخمس ووظيفة هذا المجلس هي المحافظة على القوانين الموجودة وتغيير ما يرى تغييره وتحرير ميزان الدخل والخارج وترتيب كيفية توزيع دخل الدولة على الاهالي والا حاسب على جميع أعمال الدولة ويوجد مجلس آخريةـ هي مجلس الشورى ينتخب أعضاؤه الملك من أعيان الموظفين ووظيفة هذا المجلس هي اعطاء الراى فيما يعرضه عليه الوزراء من المسائل وتتميز القوانين لتعرض على من له قبولها من المجلس ثم ان تنفيذ جميع الاعمال مناط بالوزراء وهـم المسؤولون عما يقع من الخلل بمباشرتهم أو بواسطة من يعينونه للمباشرة في الوظائف ومسؤوليتهم لمجلس النواب والمجلس الاعيان فهذا هو ترتيب تصرفات الدولة (وأما) الادارة في الولايات فقد تقسم ان الملكة منقسمة الى اثنتى عشرة ولاية كبرى وكل منها لها أقسام حتى صار مجموعها تسعة وستين ولاية ثم الولايات في ذاتها لها (أقسام) صغيرة وهاته تحتها أقسام أصغر منها فلكل ولاية وال معين من الدولة وله مجلس يسجيه الملك ومدة وظيفتهم ليست محدودة وأموريتهم هي تنفيذ أوامر الدولة وتنفيذ ما يستقر عليه رأى مجلس الولاية الا فى ذكره ولم يتم التدبير فيما يصلح بولايتهم وامضاءه بعدهم وافقة المجلس المذكور عليه وفى كل ولاية أيضا مجلس أعضاؤه ينتخبهم الاهالى لمدة خمس سنين ويبدل خمسهم كل عام وعددهم على حسب عدد سكان الولاية لكنهم لا يتجاوزون الستين نفسا فيما اذا كان عدد السكان أزيد من ستمائة ألف وينقصون ان كان عدد السكان أقل ومدة اجتماعه مرة فى السنة تدوم على قدر الحاجة وهـم أموريتهم هي تعيين المقادير اللازمة لمصاريف مصالح الولاية كتهديد الطرقات وبناء المسود والمكاتب والمستشفيات وتحسين البلدان وغير ذلك وأول ما يعترف بمقدار الدخل المقدر الذى يحصل من الاوقاف العينة لمصالح الولاية ثم ما يزيد عليه من المصاريف يوزع على الاهالى على نسبة ما يدفعونه لادخيل الدولة ومن وظائفه أيضا تعيين حدود الولايات وتغييرها فيما يبدى الحاجة الى حسب ما تقتضيه المصلحة (ويوجد) فى كل ولاية (ايضا) مجلس مركب من الاعضاء المنتخبين من تلك الولاية لمجلس النواب العام وأموريتهم مستمرة ماداموا أعضاء للمجلس النواب وادارتهم هي قبض وصرف المبالغ العينة من المجلس السابق بواسطة والى ومجلسه ولم يتم الاطلاع على سائر أعمال المجالس

والمصالح المدارة في ولايتهم ثم ان كل وطن تحت الولاية فيه نائب عن الولى مأمور به
 الاحتساب على أعمال المجالس البلدية الا في ذكرها أو يقاس ما يراه من أعمالهم
 مخالفا للقوانين وانهاؤه الى الولى ثم في كل جهة وبلد مأمور من الدولة وله أعوان مكلف
 بحفظ راحة السكان وحراسهم من الجناسيات والمساخران وهم المعروفون بالضابطية كما
 (يوجد) في الاوطان أقسام من العساكر ومكاف بكيفية أخذ العساكر من الأهالي على
 مقتضى القانون (وكذلك) يوجد في كل بلدة قرية أو مدينة مجلس بالادلة تتجاوز أعضاؤه
 الستين نفسا في البلدان الكبيرة وينقصون في غيرها على حسب كبرها انتخبهم أهالي
 البلدة خمسة سنين كما تقدم في غيرهم وشروط انتخابهم كشروط مجالس النواب بنقسان
 في شرط مقدار الآداء للحكومة ومأموريتهم ما يتعلق بمصالح بلادهم والاحتساب على
 الضابطية ومدة اجتماعهم مرتان في السنة أو عند الاقتضاء يتم انتخابون منهم لجنة لا تزيد
 أعضاؤها على ستة ولا ينقصون عن أربعة بحسب عدد سكان البلد تحت رئاسة شيخ
 البلد لاجراء المصالح المتفق عليها في بقية السنة ومن حقوق صاحب الملك أن يوافق
 جميع المجالس المتقدمة ذكرها إذا رأى ما يوجب ذلك بشرط أن ينتخب غيرهم هو وفيما
 يرجع الى انتخابه ويدعو الامة الى انتخاب من يرجع الى انتخابها في مدة لا تتجاوز
 الثلاثة أشهر وفي مدة التعطيل يكلف الملك من يجرى المصالح التي ترجع الى المجالس
 المعطل وتكون عليه مسؤولية ما يجريه ولا يزل صاحب وظيفة الاعن ذنب أو نقل لغيرها
 فهذا كله في القسم الاول من الادارة وهو الادارة السياسية (وأما) القسم الثاني
 وهو الادارة المحكمية فان في كل بلد مجلس يحكم في الحقوق الشخصية ثم في كل قاعة
 من قواعد الاوطان مجالس لتحقيق الاحكام الصادرة من مجالس أحكام البلدان الراجعة
 الى القاعة عند ما يطلب الخصم تحقيق الحكم (ويستثنى) من ذلك النوازل الصغيرة
 ثم وراء ذلك مجالس آخر تختص بمشاكل مجالس التحقيق اذا طلب الخصم ذلك أيضا في
 نوازل معينة ثم في كل بلد مجلس للجناسيات المخفية ومجالس للصالح يدعوا الخصوم اليه
 وأحكامها ته المجالس يستمدون فيها الى قوانين مرتبة عندهم عقابية مستخرجة من
 عدة قوانين قديمة للرومان واليونان وغيرهم موصلة للحقوق الى مستحقها على ما يرونه
 وزاجرة عن الجناسيات ومراع فيها حالة البلد وأخلاق الأهالي وعوائدهم وأساطيرهم
 ومجالس النواب يغبر من قوانين الحكم ما تدعو المصلحة لتغييره بحسب تغير الزمان
 والعرف وقوانين الحكم معان بها يتوصل اليها كل أحد ليعرف ماله وماعليه وإذا تغير

عندهم حكم مسئلة لا يجرى العمل به الا بعد مدة لكي يكون الناس عالمين به وأحكام
مجالس المحكم رسماءهم - م للدعوى والجواب يكون علما ولكل من أراد الحضور في
تلك المجالس أن يدخل اليها ويجلس في مكان مع - لذلك لا يسمع ويرى لكنه ليس له
التدخل في الشيء من أعمال المجالس نعم اذا رأى شيئا مخالفا للقوانين فانه يرفعه ان له النظر
في حفظ القوانين أو يكتبه في الصحف الخبرية ويعان به وليس في قوانينهم العقاب بالجلد
وانما يعاقبون بالقصاص في النفس وفي غيرها بالغرم المالى والسجن على حسب الجناية
في درجة عذاب السجن ومدة وأحكام المجالس تشرى في الصحف الخبرية المعدة لذلك
لكي يعلم الحكم من اراد من العموم ووظيفة أعضاء مجالس الاحكام عمرية لا يعزل صاحبها
عزل عقاب ولا تأخير ليكون في اجراء الاحكام آمنا الا اذا ثبت عليه ذنب بمقتضى القانون
فانه يعزل ويعاقب نعم يترقى العضو من مجالس الى غيره ومن بلد الى غيرها وذلك بيد وزير
الاحكام على قانون لهم في ذلك ولعموم الاهالى والواردين أيضا الحضور في مجالس النواب
ومجالس الاعيان لسماع مقاضاتهم ولاصحاب الصحف الخبرية مكاتبون بحضور في تلك
المجالس ليشر واجميع المفاوضات وكذلك فيما يبت مع - لذلك اذا اراد الحضور الغريب
الرسمى وفيها يبت مع - ان اراد الحضور من اعيان الاهالى والسفراء والوافدين تعطى
لهم أوراق الاذن بالدخول اليها من الوزارة كما أن العامة اغنياء يدخلون بورقة الاذن
من الرئيس والمحصل عليها هل وانما يلزم الاذن لكي لا يزدحم الحاضرون في مكان
الاجتماع بان يكون عددهم أكثر مما يسعه المجل ولان في المجالس جلسات سرية
يضر افشاء خبرها فلا يسمع عندها بحضور غير الاعضاء بل ربما اعتري ذلك في وسط
الجلسة الجهرية فيؤذن للحاضرين بالانصراف

مطلب

قد تلخص مما تقدم ان دولة ايطاليا هي دولة ملكية قانونية شوروية وللاهل الى الحرية
الشخصية والسياسية فاما كونها ملكية فلان الرئاسة والنصرف العام هو بيد ملك
ورائى أعنى أن الملك ينتقل من الاب الى ابنه الا كبر في عائلة مخصوصة ومن هـ - ذالى
ابنه الا كبروه كذا وبقية العائلة الملكية تستخدم في الوظائف كسائر اعيان الاهالى على
حسب التأهل (وأما) كونها قانونية فلان النصرفات العامة والاحكام الخاصة كلها
منضبطة بقواعد عقلية مدونة معروفة (وأما) كونها شوروية فلان تطبق تلك

القوانين على الحوادث منطابقاً بآرائه تعدد ووراها أنظاراً من عدة بحيث لا يعنى
شئ إلا ما يستقر عليه غالب آراء أهل المحل والعقد (وأما) كون الحرية الشخصية
لأهل فلان كلامهم له الإطلاق في التصرف في نفسه وكسبه داخل في دائرة حذر
القوانين لا يخفى من مجاوزتها عليه وهي كاذلة له بالأمن في دينه ونفسه وماله وعرضه
(وأما) كوالاهالي لهم الحرية السياسية فلان كلامهم إذا توفرت فيه الشروط المؤهلة
من صفاته الذاتية فله التدخل في تدابير المصالح الكلية العائدة لوطنه ولكل منهم نشر
أفكاره على العموم بواسطة المجمع أو المكتب والصحف الخبرية على شرط عدم الخروج
عن حدود القوانين المراقبة لها في جمهوريتي جنسه

مطلب

في السياسة الخارجية لا يطالبها

(اعلم) أن دولة إيطاليا الآن هي سادسة الدول الأوروبية العظمى وهي ألمانيا وفرنسا
وانكلترا والنمسا والروسيا وإيطاليا هي فاته الدول بحسبهم من القوة واتساع نطاق
القدن صار لهم المداخلات في كل ما يمس حقوقهم من سياسات العالم وشدة مراقبة
بعضهم لبعض لا تترك أحديها تدخل في شئ يمكن منه لمس حقوق الآخرين ولو في
الوجهة والنفوذ ولكنهم عموماً يتجنبون المداخلات في أحوال الدول ذات الانتظام
للمجرد مراعاة الانتظام بل لأن الانتظام يشهد حصوناً على أبواب المداخلات باستئناس
أصحابها إلى أصولهم وآراء العموم مع جريان سيرتهم على استقامة من القيام بواجباتهم في
أنفسهم والوفاء بحقوق المعاهدات الأجنبية ومع ذلك فالقوة في الدول الكبيرة تفرى
بالتدخل في أحوال الضعيف كيفما كان الحال لكن الغيرة والتحاسد بين العظمى
يوجب ردع بعضهم بعضاً فإذا كان المصوب اليه مساهم التدخل مستقيماً في نفسه وجد
بقية الدول العظمى مستنداً الردع الجاني منهم على الضعيف إذا خلافاً منافعهم ومباينة
مقاصدهم موجبة للاختلاف وعدم الاتحاد على الأضرار بالضعيف حيث أن الأضرار
به لا يمكن أن يوفي بأغراض جميعهم فلا يسمع أحد منهم برجحان كفة غيره على كفة نفسه
ولذلك يجد الضعيف راحة من اختلافهم الذي كانت أعماله باستقامته سبباً فيه (أما)
إذا كان في نفسه غير مستقيم تورث سيرته الكوارث التي تعلق بجميع الدول الكبيرة
فبفتحهم وتحمّل ضياع بعض أغراضهم ليسدوا باب المشاحن من قبيل ارتكاب أخف
الضررين

الضررين وذلك لا ينشأ الا في الجهات التي تشترك فيها منافع الجميع (أما الجهات) التي تخص بعضهم فان المشاحنة اغتتبع بين من له تشارك فيها فقط ولذلك كان لدولة ايطاليا مراقبة لاحوال شطوط البحر الايض وكل الدول المجاورة لها ولم يكن يعنها ما يقع في غربي أوروبا ولا ما يحصل في الصين والهند وأمثال ذلك نعم ليست درجة غربي أوروبا عندها كدرجة الصين والمحاصل ان تداخلها هي أو غيرها على حسب منافعها السياسية والتجارية ولذلك كانت لها معاهدات مع الدول التي لها معها علاقة في السياسة أو التجارة وهاته الدول هي جميع دول أوروبا والدول التي على شطوط البحور من آسيا وغالب جهات أفريقيا ولها سفراء نواب عنها في نخوت تلك الممالك وهم على طبقات في المقام فلها سفراء من الدرجة العليا في الدول العظيمة التي لها معها علاقة سياسية معتبرة ولها سفراء من الدرجة الثانية في غيرها من الدول المستقلة التي لها معها معاهدات ولها قناصل وهي رتبة أقل من السفيرة في الحكومات الغير المستقلة أو التي هي صغيرة وقارة تكاف بمصالحها نواب لبحر الدنمر في بالرتبة من غير مرتبة أو تكاف نواب بعض الدول الاخرى كل ذلك في الممالك التي تقل خلائقها معها ولا كل سفيرا أو مكاف نواب وأعوان ومحل ادارة يسمى بالسفارة كانه وزارة تنفق عليها الاموال في المرتبات وغيرها وكل دولة فيها سفير من ايطاليا يلزم أن يكون لها هي أيضا سفير فيها على قدر مصالح تلك الدولة وهي قاعدة مطردة في سائر الدول بالنسبة لسفيرتهم في الخارجية ومنذ سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م دخلت ايطاليا في عقد المعاهدات العامة بين الدول الكبيرة وان كانت اذذاك دخلت بصفة دولة سرديانيا حيث انعقد الصلح بين الدولة العلية والروسيا وعقدت له شروط معاهدة باريس التي اجتمع لها نواب الدول الكبار الست الاورباوية ونواب الدولة العلية ووقع الجميع على المعاهدة وكان منهم نواب سرديانيا الدخول دولتهم في الحرب كما سبقت الاشارة اليه

فصل

(في بعض عوائلها الى ايطاليا وبعض صفاتهم)

اعلم ان سكان ايطاليا من أبناء أجناس من الأمم الذين وفدوا عليهم اقدموا واتخذوا جميع بصفة الطليانيين منذ قديم ديارتهم عموما مسيحية على المذهب الكاثوليكي وهو مذهب الدولة وكثير من تفننوا في العلوم الرياضية قادتهم الطبعيات فصارت لا يعتقدون شيئا من

الديانان ظننا منهم انها جميعا مردودة بالعقل مثل ما يرون من عقائد ديانة النصرى واليهود
 لم يكن عقلاؤهم يقولون باننا انى جل وعلا ولو طلعوا حقيقة على حقائق الديانة لاسلامية
 لما وسد بهم من الانصاف الا اتباعها لمطابقة لاله - قل وسطوع برهانها والمسؤل عن
 عدم البلاغ الشريعة اليه - م على حقيقتها هم من اناط الله بهم ذلك على ماسد انى ابضاحه
 في الخسامة ان شاء الله تعالى وسكان ايطالياتهم بيض اقوياء مدتهم اكثر اهلها هم هذبون
 (واما القرى) واليوادى قوم على الخسنة والاعتقاد التقليدى البحت للقبسوس وهم
 اصحاب جدى فى العمل والاشغال واصحاب الاعمال البدنية يذكرون انى اشغلهم (واما)
 ذوو الترف والاحكام فانهم يطلبون السهر ويغيثون من نومهم - م مؤخر اول بيتة مدون
 الاشغال الا قبل الزوال بساعة او ساعتين او عند الزوال وكثيرا ما يدعون الاحياء بعضهم
 بعضها للسهر والرقص فى منازلهم وتارة يدعونهم للعشاء مع ذلك وتارة يقتصر
 على تقديم فواكه وحلويات وخمر وليس من عادتهم الحياء مثل ما هو عندنا فتترى
 البنات تخاطبن وجها وتفاكهه امام والديهن ابل وتعمل مثل ذلك مع خطيبها وترقص مع
 الرجال امامهم هذ فى البنات فكيف بالبنين وعندهم ان الغناء ليس بمعيب من
 النساء فتترى اكبر الاعيان يحثفل فى داره بدعوة عامة وتصير بنته أو زوجته ه أو احدى
 النسوة الاعيان المدعوات تغنى فى ذلك الملا وترقص مع الرجال على اشكال شتى من
 معانقة ومخامرة وغيرها ولا تأثم من ذلك بل يرونها كراما بحيث ان المسلم الغيور يكاد
 ينفطر عما يرى (واما الرجال) الاعيان فالرقص عندهم مع النساء ولو فى المواقب غير
 معيبة لم يكن الغناء عندهم معيبة والنسوة يخرجن مكشوفات الوجوه ويتعاطين من الاشغال
 مثل الرجال الا الاشغال الشاقة والتعاليى للعلوم العالية ويصاحبن الاجانب عن قرباتهن
 مثل الرجال ويقول رجاؤهم ان الذى حمل المسلمين على حب النساء ما فى طباعهم - م من
 الخيانة وشدة المحب فوجب شدة الشوق وحيث انا على خلاف ذلك فالامن على نسائنا
 بحق والى لا يحجبها عرضها لا يحجبها طوارها هذا مدار كلاهم وهو خطأ فاحش
 اذ موجب المحب أمر طيبى فى سائر البشر بل فى سائر الحيوانات ومن المعلوم ان لكل شئ
 سببا فروية الذات والوجه مكشوفات المكالمة ثم المداعبة ثم الرقص فى حالة شرب الخمر
 والطرب ثم المخامرة كلها اسباب تدعو الى الاتفاق طمعا الى ما وراءها بلا شك واقتبات
 ذلك بالوجود اقوى دليل حتى صار من عوائدهم ان الكبرياء التى لم تنزوج صاحبها
 من غير نظر الى حقيقتها الاصولية والزيادة على هذا فى الاسد دلالات خارج عن موضوعنا

ومنصفهم يقر بذلك لاحتمالة وقد غلط من ادعى ان ديانتنا تتبع النظر لوجه المرأة وهو
 جهل بعد دم التفرقة بين كون وجه المرأة ليس بعورة وكذا كفاه وقدمها حتى يجوز
 لغير محرمة النظر الى تلك الاعضاء وكذلك للنسوة أمثالها وبين كون الوجه يجب ستره
 عن الرجال الاجانب مطابقة لحرف الفتنة بنص الكتاب في قوله تعالى وليضربن بخمرهن
 على جيوبهن الآية وذلك هو الحق المستقيم والمشاهدة أقوى دليل في كل بلاد حافظت
 على ذلك قالت فيها الفاحشة حتى كادت أن لا تقع وكل بلاد تساهلت في خروج النساء
 كما كشوفات الوجوه بالبراقع الصفيقة وغض النظر عن مكالمة النسوة للرجال والمزاحمة
 في الاسواق والمجامع فشت فيها الفاحشة واتخذ رجالها هجرا من سائرهم التكلم بوقائعهم
 مع النساء سواء كانت بادة اسلامية أو أجنبية وقاب الحقائق واخفاء الجهر وعكس
 الطباع ليس في الوسع ولا يحاول له ذوانسانية وأهالي ايطاليا يستعملون الموسيقى ذات
 آلات النفخ وذات الاوتار وهم براء فيها والحنانهم هي الحان الاروباوين وهي الحان
 مخالفة للحان المعروفة عند المشرقين والعرب وأهالي أفريقيا الشمالية حتى ان
 هاته الحان لا يحصل منها ما يحصل من السماع لمؤلاه وبالنعرد تصير مؤثرة في النفس
 ولها ناعمة اليم مخصوصة معني بها ولا يدقونها الا على تطبيق لمساوهم رسوم في أوراق خاصة
 على اشكال يتبعها اصوات النغمات بحيث ان كل صاحب آلة تكون أمامه تلك الاوراق
 ينظر فيها ويدق على نغدها ولا يدقون من محفوظاتهم الا قليلا وأهل البادية وبعض
 القبلى لم يسم آلات من مزمار بالجل لودينة فغونغ بالاوراق وفي كل بلدة مراصع للعب
 واللهى على حسب كبر البادية تنفخ ليلالاهم ورتش كل فيها ألعاب على صور نار يخبئة
 مرتبة أول الغناء والسماع ولهم تقدم وشهرة في ذلك على سائر أهالي أوروبا والاهالي عموما
 ذوى رجولية في التمسك بالآلات الحربية حتى لا تكاد تجد من لا يحمل السلاح الصغير
 الخفيف مخفيا ويركبون الخيل رجالا ونساء بر أن المرأة تركب المريج بلا فتخ لرجلها
 بل انها تثني رجلها اليمنى على مقدمة المريج ورجلها اليسرى تضمه في الركاب وعادة
 الاهالي في السلام عند الملاقاة هي المصافحة مع هذا اليد ويقول احدهم الا تتر يوم
 حسن أوليل حسن واذا قدم مسافر على حبيبه أو قريبه قبله في فقه ولو الولد مع والده أو
 امرأة مع قريبها السكن النسوة يزدن ان الحبيبات متى اجتمعن قبان بعضهن في الافواه
 والرجال لا بد في سلامهم من كشف رؤس بعضهم لبعض والرفيع بالنسبة لا رضيع
 يضع يده على قلنسوته كأنه يريد رفعها فلو واذا دخل وارد على آخر في بيته لا يجلس

(٤٨)

الاولهـ حامكشوف الراس وهى عادة تجارية فى جلوسهم فى بيوتهم مكشوفى الرؤس الامن
كان به اذى من راسه ومن عادتهـم أن لا يبعـدوا المنى لتناقى القادم لـكنهم يبعدون
التشديع ومن الآداب أن يحدث أحدهم كلاما لصاحبه عند الفراق فيتمه فى حالة
الوداع ويتصالحون أيضا عند ذلك

م طلب

❖ (فى التجارة) ❖

الطبايا يبنون لهم مهارة فى التجارة كغيرهـم من أهالى أوربا فرادى ومجتمعين والذى وسع
تجارتهـم هو عقد الشراكات فأموال الواحد دلالة كفى لزيادة الاتساع فى التجارة ولذلك
يقدون شركات ذات أسهم عديدة ويقضون للباشرة بعضانهم من يأتمنونه وتكون
الشركاتهم فروع فى الاقطار التى يواصلون معهم التجارة ويعاونون كقيمة التجارة
والبضاعة وأسعارها وكيفية اتصالها بواسطة الخلف التجارية وبأوراق وكتب يودعونها
محانا ويرسلون الرسل لاكتشاف تجارات البلدان والاقطار وان بعدت ويشتهرون بها
تجارتهـم ودواتهم تخمهم فى أنفسهم وأموالهم أينما حلوا ولا تقتصر تجارتهـم على نتائج
بلادهم ثم اذالم توف أموال الافراد والشركات المقصود من التجارة تراهم يقترضون من
ديار الصيرافة وهؤلاء الصيرافة هم ذوو الاصول اما ان تكون لواحد أو لثلاثة أو للعوم
بان يكون كل من له شئ من المال ولا يريد التعب فى ترويعه والربح منه الجوز أو غيره فانه
يدفع ماله لاحدى ديار الصرافين المسماة عندهم بالبنوك ويأخذ منه ائجة فى مقدار ما دفع
وتاريخه ويأخذ على ذلك ربا فى كل سنة وهؤلاء يوزونه على المائة فى السنة وهم ما أراد
رأس ماله فانه يحاسب على مقدار ما بقى عند الصراف ويأخذ ربحه ورأس ماله حالا
وكذلك اذا أراد أخذ بعض من رأس المال فله ذلك وكذلك اذا أراد ارجاع ما أخذ أو
أكثر أو أقل فله أن يدفع متى أراد ويأخذ متى أراد ويحاسب متى أراد سهلا بذلك ادارة
أموال العاجزين مع أرباحهم ثم ان البنك الذى يأخذ الارباح على النحو المذكور يدفع لمن
يريد الاسـتقراض بزيادة فى مقدار الربا على ما يعطى هو وهاته الزيادة محدودة لا تتجاوز
العشرة على المائة فى السنة وكل من مقدار المدفوع والمأخوذ مختلف بحسب البنوك
والبلدان لـكنه على كل حال لا يتجاوز الحد المذكور ذلـكـهـم بالقوانين حتى ان من
تجاوزها يـسـاقط اعطاء البنوك المال للاستقرضين انما يكون برهن أولى له اعتبار
بأتمه

يأتممه به صاحب البنك ثم إن بعض أصحاب البنوك تجيزهم الدولة على قانون معلوم بأن
يخرجوا أوراقا تداولها الناس عوضا عن المقتدين بشرط أن لا يتجاوزوا الضعف مثلا من
مقدار رأس المال وبعض تلك البنوك مخصوص بالفلاحة وبعضهم أطاق وبعثا تقدم تجدد
التجارة راحة بين أيدي السكان بأكثر من أضعاف كسبهم وأهم الوسائط التي بيدها
المحاولات المسالمة وهي أن التاجر يشتري شيئا أو يأخذ مالا من أحد ويعطيه حواله بقبض
ما يطلب منه على أحد التجار أو البنوك على أن يقبضه على تسعين يوما وهو الأكثر ورائها
وتارة يكون أقل أجل وتارة يكون أكثر وعند بلوغ تلك الحواله لا يعمل عليه بوقع
عليها بالقبول ليدفع في أجل وقيل لحلول الأجل يرسل المحيل المال إما بمبايعه أو بعا
قبضه من حواله أخرى بحيث أن المحال عليه يدفع المال في أجله من غير أن يخرج من
ماله شيئا مع ربحه تجزئه من المال لأنه يلزم الاتفاق من قبل بين المحيل والمحال عليه في
قبول الاحالة وفي مقداره ما يربحه ولا يتجاوز النصف في المسألة وتارة يكون بالربح بارة
لمصادقة أو معاوضة بما لها أيدها كما أن المحال عليه يربح بقبضه ماله نسبة أيضا جزا يسيرا
والمحيل يربح لأنه يتجر على ليس له فيه رأس مال ولكن مع ذلك كثيرا ما يعتري
الافلاس تجارهم وبنوكهم لأن من أحكامهم أنه إذا كان الأجل ولم يدفع المؤجل ماعليه
ففي الحال ينفاس ولذلك كانت أكثر البنوك باطالة التي لها أوراق ماله لا تصرف
الابنفس بالصرف بالعين لاحتمال الافلاس ولا تتداول خارج الماكهة بل ولا خارج
بدايمها الابنك الدولة فانه راجع في جميع مأكته فقط وفي كل مدينة محل ضخيم للمساعدة
على المتاجر العالية يسمى بورسي يفتح بضع ساعات عند الزوال اذا دخله له الانسان يحجده
محتسبا بالخاق والصحيح بأصوات السماسرة ينادون على أوراق ديون الدول وأوراق
الشركات التجارية الكبيرة ذات الحصص كطرق الحديد وخليج السويس واشباهها
وكثير من التجار يفسون في تلك المتساجرة لأن بعضهم لا يشتري ولا يبيع الا بدائيه
وهؤلاء لا يعترفهم الافلاس الا نادرا لأنه اذا انقضت أسعار ما يشتري لا يطالبه أحد
بشيء وإنما يصبر على خسران نفسه الى أن ترتفع الاسعار وبعضهم يكون ليس له رأس
مال لما يشتريه وما يشتريه أيضا ليس ب حاضر بل هو مؤجل لرأس الشهر ويهتم على أن
ما يشتريه اليوم يرتفع سعره غدا أو بعد أسبوع فيبيعه ويأخذ الربح ويحبل المشتري على
البائع فيما اشترى ويخرج من البئر بالربح فكثيرا ما يربحون بذلك أموالا جسيمة وكثيرا
ما يفسون في أول جلسة بأن يخط السهم على اشتري به ويحل الأجل فيلزمه دفع الثمن

وأخذ المبيع أودفع مقدار الخسران فقط فيستغرق كسبه في كرة واحدة أو عن كرات
وهذا النوع لا يحكم به المحاكم عند هدم لأنه يراه من المقامرة لكنه لا يمنع منه فالمعالم
يفلس نفسه بفكر حكمه لكي لا يسقط اعتبار هدمه وجاء من يرجع مرة أخرى بمعاملة التجار إليه فحسب
تقدم كله من أسباب الثروة واتساعها وسيأتي في الخاتمة أن شاء الله تعالى ما يجوز لنا
شرعاً عمله وما هو ممنوع ومن أعظم أسباب الثروة واتساع التجارة تسهيل الطرق لنقل
البضائع بأجرة يسيرة وزمن قليل وكانت الطرق الحديدية أنفع وسيلة لذلك حسبما تقدم
في الكلام على تونس ولكن الطرق الحديدية وحدها غير كافية لأنها انحصرت على
الأماكن الأكثر عراً فإلزم لها طرق فرعية صناعية لحلب البضاعة بسهولة للمراكز
الطرق الحديدية ولذلك كانت سائر الجهات في إيطاليا لها طرق صناعية ومن أنفع
وسائل التجارة والعمران انتظام البريد وهو أن الدولة تتجمل أما كن في سائر البلدان
لوضع المكاتب في محل منها ويرد صاحب المכתوب أجرة على حمله أجرة زهيدة بالمرة بأن
يشترى بطاقة من الورق عليها علامة مخصوصة وتظهرها عليه صمغ قليل الصمغ ويصق
البطاقة على المכתوب بحسب ثقل المכתوب في زيادة الأجرة يكتب عنوان المכתوب
باسم المرسل إليه وبأداه وحارته وعدة منزله فتحمل المكاتب من كل بلد في الرتل لها
مركبة خاصة بها مرفاع ذات أقسام ومستخدمون فعند ما تأتي المكاتب إلى المركبة في وعا
يسير الرتل ويشغل المستخدمون في توزيع المكاتب على أسماء البلدان ويميزون كل
على حدة ومهما وصل الرتل إلى بلاد أقبالت أتباع البريد عن محل إلى تلك المركبة ودفعوا
لها ما عندهم وأخذوا منها ما يخص تلك البلدة ثم يسير الرتل وهكذا وكل بلدة أخذت
المكاتب من الرتل يؤتى بها المحل البريد وتعلم لوزعين يوزعونها على أصحابها حسب ما هو
معنون عليهم وإذا وجدوا مכתوباً غير خالص الأجرة يوصلونه للمرسل إليه فان دفع أجرة حمله
وهي إذا ذلك مضاعفة سلم إليه المכתوب والأرجح إلى محل البريد وحفظ فيه مدة ثلاثة
أشهر فان جاء صاحبه بأخذه أدى أجرته وأخذته والافتح فانه وجد به اسم مرسله ومحل
أرجع إليه وأخذ منه الأجرة مضاعفاً والأحق وهكذا فيما إذا لم يوجد المرسل إليه بالمرة
وكان خالص الأجرة فانه يرجع من غير أجرة وإذا كان المכתوب ذا أهمية فالصاحبه تضمنه
أي يجعل صاحب البريد ضامناً لصاله بأن يجعل عليه خواتم بالشمع نجمة أو علامة أخرى
ويأخذ من صاحب البريد حجة في إيصاله إلى صاحبه ويؤدي عليه أجرة مضاعفة على
الاعتاد وإذا ذلك لا يسلمه البريد إلى صاحبه إلا بأخذ حجة منه في الوصول إليه فاذا فرض

ضباعه من صاحب البريد فانه يؤدي للورسل ستمين أو خمسين فرنكا وهكذا سائر الأوراق
المكتوبة على القهوانة - قدم غير ان الخلف الخيرية أجرة يصالحها زهيدة بامرة وكذلك
الكتب وقد دبر بواله مه - ما رخصوا في الاجرة الا ازداد الدخول للبريد وما تقدم في
كيفية الحمل للبريد في الاماكن المتصلة في البرأما اذا كانت الاماكن يتوصل لها بحرا
فان الدولة تنفق مع احدى الشركات التي لها بواخر سيارة للتجارة على ان تحمل البريد
باجرة سنوية على مقدار ما ينفقون عليه من السفين على ان تطلع البواخر في اوقات معينة
وتوصل الى اماكنها في اوقات معينة من غير تقديم ولا تأخير واذا تأخرت الباخرة عن
ميعادها فلا بد ان تبين بحجة السبب الاضطراري الذي جعلها على التأخير والافتقار
شركاتها اموالا بالينة ضما ناعن التأخير وكذلك الرتل اذا كان له بريد دولة اعنى في
الاتفاق معه على حمل البريد اما في تعيين الاوقات وانضباطها فاما كل سواء برأ أو بحرا
ولذلك تجد السفر مع البريد في غاية الانضباط لانه لا يخاف عن مواعيد فاما سفره
بكون مرتاح البال عالما بيوم سفره وساعته وكذلك بساعة وصوله الا ان يعرض عارض
سماوى ثم ان السفري بواخر البريد هو احسن من غيرهما من البواخر التجارية لان تلك
اتقن نظافة وأقل ازحاما وأرفق خدمة بالراكب حتى اذا كان البحر راكدا كان
لسفر نزهة وليكن قاهيا بصفا وال حال بسبب اضطراب البحر اما السفري الرتل فهو على
نحو ما تقدم من الانضباط سواء كان حاملا للبريد أم لا ولكل رتل رفاع مكتوب بها
الاعلام بوقت سفره من كل بلد ووقت وصوله وكم يقف به من الدقائق ويقفون
على تلك الاوقات للغاية وعند ما يصل بالدة ترى خدمته يصيحون باسمها وبعده الدقائق
التي يقف بها اعلاما للمسافر ين دو قوفه لا يتجاوز نصف ساعة في وقتي الاكل وأما غيرهما
فأكثر وقوفه عشر دقائق الى الدقيقة بين وبادان الوقوف للكل يجد به في المواقف
يسوتاضمة بهاء واندا لا كل والمأكلات المطبوخة والفواكه كلها مهينة فخير من
ياكل هناك ومنهم من يشتري ويحمل أكله معه والاشمان في تلك الاماكن أغلى من
غيرها كما ان البلدان الاخرى يوجد في مطاعم الاكل لكنه دون ذلك وفي كل محطة
بعد المستراحات فالركوب في الرتل منزهة على كل حال سيما مع ما أحدث فيه من المخادع
المفردة حتى يستطيع الانسان ان يسام ويقضى جميع ضرورياته بغاية الراحة وفي أيام
البرد تسخن المخادع بأواني نحاسية ملوئة ماء حارا ويريد أجهزاته المخادع على الاعتيادية
نحو مشرعة في المسانة وقد أحدث نوع من المركبات ذومقاصير لا نفراد ويبيت للاجتماع

فيكون الانسان كانه في دار مع جيران وهو مسافر ولا يري يد الاجر في هاته المركبات على
 المركبات من الطبقة العليا الانحوا الثالث ومن وسائل رواج التجارة دور الانصار
 بالاسلاك المكهربة فاعصاب الشركات يخبرون اصحابهم كل حين بما يروج عندهم
 في الاقطار المختلفة وما يكسدهم من البضائع فيكونون على بصيرة منه واعظم ما يكون ذلك في
 متاجر محلات البورسي فترى الاخبار تنساقط عاها كما طرو بذلك ترفع أسعار أوراق
 الديون وغيرها أو تخط وأعظم ما يؤثر في ذلك الاخبار السياسية سيما الواردة من
 قواعد الممالك السبع الكبيرة وهي الاسنانه وباريس ولوندر وبرلين وفيينا
 ورومة وصان بطرس بورغ اذهاته الدول هي التي عليها مدار السياسة العامة وقد
 اتخذت البحار الانحمار السياسية ماعبة للارباح حتى صاروا يختلقون أحيانا اراجيف
 سياسية تارة بالتصريح وتارة بالتلويح وتتلقيها عنهم صحف الاخبار فينشأ عنها
 أرباح أو خسائر مبنية على أوهام ولذلك يري بعضهم ان سهولة قرب الاخبار ونقل
 البضائع مضر برباح التجارة وان الارباح انخفضت عما كانت عليه في القديم
 وهو صواب بالنظر لقيمة التجارة القديمة لكن في نفس الامر قد ازدادت كمية التجارة
 وذلك ان الناجر من البضاعة من الصوف مثلا كانت لاتأتيه سفينة شراعية بها ألف
 قنطار من الصوف والمكاتب المعطاة بالاسعار الابدعة أشهر فمضى عليها ما عمل تجارتها
 ويشتهر خبرها ولا يبيع تلك الالف قنطار الا بعد عدة أشهر فربح فيها في السنة عشرين
 في المائة ان ساعده البحت والا كن صار يأتية في كل اسبوع نحو ذلك القدر من الاتية
 الاخبار كما تأتي غيره فيبيع صوفه بربح عشرة في المائة فقط في شهر ثم الشهر الذي
 بعده كذلك وهكذا فوضاعن كونه كان يدير رأس ماله مرة في السنة وربح فيه
 عشرين في المائة صار يديره اثنتي عشرة مرة بربح فيها أزيد من الضعف فبالنظر الى كمية
 الربح كل مرة تجدد الارباح القديمة أو فربح في الحقيقة الناتج في السنة من الارباح
 الحالية أكثر ولا يظن ان ما قلنا بالغه يدعوى ان كمية المحتاج اليه من الصوف مثلا
 في القطر المحلوبة اليه لم تزد فما يأتي زائد الا يباع ويبيان فساد ذلك ان الادارات
 والحركات كلها مرتبطة بعضها ببعض فكما سالت المواصلة سالت آلات النسيج بالمعامل
 البخارية والبلد التي كانت تنسج ألف قنطار صوف في الشهر بالآلات اليد صارت تنسج
 اضعاف اضعافها بالآلات البخارية وتلك المنسوجات تنفق مهمما زادت بالخطاط
 أسعارها فيكثر راعها فيمكن قديما قادرا على لبس المئتين وهو الجوخ لغيره لو صار

الا أن يتوصل اليه لخصه بخص ثم الصوف بما نقص من أجرة جملها ورفله ربح
تجارها و بخص آلات النسيج و بقناعة البائع بالربح اليسير وهكذا وكذلك كثرت
سكان الممالك المتمدنة وكثرت المتمدنون وكثرت أسواق التجارة و اتصل البضائع الى الأقطار
الساحلية التي لم تكن تصل اليها من قبل فارتفعت الأسعار ببعضها وبعض وانسعت
التجارة وازدادت الارباح على نحو ما ذكرناه وأضف الى ذلك ان المنسوجات بالمعامل
ليست متينة مثل عمل الادي فصار أغلبها يبيع لي و يتمزق بسرعة بالفساد بمثل المنسوجات
المصنوعة باليد ثم ان تجارة ايطاليا أغلبها بيد أهاليها و فيهم كثير من الأجانب وقد كانت
سابقا تجارتها أغنى مما رجعت اليه ثم انحطت بتقديم الممالك المجاورة لها وأخرها عند
انقسامها وظلم ولائها لكنها الآن تراجعت للتعني وأغلب ما يخرج منها الحرير الغدير
المصنوع والدقيق وأنواع البعير المصنوع والحبوب والحيوانات المأكولة والجلود
وزيت الزيتون والكبريت وهي كما سبق لها انفراد به وقد خرج منه في عام واحد
مائة ألف مائة ألف الفاونجس و ألفا تونولاته أى قطار ٠٠٠ ر ٠٠٠ ره وكذلك يخرج
منها المرمر والرخام الأبيض والسكران والمحشيشة المعروفة بالسكر وري والمنسوجات
الحريرية والاعطار والنبات المصنوع منه كراسي وغيرها والحجر مثل الحجر المعروف بحجر
سبيليا الذي هو لبن خفيف وبعض المعادن المشار اليها في التعريف بايطاليا و قيمته
تجارتها في سنة واحدة وهى سنة ١٨٧٦ ملياردان وسبعة آلاف فرنك والمليارد
ألف مائة وهاته التجارة مع جميع الممالك المعروفة لكن أكثرها مع النمسا وفرنسا ثم
بقية الممالك و يخص من ذلك الزيت وحده ثلاثمائة وخمسون مليونا

مطلب

✽

في المصانع الفلاحية في ايطاليا

(اعلم) ان هاته الصناعة لها طرق كبير لحسن الموقع واعتدال الهواء وبع ذلك لم تبلغ الى درجه
النهاية نعم هي في الجهة الشمالية من كبة الجاورها من فرنسا وغيرها فلاهاها اعتناء
واقعان للزراعة وتربية الاشجار وتنميتها حتى ترى الارض كانتها حديقة متقنة ولا نجد
أرضا خالصة من الاشجار ولو الاراضى الزراعية بحيث تجدها ممتلئة بصنوف من
الاشجار و بين ابراحات للزروع فصحاح الارض ينفع بفلال الاشجار والمحطب
والزروع بها وترى الارض ممتلئة بتقسيم لها منظر ربيع ونفع عظيم هذا ما يدهمها

يحصل من الأشجار من السبب في المطر وذلك لأن الله بحكمته البالغة جعل عروق الأشجار تمتص الماء من عوامق الأرض ثم تنفثه بخاراً من أغصانها وأوراقها وينشأ من البخار السحاب وإذا كانت الأشجار مرتفعة جذبت ذلك السحاب لبطش السحب حتى يطر عليها ويحصل بسبب ذلك كثرة المياه في الأرض فيكثر خصبها وقد بانَت سببية ذلك بالتجربة والله الخالق الحكيم ثم إن صناعة الفلاحة لا يأخذونها بمجرد التقليل في العمليات بل إنهم الماعلم مخصوص يدرس ويصور بالمشاهدة وله مدارس مخصوصة ويعتمد كثير من الكيمياء بآلات وحول المدارس أراضى للبيان بالعيان والتجربة والتجسس وأراضى الرعى مخصوصة ومن حسن التربية وحراسة المحكم لا يتجسس أحد بالرعى ولا غيره في أرض ليست له أما بالملك أو بالكرام حتى أنه ليس بساكنينهم طوبى لمن منع الدخول ولا تقع عندهم سرقة الغلال إلا نادراً وأما بقسمة المصناعات فلهم كفاية في كل المصناعات الضرورية والتعميدية لكنهم ليس لهم معامل كثيرة التي هي من أعظم أسرار الثروة والترقي وإن كانوا لا يزالوا محبته دين في ترفقاتها إلى بلوغها مثل درجة الأمم البالغة لأنها في المعارف والتقدم والجاهلون علمه الآن هو أن لهم معامل للآلات بأنواعه ومعامل لإنشاء السفن والبواخر المدرعة ومعامل للتخليلات الكيماوية وللأعطاف وللشمع المتخذ من الشمع للادباغة للبلودولصناعة الورق وغزل القطن ونسج الجوخ والساشية وأنواع المنسوجات الحريرية ومنه النوع الفاخر المسمى بالأمبر أو القطيفة ومعامل للطرز كما أنه يصنع بالأيدي أيضاً ولهم معامل للزجاج والفخار والعقيق والزهور الصناعية والآلات المراكبية والآلات الموسيقية ونحو ذلك من آلات النابلي لها صيت كبير في جميع الجهات وفي نابلي وميلانو معامل متينة للكراسي أي عجلات الركوب كما أن في إيطاليا اتقان لصناعة الأحذية وسائر الأتلة وخياطة الملابس وهم فائقون في صناعة تحت المرمر ونقشها وكذلك صناعة المرحاض والصباغة والكهربان والمادة المنجدة النارية المتخذة من أفواه البلاكين والموزايكواي القطع المرمر التي الواحدة منها قدر الخمر تصرف على أشكال بديعة ويعلق بعضها به بعض يتوهم الطين والجير وقد شاهدت في معرض ميلانو ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م من تقدم إيطاليا في سائر المصناعات ما صيرها قادرة على الاستغناء بنفسها في سائر الحاجات والتخصيصات فضلاً عن الضروريات حتى إن ملكها المأذول المعرض مع رجال الأمة نجح مما احتوت عليه المملكة مما لم يكن يحظر بباليه ومن جملة ما احتوى عليه هذا المعرض

(٥٥)

المعرض تشخيص سائر أصناف الطلبة بين بصور على ألوانهم وهبته لبسهم - ثم فرايت
أكثر من ثلاثين صنفًا كل منهم له نسخة وشارة خاصة وأعظم ترفيعهم في مصنوعات
الجلد والطين والأجملات ولهم مشاركة في سائر المصنوعات

م طلب

﴿ في المعارف ﴾

المعارف الدينية المسيحية لها سوق رائجة من القسوس ولهم صوامع ومدارس لكنهم
قد مدعوا نوع القسوس الجزويت من التجمع في المدارس لأنهم يحاطون بالعلوم
الدينية بالعلوم السياسية ويتخذون المدارس كالعقل للنسكة في عوامن ذلك الخوف
الدولة من تشويش سياستها مخالفة مشرب الجزويت لمشرب الدولة في أصول السياسة
(وأما العلوم) الرياضية فقد أخذوا في التقدم فيما وعلى الأجل فاهوا إلى الشمال متقدمون
على غيرهم في سائر الفنون والتجارة والفلاحة وعلومهم الأصول ثلاثة (أحد) علم جبر
الانقال (وثانيها) علم الكيمياء أي تحليل الأجزاء وتركيبها (وثالثها) علم الطببيات والكل
منها فروع كثيرة ومن فروع الثنائي والثالث علم الطب الذي كانت أشتهرت به بلاد
بيزة قديمًا والآن لم يبق لها ذلك الاعتبار وعلى العموم ففي إيطاليا الآن مدارس
ومكتبات على ثلاث طبقات والمكتبات العليا فيها إلى الآن لم تنسكب مكتبات فرانسا
والمانيا وفي إيطاليا من أسباب تيسير المعارف كل اللوازم سيما المطابع والصحف
الخبرية وخزائن الكتب ففيها ٤٩٣ خزانة كتب تحتوي على ٢٨١ ٢٤٩ ٣٤٩
مجلدات الكتب المطبوعة و ٥٧٠ ر ٣٣٠ من كتب المخطوط في خصوص مكتبة
قصر الفاتيكان ٣٠٠ ر ٣٠ كتاب وهي أحسن المكتبات من جهة حسن كتب المخطوط

م طلب

﴿ في هيئة الساكن والعلاقات ﴾

(اعلم) أن إيطاليا بكاد أن لا تجد بين بلدتين فيها طريقة غير صناعية بل كلها متصلة
بعضها بالآخر المصنعة الصناعية غيران الطارق في البرية لا تتطلف وانغاسها
قيمون لأصلاح ما يفسد منها كان يكون على كل ثلاثة أميال قيم له مركز يأوي إليه
وفي من آلات الإصلاح المخفف ما فيه كفاية ويكون هو طويل يومه متفقد الماء في

عهدته ومما وجدته مكاناً متغيراً بادر لاصلاحه وهكذا فاذا طال الامر على الطريق
واحتاج للتجديد ياتى به بذلك المكاف من المجالس البلدية وعلى أولئك القديسين متفقون
في كل الاوقات كما ان سائر اطراف المملكة متصل ببعضها البعض بالطرق الحديدية
وكذلك تنصل بسائر المجالس المجاورة لها بالطرق الحديدية وتلك المجالس متصلة ببعضها
بذلك أيضاً فكانت أروبا كلها كأنها بلد واحد في سهولة الانتقال والسرعة من مملكة
الى أخرى ومن بلاد الى أخرى ومع ذلك فلم تزل إيطاليا تبحث في زيادة الفروع للطرق
الحديدية (أما الطرق) في دواخل البلدان فزيادة على ∞ ومنها صناعة لها خدمة
تتفقونها سائر في اليوم ولا تجد في البلد من يله لان خدمة التنظيف يعرفون الا يزال
المقاسم من الدور في آخر الليل ومن طرح الاوساخ من داره في غير الاوقات المعينة
هو قبيح على ذلك بالعقوبة المالية بحيث تجد سائر الطرق نظيفة وفي الليل مضاءة بالبخار
الغازي والفوانيس نظيفة وغاية ما هذا هو الفرق بين البلدان في خدمة النظافة
والتنوير واتساع الطرقات فقط (أما الاصل) فهو موجود في الكل ولو في القرى
والطرقات أغلبها يعرفها بحملتان ومنها ما هو أوسع وفي البلدان القديمة لم تزل طرق ضيقة
لا يعرفها الا المساكين وأما هيئة المساكن فان المدن لا تكاد تجد فيها الدار ذات طبقتين
فقط بل تزداد الى السبعة والثمانية ويكون ظاهرها على الطرقات ملتصقة بعضها ببعض
قريب المشاكلة في الصورة مع الخمسين الظاهري والتنظيف وطول الطرق واتساعها
وجعل البطحاء آت فيها والاشجار على أوسعها فكانت مدنها بذلك ذات منظر يهيج حتى
ان الحكم يوجب على المالك ان يحسن ظاهر بيته على حسب ما يشير به المهندسون من
المجالس البلدية وأما داخل الدار على الاجمال فاذا دخل الانسان من الباب يجد سقيفة
ثم درجاً متصلاً ببعضها البعض متصاعدة اما على شكل دائرة أو مربعة الى أن تنتهي الى أعلى
طبقة ومهم ما واصلت الدرج الى طبقة تجد فيها فسحة ذات أبواب بقدر ما في الطبقة من
المساكن فاذا دخلت مسكناً تجد دياراً واسعاً قفاؤه أبواب البيوت وباب الى عمر به
بيوت ومطبخ ومـ تراخ وتارة يكون في إحدى البيوت الأخرى مسـ تراخ آخر وجميع
الحيط مطاية والسقف اما خشب أو بناء مطلي بمدهونة وكل البيوت لها طواقي
كبار ويعتنون بمقاومة الايواب والطواقي والابواب وعواضدها من خشب متقن الصنعة
وسائر الاماكن مباطة اما بالجليز أي نوع من الاجر المطلي المتقن أو المرمر وكذلك الدرج
ومن اقتصادهم ان كل بلدة تقصر على مائة دها من مواد البناء ولا تأخذ من بلاد
أخرى

أخرى شبه الألاما لا يمكن الاستغناء عنه بما فيه أو لو كان الشيء من بادق نفس المملوك ثم البيوت التي بكل داراً كثرها ما تلي إلى شكل التريبع واحد هاديت للجولوس وآخر * للكل وهما أكبر البيوت ثم آخر للنوم وكل منها به من الفرش ما يناسب موضعه وفرشها مخضعة متقنة مروتقة من كرامى كبار وصغار وساعات ومرايا وزراى وأمره يعتنون بنظافتها ويعتقون باتساع الأرج وراحتها وكل مسكن لعائلة فتجده الدار الواحدة يسكنها عدة عائلات كل عائلة منفردة فى إحدى المساكن على قدر كبرها وطبقاتها وأما دور الأعيان والأغنياء المنفردين بديارهم فهي على ذلك النحواً أيضاً لكنها كلها تكون ذات مسكن واحد وطبقة واحدة لا تزيد على الثلاث أو الأربع وكثير من أغنيائهم يسكنون فى الديار المتركة من النوع الأول يسكنهم يختارونها وسبعة وكل مسكن يكون نابه مغلقاً وعند الباب الخارجى للدار بيت يسكنه يواب بالاجرة من جميع أصحاب المساكن للحراسة وكل البلدان لها خنادق تحت الطرق لجريان القذورات فيها أولها سادها ليزوالجميع مغطى ولا يفتح إلا لاصلاح أو التنظيف لا ليلاد سطوح الديار فى جميع الجهات الشمالية مسمية للملائمة أقل عليها الثلج وأما الجهات الجنوبية ففيها بعض من السطوح مبدسطة

م طلب

﴿فى اللبس﴾

الرجال يلبسون قميصاً ومراويل وصدرية تسمى جبلى وسترة أى جبة مفتوحة الطوق إلى أسفل قصيرة إلى نحو نصف الفخذ ذات يدين ضيقة ومن المراويل أنحرطوال إلى أسفل القدم ضيقة الرجلين والمقعدة جداً كأنها لاصقة بالعضو وفى بعض المواقب يلبسون سترة مقطوعة الذبول من امام وفى الشتاء يلبسون على جميع ذلك جبة أوسع من الأولى وأطول وتارة تكون مبطنة بأنواع من الفراء وبعضهم يرتدي لباس قصاص ضيقة من الصوف وفى أرجلهم الجوارب من قطن أو صوف وأحذية كالحف الضيق ولهم فيها أنواع كلها ذات أقدام مرتفعة وعلى رؤسهم قلانس من قطعة واحدة على أشكال منها ما هو من الجوخ ومنها ما هو سيف أو تبن ولما كانت ألبستهم ضيقة فلا يحسبون الاعلى الكرامى وماشا كلها ولذلك كانت فرش بيوتهم كلها المائنة لذلك نرى لهم جميعاً ثياب وسبعة ذات ألوان يلبسونها فى الاوقات التى لا يخرجون فيها ولا يأتون فيها أحسد وكل

اللبسهم غير القمصان والجوارب لونها أسود أو مقار به وأغلبهم من الصوف ولا يلبسون
 الحرير إلا نادرا في بعض الثياب ويلبسون في كفوفهم قفازا أما الأسود أو مقار به وكذلك
 في رقبهم يلبسون روابط ولقمصانهم رقبات بيض يطلونها بالشاش وكذلك أطراف
 أكمامها الضيقة وصدورها ويحفظون على نظافتها ويرسلون شعر رؤسهم لكنه
 لا يتجاوز شحمة الأذنين ويفرقونه وأما لحاهم وشواربهم فهي لعبة بأيديهم ثم تارة
 يحلقون الكل وتارة البعض دون البعض وتارة يبقون الكل فيجد الوجه على أشكال
 شتى ولكن من يحلق تراعى حتى يومئذ لأن ابتسام أثر الشعر عندهم من الوسخ وأما لبس
 النسوة فقميص وسراويل وسبعة من كتان وصدريه مضبوطة على الصدر لها عيذان
 من شعر ملك البابين لتضمر البطن والمخصر وترفع النهود وتعالى الردف وفوقها جبة طويلة
 إلى الأرض ضيقة النصف الأعلى ولها أكمام ضيقة إلى الرسغ ووسبعة الأسفل من المخصر
 إلى الأرض ذات تكاميش ويتنوعن في هيئتها وقد يلبسان ذيلها من وراء حتى يصير يجبر
 على الأرض فحوزراعين أو أزيد من وراءها ويلبسن جوارب في أرجاهن وأحذية ذات
 أعقاب عالية وصرن يجعلان العقب قرب نصف القدم ليتراعى لما ظران قدمها صغير مع
 أنه لا يرى لطول ذيلهن واضرارهم ككأيد كره الأطباء من أنه يؤذى الرحم انزول ثقل
 البدن على وسط القدم أى الأخص وتارة يزدن فوق اللباس أردية أو مانت عند الخروج
 في الطريق ويسدلان على وجوههن خمارا شفافا صفيقا لمجرد التزين ويطوين
 شعورهن الحقيقية أو التقليد بهيئات حسنة على أنفوخهن ويلبسن قلانس ظرافا
 ذات أزهار صناعية وغيرها ويلبسن القفازين أيضا ويلبسن من الخلى اقراطا وسوارا
 وخواتيم وقلاندا وماسك من أنواع المجوهرات على حسب الرفاهية وأكثر ألوان
 لابس من مائل إلى السواد ثم الأبيض ثم غيره (وأما اللباس الرسمي لأصحاب الوظائف من
 الرجال فهو على الشكل الذى تقدم غير أن الصلابة تكون مطرزة بقصب الذهب أو
 الفضة على صدرها وعنقها ويديها وظهرها على حسب الرتب وكذلك يكون للسراويل
 شرطان من القصب وعلى القلانس غلامات أيضا من القصب ويلبسون مع ذلك
 النيشين أى علامات الفخر والباس العساكر نظيف جدا متقن من ذلك الشكل غير أن
 سترتهم مقفولة الصدر وتباغ في الطول إلى المخصر فقط الاضباطهم فهي طويلة كغيرهم
 مقفولة الصدر

م طلب

﴿في الاكل﴾

هيئة الاكل عندهم هي موافقة مرتفعة يجلس حولها على كراسي وتغطي برداء أبيض وكل آكل يجعل أمامه صحن فارغ ويأتي الخادم بأناء الطعام فيما أخذ منه الاكل في صحته مقدار ما يريدون اصطلاحاتهم ان تجد هذا الصحن بطاقة بشكل لطيف مكتوب بها ألوان الطعام الحاضرة تلك الاكلة حتى تأخذ ذمها تشتهيه وهاته العادة هي من المستحبات عندنا كما نص عليها في آداب الضيافة وقررها الغزالي في الاحياء لكن لا ينقص من الكفاية وانما هي باي اعلام للضيف بانواع الطعام ثم كل صحن حوله معلقة وشوكة وسكين وبعده الفراغ من كل لون يبدل الصحن والسكين والمعلقة بغيرها نظيفة وكذلك يوجد ذوالصحن كيسان على قدر أنواع المأكولات التي تكون لتلك المائدة من أنواع الخبز وفي وسط المائدة أو في بالزهو بحيث انها في غاية المنظر الحسن والنظافة ويحفظ الاكل كاون على النظافة والعادة ان لا يزيدون غالباً على خمسة ألوان الا في الضيافات والمواكب ثم بعد هذا يوثق بنوع من الخلويات ثم يجبن ثم يفاكهة من احدى غلال الوقت وطعامهم له أنواع شتى أحسنها أنواع المشوى وأغلب أنواع الطعام مائل الى القدر يدعون كثرة الخلط والابزرة حتى يضعون على الموائد وفي لطيفة الملح والغفل الاسود والمخل والزيت الساخن يطالب منه الاكل اذا وجد الطعام غير لائق به في الملح كما انه يجعل على المائدة أو ان ظريفة بالخردل المسحوق المخلوط بالمخل وقتئذ ينات بالماء وآخر بالخمير المعتاد عندهم لئلا كل ثم في انشاء الطعام يوثق بأنواع أخرى من الخبز أرفع من المعتاد وفي آخر الطعام يوثق بنوع منه يسمى شبنام اذا صب في الكاس على وارفع واذ ذاك يخطب خطباً وهم في مقاصد تلائم حالة الاجتماع إما قائماً أو جالسا ثم في آخر كلامه يقف ويشير بعضهم الى بعض بالكؤوس كناية عن التوادد ويشربون بها وليكن هذا الايقع في منازل المسافرين في الموائد العامة الاجتماع عن غير قصد وانما يقع في الضيافات والمحافل وتارة بصرخ الحاضرون يبعث كذا الما فلان أو مقصد سبيلهم ومن لا يريد الشرب من الخمر لا يعمدون عليه ذلك بل يعرض له صاحب المحل فهو ايضا خفيفا بدمج نوع الخمر فان امتنع فلا تثر يب عليه ويوجد فيهم افراد لا يشربون كما ان غالب من بصرمهم يعلم ان الخمر حرام عند المسلمين والنسوة في الديار هن الممتسكات

بأحوال الاكل والطبخ واللباس يكونون من الرجال ومن النساء ولهم كتب مؤلفة في تركيب
الاكل والطبخ

م طلب

﴿ في المواكب ﴾

أما المواكب الرسمية فإن الملك له بيت كبير في القصر الرسمي وبصدره عرش على نحو ما تقدم في عرش والى تونس ويرى يدبان يكون على يسار محل جلوس الملك كرسى لوجهه وقبل حضور الملك يحضر الأذونون بالحضور وبلاسيهم الرسمية ويقفون بميناءوشمالا على حسب رتبهم ولما يحفل الموكب يخرج عليهم الملك لابس الباسه الرسمي الذي هو على نحو ما تقدمت صفته فيران بعض الملوك يزيد على ذلك لباس رداء طويل الأذيال وأوسع جدا ليس له أكمام وإنما يوضع على ظهره وكتفيه ويعلق حول العنق بأزرار مميّزة ويرفع أطراف ذيلوله من وراءه بعض أبناء الكبراء من العائلة المالكية أو من أقاربهم إلى أن يجلس الملك على عرشه وكذلك يكون له تاج مجوهر يضعه على رأسه مع اللباس الرسمي المقصب ويخرج في المواكب من حجرته ومعه زوجته وأهل بيته ويصعد على كرسية ويكشف رأسه مسلما بالاعمال إلى يمينته ثم إلى يسارته ثم يخاطبهم بخطبة مناسبة لمقتضى الحال موميا لأحوال السياسة الراهنة وتلك الخطبة تكون قد هيئت من قبل بتدبير الوزيراء يلقبها الملك بنفسه وتارة يقيم ارتيس كتبته ويكون الحاضرون كاهن مكشوف الرأس فجيونه بالدعاء له بطول العمر وينفض الموكب وهاته المواكب هي في رأس السنة وهو شهر يناير الأعجمي وفي عيد ولادة الملك وكذلك يوم فتح مجاس النواب والاعيان من كل سنة ويكون ذلك في محل المجاس وكذلك تقدموا كتب أخرى على حسب الحوادث (وأما) المواكب الاهلية فهي رأس العام ولايحتفلون لغيره من الاعباد وإنما يكثر من استدعاء بعضهم إلى بعض للسامرة ليلا فيمابين المعارف زيادة على الاجتماعات في أما كن العموم كالأهلي والمنزهات وبسبب ذلك يقع التعارف بين الرجال والنساء المردين لا تزوج فتكثر الخالطة بينهم في حالات مختلفة فاذا حسن عند كل طابع الأسرورة يرنه خطب أب الزوج أبا الزوجة في بنته لابنه فاذا حسن لديه أيضا أجابه واذ ذلك في الغالب يجتمعون خواص أحباب كل من القريتين في بيت الزوجة لوليمة من طعام من الحلويات والمخزوروان لم تكن الدار لائقة للاجتماع فحبل الوليمة

الولاية في إحدى المساكن المسافرين فيومضى صاحب الولاية صاحب المنزل على ما يريد
ويعين له الوقت وعدد الأشخاص ويتوافقون على الثمن وعند قدوم المدعوين
يجدون المحل على أحسن انتظام وكذلك يصنعون في الولاية في الدار إذا كان صاحب
لدار ليس له عدة الضيافة مع ان داره قابلة فان صاحب منزل المسافرين يأتيه بكل
ما يكفي من أوان وأطعمة وخدمة وغيرها وليس على صاحب الدار الادفع الثمن مع
الراحة وحسن الانتظام في سائر أنواع الولاية ثم اذا حان زمن العرس يحضر أبوا الزوج
ويدفع للزوج مهرا بنته من مال عين أو أملاك ويكتب ذلك على الزوج ويكون أمانة
في يده ثم بعد ذلك يتوجهون الى الكنيسة فيجدون المدعوين هناك ويحضر القسيس
ويبارك على كل من الزوجين يأخذ خاتمان ذهب من أصبع الزوج ويدخله في
أصبع الزوجة ويرش عليهم ماء ويكون العروس اذ ذلك لابسـة لاحسن لباسها في
لون البياض وتحملة بعمالة من الخلى ثم يحاق الزوج بيده اليمنى على صدره وتدخل
الزوجة يدها اليسرى في ذراعه وينصرفون ويقف آباؤهم معهم في محل عند باب
الكنيسة ليقبول الهناء من المدعوين ثم يسافر العروسان حالا الى أى بلد أرادوا مدة ما
على حسب الرفاهية والجدة وذلك لأمريـن أولهما عدم الحياء من معارفهم بالاستراحة
من الاشتغال بحركاتهم وسكناتهم وثانيهما اتقضى مدة في الانكباب على لذاتهم من غير
قرب بأدى كلفة مع الاقتصار في المصاريف للولاية لاجل المعارف وينفقون ما ينفقون
في لذاتهم هذا في الأغنياء (أما الفقراء) فيستعوضون عن السفر بالخروج لأحدى
المنتهات ثم ان الزوجة لا تكسوف العرس الانفسها والزواج هو الذى يكسو بيته
وبعد ذلك يكون مصروف الزوجة فى أكلها ولبسها وسكنها على زوجها وذلك المال
الذى أعطته مهر الزوج باق على ذمتها وانما يصرفون دخله على كل منهما ومن
ولا تهم أيضا ولاية بلوغ البنت فيه لبسها بالباسا كله أبيض وبرقعاً أبيض صفيقاً وتذهب
الى الكنيسة ثم تعود لدار أبيها وتصنع لذلك ولاية (واعلم) ان ما ذكرناه من الذهاب الى
الكنائس ليس أمراً حتمياً بل هو عادى مجرد التعود عليه عندما كانوا يجرون الاحكام
الديانية في الأحوال المدنية وموكب الماسـة تم عندهم لا يجهرن فيه بالبكاء وبعد قدوم
القسيس لحضور موت الميت يبقى مدة من الايام لتحقيق الموت حيث أنهم هم ووجدهم وبعض
الذوات يظهر عليهم الموت وهى في الحقيقة لم تمت مع تعمير الاطلاع ولوم حذاق الحكماء
ويكون هذا بالخصوص في موت الفجأة وأما الهاوكن هذا لا مانع في وياتي انما اذا استجاب

التجهيل بالدفن انما هو عند تحقق الموت بيقين (اما قبله) فيحرم لانه يصير قذرا وقد شوهد ذلك في كثير ممن نثرت قبورهم بعد زمان فيجدونهم في حالة غير التي يوضع عليها الميت ويجدون الا كفان ممزقة وجيوب القبر بها آثار الخدش فيجب التنبه لمثل ذلك وقد قالوا ان ذلك النوع يحصل بكثرة في الامراض المستتوية وقد سمعت بذلك في بلادى مرات متعددة منها في سنة ١٢٨٤ حيث استوفى مرض الحمى الخبيثة فكانت عدة جنائز ذاهبين بها فاطام المارة على حركات في الميت وأوقفوا الجنائز ووجدوه حيا وتارة ينادى هو من نفسه متفجعا من الحسالة التي هو فيها ثم ان أهل ايطاليا يابعون تحقيق الموت يكفون الميت في اياهه النظيف ويحمله لونه في صندوق من خشب ملفوف في رداء اسود عليه شريطان من قصب الفضة وتعمل الجنائز في كروسة معدة لذلك ويركب مشيعوا الجنائز في كرايس معدة للعزى كاهن اسود وأغنياؤهم يربطون في كروستهم خيلا سودا ايضا وعدتهم اسوداء وينهبون بالميت الى المقبرة فيدفن في قبر عميق ويحكم سد التراب والبناء عليه ويحمله لون على القبر ورهبيا كل من الرخام ويتأقون فيها (واما) الفقراء فتجعل جنائزهم في سرايب مع بعضها وقد اتخذ بعضهم ما توضع في هاته الخحات ولم يبق الا عند بعض الهنود وهو احراق الميت فانهم يحمله لونه في فرن من حديد يحكم السد لكيلا تخرج الرائحة ويصب عليه زيت النفط ويحرق ثم يأخذ رماده ويخزن في اناء في مكان حتر في دار أهله وبعض الاغنياء العزيز على أهله تصبر جثته بعد اخراج امعائه ويلبس ثيابه الفاخرة ويجعل واقفا في جهة من البيت في خزانة وجهه ازجاج

مطلب

❖ (في اللغة) ❖

لغة عموم الاهالي تسمى طليانية وهي فرع من اللاتينية وما يكتب فيها ينطق به على حسب الحركات المرسومة وهي لغة واسعة مساعدة في النشر والنظم على محور عندهم معلومة ولذلك تجد اشعارهم بها جيدة المعاني على حسب اصطلاحاتهم فغما يستحسن عند أهل العربية ومنها ما يخالف الاسلوب البلاغي وتلك اللغة وان كانت هي اللغة العامة والرسومية في الكتابة والعلوم وغرها لکن توجد في أطراف ايطاليا بالغات شتى حتى لا يكاد بعضهم يفهم بعضها بالتخاطب اما اذا رجعوا الى الكتابة فيرجع الكل الى لغة واحدة واصطلاح واحد

(٦٣)

م طلب

﴿ في القوة المالية والحربية ﴾

فرنك

دخل الدولة سنة ١٨٨١	٠١٥٨٣٥٠٤٣
نرجها	٠١٥٨٣٥٠٤٣
دينها	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠
قوة التجارة في المملكة بين الداخل والخارج من السلع	٠٢٦٠٠٠٠٠٠٠٠

عساكر

تحت السلاح ٣٩٥٩٥١

رديف ٤٣٣٨٧٦

٨٢٩٨٢٧

بحرية ١٠٠٥٠٠

٨٠ سفن حربية مدرعة ونخشب منها مدرعة تساهي الدول وهي أكبر

مدرعة في البحر

مدافع ٦٥٥

امتداد سكاك الحديد أميا السنة ١٨٨١ ٥٠٩٨

الباب الرابع

﴿ في ملكة فرانسوا مارا بنه فيها ﴾

الفصل الاول

﴿ في سفرى اليها ﴾

قد تم اننا وصلنا الى بلاد مودان التي ينتقل فيها المسافرين الى الزل الفرانسوى وكان وصولنا اليها الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل فوجدنا المحطة ممتلئة من الخدمة ومدربين باللباس الثخين لا تدثر من النبل والبرد بأرجلهم أحذية من الخشب فلما أردنا

الركوب في الرتل الفرنساوي وجدنا المخدع الذي أوصينا عليه بسلوك الاشارة حاضرا في الرتل وسألنا المكافون عن ورقة الجوار فلما أخبرناهم أننا من تونس وأردنا احضار الورقة ورأوا الباس مارحبوا وقالوا لا يلزم اخراج الورقة ولا فصح الصناديق لنظر ما بها فركبنا حالاً في غاية الراحة وقف على الرتل ساجداً على الارض بسمرة أزيد من الرتل الطاماني غير أن المخدع كان أقل انتظاماً من المخدع السابق فأردنا النوم بقية الليل لكن سدة البرد منعت من استراحة النوم ولم يزل الرتل ساجداً وساجداً الفجـ وظهروا فطر الارض والمحاصيل انه على نوع متشابه مع أعلى ايطاليا ير أن الفرق الذي يرى هو كثرة البلدان والقري بأرض فرانساعلى ايطاليا وكثرة الديار المنفرة في المحقول والارضى بايطاليا على فرانساعلى ايطاليا وكثرة الديار المنفرة في المحقول فكانت مدة اسيرهم من تورين الى باريس احدى وعشرين ساعة وكانت باريس تظهر من بعد في الليل كأنها سماء زينت بالكنواكب واستمر الرتل سائرا من مبدأ علائق المحطة الى أن وقف نحو خمس عشرة دقيقة فاذهى محطة أضخم وأوسع من جميع ما رأيناها فنزلنا سادخلنا الى الكرك ولما نظرنا المكافون قالوا لازم ومنفش رحلكم وأنتم مصدقون هل عندكم من ساعة تؤدى الكرك فقلنا ليس الانشوق وما زهر وورد فقالوا هو بمقدار حاجتكم أم للتجارة قلنا بـ درجائنا فاذنوا بسراج الرحل بدون تقشيش رلا أداه فركبنا كروسه كبيرة لمنزل المسافرين المسهي أوتيل دى كابوسين الذى هو من المنازل المحسنة الواقعة بأعز طرق باريس وأكثر التوسمين نزولاً به فاستقر السير خيما من الخيل نحو امان ساعة من المحطة الى المنزل وكانت الطرق كلها منيرة بالقوانيس نوراً زائداً على غيرها وهى طويلة وسبعة أزيد من غيرها بحيث ينتهى النظر في طول الطريق فأقمنا بذلك المنزل تلك الليلة وعشرينا في الصباح أفطرنا بطورا خفيفا وطابت الحساب حين لم أساوم قبل النزول فاذا أجرة البيوت ليلة وثمان العشاء والبطور الصباحى لثلاثة أنفس نفوسا معون فرنكا فخرجننا من هناك وتلاقينا مع المعارف واكثر والى منزلنا خاصة اذ أربع بيوت بجميع لوازم فرشها وخدماءها بثلاثمائة فرنك في الشهر غير أن الاكل خارج عن ذلك بل يأتون به من احدى أما كل القرية هناك وهى كثيرة اذ كان المنزل على النهج العظيم في باريس المسهي بلغاردى كابوسين وهو من الاماكن الشهيرة بالعمارة في باريس ثم أن كثرة قرعة البعثات التى تفوق عن الرعد ذلك الطريق ليلانها را كدبرت الى الاستقرار هناك حيث إنها لا يخفى دوماً الا بعد نصف

نصف الليل بساعة وما بضيء النهار الا ونعود لما كانت عليه فانتقلت الى منزل آخر اوسع
من الاول ويتعوى على سطح ويدت جلوس ويدت أكل وثلاثة بيوت للنوم بجميع لوازم
ذلك كله مع تغبير الفرش والمناويل بالنظيفة والكراة قدره ثلاثمائة فرنك في الشهر
وأحضرت طباخا بأربعةين فرنكا في الشهر وخادما بعشرين فرنكا وكان المصروف
اليومي على لوازم الاكل نحو العشرين فرنكا في اليوم مع الاقتدار على قبول بعض من
الضيوف والارتياح من الاحتراس في الاكل وكان هذا المحل أيضا باحدى الاماكن
الشهيرة الفضة المسمى بشانزلى لى لكنه لما كان طريقه شديدا اتساع ومحل مرور
الجملات فيه يبعد عن حيطان الديار نحو العشرين مترو وكان تخصيص الطريق بالحصا
المساواة بالمرمل بخلاف الاول لانه مبطا بمجارية الصلبة التي في قطع الشجر فكانت اذنية
الدوى مفقودة في الثاني مع حصول المنظر الجميل واجتمعت في باريس بأشهر أطباءها *
في المرض العصبي اذ لكل نوع من الامراض عندهم مشاهير مختصون به والحكيم
الشهيرة في هذا المرض عندهم هو الحكيم شاركو وأحضروه الى في بعض الايام اثنين
من مشاهير أطباءهم وكانت اجرة زيارة الواحد في المرة الواحدة ستين فرنكا واذ ائزار
الحكيم في داره يعطى اربعةين فرنكا وعما يدل على شهرة هذا الحكيم وغناه يعلم انه دعى
يوما ما رضى في باديرين قاعدة مما كتبه المسانية فذهب عشية الجمعة ورجع عشية الاحد
في القتل وأعطى خمسة عشر ألفا فرنكا لاجل تلك الزيارة وعلى ذلك فقس وهو انما
يقبل المرضى في يومين فقط من الاسبوع وبقية الايام يقرئ فيها دروسا عالية في الطب
العصبي ولده مستشفي في خاص بالامراض العصبية تحت نظارته يتعوى على نحو عناية
آلاف مريض ذكر لي يوما الطبيب فيفر والذي هو جمعية الحكيم المشار اليه ومما أثر للعلاج
بالكهربيان ذلك اليوم كان في المستشفي مريض أخذوا الاكل سبعة آلاف وستمائة
ونيف عدا من لم يستطع الاكل ومن كان ممنوعا عنه وذكر ان المستشفي في حوسب على
الاطباق الزاجية الموضوعة في أبواب الطواقى فاذا هي ثمانون ألف طابق وذلك الحكيم
مع سبعة معارفه هو بشوش مؤانس حتى صار ودودا الى وله ولزوجه ولوع كبير بالتياب
والفروشات والاواني وغيرها الصيفية والشمسية والعنقية من صنائع أوربا حتى كانت
بيوت داره مكسوة بأشياء بديعة ذات قيمة عالية جدا تتجلى وزمئات آلاف فرنك ومن
مصائب الجهل بالاسن ما حصل لي يوما وهو ان الطبيب أخبرني بان المسكن الذي تعودت
عليه بالاحتضان تحت الجدران بما يتأس به البدن فلا يبقى مؤثرا ولا لك يريد أن يعمل

وجه في ذلك وان الاول في ان نقص من مقدار الاستعمال منه بان اصنع ربع المحقة فقط هكذا افهمنى المترجم ثم اتى بالعلاج المسكن من الصيدلانى فتخير على الام بين العشائين كما هو عادة طرومه في الاغلب فعلت المقدار مثل ما قال الطبيب فلم يسكن وظننت ان الدواء هو المعتاد فزدت نصف محقة فلم البث قدر ثلاث دقائق الا وايقنت بالموت ووجدت المالم اعهد به ولا اقدر على التعبير عنه وانما اقول اظلم الجوف نظرى واحسست بنفسي ساقطاً في جب لا قعر له وغاية ما أدركت ان طالبت المصحف الكريم وضممته على صدري واستشعرت انى اهل الآية لقد جاءكم سبعه اولسانى لا يكاد يسمع الحروف ولم ادر ما راء ذلك فلم يبدئ بشعورى بالوجود الا بعد نصف الليل بثلاث ساعات فرأيت اتباعى ومعارفى حولى يهكون وجميع ما اراه احر ثم رجع الانجس ثم الاستيقاظ ولازال الامر يتدرج في الخفة الى الصباح وانافى غايه الضعف وسألت الطبيب عن السبب فأخبرنى أن العلاج قد غيره بمسكن آخر يسمى الاثرويدينا مضاد لمسكن المرفينما وأقوى منها بأضعاف كثيرة وانه كان شديداً الوصاية فى التحذير منه للترجمان اذ ذلك المقدار الذى عماته يكفى لقتل عدة أشخاص وان من لطف الله أن كان فى مزاجى من المرفينما مقدار وافر من استعمالها سابقاً حتى كانت مضادة لذلك السم القاتل ولله الحمد على لطفه وعفوه وما ذاك الا من جهل اللسان واضرار المترجمين وقد أقمت بباريس فى هاته السنة فخره شهر ثم عدت اليها سنة ١٢٩٥ وأقمت بها شهرين ثم عدت سنة ١٢٩٦ وأقمت بها شهر اوها أنا افر ولصفتها فاصلاً خاصاً

الفصل الثالثانى

﴿فى باريس وصفاتها﴾

باريس وما أدراك ما باريس هى نزهة الدنيا ويسر ان العالم الارضى وأعجوبة الزمان ولعمري انها احق باسم ملكة من اسم مصر وهى النموذج لغرائب مصنفات البشر وحق للفارساوين التفاحير بها ومباهاة الامم بمجاسنها وأجسامها وغناها ومعارفها ومصانعها فعمها فكرت فى احدى هاته الاوقات ان القوم قد انحدرت أعمالهم فيها ثم اذا التفت للاخرى تقول مثل ذلك وهكذا ولكن افاقت على غيرها باجتماع الكل فيهم افسدق عالم المثل كل الصيدى جوف القرا ولو اراد الكاتب الاستقصاء فى كل طرف مما احتوت عليه لضاقت هذه الجملات واضطر الى الاكتفاء بالاشارات وبالجملة فالواقف

فالواقف عليها يزداد يقيناً في العلم بقدره الخالق وإن أحوال الاسخرة فوق عقولنا كما أخبر
 به الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام من وصف الجنان وإن فيها ما لا يخطر على قلب بشر
 فإذا كانت هاته مصر لم يكن يخطر بالفكر شخص صورته إلا بعد رؤيتها مع انه سامن
 مواد معهوداتنا فكيف يعلم نه هه مادته ولا تصور طبيعته وربك بخالق ما يشاء ويختار
 وهو على كل شيء قدير فاجال وصف هاته مصر المتحصنة انها بالدي في مهل بهاري قليلة
 الارتفاع يخترقها نهر السين الذي يحمل القوارب والبواخر الصغيرة وعليه في البلد
 عشرون جسراً مختلفة الاشكال منها ما هو من قوس واحد من حديد ومنها ما هو من بناء
 وتم تحتها البواخر ومنها واحدة في طرف البلد جهة قرية تسمى عليه جسراً آخر مرتفع
 جدا على حنايا يمر عليها الرتل في طريق الحديد فترى البواخر جارية في النهر وعلى الجسر
 المشاة والفرسان والجملات ومن فوقهم الرتل كأنه سابح في الهواء وكل جسر مرسوم على
 ثلاثة طرق فاليمينى والشمالى للسانة والوسط للركاب والجملات وفي وسط النهر جزيرة كثيرة
 به ما باني وديار ويخرج من هذا النهر ترعة تذهب جهة الشمال الغربي من المملكة
 الى أن تتصل بنهر المارن وهي في أغلب البلد مغطاة بالبناء المنعمه وعليها الابنية
 ويحيط بالبلد سور مخفوض شديد العرض عليه حصون في جميع انحاءة وخارجه
 تحندق عريض جدا عميق يملأ بالماء من النهر عند الحاجة وللور أبواب أنيقة من
 الحديد ومحيط دائرة السور أربعة وثلاثون الف متر ونتم تقسيم المصر الى عشرين قسماً
 كل قسم منفرد بإدارته كانه بلد مستقل ثم يتحد الجميع في الادارة العامة في المجلس البلدى
 الذى هو احق باسم دولة اذ دخله مليون ٢٦١ منها من ايراد الغاز ١٨٠ مليون
 ومصاريفه نحو ذلك منها ٩٩ مليون لقائدة الدين و ٢٢ مليون الى المكاتب والنافعه
 و ١٦٠ للجماعة من وما بقى لمصالح المدينة كانه يصرف في مصالح البلاد وتحسينها وعلى
 المجلس من الدينون ازيد من ألف مليون صرفت في التحسين اذ انه لم يزل يشترى حارات
 ويهدمها ويفتح فيها طرقاً وبطحا آت وما فضل يبيعه أو يبنى فيه مساكن وحوانيت على
 حسب ما يقتضيه المكان وقد شاهدت في سفرى الثانية لمساته المصر أن المجلس البلدى
 فتح طريقاً مستقيمة مسطحة عامن بطحاء الوبيرة الكبيرة الى بطحاء بالى اروايل وباع
 ما فضل من الارض فبلغ ثمن الميتر الواحد من الارض على التوزيع أربعة آلاف
 وخمسمائة فرنك وبلغ سعر الميتر وحول النهج الموصل الى ابواى بولونيا الى ثلاثة
 آلاف فرنك وهكذا ثم ان طرق البلد عددها ازيد من ثلاثة آلاف طريق وهي

تقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) يسمى آفمور وهو ما كان وسيعا جندا وحوله أشجار مينا
وشمالا ووراها قصور (والثاني) يسمى بلغار وهو ما كان أضييق من الاول ويزيد عليه
بان يكون تحت القصور حوانيت بهيجة (والثالث) يسمى رور وهو بقية الطرقات ومن
محاسن طرقها أنه يوجد فيها غالبا سيملا الطرق العامة محلات للبول مستورة بشكل
ظريف على هيئة قباب في وسط الطريق والماء بها جار كما توجد محلات الخلاء في غاية
النظافة وهي أيضا كثيرة وذلك من واجبات البلدان الكبيرة لبعدها عن الماشى عن محله
وذلك أمر ضروري وأجل الطرق منظرا هو البلغار الذي يشق اليه لا تقربا من الجنوب
الى الشمال وينتهى في جهة الشمال الى البطحاء المسماة بلاس لا كذكره
فتصل بها حديقة الشانزلي وتنتهى الى البطحاء التي بوسطها قوس النصر المسمى
ارك دي ترينوف ويخرج منها اثنا عشر نهجا وقد كنت في سفر في الثمانية سنة ١٢٩٥
نزلت بأحد هاته النروج المسمى قديما افنوالا مبرانريس والآن افنوا بوادي بولونيا
وكان الوقت صيفا فركبت احدى اللبا الى مع أحد أصدقائي من منزلي في كروسة يجرها
فرسان وتوجهنا الى جهة البلغار وكان ركوبنا في الساعة الثامنة بعد الزوال فسرنا خيما
ساعة ونصف ولم نصل لمنتهى البلغار من جهة الجنوب ثم رجعنا وقد قضينا السهر في
الطريق ذهابا وايابا مع المنظر الجميل والبهجة بنور المصابيح وكثرة ازدهار الماشين
والعواجل وبأجمل فنهذا البلغار هو مما انفردت به باريس على غيرها من المدن الشهيرة
وهو في الدليل أهمى منه في النوار لكثرة ما ينور به الطريق والحوانيت مع حسن وضعها
وتزيين ظاهرها وتجميل ما يوضع بها من البضائع وجمال ذاتها وتضيئتها وتصنيفها وهذا
البلغار له عدة أسماء باقية بجهات منه وقد كان إنشاء أصل هذا البلغار سنة ١٥٣٦
وكما قرب الى المنتهى جهة الجنوب قلت نصارته بالنسبة لنفسه في الجهات الاخرى والبلد
وان كانت تشمل بلغارات أخرى بلغار هسمان وغيره لا ذكر ولا كالبلاغار السابق والذي
زاد باريس بهجة ضخامة أبنيتها وارتفاعها وتناسقها وتناسقها في الظاهر ثم في باريس
أما كن أحرانية فنهنا الى اروايل جوار قصر ملكي سمي به وهو عبارة عن مربعين
يتصل أحدهما بالآخر محيط بهما حوانيت تحت مرادقات وفوقها قصور ومطاعم
وحمامات ومنازل وفي وسط أحد المربعين حديقة نضرة بوسطها حوض وفوارات
وحولها قهاوى ومقاعد والحوانيت تشبه كل جميع ما يحتاج اليه فترى حانوتا منضدة
بترصيف البواقي والجواهر وبازا شاع حانوت أخرى منضدة باليوم والخضراوات
وتلاصقها

وتلاصقها قهوة ذات منكمات وهكذا ولا يمل نظرك من تلك المناظر البهيجة ومع ثبائ
أنواع المبيعات تجد ما في غاية التناسب لما من الرونق والنظافة وتجد المبيعات هناء
غاية الغلاء ومع ذلك فلا تبور سلعهم لأن مرفى الأهالي يشترون الشيء لبايعه ومحل بيعه
فبأقوة الزهر مثلاً تشتري من هنا أو من الباعة بخمسة مائة فرنك يمد يد المترفع لمزينة باسم
صانع ربطها مع أنها تشمل زهرة من أمريكا وأخرى من الجابون وورقة من أواسط أفريقيا
وهلم جرا وقد رأيت حائناً تبع الزهور في الباعة كراؤها خمسة عشر ألف فرنك في السنة
وباع صاحبها بقية في رأس السنة بخمسة مائة فرنك وهكذا حوائث بالي أروايل وكان
أكثر يباع في البواقيت مركزهم هو هذا المحل فذلك كان له زيادة في حسن المنظر إذ كل
الشيء في البواقيت ترى مرصعة وراء أطباق الزجاج مكشوفة ليكل ناظر وقد كان إنشاء
هذا المحل سنة ١٦٢٩ ومنها حديقة شانزلي وهي غيضة في طول ميل تقريباً وفي
منتهى اقرب البطحاء تصير كأنها بستان أنيق ذو عمارتي وقهاوى ومقاعد وملاهي منها
ما يسمى كافيه شانه فان الانسان يقدر أن يتعشى فيها منفرداً بأطيب ما يشتهي والموسيقى
تعزف واللاعبون في الملهى يشبهون ويغنون بالمضحكات وكذلك بها كافيه يساها
على نحو ذلك وفي أعلى الشانزلي بطحاء واسعة يتصل بها اثنا عشر طريقاً وبوسطها
قوس النصر المسمى ارك دي ترينوف الذي بناه نابليون الأول ورسم على حيطانه صورة
جميع حروبها التي انتصر فيها وهو بناء ضخم جداً شاق للغاية ذو أربعة أقواس متعاقبة
متصلة ببعضها يصلحها إلى أعلاه بدرج داخل إحدى زواياه وعدد درجته مائتان وأحدى
وسبعون درجة ومنها جردان مايل الذي يفتح ليلاً وتخل أوراق أشجاره وزهوره بها
يبدعون من الأنوار حتى يكون في أرضه وغصونه ما يبلغ عدة آلاف من المصابيح الملونة
الزيت كالوان الزهور غير أن من له عرض يتجاسا الدخول إليه أكثر من يدخله من
المومسات ويصن برقص هناك ويعيش مع الرجال فقدمت من أخبار صحيفة الديما
الإنكار على الحكم في اطلاق تلك العاهرات حتى عيىوا بالصينيين الذين قدموا المعرض
باريس سنة ١٢٩٥ عندما دخلوا إليه لئلا ذلك البستان للتفرج وسبب كثرتهم هناك
أعفاؤهم من الأداء على الدخول بخلاف الرجال فكل من دخل دفع جس فرنكات مع
حضور آلات الطرب وكثرة المشروبات والمطويات في مقاعد ذلك البستان المئاة سنة ١٦٧٠
ومنها بالاس لا كنه كورد المتصلة بغضة الشانزلي السابقة المذكورة وبوسطها
حوضان كبيران وفوارات محيطها فوانيس وبين الحوضين العمود المسمى بالسلسلة

الذي جلب من مصر وعليه كتابة بالسان المصر بين القديم وحروفه - م التي هي أشكال
حيوانات ونصب هناك سنة ١٨٣٠ وطوله انسان وسبعون قدما في قطعة واحدة من
حجر دون القاعدة المنفصلة التي ركز عليها وعرضه من أسفل سبعة أقدام وكلف جلبه
مصاريف عدة ملايين حتى أنشأت له سفينة خاصة وقد نورت هذه البطحة بالنور
الكهربائي الذي هو كنوز القهر لونا وطول هاته البطحة مائة و ٢٤٨ وعرضها مائة و
١٦٩ وتمتد بالنهر وبالبحار ومنها حديقة التوري المتصلة بالبطحة المذكورة
أيضا ذات المقاعد والمساطب وهي امام قصر الملك ومنها البلاس فندوم التي بها عمود
نابليون الاول صنع هذا العمود من ألف ومائتي مدقة من النحاس غنمها الامم براطور
المذكور في حروبه ورسم عليه صور المعامع التي انتصر فيها المذكور ووسط العمود به
مائة وستة وسبعون درجة تصعد بها الى أعلاه وفي قمته تمثال نابليون وقد أسقطه
الذكور أي جماعة الاشراكين الذين يريدون أن تكون الناس كلهم شركاء في
جميع الموجودات وذلك في ثورة سنة ١٨٧٠ فأعادته النجهمورية الى مكانه في يوم
مشهود وكانت حاضرة سنة ١٢٩٢ ومنها افندوى لوبرة الواصل بين بطحاه الملهي
الغريب المسمى بلوبره وبين بالي اربايل وقد نورت بطحاه آتته وحفاته بالكهرباء ومنها
الباساج أي الاسواق المسقفة بالزجاج التي لا يعرفها الا الماشي وهي ذات حوانيت
يمينا وشمالا من أبداع الاشكال والتخمين ومنها غيضة أبواي بولونيا أي غابة بولونيا
من أبداع الاجسام والنباتات المشتبكة بالتصنع وفيها بحيرة صناعية وجبال وأنهار وجسور
كلها صناعية وبها سماءش قلعواجل وأخرى للفرسان وأخرى للشاة ومقاعد وشالات
تخدر منها المياه وآجام ورياض وقهاوي ومطاعم بأحسن تنظيم وفي البحيرة طيور مائنة
وجزر وقوارب يركبها الناس الى الجزر والناس يفتابون هاته الغيضة التي هي خارج
باريس في الجهة الغربية الشمالية لابلانها وهي مسمى أهل الترف سيماء أيام الاحاد
والاعباد وقد شهدت يوم عرض الجيش ويوم السباق الاكبر سنة ١٢٩٥ ان طرق
المصر الموصلة لهاته الغيضة قد غصت بالجماعات على كثرة وسعها فان طريق الشانزي لزي
عزفنه از يد من عشر كراريس متحاذيات ومع ذلك لم تستطع العواجل ان تتحرك فيه
وكذلك طرق هاته الغيضة حيث ان الميدان وراءها وهو سهل رحيب فحوميلين في
منها ما وفي جهته الغربية ثلاثة اراوين منفصلة عن بعضها وملاصقة مستقيمة بواشيتها
ومقاعد هاجحة الميدان وأوسطها به بيت لصاحب الملك وجميعها هيئة جهمة استقبله

هي ان بعضه أعلى من بعض متدريجاً ويدخل اليه من ظهروه وامام كل منها فمحة بها كراسي ويفصل بينها وبين الميدان درابز بن ولا يدخل الى تلك الاواوين الامن كان يمدته تركة الاستدعاء من الدولة وقد حضر موكب السباق سنة ١٢٩٥ من خصوص المدعوين ما يزيد عن الخمسة والثلاثين ألفاً (أما) مجموع المحيطين بالميدان بين راكب وراجل فهو ينوف عن نصف ما يكون من الخلائق وحول الغيضة أيضاً ميادين أخرى غير السباق الكبري وبها محل للرمية وهاته الغيضة دمرتها عساكر المانيا وعساكر فرنسا سنة ١٢٨٣ حيث كانت مرسى للبحر ولكني لما رأيتها سنة ١٢٩٢ كانت كأن لم يكن بها شيء وكانت أشجارها ثابته فيها منذ قرن حيث أنهم لما أصلحوها تلوها اليها الأشجار العظيمة من الغابات ولهم في كيفية نقلها براعة أعان عليها لم جلا التمثال وآلات البخر حتى أنهم يعملون الشجرة بأرضها المناسبة بها من غير ان تمس عروقها ويبقى محلها كأنه بثرومنها غيضة ابواذي قسن وهي خارج البلاد من الجهة المقابلة للغيضة السابقة وهي على نحوها وأشجارها أكبر غير انها لا رونق عليها وكان ذلك لعدم انساب الاغنياء اليها وانما يتفصح فيها الاواسط والغرقاء لبعدها عن حارات الاغنياء وليكن نقها ويها ساحتا للعاب رياضية بدنية بالآلات كثيرة تستعملها الاهالي وهاته الغيضة توصل اليها بالبحر والحوافل المسماة بالامنيوس وبالتراموي الذي تجره مزجية بخارية وكل هذين النوعين لا يستعمل في الغيضة السابقة لكثرة واردها مع الغنى والترف ومنها غيضة باروك مونسوقرب الشانزي لزي لها ابواب من حديد مذهب يخرج من ابواب شرايات الملوك المسرفين وهي ليست بكبيرة جدا وفي باريس عدة غيصات على نحوها في كل قسم منها غير انها ادون منها ثانياً ومنها جردان دي كليما تسيون الذي أنشأته جمعية أهلية للنباتات والحيوانات وقد جمع فيه من كلالا اميرين كلما بقدر عليه البشر من جميع أقطار العالم واسكل نوع من الحيوانات والنباتات هيئة وهو اصناعت على نحو ما هو متاديه في قطره وقد تدبسر بذلك التحفظ على حياة جميعها غير ان الاشجار المعالج هو اؤها اذا انمزت لم تسكن ثمرتها كصاها ومن ذلك النخل فان ثمره لم يكن تراثم الحيوانات التي يصعب جلبها اذا مات منها شيء فانه يصبر جسمه لينظر على نحو ما كان عليه مدة حياته اما ما رأيت فيها من الحيوانات البرية والبحرية قبل زمره كتاب حياة الحيوان ليستوفي الكلام عليها اقول باختصار ان أنواع الكلاب وحدها تز يدعى المئات فضلا عن غيرها وكذلك أنواع

* الببغا من الطيور بألوانها وتذهيبها البديع ومن الحيوانات الغريبة نوع من
 الضأن الكبش منه كالحيوان المسموع غير أنه لا يأكل اللحم وإنما هو جوف وحمى
 قوي جدا ومن حيوانات البحر أسد البحر وله صوت عال ويخرج إلى البر أحيانا يأكل
 ما يلقى إليه وهو سريع الحركة قويها جدا ومن حسن تربية الأشجار أن شجرة ترى
 قاعدتها على أصل واحد ثم تنفرع وتصير كالأكورة ثم تجتمع وتصير أصل واحد ثم
 تختلف على أشكال عديدة وفي هذا البستان عجالات فخرها خيل صفار جدا من يريد
 * المجولان راكبوا فيه بحلة يجزها أربعة من المعزير كرها الصبيان وأخرى تجر هانبا
 يركبها الصبيان أيضا وهنالك أفيال برخوتها يركبها كل من يريد ذلك وفيه أيضا
 محلات للقهوة وأخرى للجلوس وتتماه الموسيقى في أيام من الأسبوع وعلى كل داخل
 للبستان أن يؤدي فرسكا واحدا أما إذا أراد شيئا آخر غير التمني والجلوس فيؤدي أجره
 * وله أن يشترى من كل ما في البستان من الحيوان والنبات غير أنهم إذا كان لهم من النوع
 فرد واحد فلا يبيعونه وقد وجدت فيه سنة ١٢٩٦ ملهى مركبا من سودان أفريقية
 "مهم بالزئوس لوقوع الحرب بينهم وبين الانكاز في ذلك التاريخ انكسروا في الواقع
 من سودان مصر كما صرحوا إلى أنفسهم بذلك ويتكلمون بالعربية ويصورون حروبا
 * وغيرها ومنها جردان دى بلانت وهو مثل السابق غير أن بينهم عموما وجهيا فالاول
 أبهى منظرا وكثر حيوانات والثاني شغل على الحيوانات المسببة التي يمنع
 وجودها في الاول لان الثماني للدولة وفيه كل السباع الا الكركدان فقد كان لهم منه
 * واحد لكنهم اكلوه عند محاصرة باريس ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م ومن أعجب
 ما رأته من الثعابين ثعبان اسود في غلط عقدتين وعينه جردان يظهريه
 خيم شديد والزجاج المحيط به ممدوراه اسلاك غليظة من الحديد مشبكة تشبه
 ضيقا ويقال ان سبب ترميمه الزجاج كونه شعاع بصر الثعبان مدموما رأيت فيه
 الحيات على أنواع ويلقون اليها اولاد الفئار الصغار قبل نبات الشجر مجلداه فتنهش الحية
 وتعرض عنه فيأق معشيا عليه يضطرب ثم تعود اليه الى أن يموت فتأكل منه ولعل ذلك
 لانها منهودة على كل مثل ذلك وانظر من هذا المقدار اعتمادهم بتربية كل حيوان
 على طبيعته كما ينفرده هذا البستان بكونه فيه دار للتشريح والتاريخ الطبيعي
 مجسما فكانت جميع الاجسام من أنواع الحيوان فيه مصبرة ومشحونة والانسان
 على جميع أطواره من النطفة الى الشيخ القاني كما يوجد فيه خزنة لا كتب في الف

المذكور ومنها قصر معرض سنة ١٨٥٧ الذي جعل فيه الآن أنواع الصور والاصنام
 ومنها قصر اللوفر الضخم المتمعن البناء والتأنيق الملوحي وكان مسكناً للملك والآن معرضاً
 للطرف والآن نار الدهرية وفيه بيت يشتمل على بعض بدائع ملوكهم ومجوهراتهم
 ومما فيه مائدة من المرمر الأبيض مرسوم على سطحها خريطة أرضية بالوان المرمر الأخضر
 والاحمر وغيرهم بحيث أن كل جهة من الارض بلون خاص وفيه بيت لآثار الصينيين
 وآخر لدواخل أفريقية وآخر لعمال فردينساندي لسبس يسمى باسمه وفيه صورة
 خليج السويس مجسمة مع جميع آلات الحفر والاشغال وعدة بيوت لصورتشتمل على
 عشرات الآلاف من الصور وأخرى لبلدان مجسمة وبحاروسفن ومراسي وجميع
 غرائب الاقطار يقضى فيه الانسان مدة أيام ولا يستوفى حصر ما فيه وقد أخذ من هذا
 القصر قسم لإدارة قسم من مالية الدولة ومنها قصر التولي الذي وصله نابليون الثالث
 بالقصر السابق وخر به الاشتراكيون بالحرق في ثورة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م
 وعملت الدولة قسطاً سنة ١٢٨٧ هـ على أصوله والعمل جار فيه غير أن ما كان داخله
 من الفرش والطرف لا يمكن استعماله عوضاً حيث كان مقر الامبراطور ويحتوى على
 أنفس بدائع الملوك وأمام هذا القصر حديقة بدعة نظيرة بها مائة ينابيع الناس منها را
 وليلاوراً يتهم ليله بحجبتين من أحد العازقين بالآلة كل باب كبيرة جداً في طول الانسان
 حيث أنه أتقن دقها بدون أن تكون أمامه وزينة التعليمات ومنها مائة كران لوبره
 الذي هو أمهي وأنظر من سائر القصور والملاهي واحتوى على الضخامة والتزييق
 والتأنيق والاسراف فدرجته المرمية وشكها ودرابنها توقف الابصار وهو ذو تسع
 طابقات لثلاثة فرجين واياواين لستة تريحين ويحمل خمسة آلاف من النفوس وينور
 بالكهرباء وأخبرت أنه صرف على انشاءه وأتميقه مائة مائون وأربعة عشر مائة وناظر نكا ومنها
 قصر اكسندورغ وهو وان لم يخلق نفاسة ماسبق ذكره من القصور ولكنه عجيب
 وبجانبه دار الرصد الجيحية التي هي في أرفع ربوة بباريس وفيها من المراكب المكبرة أنواع
 شتى منها ما عوفي حجم مدفع كبير وفيه بيت سقفه يدور على عجلات لكي تدور المرآة إلى
 أي جهة من السماء من غير مانع وتري منه النكواكب ليلا ونهاراً فقد شاهدت نهاراً
 بالمرآت نجم الريفلوس الذي لا يرى ليل إلا بالمرآة قال المدير ان بعده عن الارض
 أربعة وعشرون مليوناً وما لا يحصل ان في هذا المرصد جميع آلات علم الفلك وبه علماء
 متابعون على الرصد والتفتيش على ما يمكن لهم الوصول اليه ومنها قصر معرض سنة

١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م وهذا المعرض البديع الذي جمعات به باريس دارمأدية لسكان الارض واحتفالات بهم احتفال الكرام هو أبديع من جميع المعارض التي سبقته في جميع البلاد ولا ينفهم من قولي احتفال الكرام ان القادمين تقوم بشؤونهم فرانسابل كل منهم يصرف على نفسه وانما المراد هو انتهى لاحضار ما تشبهه أنفسهم وتاذيه أعيانهم من كل ما يدخل تحت قدرة البشر ثم انفاق النفقات الباهظة للمحافل العامة والمسابك التي يرضعها كبراء الدولة أحياناً ويدعون اليها أعيان المسافرين والاهالي فان دولة فرانساً قد قدمت ملوكاً أوروباً وغيرهم من الامراء والوزراء وكل من له اقتدار من غيرهم فانه يأتي لمشاهدة ما لم يمكن الوصول اليه بسهولة حيث انه يرى أنموذج جميع ما في الارض كله بمجمل واحد وقد كان ممن أجاب الدعوة من الملوك شاه ايران ومن غريب التواريخ ما قلناه في رحلته تلك وهو قولي مؤرخاً (قدزار أروبالشاه ناصر الدين) ١٢٩٥ له كنهه قدم على غير الصورة الرسمية ولذلك سكن بأحد منازل المسافرين وذكرت الصحف انه أظفر يوماً بلباد فونتيسين البوالتي حولها غابة ومنه تزهات فكانت نفقته في ذلك القصور أحد عشر ألف فرنك ولا يخفى ان سائر الاشياء كانت في تلك السنة في نهاية الغلاء بباريس لاسيما المأكولات والمفروشات بداخل المعرض لكثرة الواردين من الاقطار حتى قيل ان معدل القادمين من الانكايز كل يوم أربعة مائة ألف ومثلهم الرثخون فضلاً عن غيرهم من سائر الاقطار وقد اجتمعت مدة هذا المعرض بأعيان من العرب وغيرهم فن أعزته أبناء وطني الحازم النصوح محمد الطاهر الزاوش الذي هو من خيار الاهالي وترقى بنهجه لدى الامير ولي العهد ديتونس الى ان ولي مسة شاره وأبدى من النصيح والنجابة في اسفاره مع مخدومه لسياسة القبائل والعربان ما أقوله به المنصفون وله دراية جيدة بأخلاق الاهالي وله نصيح ووفاء عظيم مع الامير وسائر النخهاء وكذلك قدم من أبناء الوطن الوزير حسين والعلامة سالم أبو حجاب وقد تقدمت ترجمتهما واجتمعت بوجد دهره النصائح للأمة بالاذل في الاخلاص اليها نفسه حتى مات شهيداً الأوهوم دحت باشا الذي ولي صدارة الدولة العثمانية وأفتد بسايعه القانون الاساسي الذي لوجرى به العمل حقيقة لتنجت الدولة مما ألم بهم الكن لما كان الحق صعب الاجراء الاعلى من وفقه الله قد عزل ذلك الوزير الوحيد من الصدارة قبل استقرار العمل بالقانون ثم نفى الى خارج الممالك العثمانية ثم أذن له بالاقامة في جزيرة كريد ثم ولي واليا على الشام ثم نقل والياً على أزمير ثم قهرض عليه وحكم عليه بالقتل بدعوى اشتركة في خلع السلطان

السلطان عبد العزيز وقوله لم يكن أكثر دول أوروبا أنكرت الحكم سراً لعدم جريانه بالحق
الصراح فعرض عن القتل بالسجن المؤبد في الطائف من المحازم شيعت وفاته شهيداً
للحق رحمه الله ونعم. وكذلك اجتمعت بذى الاصاله داود باشا المصري حفيد محمد علي
باشا البنت وصهر الخديوي الحسني وكذلك بسفير الفرس سياريس نازار آغا وغيرهم من
أعيان الاقطار في الاجتماعات الخصوصية زيادة على الاجتماعات العامة في المكاتب التي
أشرفنا اليها من دولة فرانساف قد دعت مدة اقامتي هناك تلك الهيئة لمأدبة في وزارة
البحر وأخرى في وزارة الخارجية وأخرى في وزارة المال وكل منها كان خارج المهل
ودخله على غاية من التنوير والتزيين وجذائمه ملونة الانوار الارضية والفوقية كالوان
أزهاره وموائد الماء كل والمشروبات والمطبخات مصفوفة والموسيقى عازفة والاعيان من
الذسوة والرجال يرقصون أو يتفرجون في الملهى المخصص للمطربات وصاحب الوزارة
المدعو اليها الضيف يقف في البيت الثاني من المدخل هو وامرأته ويسلمون على
الداخل ويتلقونه ثم يكون الداخل على حسب ارادته ولا يلزمه الوداع عند الراح
ويرى الانسان آلاف من المدعوين بالغرائب منهم وذوى النياشين منقادين بها ورئيس
الجمهورية يؤانس البعض ونساءهم يتن بدلائن ولباسهن وحليهن فان منهن من تلبس
الشفوف المطرز بالؤلؤ النفيس من صدورهما الى ذيلها عدا حليها المكحلة بالياقوت الملون
ولا يكلم بعضهم بعضاً في هاته المواكب الامن كان له معرفة بالآخر أو عرفه معرف
نعم انهم يتهمون الى أدنى مناسبة للتعرف بالغريب يؤانسونه وبعاضطرت المرأة
زوجها أو فرجها الى عمل مناسبة للتعرف بالغريب سيما اذا كان لباسه على خلاف
معتادهم وقد عرفت الدولة لمصاريف تلك المواكب عدة ملايين فضلا عن مصاريف
الليلة الحافلة التي أعدوها تذكاراً للجمهورية وقد روى أن مصر وفرنسا والاهالي والجناس
البالدي في التنوير والتحصين والالاعاب النارية تجاوزتة عشر مليوناً فرنكاً وان ثمن
الرايات التي نشرت على طيقان الديار والطرقات تجاوزت اربعة ملايين وكان مركز
العب تلك الليلة هو بركة ابوادي بولونيا وقد اكثري بعضهم طاقة في العبقة التي فوق
من الدار التي نسكنها للفرجة تلك الليلة بسمعمائة فرنك حيث كانت على النهج الكبير
الموصل الى محل الالاعاب وكان المهندسون والعملة متهيمنين لها منذ نصف شهر وعلفت
الثرينات والفوانيس على الطرق قائمة على عيدان ومشبكة بالشجار وما قرب غروب
تلك الليلة الاوانتشرت العساكروا الخيالة في جميع المراكز حفظاً للراحة وخشية من

الاحزاب المضادين للجمع هورية وما غربت الشمس الا وناب عنها نور المصابيح ومنعت
الجهلات من السير في الطرق مطلقا وما بدت النجوم الا وتصادت لها شمساريج البارود
ترعى لها يقات ازهار الوانها المختلفة الاشكال وتراكم ازدحام خلق الله بما ينكر يوم
الحشر الاكبر ودام الحال على ذلك واصوات الموسيقى والمارود تنهأ من كل طرف
الى نحو الساعة الثالثة من بعد نصف الليل فرجعت العساكر الواقفون على البركة
بجياهم ورجاهم وبايديهم فوانيس على عيذان والموسيقى تصدح بلحن المرسى ليلان
وهي قصيدة في اثاره المحبة لاهل الوطن كانوا اعلنوها في الثورة الكبرى سنة ١٨٣٠
لجانب الحرية وقد كان ترجمته القصيدة العلاءة رفاعة باشا راجه الله ونظامها
ودونكها بنصها

فهيا يا بني الاوطان هيا * فوقت نفاركم لكم نريا
أتم والراية العظمى سويا * وشنوا غاررة الهيجا مليا

عليكم بالسلاح أيا أهالي * ونظم صفوفكم مثل الالاح
ونخوضه وافي دماء اولى الوبال * فهم أعداؤكم في كل حال
وجودهم غدا فيكم جليا * بنسنا نخوضه دماء اولى الوبال
أما تصفون اصوات العساكر * كوحش قاطع البية داء كامر
ونخبث طوية الفسرق الفواجر * ذبيح بذيةكم بطنى البواتر
ولا يبقون فيكم قط حيا

﴿عليكم الى آخر الايات الثلاث﴾

فإذا تبت في من الجند * وهم همج واخلاط عبيد
كذا أهل الخيانة والوغود * كذلك ملوك بني انيس ودوا
تعصمهم لنا لم يجدشيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لمن جعلوا السلاسل والقيود * وأغلا وأطوقا حديد
لاهل فرانسا البروا عبيدا * وليس مرامهم هذا جديدا
أما هذا عجيب يا أخيا
﴿عليكم الى آخره﴾

(٧٧)

وكيف يسوغ أن نرضى رعايا * من الأغـراب يبعون ارتفاعا
ويجري شرعهم فينا شعرا * وأنذالا لديهم--م لاتراعى
رعايا بل تكب على الحيا
﴿عليكم إلى آخره﴾

فسلم يا سلام من المذلة * فما نرضى بأن نبقي أذلة
ويأسرنا وفتنة أجله * فربق بالدرهم قد قوله
فكيف وقد رنا أضهى عليا
﴿عليكم إلى آخره﴾

الهي كيف يقهرنا ملوك * بسبل العدل ليس لهم سلوك
وأنذال للاستعباد حيكوا * وما في الفخر يشركنا مريك
ولا أحديه أبدا حريا
﴿عليكم إلى آخره﴾

فقل لهم أيا أهل الظالم * وأرباب الجرائم والمآثم
اما تخشون من تلك المحارم * كذا أهل الخيانة للكارم
وظلمهم لقد بلغ الثريا
﴿عليكم إلى آخره﴾

أحلوا الخوف فحوكم أماما * وخلوا العدل عندكم أماما
ونقضكم موطنكم فمما * به تجزون ذلا وانهتسا
وتسكنسون عند القوم خزيا
﴿عليكم إلى آخره﴾

فهاكم قد تعسكرت الالهالى * وسارت كلها نحو القتال
لما تقسم المهالك لا تبالي * اذا ما مات ليث في المنزال
تولد أرضنا شبلا صديا
﴿عليكم إلى آخره﴾

صغير القوم منا والكبير * يحب قتالكم فرحا يطير
فحاربكم وليس لكم نصير * وليس لحربة أصلا نظير
وحاشا فلولنا يلقون عيا

(٧٨)

﴿عليكم الى آخره﴾

لناوطن به هـ مناغـراما * به تقوى عزائمنا داما
غسانه ونخشي أن يضامنا * ونأخذ نثاره من دعاي
وجاروان يكن مله كاعتبا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنأحرية في الكون نسمو * تزيد اذا المحـروب بدت وتغمو
تساع من بغير ساميمـم * بهائمـرات نصرتـمـم تتم
على نفع المائى والمجيا

﴿عليكم الى آخره﴾

تموتـمـداتهم وتاخذنـمـا * اذا ما أبصروا عـزامنـمـما
يحوزجاتها بحـذارفـمـا * فويل للذى يبقى الرجوعا
لقـمـm

﴿عليكم الى آخره﴾

سـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـm
ونفـمـمـمـمـمـمـمـمـm
ونبلغ فى العلى شأواقصـمـا

﴿عليكم الى آخره﴾

نؤمل أن نكون لهم فداء * وكل فتى بفخر النصر بقاء
وان لا بعدهم نبقى مساء * اذا لم ننتقم لهم العـداء
وياخذ نثارهم من كان حيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وهذه القصيدة جعلوها للمحمنا خاصا وكانوا يترغنون بها فى ليلة تذكرا لجمهورية ولم ينظم
فى تلك الليلة عزنان مع أن بعض اصداد الجمهورية لم يفتح طاقة تلك الليلة ولم ينوز
فانوسا وبعضهم رحل عن البلاد بالمرّة تلك الليلة ومن الاحتفالات الواقعة لضيوف
المرض الاحتمال الذى صـنع بعرض الجيش حول ابواى بولونيا كما مر ذكره
فبعد احتباك الموكب بالمنفرجـمـين الذين يحاوزون النصف مليون ومنهم شاه ايران
والعساكر ترى من بعد دخول تلك التـلال والهضاب واذا بالمارشال مكماهون رئيس
الجمهورية

المجهورية اذ ذاك قادم را كباء على حصان أشهب عربي يقدمه ثمانية فرسان من العرب سكان الجزائر بلباس العرب و براندهم حروسهم وجهم عربية و وراءه وزير الحرب ثم نحو عشر من فارسا من ضباط العساكر والمعنيين وكلهم باللباس الرسمية فلما دخل الميدان وسامت وسط الموكب أو بالأحرى بالسلام بجهة المتفرجين الجلوس في الايوان الوسط ثم ركض حصانه وصار يطوف على كراديس العساكر وهم صاويين الى راية الاوكشف رأسه موبيا بالسلام الى ان طاف على الجميع ثم رجع الى امام الايوان الوسط واستقبله ووقف وكان أمير الجيش كله المكاف بذلك الموكب هو أمير جيش باريس بفخا را كضاوس لم على رئيس المجهورية ثم اتخا الى جهة الاوارين وأصدر بأوامر الحركات العسكرية فاذا بالجيش من كل حدب بنفسه لمون وجاء الا لى الاول وموسيقته تعزف امامه فلما حاذت رئيس الجيش وقفت ومرا لا لى ماشيا من الخنوب الى الشمال بجمع لوازمه وسلاحه الى أن انقضى فخا غير ووقفت موسيقته وهكذا الى ان مرت خمسة وأربعون الفان العساكر المشاة ثم أقبلت الخيالة المدرعون سربا من ربا مشون خيما وكل سرب متقارب لى الخيل الى أن مرت خمسة آلاف خيالة ثم أقبلت الطليعية أى عساكر المدافع بعد دفعهم شجرها الخيل ذاهبين خيما الى ان مرت مائة مدافع وثمانية مدافع وكل فرقة من الجيش يقدمها رئيسها را كبا ووقف بين يدي الرئيس الى أن تفرقت في فتيق بها ومهم ما مرت راية كبيرة أوأت بالسلام للرئيس وكشف هو لها رأسه ومنذ سلم هو عنه دخوله الموكب الى ان انقض الموكب كانت المدافع تطلق من الحصون وعنه ما مرت العساكر الالهية أبناء باريس ضج الموكب بالتصفيق والتحيات استحسنانا لفتحهم ونشاطهم حتى صارت كصوات الرعد ووقع لغبرهم قليل من ذلك النوع وكان اليوم حارا والرئيس مستقبل الشمس بلا مظلة وقد سقط عسكري من حرا الشمس في الحال جعل في نعيش مصابي العساكر ورجاه الطيب وأرسل اليه الرئيس مرارا متفقا وعنه دخروا الناس لارجوع احببتك الطرق واشتبهت الكرار يس على أحجامها وكان يوما مشهودا واشتبه الكرار يس انما كان مستغرا بالانه من عادتهم في هاته الموكب اذا حضرت كروسة يتلفها أحد من فاعا المكافين ولما ينزل الركب يعطيه بطاقة بها عدد خاص ومثلها السابق الكروسة ويوقف كروسته في مكان رحيب على ترتيب الاسبق فالاسبق فاذا خرج الركب أعلم أحد أو اثنين المكافين يغربونه فيرفع صوته بها فتأني الله له بمجرد سماع

سائفة بهار مدغمته من غير أدنى اختلاط ولا تعب لكان في ذلك اليوم حيث خرجت الناس
دفعه مع كثيرهم ومع ازدحام الناس خارجا وقع الاختلاط وعدم التمييز لكثر الموكب
ومثل ذلك احتفال يوم السباق فانه لما انتظم الموكب على نحو السابق تميات خيل
السباق وكان الجمل من الدولة للمجلى مائة ألف فرنك وللصلى عشرة آلاف ثم ألفان ثم
عاق في عهود أسماء الخيول المدفوعة أولا وكانت ستمائة عشر فرسا من عتاق الخيل الجياد
العربية وكل منها مسرج بسرج صغير جدا وركبها عساوون في الوزن حتى اذا كان
أحدهم أخف حمل شيأ يستوى به مع أصحابه وكل منهم لا يلبس لباسا لصقا بالبدن وعليه
فحوصة قصيرة ضيقة من الحرير بأحد الألوان لكل لون خاص وكل منها يسكك رجل ثم
يتصافون سواء من مبدأ الميدان فيضرب جرس اذنا بالركض فاندفعوا راكضين وكان
الميدان على هيئة دائرة واسعة تتصل بل بأخرى أوسع منها ثم أخرى أوسع ولكل فرقة من
الخيول حشد فأعلاها ما يقطع الدوائر الثلاث ومجموع طولها نحو تسعة أميال وأدناها
ما يقطع الأولى فقط فالسرب الأول كان من المتوسط وحاز القصة حصان أحمر وعاق
اسمه واسم صاحبه ثم فرقة أخرى وهكذا وانسحبت الفرقة العليا سائفة الناس
وكثير اللغط في المخاطرة كل يدعى ان الفرس الفلاني يغاب وكثيرا ما تريح عشرات
الملايين في مثل ذلك السباق بالمخاطرة بين المتفرجين ثم انسحبت الخيل راكضة وكانت
سنة فقط وكانوا أولي الخيل على أيهم يجوز الخط الداخلي من الدائرة ولا يطلعون عنان
الخيول وعندها توسطوا الدائرة النهائية أرسلوا الخيل على غايتها فتخلف من تخلف ولم
يسبق الاثلاث وعندها بقي الربيع من الدائرة تخلف الثالث وتجارى انثان فكان كل
منهما تارة يكون مصليا وتارة مجاليا لكان لمساق ربقة قصبة السبق فاز الاجر اليكيت
وصار ينظما لماراه من شدة سباطراكبه وكنت تخيلات سبعة من أول الامر ما
تقرست فيه من حدة نفسه وتقارب وسرعة حركته مع ان الكل مسجون في صفات
الجودة غير ان هذا أحد وأخف وقد أعطى صاحب دارا كب عشرة آلاف فرنك من
الجائزة لان عادتهم ان يكون لمضمار السباق فرسان خاصون أو سائس الفرس أما
صاحبها فلا يسابق بنفسه الا ما ندر مع أمثاله وليس ذلك لانهم في الفروسية بل أنفة
لانهم كثر والركوب للخيول نساء ورجال لا يصرفون على تربيتها وتوليدها أموالا
جسيمة حتى يباع الفرس الواحد بأربعمائة ألف أو يزيدو يكتبون أناسا من أسامة
وأصاها من العرب وذكروني ان جدا أقدم نسل من خيل انكلا تيره هو حصان تونسي

اشترى

اشترى من جمال ثم اعلم ان المعرض الذي نحن بصدد ذكره موقعه في الجهة الغربية
 الشمالية من باريس يقسمه نهر السين الى شطرين فالأول كان عن يمين النهر دار السين
 يسمى التوكادرو وبني به قصر على شكل بديع وبنائه منقش ابقى هناك مسترا وهو
 المشار اليه أولا وأمامه رواق وقدامه بركة ماء واسعة جدا على جهاتها صورة أسد ونور
 وفرس ونغزير كل صورة ضخمة جدا كلها مذهبة والماء مدفوق هيئة عجيبية ويحيط
 بالجميع حديقة أنيقة وحول هذا المكان بنا آت اصرة بنا آت الممالك التي أجابت
 الدعوة فنهادر أرساه اساطان المغرب كلها من خشب على هيئة ديار فاس وبها النقش
 جديدة وغيرها مما هو عادة لهم وكذلك فرشها ومنها قصر نظير فاشاه ايران على نحو
 قصر بيلا ده ومن عجيب ما به سقف بيت كله من البلور المصنوع على هيئة عناقيد وهو هكذا
 كل ملكة أجابت الدعوى تبني مكانا على هيئة ابنتها في بلادها وحول تلك الابنية
 مخادع ومقاعد وحواريات وقبة في تلك الحدائق والسطرالكاني من المعرض يسمى
 شان دي مارس وفيه حدائق أيضا وقهاوى ومطاعم وفيه المحل المهم المقصود من
 المعرض وهو بناء عظيم واسع طوله نحو مياين في ذلك العرض كله بناء من قضبان حديد
 ومقسم على أقسام على حسب الممالك كل ملكة تأتي بأتموزج ما عندها من الجسادات
 والنباتات والحيوانات والمصنوعات قل أو جل حقا أو عظم فـ كان ذلك المحل حاوياً بالجميع
 أنواع ما يعلم في الدنيا لانه أجابت دعوة فرانس الى ذلك جميع الممالك ذات الشأن
 الا الدولة العلية لانتهاج بحرب روسيا اذ ذلك فالتعرض حينئذ لما فيه عبث اذ يهجر
 عنه الواصف وانما اذكر أفرادا من المستغربات التي لم تنزل عاقله بذهني فنهاساعة ذات
 أربعة أوجه مرفوعة على نحو أسطوانة ارتفاعها أربعين سبعة أذرع ورفاصها صورة
 كورة أرضية معلقة في القبة التي فوق الساعة ويحيط بالساعة كورة صورة الشمس والقمر
 وبقية الكواكب السيارة والغريبة من جهة كون الساعة ليس لها آلة تديرها سوى
 تلك الكورة وذلك بان اعتمدت برتقالها وربعها عن مركز ثقلها ومنعت من الاستقرار
 بمركزها باعتراض قائم في رأس الساعة متصل بالآلة لا تسهل الدوار فكانت الكورة
 تطالب المركز وتدفع المعارض بقوة اهوا هو يدور وهي تدور معه وهكذا وهي من مصنوعات
 الفرانسيس و قيل ان ثمنها ستون ألف فرنك ومنها ما تعد من البلور الرفيع ذو ثلاث درج
 واثني عشر ضلعاً مرفوعة قبة على أسطوانات من البلور يجاس به اثنا عشر اناسا كل
 قطعة واحدة من البلور المصنوع وهو من صناعة النسا ومنها مطبعة تطبع بلونين في آلة

واحدة وتخرج عدد اوافراقى كل دقيقة ومنها ارسال الرسائل المكتوبة فى قنوات من
 حديد مفرغة من الهواء فتصل بسرعة كالسلك الكهربائى وقد صار الآن فى عدة جهات
 من باريس ارسال الرسائل بتلك الصورة ومنها المجوهرات والتحف الغريبة التى اهداها
 ملوك الهند الى ولي عهدنا كذا تيرة وهى كثيرة بحسب جداول من أعزهم امعولان من العاج
 فى طول الذراع ورأسها على صورة رأس أسد وعيناها يا قوتسان جراوان لم أر أجل
 وأضوأ وأخلص منهما الى غير ذلك مما يقصر عنه وصف الواصف من بدائع الصنائع
 والخلوقات وأما بقية اما كن وبناءات باريس الشهيرة فهى كثيرة جدا ومن أهمها
 ليزان فاليد وهو محل العاجزين من العساكر وبه آثار الاسلحة القديمة منذ عرف السلاح
 فى الدنيا الى الآن وبه قبر نابليون الاول والرايات التى غنمها وعلى قبره هيكل وتابوت
 فوقه ينشأه وسيداده خلوفى اليه واروفى جميع جنائب غرائبه تكرمه منهم وحوله
 قشلة كبيرة للعاجزين من العساكر بالسن أو المحروب الذين يريدون الإقامة هناك
 فزيادة على القيام بجميع ضرورياتهم لهم خدمة وكل من لا يقدر على المشى تجعل له
 محلة صغيرة يحركها بنفسه ان قدروا لاجرها خادم للتروح فى المنزه الذى حول ذلك
 المكان والمدير لهذا المحل رجل من رتبته أمير آلاى ذو اخلاق حسنة ومعارف جيدة أما
 ملاهى باريس فهى كثيرة ومختلفة المقاصد لا يقصدون بالملاهى مجرد التلهى بل
 ظاهرها التلهى وباطنها فائدة من الفوائد كالأعلام بتاريخ غريب تختص فى محاسنه
 وتجنب قبائحها لان الرأى يشاهد النتائج عيانا فتكون أوقع فى النفس وكالأفادة بعائده
 عليه مثلا يحصل فى أحد الملاهى من ذكر كورية الارض وان من يقطعها اذا ذهب الى جهة
 الغرب فى ثيف وثمانين يوما فاذا وصل الى المكان الذى خرج منه يجده انه نقص له يوم
 من أيام الاسبوع مثلا يرى انه وصل فى يوم الاحد والحال ان اليوم عندها الى ذلك
 المكان هو يوم الاثنين وبالعكس ذلك من يقطعها اذا ذهب الى الشرق فانه يزداد عنده يوم
 فبى انه وصل يوم الثلاثاء والحال ان اليوم عندها الى هو يوم الاثنين وذلك لان السائر
 الى جهة الغرب يكون ذاهبا مع الشمس فاليوم بيلته عنده ازيد من أربع وعشرين
 ساعة فيجتمع فى ذلك الايام يوم كامل يضيء على المسافر ويزيد عنده مقابله مثله لان
 اليوم بيلته عنده أقل من أربع وعشرين ساعة لذهابه ضد سير الشمس وقد نص القراقى
 على هاتى المسئلة وما هو الحكم الشرعى فيها اما اذا صادف اليوم المختلف فيه يوم الجمعة
 فان المقيم بعده يوم الجمعة والمسافر الى الغرب بعده الخميس والمسافر الى الشرق بعده

السبب وغير ذلك من احكام العبادات والمعاملات الموقنة وان المحكم هو الاعتبار بما
عند أهل الميكان فأولئك اللاعبون يصورون هاته المسئلة العجبية بتشخيصها وصوروة
السفر برا وبحرا وما يعترض من العوائق وثمره الخصال للتوصل به الى الاغراض الى غير
ذلك وهناك ملاحى لا فائدة البراعة والبلادة في الكلام وأخرلا فائدة علم الموسيقى الى غير
ذلك من الفوائد ولولا السياسية فقد كانوا مدرة رياسة المساريسال مكهاون على الجمهورية
طالب بحاس الامانة تعزل ولاية البلدان ورؤساء العساكر الذين هم من حزب الملكية
قامت نعت الوزراء من قبول ذلك وحل الرئيس المجلس واذن بانتخاب اعضاء آخرين ولما
انتظم المجلس الجديد أصدر على مطالب سلفه فاراد الرئيس حله أيضا فامتنعوا من ذلك
اذ لا حق له الا في حله مرة واحدة في نازلة متحدة وحصل نزاع كاد يفضى الى شعب فمكنا
أحدا الملاحى لاعبا واذا باحد اللاعبين يقول ما ترجته به فلما

المساريسال مكهاون يخضع * وان أبى من الخضوع يخضع
كذا الدولة من صياصى تدفع * لان ذلك للبلاد أنجح

فدخل الحرس وقتشوا على القائل فلم يقر لهم أحد ولا وجدوا الكلام في كتاب الحكاية
وآل أمر النزاع الى استعفاء المساريسال واعلم ان تلك الملاحى يوجد منها ما هو مضبوطة
ومشكلة لكنه قابل والحاصل ان ملاحهم لا تخلو عن فائدة معتبرة ومع ذلك فهم غافلون
عماسيها من مفسدة مهمة وهى تعليم الشبان والشابات أوجه العشق ومبانيه ووسائله
اذ قل ان يخلو تشخيص عن مثله ويعتدرون عن ذلك بأنه يعلم أيضا شناعة ثمرات العشق
وشناعة الفضيحة واثار الموت على حفظ العرض مما يكون خاتمة تلك التشخيصات
وكان ذلك لا يفيد اذ البواعث النفسانية غالبية على عقول الكثير من الناس فتأخذ
ما يلائمها وتغفل عما سواه ويؤيدها ان الكثير من يحضر تلك الملاحى انما يجعلها
وسيلة لتهكم من امعان بصره في الالعبات والمتفرجات التماثيل بدل اللحن وجسمه
ولباسه من وترى كلام الحاضرين به مدهم مرة مقربة وهو لا يشعر له الا الأشخاص
من واحدة الى أخرى ثم يلتمسون الوسائل الى الخلطة بمن يعاقون به سابل وكذلك تعلم
الابكار والشابات مع الرجال الالعبات وأعظم هان الملاحى هو كران لو بره الذى تقدم
ذكره وكان دخله من اكتوبر سنة ١٨٧٩ الى نهاية يناير سنة ١٨٨١ الذى هو
عام وأربعة أشهر ٧١٠٠٠ رة ٧١٠٠٠ فرنك ومعه مرفقه فى تلك ٥٠٠ ٧٤٩ رة
المدة فكانت الحسارة أربعة وثلاثين ألفا وخمسة مائة فرنك زيادة على ما تعطيه الدولة

اعانته لانها تعين من دخولها في كل سنة اعانة للملاهي مبالغ وافرة فكان معين للملاهي
 المذكور وملاهي أوبيره كوميك وملاهي تياتر فرانسز وملاهي لوديو في سنة ١٨٨١
 ٣٣٤ ر ١٠٠٠ فرنك عدا بقية الملاهي للفوائد التي مر ذكرها ركز البيت الواحد
 في هذا الملاهي سنة ١٢٩٥ مائة وعشرون فرنك في الملاهي الواحدة وبه يد لرئيس
 الدولة يتحوى على مرافق وقد أذن لي بالدخول اليه تكملة من رئيس الجمهورية
 اذ ذلك المسار بشال مكاهون ومن أهم الملاهي البدروم الذي يلعب فيه بالجمعول العا
 بحمية وكذلك ملاهي السمك فترى الخيل تدرك مثل الانسان الخادق وكذلك غيرها
 من الحيوانات ولوا السبعية فان الاسود والفيلة وغيرها لملاهي خاصة وتطبيع امرها
 كالأدعي حتى رأيت الشاة تسطو على الاسد وتركب على ظهره وتدخل رأسها كله في
 فيه وهو منقاد خاضع وحوله في الحجرة التي هو بها أربعة اسود آخر واربعة غورية ومثلها
 ضباع ثم ذئاب ثم أربعة من الذب كلها واقوف حول حيطان الحجرة كما صاحب موكب
 محبته وذلك الاسد الكبير في وسط الحجرة والنهجة تلاعبه وتركب عليه وصاحبها واقف
 معها لكي لا يسطو واحد على آخر وتلك النهجة لا تخشى بأس جميع تلك السباع بل كانوا
 هم الخائفون منها غير اني شاهدت هاته السباع في تلك الحالة والضبيع واقف يرتعد من
 الاسود وبوله جار على رجله ومع ذلك لا يخجل بامر صاحبه ومثله الذب فان صاحبه اذا امره
 بالقرب من الاسد الكبير تراه يرتعدو يصيحوا لكنه يفعل ما أمر به وكذلك ذلك الاسد
 يكفهر ويكفره قرب الذب منه ولكنه لا يضره بشي فالمنفرة بين النوعين شديدة بخلاف
 الاسد مع الثور فالثور ينفذهم اقرب ويب ومن غريب ماشا اهدته همة الثور فعبان في غائطه بين
 وطوله نحو خمسة عشر مترو يحمله عدة رجال ويعسه كل أحد ولا يضر شيأ وهو من النوع
 الذي ذكرناه بحبال الودارنة بقطر تونس وقلنا انه بين الالهالي مثل القط الالهلي كما لم ملاهي
 للشعوذة يعملون بها اعمالا غريبة وأما معامل باريس للصنائع فهي كثيرة جدا ومما اختصت
 به عن غيرها ما عمل كبلان الذي يصنع به المنسوجات النخينة كالزراي التي يضرب بها المثل
 وكذلك معمل السيفر الذي يصنع به الاواني الخزف التي يفضلونها على الخزف الصيني
 وقد ورأيت به مائدة على ساق واحدة أرفع مارأيتها من ذلك الشكل بالوان وصفاء يتبع
 ذكرها ان قيمتها ستون ألف فرنك وكذلك معمل القوية بالفضة والذهب بالجاذب
 الكهر بائي فترى القنسطير المقتطعة من النحاس مصقوعة ساجات وشوكات وملاعق
 وغيرها يدخلونها في برك من مياه القضة والذهب فتخرج كأنها من ذلك المعدن وأما
 منازل المسافرين فتعكاد ان لا تخصي وأهمها المنزل الأكبر في بافار الطليان فانه من
 عجائب المباني والتنظيم وترى فيه ايوان الاكل العام متسعاجد بقبة واحدة يحيط بها

رواشن و يوقد به نحو سبعة مائة مصباح و قيمته و محيطاته كلها موهبة بالذهب على اشكال
جميلة و به سبع موائد كل مائدة يجلس عليها خمسة و تسعون نفسا فترى ثلاثمائة و خمسين نفسا
في بيت واحد يأكلون جميعا على غاية الراحة و النزهة و الابهة و لا تسمع فيها الاغنية و الكل
يأكلون سواء و الفطور له خمسة ألوان و العشاء له سبعة ألوان عدد الحلويات و الفواكه
وزينة المسائدة البديعة و ثمن الأكل فيها للواحد ستة فرنك عشاء و أربعة فطور و يحتوى
المنزل على سقاية بحفرة للسكنى و ستين بيتا متصلة للجلوس و يصعد الى طبقاته العلماء بالجلوس
على كراسى تصعد لها آلة بخارية و أما حماماتها فهي على نحو ما سيأتى في الصفات العامة
غير انها اختصت بمحمام عربى قرب البلغار و هو في نهاية التأنيق و التزيين و الزخرفة
شبيهة بالجسمات العربية في كونه له بيت كبير حار لا غتسال و العرق و بيت كبير لنزع
الثياب و الراحة للغسل مستلقى بعد الاغتسال و بين البيتين حوض كبير يملؤ به الماء البارد
ينزل اليه كثير من المغتسلين بعد الغسل ليخرج منه الى بيت الارتياح و عند وصوله الى
الحمامات الفاصل بين البيتين يضطرب الى ادخال رأسه أيضا في الماء لان الماء واصل الى
اسفل الحمامات و في الحمام خدمة يكسسون المغتسل و ينظفونه على النحو المعتاد في البلاد
العربية و بعضهم من الجزائر و بعضهم من السودان أما احوال المعارف و ترقى العلوم
فالمساب فيها واسع جدا و نقول اختصارا ان في باريس مكتب للعلوم العالية و اوسعها مجمع
كبار العلماء ثم مكتب فرانسوا هو لنهاية المعلمين و مكتب اركان الحرب و مكتب المعلمين
و مكتب الصيد لاثنين و مكتب اتقان علوم الطرق و الجسور و مكتب علوم المعادن
و مكتب تعلم التجارة و مكتب الصنائع النظرية و مكتب علم الموسيقى و علوم تشييد
الملاهي و انشائها و مكتب اللغات الشرقية و الاسماء القديمة و مكتب الصنائع و خمسة
مكتب ابتدائية للدولة و أما الابتدائية للالهة الى غير محصورة و هي كثيرة جدا و مكتب
للقسوسين عال و مكتب لهم دون و مكتب للعمى و آخر للصم اليكم يعلمونهم باللسن و الاحرف
المجسدة و الخوارط المجسدة فيصلون الى سائر المدرجات كما ان في باريس ثمانية خزان
كتب عظيمة للعلمة تحوى من الجملدات نحو ثلاثة ملايين مجلدا و أكبرها خزانة المكتب
العمومية التي فيها أول ما عرف من آلة طباع المكتب و فيها بعض مخنف عتيقة مثل قطع
من الشطر نجح الذي كان اهداه هارون الرشيد الى شارلمان و جعله ما فيها من
المكتب أزيد من مائتين مجلدا منها أزيد من ثمانين ألف مجلدا بخط اليد و من تلك
المكتب المكتب السرى أخذها نابليون الاول من مصر ثم المكتب المأخوذة من الجزائر

وقد رأيت فيها كتباً نفيسة عربية ومصاحف كريمة أنيقة ذات أسفار بقطع من الذهب وخطوط جميلة وكان فيها من المطالعين والنامتخين نحو خمسة وأربعين نساً ورجلاً لكن الرجال أكثر على غاية من الأدب والصفاء وهاته الخزنة مثل قصر عظيم ذي طبقات ومحل المطالعة واحد أيوان واسع ثم وراءها تلك المكتب والمكتب واعتناء الدولة بواعث أنوال الاجتهاد والنقد في العلوم وذلك بانعقاد جمعيات للتحرير والاعانة بالمال وسائر الوسائل للوصول الى المقصود في خصوص بارس فنهنا جمعية اللغة الفرنسية وجمعية سائر العلوم وجمعية علوم الادب وجمعية المعارف النظرية وجمعية العلوم العقالية وجمعية علوم الطب وجمعية التحرير على الاختراعات وجمعية علم النباتات وجمعية علم طبقات الارض وجمعية معارف آسيا وجمعية الاحصاءات الدينية وجمعية الجغرافيا وجمعية علم التاريخ وجمعية الترجمة الانسانية وجمعية الصيدلة وجمعية الفلاحة وجمعية مقدمات الفلاحة وجمعية تربية النبات والحيوان وجمعية الصنائع الفرنسية وجمعية تنمية سائر العلوم وما يتحقق بهذا الباب كثرة المطابع فن أعظمها مطبعة الدولة ورأيت فيها من أنواع أحرف اللغات التي يطبع بها سبع مائة نوع منها الأحرف العربية وعدد المستخدمين بها يقرب من ألف نسمة وفيها كتب قيمة وحديثة في كثير من اللغات ومنها كتب غريبة عتيقة بالخط الكوفي وغيره ومن المطابع المهمة المطبعة المختصة بطرق الحديد لطبع اعلاناتها ودفاترها وجميع ما تحتاج اليه فيها من المستخدمين أزيد من سبعمائة نسمة ويطبع بالحروف وعلى الحجر بخط اليد وهناك مطابع أخرى كثيرة للصحف وغيرها فان الصحف لها تأبير كبير في المعارف حتى انه يوجد ثلاثمائة صحيفة بين يومية وشهرية وأسبوعية في السياسة أو التجارة أو العلوم ومنها ما يطبع منه يومياً أزيد من خمسمائة ألف نسخة وفي بعض الاحيان لا تجد منه نسخة للبيع اذ قل ان تجد سائتي الكروسة ليس له صحيفة يطالعها فضلا عن غيره وأما ما كن الترجمة كالمستشفيات وديار اللعطين فهي كثيرة ويكفي أعظمها ما ذكرناه في المستشفى في الذي نظارته الى المحكمين شاركوا والقيط ينفق على تربيته وتعليمه مجاناً الى ان يبلغ أشده وهم كثيرون بسبب كثرة الزنى والزانيات المتجسار وعددهم عشرات الآلاف منهم من هن في ديار مخصوصة لذلك جهرة ولهن أطباء من قبل الحكومة لكي يمنعن المرضة بالامراض المعدية ويدخلوهن للمستشفى ومنهن من هن في ديارهن أوفى الملاحى أو خادما الى غير ذلك ومن أما كن الترجمة الدار الرحبية المتخذة للفقراء الذين لا يجدون ما وى وهم قادرون على التكسب

التمسك سب فان هاته الدار تأويهم ليلاً وتطعمهم ما يسد الرمق وتعطيهم فراشاً بشرط ان
 يغسلوا ارجلهم قبل دخوله ولا تقبلهم الا في الساعة الثانية بعد الظهر وفي السهر يسرد
 عليهم قارئ كتاب في تهذيب الاخلاق والحل على العمل ولا يقبل الواحد ازيد من ثلاثة
 أيام ومع كثرة المراحم فكثير ما يموت الناس في الطرق جوعاً أو برداً سيما في سوق الخضر
 لان من لا يجدهم اوى يبقى به من الزمهرير فيجهد بدراً (وأما طرق المواصلات) والانتقال
 من محل الى آخر في وسط البلد فلهم وسائل كثيرة كالبواخر في نهر السين تقف على الشطوط
 يمينا وشمالا من طرف البلد الى طرفه الا سخر الركوب في هاته البواخر اذا لم تكن
 مزججة بالخلائق فيه نزهة جميلة سيما خارج البلد أيام الربيع والصف ومنهم ما يمر على
 القرى المجاورة للبلد ومن الوسائل التي يمرى وتجبر الخيل في أغلب الاماكن وفي الطرق
 القليلة المروور تجبر من جبهة بالبخار ومنهم الا يندوس وهو مثل ساقه غير ان طريقه
 ليس حديدياً ومنهم الرتل يحيط بالبلد من احدى السور الى تارة تجري في نفق تحت
 البلد ومنهم الكراريس ولها ترتيب منضبط في باريس ازيد عن غيرها لان التسعير
 المرسوم لا يزداد عليه ولا ينقص بخلاف غيرها من البلدان ومع ذلك فان سائقي
 الجملات اظن انهم في كل بلادهم اسوء اهلها اخلاقا الا ما ندر وفي عام المعروض اكدت
 عليهم الحكومة التاكيد ان لا يدوشددت في الحكم على من يتعدى منهم الحدود ومع
 ذلك كانوا كثير ما يستولون السيرة ومن الوسائل ايضا الركوب على الخيل لكنه خاص
 باصحابها وأما الميكثرون فهم أقل استعمالا لهما من الكراريس وسائر الجملات
 وبالجملة فان في باريس مائة ألف محملة ومائة وثمانين ألفا من الخيل وهذا كاف في
 بيان مقدار الحركة وأما وراج التجارة والسلع فلذلك يذكريش منها وهو قصر البورس
 الذي تروج فيه كل يوم تجارة تفجاوز آلاف ملايين وفي احوال السلع نقعة صر على ذكر
 مخزن اللوفر الذي هو قصر قد حارة كبيرة ذواربع طمقات فيه ستمائة مستخدم وفيه
 من السلع كل ما يحتاجه الانسان من الملبوس وأثاث المنزل والفرش بل وحتى الكراريس
 والخيل التي تجرها واذا دخل اليه المشتري تتلقاه الخدمة بالمشاة واللين وبطاعونه على
 كل ما يريد فيختار ماشاء ويذكر لهم اسم محله ويذهب وهم يأتون بما اختاروه مع صحيفة
 مبين بها الائتمان ممضاة بالخلاص فاذا وجد شيئا غير الذي اختاره أو غير الذي سمع به
 رد ما لا يحببه وأخذ الباقي وأخذ صك الخلاص به يدفع الثمن من غير ما كسبه في السعر
 ولا يحنش المشتري من الغرر لان السلع هناك أرخص مما يمكن ان توجد لان صاحب

المخزن يأخذها من العامل وينفذها نصفها في العشرة مجاوكل من دخل المخزن الذي
 هو حقيق باسم قصر فله أن يدخل إلى أيوان الجالوس ويشرأف فيه ما يشاء من الخفيف ويكتب
 ما يريد ويشرب شيأ من المشروبات وبات كل هذا مجانا ولصاحب المخزن دفاتر عديدة مفيدة
 بها أسماء السلع بأعداد مع أسعارها يعطيها لكل من أراد ومن يريد بعد ذلك شيأ من
 الساع ولومن الاقطار البعيدة فليس عليه إلا أن يكتب للادارة جريدة بها أسماء ما يريد
 بأعداد فيأتي به مع البريد ويدفع اذ ذلك الثمن ويأخذ المطلوب أما إذا تعترف
 بتجار وجعل معهم حسابا متصلا فان دفع الثمن يكون حسب الاتفاق ومثل هذا المخزن
 مخزن بومرشي وهناك مخازن أخرى عديدة ولا نكتهم ادون هذين ومن غرائب ما رأته
 بباريس القبة الهوائية الكبرى التي تسمى بالبالون وقد سماها علامة اللغة أجد فارس
 بالمنطاد فقد صنعوا واحدة كبيرة جدا وصيغها في بطء التورلور بطوها بجعل من
 التل تجذبه آلة بخارية وعاقوا بها مركبة تسع أربعة وعشرين نسمة وكل من ركب يدفع
 أجرة الركوب عشرين فرنكا ثم يطلقونها تصعد إلى ارتفاع ثلاثمائة متر وتوفري
 الصاعد جميع بارييس وما حولها كما تتخذه وكان أول اختراعها القبة سنة ١٧٨٣
 في فرنسا وهي قبة متخذة من منسوج الحرير مدهون بنوع صمغي كالمسمى بالفرنيز
 تلي بالبخار الغازي الذي هو أخف من الهواء العادي بأربعة وعشرين ضعفا فتصعد
 ضرورة فوق الهواء لانها أخف منه وتحمّل ما يتصل بها مما لا يعادل ثقله خفة هو أثقل ومن
 محاسن بارييس الماء المجلوب اليها من عيون غزيرة وجعات له خزنة هائلة تقصد للفرج
 عليها زيادة على الماء الذي يرفع من النهر بآلات بخارية فالأول للشرب والثاني
 للاستعمال ومن أماكن التفرج الدهاليز الكبيرة التي تحت الأرض ويقال انها
 كانت لقطع الحجارة ثم جعلت مقبرة لعظام الموتى مرصوفة مرتبة وكذلك الخنادق التي
 التي تجرى فيها الفضلات والمياه فانما تسير فيها آلات بخارية فتحوّل تلك الطاقة وتستخدم
 بالتفرج ومن صفات بارييس أن أغلب دورها يصنع الماء في قنوات صغيرة كل دار على
 قدر استحقاقها وكذلك كل دار لها قنوات للبخار الغازي للتشوير لرب البيت والدار
 ساعات تحركها قوة الكهرباء في مكان متحدد في المار بحيث تكون جميع الساعات
 متساوية الوقت على التحريك الصحيح في المرصد من غير مشقة لا حساب الديار ولرب بعض
 الديار أيضا قنوات لتيان الحرارة لتسخين الديار عن حسب ارادة صاحبها وما يدقسه
 على بيوتهم من غير كلفة لا يتبادر ولا خوف من احراقها لان الحرارة لا تبتة هي حرارة
 هوائية

هو رئيسه. ويسبب الدار الادفع من هاتيك المرافق شهر بالوسنو باغيران عمل
المسجون والساعات لم يتسكنا كغيره ولا يلبث ان يعم واتحاد ساعات البلد امرهم جدا في
كثير من الامور ولهذا كانت اوقات طرق الحديد في كل مملكة معتبرة على قاعدة تلك
المملكة فتحدد جميع ساعات المحطات متحدة على وقت واحد

الفصل الثالث

في بقية البلدان التي شاهدها بفرانسا

فانزلنا بالفرنسا الى غربي باريس تبعنا مسير نصف ساعة في الزل وهي منتزه
المملوك وبها قصور انيقة وبتابع من تحف المملوك وما تشرههم منها الكرايس الرسمية
التي تباع قيمتها الملايين لسافير من الذهب والفضة واتقان الصنعة وحول تلك القصور
البعساتين والمحدثات الجميلة ذات المياه الدافقة والبرك الواسعة قد جعل فيها سنة ١٢٩٥
وهي سنة المعرض عدة ليلال للزينة واندفاع المياه فرايت هاتيك الحدائق ملونة
بقناديل الانوار المحكية كثيرة النجوم وشماريح البارود بألوان وأشكال صاعدة
وقائضة ودائرة ومنايع المياه طائرة في الهواء كل يعود منها في غائط فحوض نصف ذراع مرتفع
عن منبعه فحوار بعين مبروفة ككأنها منائر من الزجاج تبرق بسطوع الانوار عاليا
وكذلك أنواع أخرى من المنايع ترمى الى أمامها على استقامة الى أمدها على يد كل تلك المياه
منبعه من نهر السين بالآلات قوية بخارية والمفرجون عدة مشاتل الالوف وحول البلاد
غابات وعماشي جميلة والبلاد واسعة الطرق نظيفة نظيفة والقصور المملوكية ليس بها
من المفروشات الا قليل من آثار المملوك تحفظن عليها على ما كانت عليه وقد رأيت بها
كلام من مجلس الاعيان والنواب اذ كانوا نقلوا الى هناك بعد حرب المانيا سنة ١٢٨٧
هـ ١٨٧٠ م وكان جلوس في بيت رئيس الجمهورية اكراماً منه لي على عادتهم في
الاكرام بمثل ذلك فاما مجلس الاعيان فلم يكن به شيء من المسائل المهمة ذلك اليوم اذ هو
يوم لتصحيح قانون استقراره رأيهم في اسئلة قراءات واصلاحات للولايات حتى رأيت
الاعضاء كل مشغول بالحديث مع صاحبه والكاتب يقرأ في القانون ولما كثرت اللفظ بينهم
الرئيس مرارا للاستماع فكانه لم يخاطب أحدا واضطر للسكرتير وذلك لان ذلك
القانون قد تدبره حرا وراسه تقر الى أي فيه وطبع ووزع على الاعضاء وعرفوه
تفصيلا فكانت قراءة الكاتب اليه قراءة رسمية ليقع الامضاء عليه فقط واما مجلس

النواب فتذا كروافيه على مسئلتين أولاهما طالب وزير المال للارخصة في صرف خمسة
آلاف فرنك على جنازة أمير آلاي باغ السبعين سنة من العمر ومات تحت السلاح فقير بعد
ان ذكر تار يخ حياته وما شئره وطالب اجرام ستة آلاف فرنك سنويا لعائلته وان ذلك
المطاب استقر عليه رأى الوزراء فاختتم كلامه الاوارتفعت الاصوات من جهات اليمين
منه كرين لذلك وردت عليهم أصحاب الشمال واشتد الوطيس بين الفريقين الى أن
التزم الرئيس باسكاتهم ورام اتباع القرعة فخرجت الاكثرية بموافقة الوزراء فقامت
لرفقائي هـ لرأيتهم ما وقع قالوا نعم لكن ما قصدك قلت ان تدخل دولة فرانس نحو ثلاثة
آلاف مليون وقد اتفق وزراءها ورئيس الدولة على صرف خمسة آلاف فرنك على رجل
بذل في خدمة دولته والدفاع عن أمنه مجموع عمره ومع ذلك لم تستطع الدولة ان تنفذ
أمرها في مال الامه الا بعد مشورة أهل الحل والعقد وموافقتهم وبذل ذلك لا بصرف المال
الافى وجهه لاعلى اختيار فردولا على مداراته ثم قام وزير الخارجية وذكر ملخصا في تحديد
معاهددة تجارية مع ايطاليا وان شرح المنازلة يوفى به أخوه الذى هو ايضا عضو في
المجلس فقام هـ هذا العضو خطيبا نحو ساعة ذكر ملخص تاريخ التجارة بين الممكتين وان
ايطاليا أربح تجارة من فرنسا وطالب تعديل فصول في المعاهدة السابقة فوافقوه على
ذلك (وثانيها) بارال سيفر وهى قرية على نهر السين قريبة من باريس نحو نصف ساعة في
الجملة وبها عمل السيفر للخرق وبستان أنيق وقصر ملكي (وثالثها) بالمدة صان اكلوا
بقرب السابقة وقرية من هياستها والحاصل انك اذا خرجت من باريس راكبا كروسة
الى فرسال فانك ترى كأن البلاد الثلاثة المتقدمة متصل بعضها ببعض ويقتل من
واحدة الى أخرى بالزتل وبالكروسة وبالتراموى وبالاميندوس وبالباب وان النهرية
سوى فرسال فان النهر لا يبحر هل السفن الى قربها (ورابعها) بلدة فونتين ابوالواتي
هى اصغر من فرسال وعلى نحوها لكن ايسر بها الا قصر واحد ملكى وبه اثاث
انسا بليون الاول ومنها ما ثمة كانت أمامه وقت اعلامه بان كسار جيوشه قد عقد تعصب
أورو باعليه وكان يهدده موسى فضر به المائدة غيظا ولازال أثره فيها لكن هاته
البلدة تفضل غيرها بما حولها من الغابة ذات الاشجار الفاخرة ومحيط الغابة نحو
أربعين ميلا وفيها من الطرق والمقاعد ما يفرح النفوس وفي وسط الغابة قهاوى
ومعامل لخرط تحف من اخشاب الغابة وفيها كثير من الصيد كدجاجة الوحشى وغيره والغابة
متساعدة في جبال جيبه لة بما كساها الله من النبات وفيها صخرة يعتنى بالنفراج عليها
سقطت

سقطت على حجارة صغيرة كانت في الوسط فصارت الصخرة تنحرك كلما حركها أحد مع عظم جرمه أو في الجبال عيون كثيرة ويجري حول البلد نهر فهي من منازة فرنسا المقصودة (وخامسها) بلدة البون وهي بلدة كبيرة ذات بطنها آت وبنا آت انيقة ويخترقها نهران أحدهما يسمى هالون منحدرا بسرعة وتسافر فيه البواخر بقلة وثانيهما نهر السون ثم يجتمع النهران خارجها ويذهبان إلى البحر وهي ممتدة بين ماريه ليا وباريس ومنظر الجبل الذي حولها جميل سيما جهة منتهزها المطل على النهر الأول ويصنع في مطاعم ذلك المنتزه طعام من سمك النهر لا جرو ويتغالبون في ثمنه وعلى النهر عدة جسور في البلد أحسنها الجسر الحديد ذو القوس الواحد المداماق وسطحه في أطرافه بسلاسل وأحسن أما كن هاته البلدة هو بطنهاؤها الكبرى التي بها قصر ابورس وقصر الحاكم وأهلها يظهر عليهم الجدي في الصناعة لأن هاته البلدة هي أشهر البلاد الفرنسية بنسوجات الحرير فكانت السكان قائلوا الجولان في الطرقات إذا غلبهم معتكف في المعامل وتجارة أهلها شهيرة في المعمور رأيت فيها النفق في الجبل الذي يصعد فيه الرتل صعودا بينما حيث كان قسم من البلد في أعلى الجبل وقسم في أسفلها فجعلوا طريقا حديديا وانقرىب الطريق واستقامته ثقب له الجبل حتى يصعد مستقيما وجعلت فيه حافلة وسبعة تحمل نحو خمسين نسمة ويجذبها لاصعدا جبل من سلوك من الحديد بألة بخارية إلى أن تصل إلى أعلى الطريق فينزل إلى كاب منها ويسمى ذلك بالتونيل وأقت بها هاته البلديوم أوليلة وهي ليست الا شغلا للتجارة (وسادسها) بلدة ماريه ليا التي هي أعظم مرسى تجارية لفرنسا بل وفي البحر الأبيض وهي بلدة كبيرة ذات جبال ونزهة وفيها حركة عظيمة للتجارة إلى سائر الاقطار وفيها الخلط من السكان من سائر الاقطار وأحسن طرقها طريق كانوبيا رفيه قهاوى ومقاعد ربحا فافتتحتها على قهاوى باريس وفيها منتزه يسمى اشاتودوفي أعلى مكان بها ومنه ينحدر الماء المجلوب اليه على حنايا ذات بناء متين ومحل انقسام الماء المنظر بديع من حسن البناء وتأنيقه وحوله حديقة نزهة وبها حيوانات عديدة من أنواع شتى ومن محلات نزهتها دار الأناقة القديمة قرب شاطئ البحر وقرب محل السباق وأترزة قصر بها هو القصر المسمى اوتيل دوديزير في المتخذ مطعما على ريوته من الجبل المحرق بالبلد يحيط بالقصر من جميع جهاته روافد إلى اسطوانات بشكل جبل مع تنسيق للبناء وحسن الفرش والمأكل يحيط به حديقة نظيفة فهو نزهة للخواطر ولولان منظره للبحر عشيبة تكدر الشمس لأنه غربي لكان أجمل

ما رأيته من نوعه أما قوة حركة التجارة بها ته البلمدة فهي عـبـرة للنبصرين وذلك انك
 تشاهد من حركة البهلات والسفن والقوارب والارقال وكثرة البضائع من أنواع شتى
 داخلية وخارجية الى الصين وأمر يكاد يثقل الاقاليم وترى من المخازن التي هي حقيقة
 باسم قريـلـكـبرها وكثرة ما فيها من السلع ما يحير الفكر كما كان قصر بورس بها يكاد
 يناكب بورس باريس والمحاصل انما هي ثافي بالمباريس فيما رأيته به فرائسا وأما
 مرساها فهي ذات حوضين عظيمين لامن السفن وترى فيها من البواخر وغيرها ما يشبه
 الغابات المنجكة وقد وردت على هاته البلمدة ثلاث مرات في سفرائي وأقيمت بها عدة أيام
 ذهابا وايابا (وسابعها) بلمدة طلون التي هي أول مرسى حربي على البحر الأبيض وهي بلمدة
 حربية إذ لا نضارة لها ولا انشراح بالنسبة لغيرها لكن فيها من الحصون والادواض
 لانشاء السفن والمدركات والمعامل لانشاء المدافع والمكالم والانغام البحرية وغير ذلك
 من قوات الحرب شئ كثير ورأيت فيها احدى عشر حوضا بكل واحد سفينة مشغولة
 بانشاءها منها ما هو على تمام ومنها ما هو في البلمدة والخلائق منه كبون على الاجتهاد
 كالنمل في المصيف وقد كان سفرى اليها سنة ١٢٩٥ وكان مصاحبى الى الرتل صغير
 الصين القادم بالاستدعاء للعرض وهو وزير البحر عندهم وهو رجل مسن شعره خفيف
 على عادة اهل الصين وكل محبته وشواربه بيض فحيف الجسم ومعه غلمان لا ادرى أهرم
 ابناؤه أم اقباعه ومعهم غيرهم من الاتباع مجموعهم نحو ثلاثة عشر رجلا وكان راكبا في
 حافلة منفردة هو واتباعه والحافلة ذات مخادع ومقاصير ومروافق بحيث لم ينزل منها
 مدة السير الى ان وصلنا الى طلون فنزل هناك حيث أعدت له دولة فرانس بانخرة حربية
 ذات طبقتين من المدافع لتوصله الى مرسى بلمدة في الصين وكانت البانخرة مباحة ذلك
 اليوم للتفرجين والحاصل ان هاته البلمدة بلمدة حربية تظهر عالياها ممت القوة والشارات
 العسكرية وأقيمت بها نحو ستة ساعات (وثامنها) بلمدة نيس التي هي على شاطئ البحر وهي
 مأوى الاغنياء وذوى الترف من الفرنسيين وغيرهم من أهالى الاقطار الباردة في الشتاء
 وذلك لان موقعها على جون مستقبل الجنوب ويحيط بها من بقية الجهات سلاسل جبال
 شاهقة تمنع عنها مرور الرياح الباردة فكانت مأوى في الشتاء حسنا وكثرت بها القصور
 والمباني الجميلة ومنازل المسافرين الرحبة وجميع ديارها صـفـيرة لاترى يدعى الى أربع
 طبقات سوى منازل المسافرين وذلك لان عادة الـكـيـتـري بنساء انهم على ذلك النحو
 وهم أكثر القادمين الى هاته البلمدة ولان غيرهم أيضا انما يقدم منهم ذوى الترف المتعودين

على سكنى الانفراد فذلك كانت مبانيتها اجيلة بطريقة وسياج حدائقها من البحر
أو البحر مرصوف على أشكال حسنة والبلدة يشقها نهر تجري فيه المياه عند نزول الأمطار
فقط وعليه عدة قناطر ولها سادة ملاهى لكن لما قدمت لها صيفا وجدت البلد كأنه
خال من السكان لثقلته من به بالنسبة لكثرة البساتين والديار المنفردة وليس بها ملاهى
مشتتة إلا سوى الملاهى الصيفى على شاطئ البحر ويقرب من هاته البلدة عدة بلدان هكذا
على نحوها ظرافة ونزاهة وأفت بها ليلة ويوما (وناسعها) بلدة أيا نشو وهى قاعدة جزيرة
* قرسكا وهى مرسى امنية صناعية ومن عاداتهم فى المرامى ان البواخرهم مارصات تنم
اشغالها الليل والنهار سواء فتحمل السلع وتنزل غيرها وكذلك ان كآب بحيث ان ساعاتها
المعمينة لا تتأخر عنها ويجهد المسافر فى المرسى وحوالها ضروريات ما يحتاج اليه وهى
منورة وهاته البلدة طريقة جميلة ذات اشجار كثيرة من النارجى والليمون فمكانات
رائحة الزهر عند دخولى اليها فى الربيع عابقة وفيها بطحاء واسعة بوسطها صورة نابليون
الاول والداراتى ولد بها لازالت على هيئتها وفرشها للتحفظ عليها كالمصالح العامة
لانه من رجال السياسة المعدودين فى الدنيا ورفى اسم فرانسا الى درجة عظيمة وهوى
الاصل من عموم أهلى هاته البلدة وأقامت فيها بضعة ساعات ولما أوقدت المصابيح ليلا
عند الغروب ثم طلع البدر نقصوا النصف منها اقتصادا فهاته هى البلدان التى دخلتها
وأقامت فيها بقراسا فى السفرات الثلاث وعند رجوعى الى الوطن فى السفرة الاولى
راكبا من مرسى ليما وكان ذلك فى يناير الموافق لحرم سنة ١٢٩٣ كى الاصادفت هيجانا
عظيما فى البحر حتى كادت ان تهلك الباخرة بن فيها وانكسر منها عمودان من حديد
معلق فيهما قارب ومات ثلاثة من الخيل وانكسرت رجل أحد الراكب ولم يستطع أحد ولو
من النوبة ان يتحرك من محله وجاء فى السفن صياح بعد هدم البحر مهنيا بالسلامة
وأخبرنى انه لم ير مثل تلك الليلة وأنه ربط نفسه بحبل مع عمود الباخرة ليدتطيع الثبات
فى مكانه وما وصلت الباخرة الى جزيرة قرسكا إلا بعد ميعادها بأثني عشر ساعة ومن غرائب
المرامى انى رأيت فى الليلة الثانية فى البحر ان سبعة من اسنانى سقطت وكان احبائى
سألونى عنها وكنت أسلى نفسى بانها كانت غير ماثبة قبل مضطربة ولذلك لم أجد الماس فى
نزعها فلما أفتت انقبضت من تلك الرؤيا ولم أعلم ما تشير اليه فلما وصلت الى الوطن ظهر
لى فى أوجه الاحباب الملايين غبارا وفى انشاء الطريق سر على الفاضل محمد السعدوسى
هاته الايات قال

(٩٤)

فاشكر الملك واذكر النعم التي * ردتك بعد تلاحم الاهوال
فاتيت ارضك سالما وأعزما * تلقاه فيها فوزكم بالآل
فترى بذلك من السلامة في حل * موصوفة منكم بكل كمال
وجميع أهلك والاحبة كلهم * يلقونكم بتساحب الاذيال
هذه هي النعم التي لم نوفها * حق الثناء على الولي المفضل
وهو الذي أبقي اليك الاخت كي * تسمعوا بعزك في حل الاجلال
اذ لم تصب في غير ليلة أمسنا * والآن ترقب منك خير هلال
فاشكر الملك صابرا متيقنا * بجزيل فضل الواحد المتعالى

فاعلمني بوفاء اختي الوحيدة رجعها الله ونعمها او كنت تركتها مريضة بالسفل فتوفيت ليلة
قدومي بعد تلك الرؤيا يا ليتني وحضرت جنازتها ولم أعلم بان رؤيا مثل ذلك تدل على موت
الاقارب الابعد ان حلت في الاستانة سنة ١٢٩٧ فذكر مثل في الوصول الى المقصود
بالملاطفة وهوان أحد الملوك كان رأى ان جميع اسنانه سقطت فأني بعبر فقال له سيوت
جميع أهلك فبطش به ثم أتى بعبر آخر فقال له ان الملك أمول عوامن جميع عائلته
فأجازته فتجهت بتذكر تلك الرؤيا الى ان قال لي المتحدث ان أمر هذا مشهور في علم الرؤيا فقلت
نعم ها أنا قد شاهدته في نفسي لكني لا اريد معرفة هذا العلم لانه يشوش الفكر ولا يكاد
يتوصل اليه الا قليل لان له شروطا في الاحاطة بالحوال الزائى ووقت الرؤيا والاحاطة
بالمرئى الى غير ذلك وربما غفل عن شئ منها في تغير المعنى وأما أصل العلم فلا شك في ثبوته
وما أوتيت من العلم الا قليلا ويكفى في ثبوت هذا العلم الاحاديث المروية في صحيح البخارى
ومنها ان الرؤيا الصالحة جزء من ثلاثة وستين جزءا من النبوة وأما سفرى النائية الى فرنسا
سنة ١٢٩٥ فكانت من تونس الى مرسيليا قوا برور الباسخرة البريدية على بلد بونة
من اعمال الجزائر وكان البحر في غاية الهدوء حتى رأيت على سطح الماء قطعة من نبات
بحرى مثل قطع القطن المنفوش متكاثرة وهى قليلة الظهور وانما ترى عند ما يكون الماء
في غاية السكون كما رأيت أعمدة من البحر متباعدة بقوة مثل أعظم الفوالق فاخبرني انها
من نوع سمك يفصل ذلك وان منها العظيم الذى اذا صادف عمله ذلك احدى السفن
الصغيرة ربما اغرقها وهو من عجائب المراتب وكذلك عند رجوعى من هاته السفرة
كان البحر مثل ذلك الى ان وصانا الى بلاد الجزائر وكان الوصول اليها صابحا بعيدا اشروق
لكننا لم نزال بر وكان السفن أخبرنا بالوصول لكنه لم يبر البر مع تيقنه بالحساب للوصول

التعزم

التزم الوقوف وذلك لكثرة الضباب المنكاثف ذلك الصباح فما انقشع الضباب بصر
الشمس الا ووجدنا البركان في مقدمة الباخرة والمرسى عن يمينها فكان من لطف الله
التدريك بالوقوف والتزمت الباخرة ان ترجع القهقري الى ان تيسر لها الدوران ودخلت
المرسى وسأني الكلام على مملكة الجزائر في باب مخصوص (وأما) السفرة الثالثة
فكانت على طريق ايطاليا ومنها الى فرنسا ومنها الى انكلايترة وهكذا الرجوع ولم
يكن البحر اذذاك الاعلى ما هو متادوم ما حدث في الوطن في سفر في الاولى وبلغني خبره
وأنا في باريس ظهور دعوى وقت لها طائفة من الشيخ المسمى التقي أحمد بن المهدي
في العمل بالسنة حسب ادراك كل من فهمها وترك الاخذ باقوال الائمة المجتهدين
واختلفت الروايات في الواقعة ومدارها نصيحه على رأيه وتعبه العلماء عليه الى ان
حكوا به فيه فارتحل الى مكة المكرمة ومات بها ربه الله وتحرير الكلام على المسئلة
باختصار حسب ما وعدنا به في الكلام على ائمة جزيرة العرب هو ان يقال ان الشيخ
المذكور هو من تلامذة الشيخ السنوسي ذي السيط الشهير عالما وعملا غير ان هذا التلميذ
هو دون شيخه برأى في العلم فالمرسالة اراد ان يذكر فيها طريقة شيخه فلم يوفق بها
وتغير المعنى المقصود الشيخة اذ مدارها ته الرسالة ان لا يقلد أحد الا المعصوم ولذلك يجب
على الامة ان لا يعملوا الا بالسكاب والسنة ويتركوا ما وراءهما ولا يخفى أن ظاهر ذلك يوقع
في افساد الشرع حيث انه لا يخالف في ان لا يتبع الى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بما في السكاب والسنة لكن أين أهل الفهم منهم وأين ادوات ذلك التي كانت في صدر
الاسلام سايقة وصارت على التسدر يج صنعاة وعلوما تعلم وتبدل الامر حتى لم يبق من
بوفها حقها فاذا سوغنا لكل أحد ان يعمل بما يفهم مع ما هو عليه من الجهل كان ذلك
هو عين الفساد ولذلك لزم اتباع الاجماع والاجتهاد من أهله المسلم اليه وقد كثرت
المجتهدون كثيرين في الصدر الاول فثم من كثرت أتباعه وتسل النقل لا قوله الى الآن
وهم الائمة الاربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضوان الله عليهم ومنهم
من انقطع النقل عنه فلا يجوز الا نقله لعدم صحة السنة في مذهبه بالنسبة لاهل
العصر والافكار هم سواء بالنسبة للاقل وكل من ليس له ملكة الاطلاع على الأدلة
ومطابقتها وترجيحها فهو طامى وله ان يقلد من شاء من الائمة المجتهدين لقوله تعالى
فاستلوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون وبذلك تحفظ الشريعة لان سنة الاجماع هو
نص من الشارع وسنة القياس هو الاستنباط من نص الشارع أيضا فجميع الامر الى

ان لا عمل الا بالسحاب والسنة والشيخ السنيوسي رحمه الله مقرر لذلك في رسالة له الفها في المعنى المتقدم واختصرها تلميذه اختمصارا محلا وذلك ان الشيخ السنيوسي قرر في رسالته وجوب الاتباع للشارع والتباعد عن العمل بالرأى والبدع وحث على وجوب اتخايج المكاف نفسه من حضيض التقليد الى درجة الاجتهاد والكمال حتى يقدر ان يفهم كلام الشارع ثم ذكر شروط ذلك وانه اذا ابتلى الانسان بالتقصير في تنفيذ المنهج الى تقليد ائمة الهدى وعلى الناقل عنهم ان يتثبت في السنة بذلك كي لا ينسب لاحد ما لم يقل به كما يقع كثيرا في تفريعات بعض المتأخرين فيخطئون في التخريج ومع ذلك ينسبون القول لاحد الائمة فيما لم يقل به بل نقل عنه انه قال على ما هو عليه من العلم واتساع السماع اني اذا استفتا في مستفت من متأري مذهب مالك فاني لا أفتيه الا بما نقل عن ذلك الامام ولو كنت مرجحا لغير قوله حسب ما اطاعت عليه من الادلة وذلك لان السنة تنقي انفسا ساني عن قول مالك لا على قولي والحاصل انه في نفسه يرى صحة الاجتهاد له ويرى على كل مكاف ابلاغ نفسه الى تلك الدرجة فان لم تحصل فليقلد المجتهد ورأيت في تأليف كثير من أهل العصر في الهند النحو الى هذا المنهج وان من له اطلاع على الادلة ومنها ما يجب عليه اتباع الدليل وكان هؤلاء العلماء يردون من هو من طبقة أهل الترجيح المنصوص عليهم في كتب الفقه

الفصل الرابع

في التعريف بفرانسا

(اعلم) ان فرانسا من ممالك أوروبا الغربية وتبتدي من عرض درجة ٤٢ ودقيقة ٢٠ شمالا الى درجة ٥١ ودقيقة ٥٥ من العرض المذكور ومن طول درجة ٦ ودقيقة ٥٠ شرقي الى درجة ٧ ودقيقة ٩ من الطول الغربي لان مبدأ الطول عند كثير من المتأخرين هو باريس التي هي قاعدة هاته المملكة ويحدها جنوبا البحر الابيض واسبانيا وشرقا إيطاليا وسويسرا والمانيا والبلجيك وشمالا بحر المنش وخليج كالي الفاصل بينها وبين انكلتيرة وفرنسا البحر المحيط الغربي فلذلك كانت ذات موقع جسيم ونفوذ برا وبحرا في ثلاثة أبحر محيطية بها وتباعد عدة جزر منها كرسيك وجزر يارس في البحر الابيض وجزر ري واوليون وروسان في المحيط وفيها جبال كثيرة وأعظمها جهة الشرق كالجورا وآلاب وتتصل اساسا له مارة جهة الشمال الى جهة الجنوب الغربي فتتصل

بجبال

بجبل بيرني الفاصلة بين فرنسا واسبانيا وأعلى جميع جبال فرنسا وجبل أوروفان
 ارتفاعه على سطح البحر قدما ٦٣٣٠ وليس بها جبل بالكيفية وأما أنهرها فهي
 كثيرة وليس بها ما يحمل السفن الكبيرة وإنما البعض منها يحمل الصخرة وأشهر
 أنهرها نهر السين الذي يخترق باريس وطوله ميلا ٤٥٠ ويصب في المذش ثم نهر
 السوار وطوله ميلا ٦٠٠ ويصب في المحيط الغربي ونهر رون وطوله ميلا ٥٤٠ وهو عميق
 يمر بعم السير ويصب في البحر المتوسط ونهر جيرون ويصب في البحر الغربي إلى غير ذلك
 من الأنهر وبها من الترع نحو من تسعين ترعة ولا زالوا يحتمدين في تكثيرها ووسيلة
 الأنهر والبلدان بعضها ببعض لنقل الركاب والبضائع زيادة على سقى الأراضي وبيع
 طول هاته الترع جميعا نحو خمسة آلاف ميل وأما بحيراتها فلم أعلم فيها الاثلاثة (أولها)
 بحيرة ديبورجي حذو جبل المونسي حلوة عذوق بها منظر جميل ويمر على شاطئها
 طريق الحديدي (وثانيها) بحيرة دنبي قرب جبل آلاب وكلاهما جار يصب في نهر الزون
 (وثالثها) بحيرة آن فان قرب باريس وأما هوارها فالجهة الشمالية منها باردة والجهة
 الجنوبية معتدلة وينزل الثلج فيها جميعا شتاء ومع ذلك فهو وأوها سليم لا يئق بالهضة ولا يقع فيها
 الضباب الأبدية وهو منعب جدا قد صادفته في سنة ١٢٩٣ وذلك اني ذهبت زائرا
 أحدهم عارفي قرب الغروب نحو الساعة الرابعة بعد الزوال فخرجت في الساعة السادسة
 بعد مضي الغروب نحو الساعةين فوجدت الطرقات في غاية الظلمة ولم ادر إلى أي جهة
 الطريق فتعجبت من ذلك وسألت صاحب الباب ما بالهم لم ينوروا الطرقات تلك الليلة
 فقال كلا ولكن الضباب منع نور الفوايس من الظهور ومع ما عليه باريس من كثرة
 النور وفارسات ليوقى لي بكروسة فلم يدر المرسل الطريق واضطررت إلى تتبع الاس
 للمعاظم اتخذ من المصادمة وكنا نعلم قرب موقف الكرايس فذهبنا إلى جهتها ولم
 نر نور فوانيسهم الا عند الوصول إليها فلما أردنا ركوب أحدها امتنع صاحبهوا كثيرا لافط
 بينهم وبين التابع فجاء أحد الضابطية والزعمه باركانا وإيصالنا إلى منزلنا فاجابه بأنه غير
 ممتنع لكن الخيل لا تمشي لأنها ترى فقالوا ركبوها إلى ان نهمل وجهها فلم يكن غير بعيد حتى
 ظهرت المشاعل على وجه الأرض بيد الضابطية وغيرهم مشاعل من جبل فليلة تحرق
 وقدر باليد في الهواء على وجه الأرض على نحو ما تفعله البوادى فاخذ سائق الكروسة
 رجلا منهم ومكنه من أحد تلك المشاعل وجعل هو يسوق الخيل وراه إلى ان أوصى لنا
 واعطينا للرجل احسانه وكنا نسبح صهيل الخيل بكثرة في تلك الليلة مع قلة صهيلها هناك

على كثرتهم وكذلك كثرت باح الكلاب وزاد جسمها وضوحها وهدوحس الجملات والمواصلة
 الى البقرة على كثرة تدوير حوائطه وقهاويه لم يظهر منها شيء الا اذا صق الانسان بالغانوس
 فانه يرى ثوره مصورا عليه وقد ذكر تلك الدلالة صحف الاخبر وشهدت بشأنها وان مثلها
 كثير بان كثرة البلا وثمارا اما البرد فهم مستعدون له ابصارا وسكنا ولهم حيلة لازالة الثلج من
 الطرقات وشدة ذلك البرد مع طول مدته أهون من شدة الحر في الصيف الذي لا تطول
 مدته لانه يكاد أن يكون الهواء منقطعاً عن شدة سكونه وحره وأما نباتات فرانسا فينبت
 بها جميع نباتات أراضى الاعتماد والاراضى الباردة بالنظر لخنو هواها على وعلى
 الاجال فالجبهة الشمالية منها أجل منظر الان في الجنوب جمالا وخصوبة وحر اشاغير
 صالحة للزراعة وأهم نباتاتها العنب سيمساحة بالبرد ووشمبانيا لكان في هاته السنين
 الاخيرة أصيب بمرض أوجب خسائر بايعة وفيها من الكثرة أنواع فاخرة لذينة سيما
 في الشتاء ويطبخها وخنوخها حسن لكنهم لا يأكلون البطيخ الا خضرا معروفا بالدلاع
 أو الحجب وعندهم أكله معرفة ببقية فواكهها واشجارها حسنة وفيها آجام وغابات
 لا خشاب السفن وغيرها كثيرة جدا واما حيواناتها ففيها جميع الحيوانات الانسية والنعيم
 ونحوها على ثلاثة أنواع (فاولها) العرب العتيقة وهي مخصوصة للركوب (وثانيها)
 البراذين وهي لجر الاثقال والحواصل الكبيرة للركاب (وثالثها) المختلطة من نسل المذكورات
 ويستعمل لكل القسمين لكن أكثره لجر الكراريس ومنه الجيمل لأغاية القصوى
 والبغال بالنسبة الى الخيل قليلة الاستعمال وأقل منها الجيبروريات في باريس ان الجسير
 الاناث المولدات يطاف بها بكري الصباح على الازفة لمحاب من يشتري لبنها وهي نظيفة
 حسنة والبقر ضخم جدا يعتنى بتسمينه للاداء كل ولهم على من يفوز بأكثرية التسمين
 جوائز حتى بلغ مرة وزن ثوره ثمانية فاو أربعين قنطارا وتستعمل للحث أيضا ولجر الاثقال
 بقلة والنعيم من النوع الذي له ذيل وذوات الالية قليلة وأما أنواع الحيوانات المسببة
 فالظن انه لا يوجد منها الا الدب والذئب والثعلب والخنزير واما غيرها فقند انقطع من
 هناك لاعتناءه بقطعه مع كثرة العمران نعم يوجد منها رمي في الامصار كالاسود والتمر
 ويتوالد الاسد ويرضع بنيه كلاب كبار لتقليل جرته ولعدم ضعف والدته وأما الثعابين
 والحيات فهي قليلة ولا يزالون يحتمدين في قطعها فان غابت فتبين بالوجه عول لكل من
 أتى بحية منها مقدار من المال أما في باريس فلم أجمع بوجود عقرب ولا غيرها من الحشرات
 ولا خنفسه وكان ذلك لشدة الاعتناء بنظافة الديار والطرقات حتى لا تكاد تجدد في حائط ما

مغرزمعها روكها مئة مئة الطلي ظاهر او باطنا بالخص أو الرمل والجبر سواء الظاهر والباطن مع عدم وجود المغرب في أي جهة نعم في الجنوب من المملكة يوجد البق والذباب وغيرهما من الحشرات وهي أيضا قليلة في المدن بالنسبة لما نعرفه في البلاد التي تشبه تلك البلاد في المروطينورها كثيرة رحالة ومقيمة ولا يصطادونها الا في أوقات معلومة كما انه ليس لاحد أن يصطاد الا برخصة من الحكومة يؤدي علمه معلوما وليس له ان يصطاد في غير أرضه المدة لذلك أو اراضي العامة المدة لذلك برخصة فيها من الحكومة أو يدخله غيره أرضه برضاه ومن خالف ذلك عوقب وأنواع الصيد كثيرة وفيها من نوع الغيزان كثير (وأما مدن) * فرانسا فقاعدتها باريس وقد تقدم ذكرها وهي ماثلة الى الشمال من المملكة وبقية المملكة تنقسم الى ستة وثلاثين ولاية كل ولاية لها مدينة هي مركزها وبقية أوطان لكل وطن مركز وبقية عدة أوطان صغار وهاته أيضا الى أصغر منها مجموع النوع الاول من الاوطان عدده ٣٧٠ والثاني عدده ٢٩٣٨ والثالث عدده ٣٧٥١٠ * ولاكل منها مدينة أو قرية هي مركزه فهي حينئذ كثيرة جدا ومن أشهرها ما تقدم ذكره منها (وأما معادنها) فليست بكثيرة لكن منها الغني للغاية فالذهب لا يكاد يحضر من محله وان وجد لانه لا يوفى بصاريه والفضة موجودة بقله ومنها النحاس والفحم الحجري كثير غني وكذلك قطران الارض وأنواع من الحجر والرخام الابيض ومنها الشفاف وأنواع عديدة من الحجارة كحجر الطبع وأنواع الجص والكبريت ومقاطع الحديد والرصاص كثيرة وهي أحجار الزجاج والمياه المعدنية نافعة شهيرة كحمام فيشي وحمام برني (وأما ماضيها) فكثيرة بحرية وتجارية وقد تقدم ذكر بعضها وبقاى ما عليه ضخامة وحصانة باقية (وأما سكانها) فاصلاهم القديم من قبائل مختلفة وردت الى هناك من المشرق في أوقات مختلفة وأشهر القبائل قوم من الكتيبيين وقسم منهم عبر المحيط الى انكاثيرة وانضاف معهم في قرانسا قبائل أتت من جنوب افر يقيا يسمون بالباسليك ولازال الى الآن سكان جبال برني يتكلمون بلغتهم ثم وفد عليهم الرومانيون ثم هجمت عليهم قبيلة الافرنج الا تبت من الشرق واستوطنت قبل ذلك في البلجيكيك ثم تعاقبت على قبائل فرانسا واختلط نسل الجميع واتحد بهم الافرنج ثم حول الى الفرنسيين وصاروا الآن جنسا واحدا وهو الفرنسيون الا أهل نيس وسافوا وقرسكانهم طليانيون وعدده الجميع ستة وثلاثون مليون ونصف عدما في مجتمعهم والديانة الغالبة هي النصرانية على المذهب السكاتوليكي وقد كان هو مذهب الدولة الرسمي لكن الآن لم يبق من الدولة

(١٠٠)

اعتبار لذي ياتى أو مذهب خاص حتى انها أزالته سنة ١٨٨٠ علامات المذهب
الغائبة عن الأماكن الرسمية والمكاتب كما وجد فيهم المذهب البروتستانتي وديانة
اليهود وتوجد الدهورية بكثرة وقليل موحدون بالعقل أو باتباع لعيسى عليه السلام
و يتبع فرانساستهرات في افريقية قهرت الجزائر وادعت بالحماية على تونس
والمستعمرات على سانغال وجزائر غوري وسانت ماري وبوربون وعدد سكان هاته
المستعمرات نحو الخمسة ملايين منهم مسلمون نحو أربع مائة ملايين والباقى على مذاهب
وديانات شتى ويتبعها في قسم آسيا أرض بونديشيري وكاليكات وماهى وبنارون
وشاندنغوركاها في شطوط الهند كما لها سايبغون في كوشين الصين وعدد سكان الجميع
نحو الثمانية ألف وسكان جميعها نحو الثمانية ألف أيضا ولها في الاقيانوس جزر
مركيزوتاييتي وسكانها نحو المائة والخمسة وسبعين ألفا بجميع السكان والممتلكات نحو
اثنين وأربعين مليوناً

الفصل الخامس

في اجمال تاريخ فرانس

مطلب

في تاريخها القديم

كانت هاته المملكة تسمى قديماً غاليا أو غالة ويجهل الحال في تاريخها القديم أعنى
ما قبل تاريخ الميلاد بألف وست مائة سنة ومن هذا الوقت عرفت أحوالها فكان أهلها
شجعاناً حاربوا من جاورهم ولم يخضعوا لدولة الرومان إلا بعد مائة سنة ثم استقلت فرانس
عنهم باستيلاء أمة الافرنك في القرن الخامس وذلك انها خضعت لعدو رؤساء متعدين ثم
خضع الجميع للملك سنة ٤٨٠ مسيحية وأرل عائلة مروفة من ملوكها تسمى المير وفينيين
وفي مبادى القرن السادس تغلب اسم قبيلة الافرنك على جميع الاقاليم لانه صار هاهنا
جميعهم ثم قايت العكس في سيدنا وصارت فرانس اولئك لقب أطلق عليهم مأخوذين
فرانكس أى شجعان ثم اتسمت الى عدة بممالك واتحدت عدة مرار وكانت شوكة
الملوك ضعيفة فيهم والنفوذ الى جميعات الاعيان التي تجتمع كل سنة وتختار الملك وتعين
الميرة

السيرة في الإدارة حتى كان لا هـالى حرية فامة بل قد تخرج عن الاعتدال الى التهور وقد ذكر وانهم كانوا يقتسمون الغنائم ويعطون الملك حصة كآحاد الجيش فلما انتصر وافي احدى الوقائع وقد انتهموا فيها كنيسة كان من جملة ما فهم اناء من ذهب طام به الملك من الجيش برضاهم فيمنعاهم بصددا جابته واذا باحدهم تقدم وضرب الاناء به اطنه وقال له بأعلى صوته ليس لك ادنى شئ سوى ما يخصك بالفرقة ولا تتركك بامتياز وأول قدين ملوكهم بالديانة النصرانية كان في أواخر المائة الخامسة مسيحية وفي أواخرها الدولة أعنى سنة ٧٣٢ وقعت الحرب مع العرب الانداسيين الذين تغلبوا على قسم كبير من جنوب فرانس حتى وصلوا الى اليبون وخرجت تلك المستملكات واتحدت مع فرانس وبقيت فرانس على نحو ما ذكر الى ان استولى عليها كارلوس الكبير ويعرف أيضا بشارسان المعاصر للرشيد العباسي وقد ضم الى فرانس اعدده ملك من أوروبا حتى تسمى باسمه بطور المغرب وانتقل تاجه الى فر وع من العائلة الى ان بقي الآن في المسانية التي كانت احدى ملكه واستقل بها أحدا حفاة عنه مما قسم ابنه ملكه على أولاده فملك بكره على جرمانيا والثاني على فرانس والثالث على ايطاليا وضعف ملكهم باسنادهم الامور الى غير أهلها فكانوا يقدمون خدمتهم الى أعلى المناصب والاقباب بدون جدارة فاستقلوا على ساداتهم وماتتهم الامم وتناسروا الى ان حربت العائلة واستولت على فرانس العائلة الكاينانية ومن مشاهير ملوكها فليب الثاني الملقب أوغسطس الذي اتحد مع ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد على حرب المسلمين المعروفة بحرب الصليب الثالثة لكنهم الما وصلوا الى صقلية تناسفوا واقتربا منهم بدرجوعه من الشام بوقائع صلاح الدين اثار الحرب على الانكليز واستنصا منهم بعض ما كانوا ملكوه من فرانس ومن هاته العائلة صان لوي الذي أسرى مصر ومات بتونس وله تذكار معروف قرب قرطاجنة وذلك في حدود سنة ١٢٧٠ ومنهم فليب الثالث الذي حدد لافيان سلطتهم على العامة بمجلس الشورى لكن اضمحل ذلك قبل فليب الخامس الى الايمان وأشرقت فرانس على القوط وتدخلت فيها الدول المجاورة ونشأت مع الانكليز الحرب المعروفة بحرب المائة سنة وكان مبدؤها سنة ١٣٣٧ وانتصر الانكليز في كثير من الوقائع وتماكبوا كثيرا من الجهات حتى ذات باريس مع التناصر المدخل في فرانس ثم ظهرت بنت لاحد الفلاحين تسمى جان دارك فادعت علم الغيب والتأييد الالهى لانقاذ فرانس وساعدها الملك بتأثيرها على الجيش وأظهرت نهجها غير عادية

(١٠٢)

وافتيحت من الانكليزية عدة جهات وفي حصنها المدينة كميان أخذت أسيرة وحكم
عليها بالحرق لانها ساحرة ثم عقد الصلح مع الانكليزية سنة ١٤٤٤ ولم يبق بأيديهم الا
الجهات البحرية ثم أعيدت الحرب ولم تخلص فرانس الا سنة ١٤٥٣ فرتب الملك اذ ذاك
كارلوس السابع الجيش المستمتر تحت السلاح وقد كانت العادة من قبل ان الاعيان
المساكين للملكة بأهلها هم الذين يقدمون العساكر للملك فكسر كارلوس شوكتهم
واعتني بترقية الملكة في المعارف حيث كان مطالعاهم اوقد نفقات صناعة الطبع
الى باريس في أيامه وأنشأ مدرسة خاصة للطب واستقامة سيرته نال من الغنوجات
والترقي ما يناله غيره من ملوكهم بالحروب ثم في أيام هنري الثاني سنة ١٥١٠ تعصب
به الكاثوليك وأغروا أمه به وقتلوا كل من ظفروا به في فرانس من أهل مذهب
البروتستانت في يوم واحد ويقال ان عددهم اذ ذاك نحو سبعة مائة وقل الملك يده
عددا كبيرا وهو واقف متللا في أحد رواشين قصر اللوفر ثم تعاقب على فرانس الصعود
والهبوط على حسب سطوة الملك واقتداره الى ان عظمت جدتي أيام لويس الرابع عشر
الملقب بالكبير المتولى سنة ١٦٤٣ وفي أيامه وأيام والده حدثت الحروب المعروفة
بحروب الثلاثين سنة وانتقل لفرانس النفوذ الذي كان للنمسا في أروبا وظهر فيها عدة
مشاهير بالمعارف وهو الذي أنشأ قصر فرساي وبساتينه وقصر ليزان فاليد الملكة في
آخر أمره فقدت فرانس سامانته في الداخل والخارج بسباب التعدي على الرعايا وضعفهم
وبعد فقدت فرانس المستعمرات الهندية وغيرها وان حازت كرسكا والاورين وكان
ذلك باتباع لويس الخامس عشر اسمه واته وتحكمهم الفساد فيه والفساد لشورى مع
مجلس نواب الامة وآخر الملوك من تلك العائلة هو لويس السادس عشر الذي انتقم
من انكلا تيره باعانة أمريكا على استقلالها وحدثت في أيامه الثورة العامة التي
قالت حال التاريج حيث كان يرجي منه اصلاح ما أفسده أبوه وجدة له كنه كان
ضعيفا عن الوفاء بذلك فهو خاتمة التاريخ القديم

م طلب

﴿ في تاريخ فرانس الجديد ﴾

اعلم ان فرنسا وبين انما انتشرت فيهم المعارف وعلومها لهم وما علمهم ونالوا من بعض
ملوكهم أحبا نانا فهم واشتهرت بينهم الخبيرة المعانة بالجماد والندام وحدثت

فيهم

ففيهم أخيرا ما أشير اليه من الظالم ان عقدت فيهم جمعيات سرية للاند بيرو العمل فيما يمكن لهم
 به حفظ حقوقهم ومساكنتهم ونظن لذلك لويس السادس عشر فكان مرة بعد الى
 معاضدة الامة فيما تريد ومرة يجمع الى عادات الاعيان والسيرة القديمة حتى خشى
 على نفسه وفرع عائلته لكن الاهل الى ارجعوه غصبا وخضعت شركته لخفاف بعض
 ملوك أوروبا من أن يلحقهم ما لحقه بسبب فتح أبصار رعاياهم وقد كانوا اذذاك مستعدين
 فتعاضدوا على اركاس الفرنسيين لاسيما امبراطور النمسا صهر لويس المذكور
 فانه تولى كبر تلك الحرب غير ان الفرنسيين دافعوا عن حقوقهم بمجد وانظم اليهم ما حكمهم
 المذكور وأجرى الجمعية الاهلية المسماة بالجمعية الوطنية وذلك سنة ١٢٠٧ هـ
 ١٧٩٢ م ثم بدلهم منه الخيانة فقتلوه مع زوجته وطاروا ابنه الى جده امبراطور النمسا
 وذلك بحكم الحكومة الاجرائية التي حكمت بالغاء الملكية واوثبات الجمهورية واعلنت
 لساائر الامم انهم اساءوا عليهم على فحوصها وتسمت الحكومة جمعية اتفاق الامة وكان
 من أكبر زعمائها بولتير الذي لادين له وهو أحد الذين ثاروا غيظ الامة بما ينشروه
 من الاقايل والكذبات ولما استتب أمر الجمعية تجاوزت حدود الاعمال بعبادة الاديان
 وقتل رؤساء الكنائس وابدل أغلب العادات حتى الايام والشهور فخلعوا الاسبوع
 عشرة ايام ومبدأ التاريخ هو عام انتصاب الجمهوريه وكذلك أشهر وألحظ على جميع
 الدول واتصر الفرنسيون سيمانت تحت راية نابليون الاول بوناپارتي الذي كان أحد
 ابناء العامة فتعلم الفنون العسكرية وساعده الفدر بالانتصار الذي نال به أعظم
 الشهرة فكان من أعظم رؤساء العالم ثم عوضوا تلك الحكومة بمحكومة الدركتوار
 أي الحكومات المديرية مؤلفة من خمسة أشخاص وحدثت في أيامها الحروب العظيمة
 مع ساائر الدول ووافق نابليون البخت فانتصر على الجميع وملك ايطاليا ورتب فيها
 حكومات عديدة بجهورية ثم استولى على مصر وأراد الشام بقصد التوصل الى الاستيلاء
 على الهند انتقاما من الانكليز ثم عاصدت اذ كان يدير الدولة العثمانية واسترجعوا مصر
 وما أخذ من الشام وهيجت انكسار دول أوروبا على الاتحاد على فرنسا فاستعدوا لمحاربتها
 وحاربوها وكانت الحرب صعبة الا ان نابليون الاول لما وصل الى باريس بعد ان كاد
 أن يكون أسيرا في رجوعه من مصر وجد حكومة الدركتوار على شفا وأوروبا منتصرة في
 أغلب الجهات فاستعان بمجزبه ورتب حكومة جديدة تسمى بحكومة القنصلات مؤلفة
 من ثلاثة أشخاص يسمون قنصل وتبوأ هورياسم وذلك سنة ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م

ثم تمهي قذسلا لدحياته وتسلم رياسته الجيش ورجع الانتصار المغفور وانتفت عنه ذلك الى لم شعث الداخلية واصلاح الامور فسماه مجلس الاعيان امراطور سنة ١٢١٩ هـ ١٨٠٤ م ونال صيته عظيم ما في الدنيا بانتصاراته على اغلب اوروبا فدخل فيينا وبرلين وعقد الصلح مع دولتيهما كيف شاء وأست ايطاليا وكثير من جرمانيا تابعة لفرانسا وانتصر على روسيا ايضا وعقد معها صلحا ومهادنة سرية من شروطها اقتسام جميع اوروپا بين فرانسا والروسيا بعد الممالك العثمانية وان بلغها انها ايضا في القسمة حتى اغتاز السلطان لذلك كما سيأتي في عمله ومن المستثنى من القسمة ايضا الممالك الانكليزية وكان ذلك سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٦ م واتم تأليف قانون الاحكام الشرعية المعروف بكودنابليون سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م وهو عمدة احكامهم ونسجت اوروپا فيما بعد على منواله وهو كتاب مقسم على ابواب المعاملات والجنايات وكل مسألة من الباب يعقد لها فصل يبين حكمها بامارات ينفذ من غير بيان لدلائل المحكم ولا لمل استخراجها سهولة التناول وكان من تأليفه جمعية علمية عولت في تنظيمه على ما يليق بالعبادات من احكام الشريعة الاسلامية واحكام الرومان سنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٢ م عاد لحرب الروسية لانه كثرها شروط الصلح المار ذكرها وانتصر عليها الى ان وصل قاعدتها مدينة موسكو وقد اعدوا له كيدا باحراق المدينة فلما وصلها وجدها قاعا صفا وكان الوقت شديد البرد فهلك عسكره بردا وجوعا واداهم تنكر الى فرانسا وجهاز نفسه بحرب الروسية والمانييا وروسيا والتمسا الذين اتحدوا عليه بسبب انكساره فغاب اخيرا ودخلت العساكر المتحدة الى باريس وملكوا على فرانسا لويس الثامن عشر واسكنوا نابليون جزيرة الاب على انه ملك عليها وذلك سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٤ م وبعد عشرة اشهر عاد الى فرانسا وتلقته الاهالي بالرحب لما نالوه من العظمة في ايامه فهرب لويس الثامن عشر الى مقره اولابا نكلترة ثم اتحدت الدول ثانيا ومعههم انكسارته وقهر نابليون فتنازل عن الملك لابنه بلقب بابليون الثاني سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٥ م فلم تعترفه الدول واعادت لويس الثامن عشر وامانا نابليون فطلب الإقامة بانه كثره من تمام تحت احكامها فقبضته وعنفه اذ ارادة تزوله من السيف منه الحربية الانكليزية الى اسبراعته بانه اسير للدول فسجل على ذلك ولم ينفعه ونفى الى جزيرة هيلانة في الاقيانوس الثلاثة لكي الى ان مات ونقلت جثته فيما بعد الى ليزان فالديبيريس وانحصرت اذ ذاك فرانسا في

(١٠٥)

في حدودها القديمة ثم توأما لهما كالوس العاشر أخوها الذي أجلسه الدول
وفي مدينته استولى على الجزائر وأراد أن يحجز من حرية المطابع والقوانين فثاروا
عليه وولى لويس فيليب سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م فاطاق الحرية وأحواله كنهم
أسقطوه أخيرا لامتناعه من اصلاح قوانين الانتخاب وكانوا يجيئون الى الجمهورية
والى عائلة بوناپارتي فاعادوا الجمهورية ثانية سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٨ م ورأسوا عليها
لويس نابليون ابن أخى نابليون الاول وورث ملكه حيث مات ابنه عن غير عقب وكان ابن
أخيه مرسوما في ولاية العهد وذلك بعد أن نفى مرة الى أمريكا وأخرى الى انكلترا واطالبا
وهجن مرة في حصن وفرضه بتزويجه بيزى أحد عملة النمسا بعد حاق شاربه وأشهر عدة
تأليف تفوه بالحرية والفخر فعادوا له زمام الادارة وأبدى من المصالح الداخلية واستمالة
رؤساء الجيش اليه ما اقتدر به على الاعلان بامبراطورية سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م
وتلقب بنابليون الثالث وعاضد الدولة العلمية وانكثرت على حرب الروسية سنة ١٢٧١ هـ
١٨٥٤ م لتمامها باعترافه امبراطورا في مده امره وللدواعي السياسية من الخوف من
استيلاء الروس على المسالك العثمانية وعقد الصلح على معاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ
١٨٥٦ م وانتصر الى ايطاليا على النمسا بدعوى القاعدة التي أسسها وهي اتحاد الجمهورية
كما تقدم في تاريخ ايطاليا الجديدة حتى اتحدت ايطاليا سنة ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م وحارب
الصين مع انكلترا سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م وانتصر عليه وانفتح المكسيك من أمريكا
سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م وملك عليها مكسيك سليمان اخا امبراطور النمسا وكانت اذ
ذلك دول أمريكا المتحدة في حرب شديدة داخلية ولما فصات حربهم حقنوا على فرنسا
من تدانها في قارتهم فتمسك نابليون بعساكره وترك المكسيك حتى قتلوا من ملكه
عليهم وذهب سبي نابليون سدى ومن ذلك الوقت ابتدأ ميل القلوب عنه لاستبداده
باطنا وتصرفه طبع شهواته في السياسة بعد ان كان أوصل فرنسا الى ذرى المجد حتى
تخطت اسائر الدول بين الوقار وهرعت لجلوه الدنيا الى باريس في دعوانه للمرض وكانوا
يفتخرون باستمالة فحوه م حتى فضله كثير من عقلائهم على همه لكانه لما غره زيادة
الجهت استبدد برأيه باطنا وأمرع الى التدانل في أمر غيره ففأقت الاهالى من عمله ولما
أحسن بذلك أعلن به حل الانتخاب العام له من سائر السكان بحيث لا يختص باصوات
الاعالى بل حتى العامة لانهم لم يحق في ذلك من حيث ان التملك انما هو على
الفرانسا وبين مطلقا ولما كانت العامة محبين له لعدم اطلاعهم على مخفياته أو عدم

تبعهم مع أنه محسن اليهم بحيث يؤمنونهم ويوجد لهم أسباب الانتفاع عند المثل ثم
انخر به بغيرهم - بم المال عند الانتخاب اذ كان يفتى في مثل ذلك من أموال الدولة
مقادير ذرية سراً وترسم في ميزانية الدولة باسماء أنواع من المصاريف اللازمة فبذلك
الوجه حصل أغلبية عظمى في ارتضاء الفرنسيين به ما يكافئهم - وانشئ اذ ذلك قانون
الامبراطورية المؤرخ في سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م ونص تعريته (الحكم الاول)
لجلاس الاعيان من بة وضع الاحكام والقوانين بالاشتراك مع الامبراطور ومجالس النواب
وله أيضاً البداة في وضع المعروضات واللوائح الألامور المتعلقة بالمالية ينبغي أن
تقرر أولاً في مجالس النواب (الحكم الثاني) عدد أعضاء مجالس الاعيان يمكن زيادته
حتى يبلغ ثلثي عدد مجالس النواب ماعدا الذين يحضرون فيه بالاستحقاق وليس
للامبراطور أن يعين فيه في كل سنة أكثر من عشرين (الحكم الثالث) قد تعين
الغناء المزية التي تخص مجالس من جهة التشرييع المذكور في الحكم السادس
والثلاثين من القانون الذي تقرر في ١٤ كانون الثاني أي يناير سنة ١٢٦٩
هـ ١٨٥٢ م (الحكم الرابع) الترتيب التي ألحقت به ذات القانون وهي المشمولة
في الاصول العمومية التي استقرت في ١٤ وفي ٢١ من كانون الاول سنة ١٢٦٩
هـ ١٨٥٢ م وفي ٢١ وفي ٢٢ من الشهر المذكور في السنة التي بعدها هي
أصول الملكية وقوانينها الاساسية (الحكم الخامس) وهذه الاصول والقوانين انما
يغيرها سكان المملكة بطالب الامبراطور (الحكم السادس) تعين الغاء الفقرة الثانية من
حكم ١٧٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ من تلك
القوانين وكذا الاحكام المخالفة لهذا القانون (الحكم السابع) يبقى ما تقرر في قوانين
١٤ من كانون الثاني ديسمبر سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفيما به - بذلك معمولاً به
هـ ثم الحق بهذا القانون علاوة أخرى هذا نص تعريتها

الفصل الاول

الاول قوانين الملكية تتعرف وتثبت وتمسك بالاصول المعظمة التي شهرت في سنة
١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م وهي أساس شريع الفرنسيين العمومي

الفصل الثاني

توفي حزبا الامبراطور ومملكة الثاني

(١٠٧)

المرتبة الامبراطورية التي خصت بلويس نابليون بونابارت وهونابليون الثالث
فوضت اليه بحسب قرار رأى جمهور الممكة وفي ٢١ تشرين الثانى (نمبر) سنة
١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وهى مزية متوارثة فى ساسلة ذريته الذى ذكره الاول فالاول
ويأتى منها الاناث وذريتهم النماء دائما (الثالث) اذالم يكن للامبراطور اشار اليه
وارث فله أن يتخذ وارثا من سلالة اخوة نابليون الاول الذى كور وهذا لا يتخذ لا يباح
لخلفائه ولا لورثتهم (الرابع) اذالم يوجد له وارث حقيقى أو متخذه يخلفه فى الملك البرنس
نابليون وورثته الحقيقيون من سلالة الذى كور الاول فالاول ويستثنى من ذلك الاناث
وذريتهم استثناء دائما (الخامس) اذالم يوجد وارث شرعى أو متخذ لما يوليون الثالث
ولخلفائه فليس كان الممكة أن ينتخبوا امبراطورا ويعلنوا من أهله الوارث من الذى كور دون
الاناث وفى مدة انتخاب الامبراطور تدار الامور بواسطة الوزراء القائمين بالوظائف بحسب
اكثرية الاكراه (السادس) افراد عائلة نابليون الثالث الذين ثبتت لهم الوراثه وكذلك
سلالتهم ذكورا واناثا هم من العائلة الامبراطورية ولا يمكن لهم ان يتزوجوا الا بذنه واذا
تزوجوا من دون اذنه كان ذلك سببا فى حرمانهم من حقوقهم فى الخلافة وفى حرمان ذريتهم
ايضا ولا يمكن اذا كان زواجهم عقيما فلبرنس الذى تزوج حق فى الخلافة وللامبراطور
أن يعين القاب الباقى من العائلة ويعين حقوقهم وما يجب عليهم وله عليهم الساطة النامة
(السابع) النيابة فى الملك مقررة فى القوانين التى نظمت فى ١٧ تموز (يوليه) من سنة
١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م وفى الاحوال المنصوصة فى الفقرة الثالثة من المحكم الخامس ينحدر
كل من مجلس الاعيان ومجلس النواب ويقر رأيه على اقامة من ينوب فى الملك (الثامن)
كل من افراد العائلة الامبراطورية الذين تحقق لهم الخلافة يسمى برنساوا كبيرا بناء
الامبراطورية له برنس امبريال (التاسع) كل من يطلق عليه برنس يؤهل لان يكون
من أعضاء مجلس الاعيان ومجلس الدولة بحيث يبلغ ثمانى عشرة سنة نامة ولا يمكن
جلوسه فى المجلس بين متوقف على رضى الامبراطور

الفصل الثالث

فى نوع حكومة الامبراطور

(العاشر) الحكومة للامبراطور بمساعدة الوزراء ومجلس الاعيان ومجلس النواب
ومجلس شورى الدولة (الحادى عشر) وضع الاحكام والقوانين يجرى بالاتفاق مع

(١٠٨)

الامبراطور ومجلس الاعيان ومجلس النواب (الثاني عشر) البداية في القوانين
مذسوبة للامبراطور والمجلسين المذكورين وليكن كل تقرير يرسم فيه بوضع
الضرائب ينفى الاقتراح عليه في مجلس النواب

الفصل الرابع

﴿في احوال الامبراطور﴾

(الثالث عشر) الامبراطور مسئول لامة الفرانيس وله الحق في كل وقت لان يبلغها
استدعاه (الرابع عشر) الامبراطور هو رئيس الدولة وهو يحكم على العساكر
البرية والبحرية وله أن يأذن بالحرب ويحرم معاهدات السلم والتجارة والاتفاق
والمحالفات ويعين جميع الوظائف ويثبت التراتيب والاحكام اللازمة لتنفيذ الشريع
(الخامس عشر) اجراء الاحكام القضائية يكون باسمه (السادس عشر) له الحق
في منح العفو والاعفاء (السابع عشر) وفي ان يقر الاحكام ريشه رها (الثامن
عشر) ما يراى بعد الاذن من تعديل الاحكام وتعريفات الكرك وجعل البوسطة
على حسب الموافقة مع ام أخرى لا يكون العمل به واجبا الا بعد ان يقرر رأى المجلس عليه
(التاسع عشر) الوزراء هم من يطون بالامبراطور وحده وهم يتخذون في مجلس يكون
الامبراطور رئيسه وهم مسئولون (العشرون) يصح للوزراء ان يكونوا من اعضاء مجلس
الاعيان او مجلس النواب وان يحضروا في أحدهما ايا كان شأوا وان ينصت اليهم حين
يتكلمون (الحادي والعشرون) يجب على الوزراء اهل مجلس الاعيان ومجلس النواب
وضباط العساكر البرية والبحرية والقضاة وذو المراتب ان يحلفوا هذه اليمين وهي اني
أحلف بان أكون خاضعا للقوانين الملكية وامينا للامبراطور (الثاني والعشرون) الحكم
الذي صدر في ١٢ كانون الاول (دجنبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفي ٢٣ من
نيسان (ابريل) سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م ما يتعلق بالمرتبة لصهر وف الامبراطور يبقى
معمولا به امانا في المستقبل فيكون مرتبة صاحب الناج مدة مائة مقرر برسم من لم
مرتبة وضع الاحكام عند اجتماعهم وذلك بعد نصبه

الفصل الخامس

﴿في مجلس الاعيان﴾

(الثالث)

(الثالث والعشرون) مجلس الاعيان يؤلف من هم في مرتبة الكردينال والمباريشال والاميرال ومن الاهلين الذين يرفعهم الامبراطور الى رتبة سيدنا تور (الرابع والعشرون) لا يتغيرون ووظيفتهم باقية ماداموا احياء (الخامس والعشرون) يصح ان يبلغ عدددهم مقدار ثلثي اهل مجلس النواب ولا يصح للامبراطور ان يعين فيه أكثر من عشرين في العام (السادس والعشرون) رئيسه ونائب رئيسه يكون تعيينهما من قبل الامبراطور وهو الذي يعقد المجلس ويطلب مدة انعقاده ويكون الجلوس فيه علانية ولا يمكن عند طاب خمسة اعضاء منه يصح ان تجعل الجلسة خفية (السابع والعشرون) مجلس الاعيان يحافظ على الشرط الاصلي الجوهرى وعلى حرية العامة وله ان يتذاكر على التقارير المبرمومة ويقرر على الضرائب

الفصل السادس

في مجلس النواب

(الثامن والعشرون) اساس الانتخاب سكان المملكة (التاسع والعشرون) اعضاء المجلس يكون انتخابهم عاما (الثلاثون) مدة انتخابهم لا تتقص على ثلاث سنين (الحادى والثلاثون) ولهم ان يتذاكروا على القوانين ويقرروا على الضرائب (الثانى والثلاثون) وان ينتخبوا رئيسهم ونواب رئيسهم وكتاب اسرارهم (الثالث والثلاثون) للامبراطور ان يعقد المجلس ويؤخره أو يطيل مدة انعقاده وان يحله لئلا يكون عند حله بتعيين عاين ان يعقد آخر في مدة ستة أشهر (الرابع والثلاثون) الاجتماع يكون ظاهرا ولا يمكن عند طاب خمسة اعضاء يصح ان يكون خفيا

الفصل السابع

في مجلس الدولة

(الخامس والثلاثون) مجلس الدولة مكلف على حسب ارشاد الامبراطور بان يرسم التقارير واللوائح والالتزامات المتعلقة بالادارة الدولية وبان يحل المناشئة من معاملة الامور (السادس والثلاثون) وان يرسم باسم الدولة المذكرة في المعارضات واللوائح في كلا المجلسين (السابع والثلاثون) للوزراء حق في حضور المجلس والافتراع فيه اه فليكن الامبراطور يرى ان هاته القوانين ترضى عنه جميع الاهل الى سبيل بعد

ربحان انتخبه من المجهور وروقه دكانت اذ ذاك المشاحنة بين فرانسوا بروسية في ازدياد كما
 تقدمت لاشارة اليه في اخبار ايطاليا فبيرة من فرانساعلى ماناته بروسية من الشهرة
 والانتصار على النمسا مع وعد بروسياسرالفرانسابانها اذا تم قصدها فانها تساعد
 على تعديل حدودها جهة نهر السين وتعدو عن حقوقها من وضع العسكر في
 لوكزنبورغ وادخالها عضوا في العصبة الجرمانية مع انها تحت تلك ملك هلاندة ولما
 حصلت بروسية قصدها ما طات تلك النوعود السرية التلويحية فهاجت لذلك فرانسوا
 وكان من تخمينها انها اذا شهرت الحرب على بروسية تعاضدها الغسا عليها انتقاما مما
 حصل لها في سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م ويلما الامر على ذلك واذا بانها الى اسبانيا
 خدعوا ما كتمهم وطلبوا الى بولي عايم الاميردوهوهزولن أحد قراية ملك بروسيا
 فارعدت فرانسوا لذلك وأبرقت وقد اخذت انكلا تيرة في طاب ابقاه السلم لكن الامبراطور
 نابليون أبي الحرب والافان الاميرالمطلوب الى الولاية على اسبانيا رفض طلبهم ولم
 يقتنع بذلك الامبراطور بل ذهب سفيره في برلين الى ملك بروسيا في غبروقت وغبر محل
 معتمدا واطاع عليه الكلام بان يتعهده هو بان لا يقبل الاميرالمذكور في المستقبل
 الولاية فألان له الملك الكلام لكنه امتنع من ذلك التعهده وهاجت المانيا جميعا على
 ما لحق الملك من الاهانة كما ان فرانساعلى بطاب اعلان الحرب ولم يخاف الا قاييل من
 عقلاهم مثل تيرس فانتهز هانا نابليون فرصة لاشتهال فرانسابالحرب عن الهييجان عليه
 اذانه وان حصل على أكثرية الانتخاب لكنه كان على يقين من ان حزب الوفوذ كار له
 ومقتدعا عليه وكان وزير الحرب بفرانسوا اعان للمجلس بان العساكر مستعدة كلها وانها
 تجاوز المليون وان الحرب ولودامت سنين فلا يخافون الى زرة لباس وابتدأت فرانسوا
 باعلان الحرب وتقلد نابليون رياسة العسكر بنفسه واناب زوجه في الملك فاتحدت المانيا
 على الدفاع وبقيت الروسيامعاضدة لالمانيا معنى لاتفاقها معها سرافيك كانت بالمصاد
 من النمسا لكي لاتعين بروسيا مع ما في نفسها أي النمسا على فرانسامن اعانتها الايطاليا
 ومساعدتها من قبل لجرمانيا فلم تتدخل بشئ وما مضت تسعة عشر يوما من ساعة
 الاعلان بالحرب حتى وقع نابليون اسيرا يدعدوه اذ في نفس الامر لم تكن فرانسوا مستعدة
 وكانت الاموال المعينة لمصاريف الحرب تصرف فيما يراه الامبراطور وحيث كانت
 الوزراء مسئولون له للمجلس الامة في تصرفهم كنفهم أرادوا وكان يظن انه بسرعة
 الهجوم يحصل على مبرجة الانتصار ويجهل الى عقد الصلح لكن المانيا كانت لها

جواسيس من اعيانهم في جميع دواوين فرنسا وفي قصور رجالها على صورة خدمة
وغـيرهم مع كمال اسـتعدادها وتقرن اهلها على الحرب اذهى دولة عـكرية من قـديم
وأهلها في فرنسا اغلب عـايمهم الميل الى التـنعم فالتقى مركز المجيشين في سيدان من عمل فرنسا
وحى الوطيس الى ان يقرر نـايمون بالغـلب وقوة قـرنه عـدة وعدة فكتب الى ملك بروسيا
ما تـعريـه يا اخي حيث اني لم يـتـدبر لي ان أموت في مقدمة جيشي فها أنا أضـع سـبي لدى
قـدميك اهـ ورفـع من هـناك اسيراً وسـجـان الدائم عزه وما يـكـه وهـربـت زوج نـايمون
واستقرت مع زوجـها باندرة الى ان مات بها وأما العـساكر التي معـه فطـلبت الاسـتـسلام
على وجـه لا يـحـط بشـرفها وحيث كـانت المـخاطبات الواقعة في هـذا الشـأن واقعة بين
الرؤساء بالسـلك البرقي ولها أهمية رأينا اثباتها هنا لتـلاعن كـتاب ألف وطـيع في
باريس وهى (من الجنرال) دووميسين الفرنساوى الى الجنرال ملك رئيس عـساكر
جرمانيا اريدان أعرف (ماهى) شروط التسليم التي يريد ملك بروسـة ان يوجـها عـاينا
(جواب) الجنرال ملك شـروطنا سـهلة فـان جـميع جـيشـكم أسـرى مع كل ما عندهم من
الاسـلـحة والذخائر وليكن نـزك لاضـباط سـيوفهم علامة على اعتبارنا لهم وعلى بسـالتهم
وليكن يـكونون أسـرى أيضاً كبقية الجـيش (الجنرال) دووميسين هـذه الشـروط شـديدة
بالجنرال اذ الظاهر ان بسـالة عـساكر فرنسا تـستوجب مـراعاة أكثر من هـذه الـيس من
الممكن لجيشي ان يـستحصل على شـروط على هـذه الصـورة الـآتية وهى ان أسـلم لـكم
سيدان عـساكرهم من المدافع (وأما) العـساكر فـتتركوه يـخرج عـما عندهم من الاسـلحة والاكـحال
والرايات بشـروط ان لا يعودوا لـهاربة بروسـية في هـذه الحرب والامـبراطور يـتجهـد بـنفسه
بـهـذه الشـروط بالمـكاتبـة وكذا اعمـان ضـباطه العـسـكرية ثم يـنقل هـذا الجـيش الى
احدى جهات فرنسا التي تـعينها بروسـية أو ان شـئت يـنقل الى الجزائر الى ان يـبرم يـدنا
الصـلح (جواب) الجنرال دووميسين طلبكم هـذا لـايقـارن القـبول (الجنرال) دووميسين انى
وصـلت الى هـذا من صحراء افريقية منذ يومين فقط وكان لى الى الآن شهرة عـسـكرية مرضية
والآن فوض الى رئاسة جيش في ميدان القتـال فاصـبحت مضطراً الى ان أقـيد اسمى في
الاذعان لمـصلحة مثل هـذه حتى اضطررت أيضاً الى تحـمل جـميع المـسؤولية بدون ان أكون
قد أحدث هـذه الوقائع الخـيرية التي هى سبب في هـذا التسليم وحيث انك جنـرال على
يـلزمك ان تشـعر بحـسالى الحـزينة وانك يـمكنك تخفيفها باشتراطك على شـروط أهدون
وايسر والا فلا يـمكنني قـبول شـروطكم وحيث انك تـدعو جيشي الى شـرفهم واخـترق بهم

صفوفكم والا فابقى في سيدان متوقعا (جواب) الجنرال مائة اعتبارا لكم عظيم وشرح حالكم في محله ولكن أتأسف على أنه لا يمكنني فعل شيء مما طلبة وروا ما خرق الصفوف ونحروكم من سيدان فن المحال وكذلك تحفظكم فيها نعم ان عندكم عساكر عظيمة ولا سيما المشاة فانهم على غاية من المهارة والاقدام وكذا فرسانكم وطوبجيةكم وقد أوقعوا بنا ضرا كبيرا فبران جل عساكركم قد فسدت اطوارهم وعندهنا اليوم من اسراهم ازيد من ٢٠٠٠٠ نفر غير الجرحى فلم يبق عندهم الا اثنان ازيد من ٨٠٠٠٠ نفر فلا يمكنكم اذا خرق صفوف جيشي فيلزم ان تعلم ان من جيشي حولكم ٢٤٠٠٠ نفر و ٥٠٠ مدفع منها ٣٠٠ على هيئة الاستعداد لاطلاق النار على سيدان والباقى اعنى ٢٠٠ تكون على هيئة الاستعداد في فجر الغد فان شئت تحقيق ذلك فاسل احدا من ضباطكم الى والارسله الى المواقع المذكورة حتى يشاهد بنفسه ما قالته لكم اما تحفظكم داخل سيدان فن المستحيل لان المؤنة التي عندهم لاتكفيكم الا ٤٨ ساعة ولم يبق عندهم شيء من الذخائر (جواب) الجنرال الفرانساوى الظاهر ان من مصلحةكم حتى من المصلحة السياسية ايضا ان شروط التسليم لاتكون محذلة بشرفنا لان جيشي يستوجب ذلك ومرادكم عفا الصلح وما أظن الا انكم تريدون عفاه بسرعة وأمة فرانسائية أكثر من غيرها ومستعدة للفداء وعلى هذا فهي تقدر مكافئكم التي تخصونها بها وتراعى الجبل فان امكنكم ان تشرطوا علينا شروطا من شأنها مداراة خاطر الجيش فان الامة تحسب به ايضا تامة لها فيخفف عنها حرارة الالتزام وبشرط الصلح على هذه الصورة يكون على الدوام (اما) اذا طامعتمونا بالقساوة فلا شك انكم تثيرون الكراهة لكم والبغض في قلب كل عسكري وعزة نفس جميع الامة تعود وقد استاءت وبذلك توظفون الاحساس الذميمة الذي انامه التمدن وتخططرون بآفة اذ حرب لانهاية لها بين فرانساي وبروسية فاجليه البرؤس بسمارك قائلا برهانك يظهر بآدى بدء انه على الجدد وهو في الحقيقة كلام ظاهر ولكن كما انه لا ينبغي ان يعتق دعائة اداراهما بمنونية الانفراد فكذلك لا ينبغي ان توقع بمنونية امة كاملة أو تركز الى بمنونية ملك ومراعاة الجبل معه وان شئت فقل مع أهله ايضا نعم انه في بعض الاحيان يمكن ان يكون الى عهد ملك ولكن اكرراكم انه لا يمكن ان تظار مراعاة الجبل من امة ولو كانت امة فرانسائيل بقة الامم ولو كان عندهم تهاتر نظمات ومبادئ راسخة ولو كانت من أممى تحترم احكامها وتطيع احكامها ولو كان عندهم ملك جالس على سرير الملك على اصول راسخة

ثابتة لكوننا نعتقد بحسن نية الامبراطور وابنه أما فرانسافقد مضى ثمانون سنة وحكومتها
قد تغيرت نوعا وحسنا بصورة غير ثابتة فساعدنا من الممكن ان يعتمد عليها فمنا آما لنا على
مودعة لك فرانسافى يكون من قبيل بناء في الهواء فاذا صدقنا ان فرانسافا ساعدنا عن
ظفرنا بهما مع كونكم آمة سريضة الهياج ومحبولة على الحسد والكبر الى النهاية فذلك
جنون فانها ساعدت بحرب بروسية منذ مائتي سنة ثلاثين مرة وهذه المرة اعلنت الحرب معنا
حسدا كعادتكم اذ لم يمكنكم ان تساعدونا عن ظفرنا في واقعة سدوه فهل يمكنكم ان
تساعدونا اليوم في ظفرنا في سيدان كلاثم كلاثم فان عقدنا معكم الصلح الآن فبعد بضع سنين
تعودون الى حربنا حين يتيسر لكم ذلك وهي المكافاة على الجيمل التي ترقبناها (أما)
نحن فاخلقنا مخالقة لاخلقكم فاننا آمة صادقة ساكنة لا تخرص على الفتوحات وانما
تخرص على ان تعيش بالسلم وقد كفى اليوم فيلزم ان تتأدب فرانسافا على تجبرها ويلزمنا
ان نطمئن على سلامة اولادنا ولذا يلزم ان يكون بيننا وبين فرانسافا حدود منيعة فلا بد
لنا من ارض وحصون وحدود لئلا نكون دوما آمنين من هجوماتها (جواب) الجنرال
الفرنساوى قد غلطت يا ايها الذات الموقر في حكمك على آمة فرانسافا فانك انما تتصور
فرانسافا في سنة ١٨١٠ وتصور حالها من ايسات بعض الشهور ومن كلام بعض
الجنرالات وهي اليوم على غير حال فان مهمة الامبراطور صارت افكار اهلها مشغولة
بالتجارة والصنائع والعلوم وكل واحد منهم يسهر في تكثير مكاسبه وينظر الى منافعهم
وكلهم يحبون الاخاء انظر الى انك اكثر مثلا فان اليوم تلك الكراهية التي طالما ابعدتنا
عننا اليس ان الانبياء اليوم اعزأ حبا بنا وكذلك يكون أهل المانيا اذا اظهرتم
المكارم معنا (البرنس) بسمارك قد ههنا يا جنرال ان فرانسافا تتغير فائها هي التي
اكرهتمنا على الحرب ولا جسد ادع الامة حرصا على نفع آل الامبراطور باليون
الثالث اعلان بحربنا نعم ان اندرى ان كمبرامن أهل فرانسافا هم العقلاء لم
يريدوا الحرب ولا كن تلقوا فكري الامبراطور بالقبول والباقي هم الذين فهموا للعرب
حتى اصحاب الجنرالات ايضا فهو لا القوم يلزم تأديهم ولذلك يازمنا ان نسير الى
باريس ومن ذا الذى يدري ماذا يقع بعده اذ من المحتمل انه ينشأ عندكم دولة من الذين
لا يفقون عن شئ بل يحسدون احكاما على حسب هواهم ولا يعترفون بشروط تسليم
جيشكم فرجما الزوال الضباط نقض عهودهم نعم اننا نروم الصلح ولكن الصلح الذى
يكون على أساس الثبات والدوام وشروط صارت معلومة لكم فيلزمنا ان نجعل فرانسافا

بصورة بحيث لا يعود ممكن لها ان تقاومنا فيما بعد وقد قدر الله ان تكون زهرة
عسا كرم أمرى عنه دنا فنالهوس ان نعيدهم اليكم ليعودوا الى عمار بلذ وشأن ذلك
دوام القتال ومصلحة بلادى تأباه أيها الجنرال مهـ ما يكن من المصالح المختصة بذلك
ومهما يكن من أفكارك عن جيشكم فلا يمكنني الاجابة الى مطلبو ملك أوتغيهـ برثى من
الشروط التي أبلغتك اياها (الجنرال) الفرانسواى فلا يمكنني اذا ان أوقع شروط التسليم
على هذا المنوال بل يلزمنا ادامة القتال (جواب) الجنرال كستلان من أعيان الامراء
الفرانسواى الى البرنس المشار اليه عنهـ دى ان الوقت قد حان لا بلاغ ماذ كرتم الى
الامبراطور (جواب) البرنس بسمارك اناسا معون لكم (الجنرال) كستلان قد كلفني جناب
الامبراطور ان أبلغ مسامع جناب ملك بروسية انه كان بعث اليه بسيفه بدون شرط وسلم
نفسه له بلا شرط وانما فعل هكذا أملا في ان الملك يشعر بما يوجبهم هذا التسليم فبقع
لديه وقع الاعتبار فيتمساكل مع جيش فرانسواى تسلم أشرف لهم كما تسحقه بساقتهمـ
(البرنس) بسمارك أهذا كلاككم كله (الجنرال) كستلان نعم (البرنس) بسمارك ماهو
السيف الذى سلمه الامبراطور هل هو سيف فرانسواى أو سيفه الخاص به فاذا كان سيف
فرانسواى يمكن تعديل الشروط ولكن يكون جوابكم الاخير ذابال (الجنرال) كستلان
السيف الذى سلمه لكم الامبراطور هو سيفه فقط (الجنرال) مانتك فعلى هذا لا يمكن تبديل
شئ من الشروط وانما يكون للامبراطور ما يختص به (الجنرال) دووميسين اذا استأنف
الحرب (الجنرال) مانتك المهلة تنقضى في فجر الغد وفي الساعة الرابعة أشمرع في اطلاق
النيران عليكم (البرنس) بسمارك نعم أيها الجنرال ان عندكم عسا كرشعنا فلا أشك انهم
يظهرون غدا بسالة غريسية ويرزؤن منا و يوقعون بنا الضرر ولكن ما الفائدة من
ذلك لانك في مساء الغد تجد نفسك متقدما أكثر مما تقدمت اليوم ويبقى في أعناقكم
دم عسا كرم بل عسا كرنا أيضا الذين سيفكون دماءهم لغير فائدة فقد أخبركم الجنرال
مانتك ان مقاومتيكم لئسا هوس (الجنرال) مانتك انى أو كذلك مرة أخرى ان تحرق صفوف
عسا كرنا لا يمكن ولو كان عسا كرم على أحسن أهبة لانه فضلا عن كون عسا كرمنا أكثر
عددا من عسا كرم قافى مستولى على مواقع تمكنني من احراق سيدان في بعض ساعات
وهذه المواقع متسلطة على جميع الجهات التي يمكنكم المرور منها وهي منيعة فلا يمكنكم
حوزها (الجنرال) الفرانسواى ليست مواقعكم قوية كما تذكرون (الجنرال) مانتك أنت
لا تدرى المواقع حول سيدان وانى أفيدك فائدة تبلغ من أمتكم المتكبيرة وهي انكم عند

افتتاح الحرب بيننا وزعمت على ضباطكم خرائط كان رسمها وطبعها في ألمانيا فلم يمكن
لكم حينئذ ان تطالعوا على مواقع بلادكم فلم يكن عندكم خرائط لها فأقول لكم الان ان
هذه المواقع فضلا عن كونها منيعة فلا يستطيع عليها ضرب من المحال (الجنرال)
الفرانساوى انى اغتتم الفرصة لارسال أحد من ضباطى كما عرضتم على فى مبادئ الامر
حتى يرى مواقعكم المنيعة وعند رجوعه أجاوبكم (الجنرال) مائة لا ترسل أحد فان ذلك
عبث اذ ليس لكم وقت طويل حتى تتداركوا ما يلزم فعله فالوقت الآن نصف الليل
وبعد أربع ساعات تنقضى المهلة ولا يمكننى أن أمهلكم بعدها ولودقيقة واحدة
(الجنرال) الفرانساوى ولكن يلزم ان تعلموا انه لا يمكننى بت الرأى على شئ وحيدى
فيلزم ان أشاور سائر رفقاى الضباط ولست أدري أين أجدهم فى سيدان فى هذه
الساعة فلا يمكننى أن أعطيكم جوابا فى الساعة الرابعة فن الضرورة والحالة هذه اطالة
المهلة فعند ذلك أسر البرنس بسمارك الى الجنرال ملتك فى اذنه وأشار اليه بتطويل
المهلة الى الساعة العاشرة أعنى قبل الظهر بثلاث ساعات فلما كانت سلم الجنرال
الفرانساوى جميع عساكر فرانس الذين فى سيدان على موجب شروط الجنرال ملتك
وبذلك يقين حالة قوة فرانس اذ ذلك واستعدادها فلذلك انقلب رأى الامة الفرانساوية
وجعلوا الذنب على نابليون وخلعوه وأعادوا الدولة الجمهورية ثانيا واندوا ألمانيا الى
ان حاصرت باريس وأخذت مئآت آلاف من عساكر فرانس أسرى منهم مائة وخمسون
ألغا أويريدون سلما ومن غير دفاع فى قلعة متس تحت رياسة المارشال بازين ثم عقدوا
الصلح على نحو ما طلبت ألمانيا بأخذها ولاية الألزاس وقسم من ولاية اللورين وغرامة
خمسة آلاف مليون فرنك مقسطة على خمس سنين وقتوجلاك بروسيا المبراطوراعلى
ألمانيا فى قصر فرساى وحضر له ملوك ألمانيا ودخلت عساكرهم الى باريس على وجه
الانتصار بالحرب ومن ذلك الوقت تغيرت السياسة الأوروبية وصارت ألمانيا هى
معدلة الميزان ليكن فرانس استولى رياسة جمهوريتها الرجل الشهير بترس ولم شعبها بعد
حصول حرب أهلية هائلة من جمعية تعرف بالكمونون أى الاشتراكيين الذين يريدون
ان تكون الناس كلهم شركاء فى جميع ما يمكن ان ينسب الى انسان وأضر وايباريس
أكثر من أضرار ألمانيا اوقد أظهرت فرانسامن الغنى ما لم يكن فى الحسبان ورفعت
الغرامة عما قبل ابانها بأزيد من سنتين ولم يؤثر ذلك فى مايتها أدنى خال فان المقدرون
خسائرهما وغرامتهما فى ذلك الحرب نحو عشرة آلاف مليون ومع ذلك فانهم عند اذنتها

استقراض ثلاثة آلاف مليون لدفع بقيمة الغرامة هدرت لها أبواب المال من كل
 فج حتى من المانيا وأحضر والها ما ينف عن الخمسين ألف مليون وأقيمت على اصلاح
 داخلياتها وعساكرها عبا أرجعها لاعتبارها وأوحس غالبها منهم نخيفة وقد أحدثت
 الفرائس اويون في حديقة الشانزلي لزي محلاحيطانه مرايا مكبرة بحيث يحس به الداخل
 بالحيطان ويرى منه صورة حالة باريس من الحرق والهدم وقت الحرب تذكارا منهم
 لآحياء أخذ النار وقد رأيت ذلك المكان وله منظرها نزل واستقرت الحكومة الى الآن
 جمهورية

م طلب

﴿ في السياسة الداخلية في فرنسا ﴾

قد تقرر الحكومة الجمهورية على القانون الآتي ترجمته (البند الاول) ان
 مجلس الاعيان ومجلس النواب يجتمعان كل عام يوم الاربعاء (الثاني) من كانون
 الاول يناير الا ان يكون جمعهم اقبلا لرئيس الجمهورية فالجلسان ينف في أن يعقد
 جاساتهما أقله في مدة خمسة أشهر كل سنة وجاستا كليهما يجتمعان وتقريران معا وتقام
 الادعية الجمهورية لله سبحانه في الكنائس والمعابد لالاس المعونة منه تعالى في
 اعمال المجالس (البند الثاني) ان رئيس الجمهورية يجتمع المجلس وله حق أن
 يستدعي المجالس للاجتماع فوق العادة وينبغي أن يستدعيها اذا ما صار الطالب في
 انشاء الجلسة من أكثرية الاعضاء المؤلفة لكل مجلس على ان رئيس الجمهورية له أن
 يؤجل اجتماع المجالس انما لا يمكن أن يطول هذا التأجيل أكثر من شهر ولا يحدث
 أكثر من دفتين في جلسة واحدة بعينها (البند الثالث) وقبل ما ينتهي الاجل
 القانوني لاطان رئيس الجمهورية أقله بشهر واحد يجب ان تجتمع الاعضاء في مجلس
 الامة ليأثموا وانتخاب الرئيس الجديد واذا لم يصرا استدعاء للمجالس للاجتماع فعلى
 المجالس ان تجتمع من تلقاء ذاتها قبل نهاية سلطة الرئيس بخمسة عشر يوما واذا ما توفي
 رئيس الجمهورية أو تنازل عن وظيفته يجتمع المجلسان حالا بساطتهما الخاص واذا
 ما وُف مجلس النواب حين ما يفرغ من مند الرئاسة الجمهورية بتبعها لالبند الخامس من
 قانون ٢٥ شباط فبراير سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٥ م تستدعي المجالس الانتخابية
 حالا ويجتمع مجلس الاعيان الخاص بمطابق سلطاتها (البند الرابع) ان كلام

مجلس

مجلس النواب والاعيان اذا اجتمع في غير الوقت المعين للجلسة العمومية يكون باطلا ولغو ما طلقا ما عدا الحادث المنبه عليه في البند السابق وما عدا ما اذا اجتمعت الاعيان للقضاء في الدعاوى والعدلية وفي هذا الحادث لا يحق لها الا مباشرة الوظائف القضائية (البند الخامس) ان جلسات الاعيان ومجلس النواب تكون شترة على ان كل مجلس له ان يقيم جمعية سرية في طابعد معلوم من أعضائه معين بالقوانين ثم تقضى بموجب رأى الاكثرية المطلقة اذما اقتضى اعادة الجلسة بجها را على نفس المشروع (البند السادس) ان رئيس الجمهورية يتخابر مع المجلس بواسطة رسائل يقرؤها أحد الوزراء ويحق للوزراء الدخول في المجلس والنسكام فيما اذا ما طلبوا الاصفة لافعالهم ولهم ان يستعينوا بجمعية من معلومين للبحث في انشاء قانون معين بحكم رئيس الجمهورية (البند السابع) ان رئيس الجمهورية يثبت السنة في الشهر الذي يلي تسليم السنة المقررة ثم ثما للحكومة وعليه ان يثبت في ثلاثة أيام السنن التي حكم كلا المجلسين بوجوب السرعة في بثها على ان رئيس الجمهورية له في المهلة المعنية لاذاعة السنن ان يطالب بواسطة ارسالية محكمة ولا يرفض طالما اعادة التخابر في تقرير القانون والسنة (البند الثامن) لرئيس الجمهورية ان يتخابر في المعاهدات ويقررها ويبلغها للمجلس طالما تسمع ذلك الصالح والدولة وأمنيتها اما المعاهدات المتعلقة بالصالح والتجارة والمعاهدات المرتبطة بالية الدولة والمنوطة بحالة الاشخاص وبحق الملكية المتبعة الدولة الفرنسية في الخارج فلا يجوز جزمها ثانياً الا بتقرر المجلسين ولا يعطى ولا يبدل شئ من الاراضى الفرنسية ولا يضاف اليها شئ الا بتقرير قانوني من المجلس (البند التاسع) ولا يتحق لرئيس الجمهورية أن يشهر الحرب بدون رضى المجلسين (البند العاشر) ان كلا من المجلسين قاض في انتخابية أعضائه وفي أحكام قانونية انتخابية وله وحده أن يقبل اعتفاء من يعفى من وظيفته (البند الحادى عشر) ان رؤساء كل من المجلسين ينتخبون كل عام لمدة الجلسة بتمامها وكل جلسة فوق العادة تصير قبل الجلسة المألوفة في السنة التالية ومتى اجتمع كلا المجلسين بجماعة مجلس الامة تتألف رؤساؤه من الرئيس ونائب الرئيس وكتمه امر الاعيان (البند الثانى عشر) لا تقبل شكوى على رئيس الجمهورية الا من مجلس النواب ولا يحكم عليه الا الاعيان وتقبل الشكوى على الوزراء من مجلس النواب بجمالية ارتكبا كبرهاى مباشرة وظيفتهم فيمنع ذلك تمام محاكمتهم في الاعيان ولرئيس الجمهورية ان يقيم على الاعيان مجلس محامى بمحكم يصدره في مجلس الوزراء لمحاكمة كل من تقدم عليه بشكوى بذنوب

يجل بأمنية الدولة واذا ما شرع بالاستعلام في محكمة العدلية المألوفة فيمكن أن يصدر
الحكم باستدعاء الاعيان للاجتماع الى حين استئناف الدعوى اليها او بتمام قانونا يعين
كيفية سماع الدعوى والاستئناف والحكم (المادة الثالثة عشر) لا تقام دعوى
على أحد الاعضاء من كلا المجلسين ولا يطالب بشكوى في شأن رأيه واقتراحه حال
كونه في مباشرة وظيفته (المادة الرابعة عشر) ولا تقام دعوى على عضو من كلا
المجلسين بمادة جنائية أو تأديبية ولا يباقي القبض عليه في مدة الجلسة الا باذن المجلس
الذي هو متضمنه ما لم يؤخذ في حال فعله ويتوقف ضبط أحد الاعضاء من كلا المجلسين
ومحاكمته في الجلسة وفي كامل مدتها بطلب المجلس اهـ فهذه القانون يبين لان اصول
الادارة ورئيس الجمهورية الآن قد عينت له مدة الرئاسة خمس سنين وهو الآن البرت
اقر في وأما بقية تفصيل الادارة فهي على نحو ما تقدم في الكلام على سـ بإسناد ايطاليا
من انفرد الادارة العامة عن الاحكام الشخصية وتصرف رئيس الدولة بواسطة الوزراء
وكون الوزراء مسؤولين لمجلس النواب ومجلس الاعيان بحيث ان الحكومة شورية
حقيقة لا يصدر عنها الاما يوافق عليه غالب الامة بواسطة وكلا ثم يجري ذلك في حقيقة
الاشياء وعظيمة الوزراء ينتخبون عن ثلثيهم اغلبية المجلس لكي يامن المجلس
بتصرفاتهم لان للبشارة في الاجراء دخل عظيم في نجاح الافكار ولان بعض الامور تفوت
بفوات وقتها فب ان الوزير مسؤول ويجري عليه العقاب بالخلاله لكن منفعة الامة
عموما تفوت بفوات الفرصة ولذلك كان انتخاب الوزراء من تعتمد المجلس عليهم
زيادة على شروط الاهلية الذاتية وهكذا بقية الادارات على نحو ما مرفى ايطاليا غير ان
فرانسا لما كانت لها مستعمرات كثيرة فهي تعددهم مثل ولايات فرانسا واطنانها في
كيفية الادارة وكون مصدرها هم الوزراء المعهودون من غير تخصيص بوزير للمستعمرات
كما تفعل الدول التي لها مثل ذلك فهي من هاته الجهة تعددهم مستعمراتها اجزاء من السكان
تحررهم مما تحوزها من اهل فرانسا من الحقوق والمنح كالحريّة وحقوق ادخال اعضاء في مجلس
النواب واعضاء في مجلس الاعيان الى غير ذلك من الامتيازات المحصلة عليهم اهل
فرانسا فاذلك كانت مستعمراتها اسوأ حالا من غيرها فقد انهم حررتهم الاصالية
وعوائدهم واسبق فلا هم مع حوماتهم معالمتهم اعطاهم من الخصائص (وأما ادارة
الاحكام فهي أيضا على نوع ما تقدم في ايطاليا ومن أهـ ما يند كرفها وجود احكام
الجورى وهم اعداد من مطابق الناس ينتخبهم العامة لمدة من الزمان لاجل مشاركة

محاسن الجنائيات الشخصية في النظر بمعنى أنهم يحضرون المجلس المركب من رئيس وعضوين ويعمل المجلس جميع المقدمات بحضرتهم ثم يسألهم رئيس المجلس عما يرون في المنازلة هل صاحبها مجرم أم لا ومن أى نوع جريمة عليه فينتظر رضون ومبايعته تقر عليه رأيهم يعلمون به المجلس ثم المجلس يطلق المدعى عليه حالاً إن رأى الجورى برايته أو يعين العقوبة من القانون إن رأى ذنبه والسبب في إيجاد الجورى هو زيادة الاحتراس في المحاكم عن ميلهم الى محاباة الامراء والوزراء لان وظيفة المحكام وان كانت عهرية وهم منتخبون بشروط العفة والاهلية ووراءهم احتساب مجلس الاعيان ومحاسن الامنة ومن ثبت ارتشاؤه يعاقب أشد العقاب ولائهم مل العقوبة بعفو أو شفاعنة لكن ربما أغرتهم مع ذاك الدواعى بالترقى الى الرتب العالية التى هى بيد الامراء والوزراء ويتعدرا لاحتساب بما يرتب من الخيل فدفع هذه المشاركة الجورى الذين هم ليسوا بموظفين ولا خوف ولا طمع لهم لكن في ذلك مفسدة أيضا اذ هؤلاء الجورى كثير ما يكونون غير فقهاء ولا دراية لهم بالاحكام ولا بعبءاتها ولا بالتحرى فيها فيخطون بخط عسواء ويضيع الحق بسببهم اذ لا تعقب ايرونه وبه يعلم مدرك الشرع الاسلامى في اناطة المحكم بالعلماء اهل العدالة وما أدراك ما العدالة ومشاورة المحاكم للعلماء وكون حكمه جهه رياثم وراه احتساب اهل الحل والعقد الداخلى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن المفسدات الموجودة أيضا مدعهم فى انتخاب اعضاء مجلس النواب أو غيرهم من انتخابه الاهاالى ان افراد امن يعدون أنفسهم لانتخاب يعقدون مواكب ويدعون اليها الاهاالى فى أما كن فيحقة ويلقون عليهم خطباء يبينون فيها أفسكارهم ومقاصدهم فى سياسة المملكة وجدارتهم للقيام بالمناضلة عنها وفتحهم بالسامعين لان يكونوا من خزهم حتى يقع انتخابهم على الخطيب ومع ذلك يعطون الرشا لمن له صوت فى الانتخاب لى يخصص له بذلك أكثرية المنتخبين فكثيرا ما ينجح سعيهم ويحصلون على الوظيفة بذلك الطريق بعد ان تقع غوغاء وشتم وسباب بين أحزاب المنتخبين فيدخل بسبب ذلك فى الوظيفة من لا ترضيه الاهاالى حقيقة أو من ليس جدير بها لكثرة أغراضه وغير ذلك وهذه المفسدة ولان كانوا حلو المساع لا جا وهوانه بعد التنازل للمجلس المنتخب ينظر فى المنتخبين هل هم مستكملوا الشروط أم لا ومن كان غير مستكمل يفصل عن المجلس ويبعد انتخاب غيره لكن ذلك لا يفيد فى أغلب الاحوال لان الذى انتخب بجهلته ورشائه قد يكون مستكمل الشروط الرسمية فلا يجد المجلس

(١٢٠)

سبب لا لا قدح فيه لاسكنه غير مستكمل الشرط الاساسي وهو ارتضاء الامة حقيقة بمسالكه
السياسي فالذات كان ينبغي أن يعتبر ان طالب الولاية والامانة يحرم منها فشرعنا
الشريف ولله الحمد من صحيح مماثل تلك المفسدة وطالب الولاية وان كان عدلا متوفرا
فيه شروط وظيفته فانه يحرم منها يحصره علمها هذا وقد تضمن كتاب اقرم المسالك في
معرفة أحوال المسالك تفصيل ايل ادارة هاته الممالك بما يعز وجوده في غيره وينبغي عن
بائع صاحب التأليف وبصارت في السياسة فمن أراد تحقيق الامور وتفصيلها فليرجع اليه

م طلب

﴿ في السياسة الخارجية في فرنسا ﴾

(اعلم) ان فرنسا لما كانت من أعظم الدول الاوروية وفي طبيعة أهلها حب الفخر
والوجاهة أكثر من غيرهم كانت تحب التدخل في أمورها أشد من سواها من
يتقارنوا وكن في عباد كرها في أحوال نابليون الاول والثالث وأسد باب حرب سنة
١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م شاهد على ما ذكره ذلك كانت فرنسا لما لا يطالبها
ذكرناه في سياستها الخارجية وتزيد بتطلب النفوذ في جميع الجهات اذ جمعات فيها
مستعمرات كثيرة فكل مملكة جاورتها ولو في مستعمراتها تطلب النفوذ لديها
ولو بالاعتبار فيما اذا كان الجار ذا شوكة وشأن (أما) اذا كان ضعيفا في القوة والادارة
فانها تلتزمه مهما سحنت لها الفرصة شأن طبيعة الدول القوية فودرنك ما وقع في
تونس هاته السنة وهي سنة ١٢٩١ هـ مما يوضح هذا المقصد وهو الذيل الذي
نمنا عليه في الباب الثاني عند الكلام على سياسة تونس الداخلية والخارجية

ذيل

﴿ في تسلط فرنسا على تونس ﴾

قد مر في المطالب الثامن من أحوال الادارة الداخلية في تونس حالة وزارة وزيرها مصطفى
ابن اسماعيل وتصرفاته وما وقع في نازلة صانسي الفرنسي الذي كانت سببا في
خوف هذا الوزير من الفصل ورام أن تبدل دولته وقدم أيضا ما هي مقاصد فرنسا
في تونس وانتهت تروم نيل الدرجة العليا فيها والمسارات سيرة الوزير المذكور لم تأمن
وقوع ارتبا كانت مغيرة لما كانت راضية بالبقاء عليه ونشيت ضبيع الفرصة من
مملكة

سهولة التوصل على يد ذلك الوزير الى ما لم يمكن التوصل به على يد غيره من ذوى العرض والعقل فلذلك بينما كانت مساعي الوزير جارية في ابدال القنصل واذا بالاسعاء الىه قد غشيت مشربه حتى طمع في ولاية العهد بان يتولى هو الامارة بعد سدس يده الوالى الحالى الصادق باشا اذا تم ادخال تونس طوعا تحت فرائد اسافر اكن حينئذ قد تسلسلها واحكم معه المودة وصارت بطانة الوزير تاتي اليه معلمة بجميع اسرار الحكومة وسائر تصرفاتها واضمربان اسمعيل الثمري كان أوعز اليه بان يتشكى من القنصل الى دولته ثم تفتن بذلك النواطىء السرى ونصح به بانه لا يتجمل له شيا وعلى فرض الوفاء له بالوعده فانه لا يثبت ان يناله مآل الوزير العاقى فى انقراض دولة بنى العباس من بغداد واتفق ذلك الوزير مع القنصل على شروط ادخال تونس تحت فرائد اسغيران الوالى لم يساعف على لائحة تلك الشروط التى قدمت اليه سرابواسطة الوزير وخشى من الدول ومن الاهالى فى البنى منه على الدولة العثمانية وفى تغيير حالة السياسة وجعل الوالى يوفى العقد من وقت الى آخر وجعل الوزير يسهى فى احداث وجه لمدخل فرائد اسوا و انفاذاً امرها فاكثر من الرسل السرية الى الاسنانة مظهرا ان يدعى هو اليها رسماً او يرسل بعض الاسطول العثمانى الى مرسى تونس مع اظهار زيادة التوسيع الى الدولة العثمانية حتى لا ينقطع الى مساعيه الباطنية فلم يساعف من السلطان الى مطالبه اذ لم يكن له من داع كما انه لم ينفذ فى الدولة العثمانية الايقاعات الى دسائسه وعزمه حتى تسهى فى سعة لدفع الغوائل المتوقعة اذ من الموم ان الدغل السيامى هو كالمريض المزمن الذى لا ينجع فيه العلاج الا تدريجاً عند اول حدوده سيما اذا كانت الدولة المعالجة محتاجة الى استماله غيرها من الدول القوية الى معاضدتها على قرنها القوي ومع ذلك أيضاً قد عكر الوزير بن اسمعيل حالة الخلطة مع ايطاليها لعلها تعلن على تونس الحرب ومنع للفرانسايين منها لم يطالبوها مما يزيد فى نفوذهم والشحناء معهم كما قد ذكره فى المطالب الثامن من أحوال تونس ولم تلم تنجح جميع تلك المساعي التى كان يمكن للفرانسا الاسنة ادعائها فى وضع جايتهما على تونس أحدثوا اقاويل فى اجمال حقوق الفرانساويين بتونس وأظهر الوزير المذكور الاستخفاف بقنصل فرانسوا مال عنه كل الميل ظاهر اورام ان يظهر المعطل فى اجراء المنح التى أنالها الى الفرانسايس يارجه من الاعتذارات حتى اغريت رعايا فرانساة تونس على ان تكتب تقريراً بالتشكى من ضياع حقوقهم وطالب دولتهم للالتصاف لهم فلم يرفع الامم الا ان فرانساجلبت بخيلها اورجاءها على حدود تونس معلنة

بان قصد هاتما هو حفظ حقوقها من جهة الحدود وغيرها واستندت في عملها الى ما تضمنته
 لأشعة وزير خارجيتها الى سفراته وهذا نص تعريفا بباريس ٩ مايس سنة ١٨٨١ أيها
 السيد استشر في أن ترسل لكم مجلة رسائل في شأن تونس وتريد أن تحقق لكم المقصود
 اجمالا ونخبركم عن سبب ارسال العساكر الاثنى وعن النتيجة التي نرجو اتمامها فكم
 من مرة قد عرفت الدولة الجمهورية بدواعيها ومقاصدها وانتم تذكرون ذلك خصوصا
 ما صرح به السيد رئيس الوزراء في المجلس العام وهو لا يمكن ان يكون فيه ادنى شك من
 جده وصدقه ومع هذا فاني اريد زيادة ايضاح لكم لانكم لدى الدولة التي انتم عندها
 فنقول ان سياسة فرنسا في تونس ليس لها الا مقصود واحد وهذا المقصد الذي يكفي
 لوضوح موضوع سيرتنا منذ خمسين سنة نحو الممالك التي هو الواجب علينا الحفاظ راحة
 مستعمراتنا العظمى الجزائرية فمن سنة ١٨٣٠ لم تزل دولة من الدول المتتابعة
 وتركزت هذه المهمة العنيفة وانما نعمل الواجب علينا الحفاظ مستعمراتنا الافريقية
 التي لا يوجد احد من اربابنا ذكر علينا ذلك فيها للحفاظ من جارد وكثير الاراحيف
 وقد كانت القبائل التونسية مخوفين ومخار بين حتى فيما بينهم وقد فاق على الجميع
 قبائل وشيعة والفرانجيس ونحوهم ولا تعرف كمية الحار بين ولا كمية قوتهم فاذللك
 التزمنا الاثنى ان نرسل من العساكر عشرين ألفا وهذا ما يدل على قوتهم أي الاعداء
 المتكسفين في بلاد منيعه تقر بيبا وكان الداعي الاول لارسال العساكر هو قهر قبائل
 حدودنا الشرقية ولا يمكن لافائدة في تقرير الامن والراحة واعدوا لنا لاولهم حدودنا
 ونحن لا نخاف من الهجوم الكبير المنسوب لبابى تونس اذا كان منه وحده لكن
 النظر القليل في العواقب الزمنية التحرى من اتحاد الباي مع غيره وهذه التمشويات
 يمكن ان يأتى لها وقت وتفاقم كثير في الجزائر وتصل حتى الى فرنسا فيلزمنا بناء على
 ما ذكر ان يكون لنا عند الباي محبة كبيرة واتفاق قاي ويلزمنا جاريه موضعا المحبة
 التي لنا عليه ولا يسمع التمشويات الخارجية لضررنا واستحقاق قوتنا الراسخة وقد
 وضعنا من نحو أربعين سنة بانه يلزمنا المحافظة فرنسا الجزائرية ان نحصل في الممالك
 على قاعدة راسخة ونحن نحتزم بالتدقيق منافع الاجانب وهم بقدر ان يتوسعوا بثبات
 مع فوائدها والدول يتحققون ان مقاصدنا من جهة هم لا تتغير والى هاته المدة الاخيرة
 اتحادنا مع دولة الباي المفخم مستمر الا ما يحدث احيا نأمن الاختلاف في دفع تعويضات
 لبقائنا المضمرين ثم في الحين يربح الاتحاد ويزداد ثبوتنا بهاته الاختلافات

الصغيرة الالهاته المدة الاخيرة فانه باب يصعب الاطلاع عليها قد تغير بل الدولة التونسية المتبادعة واحدة وكانت اذذاك الحروب ساكنة ثم لازالت تزداد الى ان وضحت وتقوت وممنها ضد كل الامتيازات التي حصلت للفرانساويين في تونس مع شدة الارادة الرديئة الى ان وصلت لهذا الحال وهذا هو السبب الثاني لارسال العساكر الذي كنا نود التجنب منه ولا يمكن بسبب السيرة الرديئة التي طالما صبرنا عليها التزمنا بها هو واقع ولواننا ماضية الى الباي في المطالب الحقانية لانه نتمتع بفرنسا كما نتمتع مستقلة وأما الخسارة في الخطة الاخرى مع الباب العالي فهي مخالطة محبة وميل طبيعي ووجدنا ان لو كنا رأينا نازلة تونس في منظر آخر غير التي هي عليه الآن ولا يمكن قد بان ما يجب علينا ما ذكرناه سابقا وانما ندران نستفهم من الباب اذا كان باي تونس هو وال من قبلهم فلما ذالم عن واسيرته التي فعلها تخوفا نساءه ندعاءين ولما ذالم يقتشوا الجمع التحير الموجود الآن الذي نحن منذ زمن طويل كنا نسعى في عدم ايقاعه ويلزم لهذا التحير الذي نحن مجتهدون في حصره ان ينتهي بشروط تؤمن حدودنا من الهرج المستمر والتشويش المغري لباردوا من غيره أو من نفسه فهذان هما المقصودان لارسال العساكر ولا نخف عندما نقول ان لنا في أوروبا الرضاء العام في جميع الجهات عدا الجهات التي بها النظر الفارغ المطهر للعقول وهذه هي أيها السيد التي خيمت حول الباب وحول تونس ومن كلا الطرفين فنحن مشغولون بالحبية وجميع ما نرجو من الباي هو ان لا يكون عدوا لنا ولوان المملكة تنظر لفرانساها فتدري ان تحصل من اتحادها معنا فوائد لا تحصى أكثر مما تحصل له نحن منها ونقدري ان تأتي لها بكل خير من العمران الحاصل عندما في سنة ١٨٤٧ فعلنا فيها البريد وفي ١٨٥٩ وسنة ١٨٦١ فعلنا التلغراف وفي سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ فعلنا الشمنديف الذي طوله ٥٠ فرسخا من حدود الجزائر الى تونس وفي هذا الزمان نفعل لها شمنديف فرن جديدين أحدهما يربط تونس بابن زرت من جهة الشمال وطوله ٢٠ فرسخا والاخر يربط تونس بسوسة من جهة الجنوب وسنبتدي عن قريب في ابتداء عمل مرسي في تونس نفسها التدخل المراكب من الشط ومن حلق الوادي حتى الى ذات القاعدتين تونس وان كان رأس ماله مشترك بين فرانسواي وناكايزي وطلياني لكنه اذا اعتبرت النسبة فيوجد ثلاثة انجاسه لفرانساوان خمسة انجاسه لادريان التي تأتي بالياه العذبة لتونس قد أصلها أحد المهندسين الفرنسيين ولما ترجع الخطة الطيبة فاننا لانزال

نفعل أشباه حسنة ومنازل على الشطوط وطرق داخلية توصل بين البلدان العاصرة الناجحة ونسقى الأرض بالترع الكبيرة في البلاد التي بها أنهر كثيرة ولكن هاته البلاد أهلها ليسوا معتنين بتلك الأنهر وكذلك الغابات وكذلك نعمل استخراج المقاطع الموجود بها كل نوع من المعادن وكذلك ترتيب الفلاحة في الأراضي الحسنة التي للأجانب في المملكة والتي للأهل أيضاً وكذلك استعمال المياه المعدنية التي اكتشفها الرومانيون واستعملوها وبالجملة أن مملكة تونس خصبة وغنا قرطاجنة القديمة يدل على ذلك وتحت الحماية الفرنسية يمكن أن تزال جميع الحجب عن المنافع الطبيعية في هاته البلاد وتنتشر بقوة وبسدة الترتيب الجديد تقدر أن تزيد أشياء أخرى وهي أنه إذا كان الباى يعتمد علينا في الترتيب الداخلي في المملكة فإنا نعمل تعديل لازماً قاراً وهذا الخبر الذي يسهل علينا عمله منه ترتيب كيفية قبض المدخول وترتيب المخرج وترتيب دفاتر الحساب على مقتضى ما نستعمله نحن في ماليتنا ومنه أيضاً خبر عظيم وهو ترتيب العدلية على الأصول التي فعلتها الدول في ترتيب العدلية في مصر وفائدة هاته الترتيب لا ترجع لفرنسا وحدها بل إن المملكة يرجع لها النفع وكذلك لجميع الدول المتقدمة التي نحن منهم ومن غير فتح ولا حرب فلا شيء يمنعنا من عملنا في تونس مثل الذي فعلناه في الجزائر والذي فعلناه أنكلا تيرة في الهند إذا نحن جعلنا باى تونس متمكناً بطالبنا الحقانية فهو دأبل على ما نحبسه دائماً من أن تونس مملكة مستقلة من غير أن نراعى بعض آثار التبعية بالاسم فقط لبعض أسيا قد تتركوها منذ مدة قرون وقد تظهر تلك التبعية نادراً ولو تحسب المدة التي هي فيها مستقلة لمكانت أكثر من مدة التبعية ففي سنة ١٥٣٤ أخذها المشهور بباربوروس خير الدين أربع أو خمس مرات بانتصاره على الأسبانيول وفي العام الذي بعده أخذها شارل كين وكذلك في سنة ١٥٥٣ ثم أخذها داي الجزائر سنة ١٥٧٠ ثم أخذها دون جوان النمساوي سنة ١٥٧٣ ثم في طول القرن السابع عشر كانت تحت ظلم الإنكشارية من غير حكم ورأساؤهم الموسومون بالدايات كانوا اذالك أربعين ففسدها تقريرها كالمالين الذين قسموا مصر ثم في سنة ١٧٠٥ كان أحدهم المسمى بحسين بن علي الذي اصله كريكى أو كرسكى صار مسلماً وكان هو أحدهم فعرف كيف يشدهم وقتل جميعهم وأشد تهر بالباى وبصدييات العساكر أقام العائلة الحسينية ومن ذلك الوقت لم تزل الامارة فيهم على هيئة السيادة الاسلامية والآن ٢٠٠ سنة تقريرها وهم مستقلون والرابطة الحقيقية بينهم وبين

وبين الباب العالي هي رابطة دينية وهم يعترفون بالخليفة الا انهم لم يواثقت السلطان
ومما يوضح هذا انهم لم لا يدفعون له اداء الا انه عند ولاية كل باي برس لهدية غنية
تعظيم الرئيس الديانة القاطن بالقطن طنطنية وفي باقي مدة الولاية فلا مسئلة سياسية
يمكن ان تذكر غير هاته التحية الودادية فليس لأمير المؤمنين حق آخر على باي تونس
والمملكة تعقد شروطا كدولة مستقلة مع الدول الاجانب وتعقد معهم اتفاقات ويكون
لهما قوة وذلك برضاء الباي فقط وعلى هذا النمط وقعت معاهدة مع فرنسا في سنة ١٧٤٢
وكذلك في العام الثالث والعام العاشر وفي سنة ١٨٢٤ وهكذا صارت المعاهدة
المهمة في ٨ اغسطس سنة ١٨٣٠ التي تمنع ملك العبيد والتخلص في البحر ولا يلزم
التمسك على المعاهدات الباقية كالتي في حق صيد المرجان وان الباب لا يحكم على الولاية
الاحكام وقتها وهو راض باستقلالها وما يؤيد هذا انه في القرن الثامن عشر لم يقبل
تشكيك دول اوروبا من التلصص البحري والسعي البربري وليس له حكم عليهم وهو ليس
مولاهم وهو لم يضمن السفقات التي فعلوها محملة بتجارة البحر المتوسط وان دول اوروبا عملوا
الحروب عشرين مرة مع المملكة من غير دفع الحرب مع تركيا وفي سنة ١٨١٩ كانت
معاهدة اكس لاشبيل قد حكمت على تونس بمنع التلصص البحري من غير ان تطالب
من الباب التداخل على انه قد سئل على تونس وفي سنة ١٨٣٣ فمملكة تسمى دينا
ونابلي عملا للحرب مع تونس من غير عمله مع الباب لانهم يرون مثل ما نرى ان تونس
مستقلة ثم ان علاقة تونس مع فرنسا من وقت اخذ هاته الجزائر على الفخ والعابق من غير
واسطة تركيا وما قدم اليها احمد باي في سنة ١٨٤٣ اقتبل بكل ما يلزم من التعظيم للملوك
والباب العالي لم يتوجع اذ ذلك من عملنا التعظيم الملوكي المذكور وكذلك جميع اوروبا
لم تلم على ذلك لان رايها موافق لراي اللورد آبردين الذي يقول في تسجيله ضدا اخذنا
الجزائر المملكة بكتاب تاريخ ٢٣ مارس سنة ١٨٣١ ان الدول الاوروبية من مدة
طويلة يتبعون المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلتين وخصوصا تونس
فانها لا تحسب نفسها الا حرة والدليل الواضح الحق الذي لا ينكره أحد هو على القوانين
في تونس المسماة بويورلدي وحلف عليها البساى الموجد بتونس محمد الصادق لما
جاس على الكرسى في ٢٣ ايلول سنة ١٨٥٩ مثل ما حلف امه لافه فان قانونا واحدا
منها وهو المسمى بالقانون النظامي لمملكة تونس قد احتوى على مائة وأربعة عشر مادة
وانتشر بالعربي والفرنساوى في تونس وفي بونة ولم يصح فيه ولا بكاه واحدة

تقول السلاطون ومعالايقدران يشك أحدهم في استقلال الباي ما نشر في الصحيفة الرابعة من المقدمة في ذلك القانون ونصه ان المتوظفين الكبار التونسيين اختاروه بكلمة واحدة ليكون رئيس الدولة على مقتضى قانون الوراثة المعروف في المملكة وفي ذلك القانون فصول تامة شرحت الحقوق والواجبات للملك وحالة الامراء من العائلة المحمدية وحقوق وواجبات الرعايا وكيفية خدمه الوزراء وترتيب خدمتهم والمجاسد الكبير بالمملكة والداخل والمحاسب ولاشك ان من يطالع عليها يقدر ان يجد ذلك البيان غريبا اذا اراد ان يقدر على رأيه الاروباوي ومعه هذا فهو دليل واضح على استقلال المملكة تونس وانها ليست تحت دولة اجنبية وجميع المعاهدات التي بين الدول الاروباوية والمملكة تونس منذ مدة الثلاثة قرون الاخيرة لم تقل ابد الا المملكة تونس ومالك تونس ومنها خمسة عشر أو عشرون معاهدة امضيت بفرانسا فيها ذلك القول وفي سنة ١٨٦٨ المعاهدة التي وقعت مع ايطاليا مذكور فيها المملكة تونس وتونس أيضا لم تسم نفسها في قانونها النظامي الا الاسم الذي أطلقته عليها جميع الدنيا وهي ارادت ان توضح المزية التي لها بالاستقلال والقدرة الموافقة له فبما على ما سبق من الأدلة القطعية والمتعددة فالباب العالي لا يقدر ان يتعجب من انكار فرانساسيادته على تونس مهما طلب هو ذلك حتى الى الآن ونحن نقر بان الباب شد في طامه منذ خمسين سنة وفي سنة ١٨٣٥ ادخل تحت سيادته طرابلس بعد ما ضبط التحير لها مثل هناك وأراد ان يعمر سيادته على تونس الان قوة فرانساضادة له منعت من مقصده وبعد عشر سنين أي في سنة ١٨٤٥ انما ينبغي السلطان الى تونس ومعه فرمان ليقال الباي منصب الولاية الا انه لم يقبل منه ثم مضت عشرون سنة من غير تجربة جديدة ولا كن في أواخر سنة ١٨٦٤ رجعت التجهيزات القديمة وانما هاته المرة كانت المملكة بنفسها هي التي طلبت التخليد ولا كن هذا كان من الغريب ان وقع من الامير الذي هو حتى لذلك الوقت بعينه وهو يظهر المدافعة عن استقلاله وهذا لما كان من الاشارات القوية التي خوفت الباي من حالته امام الباب فارسل لذلك امير الامراء خير الدين الى القسطنطينية ليعرض ويأتي بالفرمان وهاته المرة أيضا فرانساضادت في ذلك وعوضا عن الفرمان السلطاني فالباي ومستشاريه التزموا بالرضا بمكتب وزيرى متضمن لما في الفرمان ثم اغتنموا الفرصة وقت مصيبتنا في سنة ١٨٧١ وتموا ما كانوا موعدين منه سواء كان في مدة الولى فليب الذى

الذى كان غالباً - طولُه يمنع الاسطول التركى من القدوم الى تونس أوفى مدة الامبراطور الذى لم يقبل من العزم المشار اليه وفرمان ١٥ تشرين أول سنة ٨٧١ الذى اتخذوه تحت طلمص يمتدنا اشتهر فى ١٧ تشرين ثانى فى باردو واعان به خبير الدين باسم السلطان وكتب له الباي الذى كان طالبه له مع شئ من الغضب وفر انسان على كل حال سيجلب بقوة وحسب الفرمان باطلاً وكأنه لم يقع ومن مدة عشر سنين لم تبطل شيئاً من عملها عند ما يقتضى الحال ومع نجاح الباب هو بنفسه له شك فى اجراء حق فرمانه بتاريخ سنة ١٨٧١ الذى ضرب اسبقاً لملك تونس المنقاد وهذا الفرمان اذ نشر قليل الا انه عند الغالب لا يعرف ما عدا بعض الدول الذين لهم فوائد نوافى ترتيب الفرمان المذكور ان تونس تكون جزء تحت الباب مع ان حكم باي تونس باق كما كان يعرف من منذ مائتي سنة غير ان باي تونس صار والياً على الولاية تونس وعلى موجب ذلك فالوراثة فى الحقيقة لم تكن مستمرة فى العائلة الحسينية خلافاً لما ذكره الفرمان بل الوالى يعزل بارادة السلطان ومن الممكن ان يعرف الباي ضربه وضرم ملكه وحريته وحياته التى هى غاطة كبيرة حسبما اشاروا عليه بما ومحمد الصادق ليس له خوف من جهة فرانس ولو مع ما عمل من الاشياء ومع هذا فهو ليست بضده لاذربته ولذا انه ولادته وأمان جهة الباب فهو بالعكس وله الخوف الكبير منه لانه يمكن أن يبدله بحسب الحال انتهت لائحة وزير فرانس اذا تأملها المتبصر وتقدر مع انها يجدها مخالفة للواقع فى كثير من الامور سيما بعض الاحوال النارية كمن يتبين من مقابلة كلامه بما ذكرناه فى تاريخ تونس وسياستها وصالحات الدولة مع المكاتب الرسمية التى نقلناها حرفياً حتى من متوظف فى فرانس وبؤ كد ذلك ما تراه فى لوائح الباب العالى الآتى بيانه فان الحالة لما بلغت الى درجة هجوم العساكر على الحدود تظاهروا الى تونس بان أرسل اذ ذلك الى الباب العالى مكاتب فى التشيكي من فعل فرانس وأرسل الى نواب الدول تجميعاً على ذلك أيضاً ولما تحقق الباب العالى الاحوال الرسمية أرسل عدة لوائح الى سفيره مستنجداً بالدول لمحافظةهم على معاهدة باريس التى اشترنا اليها سابقاً وعلى معاهدة برلين ومما يفصح عن مقاصد الباب وحقوق الولاية التى أرسلها وزير الخارجية بالدولة العثمانية الى سفراء الدولة ونص تعريضها القسطنطينية ١٠ مايس سنة ١٨٨١ ان اعلامانى المخالفة عرفت فطانتكم الوقائع التى صارت فى المسئلة التونسية وقد نسبت بمجوم بعض القباطل البدويين جهة الجزائر ولهذا الهجوم

فالحكام التونسيون أعلنوا بانهم حاضرون ليضبطوه من غير تراخ فالدولة الفرنسية
حكمت بانه يلزمه ارسال عدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جزء كبير من الولاية
ولم يعدوا عن المركز الا بعض فراسخ فن غير التفات الى ما كنا أؤكدنا به على حضرة
الباشا الباشا أخذ التدابير اللازمة لتمهيد الراحة في المواضع المأثرة فدولة الجمهوريّة
لا تريد أن تنظر للمخالطة الاقترانية بتونس مع السلطنة العثمانية التي هي محسوبة
جزءا منها للسلطنة المذكورة وأظهرت بانها لا تقبل قولنا للاتفاق الودادى معها القطع
الاختلاف الذى وقع وترتيب حقوق الباب العالى مع منافع فرانس فى ذلك المحل وترتيب
الاشياء الموجودة من زمن قديم ولا نقدر أن نزيد فى ايضاحها كما يلزم وهى سيادة
السلطان التى ليس فيها اختلاف على هاته الولاية وهى سيادة لا تنكرها ولا دولة عموما
وهذا الحق بقى الى الآن صحيحا ولم ينقطع من زمن فتحها وهو اذ ذاك سنة ١٥٣٤ بخير
الدين باشا وفى سنة ١٥٧٤ تغلب على باشا وسنان باشا وكانت الدولة العلية أرسلت
الى تلك المواضع قوة عظيمة برا وبحرا ومن زمن ذلك الفتح فالتأسيسات التى فعلها الباب
العالى هى ان جميع ولاية تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالى الاول المسمى من
السلطان وبتقارون الى الآن المنصب منه وفرمانات الولاية تبقى فى خزنة الديوان
وكذلك جميع المكاتب التى تأتى منهم للباب العالى فانها تارة تكون فى شأن مخالطتهم
مع الدول الاروبية وتارة تكون فى شأن احوالهم الداخلية والتى لها صلة المدة
الاخيرة فان الباب العالى من استحقاقه على حقوقه زيادة على كونه يسمى الوالى العام
فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضيا وباشا كاتب الولاية ولم يكن الامن ترحم
الدولة العلية ان منحت الوالى ان يسمى هو بنفسه هذين المتوظفين وايضا فاما للذهب
وخصوصية سيادة السلطان فان الخطب يذكر فيها اسم جلالة ويضرب على السكة ايضا
وفى وقت الحرب ترسل تونس الاطاعة الى التخت وعلى حسب العادة القديمة بأى الى
القسطنطينية دائما أناس رعيون لينة قدموا تعظيمات الوالى وخضوعه لاعتساب
السلطنة وليقبلوا ايضا الاذن اللازم من الباب العالى لامور عظيمة فى الولاية ثم ان الباشا
الموجود الآن والاها الى التونسيون ملبراز يادة فى القفض لى وأعطى ذلك لحضرتة
السامية بالفرمان المؤرخ فى سنة ١٨٧١ وتعرف به جميع الدول والآن قد استغاث
الوالى بجهده سيده الحق ليعينه على الحالة الريبة التى وقعت فيها تونس الآن وهاته
الاشياء التحقيقية لا ينكرها أحد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها بالتاريخ
وبالمكانات

و بالمكاتبات الرسمية هو سهل لكن نقتصر على المهم منها الملائم لطول الكلام في هذا
التعريف في المعاهدات القديمة التي بين تركيا وفرنسا تعدد ألقاب المحضرة السلطانية
ويكون منها لقب سلطان تونس (فانظر مثلا) معاهدة ١٠ صفر سنة ١٠٨٤ هـ
١٦٦٨ م وفي هاتاه المعاهدات أيضا وجوب بيان كل المعاهدات التي بين
الدولتين تجري أيضا في تونس وفي نصف القرن السابع عشر أي في ١٥ صفر سنة
١١٦٦ أرسل السلطان فرمانا للباي والحاكم الكبير بالولاية في رضاء الباب العالي
بان قدسـل فرانساجمع خدمات قناسـل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذاك نواب
بالقسطنطينية كالبرتقال وكثالوني واسبانيا وفينيسيا وفريسا وغيرهم والقنسل وكالته
هي حياطة السفن تحت الراية الفرنسية في المراسي المشهورة بالولاية والفرمان يمنع
تداخل قناسـل الانكليز والهولنديز وغيرهم من التدخل في خدمة نائب فرانساج ذلك
سند منع التعدي بين الباب العالي والتمسـل المؤرخ في ٩ رمضان سنة ١١٩٧ هـ
المتقرر بمعاهدة ستوفا في ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٠٠ فانه يأذن بحكام الجزائر
وتونس وطرابلس الغرب بان يحموا على اسم السلطان السفن المتجربة لسلطنة الرومان
الفخيمة وأيضا فان الاتفاق الذي تقدم هذا السند وتتم في ١٥ شوال سنة ١١٦١ هـ
بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة
المذكورة فان الرأى العام بتونس وهو اذ ذاك في رتبة بكاريك ونال اسم علي باشا
يذكر في مقدمة كل مكنوب مضمي عليه منه هاتاه الكلمات بعينها وهي (مولانا السلطان
الغازي محمود) وعلى ذكر واقعات ذلك الزمان استطرادكم الاذن الصادر من الباب
العالي في ١٥ ربيع الاول سنة ٢٤٥ هـ ١٨٢٧ م بحكام الجزائر
وتونس وطرابلس الغرب فانه يأمرهم ان لا يتدخلوا في الخلاف الواقع بين سلطنة
التمسـل ومملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر من القسطنطينية لوالى تونس في ١٤
صفر سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٠ م فانه يأمر بترتيب العسـكر النظامي بالولاية
على نمط الترتيب العسـكري النظامي العثماني وأيضا قد أتى مكنوب معين بالطاعة من
الباشا التونسي لجلالة السلطان في سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذي سماه السلطان
والباشا ما و قد انتشر هذا المكنوب في جميع صحف أوروبا من غير ان يعارض ولا من جهة
واحدة وتزيدكم شيئا آخر وهو انه في سنة ١٨٦٣ في واقعة القرض التونسي الذي
وقع في باريس من غير رضاء الباب العالي كان رسيود واران دولويس وزير خارجية

الامبراطور نابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال انه يلزم اما الباشا بتونس أو المصرف الذي يريد عقد القرض معه أن يطالب برضاء الباب العالي ليصح هذا القرض وللا دفاعه عن حقوق الباب العالي فان الوزير الفرنساوي أرسل يقول هذا الكلام للمصرف المشار اليه وهما نحن نضع بثبات الكلام السابق لدى ميزان العدل والحق الذي للدول الممضين على معاهدة براين وانا المتحققون بان فيكون الدول محبط بدلائل كثيرة في الواجبات العمومية التي يقتضيها المؤتمر المحترم وانهم يريدون أن يفصلوا بالعدل قولنا الذي قدمناه وانهم يتحفظون على حقوق الباب العالي الاخرى المحفوظة بالمعاهدة المذكورة ويصلحون الحال بين الدولتين فرانساً وتركياً في علاقتهما التي لها في هاتاه الولاية المرقوفة بها التونسية المتممة للسلطنة العثمانية والمرغوب من جنابكم ان تتكلم مع وزير الخارجية في مضمون هذا التلغراف وتشرح له ماترانا فاعسا ولكم الاذن بان تعطوا نسخة من هذا الجانب الوزير اذا طلبكم اه (الامضاء مصطفى عاصم) ومن تأمل هذا اللائحة مع ما قررناه في سياسة تونس الخارجية ومقاصد فرنسا فيها لا يشك في أن فرنسا لم تكن تنازع قط في أن تونس من ممالك الدولة العثمانية وانما غايته دعواها هو ان تلك الولاية لها امتيازات جارية تتحافظ هي على الاجل منافعها ويصدق ذلك تصريح وزير فرنسا دواروان دولويس في مجمع فيينا أن تحجب القرض لماسأل وزير روسيا عن تعيين الممالك العثمانية للعهد ببعضها ومنه بتونس وأنه يتراءى فيها نزاع فأجابته الوزير الفرنساوي بان لا شك ولا نزاع في كون تونس من الممالك العثمانية وان كانت لها امتيازات تخصها وكذلك المعاهدات المعقودة بين فرنسا وتونس حتى التي وقعت بعد الاستيلاء على الجزائر بمدة طويلة يصرح فيها بان سائر المعاهدات المعقودة مع الدولة العثمانية تكون مرمية الاجراء في تونس ولا يعزب عن عاقل ان ذلك التصريح لاتحاد تونس بالممالك العثمانية ومع هذا كله لم يفد استصراخ الدول لان فرنسا لم تعلن بمعهاها الا بعد ان لمست أفكار أقطاب الدول الكبيرة فوجدتهم غير معارضين اليها لان دولة انكلترا متول زمامها حزب الاطلاق الذي لا يرى نفع دولة في المحافظة على الدولة العثمانية بعد ان طال تجربتهم لها في الحث على الجربان على مقتضى نصائحهم ولما كنهم لم يروا العمل ودونك ما نشر في الكتاب الازرق من المخاطبات التي وقعت من الحضرة السلطانية ورئيس وزرائها ومعهم في انكلترا بالاستانة حسبها

أخبر بها وزيره بعدة التفارقات التي بما تقدم فيها التفارقات من موسيوعوشن (سفيرة
 انكلترة الى وزير خارجيتها) بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٨١ هاته ترجمته اني وجدت
 بجلالته (أي السلطان) مشغول الفكري بهذه الأفعال وبناء على ما عندي من الاذن أعلنت
 له بان الدولة الانكليزية تريد بقاء الحالة الموجودة في تونس والنايب الانكليزي بتونس
 له الاذن ليرشد الباى اذا استشاره بان يعين فرانسافى تقوى راحة الحسد ودواى أرجو
 ان جلالته يشير على الباى ايضا بذلك فالسلطان سكت بعض دقائق ثم ظهر على وجهه
 الغضب وقال انه فهم من كلامي ان الدولة البريطانية تريد بقاء الحالة على ما هي عليه
 في تونس ولها نفع في ذلك وفهم ايضا اننا اشرفنا على محمد الصادق بان يعين العساكر
 الفرنسية فذهبت عظمته بانى ما قلت ان الدولة الانكليزية تنفع ببقاء الحالة
 الموجودة ولكننا نظهر رغبة في ذلك فقط على هذه الكيفية ونحن نتأسف كثرا من فسخ
 مسألة جديدة في الشرق واننا لا نفتكر انه توجد فوائد خصوصية لانكلترة مرموقة
 باى كيفية كانت في أحوال تونس فعندهذا أجاب السلطان بانى لم يركب كيف يجتمع بين
 رجائنا في ابقاء حالة تونس على ما هي عليه ومع ذلك يشير على الباى بان يعين العساكر
 الفرنسية فيه فهذا الشيطان لا يتوافقان لانه على رأيه يكون دخول العساكر الفرنسية
 الى تونس ناقضا للحالة الموجودة وفي التفارقات آخر من موسيوعوشن ايضا يقول فيه ان
 الجمعية التي وقعت بيني وبين باش وكيل كان يطلب فيها صحة انكلترة وقال ان الدولة
 الانكليزية تقدر ان تجعل مع الدولة العثمانية المعروف وان الباب العثماني يكون
 ممنونا اذا كانت انكلترة تريد ان تفعل معه ذلك فقلت له ان ما كنت قلته لكم قد وقع
 والذي كنت تقوله دائما هو انه يا ترى من تكون فيه تركيا منذ كرت بان صحة انكلترة
 لها لازمة وقد تكلم على المساجبة الا كيد الاثن وتكلم ايضا على رد مودة انكلترة
 فتبعته وقات ما هو دلائل المودة الذي أطهرته تركيا لانكلترة منذ بعض سنين وفي أى
 وقت اتبعتم اشاراته وفي أى وقت قبالت استشاراته النافعة لاساطنة التركية نعم ان الترك
 قد عملوا غاية جهدهم ليركوا المودة التي في رأى العموم في انكلترة ورجوعها الا ان
 ليس بسهل فضرته العلية أجابت بان جميع الاشياء الا ان تتغير من غير ان يظهر على
 وجهه الغضب من الكلام الذي قلته له قصدوا استمر في طلبه الا عانة واننا مشرحت له بان
 نازلة تونس مثل النوازل الاخر الترقية ولا تقدر انكلترة على اتمامها وحدها ومع هذا
 فليس لنا فائدة خصوصية وسياسة تامة تسكت بالموافقة الا ربواية ولا دولة ترك يدق سام

من جديد قبل ان تتم الاعمار القديمة وكل دولة تكون حازمة اذا كانت تقتش كل
 واسطة لحصر النازلة التونسية في حدود ضيقة أقل مما يمكن لثلاث قوم نازلة تدخل فيها
 الدول برأى مختلف فغنايه العالي يقدر يفهم من جملة كلامي بان ليس لي اذن لتقرر
 الرجاء بان تكون الدول العظام الاروپاوية يظهر انهم مختلفين على نازلة مخاطبة
 بين الباب العثماني وتونس والطلب الخصة وصي من انكثرت ليس بموافق لحالة الباب
 العثماني منه من بعض سنين مع الدولة المشار اليها فهذه الخطاب كافي في بيان الحال مع
 انكثرت وهي وان أظهر بعض أهل شوراها التمديد على سياستها وطلب المحافظة على
 تونس وابقائها للدولة العثمانية وبين ما ينشأ لانكثرت من المضرة عند استيلاء
 فرانس على مرسى ابن زرت وعلى قريها من خليج السويس ورجحان كرتها في البحر
 الأبيض لانه لم ينفذ كلامه حيث كان من حزب المحافظين الذي هو مغلوب حينئذ
 واحتج عليه الوزارة بان خزبه هو الذي فتح الباب لفرانسا فان الاوردد صاحب برى الذي
 كان وزير الخارجية عند عقد مؤتمر برلين لما شاخته وزير فرانس على استيلاء انكثرت
 على قبرص أجابه بأنه لا يعارض فرانس اذا أردت الاستيلاء على تونس فاذا يكون
 استيلاء فرانس بوعده انكثرت وقد غفل المستند لذلك عن كون الوعد من صلبه
 كان في سياق ان ترضى بذلك الدولة العثمانية صاحبة الملك مع الرضى العام لا اعتيالا
 ومع ذلك فلا انكثرت مقاصد على تونس مخفية في مصر فرأت ان مساعدة فرانس على
 تونس ثلاثتها في مقاصدها هي في مصرعة الحاجة اذا ساعدتها فرانس اولها
 لم تعترف بالمعاهدة الجديدة مع تونس رسميا حتى ان وزير فرانس الاول أعلن في
 مجلس النواب بان انكثرت وافقت على معاهدة مما به استنادا منه لما دار بينهم
 من الكلام فيها فاعان وزير خارجية انكثرت حالاً بكذب ذلك الادعاء وماذا
 الاحتفاظ على ما يريد لدولته حتى اذا لم تساعفه فرانس في مصر وآل بينهم الامر
 الى المشاحة الحقيقية كان لانكثرت وجهه في نقض ما حمل بتونس وأما دولة روسيا
 فلا شك ان لها يسرها كلما يضعف الدولة العثمانية ولا فائدة لها في مشاحة
 فرانس ولذلك كان جوابها مثل محصل جواب سابقتها وأما دولة المانيا فاجابت
 خصوصاً بان الاولى للدولة العثمانية الاضرار عن هاته النازلة وانها هي لا تتعرض
 لفرانس بشئ والباعث لها على ذلك وجوه (اولها) اظهار عدم التجاني عن فرانس
 التي لها عليها حق أخذ النار (ونانها) جذب أعداء ومضادين الى فرانس كالدولة
 العثمانية

العثمانية وابطالها حتى اذا أعلنت الحرب يوم ما بين المانيا وفرنسا تجد المانيا الظهير على قمرها بما لذلك الظهير من المبادئ الذاتية (وثالثها) اشغال فرنسا بفتوحات جديدة في اراضي فسيحة وخلق كثير في افريقيا يقيار بما طال اشتغالها بهم حتى يبردها لبيب أخذ النار (ورابعها) اضعاف قوة فرنسا وقت الحرب اذ الامم الذين تريد التساط عليهم وان لم يكونوا كفة والمخاربة فرنسا الخلوهم عن آلات الحرب والاسلحة استعداد لها احكمهم لما كانوا مسلمين وأهل نجدة وشجاعة وموافقة للحرب لا يلبثون دائما أن يجدوا اعوانهم ثورات سيماء اذا علموا بوقوع حرب بينهم وبين اجنبي فتضطر فرنسا في وقت الحرب الى أن تبقى قسم اعظمها من جيشها محافظا على ذلك المستعمر وذلك يقيد المانيا بقصا من قوة جيش خصمها في حربها (وخامسها) تهديد السبيل اليها في مآثر يد العارض به بينهم وبين النمسا لان المانيا ليس لها مرسى على البحر الا يرضى وقد سبق من جنس الامان تحت المساعدة ملايين حول الجهات التي بقرب مرسى ترست ولما أخذت المانيا ذلك الباقي من الامان مع تلك المرسى يكون ذلك غاية امانها وليكن ذلك ليحصل البحر مع النمسا وقهرها أو بعبارة ذلك لها بشئ يرضيها من ممالك الدولة العثمانية مثل اخذها ولايات مقدونية ومرسى سلافيك الموازي ذلك لما يؤخذ منها حسبما يشيع ذلك مرارا ولذلك كانت المانيا اول من بادر لامرنا في تونس باتباع سياسة فرنسا فيها وتبعتهما على ذلك أيضا النمسا لانها ليس لها سياسة تخصها في تونس وهي لها مع المانيا عقد محالفة اتحاد على الذب والاقدام ثم انها لها مطامح في جهة بحراجزر لتتمكن فيه بمواقع مهمة لكي تسلم في مرسى ترست الى المانيا داخلية فتحا حيث لم يكن لها مرسى في البحر الا يرضى كما تقدم ذكره فلا تعارضها فرنسا عند العمل وأما ايطاليا فانها تخرجت من ذلك الغصص وطوت على الضغائن التي لا تزال ولاكنها لما كانت غير كفؤ بانفرادها لما رضى فرنسا واتحادها مع الدولة العثمانية أيضا لا يجدى لاحتياج كل الى المال مع ما فيه الدولة العثمانية من الحالة الداخلية والخارجية التي أعقبت الحرب الاخيرة فلم يسعها الا الاسكوت وتجهل عرق القربة مع عظم الضغينة في عموم الاهالي والدولة اذهى حريصة على ابقائها كان على ما كان في تونس وكانت عند ملاحظتها مبادئ الشر عرضت بالسعي السيامي مع الدولة العلية فلم يكن من المقدر قبول الانتباه لما ارادت حتى أنكر الوزير العثماني على المأمور الطلياني التي تسلكهم معه

في تونس وقال له انها تابعة لنا ولا دخل فيها الا دعوة د هجوم فرا انصاره يفتاق الى ذلك المأمور لكي تمد ايديها اليه فيقال له مصداق المثل الصيف ضيبت اللين وبما تمهد عبرت عساكر فرانساحمدود تونس معلنة بانها تريد تأديب قبيلة نخعير من أعرب الجبال الشمالية عن حدود الجزائر ولم يتعرض لها أحد بالمصادمة لان حكومة تونس قد تقدمت حالتها الباطنية من التوافق مع فرانسو مع ذلك فليس عندها تحت السلاح الفناء كرى ولا اقتدار لها على معارضة فرانسو بالقوة واستندت ظاهرا الى أمر الدولة العالية بارتكابها سبيل الملاينة وأظهر الوزير التونسي اذ ذلك التزام العمل برأي مجلس الشورى حيث فات الا بان مع ان جميع ما يتفاوض فيه يقرره الى تابعه على ابن الرزي لا وهو يقرره الى نائب فرانسو كما اغزل الحاس عزلا نقضه لهم من هو بالمصاد منهم حتى يجهبوا من اطلعه على جميع أحوالهم وتمكنت عساكر فرانسو من بلاد الكاف وباجة وابن زرت وفي انهاء تلك المدة كانت الحكومة التونسية لاتزال تسجل وتنشئ وانها مستعدة لترقية قبائلها الذين هم في نفس الامور انما اتخذوا وسيلة فقط ومع ذلك فقد أوعز الوزير بواسطة نائبه المشار اليه الى نائب فرانسو بان لا واسطة مفيدة في الدخول تحت فرانسو الا قدم شريطة من العساكر الى قصر الوالي والاحاطة به اذ النسوة لما ترى ذلك تصعق بالخوف فيضطر الوالي الى الامضاء على الشرط ويجدد العذر عند الاهالي ومع ذلك أرسل خيرايا بالسلك الكهر باني الى الباب العالي يقول انه قد علم ان فرانسو يطلب عقد شرط ولا يعلم ماهي فسادا يعمل فأجيب من الباب بان يحيل كلها يطلب منه على الباب العالي ولا يمضي شيئا وقبل ذلك أشاع اصحاب الاخبار ان في عزم الدولة ارسال خير الدين باشا الى تونس معقد في حسم النزالة بعرفته بأحوالها وسياسة الاهالي والاجانب ولكي يكون عوننا على ابقاء الحالة المعروفة فأرسل الوالي تلغرافا الى الباب يطلب ان يكون المرسل غير المشار اليه ونهيب كل غافل عن المقاصد الخفية من ذلك الطالب اذ تلك الحالة لا تدع مجالاً للخصومات سيما وقد سبق من خير الدين الى الوالي المشار اليه المجاملة وعدم الاكثرات بما فعل معه عند حلوله بالاستئانة وترقيته فيه لكن المطلع على الباطن زاده ذلك تيقنا في التواطئ على تلك الاعمال لان وجود مثل خير الدين في تونس لا يروج عليه ما يروج على غيره ممن لم ينافق طبائع الشقين ومع مجازاة الباب العالي وتقليله لمواقع النزاع قدر الامكان اننا من الوالي حيث أظهر الميل الى الدولة

فانه أى الوالى أسرع الى امضاء الشرط مع فرانسوا والجمال ان مداد الحبر من الباب
العالى بنهيه عن الامضاء لم يحف ولم يجبر الباب بعد ذلك بشئ حتى سألته عما شاع من
امضائه فاجابه بانه مكره عليه وكلما ورد بذلك من الباب سلم الى نائب فرانسوا مدنيا
ان الشرط قاضية بذلك (وهذا نص تعريب المعاهدة) ان دولة جمهورية فرانسوا ودولة
باى تونس أرادوا أن يقطعوا بالمرّة التحير والخرب الذى وقع قريبا فى حدود الدولتين وفى
شواطئ تونس وأرادوا أن يربضوا بخالطتهم القديمة التى هى مخالطة مودة وجوار
حسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة فى نفع الجهتين المهمتين فعلى موجب ذلك
رئيس الجمهورية الفرنسية سيمى وكيله موسىو الجنرال بيار الذى يتفق مع حضرة
الباى السامية على الشروط الآتية (أولا) المعاهدات الصلحية والودادية
والبحرية وغيرها الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية والباى تفتح
تقريرها واستمرارها (ثانيا) ليسهل لدولة الجمهورية اتمام الطرق للوصول الى
المتصدرون الذى يعنى الجهتين العظيمتين فحضرة الباى ترضى بان الحكم المسمى
الفرانسواى يضع العساكر فى المواضع التى يراها لازمة لتتقرر وترجع الراحة والامان
فى الحدود والشواطئ وخروج العساكر يكون عندما يتوافق الحكم المسمى
الفرانسواى والتونسي على ان الدولة التونسية تقدر على تقرير الراحة (ثالثا) دولة
الجمهورية تمنع مدحضرة الباى بان يستند عليهم اعداؤها هى تدافع عن جميع ما يتخوف
منه لضرب ما فى نفسه أو فى عائلته أو فيما يحيط بدوائمه (رابعا) دولة الجمهورية
الفرانسواية تضمن فى اجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة تونس والدول المختلفة
الاروباوية (خامسا) دولة الجمهورية الفرنسية تحضر فحضرة الباى وزيرها
مقيما لينظر فى اجراءاته المعاهدة وهو يكون واسطة فيما يتعاق بالدولة الفرنسية
وذوى الامر والنهى التونسيين وفى كل الامور المشتركة بين المملكتين (سادسا) ان
النواب السياميين والقناصل الفرنسيين فى الممالك الخارجية يتوكلون ليحموا
أشغال تونس وأشغال رعيتهما وفى مقابلة هذا فحضرة الباى تمنع ديان لا تعقد معاهدة
عمومية من غير أن تعلم اذ دولة الجمهورية ومن غير أن يجعل على موافقتها من قبل (سابعا)
دولة الجمهورية الفرنسية ودولة حضرة الباى أبقوا لانفسهم الحق فى أن يؤسسا
ترتيبا فى المسألة التونسية ليتمكن لهما دفع ما يلزم الدين التونسي العام وهذا الترتيب

يضمن في حقوق أصحاب الدين التونسي (ثامنا) ان غرامة الحرب يعصب عليها
القضايا العساة بالحدود والسطوح وتعمل دولة الجمهورية مع حضرة الباي فيما بعد
شروطا على كبتها وكيفية دفعها ودولة حضرة الباي تضمن في ذلك (تاسعا)
للدافعة على منع ادخال السلاح والالات الحربية للملكة الجزائرية الفرنسية واية
فدولة باي تونس تتمتع بمكان تمنع دخول الاشياء المشار اليها من جزيرة جربة ومصرى
قابس وسائر المرسى الجنوبية في المملكة (عاشر) ان هاتاه المعاهدة توضع لدى
رضاء دولة الجمهورية الفرنسية وترجع في اقرب مدة ممكنة لحضرة الباي السامية
حر في ١٢ مايس سنة ١٨٨١ بالقصر الشهيدي المصاحف المصادق باي والجنرال
بريار والذي يؤكده صدق المواطنين من قبل ان الوالي طالب ظاهرا من نواب فرنسا وهما
اميراليسا كروا القنصل ان يجهلا مدة للتأمل من حالة الشروط فاجابه القنصل بانه لا داعي
الى ذلك حيث ان الشروط عند وزيرك منه مذمومة وتامتها أنت وهو ولم يبق الا الامضاء
ويؤيده ايضا ان رئيس المجلس البلدي السيد محمد العربي زروق أحد أعضاء مجلس
الشورى اصصر على عدم الموافقة على امضاء الشروط وطمح على الوالي بذلك عند جمعه للمجلس
واميراليسا كروا فرنسا منظر لانبرامها ونهجه بان ما يخشى منه بعد امضاء سيوقع لا محالة
بعيد الامضاء فالتهمه بالبراءة الاصابه اسلم واشرف وعورض بانه قد علم ان الوالي
اذ لم يسمع بولي الفرنسية عوضه أخاه الثالث (محمد الطيب باي) لانهم أكدوا ان له
اتفاقا مع الفرنسية فاجاب بان جميع الاهالى لا تطيع الوجه المذكور وعلى فرض قهرهم
يكون الوالي على شرفه وربما اضطرت الدول الى التدخل بوجه يحسن الحال فلم يلتفت
لكلامه وعزل اثر ذلك من جميع وظائفه وجعلت عليه مراقبة في داره وحجر عليه مخالطة
الناس وتحقق مزيد الاضرار به الى ان انتهى بقدره لا توانه كاتره وسافر عن وطنه
وأقام بالاسكندرية وشهد مصر احدى المواطنين ما صرح به البارون بيالك الفرنسية
في نشرين لود سنة ١٨٨١ بما وقع في هاتاه المسئلة وانه كانت أرسلته دولته حيث كان
أحد مأموري الوزارة الخارجية لاستقراء أمر تونس وذلك في كانون ثاني سنة ١٨٨١
وان الوالي اجاب اذ ذلك فرنسا بانه يقبل الشروط اذا كان الواسطة فيها هو فردينا ندلس
لانه كان يؤمل بواسطة المذكورة الحصول على شروط اوفق له وان الشروط اذ ذلك
كانت غريبة انتهى قدرت الاتن وم ذلك كله لم تعلم الدولة العلية بشئ ثوبه يعلم
صدق

صدق الكلام في اخراج الوزير التونسي الشريف لادولي بالخصوص حيث دافعت عن الحق ونهضت بمبايعة تفضيه الدين والامانة ثم كانت فاتحة أعمال نائب فرانسا عند امضاء المعاهدة أن طالب من الوالي نفى على ابن الوى حالاً لكي لا يبيح بساوق من الاسرار التي اطاع عليها فنفي الى حصن قابس ثم توجه الوزير ابن اسماعيل الى باريس في سفينة فرانساوية بحريته شاكر الانعام فرانسا بتلك المعاهدة ومعاناه لاسبانه بصدق في خدمتها ازيد مما كان يبذلها سابقاً كذلك في عبارته الرسمية عند ملاقاته رئيس الجمهورية المنشورة في الصحيفة الرسمية فقال له فرانسا بأكبر نيتشان له مع الشريط الكبير ورجع الى تونس ولم يلبث بضع أشهر حتى ورد الامر على الوالي من وزير فرانسا بعزل وزيره ابن اسماعيل لان نائب فرانسا بتونس توجه الى باريس وتفاوض مع دولته فيما يسلكونه في تونس حيث ان الاعراب والجهات الجنوينة أعلنوا بان الوالي لما بقي على الدولة العثمانية بدخوله تحت حامية فرانسا فهم لا يطيعونه لانهم بايعوا أمير المؤمنين سلطان الدولة العثمانية قديماً وحديثاً فلا يحل لهم الخروج عليه وهرب على الوالي جميع عساكره فاضطرت فرانسا لتعبئة الجيوش لتطويع الاعراب وكان من جملة التدابير عزل ذلك الوزير الذي توقعوا منه أن يفعل معهم مثل ما فعل مع البلدان التي وصل فيها الى تلك الدرجة وتحقق الوزير ما ضرب من المثل بوزارة العاقمى وان كان هذا أي ابن اسماعيل قد احتاز بجميع خرائن أمراء تونس حتى كان آخر ما بقي للوالي من مقانير الجواهر عقد لؤلؤ منظم سجد به سامانه حبة مع حامية زمرد مخالط بها الباقوت الايض فاعطاهم اليه عند سفره لباريس بعد العزل المذكور ورام به سفره ارضاء فرانسا عليه وارجاعه الى الوزارة وبقيت البلاد الى الآن في حيرة واضطراب ودخات العساكر الفرانساوية الى قصبة الحاضرة والى منازل العساكر في المدينة وأمام قنصلان فرانسا وسكن رئيس العساكر الفرانساوية بدار الملكة في بطحاء القصبة وصارت الحسنة لا تنصرف في شئ الا بالامر الوزير الفرانساوى سواء كان في الداخله او في الخارجية وتعاقد الضمربولات غير الاهل في الوظائف بوسائل غير مرضية وعظم الكرب على القبائل والبلدان بما حصل فيهم من العساكر الذين أقاموا بالغير وان وسوسة وهدموا صفاقس وخرجو من قابس بعد دخولها وعادوا اليها ونزل الله ان يتداركنا باطافه ويحسن العاقبة ومما ينبغي التنبيه اليه هنا ان الاحوال السياسية التي أشرفنا اليها مع الدول سبباً مقاصد الممانعة لا يمكن ان تخفى على أمة عاقلة مثل

الفرانساويين فكيف مع ذلك قدموا على تبوء تونس مع كون الفائدة التي تحصل لهم منها لا توازي ما ذكروا من اذ كانت المعاهدة مع تونس التي ذكرناها تجري حقيقة على ظاهرها فالجواب ان كثير من عقلاء الفرنسيين قد ندوا على دولتهم ولا زالوا في الاعتراض عليهم الى انهم بعد الوقوع في الامر المتسبب عن تهورهم ببدءهم مقابليد السياسة حتى اتهمهم مضادوهم من نفس الفرنسيين بان لهم في ذلك ارباح ذاتية من التجارة في الرقاع الدولية وهو راعى العامة بالانصراف لحفظ ناموس فرنسا فبعد ذلك صعب على الدولة اهمال سعيها مع ما خسرت من الاموال المتجاوزة مائة مليون ومن الرجال الذين ماتوا بالحرب مع الاعراب وبالامراض المتجاوزين خمسة وثلاثين الفا فرائد فرنسا المتخلفة على ما وقع مع السعي في حسن السلوك الذي يخفف أو يرفع عنها الغوائل المنتظرة ثم واد ذلك أمرهم جدد الفرانساويين هو طوعهم في احداث مملكة عظيمة في أفريقيا مثل ماللايكا في الهند فتريد ان تمتد من الجزائر الى ما جاورها شيئا فشيئا الى ان تصل الى دواخل أفريقيا والسودان وتصل بين شاطئ أفريقيا الغربي في سانياغال والشرق في الجزائر وتونس حتى رسمت جمعية فرانسواوية رسم الخط الجديد في ذلك ولو يتم هذا يكون افرانسا شأنا عظيم غير ان القياس على الهند الانكليزية هو قياس مع الفارق لامن جهة سياسة الفرانساويين في مستعمراتهم من حيث قابليتها الى عوائد الفرنسيين وناطتها الادارة في السكيات والجزائريات بباريس ولان حيث اخلاق الامم المستوطنين بافريقية والمستوطنين بالهندوان شئت الوقوف على برهان ذلك فانظر ما حذرناه في احوال الجزائر وفي احوال الهندوساسة كل من الدولتين يتبين لك حقيقة الحال وعباذكرناه هنا ندفع الاعتراض على ما ذكرناه في سياسة تونس الخاسرية من كون فرانسالاتريد الاستيلاء عليها مع كون أعمالها ناقضت ذلك وشرح الدفع بول الى ان الحبال لدولة فرانساعلى مخالفة ما سبق من مقاصدها في تونس شيئا من احد هما سيامي ظاهري والآخر خصوصي باطنى فالباطنى هو المشار اليه بما وقع من التهمة في نفع الافراد الذي يأتي له من يد شرح في مبعث الاحكام والظاهرى هو ان الدول قد تغيرت أفكارهم بالنسبة لحفاظة الدولة العنماية منذ عقد معاهدة برلين فدللت أعمالهم على ان من ناسبه شئ منها كانت له قدرة على حوزة باذرائيه وغض عنه النظر بغيرتهم اذا كان المحوزا اكثره مناسبة بالخائز وقد علمت مقاصد فرانسافي تونس ورأت ان ابطالها من المقاصد والمناسبات ما يترجم رأيت سيرة ابن الساعي لولاه غير أمين

أمين فلا يبدى له ان يفعل مع ايطاليا أو غيرهما من الدول ما فعله لى معها الخوف أو طمع مع
تيسير اجراء الامور بواسطة قانتة تفتت الفرصة خوفا على درجة نفوذها فبادرت قبل
ان تبادروا من المعلوم ان السياسة تدور مع الاحوال المحاضرة ولله عاقبة الامور

الفصل الخامس

في عوائد أهالى فرنسا وصفاتهم

(اعلم) ان الاهالى اصلهم القديم مجهول غير انهم لما هجرت القبائل الشمالية
الشعرية من آسييا على ارض باسقاط منهم قبيلة الافرنج على فرنسا بعد ان اتاحت في
البحرين ولا زالت تنقوى الى ان ملكت جميع فرنسا واتحدت القبائل الانومعها
بالنسول والاسم كما تقدمت الاشارة اليه في بحث التاريخ وكان لهم اذالك شهرة
بالشجاعة والتقدم بالحربية حتى كانوا اول من كثرت خيلهم من الاروباوين بالعرب
وأهل المشرق ولذلك ترى ان اسم الافرنج يطاق على جميع أهل اروباهة بجميع
المشرقيين والعرب وذلك بابدال السين جميعا لان اصل الاسم افرنج فقلت الكاف
سديا عند نفس الامة ثم حرف في الترجمة في لسان المشرق وصار افرنج وذلك الاشهرار
كاف فيما كان لتلك الامة من التقدم وحب الاسفار والتجارة ولا زالوا على ذلك الى الآن
لكنهم يثرون الاقامة في وطنهم عن الاقامة الدائمة بغيره ولهذا تراهم اقل أهالى اروباهة
اسميطة ثاني سائر الممالك اذ امرىكا التي هي ذات ثروة وأمن وقبيلة السكان بالذمة
لا تساع الارض بها جريا من ان يكونوا من الانكبار والامان والطلبان وغيرهم خلق كثير
يتجاوز مئات الألوف وأقل القليل من المهاجرين هم الفرنسيون بل ان ذلك حاصل ولو
في مائة مائة منهم في الاقاليم اذ الجزائر الآن تحت ساطتهم ينفوا وخمسين سنة ومع ذلك
لا يوجد منهم فيها الا نحو مائتي ألف أو مئة قصون وانما بلغوا ذلك العدد بعد اسبلاء
المانيا على الالجاس والورين فرغبت دولة فرنسا الى ذينك الاقليمين للاتحاد بها
بان تعطاهم جميع حاجتهم مع الاراضى الخصبة الوسيعة في الجزائر وحيث كان في ذينك
الاقليمين كثير من لا يريد الانفصال عن فرنسا الى المانياهاجروا الى الجزائر ومكنتهم
الدولة بارزاق العرب الذين استأصأت أموالهم بدعوى الخروج عنهم والعصيان عليها
ومع هذا الترفيع فانما كان عددهم ما اشير اليه لولوع القوم بوطنهم في السكنى وان
كانوا منتشرين في سائر الانظار للتجارة والسياسة كما انهم لهم ولوع زائد بالتجارة بدنة

باريس التي يحق لها الفخرو يسر كل فرانسواوى مدحها وان لم يكن من أهلها وهـ ذا الطبع وهو حب الثقة اخر وان كان طبيعيا في البشر لكن بعض الامم فيه أزيد من بعض كما هو في الافراد فالفرانسواوىون ذرو فخرو نشاطا الى الاعمال وسرعـة الى تبـدل الاراء والافعال حتى أورت ذلك فيهم كثرة الانقسامات في الاحزاب السياسية وقد ذكرت صحيفة الديمارية مدد أحزابهم في السياسة فاذا هي أربعة عشر حزبا أحدها طرفاها حزب الاشتراكيين أى الذين يريدون ان يكون الناس كسائر الحيوانات السائمة شـتر كين في جميع ما يابديهم ولولا النساء ولا يستأفرا أحد عن أحد بشئ والطرف الثاني الاستعباد اتنام لشخص ملك يتصرف فيهم تصرفه في الاناث والمتاع وما بين ذلك درجات أقواها الا أن حزب الجمهورية المضبوط على نحو ما تقدم في السياسة الداخلية وولاية حزب الملكية القانونية وان كان في ذاته له عدة اقسام من اتباع عائلته بونا بارتي واتباع عائلته أورليان أو البريون الى غير ذلك ولا نغترأهم المطالع بكثرة أولئك الاحزاب في ضعفهم مع من ناوهم من الخارج فانهم اذا رامهم أحقبي يكونون عليه يدا واحدة فاذا انفصلوا منه طادوا الى الشقاق بينهم ولولا هذا الشقاق لزادوا قوة ونفوذ اذ طباعهم مهذبة ومعارفهم متزايدة وتجارتهم وفلاحتهم متقدمة للغاية حتى أقر لهم بذلك اضدادهم وهم لم ينفوا الجانب بشوشون في الملاقاة غـيرانهم يتعبر قسم منهم على من تسلطه الفرانسواوىون عليه وفيهم كثر من المؤتمنين الناصحين العقلاء مثل من رأيناهم قدموا الى بلادنا متوظفين وأحسنوا الانصاف والتصريح الى ولاءنا ومن الانصاف الوفاء لهم بالذكر الجليل فن هؤلاء صاحب رتبة الوزارة فيليب الذي قدم الى تونس بصـفة محاسب عام مالى عند ما أنشئ الحكومة يون المالى فايدى من نصح الوطن والوقوف على حقوقه ودفع الغوائل عنه ما لم يصـله كثير من أعيان ابناء الوطن مع العفة والصدق وسعة المعرفة وعلى قدمه من أتى بعده بتلك الوظيفة وهو لبلان ومثله كاي الذين شهد لهم كل ابناء الوطن بالاستقامة والانصاف بحيث يصح ان يقال ان دولة فرانسائنا نتجت ر لوظيفة الاحتساب المالى من هو جـدير بها ولا مطمئن فيه اذ كل من الثلاثة هم من متوظفي دولة فرانسائنا في الاحتساب العام المالى وعلى نحو من هؤلاء صاحب رتبة الوزارة فالالات الذي قدم الى تونس بوظيفة نائب سياسي سنة ١٢٩٠ فايدى من أوجه الانصاف ومساعدة الحكومة والاهالى على حقوقهم ما لمحت به السن الثناء عليه من جميع ابناء الوطن فلما بردهم ل هؤلاء لمل وطة فالتصاميمهم عن المقاصد السـيئة واتباعهم

واتبعهم لاذنصاف فذولتهم تنصرونهم على وظائف داخلتها ومن مشاهير رجال
 سياستهم في عصرنا ممن اجتمعت به وله صيت بين الامة الفروانية كنبينا رئيس
 مجلس النواب ومن أدركناه أيضا زيادة على نابليون الثالث الرجل الشهير بالسياسة
 والمعارف تيرس وقاما نتحدث أفرادنا له وان كانت المعارف والتقدم حاصله الى العموم
 ومع ذلك فلا يزال في فرنسا خلق كثير على السذاجة والجهل ودونك حكاية طريفة
 قديس عام ايا بقرب منها في سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كان أحد أصحاب العمل
 باليد مشغولا بجهة باريس وكان له ابن مشغول بجهة برود ولم يوفر الابن من كسبه ما يشترى
 به حذاء فأرسل الى أبيه يشتري له القل ويطلب منه شراء حذاء له فاشترى له وحمله في
 الطريق وهو مغمى كرفي كغفلة ابصاله اليه فبيخما هو ماشا ذر محاذ بالسلك الكهربي
 فقال هذا ليس طريق اني اجعله الحذاء وهو يوصله لابي فجاء الى عود السلك وعاق
 فيه الحذاء وأمر الى العود بقوله اوصل ل هذا الابن فلان في المكان القلاني وذهب
 مسرورا باطلاعه على مسلك عمل بالامصر وفهم من غده متقدما فاعل السلك بالحذاء
 فوجد في ذلك المكان حذاء عتيقا فافناه اللبس ففرح وقال ان ابني لعائل حيث أرسل
 لي الحذاء القديم لاستعين به على ثمن الجديد فانظر لهاته البلاءة التي لو صدرت من أحد
 المشركين لاشنعوا بجميع الجنبس بانه وحشي بعيد عن المعارف وتهديب الاخلاق واعلم
 ان مثل ذلك الرجل كثير سيماني القرى الصغيرة والنجبال بل وفي أهل المدن كثير من
 يعتقد بالخرافات الباطلة ويعتقد التأويل لا بحجج وجادات ويتشائم بالآوقات فقد رأيت
 في كثير من بلدانهم وبلدان اطليلان وكذلك الانسكايز طاقات في حيطان فيها منارات
 توقد ليلا بالزيت أو بالشمع العسل على تقربا الى بعض أوليائهم أو الحجن معتقدين حلول
 المتقرب اليه بتلك الطاقة ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان القسوس يقولون لهم
 ان شمع الشحم أو الغاز من البعد التي لا يتقرب بها وكذلك يطلبون البخت وقضاء
 الحاجات من جادات أو ما كان اعتقاد حلول ارواح فيها أو قد ذكر من هذا النوع في
 كشف الخبايا عن فنون أروبا ما يتعجب منه المسمع مما ترى الاروبا وبين ومن تشكك
 بشكهم وتباهى بتقليد سدهم يحملون عبثه على البلاد الاسلامية وحدها ويجعلونها
 مضربة وينزهون أروبا عن مآلها مع انها حافية لشبهها ولا شدة منها بل ربما أسند ذلك
 الجاهل أو المتجاهل الى ديانتنا الشريفة وحاشا الله ان تؤدي أو ترشد مثل ذلك بل انها
 هي المذهبة والمنقذة من غياهب الجهل الى نور المعارف الحائنة على العلم وفتح البصائر وقد

أفردنا لهذا ألباناً فإخا صاوعلم أن لا نقصد من ذكر ما مر نسبة الجهل بالمعارف الدنياوية
 الى عموم الفرنسيين أو ترجيح كفتنا على كفتهم كالأبل الحق أن الناس على ثلاثة
 طمقات فاهل الرفعة وأشراف القوم من ذوى الميوت العالية بالتوارث في الوظائف
 أو كثرة المال والترقى تجد أغلبهم مقتصرين على معرفة مبادئ العلوم ومحبين الى انفاذ
 الاعراض وزيادة علوم الصيد والرعاع من أهالى الجبال والقرى والبوادر أغلبهم أيضا
 جهلاء ولا ذكركم الا فيما ينفع كل فرد في خوصة نفسه والطبقة الوسطى هي مجال
 التمدن والمعارف والصنائع والتقدم وهم أيضا أصحاب الترجيح السيامى في فرنسا وهاته
 الطبقة هي المتقدمة بالنسبة لمشابهمتها فيما فهمي فيهم أرجح ميزانا وأهلها كثيرون
 بالنسبة لاهلها عندنا وبالنسبة الى نفس أهلهم أيضا فترى عدد أهل المعارف يزداد
 ويترقى يوما وأهل هاته الطبقة عندنا مشا كاون في الصفات لاهل الطبقتين الاخرتين
 كما أن أهل الطبقة العليا عندهم أوسع تبصرا ومعرفة من عندنا (وأما بقية) عوائد
 الاهالى فهمي على نحو من عوائد الطليانيين في السلام والحياء والسمع والرمية
 والفروسية وغير ذلك وقد كانت فيهم تربية حسنة من التواضع بينهم ولين القول لكن
 منذ سخط المحكومة الجمهورية تطاهر فيهم التهرش بأفشا حتى انى أدركت ذلك ما بين
 سنة ١٢٩٢ وسنة ١٢٩٥ فقد درأت من اخلاق الطبقة السفلى من الناس
 كالكرارسية والمجسالىن والسائلين ما لم يعرفه منهم في السنة السابقة وقات السائلين مع
 انهم يمنعون السؤال للفقراء لوجود أماكن المرجحة للعاجزين ومن يباح له السؤال تجمل
 له علامة تؤذن بإباحته ولا يكون الا ناقص عضوا وحاسه وغيرهم يتحيلون على السؤال
 بعزف آلة طرب أو اهداء باقة زهر أو نحو ذلك من غير الخاف في السؤال حتى اذارت
 الضابطية واحدا لمحا منعه أو سجنه وفي السنة الثانية رأيت تغاضى الضابطية عن
 ذلك وعن سوء معاملة الكرارسية للركاب حتى يكون بعضهم سكراناوية تكلم الكلام
 الفاحش ولا يتعرض له أحد كما رأيت في هاته السنة عدة مواطن للتشاك والتلاكم
 وبعضها وقع فيه الضرب بالمحديد ومات فيه المضروب وفي بعض الاوقات يركض
 الكرارسي ركضاً شديداً يمكن ان ينشأ منه الضرب بالمسار وكل هاته الاشياء ممنوعة ولم
 نر منه شيئا في المرة الاولى لكن الدعوى بزيادة الحرية التي تتبع الجمهورية أدركت ذلك
 الإهمال المنفض الى التهور والخروج عن الاعتدال كيف لا واحد احزاب الجمهورية
 طالب المصير لمساوية الحيوانات الجحيم من الاشياء وتراكم وقد ذكر لي انه كان وقع مثل ذلك

(١٤٣)

الحزب في احدى مدن اورويا العظيمة وتوارى على الحكومة واقفهم منازل الناس وكان في تلك البالد احدى الاغنياء المشهورين بالثروة حاذقاً فطناً فاحداً - فعدداً كياساً بالسكة الغضة وجاساً عنده باب داره وكل ما مر عليه انسان اعطاه فرنسكا فجاءه جمع من الثائرين فقال لهم اني منكم وقد حسبت مالي فاذا هو كذا كذا مليوناً وأهل المملكة مسارون الى ههنا العدد فيصبح لكل واحد فرنسكا فكل من اتى اعطيته حصته ولا يسوغ ان اعطى لاحد من باب غيره فلم يسعهم الا الرضا وتخص من ثوب أمواله وتشيتهم ومن قتله ببعض آلاف فرنك دفعها لأولئك الثائرين الى ان قهرتهم الحكومة واضع جعل أمرهم ومن تفاخر الاهل الى اتقان الاغنياء للكراريس وبعضهم يجر كروسه اربعة اثمانية من الخيل بسائق واحد وبعضهم يكون هو السائق بنفسه ويتجدد بعض هاته الكراريس تركيب اثني عشر راكباً فاربعة ذاخلها مثل ال المعناد واربعة على سطحها على كراسي لازمة كل اثنين على كرسى مثل الاسفل غير ان ظهورهم لبعضهم واثنان على كرسى السائق واثنان على كرسى الخسمة من وراء وفي قعر الكروسه محمل لرفع ما خفف من الماء كول واللوازم فيركب صاحب الكروسه مع خواص عائلته وأحيابه وما يلزمهم لتتفرغ يوم ويذهبون لاحد المنزهات خارج البلد لادوم من حادتهم ايضاً انهم يتأفقون في ظرافة اللبس والاثاث والبناء وتنظيمه وترتيبه وينشئون المنزهات وأما كن الارتياح ليستترك في قائمتها الحقبير والعظيم وان كان لكل جهة كلقهاوى فما كان منها الاعظم ازيد في سعر ما يعطيه واتفق آلايه حتى لا يراحم الفقير الغنى لكثرة المصروف من غير تحجب بحكمي بحيث يصح ان يقال ان الملاذ والنزهة عندهم القرانساويين ينال منها الحقبير حفظه وهى مشهورة بعرفها الوافد بادنى مهولة مع كثرتها وتبعتها الى قبول كل احد

م طلب

﴿ في التجارة ﴾

(اعلم) ان تجارة فرانساهما الرتبة الاولى في سائر اقسام المسكونة ولهم براعة تامه في ادارة الاشغال ولكن الاصول في ذلك هي ما قررناه في ابطالها غيبتهاها في فرانساهما اقوى واروج وتنبذ عنها كثرة الثروة والغنى المفرط حتى صارت شركات تجارتهم لا يتخلو عنها اقليم من العالم وبوانتر يريد هم يتخترق سائر البحور ودونك أنغوزجاء الى مالفرانساهما الغنى فان دولته اعدت المبكوكات الرائجة فيها سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م

فكانت كما ترى

فرنكات

صرف قطع فضة بخمسة فرنكات	٩٠ ١٩٤٧ ٢١٠
صرف قطع ذهب الواحد بعشرة فرنكات	٩٦٥ ٢٠٥ ٢٩٠
صرف قطع ذهب الواحد بعشرين فرنكا	٦٩٦٤ ٠٨٠ ٣٦٠
صرف قطع ذهب الواحد بأربعين فرنكا	٣٠٤ ٢٢٢ ٣٦٠
صرف قطع ذهب بخمسين فرنكا	٢٠٤ ٦٥٦ ٨٧٠٠
صرف قطع ذهب بمائة فرنك	٢٠٤ ٣٤٦ ٤٠٠
صرف قطع فضة من نصف فرنك وفرنك الى الاربعة	٥٣٦٧ ٤٧٧ ١٩٠
فرنكات وقطع نحاس لاتمام الكسور	

١٣٨٠٣٨٩٣٢٤٩٠

فذلك من عين السكة خاصة عدداً لاف الملايين من قطع الاوراق المعدودة عوضاً عن السكة من بنك الدولة وهاته الاوراق لها اعتبار أحسن من السكة تخفة مؤنتها فتزيد في الصرف نصفاً في الألف وتروج في سائر الاقطار مرغوباً فيها لدى الصرافين وفي خصوص فرانسوا ويطالبوا وسفيسراو بالبيع بكبريها حتى غير الصرافين أما غير هاته من الممالك فانها اتعت بعرضها لدى الصرافين فقط ويؤيد اعتبارها ما ذكرناه في غرامة حربها مع المانيا وكذلك سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م طالبت دولة فرانس باستقراض ألف مائون فرنكا فاحضر لها الصرافون وأرباب الاموال ما اكدت به عما تطلبه باخذها خمسة عشر فقط من كل مائة احضرت لها وأساس ذلك الغنى هو الامن الذي سرخ لادها الى عقد الشركات بانظها رأموالهم وترويعها والشركات هي الاساس الثاني مع حسن الادارة فاورث ذلك ما اشرفنا اليه من أغودج الغنى وتبعه ثروة الدولة التي هي بيت مال الالهالي بعد ان كانت منذ مدة ليست بطويلة في غاية العسر والفقر من سوء ادارة حكومتها والحروب الالهائية والخارجية فذكر لي ان منذ نحو سبعين سنة كان لرجل منهم من اوراق دين دولتهم ما قدره عشرون مائوناً فرنكا واحتاج ان يفطر ولو بيضا وخبزاً فلم يجد من يعامله ولو بالعشرين مائوناً التي معه مع ان دين الدولة الآن الذي يدفع فائدة خمسة في المائة تساوي المائة منه مائة وعشرين نقداً فانظر بحبيب الفرق بين الحالين في المدة القريبة وأحوال البريدي في أول درجة من الاتظام في هاته المملكة

برا

برا وبحرا ومواصلات الطرق الحديدية والصناعية مع عجالات حمل الاثقال المختلفة الاشكال مع المنافسة والحسن زادت التجارة واجابحت ان السلع وغيرها الاتحتمل الاعلى العجلات وفي المدن العظيمة لا تجر الا الخيل السليمة او البغال بقله وسفن البريد تصل الى أقصى ممالك المشرق والمغرب وما يحسن ايراده عتوانا عتوانا عندهم من الغنى ان الحكومة المصرية مددة ولاية خديويها اسمعيل باشا باعت سهامها من خاليج السويس لدولة انكلترا بمائة مليون فرنك فكثير في ذلك القيل والقال من جهة السياسة خوفا من استيلاء انكلترا تيره على الخاليج المذكور واهتزت لذلك فرنسا ازيد ماسا واهافذ كرت احدي صحفه يوم ان رويشيلد أحد الصرافين الكبار المتهور بالغنى قد أعطى لصهره اذذاك مائة مليون فرنك وخمسة وعشرين مليوناً مهر ابنته ثم ذكرت على وجه التعمس والدعاية بان البائع لو خطب هاته البنت لولد له وزوجها به لانه لمائة مليون الحاجة وزاد بها خمسة وعشرين مليوناً مع بقاء المهرام على ملكه وراحة العالم من التشويش والاضطراب

مطلب

في الاحكام

(الاحكام) في فرنسا اصولها هي المذكورة في ابطال الان القانون الاصل في ذلك هو قانون نابليون الاول امبراطور فرنسا ليس وانما بينهم بعض خلافات معينة على اختلاف العوائد وادارة الاحكام مفردة عن الادارة السياسية ولاسلطة لها على المارة ودونك * مثلاً لذلك وهو ان رستمان الذي كان قنصل لفرنسا وسعى في الانقلابات التي حدثت في تونس قد تكلم ضده وضد تصرف دولة فرنسا كثير من رجالهم في المجامع العامة وكذلك تكلمت ضدهم مجلة صحف خيرية لفرنسا وية وغيرها واشد الصحف مضادة الى رستمان واعماله صحيفة لانتراسيجان التي يطبع منها يومياً ١٥٠٠٥٣١ نسخة وصاحبها هو الرجل الشهير رشفور لفرنسا وى وقدح في عرض رستمان في المسال والسياسة وصار لـ كلاً مه رنة عظيمة حيث جعل استيلاء فرنسا على تونس كان لقوائد خصوصية مالية من سعى في ذلك ولمن أعان وكان رستمان أشد تهمة فاراد رستمان تبرئة نفسه باقامة الدعوى على صاحب الصحيفة لدى مجاس المحكم وترافعوا وادلى كل منهم بما توصل اليه من الحجج وكانت عدة رجال من الدولة لفرنسا وية في الانتهار الى رستمان حتى الوزراء السابقون

في الخارجية شهدوا له بأنه منفذ لأوامرهم ولم يتحقق عندهم ما يدعى به عليه ومثلهم
المنصبون في الوزارة وحاولوا استطاعهم في نصرته لكن الحق بدا وغلب ولم يعمل مجلس
الحكم لاهواء أحد ودحكم على رستان وألزمه بأداء مصاريق التحاكم وبذلك صحت
مقالات الصحيفة المشار إليها وخرج صاحبها صاذا قائم مصورا وقد ترجمت جميع جاسات
مجلس الحكم المشار إليه وأفردت بالطبع حتى باللسان العربي وبالأطلاع على ذلك
الكتاب يتأيد جميع ما ذكرناه في الأحوال التونسية وأسباب انقلابها ويتأيد ما ذكرناه
في السياسة الخارجية لفرنسا وفي السياسة الخارجية لتونس وما ذكرناه هنا من انفراد
ادارة الاحكام عن ادارة السياسة سيما بعد ارجاع رستان المذكور لوظيفته في تونس
بعد تلك المحاكمات مما يشهدنا قلنا في مباحث السياسة من أن سياستهم الخارجية ليست
هي كائنا فهم في ما بينهم في داخلهم وهو مما يحقق أن الرجال المتعصبين للأحكام انما
يكونون من أعف الموجودين وأنصفهم لا تمل بهم الا هواء عن الاستقامة غير ان هذا هو
الاغلب لا سيما في المدن العظيمة وفي المجالس الانتهاية (وأما غيرهم فلا رشاء بينهم
فاحش يكاد أن يكون مثل ما يصفونهم به حكم المشرق وطريقة الوصول اليه عندهم
أيسر بحالهم من اباحة خاطة النساء فالعطي للرشا يجعل الوسائل للوصول الى احدى
النسوة ذات النفوذ لدى الحاكم ويرشها فبغته قصده بنفوذها بسبب قرابة أو واد
أو غير ذلك لدى الحاكم وربما أوصات اليه حصص من الرشا وعلى تقدير الاكتفاء بها
أخذته هي فهو أيضا رشا للحاكم حيث مال بالحكم للجهة التي انفعت منها من يريد نفعها
وبهاته الوسيلة تكون خصلة الرشاء عندهم مستورة نوعا ما لان ظهورها يوجب العقاب
الشديد بالقوانين مع عدم وجود الشفاعة عندهم ومع ذلك يوجد في هؤلاء أيضا كثير
متعففين وقد حضرت يوما في مجلس الحكم لرقبة هيئة الاحكام والحكام في باريس فاذا
هو بيت كبير مستطيل له باب يدخل منه المتفرجون وباب للموظفين وباب للخصوص وفي
صدره مسطبة عالية عليها ثلاث كراسي وأمامها مائدة مستطيلة عليها السكل كرسى دواة
وأقلام وورق وعن يمين تلك الكراسي كرسى طويل يجلس عليه أزيد من عشرين شخصا
وعن شماله باب وأمامها في نحو نصف البيت درابزين حائلة بين المتفرجين والخصوص
ولانفرجين كراسي يجلسون عليها بقرب الكراسي التي في الصدر كراسي سفلية
أحدها الرئيس الكتاب والناسي لوكيل الحق العمومي الذي رتبته رتبة محتسب عام
على الحقوق وله اعتبارا كاعتبار رئيس المجلس وبعده هيئة من دخول المتفرجين خرج من

الباب الذي على الشمال رئيس المجلس ومعه عضوان **كل** منهم لباس جبة طويلة
بأحكام واسعة جراح على أكتافهم منديل مقصب بالذهب وعلى رأسه شعرا بيضا عارية
له ذنب معقود على قذمهم فوقف لهم المحاضرون وأما الرئيس بالسلام لهم ثم جلس
الرئيس على الكرسي الوسط والعضوان عن يمينه وشماله وجلس كل من وكيل
المحقوق والكاتب على مرتبة ولكل منهم أيضا زي خاص يشبه زي الرئيس والاعضاء
ثم دخل وكلاء الخصام الذين لهم ذلك الوقت دعوى ولكل منهم مثل ذلك الذي ثم دخل
من باب خاص جمع من الناس باللباس المعتاد وجلسوا على ذلك الكرسي الطويل وهم
المجورى فتكلم الرئيس بالسؤال عن حضور شاهد فأحضر واقفا خلف أمانهم ثم أدى
شهادته وبعد سكوتة نثار الرئيس والاعضاء ثم خاطبه الرئيس لالتصاع عن عدم حضوره
في اليوم المعين له وعمله بما يجب عليه من العقاب عن ذلك فاعتذر بالوحد فإله
بلزوم الحكم فيه فوقف وكيله وقال إن الشاهد مسكنه في المحل الفلاني وهو غريب وفقير
عاجز عن إكراه من يستعين به فوجه الرئيس القول للشاهد مشدد بالزوم المحكم عن
مخالفة القانون ثم سار العضو الذي عن يمينه ثم الذي عن شماله ثم أمر الشاهد بالانصراف
وأنه إن عاد لمثلها أجرى عليه الحكم وانصرف ثم قام الرئيس والاعضاء ودخلوا من ذلك
الباب الخاص ولحق بهم وكيل الحق العام وبعد ثغور ربع ساعة خرجوا وأحضر
الحكم عليه مع أحد معاون الحاكم وقرأ الرئيس ورقة صغيرة بالحكم على الجلاني ثم
التفت إلى الجماعة الجالسين عن يمينه وهم المجورى وسألهم عما ظهر لهم فوافقوه وانصرفوا
جميعا وخرج المتفرجون إذ لم يكن ذلك اليوم الاتك المنازلة وقد أفهمني وكيل الحق
العام أن الحكم كان مهيبا من قبل لتسام النصاب بدون ذلك الشاهد مدغيرانه لما حضر
تم شهادته والمحكوم عليه جاني بتزوير السكة وكان جميع من حضر سكرتاريا بمعية المتوقف
للمجلس وذلك الشعر الذي يضعونه عارية على رؤسهم الأصل فيه أن الملك لويس الرابع
عشر كان ردى الشعر فاختذله عارية وكان إذ ذاك شيخا فانتدت به أمثال إليه لادوسبرت
منهم إلى غيرهم من الأمراء أن قل استعملها إلا أن الأفاني الموكب المخافة والقضاء ومن
أهم ما يذكر في أحوال الإدارة الحكيمة تنبيه الضابطية وهم الحارصون للبلادان وشدة
تنقيحهم ومراقبتهم حتى يتم كمنوا به ولة على الجماعة ومعها تلك المراقبة
والاحتراس الشديد يقع الاحتيال البليغ من الجماعة لكي يتوصلوا إلى غاياتهم وكثيرا
ما يبلغون إليها لكنهم أيضا كثير امانات تكشف أمرهم الضابطية وتتمكن منهم فقد ذكر أن

أحد الصيارفة الكبار في باريس كان جالسا يوما في محله واذا برئيس ضابطية باريس قد جاءه فأكرمه مقدمه ورحب به فآخذه برؤس الرأس انه محتاج لمبلغ وافسر من المال لبعض المصالح غير انه لا يريد افشاء ذلك ولهذا أتاه بنفسه ليعرضه له لمدة قصيرة ايها الضرورة المصلحة عاجلا مع رجوعه المتعاقبات وظيفته فاقرضه ذلك المبلغ على نحو القواعد الجارية عندهم وكتب له خط يده فيه وانصرف فمضى الاجل ولم يأت المال اصاحبه فبعد ثلث يوم ذهب الصيرفي بنفسه الى رئيس الضابطية ودخل عليه وبعد السلام انتظره الرئيس فيما يقول لانه من العادات المتأكدة عندهم ان الزائر لا يؤخر الكلام في مقصد زيارته ولا يجوز في الفضول سيما الاصحاب الوظائف لان الزمان مقسم كما انه لا يدخل عليهم اثنان معا ليس بينهما علاقة في نازلة واحدة لكن الصيرفي اعتمد على علم الرئيس فيها هو مطلوب فيه ولم يذكر له شيئا فلما مضت بعض دقائق سأله الرئيس ما هي حاجتك فنحسب الصيرفي وقال انها ذلك المال الذي أتيت اليه بنفسك ولذا لم أرسلك غيري فاستغرب الرئيس في سره وتلطف في السؤال بقوله ذكرني النازلة لانه علم ان الصيرفي من كبار الاغنياء المعتمدين ولا يقول كلاما مثل ذلك افتراء ويعلم من نفسه انه لم يذهب اليه فعلم انه لا بد لارمر من واقعة فبين له الصيرفي ما وقع منه الى ان قال له وكتبت خط يدك فذكر مليا وطالب منه التمهل بعض ايام ان من غير كشف للعمر الى ان يقع اندلاص فخرج الصيرفي ايضا فذكر افيماراي من الرئيس وفي نفس الجواب لان ذلك يخالف لعادة الاقراضات ثم ان الرئيس اعمل فذكره بان النازلة لا بد انها وقعت فيها احتمال على الرجل من انسان مشابه للرئيس ثم دساضابط مركز الضابطية الذي يقرب دار الصيرفي وسأله هل رأيتني منذ كذا يوما قدمت الى ناحيةكم فقال نعم فقال في أي وقت فبين له الوقت وهيئة الركوب بانها على الوجه الرسمي من الابهة والملابس والجملة فازداد تحققا لارتكاب الجملة ثم سأله والى اين ذهبت فاجابه بانه ذهب الى جهة كذا فداضا ضابطها عنده حصنة كذا ثم خرج من عنده متوجها الى الجهة القلانية فدعا الرئيس ضابط الجهة التي فيها الضابط الاول وأخبره بذلك وانه ذهب الى جهة كذا فداضا ضابطها ايضا وهكذا تتبع الحال الى ان أخبره الاخير بانك دخلت الدار القلانية ثم رجعت الجملة خاوية وبقيت انت هنالك ولم تخرج باللباس الرسمي فدعا بدفتر من سكن تلك الدار لان كل محل سكن فيه انسان لا بد وان يقيده اسمه عند صاحب الباب أو عند صاحب منزل المسافرين وأحضر الناس الذي سكنوا في الوقت المعين في تلك الدار فوجد بينهم رجلا

يشبه الرئيس في الذات والوجه فدعا منه فردا وقال له أين المال الذي أخذته باسمي
وان لم تظهره بطيب نفس أظهرته منك عن غير ارادة فكما أظهرتك أنت فلم يسمع به الا
القرار به ورجع الرئيس المال الى صاحبه مع عمله بانه لم يسمع به تقرر من منه وانه احتمل
عليه في ذلك ولهم من أمثال هاته الاحتمالات في السرقات أمور كثيرة وساعدتهم على ذلك
تيسر احضار الوسائل مثل ما مر في كون السارق تيسر له لبس مثل لبس رئيس الضابطية
ووجد أيضا بحلة ذات أهمية وخدمة مثل بحلة الرئيس الى غير ذلك لان تلك الامور موجودة
بسهولة كراء وشراء ولا يمنع من استعمالها الا ما كان منها من مشاركات الحكومة
الهامة أو غيرها فانه اذا كشف على المزور يعاقب ومع شدة الاحتراس والضبط على نحو
ما ذكرناه فانك لا تكاد تجد رجلا بل وكثير من النساء يخرج بدون حمل سلاح صغير في
كالحديد في وسط عصا الاتكاء كالطباخة ذات الطلقات المتعددة موضوعة في الجيب
الى غير ذلك وهذا جارح في نفس باريس وقد كنت مارا اليه في بحلة مع أحد الوجوه
ومع زوجته ذاهبين لدعوة عند فردينا فللبس فاتح خلع السوييس فساأنتني المرأة عن
نوع السلاح الذي مهي فاجبتها تهجها بانى ليس مهي سلاح وما الحاجة اليه وانافى وسط
باريس فقالت هي وزوجها لا يبدمن حمل شيء فان الوقائع في باريس تحير الافكار
ولذلك لا تخلو اسبوع بل وأقل منه بدون وجود مقبولين سيما في نهر السين فانهم يجردون
في الشبه الموضوع في أسفل النهر خارج باريس كثيرا من جنث المقتولين اما يقتل
غيرهم أو يقتل أنفسهم وذلك لان كثيرا من الاهالي من يقتل نفسه لتمهيط من أمر
دينوى غير ان هذا الخوف في باريس لا يقع في الطرق الشهيرة كالشارنزي لزي والبغار
لكثرة المارة بها ومن عوائد حكمهم اغضاء النظر عن الزنى بحيث ان المومسات يتبرجن
جبهة بلا معارض ولهن ديار تجمع اعددا وافرة وديار لا يقام الزنى الذين تلقى منهم امهاتهم
وأكثر التجاهر به في باريس وورثك شاهد على تعاضده فقد حرر عدد النفوس سنة
١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م فكان المتزايد في سائر فرنسا ٩٢٠١١٧ مولودا منهم
ابناءنا ٦٨٢٢٠ مولودا

مطلب

في المعارف

(اعلم) أن المعارف النبوية في فراغ قد تنهت لاعلى درجة من الاتقان والاجتهاد

وما تقدم في أحوال باريس وما فيها من المكتبات والمكتبة وجميعيات الفنون والحرف
عالمها كاف في بيان ارتقاء تلك الفنون في فرنسا حتى أقر لها بذلك سائر الأمم في أوروبا
وصاروا عابدا عليها في كثير من الفنون ومن ذلك فن الطب ومهنة دماثة فإن المعالجة
بالمعادن بمجرد اللبس التي ذكرنا طرفا منها في الباب الأول عند ذكر معالجة مرضى كان اطلع
عليها أحد الأطباء الكيمياء وبين من النساء ولكن لم تقبل منه حتى قدم إلى باريس
واطلع عليها المحكيم شاركو وبعد تجربته لها واعطائه الشهادة والاجازة فيها اشتهر
أمورها وتعاطتها الاطباء في سائر الاقطار ومن أسباب الترقى في المعارف عموم صناعة
الطب وقد تقدم فيها الفرنسيون إلى الذروة القصوى وعندهم من الخف الخفية
السياسة فقط مما يطبع في مدينة باريس وحدها يوميا ستة وخمسون صحيفة يخرج
من مجموعها يوميا ١١٠ ١٩٤٣ نسخة وهي منقسمة إلى أحزاب السياسة من صحيفة
واحدة تسمى لبي جرنال يطبع يوميا ٨٣ ٨٢٠ نسخة وما عداها أقل كل على قدر
رواجه ولا تكاد تجد سائق كروسة أو عجلة حمل بدون أن تكون عنده صحيفة يومية يقرأها
وقد أطنب الاطناب الحسن في بيان تقسيم العلوم وترتيب أقرائها واقادتها العلامة رفاعة
بك رحمه الله ونهجه فن أراد الوقوف على التفصيل فعليه بمراجعة رحلة المذكور إلى أوروبا
والحاصل ان الفرنسيين يحصلون على الدرجة العليا في المعارف الدنياوية ولهم اعتناء
بسائر الفنون فيترجون إلى لغتهم كل كتاب في فن غير معروف أو غريب ويدرسون اللغات
الاجنبية واللغات القديمة التي لم يبق من يعرفها أو توصلوا إلى معرفة خطوطها
بوسائل جيدة لم يكن مما ينبغي في علمه أن مدرسم في الفنون التي يقصرون فيها
بسته وضون قصورهم عما لهم براعة فيه فترى مدرسا العربية مثلا يخرج بادي مناسبة
للقضية إلى علم الجغرافية ثم إلى علم الاقتصاد السياسي ثم التاريخ ثم الهندسة ثم الكيمياء
ثم وثم إلى أن ينقضي الزمان من غير أن يفيد حقيقة المقصود من البلاغة بدت شعرا ومثلا مما
هو موضوع البحث وتخرج تلامذته مجيئين من براعة شيوخهم وأنه علامة العربية مع أنه
لا يعرف مزية تقديم المسند أو المسند إليه بل معادات الضمائر لا يحسنها فضعف الاعن
الاعراب وذلك يوجب الجهل باصل الفن والغاط من العموم بظن تحصيلهم حقيقة اللغة
العربية وقول جسد من يحسنها مع أن فيهم المتأخرين بعلم الترجمة بل والمدعين بالتأليف
فيها ثم ان التعامل لها مكاتب على طبقات ابتدائية ووسطى وانتهائية وعلماء الطبقة
(الاولى) لا تكاد تجد دفرة خالية عنها والمانية والثالثة انما توجد في المدن

الكبيرة كرسيليا (وأما الرابعة) فلا توجد إلا في باريس واليهانوى التلامذة بعد استكمال معارفهم على أن المثرين يؤثرون التعليم من البداية في باريس بل ولا يختص هذا بأهل فرنسا فان الكثيرين مما لك المشرق وبعض غيرهما يرسلون أبناءهم للتعلم بها وفضلا عن الفخر بالعلم يفخر بالعلم بها وهي جديرة بذلك لولا طيش في اخلاق غالب المتعلمين بها من الغرباء سيما المسلمين فانهم يحدث لهم فساد في اخلاقهم لخروجهم من طور والادب الداعي له العرض والدين وكان سبب ذلك رؤيتهم بها كثرة الخلاء والاطلاق والغفوس ماثلة الى الخبائث نسأل الله التوفيق ومن أسباب ترفى المعارف كثرة الكتب وسهولة التوصل اليها ففي فرنسا ٥٠٠ مكتبة تحتوى على ٥٩٨٠٠٠ كتابا من الكتب المطبوعة و ٣٥٠٠٠ من كتب الخط ومكتبة الامه في باريس هي اكبر الجميع ففيها ٣٠٧٨٠٠٠ مجلدا

م طلب

(في الصنائع)

(الصنائع) في فرنسا ماضاهية لما فيها من المعارف والفلاحة فمما تقدمت للعلماء وعلماء بحيث ان لها مدارس عديدة تأوى اليها التلامذة من الآفاق لاخذ علمهم بها بالتدريس والمشاهدة وكل مدرسة تحوى من آلات العمل وآلات العلوم الآلية للفلاحة كالطابعات جميع ما يحتاج اليه وهكذا سائر الصنائع بحيث أن مصنفها صانع متقنة خريفة للغاية يرغب فيها في سائر الاقطار لظرفها وتيسرها ووفرة وان كانت بعض الاقطار أم من صناعة وفرنسا جامعة لكل الصنائع المعروفة في العالم حتى الخزف الصيني والمنسوجات الكشميرية بقاد علمها في فرنسا ويؤتى بالمصنوع مشابهة للأصل وقد برعوا في الآلات بافوائدها سيما الكهربية وقد خصوا لها معرضا سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م لامتحان ما انتمت من الفوائد وقد رأيت سنة ١٢١٥ هـ ١٨٧٨ م آلات خريمية كهربية ممتنة آلة يمكن بها رؤية ما في داخل المعدة بان تؤخذ قناة جيدة من اللصطيك و طرفها زجاج وتدخل في الحاق الى ان تصل للمعدة ويجعل في أعلى الحاق مقابل المعدة مرة صغيرة ومقابلها على اللسان مثلها ثم يدخل في القناة سلك معدني لين الى ان يصل الى الزجاج الذي في المعدة ثم يوصل بالسلك من خارج أسلاك الكهروباة المضيفة فبضئ السلك في المعدة من غير احراق ويرتد خيال المعدة بما فيها في المرأة

العلباو يرتدم مثله منها في المرأة التي على اللسان وينظر الطبيب بالمرآة المكبرة ما يرى
وعنه ذلك ينظر في الرحم وداخل الاذن والمخاق ورأيتهم بصدد تجربة جوال انتقال
بالكهر بارأروني آلة صغيرة تغلب قوة الانسان الجهد اذا كان قابضاً يديه فتفتحها
والعكس بامر ع وقت فلا يبعد ان تطال تلك الآلة على طريق مناسب وينقل بها
الاشياء من مكان الى آخر وان بعد اذ مع تدبير حفظ الجسم من خرق الهواء في السرعة المحركة
وقد رأيت سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م سير رتل صغير للتجربة بالكهر باعلى وجه آخر كما
ذكرنا في احوال ايطاليا ورأيت في باريس أيضاً مساسك مصورة باشكال حيوانات
تتحرك أعضاؤها وهي من الكهر باع صغر حجمها حتى يوضع المسالك من المذهب في
رأس المرأة والآلة الكهر بائية تخفي في الشعر ويرى الحيوان متحركاً ومنه صورة فراش
بالوانه البديعة من أبحار الزرد والياقوت الاحمر والايض وغير ذلك من الاجهار الكريمة
المطابقة لالوان أجنحة الفراش وهو يخفق بأجنحته الاربع فوق الرأس بالكهر با وهو
قريب بدني مع جلد

م طلب

في هيئة المساكين والطرفات

قد تقدم في ايطاليا الهيئة العامة في المساكين وهاتيك الهيئة بنفسها هي التي علمها
العمل في فرنسا غير أن باريس وحدها تزيد ونقائماً احتوت عليه من كثرة الطرفات
المبسطة جداً وبكثرة التنظيف والتنوير في الليل كما انها تختص بان بعض طرقها
مستعوض عن تلبطه أو تخصيبه بطايبه بنوع صغي يسمى اسفالت بحيث يكون
بعد الجفاف رخوفاً فاذ امرت عليه الجحلات لا تسمع لها الا همساً وتسمع قرع حوافر الخيل
على الارض كالتصفيق المغبوط مع مزيد الهدول للركاب حتى كأن الجحلة لا تتحرك فتلك
الطرق مروحة جداً غير انها لم تعم لانها في الصيف تفش منها رائحة كريهة ولانها في
الطرق الكثيرة المرور تعطب فيها الجحلات المارة بسبب عدم سماع حركتها وامكان
الغفلة من الجحلية هذا (وأما عموم البلاد والقرى فان لكل منها محاسن بالدياد به
التحسين والتنوير في الليل بالبخار الغازي أو زيت النفط وهو قليل الاستعمال أو
بالكهر با وهي أيضاً لم يزل التنوير بها قليلاً ولا كنه لا تجدد قريه غير منورة الطرق
أو غير منورة تعال على حسب اقدار الاهالي فضلاء المدن والامصار وكل طريق يسمى
باسم

باسم مكتوب على مبدئه وعلى كل باب عدد خاص ثم ان طارق الحديد يوجد منها كثير حتى صارت فرازا سامة تبطه جميع الاطراف والاواسط ببعضها وعلى حافتي الطريق اخشاب شاختة مربوط بها اسلاك حديدية علامة على حرم الطريق لكي لا يجتازها الناس ولا حيوانا منهم ولا زالوا يجتهدون في تكثيرها على الطرق الحديدية ثم ان مساكن الجهات الشمالية احكم استعداد اللبر من الجهات الجنوبية وان كان لها تاييد ايضا انصيب واقر منها بحيث لا تجدد بيتا في الجميع بدون موقدا للطحب او للخبز المعدنى أو البخار الغازى بل وبعضهم يطبخون بهذا البخار وقد مر ان في ياريس اخترعوا الندفعة للديار من مركز عام في البلد ثم ان سائر الديار لا يبلط منها بالرغام أو غيره من الاجار الا المدرج والمجازات الخارجية (وأما) بقية البيوت والمقاصير فانها مبطاة بالخشب المنين ونحسب منه وزخرفته تسع لحالة الدار وكل الطواقى التى هى مثل الابواب فى الارتفاع والانتهاى الى الارض لها ابواب من خشب منجور ولها ابواب فتحت لها الاسفل خشب وثلاثها العلويين ذوى أطباق من الزجاج واكثر الطواقى لها مع ذلك ايضا ابواب من اضلاع الخشب المنجور مقصبة يتحرك تقصيدها وكل تلك الابواب ذورفتين يتفتحان بيمين او شمالا (وأما الحمامات) فهى عبارة عن ديار ذات مجازات طويلة يلبس بها عدة مقاصير صغيرة كل منها يتحوى على حوض من معدن أو حجر له منفذ من أسفل يخرج منه الماء الوسخ وله أنبوبان للماء الحار والبارد وتحتوى على كوسى ومسطبة ومراة ومسط وأرضها مفروشة بزرابى والاعتسالى انما هو فى الحوض وكل الاهالى يعتنى بتنظيم مفروشات بيته على قدر سمته والاعتناء لهم ترف زائد فى الاثاث والتحف وفى المدن الكبيرة يقيمون اسواقا فى يوم خاص من كل اسبوع فى الحارات المنطرفة وحوايته من خشب أو كتان تنصب فى الطرق الواسعة وترفع فى يومها يباع بها انواع الاكل من لحم وبقول وفواكه وبعض تحف وثياب يشتري منها اهل تلك الحارات كما يتهم للاسبوع

مطلب

فى اللبس

اللبس فى فرانسوا يطا الياسوا عند الرجال والنساء وكذلك اللبس الرسمى والعسكرى الالبعض شارارات والوان فى الملبوسات تختلف بينهم (أما أصل) الهيئة فواحدة وحيث كانت الرفاهية فى الفرانساويين ازيد فتجد نساءهم أكثر تبذرا فى اللون اللباس وشكله

ورفعته على الجملة كما انهم أزيد أيضا في وضع دقيق أبيض وأدهان أخر على وجوههم
قصدا للترين وان كان ذلك يورث فسادا في البشرة وأ كثر ذلك العمل في نساء باريس
وتراهن يتفاخرن بالتحول واصفرار اللون لانه كثيرا ما يحدث من كثرة السهر والعشق
وكلاهما ممدوح عندهم لان السهر ينشأ من اجتماع الاحبة والاجتماع يستدعي
المصاريف فهو علامة على الغنى بالوسائط كما ان من علامة الكبرياء ان تكون خدمة
البيتونات في المحافل يذرون على رؤسهم غبارا أبيض والاصل فيه ان بعض المغنيين كانوا
يقفون في موسم صان جرمان بخارج باريس وبهم قرع فيبضو رؤسهم ليضحكوا والناس
قد درجت العادة شيئا فشيئا الى ان فشت سنة ١٦١٤ ثم في سنة ١٧٩٥ جعلت عليه
ضريبة للدولة واستمرت الى الآن

م طلب

❦ في الاكل ❦

هيشة الاكل في فرنسا هي الموجودة في ايطاليا على السواء وكذلك المأكولات
سواء غيران طعام الفرنسي كتر أشكالا والذطعم المجمع لهم الابزرة في المطبخ أحسن
من الطالمان ولذلك تجد لطعامهم راحة لذينة مثل راحة طعام العرب (وفي المدن)
توجد أنواع الخبز على مراتب شتى ولحم نوع يؤكل صبا حامع اللبن والزبدة جيد جدا صنعة
وصفاء وطبخا وفي خصوص باريس جميع أنواع الاطعمة المتداولة بين الامم الشهيرة وان
كانت بأثمان غالية فقد أخبرني فيها أبو جود مطبخ خاص باطعمة الترك والعرب وأوتيت
منه بسخن كبير ملوا كسكسوا بلحم الدجاج وسخن آخر بالبامية المعروفة في تونس
بالقناوية وثمنها مع أجرة الحمل اثنان وأربعون فرنكا وهما يكفيان لشبع ستة أنفس
طبخهم الذي يذعن على نحو الاصل كما انك تجد في جميع الغلال من جميع الاقطار لاى وقت
كان بل قد أتوا بعشوش نوع من الخطاف في الهند والصين يصنع عشه بنبات بحرى
ويطبخونه ويأكلونه أعني ذات العش بما احتوى عليه من زرق افراخ الخطاف
ويستلذونه ويمدحونه وأغرب من ذلك انهم يأكلون الضفادع ويستلذونها ايضا بحيث
يصح ان يقال انهم يأكلون كل ما يؤكل ولا يكون قتالا أو مضرا عاجلا غير ان الاكل العام
هو الدقيق من القمح ولحم البقر ولحم الخيل أيضا والضان أقل استعمالا من البقر
وفي القرى وشبهها يأكلون الشعير والذرة والبطاطس والفقراء أكثر استعمالا للخبز بر

من الأغذية والا كل في القرى والبلاد الصغيرة أسلم من المدن والامصار من الغش بالمخاط
للأشياء المضرة كالقهوة مثلاً لا تسكاد قهوة في باريس مطبوخة غير مخلوطة
بالسريس وهو نوع من البقول ثم ان أهل المدن لا يصنعون الخنزير بيوتهم ولا يدخرون
الاقوات وكل شيء يشتري من السوق يومياً الا قبل ان السكر ونحوه يشتري اسجوعياً
أو شهر ياوللحوم المشوية أو المقالية يجعلون في نوع منها قطعاً صغيرة من شحم الخنزير
بحيث يشاهد عياناً كالمسامير في اللحم وبعض الطيور يشوونها ويجعلون عليها انخورداء من
الشحم المذكور كما يجعلونه أحياناً في بعض أنواع المرق في ألوان الطعام الذي يكون مع
اللحم شيء من المرق وكيفية الذكاة في أوررو باعموماً حسب ما علمت ان البقر بعد ان يربط
من قرنيه يميناً وشمالاً ومن ارجله أيضاً حتى لا يستطيع الحركة وهو واقف يضرب على
جميعه بطريقة عظيمة من الحديد ضربة أو اثنتين حتى يقع عليه فيذبح ويجمع دمه
ليعمل منه نوع من الاكل في المصارين وبعضهم يكتفي بالقتل بالضرب على الرأس
لكنه نادر وقد أبطل في إيطاليا منذ سنة ١٢٩٨ والزم المحكم بالذبح بحيث لا يباع
غير المذبوح (وأما الغنم) وشبهها فتمذبح ابتداءً (وأما الطيور) فالأوز ودجاج
الهند وأشباهاهم هو طويل العنق فيذبح ذبحاً (وأما الدجاج) فيذب عنقه
الى ان ينقطع النخاع فيموت ويحصر الدم نحو الدماغ فيجهد ويؤكل على حدة (وأما
الحمام) فالأكثر ذبحه وتارة يخنق وتارة يكسر ظهره مع قطع النخاع فيموت وإذا قرر
هذا فلنذكر حكم طعامهم شرعاً فطعامهم اما ان يكون من الخنزير ومثله الحيوانات
الحرمة عندنا كالسباع واما ان يكون من الحيوانات المذكاة أي التي هي حلال عندنا
وانما يتوقف أكلها على التذكية واما ان يكون من غير ذلك من الماء كولات كالنباتات
والمعادن والسمك وكل منها اما ان يتخذ لعادة كسائر المساكين كل المعتادة أو يتخذ لعادة
كالمتخذ لمخصوص أعياد أو متخذ لمخصوص هدية لمسلم فله تسع صور صالحة من ضرب
ثلاث في ثلاث وكل منها اما ان يكون محققاً لعين أو مشكوك فيه فتصير ثمانية عشرة
صورة وهذا أنا ذكرها لاجتماع أحكامها ثم نورد أدلة الحكم

٤ مشكوك فيه لعمادة مكروه ١ هـ	٣ هو لهدية محققا حرام ٣ مـ	٢ هو لعمادة محققا حرام ٢ مـ	١ الختير وشبهه محققا لعمادة حرام ١ مـ
٨ هي محقة لهدية مباحة ٣ هـ	٧ المأكولات غير المذكورة محقة لعمادة مباحة ٢ حـ	٦ مشكوك فيه لعمادة مباح ١ حـ	٥ مشكوك فيه لهدية مكروه ٢ هـ
١٢ هي مشكوك فيها لعمادة مكروهة ٤ هـ	١١ هي مشكوك فيها لهدية مباحة ٥ حـ	١٠ هي مشكوك فيها لعمادة مباحة ٤ حـ	٩ هي محقة لعمادة مكروهة ٣ هـ
١٦ هي مشكوك لعمادة مباحة ٧ حـ	١٥ هي محقة لهدية مكروهة ٦ هـ	١٤ هي محقة لعمادة مكروهة ٥ هـ	١٣ للعموم المذكورة محقة لعمادة مباحة ٦ حـ
١ ٢	١٨ هي مشكوك لهدية مكروهة ٨ هـ	١٧ هي مشكوك لعمادة مكروهة ٧ هـ	١ ٢

فأما الدليل على تحريم المسائل الثلاثة الأولى فهو واضح لحرمته تلك الأعيان بالنص ولا حاجة إلى بسطه لمؤيته للجميع ولما كانت أحكام الشرع كلها مناطة بحكمة فسادركناه قلنا أنه مع قول ومالنا أنه تعبدى مع العلم بأنه فيه مصلحة لما انفرد به البارى تعالى عن الاحتياج وإنما قصور عقولنا أو جب عدم الإدراك ومهما بحثنا ودققنا النظر الأزدينا خيرة وبصارة بحكم الشرع فمن ذلك القبيح ما اكتشف بالنظائر المذكورة والتحليلات الكيميائية من أن في لحم الخنزير حيوانا مضرة قورث أمراضا مضرة له تجدد أولئك الحيوانات تنزج في محله لانه وبناطه ولا يقبره فإذا أكل لحم الخنزير سرت تلك الحيوانات في دم آكله وأضرته وأهالى أوروبا اكتشفوا ذلك واحتق كثر منهم عن آكله (فتحمده الله) على شرعنا القويم الأبي لم من خاف وهو اللطيف الخبير (وأما دليل) مسائل الكراهة الثمانية وهى ٤ و ٥ و ٩ و ١٢ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ فاصل الخلية أما بأصل الإباحة في غير المذكى أو بإباحة طعامهم في المذكى على ما سيأتى وإنما أتت الكراهة من حيث الأشعار بالتهظيم لشعائر الكفر في المتخذ للأعياد وكلها أشعر بذلك مكروه (أما) إذا قصد التهظيم فيقتل اللحم إلى الكفر والعياد بالله والمشركوك داخل في ذلك كما سنوضحه والكراهة في المذكى المتخذ للهدي جاءت من الخلاف في حليتها حيث قال بعض العلماء أن النص دال على حلية طعامهم وما يتخذ للهدي لم لم ليس بطعام لأهل الكتاب فلا يشمله النص وهذا القول وإن لم يكن هو المعتمد عند غالب العلماء لكن مراعاة توجب كراهة التنزيه على أن لقائل أن يقول إن كل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسهومة التى أهدها للهيم وودية دليل على الإباحة وشمول النص للهدي فتنتفى الكراهة وهو مقتضى الطلاق النصوص الفقهية عندنا كما يأتى (وأما دليل) الإباحة للمسائل السبعة وهى ٦ و ٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٦ فما كان منها من غير ما يذكى فهو مباح بأصل الإباحة التامة لأن كل ما لا تذكى له لا يتوقف على شئ مخرج سواء عدم المضرة والطهارة فهو من المسلم وغيره على السواء والأصل الطهارة حتى يتحقق النجاسة والشك في كونه لا يتحرون من النجاسة غير عامل كما صرح به شيخ الإسلام بيم الرابع في جواب سؤال عن جواز التيمم في بلاد الحرب للشك في مياههم وأوانهم من حيث عدم اتقاء النجاسة فقال بعد ذكر حكم التيمم وهذا كله مبنى على نجاسة مياه أولئك القوم وأنى لنا بذلك وبجرد احتمال عدم التوقي غير مفضى

الى الجزم بالنجاسة بل لابد من تحققها وأغلبية العاقلين بها ومن ثم جاز تناول طعام أهل الكتاب
واسمهم مال أو أنهم ولبس الثياب المخلوبة من بلاد الكفر بل المشتراة منهم بعد لبسهم
لها كل ذلك على الأصل الذي هو الطهارة حتى يثبت ضدّها المخ وفي حواشي
الدرر السيد ابن عابدين (رضي الله عنه) من كتاب الذبايح ما نصه أقول وفي بلاد الدرور
كثير من النصارى فاذبحي بالقر يشة أو الجبن من بلادهم لا يحكم بعدم الحل ما لم يعلم أنها
معمولة بأنفحة ذبيحة درزي والافقد تعمل بغير أنفحة وقد يذبح الذبيحة نصري تأمل
المخ والأصل في هذاما صرح به في قواعد الاشياء من قاعدة اليقين لا يزول بالشك
والمتيقن في أصل الاشياء الطهارة فلا تزول بالشك في المطعومات التي ليست بمحل للتذكية
ويوافقنا على ذلك مذهب مالك رضي الله عنه فقد نقل عنه أنه سئل عن الجبن الذي
يؤتى به من بلاد الروم وقد قيل انه يعمل بأنفحة الخنزير فقال أما أنا فلا أحرم حلالا
(وأما) ان كرهه الانسان في نفسه فلا أرى بذلك بأسا فأنت ترى نصري يصح بالحلية وتبريه من
التحريم وانما جعل اجتنابه من الورع وهذا في المذكي فما بالك بغيره ولا يرد على هذا
قاعدة اذا انحط الحرام والحلال غالب الحرام المحلال المذكورة في الاشتباه لان ذلك
فيما اذا اتيقن وجود الحرام كاختلاط اشياء نجسة بأخرى طاهرة وكل منها محقق الوجود
غير أنه ليس معلوما بعينه واستويا أو كان النجس أكثر فانه تغلب الحرمة للجميع أما اذا
كان الطاهر أكثر فيتحرى ويستعمل ما غلب على الظن طهره (وأما) مسألة ثانيا فان موضوعها
كون الذات المعينة التي أصابها الطهارة وقع الشك فيها هل طرأت عليها نجاسة أم لا (وأما
ما كان) من مسائل الاباحية مما لا يحل أكله الا بالثذكية (فاللدليل) على الحلية فيه
ما ذكر في الدر في كتاب الذبايح حيث قال وشروط كون الذبايح مسلمات الا لا خارج الجزم
ان كان صيدا أو كناية ذميا أو حيا الا اذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح المخ فاق
محمديه السيد ابن عابدين قوله الا اذا سمع المخ فلو سمع منه ذكر الله تعالى لم يكنه عنى به
المسيح قالوا بطل الا اذا نص فقال بسم الله الذي هو ثالث ثلاثة حاشا اه لله هندية وأفاد
أنه يؤكل اذا جاء به مذبحا عنابة كما اذا ذبح بالحضور وذكر اسم الله وحده والذي
علمناه حالهم الآن انهم لا يسمعون شيئا بل واللحم يوجد في بلاد أعاب أهلها متدينون
بالنصرانية سيما فقرائهم كالقصابين وفي مثل ذلك يحتمل على حالة الجواز لما قال في الدر
في آخر الحظائر والاباحية من قوله فعلم ان العلم بكون الذبايح أهلا للذكاة ليس بشرط
المخ ويؤيده تصريح محمديه فيما نقلناه سابقا في مسألة القرية والجبن بل وسبأ في
النقل

الفقه بل يجوز ما لم يسم عليه أو سمي غير الله تعالى إذا كان الذابح كتابيا أو في تنقيح
 الحمادية أول الذابح ما نصه سئل في ذبيحة الذبي السكابي هل تحل مطاقا أولا (الجواب)
 تحل ذبيحة السكابي لأن من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو
 دعوى كالكفاي ولأنه مؤثر بكتاب من كتب الله تعالى وتحل مناكحته فصار كالمسلم في
 ذلك ولا فرق في السكابي بين أن يكون ذميا يهوديا أو نصرانيا أو حريبيا أو عربيا أو غلبيا
 لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمراد بطعامهم مذكاهم (قال
 البخاري رحمه الله) في صحيحه (قال ابن عباس) رضى الله عنهم ما طعامهم ذبائحهم * ولأن
 مطاق الطعام غير المذكي يحل من أى كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصه بالذكى وهذا
 إذا لم يسمع من السكابي أنه سمي غير الله تعالى كالمسيح والعزير وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته
 لقوله تعالى وما أهل به غير الله وهو كالمسلم في ذلك وهل يشترط في اليهودى أن يكون
 اسرا ئيليا وفي النصراني أن لا يعتق دان المسيح المقتضى اطلاق الهداية ونسبها عدم
 الاشتراط وبه أفتى الجد في الاسرا ئيلى وشترط في المستصفى محل مناكلتهم عدم اعتقاد
 النصراني ذلك وكذا في المبسوط فإنه قال ويجب أن لا يأكلوا ذبايح أهل الكتاب أن
 اعتقدوا أن المسيح اله أو أن عزير اله ولا يتزوجوا نساءهم لكن في مبسوط شمس الأئمة
 وتحل ذبيحة النصراني مطاقا سواء قال ثالث ثلاثة أو لا ومقتضى الدلائل واطلاق الآية
 الجواز كما ذكره الترمذى في فتاواه والأولى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم إلا الضرورة
 كما حققه السكال قال العلامة قاسم في رسائله قال الامام من دان دين اليهود والنصارى
 من الصابئة والسامرة أكل ذبيحته وحل نساؤه (وقد حكى) عن عمر رضى الله تعالى عنه *
 أنه كتب إليه فيهم أوفى أحدهم فكتب مثل ما قلنا فإذا كانوا يعترفون باليهودية
 والنصرانية فقد علمنا أن النصارى فرق فلا يجوز اذاجعت النصرانية بينهم أن نزعهم
 أن بعضهم تحل ذبيحته ونساؤه وبعضهم يحرم لا يخبره لمزم ولا تعلم في هذا خبرا فمن جمعه
 اليهودية والنصرانية في حكمه حكم واحد اه وعلى هذا النحو ما ذكر في الهندية
 وغيرها والسند للفقهاء في هذا الحكم وهو قوت تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم
 والذي رأيت في الكشف والبيض اوى وروح البیان وتفسير أبى السعود والرازي يفيد
 ما ذكر في تفسير فتح البیان اساطان به وبال مع زيادات مفيدة في هذا فائمة تصر على ما ذكر
 فيه قال والمحصل أن حل الذبيحة تابع محل المناكحة والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبايح
 وذهب أكثر أهل العلم إلى تخصيصه هنا بالذبايح ورجحه الخازن وفي هذه الآية دليل

على ان جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين وان كانوا لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم وتكون هاتاه الآيتان مخصصة لعموم قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وظاهرهما هذا ان ذبايح أهل الكتاب حلال وان ذكر اليهودى على ذبيحة اسم العزير واليه ذهب أبو الدرر وعبادة ابن الصامت وابن عباس والزهرى وربيعة والشعمى ومكحول وقال على وعائشة وابن عمر اذا سمعت الكتابى يسمى غير الله فلا تأكل وهو قول طاووس والحسن وتمسكوا بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ويدل عليه أيضاً ما أهل به لغير الله وقال مالك انه يكره ولا يحرم ومثل الشعمى وعطاء منه فقال لا يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون فهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم غير اسم الله وأمام عدم العلم فقد حكى الطبرى وابن كثير الاجماع على حلال هذه الآيتين وما ورد فى السنة من أكله صلى الله عليه وسلم من الشاة المصالية التى أهدتها اليه اليهودية وهو فى الصحيح وكذلك جراب الشعم الذى أخذ به بعض الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الصحيح أيضاً وغير ذلك الى ان قال وقال القرطبي وجهور الاثمة ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بنى تغلب أو غيرهم وكذلك اليهود قال ولا خلاف بين العلماء ان ما لا يحتاج الى الذكاة كالطعام يجوز أكله الخ فتحصل مما مرحلية المسائل السبعة المذكورة من الطعام وان الشك فيه مؤثراً فان قلت قد ذكرت ان بعض الطيور يخفقونها ويأكلونها بلا ذبح وان بعض الاطعمة يجعل فيم اشعم الخنزير فكيف الحكم فى ذلك (فالجواب) أما الطعام الذى يتحقق فيه شعم الخنزير أو لحمه فهو حرام بالنص على نجاسة ذاته كما مر وطريق الوصول الى التحقق اما برؤية ذاته من الآكل فىمنا تبيين فيه أو بغلبة الظن فى الألوان التى جرت العادة بوضعها أو باخبار الطابع أو المناول بان يستلها الآكل هل فى هذا شئ من لحم الخنزير أو شحمه فان أخبره بالوجود امتنع والاحل لان خبره مقبول فى المعاملات وان كان كافراً كما نص على ذلك فى كتاب المحظور والاباحة من دواوين الفقه وصورها بقول الكافرا اشتريت اللحم من كنانى فهل أومن مجوسى فيحرم بصريح جوابه وان أخبره الى ديانته يعمل به بخلاف ما اذا أخبر أولاً عن حكم دينى كقوله هذا طاهر أو نجس أو حلال أو حرام لجهله بذلك بخلاف المعاملات وهذا السؤال انما هو على وجه الورع والا فالاصل فيه ما يتحقق فيه شئ من النجاسة هو الطهارة كما مر وينبغى ان يعلم انهم لا يقصدون الا أن غش المسلم بأكله المحرم عليه كما يتوهم بعض العامة اذ عندهم الاخبار بذلك

بذلك كفولهم هو لحم دجاج أو لحم أوز ولا يعينهم أمر المحرمة والحل عند المسلم بل جهوتهم
لا يدري شأن ذلك (وأما) مسألة الخنزق فإن كان لجرد شك فلا تأثير له كما تقدم وإن كان
لتحقق فلم أر حكم المسئلة مصرحاً به عندنا وقيامها على تحقق تسمية غير الله أنهم المحرمة
عند الخنقية وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من
الشيعة والتابعين والأئمة المجتهدين فالقياس عليها في هذا الحل حيث خصصوا الآية
وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم آية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وآية وما
أهل به غير الله وكذلك تكون مخصوصة لآية المختنقة ويكون حكم الآية بين خاصا
بفعل المسلمين والباحة عامة في طعام أهل الكتاب إذا لا فرق بين ما أهل به لغير الله وما
خنق فإذا أبج الأول فيما يفعله أهل الكتاب كذلك الثاني وقد كنت رأيت رسالة
لأحد أفاضل المالكية تيسر فيها على الحل وجلب النصوص من مذهبهم بما ينبغي به
الصدور سيما إذا كان عمل الخنزق عندهم من قبيل الذكاة كما أخبر به كثير من علماءهم
وإن المقصود التوصل إلى قتل الحيوان بأهل قلة للتوصل إلى أكاه بدون فرق بين طاهر
ونجس مستندين في ذلك لقول الانجيل على زعمهم فلا مزية في الحياة على هاته المذاهب
فإن قامت كيف يسوغ تقليد الخنزق لغير مذهبهم قلت أما إن كان المقادير من أهل النظر في
الادلة وفقد الخنزق عن ترجيح برهان فهدار بما يقال أنه لا يسوغ له ذلك وأما إذا كان
من أهل التقاليد البحث كما هو في أهل زماننا فقد انصوا على جميع الأئمة بالنسبة إليه سواء
والعامي لا مذهب له وإنما مذهبهم مذهب معتبه وقوله أنا خنزق أو ما سكي كقول الجاهل
أنا مخوى لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فيما أي العلماء اقتدى فهو ناج على أن الكلام
وراء ذلك فقد انصوا على الجواز والوقوف بالفعل في تقليد المجتهدين لغيره والكلام مبسوط
في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر المبحث أبو السعود في شرح الأربعين حديثاً النووية
وألف في ذلك رسالة عبد الرحيم المكي فليراجعهم ما من أراد الوقوف على التفصيل فإن
قيل قد ذكر أن الخنزير محرم وإن كان من طعامهم فلماذا لا يجعل مخصوصاً بالحياة أيضاً
بها الآية أي آية طعامهم وإذا جعلت آية تحريم محكية غير منسوخة فكذلك تكون
المختنقة ولماذا تقيسها على مسألة التسمية ولا تقيسها على مسألة الخنزير وأى مرجع
لذلك (فالجواب) إن المأكل كولات منها ما حرم لعينه ومنها ما حرم لغيره فالخنزير وما شابهه من
الحيوانات محرمة لعينها ولهذا تبقى على تحريمها في جميع الأحوال وأحوالها (وأما) متروك
التسمية أو ما أهل به لغير الله والمختنقة فإن التحريم أتى فيه أمارض وهو ذلك الفعل

ثم أتى نص آخر عام في كل طعام أهل الكتاب وأنه حلال فخرج منه محرم العين ضرورة
وبالاجتماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو مسئلتان أحدهما مسألة التسمية والثانية
مسئلة المنخضة فبقينا في محل الشك لتجاذب كل من نصي التحريم والاباحة لهما فوجدنا
أحدهما وهي مسألة التسمية وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم
وذهب جمع عظيم منهم إلى الاباحة وبقيت مسألة المنخضة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما
لهم مسكوت عنها فكان قياسها على مسألة التسمية هو المتعين لاتحاد الالة (وأما قياسها)
على مسألة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح اذ شرط القياس المساواة وانما اطلقنا
الكلام في هذه المجال لأنه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يريد الحق
وهو يهدي السبيل

م طلب

﴿في المواكب﴾

(اعلم) ان المواكب الرسمية في أروبا عمومها متشابهة وقد تقدم ذكر حالتها في إيطاليا
فلا داعي لاعادتها هنا غير انه ربما يشكك على القارى شئ وهو ان فرانس ليس لها
الاكنه لك فمن هو من ائلا المواكب الرسمية فاعلم ان دعواهم في الجمهورية انها خالية
عن الملك هو امر وهمي لان وظيفة الملك كانتا امر ضروري لاندوحة عنه حتى وقع
الخلاف بين علماء الكلام هل أن الملك واجب بالعقل أو السمع فقط واحتج القائلون بأنه
واجب سمعا باننا نجد أمما عاشون على وجه مامن الاستقامة بدون ملك وكل ذلك امر
وهمي ولا مجال للخلاف في المسئلة اذا قامة الملك أمر طبيعي لا يمكن الاستقامة بدونه
وما ذكره المنهج من وجود أمم الخ هو كاف في الرد عليه لأنه معترف بان تلك الامم أو
القبايل تنقاد إلى رؤسائها من خلاف حينئذ انما هو في اللقب وفي تحديد السلطة أو
اطلاقها وكذلك حالة الجمهورية في بعض الممالك الاكن لان من يقيمونه رئيسا لها
ما هو في الحقيقة الاملاك عليهم لمدة معينة وتصرفه مقيد بحدود معينة فلا مندوحة لهم
حينئذ عن الاقرار بوجوب الملك والانقياد اليه وغاية أمرهم هو اختلاف اللقب وزيادة
الاهة والعظمة أمامه لالتوقير والسمع والطاعة والانقياد له فكما موجود عندهم
فرئيس الجمهورية يفعل جميع ما يحتاج فيه إلى الملك من مراسم المواكب وغيرها غير انه
أذل بهم وضغامة من المولود في اللبس والاعوان وأما بقية المواكب الاعتيادية فهي

كما مر ذكره في إيطاليا وقد دعوا في سنة ١٢٩٢ للفرجة على موكب دفن اثنين من
الجنرالان ماناسنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م في حرب الكرومون أي الاشتراكيين في
باريس وكانت جمعتهم ما مصرية في صناديق بكنيسة ليزان فاليد المدفون بها بونا باري
الاول وأعدوا لهم ما موكبا حافلا بحضور جمع غفير من العساكر المشاة والخيالة والطبعية
بمدافعهم ثم وقروا في البطحاء الكبيرة أمام الكنيسة وغصت سائر الطرقات والمبادين
بالخلائق المتفرجين وامتلاء داخل الكنيسة بالاعيان المدعويين وكانت فوانيسها
موقودة والشموع الكمية مسرجة وكبار القسوس حول المعبدين يطنون بالبحان
ونغمات تمديدية تميل الى الحزن بتقنن واحد افا واحد اولهم سكان في الوسط يضح
فيهم اقوم من صغار القسوس جالسين في رواشن عالية محيطة بداخل الكنيسة
ويلحنون ترطيتهم بانغام ايضا شبه الساقمين وهكذا الى ختام ادعيتهم ثم خرجوا
الجنارئين المكسوتين بلباس اصحابهم ما الرسمى ووضعنا في محلات معدة لذلك
من ينة بالازهار وقصيب الذهب والفضة وسارت العساكر بمدافعهم في المقدمة ومن
ورائهم الجناسازان ومن ورائهم بقية المشيعين ركوب في كراريس سود وسرج الخيول
أسود والخيل سود ولباس الركاب أسود وذهبوا الى المقبرة وكانت المدافع تطلق بعد
كل خمس دقائق كل ذلك اظهارا للعناية بمن نفع وطنه منهم ترغيبا لمن يسلك ذلك المسلك
وعلى نحو من ذلك رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م جنازة ملكا الهاسونو الذي
أدخلت ملكته دولة البروسيا في ملكتها وهو وسكن في باريس وهو شيخ مسن
ولساعات حضرت جنازته امراء ووزراء المانيا واجعلت له دولة فرانساجه على نحو
ما تقدم في برانه أخرج من داره لامن الكنيسة ولفه دند كرت في تلك الكنيسة عفا
ما شاهدت حركاتهم وهيئتهم قول نبينا صلى الله عليه وسلم الصادق الامين اتبعن سنن
من قبلكم شبرا شبرا واذرا اذرا حتى لو دخلوا حجر ضرب لدخلتموه قلنا اليهود والنصارى
يا رسول الله قال ومن اه كما ورد ذلك في الصحيح اذ علمت من ذلك منشأ وجود الكلا في
الجوامع وتغنى المؤذنين والمقيمين فيها واجابتهم للائمة بالبحان متناسجة وتلحين الخطباء
والائمة في القراءة والدعوات الى غير ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان وما هي
الا ضلالة وافساد وازيادة نقصان في العبادة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وحيث كان أعظم المواقب الاعتيادية عندهم هو رأس السنة نذ كما وقع في باريس
في رأس السنة الانجيلية الموافق لذي القعدة سنة ١٢٩٠ من حالة التزارعة عندهم

ففيها لانهم يكتبون عن اتعاب الزيادة بارسال أوراق الاسماء فيما بين المعارف وترسل بواسطة البريد أوجالين مع مدين لقضاء الحاجات يقفون في الطرق وعلى صدر كل واحدة قطعة من نحاس عليها عدد وسامان الحكومة بأنه أمين مجازله في تلك الصناعة فوزع بواسطة البريد فقط مليون وخمسمائة وستون ألف ورقة عندما وزع بواسطة المجالين وأرسلت الى أهالي باريس مكاتيب ثمانية من الخارج مليون وخمسمائة ألف وكان المرسل منهم في يوم رأس العام من المكاتيب المضممة في البريد تسعة آلاف مكتوب ونسبتهم الغير المضممة من نسبة واحد من مائة

مطلب

﴿في اللغة﴾

(اللغة) الفرنسية فرع من اللغة اللاتينية ولهذا لم يزلوا يراعون في الكتابة أصول تلك اللغة حتى يكتبون أحرفا لا ينطقون بها بل وبعضها مجرد مراعاة الاصل بدون فائدة أخرى ولا زالت في التهديب والاعتناء بها ولهذا جعلت علمية لغتهم باهضة بطها وقد اشتهرت اشتهارا كليا في العالم من وقت ارتقاء نابليون بونا بارتى الاول الى امبراطورية فرنسا حتى وقع الاتفاق بين الدول الأوروبية على ان تكون هي اللغة المستعملة في المحاورات والمخاطبات بين الدول وصار من لوازم أهل السياسة معرفة التكلم بها ولذلك وقع الاصطلاح فيها على ألفاظ تؤدي معاني سياسية منضبطة محدودة مختصرة تحتاج في غيرها الى تطويل وإهم وذلك الاتفاق على اجرائها في الخطابات السياسية لم يزل جاريا الى الآن حتى ان المائتين المائتين فرانس سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م حاولت نقل هاتيك المزية الى لسانها فلم توافقها انكلادير وقالت (اما) ان تبقى على الاصطلاح المتعارف على اللغة الفرنسية (واما) ان كل دولة تختار بلسانها فابق الوجه الاول لان الثاني فيه من الصعوبة ما لا يخفى اذ يلزم رجال السياسة تعلم لسان جميع الدول ذات السياسة ووجود مترجمين في وزاراتهم لتلك اللغات بخلاف الاستعانة على اللغة الفرنسية التي مر ما وقع فيها من التحريم يرون اعتنائهم بلغتهم واعتنائهم بالفصاحة فيها وارتجال الخطب المستطيلة أعنى الخطب على النحو العربي الاصلي بارتجال الكلام مع فصاحته وانسجامه لا كما يصنع الخطباء الآن من حفظهم ما ينشئونه ان كانت لهم قدرة على الانشاء أو حفظ منشآت غيرهم أو سردها من ورقة اذهبها ذاك لاف الاسلوب

العربي

العربي الاصلى وانما هو اى الاصلى الى استحضار معان مرتبة في فكرة الخطيب والقارؤها
 عند الحاجة بالفاظ منسجمة فصيحة بليغة وذلك هو شأن كل أمة ترقى في سجايا الفخار
 فالفرانسايون توجهوا لهذا المقصد ايضا وبلغوا فيه على حسب اصطلاح لغتهم الى
 المبالغ الحسنة فترى خطيباهم يقف أحدهم خطيبا يتهكم ساعتين وثلاثا بدون تعلم
 أو مراجعة سوى البطاقة أحيانا مكتوب بها اوس الذوازل التي يريد الخوض فيها وينقل
 من واحدة الى أخرى يربط المناسبات الى انتهاء مقصوده وقد يعترض له بعض اصداؤه
 أفراد أو مجتمعات بالاستهزاء منه والسخريه من كلامه والرد عليه ولو بالضجيج وهو مثبت
 في مسامكه ويحبب الرادع عليه بالناسبة لان أغلب ما تكون خطيبهم في السياسة مع تنازع
 الاغراب فيهم اسميا في مجلس النواب والاعيان وكثيرا ما يوضع للخطيب فوق المسند أمام
 منبره كاس بالماء والسكر والزهر لعله يحف لسانه من كثرة الكلام أو لفظ هنا أصله
 لاكنى رأيت من يتخذ الشرب منه آلة للتفكير ومهلة للتدبير فيما يقول حتى أكثر من
 ذلك وصار يشرب كل ثلاث دقائق أو خمس وهو دليل عيب والحاصل ان خطيبهم الآن
 شبه خطب أسلافنا العرب في الصورة ونسبه الدروس المنقصة في ادائها من علمائنا
 الفحول الآن مثلما أدركت من دروس شيخنا العلامة محمد بن عبد الله في كبر قدس الله
 روحه اذ يستطيع المكاتب ان ينقلها من تقريره لفظيا وتصيرا إلى فاجيدها وخطيباهم يقوم
 الآن بحضور مواطنهم ككتاب عارفون بالصلاحيات مختصر في الكتابة حتى يعطوا جميع
 ما يقول للخطيب وأكثر الاسباب في طول خطيبهم هو ادماج مسائل من فنون شتى فيها
 سيما علم التاريخ فبدأ في مناسبة يذكر تاريخ أدنى شيء يجهل عنه وما وقع فيه من قديم
 الزمان وحديثه فاذلك كان فن التاريخ ضروريا لاهل السياسة وهو المعقول لان
 الوقائع الدهرية متشابهة متقاربة فمن أحاط علما بالتاريخ عرف الاسباب والدواعي
 والنتائج والخصائص والغلط في تتبع في الحال الحسن ويجتنب المضر ويحترس بالشاور
 واجتماع الآراء وذلك هو مقدر دور البشر والله يفهم ما يريد وانما أجرى سبحانه عادته
 بالصلاحيات اذ أجرى العمل على حسب التدبير والامر الالهي بالتخاذل الاسباب على مقتضى
 حكمته لا رب سواه ومن قواعدهم في اللغة ان يخاطبوا الانسان بدون توقيفه بالسيادة
 الا لزوجة مع زوجها أو العكس والمخدوم مع خادمه ومع ابنه الصغير واذا كان الخاطب
 ذا وظيفة الوزارة يزداد له لفظ بمعنى المرفع أو كان ذا خطة الامارة يزداد له لفظ بمعنى المعظم أو
 كان ملكا يزداد له لفظ بمعنى صاحب الجلالة بحيث يثخرون في ذلك غاية ويكثر من

الباب الثالث في ايطاليا	٢
فصل في سفر المؤلف اليها وما رآه بها	٢
موسى كالاري التي هي تابعة لاطاليا	٣
بيان هيئة هاته البلدة	٤
كيفية ملابس اهلها	٤
توجه المؤلف الى نابلي	٥
كيفية المنازل بهاته البلدة	٦
ذكر اسم طرقها الحصنة البهجة	٧
ذكر الملهي الكبير	٨
ذكر اكبر مدارسهم	٩
بيان الاشياء التي استخرجت من بلدة بونباي	٩
دار الفنون التي يعلم بها فنون الطب وغيره	١٠
ذكر كتبخانة عظيمة بها مائة وثلاثون ألف مجلد	١١
ذكر بلدة بونباي وكيفية اهلها	١١
بيان هيئة بناتها	١٣
بيان قصد المؤلف الى بالدرومه	١٤
ذكر قصر الملك في بيتان كرنا	١٤
بيان كيفية وصوله الى بالدرومه واخماسه ياتم اقامتها	١٥
ذكر منزلهما العمومي	١٧
ذكر مجالس النواب واعضائه	١٧
كيفية توجه المؤلف الى بالديفورنو	١٨
بيان هيئتهم وطرقها	١٩
بيان مروره على بالديزة و ذكر لهيئتهم او غرائبها	٢٠
بيان وصوله الى بالديفير ينساو و ذكر لهيئتها	٢٠

- ٢١ قصر القلعة وعجائبه
- ٢٢ ترجمة الوزير حسين التونسي
- ٢٣ توجه المؤلف الى باريس
- ٢٤ ذكر بلاد بولونيا
- ٢٤ بلاد تورين
- ٢٤ بيان صفة الترموي
- ٢٥ ذكر المنزه العمومي وعجائبه
- ٢٥ وصول المؤلف الى فرنسا
- ٢٧ بقية الكلام على ايطاليا
- ٢٨ فصل في تعريف ايطاليا ووجعها
- ٣٠ الكلام على ما يورثها وحيواتها ومعادنها
- ٣١ ذكر ولاياتها الكبرى
- ٣٢ فصل في اجمال تاريخ ايطاليا
- ٣٣ مطالب في تاريخها القديم ودول الرومان وانقسام السلطنة الى شرقية وغربية
- ٣٤ مطالب في تاريخها الجديد واسباب الحرية والفرمانسون
- ٣٧ ذكر وزارة الامير بيزمرك
- ٣٧ بيان الاسلحة الحربية التي احدثتها بروسيا لفرنسا
- ٣٩ ذكر ما معه المؤلف من فرائب علوم المحدثان
- ٣٩ مطالب في الادارة الداخلية بايطاليا
- ٤١ كيفية الادارة في الولايات
- ٤٢ كيفية الادارة المحكمية
- ٤٣ مطالب في معنى الملكية والقانونية
- ٤٤ مطالب في السياسة الخارجية لايطاليا
- ٤٥ فصل في بعض عواثد اهل ايطاليا وبعض صفاتهم
- ٤٦ صفة اهل القرى والبادي
- ٤٦ صفة رقص الاعيان مع النساء

(٢)

مصحفة

- ٤٧ بيان غلط من ادعى ان ديانا تناسخ النظر لوجه المرأة
٤٧ كيفية استعمال أهالي إيطاليا للموسيقى ذات آلات النفخ
٤٨ مطالب في التجارة
٤٩ أحوال البنوك بإيطاليا
٥٠ السكك الحديدية وانتظاماتها
٥١ البواخر البحرية
٥٢ الاسلاك الكهربائية
٥٣ مطالب في الصناعات الفلاحية
٥٤ تقاسيم الارض ومنظرها البهيح
٥٤ الصناعات الضرورية والتحسينية
٥٤ دخول ملك إيطاليا المعرض مع رجال الامة
٥٥ مطالب في المعارف
٥٥ مطالب في هيئة المساكن والطرق
٥٧ مطلب في اللبس
٥٨ هيئة شعور رؤسهم ولحاظهم وشواربهم
٥٨ كيفية لبس نساءهن
٥٨ اللباس الرسمي لأصحاب الوظائف
٥٩ مطالب في الاكل
٦٠ مطالب في المواكب الرسمية
٦٠ المواكب الاهلية
٦١ موكب الماء تم عندهم
٦٢ هيئة تكفين مرتائهم
٦٢ مطالب في اللغة
٦٣ مطالب في القوة المالية والحربية
٦٣ الباب الرابع في مماثلة فرانسوا مازاه المؤلف فيها
٦٣ الفصل الاول في سفره اليها

- ٦٤ وصوله إلى باريس
 ٦٥ اجتماعه بأشهر الأطباء
 ٦٥ ما حصل له من الخطر بسبب فطام المترجم
 ٦٦ الفصل الثاني في باريس وصفاتها
 ٦٧ أجال وصف مائة المادة
 ٦٧ محيط دائرة سورها وتقسيمها إلى عشرين قسمًا
 ٦٧ طرق البلاد وانما تزيد على ثلاثة آلاف طريق
 ٦٨ ذكر أجل الطرق الذي هو البعير
 ٦٨ ذكر أما كن أنرايقه
 ٦٩ حديقة شانزلي
 ٦٩ ذكر قوس النصر
 ٦٩ جردان ماييل الذي يقع في
 ٧٠ حديقة التوري
 ٧١ إبلان فيندوم
 ٧٠ أفندي لوبيرة
 ٧٠ الأسواق المسقفة بالزجاج
 ٧١ غيضة أبواد بولونيا
 ٧١ قدمبر سا كرا المانيا وفرانس الهامة الغيضة
 ٧١ ذكر غيضة أبواد فينس
 ٧١ جردان دي كايما سيون
 ٧٢ ذكر الحيوانات الغريبة
 ٧٢ أسد البحر
 ٧٢ جردان دي بلانت
 ٧٢ ذكر الدعا بين الهائلة المنظر
 ٧٣ قصر معرض سنة ١٨٥٧
 ٧٣ قصر اللوفر الضخم المتقن البناء

- ٧٣ قصص التورى
 ٧٣ ما هي كران لوبرة
 ٧٣ قصص الكسندر
 ٧٣ دار الرصد العجيبة
 ٧٣ قصص معرض سنة ١٢٩٥
 ٧٤ بيان عدد القادمين من الانكليز كل يوم
 ٧٥ هيئة المآذب التي دعى اليها المؤلف من قبل الوزراء
 ٧٥ ماعية الدولة لمصاريف الموكب
 ٧٥ مركز الالعاب
 ٧٦ القصيدة التي ترجمها رفاعة باشا
 ٧٨ الاحتمال الذي صنع بعرض الجديش
 ٧٩ احتفال الطرق واشتباها الكراريس على أعمامها
 ٨٠ احتفال يوم السباق
 ٨١ الدار التي أرسلها سلطان المغرب وكاهن خشت
 ٨١ الشطر الثاني من المعرض
 ٨٢ بقية أماكن وبنات باريس
 ٨٢ بيان أنهم لا يقصدون بالملاهي مجرد التلهي
 ٨٣ طاب مجلس الامة لعزل ولاية البلدان وما قيل فيه بأحد الملاهي
 ٨٣ بيان ان ملاهيهم كما لا تخلو عن فائدة ولا تخلو عن مفسدة
 ٨٢ ذكر أذنتهم هاته الملاهي
 ٨٤ ما هي الهدوم الذي يلعب فيه بالخيول العجايب
 ٨٤ الشبان الجهال الذي رآه المؤلف هناك
 ٨٤ ذكر معامل باريس
 ٨٥ جامات باريس
 ٨٥ أحوال المعارف وترقي العلوم
 ٨٥ خزان الكتب وبيان ما فيها

- ٨٦ بواش أنحر للاجتهاد والتقدم في العلوم
 ٨٦ ذكر المطابع وما فيها من أنواع أحرف اللغات
 ٨٦ أما كن المرجحة كاستشفيات
 ٨٧ بيان طرق المواصلات
 ٨٧ الجهلات والمخيل بباريس
 ٨٧ رواج التجارة والسامع
 ٨٧ مخزن اللوفر الكبير
 ٨٨ مخزن بومرشي ومخازن أنحر
 ٨٨ الدهاليز التي تحت الأرض
 ٨٩ الفصل الثالث في بقية البلدان التي شاهدها المؤلف
 ٨٩ بلد فرسال وموقعها من باريس
 ٨٩ القصور الملكية التي بها
 ٨٩ مجلس النواب بها أيضا
 ٩٠ بلد السينفر
 ٩٠ بلد صان اكلو
 ٩٠ بلدة فونتين ابلو
 ٩١ بلدة اليون والنفق المسمى تونيل
 ٩١ بلدة مارسيليا
 ٩١ قصرها التزييه
 ٩٢ مرساها البحرية
 ٩٢ بلدة طلون
 ٩٢ سفير الصين الذي قدم للمعرض
 ٩٢ بلدة نديس
 ٩٣ بلدة أيا نشو
 ٩٤ الابيات التي سردها الفاضل محمد السنوسي على المؤلف عند رجوعه
 ٩٤ سفر المؤلف الى فرانسا مرة ثانية وثالثة

- ٩٥ ما حدث في الوطن في سفرته الاولى ومسئلة الاجتهاد واداءه
 ٩٦ الفصل الرابع في النهري فبقرانسا وجغرافيتها
 ٩٦ ذكر جبالها
 ٩٧ الانهر التي بها
 ٩٧ الترع التي بها
 ٩٧ بحيراتها
 ٩٧ هواؤها
 ٩٨ بردها
 ٩٨ نباتاتها
 ٩٨ حيواناتها
 ٩٨ الجميوانات التي تربي في الامصار
 ٩٨ ثعابينها وحياتها
 ٩٩ طيورها
 ٩٩ ذكر مدن قرانسا وان قاعدتها باريس
 ٩٩ ذكر المعادن
 ٩٩ بيان مراسيمها
 ٩٩ بيان سكانها
 ١٠٠ مستعمراتها
 ١٠٠ الفصل الخامس في اجمال تاريخ قرانسا
 ١٠٠ مطالب في تاريخها القديم
 ١٠٠ تغاب اسم قبيلة الافرنك على جميع الالهالي وسبب اطلاق اسم الافرنج
 على جميع اهل اورويا في المشرق
 ١٠١ ذكر فليب الثاني الذي اتحد مع ملك الانكليز في حرب الصليب
 ١٠١ فليب الثالث
 ١٠١ بذت لاحد الفلاحين ادهت علم الغيب لتخليص فرانس من الانكليز
 ١٠٢ انتقال النفوذ لفرانسا

- ١٠٢ مطلب في تاريخ فرانسا الجديد
 ١٠٣ تعرض امبراطور النمسا المقاصد الفرانسييس
 ١٠٣ تعرض الحكومة بحكومة الدركتوار وترجة نابليون بوناپار في الاول
 ١٠٣ شميع انكسار دول اوروباعلى فرانسا
 ١٠٤ ذكر تأليف قانون الاحكام من نابليون الاول
 ١٠٤ دخول العساكر الى باريس وتخليكهم لويس الثامن عشر
 ١٠٥ تولية لويس فيليب
 ١٠٥ رئاسة لويس نابليون على الجمهورية
 ١٠٥ تلقيه بنابليون الثالث
 ١٠٦ قوانين الملكية التي رسم بها
 ١١٠ ذكر المشاحنة الزائدة بين فرانسا وبروسيا وحرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م
 ١١١ تعرض ما كتبه نابليون الى ملك بروسيا في خضوعه
 ١١٥ انقضاء الصلح بين فرانسا وبروسيا
 ١١٥ بيان ما دفعته فرانسا لبروسيا
 ١١٦ مطلب في السياسة الداخلية
 ١١٨ بقية تفصيل الادارة
 ١١٨ انتخاب الوزراء من تعقد المجالس عامهم
 ١١٨ كيفية ادارة الاحكام
 ١١٩ اناطة النمرع الاسلامي المحكم بالعلماء أهل العدالة
 ١١٩ المفاسد الموجودة في انتخاب أعضاء مجالس النواب
 ١٢٠ مطلب في السياسة الخارجية في فرانسا
 ١٢٠ ذيل في تساط فرانسا على تونس
 ١٢١ ذكر اسباب ذلك
 ١٢٢ لائحة فرانسا في اسباب جاراتها على تونس
 ١٢٧ لائحة الدولة العثمانية في اثبات حقوقها
 ١٣٠ اثبات اقرار فرانسا بان تونس عثمانية

- ١٣٠ أسباب تغافل الدول عن فرنسا
 ١٣١ تلغراف سفيراة كلتيرو في عدم معاضدة الدولة العثمانية
 ١٣٥ نص المعاهدة بين فرنسا وتونس في الحماية
 ١٣٧ الحامل الباطني لفرنسا وترجيحه على مكائد الدول بها
 ١٣٩ الفصل الخامس في عوائد أهالي فرنسا وصفاتهم
 ١٤١ حكاية طريفة
 ١٤١ مآراء المؤلف من اعتقاداتهم الهدىانية
 ١٤٢ بقية عوائد الاهالي
 ١٤٣ مطلب في التجارة
 ١٤٥ مطلب في الاحكام
 ١٤٦ الارشاه في غير المجالس الانتهاية
 ١٤٦ صفة محل الحكم بباريس
 ١٤٧ نادرة عجيبه وهي من أهم ما يذكرفي أحوال الادارة الحكومية
 ١٤٩ مطلب في المعارف
 ١٥١ مطلب في الصنائع
 ١٥٢ مطلب في هيئة المساكن والطرق
 ١٥٣ مطلب في الابدس
 ١٥٤ مطلب في الاكل
 ١٥٥ ذكر احكام طعامهم شرعا وهو مفيد
 ١٦٢ مطلب في المراكب
 ١٦٤ مطلب في اللغة
 ١٦٦ مطلب في القوة الحربية المالية والتجارية في فرنسا سنة ١٨٨٠

